بسم الله الرحمن الرحيم

اسم المؤلف : **السيد عمار الحكيم**

عنوان الكتاب : **خطاب الاعتدال والبناء**

موسوعة الخطب والكلمات والبيانات والرسائل للسيد عمار الحكيم لعام (٢٠٢٠)

الطبعة الثانية : ٢٠٢٢

الترقيم الدولي : ISBN: 978-9922-914-22-0

العراق - بغداد- الجادرية جسر ذي الطابقين

شارع المتنبي - مقابل مقهى الشابندر - قرب مصرف الرشيد

07813614106

inky.publishing@gmail.com

خطاب الاعتدال والبناء

موسوعة الكلمات والمحاضرات واللقاءات المجتمعية والإعلامية والبيانات للسيد عمار الحكيم

لعام (٢٠٢٠)

الجزء الثامن عشر

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا و نبيّنا، سيّد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم محمّد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

أما بعد..

فإن عام (٢٠٢٠) شهد جملة من الأحداث المحلية والإقليميّة والدولية المهمة، فقد شهد في أيامه الأولى استشهاد القائدين (أبو مهدي المهندس) نائب رئيس هيأة الحشد الشعبي، و(قاسم سليماني) قائد فيلق القدس، باعتداء جويّ أمريكيّ في مطار بغداد الدولي، وكان لهذا الحادث تداعيات كبيرة على الساحة العراقية.

وشهد هذا العام منح الثقة لحكومة السيد (مصطفى الكاظمي)، وانخفاض وتيرة تظاهرات تشرين (٢٠١٩).

و شهد هذا العام أيضًا تصاعدًا كبيرًا في الأزمة الصحية العالمية والعراقية نتيجة تفشي فايروس كورونا، وما نتج عنه من انخفاض في أسعار النفط العالمية وتأثير ذلك على الأوضاع الاقتصادية العراقية ولا سيّما بعد قرار البنك المركزي العراقي رفع سعر صرف الدولار أمام الدينار العراقي.

و أُعلن في هذا العام عن تشكيل تحالف سياسي جديد (تحالف عراقيون) برئاسة سماحة السيد (عمار الحكيم).

وعلى الصعيد الدولي جرت في هذا العام الانتخابات الأمريكية التي فاز بها (جو بايدن) على منافسه الرئيس (ترمب).

هـذه هـي أبـرز الأحـداث التـي كانـت المـادة الأساسـية لخطـب وكلمـات ولقـاءات وبيانـات وتغريـدات سـماحة السـيد (عمـار الحكيـم) رئيـس تيـار الحكمـة الوطنـي، نقدمهـا للقـارئ الكريـم عبـر المجلـد الثامـن عشـر مـن الموسـوعة الموسـومة بـ (خطـاب الاعتـدال والبنـاء).

تضمـن هـذا المجلـد أربعـة فصـول، أمـا الفصـل الأول فجعلنـاه لـلمحاضرات التـي ألقاهـا سـماحته فـي شـهر رمضـان المبـارك، وقـد اسـتكمل فيهـا شـرحه لعهـد أميـر المؤمنيـن (عليـه السـلام) لمالـك الأشـتر (رضـوان الله عليـه) حيـن ولاه مصـر، والـذي يمثـل اختـزالاً للنظريـة الإسـلامية فـي القيـادة والإدارة، إذ شـرح فيـه المقاطـع الأربعـة الأخيـرة، مـن المقطـع السـادس والعشـرين وحتـى المقطـع الأخيـر.

أمـا الفصـل الثانـي فجعلنـاه لـ (المناسـبات العامـة)، وعرضنـا فيـه كلمـات سـماحته فـي المناسـبات الوطنيـة والمؤتمـرات واللقـاءات و المناسـبات الدينيـة والنـدوات الحواريـة.

أمـا الفصـل الثالـث فخصصنـاه لـ (دواويـن بغـداد)، هـذا الملتقـى الفكـري الـذي يسـتضيف فيـه سـماحته الفعاليـات الاجتماعيـة مـن نخـب وطنيـة وعشـائر وشـباب ومهنييـن، للتـداول بشـأن الأوضـاع العامـة فـي العـراق والمنطقـة، ووضـع اليـد علـى المشـاكل والمعوقـات، ورسـم ملامـح الحلـول لأزمـات البـلاد.

وعرضنـا فـي الفصـل الرابـع (اللقـاءات الإعلاميـة والمقـالات) اللقـاءات الصحفيـة لمختلـف القنـوات المحليـة والخارجيـة مـع سـماحة السـيد عمـار الحكيـم، وتضمـن أيضًـا مقاليـن مهميـن لسـماحته نُشـرا فـي عـدد مـن الصحـف المحليـة والدوليـة.

وختمنـا المجلـد بملحـق تضمـن (البيانـات والبرقيـات والتغريـدات) التـي واكبـت الأحـداث العامـة فـي عـام (٢٠٢٠)

نرجـو أن نكـون قـد وفقنـا فـي هـذا العمـل، ونقـدم اعتذارنـا لسـماحة السـيد عمـار الحكيـم وللقـارئ الكريـم عـن كل هفـوة أو خطـأ غيـر مقصـود وقـع فيـه.

والحمد لله رب العالمين

مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث

المحاضرات الرمضانية

المحاضرة الأولى بتأريخ ٢٠٢٠/٤/٢٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[1] صدق الله العلي العظيم.

إخوتي الكرام، أخواتي الفاضلات، تقبّل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم، وهنيئًا لنا جميعًا بحلول شهر رمضان المبارك، شهر الطاعة والمغفرة والرضوان إلى الله تعالى، شهر دُعينا فيه إلى ضيافة الله، وجُعلنا فيه من أهل كرامة الله، إنها فرصة عظيمة أن يكون الإنسان في ضيافة الله (سبحانه وتعالى)، وأي ضيافة يتفنن فيها الله (جلّ وعلا)، في ضيافته وتكريمه، في تقديم كل وسائل الكمال للإنسان، (أنفاسكم فيه تسبيح، نومكم فيه عبادة)، حتى تلك الأمور غير الاختيارية تتحول لتكون رافدا في العملية التكاملية للإنسان، ما ينتاب الكثير منا في كل عام في نهاية هذا الشهر، يصاب بحسرة، بألم، لماذا لم أستفد من هذا الشهر كما ينبغي؟ لماذا لم أستثمر شهر رمضان بما يناسب؟ لماذا ضاع مني هذا الشهر؟ ليتني استفدت أكثر مما بذلته من جهد ومن عبادة في هذا الشهر الفضيل.

ونحن في اليوم الأول من شهر رمضان، فيه فرصة جيدة، فرصة مهمة، أن نقطع عهدًا وبيعة مع الله (سبحانه وتعالى)، في أن نسير في طريق العبودية لله(جل وعلا)،

١. سورة البقرة: الآية١٨٥

نعاهد الله على أن نستثمر هذا الشهر الفضيل، ونسأل الله أن يعيننا على أنفسنا بما يعين الصالحين على أنفسهم، في اليوم الأول من شهر رمضان نحتاج إلى وقفة، نحتاج إلى بيعة وتجديد العهد مع الله (سبحانه وتعالى) في أن نسير في طريق الطاعة له والعبودية له، أوصي نفسي وأوصيكم، إخوتي أخواتي على تجديد هذه البيعة مع الله (سبحانه وتعالى)، وأن نبذل جهدنا في استثمار هذا الشهر الفضيل، ونحن في أول أيامه، أسأل الله أن يجعلنا من المرحومين وأن لا نكون من المحرومين.

كان لنا بحث في السنوات الماضية في عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر حين ولاه مصر، هذا العهد يمثل أطول وثيقة تأريخية وعهد سطره أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، للحديث في أوضاع الإدارة والقيادة والحكم، والشؤون ذات الصلة بهذا الأمر، عهد طويل، وكل كلمة فيه لها مداليل عظيمة وعميقة، وكان لنا الشرف في السنوات الثمان الماضية، أن نركز على هذا العهد، وأن نتناول الكثير من تفاصيله بشيء من التدقيق والشرح والإيضاح والإجلاء، نسأل الله أن يتقبل ذلك منا ومنكم. وفي هذا العام نواصل ما انتهينا إليه في السنوات الماضية، ولكي نعرف أين كنا؟ وماذا بحث هذا العهد؟ وما هي المقاطع التي مرت علينا؟ نحتاج إلى استعراض سريع للمقاطع السابقة، حتى يتصل حديث هذا العام مع حديثنا في السنوات الماضية.

هذا العهد، عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر، يبين المباني والأصول والسياسات والسلوك، والقيم الأخلاقية القيادية، يضع تصورا كاملا، خارطة كاملة للقائد، للمسؤول، للمتصدي في كل التفاصيل ذات الصلة بمهمته القيادية ونجاح هذه المهمة، كيف يدير جماعة من الناس؟، كيف يقود جمعا من الناس؟، ما هي القيم؟ ما هي المبادئ؟ ما هي السياسات التي يعتمدها؟ ما هي الوسائل التي يعتمدها؟ ما هي الأخلاقية التي يعتمدها؟ الأمير يذكر كل هذه الأمور بتفصيل في هذا العهد، بحسب هذه الرؤية الإسلامية التي يطرحها أمير المؤمنين (سلام الله عليه)، القيادة ليست مواقف فقط، وإنما القيادة مزيج بين مواقف قيادية و منظومة أخلاقية، المسؤول المتصدي القائد في أي مساحة وفي أي مستوى من المستويات عليه أن ينطلق من منطلقات أخلاقية، القيادة ليست انتهازية، القيادة ليست استغلالا، وليست البحث عن مصالح بحتة بلا قيم، كما في المدرسة الغربية والفكر المادي، ينظرون لهذا الأمر ويكتبون ويؤلفون مؤلفات، الغاية تبرر الوسيلة، (استخدم كل الوسائل من أجل الوصول إلى الغاية التي أريدها)، وما دامت الغاية مقبولة فكل الوسائل التي توصلني إلى تلك الغاية يجب أن تكون مقبولة للناس، مكر، خداع، لعب، إساءة للأخرين، تجاوز للقيم، تجاوز للمبادئ، كذب

ودجل، كله جائز، كله مقبول، لماذا؟ لأنني أريد الوصول، وكل ما يوصلني فهو جائز، هذا المنطق الغربي، أما المنطق الإسلامي فمختلف، يقول: (الوسائل يجب أن تكون من جنس الغايات)، الغاية إذا كانت شريفة، نبيلة، يجب أن تكون الوسائل التي توصلنا إليها وسائل شريفة، لا يمكن الوصول إلى غاية شريفة بوسائل غير شريفة، لا يمكن تحقيق غاية نبيلة وهدف نبيل بوسائل وطرق غير نبيلة، لا يجوز، لا يصح، الغاية لا تبرر الوسيلة في المنطق الإسلامي، بل الوسائل يجب أن تكون من جنس الغايات، هذا ما يشير إليه أمير المؤمنين بوضوح، يطرح منهجا قياديا، ليس الهدف فيه أن يقود عدد من الناس كالنعاج (أجلّكم الله)، منهج قيادي فيه قيم، فيه مبادئ، فيه أخلاق، فيه ضوابط، فيه محددات، فيه مُثُل، نقود ضمن هذا الإطار الذي يطرحه المنهج الإسلامي، وأمير المؤمنين (سلام الله عليه)، يشير إلى أن القيادة لا تنحصر بالمواقع المتقدمة، وبالصف الأول الذي يقود بلدا، يقود أمة، يقود تيارا، القيادة عنوان ينطبق على كل من يتحمل المسؤولية، ويدير جمعا من الناس.

شاب في بداية عمره، يتزوج ويصبح مسؤولا عن زوجته، هم اثنان، هذا أيضا منظومة قيادية، كيف يدير هذه الأسرة؟ صار عندهم طفل أو طفلان، أربعة، خمسة، يمكن أن تكون دائرة ضيقة جدا، وهكذا تتسع، في الجانب العسكري مثلا، من آمر السرية إلى آمر الفوج إلى آمر اللواء إلى قائد الفرقة إلى قائد الفيلق إلى القائد العام للقوات المسلحة، كلها قيادة، لكن كل واحد منهم بحجمه، لذلك لا يقال هذا عهد مالك الأشتر للحكام، للرؤساء، للقادة، هم يقرأونه ويدرسونه ويطبقونه، ونحن لا علاقة لنا به، لا يوجد أحد إلا وهو قائد على عدد من الناس، إن كان على زوجته وأولاده، أو كان في شركة أو كان في محل، أو في مصنع أو في مشروع ما أو في دائرة ما، أيًّا كانت مساحة ومستوى هذه الإدارة لجمع من الناس، فهو يقود عددا من الناس وتنطبق عليه هذه الأشياء، بالطبع كلما كانت المهمة القيادية أوسع كانت المسؤولية في تطبيق هذه المعايير أعظم وأكبر، فإذا تعسف شخص على خمسة أشخاص فهذا ليس كمن يتعسف على خمسة ملايين إنسان، أو على خمسين مليونا، المسؤولية تختلف، لكن المسار، الضوابط، المعيار، تنطبق علينا جميعا.

تحدثنا في السنوات الماضية عن خمسة وعشرون مقطعا من مقاطع هذا العهد، شمل الحديث عن سمات القائد، المسؤوليات والمهام القيادية، فريق القائد ومستشاريه، والعلاقة بين القائد والفريق والمستشارين، العلاقة بين الأمة والقائد، والحقوق المتبادلة بين الطرفين، عملية الإصلاح والسياقات المطلوبة في تحقيق الإصلاحات

القيادية، تحدثنا عن الطبقية في الإسلام في هذا العهد وبشكل مسهب، وقف طويلا أمير المؤمنين عند الطبقية في الإسلام، وقدم صورة رائعة مختلفة عن الطبقية، الطبقية والطبقات الاجتماعية في المنهج المادي، مبتنية على أساس اجتماعي، على أساس اقتصادي، الطبقية في المنظور المادي أساسا هو تشكيل اقتصادي، هذه طبقة الفقراء، تلك طبقة الأغنياء، الطبقات على أساس الإمكانية المالية، هذه طبقة الملياردیرية، طبقة المليونيرية، حسب الإمكانات والقدرة المالية تحدد الطبقات، الطبقية على أساس الاختلاف الاقتصادي توجد نفرة، توجد خصومة، توجد صراعا بين أبناء المجتمع، توجد حقدا وكراهية بين الطَبقات، أمير المؤمنين (سلام الله عليه)، يطرح منطقا جديدا، رؤية جديدة في الطبقية في الإسلام، ويعتبر الطبقية تشكيلا مهنيا وليست تشكيلا اقتصاديا، الناس الذين يمارسون مهنة واحدة هم في طبقة واحدة، طبقة المعلمين، طبقة المهندسين، طبقة الجند والقوات المسلحة، طبقة المحامين، طبقة الحدادين والنجارين والمزارعين، وفي داخل كل طبقة يوجد الفقير والغني، كسرَ الفواصل المجتمعية الناتجة عن الشأن الاقتصادي، وحّد المجتمع وجعله يترابط، أزال النفرة بين أبناء المجتمع، الطبقية على أساس مهني تشد الناس لبعضها، هذا طبيب يريد أن يبني بيتا يحتاج المهندس، تحصل له مشكلة في ترافع قضائي يحتاج المحامي، أولاده يحتاجون تدريسا يحتاجون المعلم، كل واحد يحتاج للثاني، فتصبح الطبقية الاجتماعية في الإسلام تشد المجتمع لبعضه، توحد الناس، على خلاف الطبقية في الفكر الغربي، التي توجِد نفرة وتباغضا وتباعدا بين أبناء المجتمع.

أمير المؤمنين يطرح خمس طبقات اجتماعية في العهد، في عهده لمالك الأشتر، الطبقة الأولى: الجند والقوات المسلحة، الطبقة الثانية: شريحة الموظفين، ويقسم الموظفين إلى ثلاثة أقسام، القضاة، صنف من أصناف الموظفين، الصنف الثاني العمال، ويُقصد بالعمال في النصوص التأريخية ليس عامل البناء، العمال هم من يضع السياسة المالية، والسياسة النقدية، والسياسة الاقتصادية، والسياسة التجارية، في زماننا يقابلها وزارة التخطيط، و وزارة المالية، ووزارة التجارة، والبنك المركزي والمصارف، والعاملين في القطاع المصرفي كله، وديوان الرقابة المالية، وهيئة النزاهة، كلها تندرج ضمن إطار العمال، الصنف الثالث من الموظفين: الكتّاب، ويقصد بهم أولئك الذين يوثقون الاتفاقيات، العقود، المعاملات، والمعاهدات الدولية والإقليمية والداخلية، عقد معين يسجل بين مواطن ومواطن، مواطن يبيع بيتا لمواطن آخر، عقود من هذا النوع بيع وشراء وهكذا، بين مواطن ودولة، بين دولة ودولة أخرى، قطاع

خاص وقطاع عام، مصالح عامة، مصالح خاصة، كل ما يخص العقود والاتفاقيات والمعاهدات والمعاملات، كلها تسمى بالكتّاب، موظفو وزارة الخارجية ومساحة من وزارة الداخلية، كالتسجيل العقاري، وزارة العدل، كلها تدخل ضمن الكتاب، هذه الطبقة الثانية، الطبقة الثالثة: دافعو الضرائب، الطبقة الوسطى التي تكون إيرادات الدولة منهم، الطبقة الرابعة: رجال الأعمال، الصناعيون والزراعيون الذين يحركون عجلة الاقتصاد، يوفرون فرص عمل كبيرة للناس، هم الطبقة المنتجة في المجتمع، والطبقة الخامسة: هم الفقراء، شريحة المتعففين، ذوو الدخل المحدود، فاقدو المعيل، كلهم يندرجون ضمن هذه الطبقة.

في الطبقة الأولى تحدث في المقطع السابع عشر من هذا العهد، وذكر معايير اختيار القادة العسكريين، وفي المقطع الثامن عشر ذكر مسؤوليات القائد العام، وفي المقطع التاسع عشر تحدث عن الموظفين وبدأهم بالقضاة، وتحدث عن سمات القاضي وذكر أربع عشرة سمة وصفة من صفات القاضي. في المقطع العشرين تحدث عن ضمانات نزاهة القضاء، وأن يكون القضاء عادلا. في المقطع الحادي والعشرين تحدث عن آلية اختيار كبار المسؤولين في الدولة، وزراء ومحافظين، ولاة على ولايات وأمثالها، وأيضا عن معايير الاختيار والمواصفات المطلوبة لمن يتم اختياره ليكون مسؤولا بدرجة خاصة في الدولة، وذكر ثمانية معايير، أيضا عن ضمانات حسن الأداء الحكومي لهؤلاء المسؤولين الكبار، تحدث أيضا عن العقوبات التي يجب أن يتعرض لها المسؤول الكبير حين يخفق في أداء واجباته ويتخلف عن مسؤولياته. في المقطع الثاني والعشرين تحدث عن طبقة دافعي الضرائب، الطبقة الثالثة، وتحدث عن الاتجاهات الضريبية، الإعفاء الضريبي، عن تحليل أسباب الانكماش الاقتصادي. في المقطع الثالث والعشرين تحدث عن الكتّاب، الصنف الثالث من أصناف الموظفين، كيف يتم اختيارهم؟، ما هو دورهم؟، ما هي أصنافهم وأنواعهم؟، ماهي سماتهم ومواصفاتهم؟، ماهي الأخطار الكامنة في تجاهل هذه الأوصاف فيهم، واختيار اشخاص لدور الكتّاب والكتابة وهم ليسوا مؤهلين وأمناء في هذا الأمر، توزيع الصلاحيات بين الكتّاب، تكاملية الأدوار بين الكتّاب، كل هذه الأبحاث التفصيلية تم الحديث عنها في السنة الماضية. في المقطع الرابع والعشرين تحدث عن الطبقة الرابعة، رجال الأعمال والصناعيين والمزارعين وما شابه، واستعرض التخطيط لتنمية التجارة والصناعة والزراعة، والرقابة على السوق، ومعالجة التجاوزات الاقتصادية، وتنظيم السوق ضمن أسس ومحددات واضحة بينها، ونظام العقوبات للاحتكار والتجاوزات الاقتصادية. وفي المقطع الخامس والعشرين

تحدث عن الطبقة الخامسة والأخيرة، طبقة المتعففين، الفقراء، فاقدي المعيل، وذكر ضرورة الاهتمام بهذه الطبقة المسحوقة وفصّل في أصنافها، ودعا إلى تأسيس دائرة تُعنى برعاية هؤلاء، يقابلها في زماننا وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، كما دعا إلى الاهتمام بالأيتام والعجزة وفاقدي المعيل، بتفصيل كثير في كل هذه العناوين، وأكد على تثبيت حقوق هذه الطبقة.

هذا في الحقيقة مراجعة سريعة وفهرسة لخمسة وعشرين مقطعا من مقاطع العهد الذي تحدثنا عنه في السنوات الماضية.

الآن ننتقل الى المقطع السادس والعشرين، نبدأ به في هذا الشهر الفضيل، ونسأل الله أن يوفقنا جميعا في تدارس هذه الأمور وفي وعيها والالتفات إليها والتعمق فيها، وأن نخرج من هذا الشهر ونحن قد ازددنا معرفة في هذه المعارف والعلوم الأساسية المهمة، في الحياة اليومية لنا، هذا ليس حديثا عاما وحديثا عن نظريات، هذا حديث عن واقع يجب أن نعيشه في يومياتنا ونطبقه في حياتنا اليومية.

المقطع السادس والعشرون يتحدث عن توصيات للحكام والمتصدين، مجموعة توصيات مهمة يقدمها أمير المؤمنين للمتصدين، هي:

المقطع السادس والعشرون

«التوصية الأولى: فسح المجال للاعتراض»

تتمثل التوصية الأولى لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ للحكام والمتصدين في فسح المجال للتظلم والاعتراض على السياسات والخطوات والمواقف في أي منظومة قيادية، فعلى آمر الفوج مثلًا أن يفتح المجال لجنوده لعل لديهم ملاحظة أو قضية، وكذا على آمر السرية أن يفتح المجال لجنود سريته للتظلم والاعتراض، وعلى مسؤول منظمة المجتمع المدني أن يجمع فريقه ويسألهم عن آرائهم في البرنامج والخطوات، وعلى مدير المستشفى أن يجمع الأطباء والكادر الصحي والمرضى والطواقم الإدارية، ويفتح لهم المجال للاعتراض، وكذا على القائد السياسي أن يوفر أجواء الحرية الكاملة أمام جماعته وتياره وحزبه، ويرى هل عندهم ملاحظة أو تصحيح أو اعتراض أو تساؤلات، وفتح المجال أو فتح الأبواب للاستماع إلى

التظلمات والاعتراضات والشكاوى والنقد لسياسة أو موقف أو خطوة أو أي شيء آخر. يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الشأن:

(وَاجْعلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ): يعني المتظلمين الذين لديهم شكوى، أو ملاحظة، أو تعرّضوا لمظلومية، أو قد تكون لديهم فكرة جديدة، أو رؤية في تطوير العمل، أو اعتراض على إجراء معين، أو سياسة معينة، أو خطوة معينة.

(وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًّا): ليس مجلسًا خاصًا، ومعنى الجلوس لهم مجلسًا عامًا أن يكون بابك مفتوحًا لجميعهم، فلا تكون لك ساعة للاستماع لمن يمثلهم، ولا تمنع أي فرد من الدخول عليك في الوقت المخصص لهم، لئلا تكون هناك انتقائية، وإياك ـ يا مسؤول ـ أن تغلق بابك بوجه من تعتقد أنه سيتحدث بطريقة تزعجك، ولا تسمح لأعوانك بأن لا يُدخلوا عليك إلاّ من يُحسن التملق، حتى صارت هذه ظاهرة اليوم، فصارت حتى جلسات التظلم والاستماع أكذوبة جديدة لتحسين صورة المسؤول أمام الرأي العام بشكل من الأشكال، من دون أن تبحث عن الواقع.

يجب أن يكون الباب مفتوحًا للجميع، ومن حق أي فرد من هذه الطبقة المحرومة أن يصل إليك ويبين وجهة نظره، ويعترض، ويشتكي، ويبين رأيه في سياسة أو موقف أو خطوة أو خطاب، إلى غير ذلك.

(فَتَتَواضَعُ فِيهِ): عندما تجلس في هذا المجلس العام الذي عقدته لخصوص الفقراء، لا تجلس جلسة إمبراطور، ويأتي الآخرون ليجثوا على ركبهم ويتكلموا معك جملتين، بل عليك أن تتواضع لهم، فقد ورد في وصف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (كان فينا كأحدنا)[٢]، عندما يجلس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين المسلمين كان مثل أي واحد منهم، لذلك كان الذي لا يعرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عندما يدخل المسجد يسأل: أيكم رسول الله[٣]؟ فيجب عليك ـ أيها المسؤول ـ عندما تجلس وتسمع التظلمات والشكاوى، أن تكون متواضعا، فلا تجلس خلف الطاولة، بل اجلس معهم وتوسطهم واسمع منهم.

٢. بحار الأنوار ٤١: ١٥ ح٦.
٣. بحار الأنوار ٧٢: ٣٥٥ ح٢١.

(فَتَتَواضَعُ فِيهِ لله الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ): لو تتبع أحدكم صور لقاء المسؤولين للمواطنين على شاشة التلفزيون، فسيرى المسؤول جالسًا أو واقفًا ووراءه اثنان أو أكثر من ضخام الجثة وذوي الشارب الكثة، وهم يحملون أسلحتهم، وعندما يدخل المواطن ويريد أن يشتكي يضعف عن عزمه حين يرى هذا المنظر المرعب. . رويدك أيها المسؤول. . ما هذا التكبر والبهلوانيات؟ افعل هذا مع الأعداء لا مع المواطنين.

(وَتُقعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ): أبعد حراسك، حماياتك، الشرطة، ولا تخلق جوًا بوليسيًا، تُفزع به من يريد الدخول عليك، فيصيبه الرعب ولا يجرؤ على الحديث معك، ويرجع من حيث أتى خائبًا، ويرى ذلك أسلم له من تظلمه وطلب حقه، فيجب عليك توفير بيئة آمنة، تكون الأجواء فيها مساعدة وهادئة لكي يطمئن ويتحدث بما يريد، والشخص الذي يعترض ـ مهما كان الاعتراض مؤذيًا ومزعجًا ـ يجب أن يخرج آمنًا لا يتعرض له أحد بسوء.

حين نجلس لسماع شكاوى الناس، يجب أن لا يكونوا خائفين من قول ما يريدون قوله بصدق، كما يتكلمون في الفيسبوك أو المقاهي أو البيوت، ولا يخشوا من أن لا يخرجوا سالمين إذا تكلموا به، أو أن يتعرض الموظف المعترض إلى عقوبة من المدير أو يطرده أو يخرجه من مسؤوليته، فيجب أن يضمن المعترض عدم وجود إجراءات تعسفية، وأن لا يترتب على النقد والاعتراض أي عقوبة، لكي يستطيع أن يتكلم ويعترض وينتقد ويشتكي من دون مشكلة.

(حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعْتِع): التعتعة هي التردد بالحديث، فترون بعضهم عندما يريد أن يتكلم يكرر الحرف أكثر من مرة، ولا يستطيع الكلام بسهولة، ويُعقد لسانه كما يعبّرون، فهذا هو (المُتعتع)، ونحن نقول عندما يتكلم أحدهم بهذه الطريقة: (بدأ يتعتع)، أي لا يستطيع الكلام، ويتردد بالكلام، من الخوف والرهبة، فعندما تخرجه من ممر وتدخله في ممر آخر، وتجلسه في غرفة ساعتين من الانتظار الممل، حتى يدخل على المسؤول، فيقف وجلًا، فيقال له: تكلم بما تريد، وأربعة أشخاص يقفون خلف المسؤول، وهذا المسكين لا يستطيع التكلم، وإذا تكلم أخذ يتعتع بكلامه، كلا، بل يجب عليك ـ أيها المسؤول ـ خلق بيئة آمنة. وكذا الأمر وأنت جالس في البيت جلسة الإمبراطور مع امرأة وثلاثة أطفال، والجميع يرتجفون منك، وأنت تُصدر أوامرك بغلظة ونظراتك ملؤها الغضب، مع من لا حول لهم ولا قوة، ولا سيما في شهر رمضان،

وخصوصًا من الآباء المدخنين المدمنين على التدخين. . على مهلك أيها الأب، وكن رحيمًا رؤوفًا مع هؤلاء الضعفاء.

مثل هؤلاء عندما لا يستطيعون الرد على مسؤوليهم، أو على من معهم في العمل، يصب أحدهم غضبه عندما يرجع على زوجته المسكينة. . إنها بنت الناس مؤتمنة في بيوتكم، فلماذا هذا الصراخ؟ ولماذا هذا الكلام غير اللائق؟ وهذه حقائق في مجتمعنا، فتلوذ هذه المرأة المسكينة بالصمت ولا تستطيع الكلام، وكذا هذا الطفل، فكيف يستطيع الكلام وقد تربّى في مثل هذه الأجواء، وهو يرى أباه وكأنه نار تتلظى، فهل يستطيع أن يتكلم ويقول له: لماذا تفعل هذا؟ لا أحد يجرؤ، وهكذا نحن من المسؤول الصغير إلى الكبير، إلاّ أن المسؤول الكبير يكون لسانه أطول، فكيف الحال مع الوزراء والمسؤولين والقادة؟. . عندما يدخلون بيوتهم تجد الجميع في حالة استنفار عام، ولسان حال الزوجة والأولاد: يا الله متى يخرج لنرتاح منه، فمع أنك لا ترغب في أن يعاملك المسؤول بهذه الطريقة، وتنتقد هذا السلوك، ولكن عندما يصل الأمر إليك تفعل هذا أيضًا.

قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»[٤]، ابدأ من نفسك، وكل واحد منا ليبدأ من نفسه؛ لننظر إلى أنفسنا في عوائلنا، وفي المساحة التي نحن مسؤولون عنها، ووسط الناس التي حولنا؛ كيف نتعامل معهم؟ كيف نستمع لهم؟ كيف نتقبل النصح؟ هل نقبل الاعتراض؟ هل نقبل الانتقاد؟ لننظر إلى أنفسنا حين يقال لنا إن ما نفعله غير صحيح، أو إنّ ما تفوهنا به غير صحيح، هل نقبل ذلك أو نغضب؟. . لماذا هذه السياسة يا عمّار؟ لماذا دعمت الحكومة هنا ولم تدعمها هناك؟ لماذا صرتم معارضة؟ لماذا أرجعتم فلانًا؟ يجب أن تكون الروح ـ كما يقال ـ رياضية، وينبغي للإنسان أن يقبل الانتقاد والملاحظات، لكي يستفيد ويطور منظومته القيادية.

(فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ): أي في مواطن كثيرة، مرات ومرات، سمع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: (لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ)، يعني لا تطهر أمة، لا تنقى أمة، لا ترتفع أمة وتتكامل، (لاَ يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ)، لا فرق بين الأمة، والشعب، والجماعة، فعندما يُظلم الضعيف ويشتكي لأمته ممن ظلمه واغتصب حقه، فإن هبّت هذه الأمة واسترجعت له حقه من القوي الذي اغتصبه منه، لا بالتوسل أو الوساطة أو الحيلة ونحو

٤. نهج البلاغة ٢: ٩٦ خطبة ١٧٦.

ذلك، بل تسترجع له حقه بالقوة وهو مرفوع الرأس، ويأخذ حقه من يد القوي من غير خوف أو تعتعة، ويقول كلمته على رؤوس الأشهاد: أنت ظلمتني، فهذا أمر ممتاز، وهكذا كل منظومة قيادية أيًا كان حجمها، فمثلًا في منظومة الأسرة، يقول الابن لأبيه: أنا أحترمك وأقدرك، ولكن إذا سمحت لي أن أقول لك أنت ظلمتنا وتجاوزت على حقوقنا في القضية الفلانية، وإذا رأى الأب هذا الكلام صحيحًا، يعترف بصحة قول ابنه ويعتذر، فهذه عائلة مثالية، يحترم فيها الابن أباه، ولكن لا يخاف منه، أو كان لدى جندي في فوج اعتراض، أو كانت لعضو في تيار سياسي ملاحظة، فيقول لآمر الفوج أو قائد الحزب: أنتم قلتم كذا وكذا وأنا أرى كذا وكذا، من غير خوف، فيجيبه الآمر أو القائد: جزاك الله خيرًا، دعنا نراجع، «نراجع ولا نتراجع»، وهذا الشعار يجب أن يتجسد حقيقة على الأرض، يجب أن يُنفذ، يجب أن يتحول إلى ثقافة نعمل بها، فإذا كان واقعنا كذلك، فمعنى ذلك أن منظومتنا سليمة وصحيحة.

حين يأخذ الضعيف حقة من القوي بلا خوف، ويقول كلمته من غير تعتعة، فهذا هو الواقع الصحيح، ومن دون هذا لا تقدس أمة أو جماعة ولا تطهر، إذا لم يستطع الضعيف أخذ حقه من القوي.

(ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ): هؤلاء الناس أشكال متنوعة في سلوكهم، فبعضهم أسلوبه أن يتكلم بصوت مرتفع وبنبرة خشنة، فإذا أراد منك شيئًا ما، يطلبه وكأنه يأمرك، وعندما يريد الكلام يكسر المقابل، فنبرة صوته عالية وكأنه يصرخ بك، وعندما يتكلم مع المسؤول يتكلم بغلظة، فيا مسؤول على مهلك، لا تستعجل في فصله أو نقله أو إيذائه، هذه هي سجيته التي ورثها من أبيه، فهو عصبي، منفعل، يكسر، وربما يتعرض بعض أولئك الذين يظهرون على شاشات التلفاز وينتقدون المسؤولين لعقوبات، إذ يأمر المسؤول بتحويل هذا الموظف الذي انتقده فورًا إلى المحكمة الإدارية ليُفصل من الدائرة ويُرمى خارجًا من غير أي حقوق، مع أن هذا وأمثاله لا يعرفون كيف يبينون آراءهم بشكل صحيح، فعلّمه ولكن لا تقطع رزقه، ولا تتخذ منه موقفًا سلبيًا لأنه تحدث بطريقة شديدة وعنيفة واستخدم عبارات كاسرة، وهو مخطئ في هذا، ولكن أنت من يتحمل الخطأ، فالمسؤولية فيها ضريبة، ولا تتوقع من الجميع أن يتكلموا معك بأفضل أسلوب، وبأجمل العبارات، وبأحلى الكلمات الرقيقة، ويتحدثوا معك وهم مبتسمون وباحترام كبير، وينادوك بألقاب وأوصاف جميلة، ويوصلوا إليك ما يريدونه من غير أن يسمعوك كلمة تؤذيك، وإن كان ما يريدونه شديدًا عليك، ولكن أسلوبهم لين، كما قال الله تبارك وتعالى لموسى وهارون حينما أرسلهما إلى فرعون بأمر شديد:

﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[٥]، وهذا فن لا يجيده إلا الأوحدي من الناس، وهو ما انتشر في بعض أوساط أبناء العشائر في العراق، الذين يوصلون ما يريدونه إلى الطرف المقابل بشكل غير مباشر، ومن طرف خفي قد يتعذر على كثير معرفته لدقته ولطفه، ويسمى (الحسجة).

(الْخُرْقَ)، في مقابل الرفق، ويعني الحديث الكاسر العنيف.

(وَالْعِيَّ)، هو عدم قدرة الإنسان على بيان مطلبه، فتارة هناك شخص لديه مشكلة في أسلوب البيان؛ فتراه يصرخ بك عندما يتكلم معك، وتارة هناك من لديه مشكلة في القدرة على البيان، فلا يستطيع أن يتحدث، وتارة هناك من ليست لديه مشكلة، ويستطيع أن يتكلم بشكل صحيح، ولكنه يرتبك عندما يتكلم مع المسؤول، فيبقى يدور حول الموضوع ويأخذ وقتا طويلًا وهو يقول كلامًا غير مفهوم، فلا تعلم ماذا يريد، فيجب أن تتحمله وتصحح له لعلك تصل إلى ما يريد، فهناك من لا يعرف كيف يوصل مراده لقصور بيانه، إذ ليست لديه قدرة بيانية لتوضيح ما يريد بيانه، فلا يستطيع أن يوصل فكرته، ويذهب في الكلام يمينا وشمالًا من غير أن يصل إلى مراده، فعليك مساعدته لا تصرخ بوجهه، ولا تطرده لأنه لا يستطيع أن يتكلم، ولا تقل له: لماذا تأخذ وقتي؟ اخرج واذهب إلى كاتب عرائض ليكتب لك مطلبك ثم تعال، كلا، يجب عليك تحمله واستيعابه والصبر عليه، وخذ وأعط معه، فيخرج من عندك وهو فرح، ويستطيع أن يعبّر عن مطلبه. . أنت طوّر الفكرة قليلًا، قل له: إنك تقصد هذا المعنى، ورتب له الفكرة، فانظروا إلى الإسلام كم هو عظيم في مبادئه، هكذا يتعامل المسؤول مع من هو مسؤول عنهم.

(وَنَحِّ عَنْكَ الضِّيقَ): لا تتعامل بضيق، بصراخ، بوجه مكفهر، لا تخسره لأنه لا يعرف كيف يتكلم، كلا، تعامل معه بسعة صدر، بحسن الخلق، بابتسامة، وأشعره بالاهتمام، وأصغِ إليه. . بعض أولادنا وأطفالنا لا يعرف كيف يتكلم، فاجلس معه ووسع له صدركَ ولا تصرخ بوجهه، وتكلم معه وقل له: أهكذا تقصد؟ كذا تريد أن تقول؟ وشجعه بكلمات مثل أحسنت، عاشت يدك، هذا الكلام صحيح، وأعطه ثقة بنفسه لتقوى شخصيته، ويكون غدًا قويًا في المجتمع، فحين لا يسمع إلاّ الصياح في الطفولة، يكبر وهو مسكون بالرعب والخوف، فيخرج إلى المجتمع مهزوزًا، لا يقدر على أن يمارس دوره بشكل سليم وصحيح.

٥. سورة طه: الآية٤٣ـ٤٤.

(وَنَحِّ عَنْكَ الضِّيقَ وَالأَنَفَ): الأَنَف: التعالي، الاستكبار، الاستنكاف، أي لا تتعامل مع المواطن بهذا الخُلق، وخاصة مع القاصر عن بيان مطلبه، فهناك نظرة تحقير واستهانة بالبشر، إذ ينظر المسؤول إلى المواطن نظرة ازدراء، وهو غافل عن أن أنفته هي التي أنست هذا المواطن وأربكته فعجز عن بيان ما يريد أن يقوله، فلا تتعامل بأنفة مع المواطنين أيها المسؤول، وخاصة مع من أنت مسؤول عنهم.

(يَبْسُطِ اللهُ عَلَيْكَ بَذلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِه): إذا فعلت هذا؛ إذا فتحت أبوابك، ولقيت الجميع بوجه طلق، وتحملت الكلام القاسي، وأصغيت إلى الكلام غير الواضح، وتعاملت بترابية، واحتويت من أنت مسؤول عنهم واحتضنتهم، فإنّ الله (سبحانه وتعالى) يبسط عليك أطراف رحمته.

(وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِه): أجر طاعته، فيا أيها المسؤول، عندما تتحمل الناس؛ وتتحمل كلامهم القاسي وتحتسب ذلك عند الله، وتبادلهم الابتسامة، وتحتضنهم، وتسمع كلامهم، وتأخذ ما هو جيد فيهم، وتصحح مواقفك، فهذا يستنزل الرحمة الإلهية، فتحصل على ثواب طاعة الله (سبحانه وتعالى) بهذه الخطوة.

هذا الكلام المهم فيه العديد من الإضاءات، يأتي الحديث عنها في لقاءاتنا القادمة، أكتفي بها المقدار وأشكر لكم حسن الاستماع، وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة الثانية بتأريخ ٢٠٢٠/٤/٢٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار.

كان حديثنا في عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر حين ولاه مصر، وقلنا إن هذا العهد يمثل اختزالا للنظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وبدأنا بالحديث في المقطع السادس والعشرين والذي يخصص لمجموعة من التوصيات من أمير المؤمنين للحكام والمتصدين في مواقع القيادة والإدارة، أولى هذه التوصيات هي فسح المجال للنقد والتشكي والتظلم من قبل الرعية، وكما قلنا تارة يكون القائد هو زعيم دولة فالرعية هي الشعب، وتارة يكون مستويات قيادية أخرى فتكون الرعية هم الناس الذين يكون ذلك المسؤول مسؤولا عنهم، أو ذلك الشخص في مصنع، في تجارة، في قطعة عسكرية، في مهمة مدنية، في منظمة مجتمعية، في تيار سياسي، إلى غير ذلك باختلاف المستويات.

ذكرنا بالأمس نص أمير المؤمنين (واجعل لذوي الحاجات منك قسمًا تفرغ لهم فيه شخصك) ونذكر اليوم الإضاءات المستفادة منه، وهي:

الإضاءة الأولى: فسح المجال للتظلم والاعتراض والشكوى

فسح المجال لمن كانت لديه ملاحظة، أو كلمة، أو مشكلة؛ أن يتكلم بها بلا قلق ولا خشية من أحد، ومن غير أن يترتب أثر على ذلك، مفتاح أساسي من مفاتيح النجاح لأي مسؤول، لأي قائد، سواء كان يقود عائلة من ثلاثة أفراد، أو يقود شعبًا من أربعين مليونًا، ولكل المستويات، وفي النظم الإدارية القديمة كان هناك مجلس لهذا الغرض يسمونه مجلس التظلم، يجلس فيه الخليفة، أو الوالي، أو المسؤول بنفسه، أو يجلس فيه من ينوب عنه مباشرة، ويمنح صلاحيات واسعة، أو يرفع ما استعصى منها إلى السلطان، فيفتح الباب لكل من يريد الشكوى والتظلم، ويستمع لشكواه ويحقق فيها ويعطيه حقه.

أما كيف تعدّ هذه الحالة مفتاح نجاح المنظومة الإدارية؟ فلأنها تردم الفجوة بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم، أيًا كان مستواه، فالمصارحة، والقلب المفتوح، والاستماع لشكاوى من هو مسؤول عنهم، تعطي صورة جديدة للمسؤول، قد يوجد كلام بالتأكيد في الشكاوى، مع قطع النظر عمن يبالغ، كيف يعرضها، هذا عصبي، أو منفعل، ولكن الاستماع إلى هذه الشكاوى يفتح أفقا جديدا للمسؤول لإصلاح أدائه وخطواته ومواقفه، لردم الفجوة بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم، وتتعزز الثقة بين المسؤول ومنظومته القيادية، والرعية الذين يتحمل مسؤوليتهم، فيخلق بيئة اجتماعية آمنة، يشعر فيها الجميع بالأمان، ومن الخطأ أن لا يوجد باب مفتوح للمسؤول، ليقال له: لماذا فعلت هذا؟ أو هذه الكلمة خطأ، وهذا الإجراء ليس سليمًا؟ وبالطبع مع ملاحظة أن هناك من يستطيع أن يبيّن ويشرح، وهناك من لا يحسن ذلك، ولكن المهم أن لا يشعر المعترض بالقلق من شيء، وهذا من شأنه أن يخلق بيئة اجتماعية تسود فيها المحبة، والمودة، والتراحم، ورص الصفوف، ويشعر الجميع بالمسؤولية في المكان الذي هم فيه، عندما يشعرون أن مسؤولهم يحترمهم، ويأخذ كلامهم، ويتابع اعتراضاتهم وشكاواهم إلى غير ذلك، ومن شأن ذلك أن يخلق بيئة إدارية سليمة أيضًا، ليس فيها ظلم، أو تعسف، أو تمييز؛ لأنّ المظلوم هو الذي يتوجع دائمًا، فإذا كان قادرًا على أن يعترض ويقول هذه مظلومية، والمسؤول يتراجع ويصلح الإجراء، أو القرار، ولا أحد يُظلم، فهذا يخلق بيئة إدارية سليمة.

إنّ سياسة فتح الأبواب، وفسح المجال للاعتراض، للنقد، والشكوى، تمثل مفتاحًا أساسيًا من مفاتيح النجاح، وبناء البيئة القيادية الآمنة، والبيئة الاجتماعية الملائمة، فمن

المؤكد أن أي حكومة، وأي مؤسسة، وأي منظومة قيادية، فيها أخطاء، ومشكلات، ويساعد النقد البناء، والحرية في التعبير عن الرأي، في إصلاح الإشكالات، أما سياسة تكميم الأفواه، وقمع الآراء، وعدم السماح لأحد بالتكلم، والاعتراض، والشكوى، كما هو شعار الأحزاب والحكومات الديكتاتورية: نفّذ ولا تناقش، فتؤدي إلى تراكم الأخطاء، فيقع الانهيار في اللحظة التي تنعدم فيها فرصة التدارك.

وأما البيئة التي تفسح المجال للاعتراض والشكوى والنقد وما شابه، فهي تطور نفسها دائمًا، وتكون قادرة على التماشى مع متطلبات الحياة، متطلبات المهام لتلك المنظومة القيادية، لذلك يجب أن يكون الجميع عرضة للنقد والاعتراض، ومن حق الأشخاص ضمن أي منظومة قيادية أن يعترضوا على أي شخص، وإذا قيل له: إن هذا (عصبي)، أو يقال: إنه يتعامل معنا باستهانة، أو إنه يسيء لنا، فيجب أن يكون الأشخاص عرضة للنقد والاعتراض والشكوى، ويجب أن تكون الإجراءات والتعليمات قابلة للنقد والمراجعة؛ فيقال: لقد أصدرتم لنا هذه التعليمات في القضية الفلانية، وأمرتمونا أن نفعل كذا ولا نفعل كذا، الأمر الذي ترتبت عليه هذه التبعات، وقد عرفتم ما حلّ بنا جراء هذه الخطوة، إذن فكل شيء من الإجراءات والتعليمات والخطوات قابل للنقاش، ومن حق أي شخص أن يناقش، فإذا كان نقاشه موضوعيًا وصحيحًا وملاحظته في محلها يؤخذ بقوله، وإن لم تكن في محلها يوضح له بأنه مشتبه، وقد اتخذنا هذه الخطوة لوجود المصلحة الفلانية فيها، ويشرح له الأمر، وحينئذ لا يشعر أحد بالغبن والتعسف، ومن دون فسح المجال للاعتراض والنقد والشكوى، فإن أي مؤسسة قيادية مهما كانت، ستشهد انحدارًا خطيرًا وتراجعًا حادًا في أدائها؛ لأنها ستعمل بعقل واحد، هو عقل المسؤول، يحرك المسؤولية بهواه، وهذا المسؤول الذي يريد أن يكون العمل بهواه، حتى لو كان علّامة دهره، وعبقري زمانه، فسوف تفوته أشياء، بل حتى النبي يستشير، كما أمره الله (عز وجل) بذلك بقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾[٦]، فكل إنسان لا يستطيع أن يرى الحقائق من كل جوانبها وكل زواياها، فأحيانًا يركز على جانب ويغفل عن الجوانب الأخرى، لذلك فإن فسح المجال للاعتراض والشكوى والنقد يعطي فرصة الديمومة، وتطوير الأداء بشكل دائم.

ورد في نهج البلاغة، في خطبة خطبها أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في صفين، وهي خطبة طويلة فيها مضامين عالية جدًا، ولكن سآخذ لكم مقطعًا منها يخص هذا المقام الذي

٦. سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

نتحدث فيه؛ أي العلاقة بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم، بين القائد أو الوالي والرعية، أيًّا كان المستوى القيادي له.

يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي»، من أعظم الحقوق التي وضعها الله (سبحانه وتعالى) حق المسؤول على من هو مسؤول عنهم، وحق الرعية تجاه المسؤول، فهي قضية متبادلة، وليست علاقة من طرف واحد، فالمسؤول له حقوق على من هو مسؤول عنهم، والرعية لها حقوق على المسؤول أيضًا، وهذه الحقوق المتبادلة بين المسؤول والرعية هي من أعظم الحقوق عند الله (سبحانه وتعالى).

«فريضة فرضها الله سبحانه وتعالى لكل على كل»، للمسؤول على الرعية، وللرعية على المسؤول.

«فجعلها نظامًا لألفتهم»، لكي تكون البيئة آمنة بالمحبة بين المنظومة القيادية والرعية، فهذه الحقوق هي التي تنظم العلاقة، فضابط الإيقاع الذي يجعل العلاقة علاقة طيبة، ويجعل الألفة قائمة بين المسؤول والرعية، هي هذه الحقوق المتبادلة إذا عمل بها.

«وعزًّا لدينهم»، الانتظام القيادي له انعكاسات على دين الناس، وقيمهم ومبادئهم.

«فليست تصلح الرعية إلاّ بصلاح الولاة»، الناس على دين ملوكهم، أتطمع بشعب يمشي سويًا ومسؤولوه يمشون مكبين على وجوههم؟ فالمتصدون ليسوا على قدر المسؤولية، ولا يمكن أن لا يمشي المسؤول على صراط مستقيم، ويسير الناس في طريق صحيح، فإذا التزم المسؤول بالقانون فإنّ الناس تلتزم بالقانون أيضًا، وإذا كان موكب المسؤول يمشي بشكل صحيح في الطرق العامة ضمن القواعد المرورية، فسوف تمشي مركبات الناس بشكل صحيح أيضًا وفقًا لهذه القوانين، أما إذا لم يحترم المسؤول هذه القوانين، فينبغي أن لا يُتوقع من الشعب مراعاتها، وهذه قاعدة عامة تنظم علاقة الشعب بالمسؤول.

«فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلاّ باستقامة الرعية»، المسؤول وإن كان إمامًا معصومًا مثل علي بن أبي طالب، إذا لم تطعه الناس فلا استقامة، وقد قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا رأي لمن لا يُطاع»[٧]، فإذا لم توجد طاعة، فلا توجد استقامة، ولا يوجد التزام، وحينئذ لا يستطيع المسؤول أن ينجح في أدائه القيادي.

٧. نهج البلاغة ١: ٧٠ الخطبة ٢٧.

«فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه»: بالاستقامة والالتزام والطاعة وتطبيق القوانين، «وأدّى الوالي إليها حقها»، بسعة الصدر، بالانفتاح، بالاستماع، بالإصغاء.

«عزّ الحق بينهم»: صار الحق عزيزًا وكريمًا ومفيدًا لأنه ينظم العلاقة، وكل فرد يأخذ حقه ومكانته.

«وقامت مناهج الدين»؛ إذا أدّى الوالي للرعية حقها، لأن هذا الحق قد وضعه الله (سبحانه وتعالى) ونظّم من خلاله العلاقة بين الراعي والرعية، والمسؤول محترم ومقدر بين الناس، والناس محترمة وخدماتها ومعيشتها وحرياتها مكفولة بشكل سليم، يصبح التمسك بالدين أكبر، والالتزام بالقيم أشد، حتى يقول القائل: إن هذا الدين جلب هذه العزة والاحترام.

«واعتدلت معالم العدل»: فلا أحد يمكن أن يظلم، لأنه سيكون خارجًا عن نظام المجتمع، ويمكن أن نقول للمواطن غير الملتزم بالقانون المروري مثلًا: هذا المسؤول ملتزم، فلماذا لا تلتزم أنت؟ وهذا الموكب متوقف أمام الإشارة الحمراء، فلماذا أيها المواطن تتجاوز الإشارة الحمراء؟ وهكذا في كل التفاصيل، فيشيع العدل.

«وجرت على أذلالها السنن»، أي جرت على وجوهها السنن، العادات السليمة، الأعراف السليمة، كلها تسير في الاتجاه الصحيح، وينتظم المجتمع، فهناك مجتمعات مستقرة، وهذا الاستقرار وليد لانتظام العلاقة بين المسؤول والرعية، هكذا يراها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

«فصلح بذلك الزمان»: تصبح الحياة أفضل، والإنسان عندما يفقد المعيشة المريحة ينبري للترحم عليها؛ فيقول مثلا: قديما كان كبير السن محترمًا، والناس يقدّر بعضها بعضا، والمسؤول يبذل كل ما في وسعه، وكان الناس محترمين أيضا، والحريات موجودة، فما أحسنه من زمان، فتجده يترحم على ذلك الزمان، ومعنى صلاح الزمان هو أن تكون الحياة فيه مريحة.

«وطُمع في بقاء الدولة»: الناس تطلب من الله تعالى استمرار هذه الدولة العادلة المنصفة التي تحترمهم وتقدرهم، وتعطيهم حرياتهم وتحفظ كرامتهم.

«ويئست مطامع الأعداء»، تنتهي المؤامرات التي تُحاك ضد هذه الدولة، فعمل المتآمر من خارج البيت، إذ ينظر أين هي الخلافات، فيصطف مع هذا ضد ذاك، ومع ذاك ضد هذا، ويخلق مشكلة بينهم، ويعمّق الفجوة، أما إذا رآهم كالبنيان المرصوص؛ قلبًا واحدًا، ويدًا واحدة، يحبون وطنهم، ويلتزمون بالقانون، ويؤدون واجباتهم،

ويحترمون أنفسهم، ويصونون كرامتهم وعزتهم، فمن أين سيدخل العدو؟ ومن الذي سيمنحه المدخل؟.. فالمؤامرات كلها ستزول.

«وإذا غلبت الرعية واليها»، تتحرك الرعية بالغلبة، فتسب المسؤول وتشتمه وتنال منه وتهتكه وتكسره.

«أو أجحف الوالي برعيته»، أو ظلم المسؤول الرعية وأجحف بحقها.

«اختلفت هنالك الكلمة»، حدث الاختلاف، وزادت الفجوة، وتعمّق الشرخ.

«وظهرت معالم الجور»، ظهرت حالة الظلم والقسوة على الناس، فالمسؤول يريد أن يحافظ على موقعه فيقسو على الناس، فتتمرد الناس عندما ترى المسؤول يقسو عليها أكثر، وحينئذ لا يبقى حجر على حجر.

«وكثر الإدغال في الدين»، يختل الدين أيضًا، والإدغال من الدَّغَل، قال الجوهري: «والدَّغَل بالتحريك: الفساد، مثل الدَّخل، يقال: قد أدغَل في الأمر، إذا أدخل فيه ما يخالفه ويفسده، والدغل أيضًا: الشجر الكثير الملتف»[٨]، والإدغال في الدين، يعني دخول الانحرافات والبدع، فتصبح البدعة جزءًا من الدين، فتضر الدين كما يضر الدغل الزرع، وتذهب نقاوة القيم والمفاهيم الدينية، وتغزو المجتمع مدارس الزندقة والإلحاد والفسق والفجور والأفكار الغريبة والشاذة.

انظروا كيف أن انتظام العلاقة المباشرة بين المسؤول، الحاكم، القائد، والرعية، يعني انتظام المفاهيم والقيم الدينية، فإن ارتبكت هذه العلاقة دخل الإدغال في الدين، ودخلت مدارس الإلحاد والزندقة والانحراف، ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[٩]، هناك ارتباط بين انتظام المنظومة والالتزام القيمي.

«وتركت محاج السنن»، محاج جمع محجة، وهي منتصف الطريق السليم[١٠]، فإذا ارتبكت العلاقة تُركت محاج السنن، والسنن: الطرُق[١١]، أي ترتبك الأعراف كلها، فلا تبقى حرمة لكبير، ولا عطف على صغير، ولا موازين وأعراف واضحة، ولا عمامة محترمة، ولا عقال محترم، فعندما ترتبك العلاقة القيادية تكون هذه الانعكاسات المجتمعية الخطيرة، على دين الناس وقيمهم، وعلى الأعراف الاجتماعية.

---

٨. الصحاح ٣: ١٦٩٧.

٩. سورة الحج: الآية ٤١.

١٠. انظر: النهاية في غريب الحديث ٤: ٣٠١.

١١. الصحاح ٥: ٢١٣٨

«فعمل بالهوى»، كلٌ يعمل بهواه. . فترى بعضهم يفتح صفحة فيس بوك، ويتحدث كما لو كان بطل الأمة، والقائد الفذ. . فمن أنت؟ وما أنت؟ ما هو تأريخك؟ من أين أتيت؟ ما هي قصتك؟ يُخطّئ هذا، ويُنزل ذاك، ويرفع هذا بهواه، فما هو الصدق؟ ما هو الكذب؟ ما هو الخطأ؟ ما هو الصحيح؟ ضاعت الحقيقة بسبب ارتباك المنظومة القيادية.

«وعطّلت الأحكام»، تجد في شهر رمضان نسبة كبيرة من الناس لا تصوم، فإن سألته عن السبب، قال: نخاف من كورونا، فما علاقة كورونا بالصوم؟ والحمد لله فإن التقارير الأخيرة تقول إن الصوم يقوي المناعة، والمناعة القوية تمنع من فتك مرض كورونا بالمصاب، أجارنا الله منه جميعًا، فمن يصوم أُبعد من كورونا، فلماذا تفطر؟ وقد كنت تتجول في سوق بيع الطيور يوم الجمعة بين المئات من الناس، ألم تخف من كورونا؟ والآن حين جاء الصوم أصبحت تخاف من كورونا.

بعضهم يبحث عن عذر ليتملص من فريضة الصوم، فتارة يتحجج بالحر، وتارة يتحجج بالبرودة، والآن بكورونا، فهل تريدون أن يكون الصوم في الربيع؟ لقلتم لماذا جعل الصوم كله في الربيع؟ نحن أيضًا نريد أن نتنزه ونخرج للحدائق ونأكل ونشرب.

«وكثرت علل النفوس»، ازدادت أمراض النفوس، وذهب عنها الصفاء، وغشيها غبش، فالنفس ليست صافية، وعندما تصفى النفس يمكن حمل كلام الغير وفعله على الصحة، فحين لا يردّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يقول: من المؤكد أنه لم يسمع، وإذا قيل له: إن فلانًا قال عنك كذا وكذا من الكلام البذيء، يلتمس له عذرا، بأن يقول: لعله كان منفعلًا، ومن المؤكد أن لديه مشكلة، فكلٌ يختلق العذر للآخر، ويتجاوز عن زلل الآخر، ولكن حين تختلف النفوس، فكل ما تفعله من أجله لكي يرضى لا يقدره، وتفعل له ما يريد فلا يرضى، ولو تواضعت له لقال: أترون كيف أذللته؟ وإذا تصلبت معه قليلًا قال: أرأيتم الجبروت والتعالي والكبرياء، فقل لي كيف تريد أن أتعامل معك؟ إن تواضعت له قال كذا، وإن لم تتواضع قال كذا. . إن جئت به وأقعدته في خيمة قال: أنتم تحكمون العراق منذ سبعة عشر عامًا وتجلسوننا في الخيم، وإن أقعدته في قاعة، قال انظروا إلى هذه القاعات الفارهة التي يتقلبون فيها والفقراء لا مأوى لهم سوى دور الصفيح، فأين تريد أن أجلسك؟!.

«فلا يستوحش لعظيم حق عطل»، فلا يستنكر ولا يستعظم تعطيل حقوق عظمى، ولا يتحرك له جفن، ولا يهتم.

«ولا لعظيم باطل فعل»، ولا يهتم بانتهاكات أخلاقية خطيرة. . انظروا إلى أعراضنا، انظروا إلى شبابنا، انظروا إلى أولادنا، انظروا إلى بناتنا، انظروا إلى السرقات الكبيرة، انظروا كيف يؤولون الفساد المالي بمئة تأويل، ويرى بأم عينيه ظلم القوي للضعيف ولا يهمه، وكأنه لم يحصل شيء، فإن اختلال المنظومة القيادية له انعكاسات خطيرة، في هتك الحرمات، والفساد المالي، والفساد الأخلاقي، والفساد العقدي، وكل شيء سيختل.

«فهنالك تذل الأبرار»، يُذل الإنسان المحترم ويضيع بهذه الفوضى، فالإنسان المحترم لا يلقي بنفسه في هذه الأشياء.

«وتعز الأشرار»، يصبح الأشرار والأراذل هم سادة البلد، فتجد شيخ السراق قد أصبح بالمنصب الفلاني، فعندما ترتبك العلاقة لا يبقى حجر على حجر.

«وتعظم تبعات الله سبحانه عند العباد، فعليكم بالتناصح في ذلك، وحسن التعاون عليه، فليس أحد وإن اشتد على رضا الله حرصه، وطال في العمل اجتهاده، ببالغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له، ولكن من واجب حقوق الله سبحانه على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحق بينهم، وليس امرؤ وإن عظمت في الحق منزلته»، مهما كان رفيعًا، مهما كان ملمًا، «وتقدمت في الدين فضيلته»، مهما كان عالمًا بشؤون الدين، عالمًا بشؤون الحياة، لديه خبرة، وعلم، ومعرفة، «بفوق أن يُعان على ما حمّله الله من حقه»، مهما كان سوف يبقى يحتاج إلى العون من الله (سبحانه وتعالى)، لأداء الحقوق، وإعادة انتظام هذه العلاقة بشكل صحيح، وفتح صفحة جديدة، «ولا امرؤ وإن صغّرته النفوس»، مهما كان الإنسان بسيطًا ولا يملأ منظره العين، «واقتحمته العيون»، يعني احتقرته العيون، فعندما يراه الناس يقولون باستخفاف: من هذا؟ «بدون أن يعين على ذلك»، لكن تحتاج إلى أن تسمع منه، لعل الله يجعل الكلمة التي فيها الحل على لسانة، هذا الإنسان البسيط الذي لم يلتفت إليه أحد، «أو يعان عليه»[١٢].

مهما كانت مواهب الإنسان وقدراته القيادية، فهو يحتاج إلى النصيحة، ومهما كان الإنسان بسيطًا ومتواضعًا فقد تكون لديه كلمة تغير الوضع كله، وتصلح الوضع برمته، فالكل يحتاج إلى الكل، ولا يحق لأحد أن يقول: أنا أفهم كل شيء، فمهما كنت عبقري زمانك، فعليك أن تسمع لأبسط إنسان، فربما كانت لديه كلمة يقولها

١٢. نهج البلاغة ٢: ١٩٨ الخطبة ٢١٦.

بطريقته، فتأخذها أنت وتنظر لها وتفلسفها فتكون هي حل المشكلة كلها، وهناك من يقول كيف نحل مشكلات العراق، وقد طفح بالفساد والصراعات؟ ورب عجوز مقعدة تتفوه بحكمة تكون هي الحل، بأن يجري الله تعالى الحل على لسانها، فلا ينبغي أن نستخف بأحد، فالمنهج الإسلامي يأبى ذلك، والقيم الإسلامية تأبى الاستخفاف بأحد، ولذا يجب أن نسمع لكل أحد بعمق وإمعان، فلعل الله تعالى يجعل الحكمة على لسانه، وعلى المسؤول أن لا يستكثر مهما بلغ، أن يستمع للآخرين ويأخذ نصيحة الآخرين.

الإضاءة الثانية: الاستماع إلى التظلمات والشكاوى والاعتراضات

يحتاج هذا إلى برنامج، ولا ينفع فيه الكلام فقط، فيجب أن يخضع لبرنامج، فما هو هذا البرنامج؟ يشرحه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ضمن الخطوات التالية:

الخطوة الأولى: (واجعل لذوي الحاجات منك)، سياسة الباب المفتوح، افتح بابك، وافتح قلبك لكل من أنت مسؤول عنهم، واستمع إلى ما عندهم من كلام، أو اقتراح، أو اعتراض.

الخطوة الثانية: (قسمًا تفرغ لهمٍ فيه شخصك)، أيها المسؤول، مهما كانت مسؤوليتك كبيرة، ومهما كنت مشغولًا إلى مستوى لا تستطيع معه أن تجد وقتًا يسيرًا لشؤونك الشخصية، فيجب أن تخصص وقتًا للناس، وتفتح بابك وتستمع لهم، فتشكيل اللجان والممثلين أمر جيد، ولكنه ليس كافيًا، فيجب أن يسمع المسؤول بنفسه بشكل مباشر لمن هو مسؤول عنهم، أيًا كانت هذه المستويات.

يقول بعضنا لزوجته: انظري في أمر الأولاد، بأي شيء هم مشغولون؟ وما هي احتياجاتهم؟ كلا، بل اجلس معهم بنفسك مباشرة، وتكلم معهم واجعل من ابنك صديقًا لك، وعليك أن لا تنفعل حين يطرح عليك فكرة غريبة، ووسّع له صدرك، وتولَّ تربيته وتنميته، ويجب على المسؤول أن لا يتذرع بالمهام الكبيرة والكثيرة، لعدم الاستماع إلى الناس بشكل مباشر.

أذكر لكم قضية شخصية حدثت معي، وقعت قبل خمس وعشرين سنة أو أكثر، حينما كلفني شهيد المحراب (قدس سره الشريف) أن أتولى إدارة مدرسة علمية في قم، أسسها سماحته تحت اسم (مدرسة الإمام الحكيم)، وهي مدرسة (دار الحكمة)، أعاد شهيد المحراب تأسيسها في قم بعد أن فجّرها نظام صدام في سنة (١٩٩١) في

النجف، وجعلني مديرًا لهذه المدرسة، وكان فيها في أول سنة شعبة واحدة، تضم خمسة وعشرين طالبًا يدرسون دراسة حوزوية، فكل المدرسة شعبة واحدة، والإدارة غرفة واحدة، وأنا المدير ولديّ معاون يقوم بالشؤون الإدارية، وثالث للخدمات، فنحن ثلاثة أشخاص في المدرسة، فكنت أذهب لأحضّر دروسي، ثم آتي بعدها إلى المدرسة، والمعاون الإداري كان هو من يقوم بالأمور الإدارية، وبعد شهرين أو ثلاثة، كنت جالسًا عند شهيد المحراب، فسألني عن أوضاع المدرسة، فشرحت له؛ سيدنا أتينا بخيرة الأساتذة، وفعلنا كذا، وهؤلاء الطلاب انتقيناهم بعناية، وعددهم خمسة وعشرون ولكنهم من الطلاب الجيدين، إلى آخره، وعندما انتهيت فاجأني بسؤال: هل تجتمع مع الإدارة؟ فضحكت وقلت له: سيدنا أي إدارة؟ نحن نجلس في غرفة واحدة، أنا والمعاون والخدمات، فمجموعنا ثلاثة أشخاص، فكيف أجتمع معهم ونحن جالسون وجها لوجه في غرفة واحدة؟ فقال: كلا، لو تعقد اجتماعًا، مع أننا ثلاثة فقط، ولدينا خمسة وعشرون طالبًا، هذا كل شيء، والمعاون أمامي وجها لوجه، فقال السيد: احترامًا لك دوّن قناعتي، فقلت: إن شاء الله سيدنا، وفي ذاك اليوم جئت إلى الأخ المعاون، و اسمه (أبو غيداء)، فقلت له: أخي أبا غيداء، لدينا اليوم اجتماع بعد الدوام، فقال: أي اجتماع؟ فقلت له: لا أدري، نجتمع ونرى والله كريم، فاستغرب بقدر استغرابي، وبعد انتهاء الدوام وخروج الطلاب، أغلقنا الباب وجلسنا وأنا لا أدري ماذا سأقول، فبدأت بالبسملة وقراءة الفاتحة، ثم قلت: إخواني المعاون والخدمات، دعونا نناقش أوضاع المدرسة، كيف ترون الأمور في سير الدراسة وأوضاع المدرسة؟ فتحدثنا كلمة من هنا وكلمة من هناك، وانفجر الأخ أبو غيداء، وانطلقت كلماته كالسيل: سيدنا كذا وكذا وكذا، وإذا بمئة قضية وقضية، وأخذني العجب مما يقول، وسألته عن سبب عدم إخباري بكل هذه الأمور؟ فقال: لا أدري والله، وأدلى مسؤول الخدمات بدلوه وحكى بعض الأمور، وهذا الاجتماع الذي كنت أتصور أنه سينتهي بنصف ساعة، استغرق ساعتين، وأعطوني صورة أخرى، وسيلًا من الملاحظات والمسائل والقضايا، وعند خروجي وأنا في الطريق قلت: كم كان شهيد المحراب عميقًا عندما طلب مني عقد اجتماع رسمي، للاطلاع على سير الدراسة، وأنه لا يكفي أن نجلس في كل يوم ونتبادل أطراف الحديث.

هذه منظومة قيادية مساحتها خمسة وعشرون طالبًا، وإدارة من ثلاثة أشخاص، ومع ذلك كانت تحتاج إلى اجتماع، وعندما انتهى هذا الاجتماع طلبت منهم أن يكون

الاجتماع أسبوعيًا، لكي لا تتراكم المشكلات بهذه الطريقة، فيجب على المسؤول أن يجلس بنفسه ويستمع، فهذا شيء مهم.

الخطوة الثالثة: (وتجلس لهم مجلسًا عامًا)، مجلسًا عامًا وليس انتقائيًا، فلا يقول المسؤول: لا أستطيع تحمل عقد اجتماع عام والاستماع إلى كل هؤلاء، ولكن اختاروا مجموعة منهم يعرفون كيف يتكلمون بكلام يريحني، ويشكلون لجنة باسم المتظاهرين، وترون الآن أناسًا يتظاهرون اعتراضًا على الوزارة الفلانية، ولنقل إن عددهم مئتا متظاهر، والوزير لا يستطيع تحمّل النزول إليهم والتحدث معهم، فهذا يصرخ وذاك يصيح، إلى آخره، فيرسل مدير مكتبه ليطلب منهم تشكيل لجنة من ثلاثة أشخاص، من أجل مقابلة السيد الوزير في مكتبه.. ارتدوا بدلات والبسوا أربطة، وتكلموا بما تريدون، وأفهموه مطالبكم.. ويبدأ التنسيق ويختارون ثلاثة أشخاص ويُطلب منهم أن لا يستغرق الاجتماع أكثر من خمس دقائق، وأن يتكلموا بكلام مرتب مع السيد الوزير لكي لا ينزعج، كلا، هذا غير مقبول في منطق علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي مدرسته، بل يجب على الوزير أن يعقد مجلسًا عامًا، يشترك فيه كل من يستطيع الوصول ليتكلم بما يريد، فلا يكون المجلس انتقائيًا، فتُدخل أناسًا وتُخرج آخرين بما يناسب المسؤول، وليسمعوه كلامًا طيبًا، ويصفوا له الجنة، وأنّ كل شيء على ما يرام، كلا، ليست الأمور على ما يرام، بل هناك مشكلات ويجب أن يسمعها المسؤول لكي يعالجها.

الخطوة الرابعة: (فتتواضع فيه لله الذي خلقك)، عندما تجلس في مجلس المظالم لتستمع إلى الشكاوى، لا تجلس وراء الطاولة، واجلس مع الناس، والبس ملابس عادية بسيطة، وتكلم معهم، مازحهم، اكسر الرهبة في قلوبهم، ليطمئن المواطن الذي يقف أمام المسؤول وقلبه يدق رهبة، فاستقبله بابتسامة ومزحة، ودعه يهدأ لكي يستطيع أن يتكلم بما يريد. يجب أن تسود الجلسة مع الناس المشتكين والمعترضين الترابية والتواضع، بعيدًا عن الأبهة والفخفخة والتصنع.

الخطوة الخامسة: (وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك)، يجب أن تزيل كل أنواع الترهيب والتخويف والضغط النفسي، وإثارة الخوف، ليأتي المواطن ويتحدث مطمئنا، لا يخاف من شيء، فعليك أن تزيل القلق عن أولئك الأشخاص لكي يتحدثوا وينقدوا ويشتكوا من دون تردد، ولا يخشوا من أن تترتب أي مساءلة قانونية أو توبيخ على اعتراضهم، ولا تترتب أي إجراءات تعسفية إذا قلت له أنت مخطئ في هذا الأمر، فإن نُقلت من مكاني، وأُعفيت من المسؤولية، فمن يجرؤ على أن يتكلم بكلمة أو ينقد أداء المسؤول بعد ذلك؟ إذ سيُتخذ بحقه إجراء تعسفي، لذلك يجب أن تكون

هناك حرية ليبيّن المعترض أو المشتكي رأيه ووجهة نظره، سواء كان مصيبًا أو مخطئًا، من غير أن تترتب عليه تبعات، ويرجع عزيزًا كريمًا إلى مكانه الذي كان فيه، لا أحد يعرّضه للمساءلة لأنه اعترض أو اشتكى، وهذا أمر مهم جدًا.

الخطوة السادسة: (حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع)، يجب توفير البيئة الآمنة، المريحة، المطمئنة للمشتكي والمعترض، في أن يتحدث ويشتكي ويعبر عمّا يجول في خاطره، من دون تردد وقلق، فهذا شيء مهم جدًا، يساعد على إصلاح المؤسسة القيادية، وعلى تطويرها بشكل مستمر، وعلى معالجة أخطائها، إلى غير ذلك.

ويتحدث أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في الخطبة آنفة الذكر، عن هذا الجانب؛ إذ يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وإنّ من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس»، السخف: قلة العقل[١٣]، يعني أن أقل الولاة عقلًا هو من يحب الإطراء والمديح عند الصالحين، لا عند غير الصالحين الذين لا يرون الوالي الذي يقبل المديح سخيفًا.

«أن يظن بهم حب الفخر»، الفخر: نشر المناقب وذكر الكريم بالكرم[١٤]، لا أن يحب الولاة الثناء والمدح فقط، بل أن يظن بهم ذلك، كما لو شاع بين صالحي الناس أن المسؤول الفلاني يحب أن يتعامل معه بشيء من الفخر.

«ويوضع أمرهم على الكبر»، أن يؤخذ عليهم أنهم أناس متكبرون.

«وقد كرهت أنه قد يكون جال في ظنكم أني أحب الإطراء واستماع الثناء»، في الأمس لم يكن لينظر إلى فلان من الناس أو يحسب له حسابًا، وإذا به أصبح وزيرًا في الحكومة، فتبدّل الوضع وانقلبت الموازين، وتغير الخطاب وأصبح يناديه: معاليك، ما شاء الله، ما هذا الجمال، ما هذا الحسن، ما هذه الأناقة، ما هذه الأفكار العظيمة، أنت واقعًا فلتة زمانك!.. سبحان الله، ما هذا التملق؟ ما هذا النفاق؟ بالأمس القريب لم يكن يشتريه بفلسين، والآن يسمعه كلام الإطراء.

يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، إني أكره أن يؤخذ عليَّ أني أحب المديح، وأن تحتملوا ويخطر في بالكم ذلك.

«ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أحب أن يقال ذلك»، حتى لو كنت أحبه وأريده، «لتركته انحطاطًا لله سبحانه»، تواضعًا لله (سبحانه وتعالى)، فالإنسان القوي ينبغي أن لا يهزه المديح ولا يؤثر فيه.

---

١٣. الصحاح ٤: ١٣٧٢.

١٤. كتاب العين ٤: ٥٤.

عندما رجع الإمام الخميني(قدس سره) إلى إيران من المنفى بعد ثلاث وعشرين سنة من الهجرة، ونزل من الطائرة قادمًا من باريس، سأله أحد الصحفيين عن مشاعره وهو يضع قدمه على أرض الوطن بعد ثلاثة وعشرين عاما من الغربة، فأجاب: ليست لدي أي مشاعر خاصة، التكليف أخذني إلى الغربة، والتكليف أرجعني إلى الوطن، فظل الناس مندهشين من هذا الجواب.

«وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أني أحب الإطراء واستماع الثناء، ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أحب أن يقال ذلك، لتركته انحطاطًا لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء»، فالمديح والإطراء إنما يليقان بالله (سبحانه وتعالى) وحده، فالله جل جلاله هو صاحب العظمة والكبرياء، والجود والجبروت، وهو من يستحق الثناء دون غيره.

«وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء»، يحب الناس بعد القيام بعمل مضنٍ وكبير، أن يُمدحوا ويُثنى عليهم، كأن يقال لهم: عاشت أيديكم، جزاكم الله خيرًا، بارك الله بكم، ويود المسؤول عندما ينجز عملًا كبيرًا ويقصون الشريط، أن يشكره الآخرون ويقدروا إنجازه ويثمنوه.

«فلا تثنوا عليَّ بجميل ثناء»، أنا علي بن أبي طالب، أنا المسؤول، أنا القائد، لا أريد ثناء منكم.

«لإخراجي نفسي إلى الله سبحانه وإليكم من التقية»، يعني من الخوف، وبالطبع يراد به اللازم للعقاب، أريد أن أُخرج نفسي من العقاب الإلهي، فهذا يمدح وذاك يمدح؛ أنت العبقري، وأنت الأوحد، وأنت أنت، فأصدق كلامكم وأنسى آخرتي، هكذا يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

«في حقوق لم أفرغ من أدائها»، هنالك حقوق لم أكمل أداءها بعد للناس.

«وفرائض لا بد من إمضائها»، وهنالك واجبات عليّ لم أفعلها، ويجب عليّ أداؤها.

«فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة»، فخامة الرئيس، جلالة الملك، حضرة السلطان، لا أحتاج إلى هذه الألقاب التي يُتكلم بها مع الجبابرة.

«ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة»، وهم أهل الغضب، إذ تحتاط الناس من الإنسان الغاضب، ولا تتعرض له وتتجنب شره، فهنا يقول أمير المؤمنين لمن أراد أن يكلمه: لا تخف وتكلم باطمئنان ومن غير تكلف؛ هكذا تعاملوا معي، قولوا لي يا علي، ولا تقولوا يا خليفة، وتحدثوا بما تريدون.

«ولا تخالطوني بالمصانعة»، المصانعة: المداراة، كأن تريد أن تدخل على مسؤول فتحرص على أن تكون في أفضل هيئة، وتهتم كيف تكون وقفتك، وكيف تتكلم، وكيف تنتقي العبارات، ولكن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول لك: كلا، كُن على طبيعتك، وتكلم بالأسلوب المعتاد، وقد رأيتم البعض عندما يريد أن يتحدث بالفصيح وهو لا يعرف قواعده، كيف يرفع وينصب كما يحلو له، ويأتي بتراكيب عجيبة وغريبة، تحدّث على سجيتك كما تتحدث مع الناس، فلا أريد مصانعة، أو مداراة.

«وَلاَ تَظُنّوا بِيَ اسْتِثْقَالًا فِي حَقّ قِيلَ لِي، وَلاَ التمَاسَ إِعْظَام لِنَفْسِي»، لا تظنوا أني أستثقل أو أضجر من حق يقال لي؛ فإن قيل يا علي لم تفعل هذه القضية، يا علي نريد تلك القضية منك، لا أستثقل ذلك، فأي شيء فيه عدل وإنصاف فقولوه، فإني لا استثقله ولا أتكبر عن سماعه منكم، فلا تستثقل أيها المسؤول إن قيل إنك مقصر في المسألة الفلانية.

«فَإِنَّهُ مَن اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْه، كَانَ الْعَمَلُ بِهمَا أَثْقَلَ عَلَيْه»، هذا الذي يستثقل من أن تقال له كلمة حق، أو يُذكّر بعدل، إذا كان الكلام يؤذيه، فالعمل بهذا العدل يؤذيه أكثر، فمن الطبيعي أن الذي لا يتحمل أن يسمع كلمة، لا يستطيع أن يعمل بها، فإذا هو ضجر من الكلمة فكيف سينفذها؟ فيجب أن لا يستثقل المسؤول أن يستمع إلى الملاحظات، أو الاعتراضات، أو الشكاوى.

«فلا تكفّوا عن مقالة بحق»، يشجعهم علي عَلَيْهِ السَّلَامُ على قول الحق، ويحثهم على قول أي شيء يرونه من حقهم.

«أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ»، مع قطع النظر عن الإرادة الإلهية والرعاية الإلهية بالعصمة، ولكن أنا في نفسي لست بفوق الخطأ، فقد أقع في الخطأ، صحيح أن علي بن أبي طالب ليس في نفسه، ولكن لعصمته لا يقع في الخطأ، لكن المسؤولين الآخرين يقعون في الخطأ مهما كانوا.

«ولا آمن ذلك من فعلي»، قد يكون في فعلي تعسف لو خُليت أنا وطبعي بهذا الشكل.

«إلاّ أن يكفي الله به من نفسي ما هو أملك به مني»، لكن الله (سبحانه وتعالى) هو أقدر مني وأكثر ملكية لنفسي مني، فهو يتحكم بي.

«فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه»، الله هدانا وأصلح أمورنا.. اليوم في شهر رمضان نحن صائمون، ولكن كثيرًا من الناس مخطئون، فالله هدانا، واليوم في شهر

رمضان نحن مجتمعون، نستمع إلى هذه المعارف الإسلامية المهمة، من كلام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وغيرنا الآن ليس لديه هذا التوفيق، فهذا توفيق من الله أن وفر لنا هذه الفرصة، فكل شيء طيب من الله (سبحانه وتعالى)، لطف منه، ويجب أن نعتز ونفتخر به، «فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى، وأعطانا البصيرة بعد العمى»[١٥].

أكتفي بهذا المقدار وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

١٥. نهج البلاغة ٢: ١٩٨ الخطبة ٢١٦.

المحاضرة الثالثة بتأريخ ٢٠٢٠/٤/٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم، في آناء الليل وأطراف النهار، وأسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.

كان حديثنا في الأيام الماضية، في عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشتر حين ولاه مصر، وكنا نتحدث في المقطع السادس والعشرين من هذا العهد، وهو أحكام عامة للقادة في المنظومة القيادية والإدارية، وأول هذه الأحكام كان يرتبط بفسح المجال للاعتراض والتشكي والنقد، وقلنا إن أي منظومة قيادية أو إدارية مهما كانت صغيرة أو كبيرة إذا لم تفتح هذا المجال ولم تفسح الفرصة للنقد والمراجعة والتقييم لا يمكن أن تشهد تصحيحا في المسارات، وهذه المنظومة تذهب إلى انحرافات واعوجاجات خطيرة وكبيرة، وتحدثنا في هذا الجانب عن عدة إضاءات، الإضاءة الأولى، عن أهمية فسح المجال للاعتراض والتشكي والنقد في المنظومة الإدارية والقيادية، وفي الإضاءة الثانية تحدثنا عن البرنامج الذي يقدمه أمير المؤمنين في عملية النقد، حيث يستعرض ست خطوات في هذا الشأن، وانتهينا إلى الإضاءة الثالثة.

الإضاءة الثالثة: مكانة تحمّل النقد والاعتراض من قبل المسؤولين

ينبغي أن يكون المسؤول والمتصدي، أيّا كان مستوى مسؤوليته، قادرًا على تحمل النقد والاعتراض، وبالطبع فإن تحمل المسؤول الاعتراض أمر صعب، سواء كان على مستوى مسؤولية بيت فيه شخصان أو ثلاثة، فتقف الزوجة وتعترض على زوجها، ويقف الولد والبنت ويعترضان على أبيهما، في خطوة أو في موقف، أو بالنسبة لمدير

مصنع، أو مسؤول في مؤسسة تجارية، أو في مشروع، أو في منظمة مجتمع مدني، أو في تيار سياسي، وصولًا لانتقاد رئيس الدولة، أو الوزير، أو وكيل والوزير، أو المدير العام، أو أي مسؤول كبير في مؤسسات الدولة المدنية أو العسكرية، وما إلى ذلك، فالنقد أمر يصعب تقبله من قبل المسؤول بشكل طبيعي، ولكن التحلي بأخلاقية التقبل للنقد والاعتراض يترك أثرًا بالغًا وعظيمًا وكبيرًا في نجاح المنظومة الإدارية والقيادية.

وكما قلنا سابقًا، من الصعب أن نجد أي منظومة إدارية أو قيادية ـ مهما كانت ـ ليس فيها ثغرات وإشكالات وكبوات، فما لم نفسح المجال للنقد الموضوعي، وللمراجعة الحقيقية البنّاءة، فمن الصعوبة أن نضمن النجاح والتألق، فإعطاء الفرصة للاعتراض والانتقاد هو مفتاح أساسي من مفاتيح النجاح في المنظومة الإدارية والقيادية، ومن دون فسح المجال للاعتراض والشكوى والنقد وما إلى ذلك، تصاب المؤسسة بحالة من الانحراف والتراجع والانحدار الخطير، حين لا يجرؤ أحد على أن يقول هذا خطأ وهذا صحيح، فإذن يجب أن يبقى المجال مفتوحًا للنقد والاعتراض والشكوى بشكل مستمر.

يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ثم احتمل الخرق منهم)، بعد إرساء قاعدة فسح المجال أمام الاعتراض والنقد، ينتقل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بيان أن هناك من الناقدين من هو أخرق، ينقد بشكل سلبي، ويستخدم عبارات كاسرة، وينتقد بطريقة ساخرة، وهذا أمر مزعج جدًا للمسؤول في تلك المنظومة أن يتحمل الاعتراض والانتقاد القاسي والجارح، وهنا يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: عليك أيها المسؤول أن تتحمل مثل هذه الانتقادات، تحمّل من يتعامل بغلظة وشدة.

(والعيّ)، العيّ هو عدم القدرة على البيان بشكل سليم، فهناك من يعاني مشكلة في النطق، ولا يستطيع أن يتكلم بشكل صحيح، ويحتاج إلى وقت طويل حتى تفهم ماذا يريد، لأنه يقف عند كل كلمة لكي يتلفظها، فعليك ـ أيها المسؤول ـ أن تصبر عليه وتتحمله، ولا تقل له: اذهب واكتب ما تريد في ورقة وقدمها لي، بل عليك أن تتحمله وتأخذ معه وتعطي في الكلام حتى تعلم ما يقول.

وأحيانًا ليست المشكلة في النطق، بل في القدرة على التعبير، فقد يتكلم أحدهم عشر دقائق، ولكن لا تعرف ماذا يريد، إذ لا يستطيع أن يجمع جملتين مفيدتين في كلامه، وتصرف معه وقتًا، وهو يتكلم ويتكلم، من غير أن تعرف ماذا يريد بالضبط، وما هو الأمر الذي يطلبه، إذ لا يستطيع أن يبين مطلبه بشكل صحيح، وهذا أمر يستفز

المسؤول أيضًا، إذ تسمع شخصًا، وتعطيه من وقتك الثمين، ويأخذ منك ربع ساعة، ثم لا تستطيع أن تفهم ماذا يريد أن يقول، وهنا يطلب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من المسؤول أن يصبر عليهم ويتحمل الخرق منهم والعيّ.

(ونحِّ عنهم)، أبعد عنهم.

(الضيق)، لا تتعامل معهم بغضب حينما تجد أن في تعبيرهم خطأ، أو تجدهم غير قادرين على التعبير الصحيح وإيصال المعاني بشكل سليم، وتعامل معهم بيسر، وابتسامة، وبشاشة، وساعدهم، وقم باحتوائهم، حتى تعرف ماذا يريدون، فلعل هذا الشخص الأخرق الذي يتحدث حديثًا كاسرًا جدًا وسيئًا، لديه معنى صحيح، ومنطق صحيح، ولكنه يعبّر عنه بطريقة خاطئة، فخذ أنت المعنى الصحيح واستفد منه في تطوير منظومتك القيادية.

(والأنَف)، الأنَف من الأنَفَة، والأنفة: التعالي، لا تتعامل مع الناس باستعلاء، باستخفاف، بنظرة متعالية، بابتسامة صفراء، بكلام فيه استصغار وكسر لهم، فيفقد المشتكي أو المعترض الرغبة في الكلام والاعتراض والبيان، لأنّ المسؤول في حصانة معنوية أمام الاخرين دائمًا؛ فهذا آمر فوج، وهذا آمر سرية، وهذا معالي الأمين العام، ومعالي الوزير، وفخامة الرئيس، إلى آخر هذه التعبيرات، فالمسؤول يتمتع بحصانة معنوية، ويأتي الآخر ليتكلم وهو مضطرب، ولديه قلق كيف سيتكلم أمام المسؤول، فإذا أعرض عنه المسؤول، أو نظر إليه نظرة غاضبة، أو نظر بوجهه شزرًا، أو بابتسامة صفراء، أو قال نكتة لتسفيه وتسخيف كلامه، فسوف تضيع القضية كلها.

إنّ مسألة فسح المجال للاعتراض والشكوى ليست إسقاط واجب؛ عندما أجلس وأجمع الناس وأطلب منهم الكلام، ولكن لا يجرؤ أحدهم على قول كلمة، وإنما جمعتهم من أجل أخذ لقطة تلفزيونية يبثها الإعلام ليوصل رسالة للناس أني أستمع، كلا، (ما هكذا تورد يا سعد الإبل)، بل يجب خلق البيئة الآمنة والهادئة والسليمة ليتحدث المعترض من دون أن يخشى المسؤول، كما شرحنا ذلك سابقا.

(يبسط الله عليك بذلك)، إذا فعلت هذا؛ تحمّلت الاعتراض الغليظ والخشن من الآخرين، وتحمّلت سوء بيانهم وعدم قدرتهم على التعبير، ولم تغضب ولم تتعامل باستعلاء.

(أكناف رحمته)، ينزل الله سبحانه رحمته على هذه المنظومة القيادية التي يُحترم فيها الضعيف، ويُسمع فيها للشاكي والمعترض بالنحو الأفضل.

(ويوجب لك ثواب طاعته)، الله (سبحانه وتعالى) يؤجر هذا الإنسان المتصدي القيادي، على تحمله وصبره أمام هذه المنغصات.

ماذا يريد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يقول في هذه الإضاءة؟.

يريد أن يقول: إن بعض الناس ليست عنده ثقافة استثمار حرية التعبير، فلا يحسن الاستفادة من هذه الفسحة؛ في أن يشتكي ويعترض ويقول ما يريد، فنراه يكسر ويتكلم بكلام جارح، يجافي الحقيقة، ويتفوه بكلام علنًا وبوقاحة وهو يعلم أنه غير صحيح، وبعضهم صلف، أو يجافي الإنصاف، والبعض تنجز له مائة مطلب، وعندما لا تنجز له مطلبًا واحدا فقط، تراه يصرخ: أنتم لا تهتمون بنا، ويتناسى كل ما عملناه لأجله ويبقى متمسكًا بهذا الواحد فقط، وهذا ليس إنصافًا، والبعض الآخر مبتلى بمرض التعميم، فحين يذهب إلى طبيب مثلًا ويجده لا يلتزم بشرف المهنة، كأن يكون قد أجرى له عملية لا يحتاج إليها، أو أخذ منه مالًا أكثر من الأجر المتعارف، تجده يخرج صارخًا متهمًا جميع الأطباء بالخيانة وبأنهم فاقدو الشرف والإنسانية، وأنهم كلهم يبحثون عن الأرباح فقط واستغلال المرضى، وليس لديهم من الإنسانية شيء، مع أن الواقع أن هناك ألف طبيب يعمل ليل ونهار بشكل سليم، أو تسمع أحدهم يتهم جميع المهندسين بالخيانة والتقصير في أداء عملهم، وبأنّ همّهم هو جمع المال فقط، كل ذلك لأن المهندس الذي كان يشرف على بنايته لم ينجز عمله بالشكل المطلوب، وظهر فيها بعض العيوب، مع أن المقصّر هو مهندس واحد فقط، وكذا الحال مع رجل دين وقع في خطأ، فتراه يتهم جميع المعممين بذلك الخطأ، وكذا بعض السياسيين يقعون في أخطاء، فنسمع من يقول: إن جميع السياسيين لصوص، فمشكلة التعميم، الكسر، عدم الإنصاف، الإهانة في التعبير، المبالغة، كل هذه مشكلات نجدها في مساحة واسعة من المعترضين، ولاسيما في بلادنا اليوم، إذ نجد أن السوشيال ميديا قد تحولت إلى مكب نفايات، فيه الحق والباطل، وكلام لا يقف عند حد، وهذه مشكلة كبيرة، وخطأ يجب أن يعالج.

يجب أن نرسي ثقافة التعبير عن الرأي بشكل سليم وصحيح؛ فإن كان لديك اعتراض فاعترض، ولكن لماذا تكسر؟ لماذا تهين؟ هل تقبل أن تُهان؟ فإن كنت لا تقبل ذلك لنفسك فلماذا تقبله لغيرك؟ لماذا تسيء؟ لماذا تعمم؟ لماذا تغالط؟ لماذا تبالغ؟ لماذا تتجاهل الحقيقة؟ لماذا تجانب الإنصاف؟ هذا كله غير صحيح وغير مقبول، فعبّر عن رأيك، وبيّن ملاحظاتك، ولكن بشكل مهذب، ومنطقي، ومعقول، وموضوعي، فلا ينبغي أن يوجد مثل هذا السلوك، صحيح أن البعض لا يمتلك أدب الحوار وأدب

التعبير عن الرأي، ولديه مشكلة في بيان النقد البنّاء، إما لأنّهم لا يقدرون على ذلك، أو لأنّهم على خطأ، وخطأ هؤلاء هو في طريقة تعبيرهم، فهل بسبب ذلك يسد باب فسح المجال للاعتراض والتشكي؟ يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: كلا، هذا مخطئ لأنه كسر وتعامل بطريقة فظة، ولكن لا تقابل الخطأ بخطأ مثله، لا تعالج الخطأ بخطأ آخر، ولا تقل: ما دمتم بهذا النحو، فلا ينفع معكم أن يفتح لكم مجال الاعتراض، فأغلقوا الباب ولا يفتح أحد فمه ليتكلم، ولو قيل له: لماذا أغلقت باب الاعتراض؟ لأجاب: ألم تسمعوا ما قال فلان؟!.. والرد عليه بأن يقال له: أساء هذا أو أخطأ، فلماذا تسد باب الاعتراض؟.

إن سياسة تكميم الأفواه وإغلاق باب الاعتراض والنقد أمر خاطئ، حتى لو كان فتح الباب يؤدي إلى أن تسمع أحيانًا من بعضهم كلاما فظًا، أو تواجه تعاملا غير لائق وغير مناسب، وهذا يأخذنا إلى البعض الذين يغلقون باب المعروف؛ بأن يقصد أحدهم مثلًا شخصًا من أهل الخير، ويقول له: إني محتاج إلى قرض، فهل تستطيع إقراضي؟ فيقول له: أنا في خدمتك، ولكن قل لي متى ترجع القرض؟ فيقول الرجل: بعد يومين أو ثلاثة إن شاء الله، فيقول له: كم المبلغ الذي تطلبه؟ فيقول الرجل: عشرون مليونًا، ويعطيه صاحب المعروف المبلغ، ويمضي اليومان والثلاثة والأربعة أيام، والأسبوع، والأسبوعان، ولا خبر من صاحبنا، ويضطر الدائن للذهاب إلى باب الرجل المدين ويطلب منه الوفاء بوعده وإرجاع القرض، ولكن بلا جدوى، وينطلق صاحب المعروف ليشتكي إلى هذا وذاك من أجل استرجاع دينه، ولكن لا يجد أذنًا صاغية، والكل يلومونه على إقراض ماله، وصار الدائن يركض وراء المدين، ويستمر قاطع سبيل المعروف بالتهرب، وعدم الجواب على الهاتف، وعدم فتح الباب للطارق، والاستمرار بالتخفي، وتمضي الأشهر والسنون حتى يقعد صاحب المعروف عن المطالبة بدينه، ويتخذ قرارًا قاطعًا بعدم إقراض أي شخص مهما كان الأمر، وكثير من الناس الذين يمرون بتجارب كهذه، يرفضون إقراض أحد ولو كان لديهم المليارات، كما في المثل الشعبي: «الباب الذي يأتي منه الريح سده واستريح»، وتأخذ هذه الأمثال مدياتها في المجتمع، وهكذا نرى البعض بسلوكهم هذا يمنعون الإنسان الذي لديه دوافع في تقديم الخير ومساعدة الناس في أي قضية من القضايا، من تقديم الخير والمعروف للآخرين، ولكثرة قاطعي سبيل المعروف لم يعد أحد يثق بأخيه، ولا يقتصر قطع سبيل المعروف على الإقراض والمعاملات المالية، بل يمتد إلى شتى جوانب الحياة؛ ومن أمثلة ذلك: شخص صدمته سيارة وهرب السائق وتركه في مكانه، فجاء شخص آخر ووضعه في

سيارته ونقله إلى المستشفى، وأنقذ حياته، ولكن بعد أن أفاق وقيل له هذا هو الشخص الذي أنقذ حياتك، قال: هذا هو الذي صدمني، ولم يُجدِ معه قولهم: اتق الله، إنه عابر سبيل أراد الحفاظ على حياتك، فهل هذا جزاؤه منك؟ وعندما تتكرر مثل هذه القصص وتشاع في المجتمع، فهل يجرؤ أحد حينئذ على أن يساعد شخصًا مصابًا في الشارع؟ ومئات من القضايا المشابهة، فالبعض يغلق باب المعروف، حين يستغل هذا المعروف بطريقة غير سليمة.

إذا وجدت منظومة قيادية مبنية على الحوار، على النقاش، ومن حق الجميع أن يعترض ويشتكي وينتقد؛ أن يقول: لماذا هذا كذا؟ ولماذا ذاك كذا؟ فيجب استثمار هذه الحرية، وهذه الفرصة بشكل سليم، وأن تكون الانتقادات والاعتراضات في محلها، بنقد بنّاء وسليم لكي لا يغلق باب المعروف.

يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: أيها المسؤول، حتى لو كان فتح المجال يؤدي إلى تعرضك للمهانة من البعض، أو إلى كلام غير لائق أو ضغط معين، مع ذلك يجب أن لا تغلق هذا الباب بسبب وجود أخطاء، ولا تقابل الخطأ بخطأ آخر، وحين يفسح المجال يجب أن تعترض بشكل موضوعي وصحيح.

صحيح أن البعض عنده عقدة الاعتراض، فهو مصاب بمرض مزمن هو الاعتراض، ومثال ذلك ما نراه هذه الأيام؛ فمنذ شهرين من وباء كورونا، امتلأت السوشيال ميديا بصور وأفلام الحجر الصحي لمواطني البلد الفلاني، وقد وُضعوا في فندق خمس نجوم على البحر، ثم يرونك غرفة النوم والسويت والحمام وغير ذلك، وأنواع المأكولات التي تُقدم له، وعملًا بمبدأ أقول لك وقل للآخرين، ينشر العراقيون هذه الأفلام على نطاق واسع: هكذا تحترم الحكومات شعوبها، هكذا تتعامل الحكومات مع مواطنيها، واشبع كلامًا في هذا المجال، في الترحيب والتقدير والإعجاب بالخطوة التي قامت بها الدولة الفلانية، عندما وضعت مواطنيها في الحجر الصحي في فندق خمس نجوم على البحر، وفي مقابل ذلك امتلأت السوشيال ميديا بأفلام الحجر الصحي في المستشفيات العراقية؛ حنفية الماء لا تعمل، ذاك محجور في فندق خمس نجوم، وهنا حنفية الماء لا تعمل، واغوثاه من هذه الحكومة التي لا تهتم بشعبها، فهل كل المستشفيات لا تعمل حنفياتها، أو هذه الغرفة فقط حنفيتها لا تعمل؟ وحين أقدمت الحكومة على خطوة متقدمة، فاستأجرت فندقًا لحجر مجموعة من المصابين بكورونا، وانتشر الخبر، قالوا: لقد دفعوا عن كل مواطن في الحجر مليون دينار، فانظروا إلى البذخ، انظروا إلى الإسراف، انظروا إلى اللعب، انظروا إلى السرقات، فهل ذاك الذي حُجر بفندق

خمس نجوم على البحر كان حجره مجانًا؟ أليس لكل فندق تسعيرة؟ ثم تبيّن أن استئجار هذا الفندق كله بمليون في اليوم، وليس عن كل شخص، فما هو الحل؟ لا تعرف، إن خدمتهم قالوا ما هذا الترف والإسراف، بأيّ حال نحن؟ هل نحن سويسرا؟ وإن لم تخدمهم قالوا: أنتم غير مهتمين بالشعب، انظروا ماذا فعل هذا، وماذا فعل ذاك، وهذا مثال بسيط عشناه في الأيام الماضية، فالبعض مهما فعلت له يعترض، ولا تدري ماذا يريد، فهو مصاب بمرض اسمه الاعتراض، عادته الاعتراض، أعطيته أم لم تعطه يعترض، وسواء أعطيه كثيرا أو قليلًا يعترض، وهذه أزمة كبيرة تحتاج إلى معالجة جادة، وإلاّ فأوضاعنا لا تبشر بخير ما دامت طريقة التعاطي بهذه الشكل، في أدب التعامل القيادي مع الاعتراض والتشكي.

يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ونحّ عنهم الضيق)، أولًا: لا تتعامل بقسوة، ثانيًا: (والأَنَف) لا تتعامل معهم بتعالٍ، بتكبر، والمنظومة القيادية التي تراعي ذلك وتفسح المجال للاعتراض من ناحية، ومن ناحية أخرى تتحمل بعض المنغصات، والمسؤول لا يتعالى على الآخرين، هذه المنظومة تستنزل الرحمة الإلهية، ويتحقق فيها النجاح والخير.

«التوصية الثانية: ثقافة الخدمة في المنظومة القيادية والإدارية»

ثقافة الخدمة في المنظومة القيادية والإدارية، حكم آخر من الأحكام التي يذكرها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا المقطع؛ إذ يجب على الحكومة أن تكون حكومة خادمة، فالمسؤول، القيادي، المدير، مهما كان مستواه، علوًا وانخفاضًا، ومهما اتسعت أو ضاقت مسؤوليته، يجب أن يتسم بأخلاقية الخدمة، أن يكون خادمًا.

يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئًا): عندما تريد أن تقدم خدمة أو تنجز عملًا، أيها المسؤول، أيها المدير، أيها الموظف، فقدمه بطريقة هانئة، سهلة، قدمه بطريقة تليق بالشخص الآخر، فمن أتاك يريد مساعدة، فقدّم له المساعدة بالشكل الصحيح، بحيث يخرج من عندك راضيًا، لا أن تتعبه وتؤذيه نفسيًا قبل أن تؤديها له، فحينها تكون قد أديتها له وفي الوقت نفسه أمرضت قلبه، والمثل يقول: (إذا أطعمت فأشبع)، فما دمت تريد أن تنجز العمل له، وكان أمرًا صحيحًا وطلبًا مشروعًا، فأنجزه له بشكل هانئ ولطيف، ليخرج من عندك راضيًا سعيدًا، وإذا كان الأمر غير صحيح، كما لو كان يطلب شيئًا خلاف القانون وخلاف الشرع، كأن يطلب تمييز نفسه عن الآخرين، أو طلب استثناءات في غير محلها، فالناس تطلب كل شيء، سواء من كان منهم يستحق

أو لم يكن كذلك، الصحيح وغير الصحيح، الحق وغير الحق، فإن كان الطلب غير صحيح، فلا يجوز أن تستجيب له، ولكن حتى عندما ترفضه، يجب أن ترده بأسلوب مقبول.

(وَامْنَعْ فِي إِجْمَال): بلطف، لا تقل له: ألا تستحي، ألا تخجل، أتيت تطلب قضية كهذه، قم اخرج، كلا فهذا منع بإهانة، فيجب عليك حتى حينما تمنع أن تمنع بإجمال، بلطف، برفق، بمحبة.

(وَإِعْذَار) مع الاعتذار له، قل له: آسف جدًا، هذه القضية التي تريدها لا يمكن إنجازها، وبيّن الأسباب التي تحول دون إنجازها؛ أن القانون الفلاني لا يسمح بذلك مثلًا، أو الوضع الفلاني لا يمكن أن يتحقق، والإجراء الفلاني كذا، وهذا لا يعني التمييز بينك وبين الآخرين، أعتذر لأنّ ما تريده لا يجوز أن يُفعل، حياكم الله ونعتذر، في أمان الله، فبالرغم من أنك لم تنجز له ما أراد، ورفضت له الطلب، ولكنه خرج راضيًا، حين رأى احترامًا وتقديرًا، وإن لم تنجز له ما يريد.

الإضاءات المستفادة من النص

الإضاءة الأولى: فلسفة الخدمة في الرؤية الإسلامية

من الأحكام العامة التي يذكرها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، أن المنظومة الإدارية والقيادية في الرؤية الإسلامية، تخضع لفلسفة، هي فلسفة الخدمة، فالمسؤول خادم وليس آمرًا، ومنهج الخادم أن يحرص على إنجاز العمل، وعندما يسمع كلمة خشنة يتحمل، ولا يبحث عن شيء، فالمهم أن يحقق الخدمة الصحيحة، فثقافة الخادم تختلف تمامًا عن ثقافة المتسلط والحاكم، فالشعب في المنطق الإسلامي رعية، أي من يستحق الخدمة والرعاية، والمسؤول ليس حاكمًا، بل هو راع، يهتم، ويخدم، فهما راع ورعية، أما منطق السلوك السلطوي، السلوك المتعالي، السلوك المتعجرف، الآمر الناهي، فهذه كلها تتنافى مع فلسفة الخدمة التي يتحدث عنها الإسلام في بيانه، والغريب في الثقافة الإسلامية أنه كلما كانت المسؤولية أعلى، لزم المسؤول أن يكون أكثر تواضعًا وأكثر خدمة، بينما في المدارس الأخرى يقول المسؤول للمراجع: لماذا أتيت إليّ؟ اذهب للموظف الفلاني لينجز لك عملك، فالمسؤول يجلس بعيدًا في غرفة، ويقع عبء العمل على عاتق الموظف الأدنى، بل عليه أن يخدم، وكلما كان المسؤول أكبر،

كانت الأعمال المتعلقة بالناس لا تناسبه، أما في الثقافة الإسلامية، فأكبركم مسؤولية، وأعلاكم شأنًا، أكثركم خدمة.

نقرأ هذا الدعاء العظيم للإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو دعاء مكارم الأخلاق، الذي يقول فيه: «اللهم ولا ترفعني في الناس درجة، إلاّ حططتني عند نفسي مثلها»، إلهي، أي مرتبة ترفعني بها عند الناس، في مسؤوليات، في مواقع، في مكانة اجتماعية، أي مقدار ترفعني به، أشعرني بالذل بين يديك بنفس ذلك المقدار؛ «عند نفسي مثلها»، حين ترفعني درجة أمام الناس، أنزلني في باطني درجة، وحين ترفعني أمام الناس عشر درجات، اجعلني أشعر بالذل بين يديك بعشر درجات، هذا التوازن الدقيق يجعل الإنسان يضبط مشاعره، ويكبح جماح الكبر، والفخر، والتعالي، والعنجهية، والاستعلاء، والاستكبار، فبمقدار ما يرتفع بين الناس، بنفس ذلك المقدار يشعر بالذل والتواضع بين يدي الله (سبحانه وتعالى)، هذه هي فلسفة الخدمة.

«ولا تحدث لي عزًا ظاهرًا إلاّ أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها»، العز الظاهري يجب أن يلازمه ذلٌ باطني، والرفعة الظاهرية يجب أن يلازمها خفض الجناح والترابية والتواضع الباطني، لكي يعيش الإنسان حالة التوازن الدقيق والصحيح، وعندها هو الذي يرفع الموقع، وليس الموقع هو الذي يرفعه، وشتان بين من يعطي قيمة للكرسي، ومن يأخذ قيمته من الكرسي، فمنزلته مرتبطة بجلوسه على الكرسي، ولكن عندما يُعفى من منصبه بأمر ديواني، ففي اليوم الثاني لا تجد أحدًا يلقي عليه التحية، فقيمته بهذا الكرسي، وهذا الكرسي لو دام لغيرك لما وصل إليك، أنت أيها المدير، أيها المسؤول، أيها القائد، أيها الزعيم، أيها الآمر، أنت أيًا ما تكون، لو دام هذا الكرسي لأحد لدام لمن كان قبلك، ووصوله إليك معناه أنه لا يدوم لأحد، ولن يدوم لك أيضًا، فالإنسان عندما يكون في موقع المسؤولية يجب أن يتعامل بطريقة تجعل الموقع يكبر به، ويعطي قيمة للموقع، وليس العكس.

لاحظوا ما ورد في نهج البلاغة، من كلام لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يخاطب به الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري، وهي حكمة طويلة نقتصر منها على موضع الشاهد: «يا جابر، من كثرت نعم الله عليه، كثرت حوائج الناس إليه»، الناس تحتاج إليك بقدر مسؤوليتك، فإن كنت موظفا عاديا فحاجة الناس إليك بقدر مسؤوليتك، وحين تترقى إلى درجة مدير تكون المسؤولية أكبر وتكون حاجة الناس إليك أكثر، ثم تترقى إلى درجة مدير عام، أو وزير، أو رئيس، وكلما زادت المسؤولية ازدادت معها حاجة الناس إليك، فهذا تلازم طردي بين مستوى المسؤولية ومستوى حاجة الناس.

«فمن قام لله فيها بما يجب فيها»، عندما تكون في موقع، تؤدي المهام والواجبات في حل المشكلات ضمن صلاحياتك، وكلما كبرت الصلاحية، كبرت معها مسؤوليتك في تقديم الخدمة وحل مشكلات الناس، إذا أديت الذي عليك، وصرت حلّالًا لمشكلات الناس ضمن صلاحيتك الكاملة، وأعطيت من نفسك، وفتحت هاتفك وأجبت من اتصل بك، سواء كنت تعرفه أو لا تعرفه، فهناك شخص قد قصدك واتصل بك، ومعنى ذلك أن لديه مشكلة، فانظر كيف تساعده.

«عرّضها ـ يعني جعلها عرضة ـ للدوام والبقاء»، صرت مسؤولًا، أو قائد تنظيم، أو آمر فوج، أو آمر سرية، أو مسؤولًا في مجال ما، وأردت أن تحافظ على هذه المسؤولية، فالسبيل إلى ذلك هو خدمة الناس ضمن مساحة الصلاحية التي لديك، فإذا عملت كل الذي عليك، فقد عرضتها للدوام والبقاء، وستبقى المسؤولية وتدوم.

«ومن لم يقم فيها بما يجب»، إذا كنت تريد المسؤولية لفوائد شخصية، وللتعالي على الناس؛ فالكل يقول نعم سيدي، معاليك، والكل يقفون سماطين، وترون إذا دخل وزير إلى وزارة ماذا يحدث، إذ يترك الجميع عملهم ويقفون في الممرات، وأنا لا أزور وزراء في وزاراتهم غالبًا، بل هم الذين يشرفوننا، ولكن أذكر قبل عدة سنوات، أنه حصلت مشكلة لبعض المؤمنين وطلبوا مني أن ألتقي الوزير الفلاني لحل المشكلة، فذهبت إلى هذا الوزير، وهي المرة الأول التي أدخل فيها وزارة، وعندما توجهت إلى مكتب الوزير، رأيت الموظفين قد وقفوا سماطين، فنظرت وقلت في نفسي: إن الوزير يصعد وينزل يوميًا، فهل سيقف كل هؤلاء هكذا في كل مرة؟ وكيف سيكون شعوره؟ والحق أننا نحن الذين نصنع الديكتاتور بأنفسنا، بطريقة تعاطينا، مع الأسف.

إذا كنت تريد المسؤولية للتعالي والتباهي وليس للخدمة، فلا يمكنك أن تنجز شيئًا، وستبقى تتحجج وتعتذر؛ بأن هذه لا يمكن أن تكون، وتلك لا يتسع صدري لها.. إلى غير ذلك، فما الذي سيحدث؟.

«عرّضها للزوال والفناء»[١٦]، ضيّعت المسؤولية بهذه الطريقة، فإن كنت تريد الحفاظ على المسؤولية وأن تكبر؟ فاخدم الناس، فإن لم تخدم ضاعت منك، لأنك عندما لا تخدم، تكثر الشكاوى عليك، والذي نصّبك هو الذي يعفيك، ويأتي بآخر غيرك، لأن الذي نصّبك يريد منك أن تخدم الناس دائما، وتحل مشكلاتهم، إذ يريد

١٦. نهج البلاغة ٤: الحكمة ٣٧٢

أن ينجح بك، فإذا كانت الناس كلها تشكو منك، فلن تكون عنصر نجاح له، وستصبح عبئًا على المشروع، فيأتي بغيرك.

وتجري هذه القاعدة في كل مكان؛ فكلما كانت الخدمة أكثر وأوسع وأشمل، كانت قيمة العمل وقيمة العامل المسؤول أكبر في نظر الناس، وانظروا الآن إلى موظف خدوم ومسؤول خدوم، ومسؤول كبير في الدولة يفتح هاتفه للجميع، فماذا ستكون الانطباعات عنه؟ سيرتفع ذكره بين الناس جميعًا، ويكون مثالًا يُحتذى به، وعندما يسألون كيف علا صيته وجرى ذكره على كل لسان، يقال: حاله كحال غيره، ولكن فرقه عن غيره هو أنه يخدم ويساعد ويعطي من نفسه، فيرضى عنه الله (سبحانه وتعالى)، ويرضى عنه الناس أيضًا، فرضا الله (سبحانه وتعالى) ورضا الناس لا يتحققان إلا بالخدمة، ولا يوجد في ثقافة الخدمة معنى للمنّة، فلا يقولنّ أحدكم لمواطن: ألم أعمل لك العمل الفلاني؟ ولا يمنّ عليه، فالمسؤول يرى أن من واجبه أن يخدم الناس، سواء شكره الناس أو لم يشكروه، ويقول لم أعمل سوى ما هو واجب عليّ، ولا شكر على واجب.

المسؤول الذي يؤمن بثقافة الخدمة، لا يحتاج إلى من يشكره، ولا ينتظر من أحد أن يشكره، فلا يهمه هذا الشيء، ويظهر للناس بشاشة الوجه، فالخادم يحسن التصنع للآخرين، والمسؤول يشعر بأنه خادم يؤدي واجبه من غير منّة على أحد، بل يرى أن من قصده قد قدم له هدية، حين طرق بابه ولم يذهب ليطرق باب غيره، فلا يريد منه أن يشكره، بل يقول له: أنا أشكرك، لأنك أعطيتني وسام الشرف هذا، أن أتولى خدمتك، وما أكبرها عند الله، وما أكبرها في نفس الإنسان عندما يرتقي، وما أكبرها في نظر أولئك الناس الذين يرون هذا التعامل معهم؛ من البشاشة، والإقبال، والتواضع، بلا منّة، ولا جميل، بلا طلب شيء. أنت الممتن حين تُخدم، وأنا الممنون حين أخدم، هذا هو المنهج الإسلامي.

ومن حكم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في نهج البلاغة: «لا يستقيم قضاء الحوائج إلاّ بثلاث»، إن كنت تريد قضاء الحوائج فعليك بثلاثة أمور:

أولًا: «باستصغارها لتعظم»، مهما كان العمل الذي تفعله للآخرين كبيرًا استصغره، ليكبر في نظر الناس، وعند الله (سبحانه وتعالى) أولًا وأخيرًا.

وثانيًا: «وباستكتامها لتظهر»، نحن قوم نعمل، وعملنا يتكلم لا ألسنتنا، لا أن يقول لهم: فعلنا لكم كذا، وذهبنا إلى المسؤول الفلاني من أجلكم، وقدمنا لكم

الشيء الفلاني، بل حقق له طلبته، وأنجز له عمله، وعندما تنجز له ما يريد، فالإنجاز يتحدث عن نفسه، فعندما تجد اليوم ناطحة سحاب، مثل البنك المركزي الذي يبنى هنا، وهو من تصميم المرحومة (زها حديد)، إذا تمّ إنجازه فلا يحتاج إلى أن يتحدث به أحد، إذ سيصبح آيقونة بغداد، فهو يتكلم عن نفسه؛ طريقته، هندسته، إمكاناته، فالإنجاز هو الذي يتحدث عن نفسه، ولا يحتاج إلى أن تحكي به، فأتمم العمل ودعه يحكي عن نفسه؛ «باستكتامها»، لأنه عندما تظهرها وتتحدث بها، سيقول بعضهم إنها مجرد ادّعاء، ويقول آخر: لا قيمة لها إنها للدعاية والنشر، وما إلى ذلك من كلمات الاستخفاف، فأنجز العمل وهو يعبر عن نفسه.

وثالثًا: «وبتعجيلها لتهنؤ»[١٧]، العمل الذي تريد إنجازه أنجزه بسرعة، فإن كنت تريد أن تقرضه مالًا، فجاء ووقف ببابك، فلا تقل له: تعال غدًا لأنظر في طلبك، وتستمر في التسويف يوما بعد آخر، إلى أن ترهقه وتذله قبل أن تعطيه ذلك القرض، ولكن عندما يرى منك اهتمامًا في نفس اللحظة، يكون عملك له هنيئًا سائغًا، وخير البر عاجله، فالشيء الذي تريد أن تفعله افعله بسرعة، والذي يعمل بمنطق الخدمة لا يرى إنجازه كبيرًا مهما كان كبيرًا، ومنطقه هو أن هذا واجبه، فافعله ولا تتكلم، سواء شكرك أو لم يشكرك، فإن شكرك فقل له: الحمد لله تمّت معاملتك، ولا تشكرني فهذا واجبي، ولا تبقى تتكلم بإنجازاتك: أنا فعلت لكم هذا، وأنجزت لكم ذاك، وأنا وأنا، فعندما تتكلم بما قمت به من أعمال فسوف تضيع، إذ حين تدخل بهذه المماحكات يصبح موقف الناس منك بنحو آخر، فدع العمل هو الذي يحكي عن نفسه.

صحيح أن الله سبحانه قال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾[١٨]، فأحيانا تكون هناك أشياء تحتاج إلى أن يذكّر بها ويشرحها، أو يتوقع الناس منك شيئا؛ فنحن تيار سياسي يتوقع الناس منا أشياء، ويسألون أين أنتم؟ فيجب أن نقول إننا أدينا واجبنا، وأنجزنا لكم كذا وكذا؛ هذه سلال غذائية، وهذا تعقيم وتعفير، وهكذا، وهذا الذي قمنا به واجبنا، وليس منّة على أحد، واعلموا أننا فعلنا هذا لكم، وما هو إلاّ واجبنا فعلناه، فالناس تتوقع منا شيئًا وإذا لم نتكلم به فلا تعرفه، ومعنى ذلك أننا مقصّرون، فنضطر إلى أن نشرح ونوضح بمقدار ما يوصل المعلومة لهم، أما من يعلم أنك قمت له بذلك العمل، وأنت في كل يوم تذكّره أمام الناس بأنك من عمل ذلك وتبقى تشهّده، إلى أن

١٧. نهج البلاغة ٤: ٢٢ الحكمة ١٠١.
١٨. سورة الضحى: الآية ١١.

ينزعج ويتضجر، وينطلق يشكوك إلى الناس بسبب هذا التذكير المستمر بما عملته له وبمنّك عليه، وأنك ساعدته في القضية الفلانية ثم بقيت تعيد وتُذكّر بها في كل مكان.

إنّ ثقافة الخدمة، هذه الأخلاقية، هذه الروحية، تزيل صعوبات العمل، وهناك أناس لا ينفع معهم مهما عملت لهم، ولا يحفظون صنيعك لهم، إذ تخدمه ولا يقول شكرًا، وحين تنجز له أربعة أمور يقول لك: هذا الخامس لم تنجزه وينسى تلك الأربعة! فإذا كانت ثقافتك ثقافة الخدمة، وفعلت ما فعلت لله تعالى وأديت واجبك، وأخذ هو ما أخذ، فهو يعرف تكليفه، ولا تتعب نفسك معه، أما إذا فعلتها لفلان وفلان ولم ينفع به، فلا تذهب نفسك حسرات، فالناس منهم الكريم ومنهم اللئيم، وكما قال الشاعر:

إذا أنتَ أكـرمتَ الكريمَ ملكتهُ وإنْ أنتَ أكـرمتَ اللئيمَ تمرّدا[١٩]

يأتيك أحدهم ويقول لك: أتذكر قبل خمس وعشرين سنة، حين كنت واقفًا في المكان الفلاني، في الطريق الخارجي، وكنت حائرًا، ومررت أنت بسيارتك في ذلك الطريق وأركبتني معك، فهي باقية في باله مع أنها قبل خمس وعشرين سنة، فبعض الناس لا ينسون حتى الخدمة البسيطة التي تعملها لهم، وتبقى في بالهم، فالكريم يؤثر فيه الإحسان، وهناك من ليس فقط لا يؤثر فيه الإحسان، بل يقول: فعلها رغما عنه، أرأيتم كيف أخرجتها من عينه؟ ومثل هذا الشخص لا يجدي معه أي شيء تفعله له، فهل تريد أن تظل مشغولًا بأمثال هؤلاء؟ ماذا قال هذا؟ وماذا قال ذاك؟ اعمل لله تعالى اسمه، وأرضِ ضميرك، وقم بواجبك وتقدم إلى الأمام، فمن شكر لك عملك فجزاه الله خيرا، ومَن لم يشكر لك فهو يعرف تكليفه، وشكر الله أعظم، وهذا يساعد الإنسان كثيرا، ويجعله في راحة.

يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في إحدى حكمه: «لا يزهدنّك في المعروف من لا يشكره لك»، إذا لم يشكرك شخص ولم يقدرك فلا تقل: هؤلاء أناس لا ينفع معهم معروف، فلا أخدمهم وليست لي علاقة بهم، دعهم وشأنهم، كلا، لا تزهد بالمعروف، لا تزهد بالخدمة، لا تزهد بالإنجاز، لأنّ هناك من خدمته ولم يشكرك، ولم يقدرك، ولم ينفع به.

«فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه»، الله (سبحانه وتعالى) يشكرك وهو لا يستفيد من عملك، أو يشكرك بعض الناس أحيانًا ممن لم ينتفعوا من عملك هذا، ويكون لسانًا شاكرًا لك بين الناس، فهناك من الناس الصالحين الذين يشيعون شكر

١٩. يتيمة الدهر ١: ٢٥١.

الإنسان الخدوم وإن لم يخدمه، ولكنه عندما يطّلع على أنك تخدم الناس ينبري لشكرك، فهذا هو طبعه وسجيته، قد قيّضه الله تعالى لشكر أهل المعروف، لئلا ينقطع سبيل المعروف بين الناس بسبب أولئك الذين لا يشكرون الخالق ولا المخلوق من ناكري المعروف وقاطعي سبيله، ومن المؤكد أن أكثركم يعلم أن هذا طبع بشري، فبعض الناس يحبون فاعل الخير وإن لم يصل إليهم من خيره شيء، فلا تزهد بفعل المعروف، لأنّ الذي عملت له المعروف لم يشكرك، فهناك من يقدر عملك ويشكرك، والله (سبحانه وتعالى) فوق هؤلاء يشكرك ويوفقك للمزيد من فعل المعروف.

«وقد تدرك من شكر الشاكر»، الذي لم تفعل له شيئًا.

«أكثر مما أضاع الكافر»، الذي عملت له المعروف، وليس المقصود بالكفر هنا الكفر بالله سبحانه، بمعنى الجحود به جل جلاله، بل المقصود بالكفر ترك الشكر على النعمة والخدمة والإنجاز الذي يقدم له، قال الجوهري: «والكفر أيضًا: جحود النعمة، وهو ضد الشكر»[٢٠]، وورد هذا المعنى أيضًا عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه... والثالث: كفر النعمة، قال تعالى: ولئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد»[٢١]، فلا يصدنّك عن عمل الخير عديم المروءة، هذا الذي خدمته وأعرض بوجهه وأدار ظهره ولم يقل لك شكرًا، فقد تحصل من شكر الله سبحانه أو شكر عباده، أكثر من شكر من لم يشكروك، هؤلاء الذين يتجاهلون المعروف.

«والله يحب المحسنين»[٢٢]، في إشارة إلى أن المقصود بشكر من لم تقم له بفعل، هو شكر الله (سبحانه وتعالى)، إذ يستشهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه الآية القرآنية، فحين تحسن فأنت لا تحسن لله، بل تحسن للعباد، أثّر بهم أو لم يؤثّر بهم، والله يرى ويأخذها بعينه، ويثيبك ويجزيك على ذلك.

الإضاءات الأخرى يأتي الحديث عنها لاحقا بإذن الله، أكتفي بهذا المقدار، وأشكر لكم حسن الاستماع، وأستغفر الله لي ولكم، وأسأل الله لكم قبول الأعمال، في هذا الشهر الفضيل، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

٢٠. الصحاح ٢: ٨٠٧.
٢١. مجمع البحرين ٤: ٥٣.
٢٢. نهج البلاغة ٤: ٤٦ الحكمة ٢٠٤.

المحاضرة الرابعة بتأريخ ٢٠٢٠/٤/٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين

تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم، في آناء الليل وأطراف النهار، وأسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال.

كان حديثنا في الأيام الماضية في عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشتر وتحدثنا عن التوصية الثانية، وهي ثقافة الخدمة في المنظومة القيادية والإدارية من رؤية الإسلام، وشرحنا في الإضاءة الأولى من هذه التوصية أهمية ثقافة الخدمة، الآن ننتقل إلى الإضاءة الثانية:

الإضاءة الثانية: أدب الإنجاز في ظل ثقافة الخدمة

إذا أراد المسؤول أن ينجز وظيفة ما، فعليه أن يلتزم ويتقيّد بأدب وخُلق معيّن في أداء هذه الوظيفة، والإنجاز لا يكون إلا فيما هو ممكن وما هو حق، فمثلًا يأتي شخص يراجع المسؤول ويطلب منه أمرًا ما، وهذا الأمر قانوني وواقع ضمن السياقات المتعارفة، وهو حق من حقوقه، فهو يطالب بحق من حقوقه، وعلى المسؤول أن يؤدي هذا الحق. وفي الثقافة الإسلامية ليس كافيًا أن يمتثل المسؤول لهذا الطلب ويؤدي هذا الحق، وينجز هذه المهمة، بل المهم كيف ينجز هذا الطلب، فنوعية الإنجاز وكيفية الإنجاز تلعب دورًا كبيرًا في الثقافة الإسلامية، ثقافة الخدمة للمسؤول والمتصدي، فلا يكفي أن ينجز، بل عليه أن ينجز الوظيفة بكيفية خاصة، بنوع خاص، «وأعطِ ما أعطيته هنيئًا» فلا يكفي أن تعطي، بل يجب أن تعطيه هنيئًا، أي بيسر ومحبة، وأما في الثقافة الأخرى، ثقافة التسلط، فإنّ المهام تُنجز أيضًا، ولكن بأي ثمن؟! بإجهاد المواطن

وإتعابه، وبالمماطلة والتسويف، وبصرف الوقت الطويل، وبكثير من المشقة، اذهب اليوم وتعال غدًا، أو بعد غد، أو الأسبوع القادم، أو الشهر القادم، فيُتعبون المواطن، ويذلونه، ويهينونه، ويوقفونه في الشمس لساعات طويلة، وبتعامل أخلاقي سيئ، وتراه حائرًا يبحث عمن يجيب عن أسئلته، فلا يجد آذانا مصغية، ويتساءل كم ينبغي أن أنتظر لأنتهي من هذه المعاملة؟ وكم تستغرق من الوقت لأرى هل يتسع لها ما بقي من عمري؟ وتكاد تصمّ أذنيه عبارة: (اذهب الآن وتعال في وقت آخر)، ولكن كم من الوقت تحديدًا حتى يحصل على هذه القضية؟ لا أحد يخبره. أليس هذا حقًا من حقوقه؟ لماذا يبقى وقت الإنجاز والأداء مجهولًا؟ لا أحد يجيب؟ لا يوجد تعامل لائق مع هذا الإنسان، وبعد التي واللتيا تُنجز المعاملة، ولكن بكثير من الأذى والجهد والمماطلة وتضييع الوقت، وبروح التعالي والتسلط والمنّة من المسؤول، والمهانة والإذلال للمراجع أو صاحب الحاجة، وفي يوم ما كان (عزت الدوري) نائب الرئيس المقبور يقول: إنّ الهواء الذي تستنشقونه في هذا البلد مكرمة من الرئيس القائد! الحياة كثيرعليكم، أتريدون ماء وكهرباء وخدمات وحقوق مواطنة! الحياة زائدة عليكم! وهي مكرمة من الرئيس القائد! هذه ثقافة عشناها في بلادنا في مرحلة ما، نسيناها أو تناسيناها، والإنسان سريع النسيان، لا يتذكر تلك الظروف وتلك الأوضاع. وعلى كل حال فهذا إنجاز للعمل أيضًا، ولكن بنوع مختلف.

وأما ثقافة الخدمة فهي تعني الإنجاز بشكل مختلف تمامًا، إذ يُنجز العمل، ولكن لا يُكتفى بصِرف الإنجاز، بل هناك آداب لإنجازه، بأن يتم بكيفية ونوعية مختلفة ومميزة. ويتمثل هذا المنهج بسياقات إدارية مرنة، فلا ترى ساطور القانون مشهورًا على رؤوس المواطنين، مع ضمان بقاء روح القانون وسريانه في إنجاز الأعمال وأداء الوظائف، فقد وُضع لفلسفة معينة، وهي الحفاظ على مصالح الناس، والتمسك والجمود على نصوص قانونية معينة من غير مراعاة المرونة في التطبيق قد تؤدي في بعض الأحيان إلى الإضرار بمصالح الناس، لأنها قد سُنّت مثلًا قبل عقود من الزمن، وفي ظروف وملابسات اقتضتها المصلحة العامة في حينها، وهي تتعارض مع مصالح الناس وظروفهم في الوقت الحاضر، ونجد تفشي الرشوة وتعمّد عرقلة معاملات المراجعين من أجل إجبارهم على إعطاء الرشوة، فنرى من يدفع تنجز معاملته بسرعة، أو من له معارف يُهتم بإنجاز معاملته، فيشعر الآخرون بالغبن وعدم المساواة، وتنشأ حالة من الإحباط عند عموم الناس في نزاهة مؤسسات الدولة، وبالتالي من نظام الحكم برمته. وهكذا تنشأ حالة من الازدواجية في تطبيق القانون، فالذي يدفع الرشوة ومن له معارف

يُكيّف له القانون بنحو يساعد على إنجاز معاملته، ومن ليس كذلك تُعرقل معاملته بنفس النص القانوني، أو لا يرشدونه إلى المخرج من هذا النص القانوني بالاستفادة من فقرات قانونية أخرى مثلًا، وقد اعتدنا كثيرًا أن نرى قضية واحدة يأتي مراجع فتُنجز له معاملته، ويأتي آخر ويرجع خائبًا وهو يتذمر ويشكو هذا التمييز في التعامل، اللهم إلا أن يدفع الرشوة، وحينئذ سيبحثون له عن مئة مخرج قانوني ويحلّون له مشكلته، ولكن من لا يدفع، ولم يكن له سند قوي لا يحصل على هذا الامتياز ولا على هذه الرعاية، ويُرفض طلبه بالاستناد إلى نفس القانون.

إذن يجب أن تكون هناك سياقات إدارية مرنة تأخذ بنظر الاعتبار فلسفة القانون، الجوهر والمضمون والسبب الذي من أجله وُضع هذا القانون، ويتعامل مع الحالات المختلفة بواقعية ومرونة أيضًا، وهذه هي التكاملية بالخدمة، فلا يحيل موظف المراجع إلى موظف آخر، وهكذا يعيش المواطن في دوامة يستنزف وقته وجهده ومن غير نتيجة في بعض الأحيان، أو أن يحصل عليها بشق الأنفس، فيتنقل من طابق إلى طابق ليس بالمصعد الكهربائي إن وجد بسبب انقطاع التيار الكهربائي، بل باستعمال السلّم، في بنايات قديمة مستهلكة، فيصعد إلى الطابق الرابع مثلًا بشق الأنفس، وخاصة للمرضى وكبار السن، ثم يقال له ارجع إلى الطابق الثاني لأنّ معاملتك يجب أن ينظر فيها فلان، ثم يقال لقد أرسلوك إلى هنا خطأ فمعاملتك يجب أن يمضي عليها فلان في الطابق السابع، وترى هذا المسكين يدور بين غرف الدائرة، أو صاعدًا نازلًا بين طبقاتها، في روتين مميت لا تجد له حلًا في بلداننا المتخلفة، فالمواطن من أجل أن يحل مشكلته لا يجد التوجيه والإرشاد الصحيح، وكل موظف يتنصل من إنجاز معاملته ويدفعه إلى موظف آخر، لعله يستلم الإشارة ويدرك أنه لا يستطيع الخروج من هذه الدوامة من غير أن يدفع الرشوة.

وأما في منهج ثقافة الخدمة فهناك تكاملية، فالمواطن ليس هو الذي يشقى في سبيل إنجاز معاملاته، بل الموظف والمسؤول هو الذي يتحمل أعباء أدائها، ويحل مشكلة المواطن وكيف يعالج هذه الأمور بطريقته المناسبة.

وفي ثقافة الخدمة أيضًا السرعة بالإنجاز، فلا يُكتفى بإنجاز العمل فقط، وإنما التفنن في سرعة الإنجاز، وخروج الإنسان صاحب الطلب من الدائرة المعنية راضيا وسعيدا، فرح بإنجاز عمله بأسرع وقت وتسهيل أموره بالشكل المناسب.

وفي ثقافة منهج الخدمة أيضًا السلوك في التعامل مع صاحب الطلب من قبل المسؤول أو المتصدي التعامل الإنساني، التعامل اللائق، في بشاشة الوجه، وفي إعطائه وقتًا ليشرح ويوضح ويبيّن ويجامل ويداري، ليخرج هذا المراجع كريمًا، يشعر بإنسانيته، يشعر بموقعه ومكانته، يشعر باحترام المسؤولين له، وهذه في الحقيقة تمثل منهجًا يرتبط بالمنهج الإسلامي في ثقافة الخدمة.

وأما وقوف الناس في طوابير في العراء، في الحر وفي البرد تحت السماء، مرة تحت المطر، ومرة تحت أشعة الشمس المحرقة، ويتعامل مع موظف جالس خلف نافذة صغيرة، كأنه ملك لا يمكن الولوج إلى مقصورته الملكية، في مكان مُبرَّد في الصيف، ودافئ في الشتاء، والناس يعانون الأمرّين خارج النافذة، وهذا المنهج لا ينسجم ولا يتسق مع ثقافة الخدمة التي تحدّث عنها الإسلام.

ومن سمات منهج التسلط عدم الوضوح في المدد الزمنية المطلوبة لإنجاز العمل، فعندما يسأل المواطن عن المدة التي تستغرقها للحصول على جواز سفر أو جنسية أو إجازة سياقة ونحو ذلك، يقال له: غير معلوم، هذه قصة تطول، أنت وحظك. في حين يجب أن يكون كل شيء خاضعا لتوقيتات واضحة، وينبغي أن يعرف صاحب الطلب الفترة الزمنية للحصول على مبتغاه ومطلبه. هذه هي الإضاءة الثانية في أدب الإنجاز فيما هو ممكن التحقق وما هو حق.

الإضاءة الثالثة: أدب الرفض وعدم الإنجاز لما هو ليس بحق وما هو غير ممكن

يطلب شخص أحيانًا أمرًا ليس بحق، خلافًا للقانون، خلافًا للشرع، ويريد استثناء لا يستحقه، فهنا يجب أن يكون الرفض قاطعًا، ويُعتذر له بأنّ طلبه هذا خلاف للقانون، خلاف للشرع، خلاف للحق، ولا نستطيع إنجازه. إذن حتى هذا الرفض يجب أن يكون خاضعًا لأخلاقية ولفلسفة الخدمة، ونحن نحتاج أن نتعلم نوع الرفض، وكيف نرفض، بأي سياق وبأي شكل نرفض هذا الطلب غير المحق، فهنا يجب أن يكون الرفض بالحُسنى، يجب أن يكون الرفض بعيدا عن الغلظة، كأن يقال له في الردّ: ألا تستحي! ألا تخجل تطلب هكذا طلب! هل على رأسك ريشة[٢٣]، ويجب أن لا يردّ بجواب يكسره، فلا تكن فظًا أيها المسؤول حتى مع من يطلب مطالب غير واقعية أو غير

٢٣. مثل يضرب لمن كان متميزًا، كأن يكون ملكًا أو قائدًا، حيث يضع ريشة على خوذته ليعرف أنه قائد مثلاً.

منصفة أو غير حقة، وحتى هذا يجب أن يكون التعامل معه بطريقة مهذبة، إذ التعامل غير اللائق، والتعامل الفظّ، والعبارات النابية، لا تنسجم مع فلسفة الخدمة بحسب النظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، الإساءة للشخص الذي يطلب مطالب غير حقة، وغير مقبولة، يقال له: مطلبك غير صحيح، وللمسؤول أن يرفضه لكن بدون إساءة، وبدون مهانة، وبدون إذلال، وبدون صوت مرتفع، وبدون نرفزة، وبدون كلمات نابية، حتى الرفض يجب أن يتم بالحسنى وبشكل سليم.

(وامنع في إجمال وإعذار) يجب أن يكون الرفض بإجمال، والإجمال هو الرفق واللطف، فلك أيها المسؤول أن ترفض هذا الطلب، ولكن لا بغلظة وفضاضة، والإعذار أي الاعتذار، أولًا اعتذر وقل له: إني اعتذر جدًا، لا أستطيع أن أنجز لك هذا الطلب؛ لأنه خلاف القانون، وثانيًا اشرح له لماذا لا يمكن تلبية هذا الطلب، وذلك لأنّ المادة الفلانية تنص على كذا، أو أنّ الإجراء الفلاني يقول كذا، أنت تطلب استثناء، وهذا الاستثناء فقط في الموارد الفلانية، وأنت لست منها. إذن الإعذار أولًا وهو الاعتذار لعدم القدرة على إنجاز المهمة، وثانيًا شرح الأسباب وتوضيح المبررات لرفض هذا الطلب، لكي لا يشعر صاحب الطلب المرفوض بالتمييز، لا يشعر بالتبعيض، لماذا لبيتم لفلان طلبه ولم تفعلوا ذلك لي؟ فيقال له: لأنه مشمول بالمادة الفلانية، وأنت غير مشمول بها، ولدينا مثل عربي على هذه الطريقة يقول: (حشّمه وخذ عباءته)، فعليك أن تحترم الإنسان وتقدره وتوقره وتعتذر له وتبين له الملاحظات وتقول له: لا أستطيع أن أفعل ذلك لك، ويخرج وهو راض.

هذه هي التوصية الثانية من توصيات أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا المقطع الشريف.

«التوصية الثالثة: مباشرة القائد شخصيًا لبعض الأمور»

تنص التوصية الثالثة على أنّ القائد المتصدي، المدير، المسؤول، عليه أن يباشر بنفسه بعض المهام وبعض القضايا. لاحظوا قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها)، نظرًا لكثرة الأعمال الملقاة على كاهل الحاكم، يستعين عادة بمجموعة من أهل الاختصاص والكفاءة والتجربة، ويسند إليهم أكثر تلك المهام؛ ليبقى فارغ البال للمسائل الأكثر أهمية والأكثر خطورة، ويتولى بنفسه مباشرتها.

والمباشرة من البَشَرَة، فعندما يزاول الإنسان شيئًا بحواسه فهو يلاقيها ببشرته، فيقال إنّه باشرها، فتكون مزاولته لها بالمباشرة، أي بشكل مباشر، وليس بالوسائط، وليس عبر المستويات الدنيا. أي أنك أيها المسؤول يجب أن تنجز بعض الأمور بنفسك، ليس كلها، بل بعضها، حسب درجة حساسيتها وخطورتها. وقد ذكر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا أمرين من هذه الأمور:

الأمر الأول: (منها إجابة عمّالك بما يعيى عنه كتّابك)، جواب كتب ورسائل الولاة من مختلف الأمصار التي لا يستطيع الوزراء الموكّلون الإجابة عنها، ويشمل جميع المشاكل والعقبات التي يتعرض لها الولاة في الأقاليم ولا يجدون لها حلولًا، ثم تُعرض على الوزراء المختصين ولا يجدون لها حلولًا أيضًا، فتُعرض على الحاكم الأعلى ليبتّ فيها، ولا ينبغي أن تبقى مثل هذه المسائل معلّقة بلا حلول.

فالعمال ـ أي زعماء الأقاليم ـ هم أدوات الحاكم، وكذا المستويات الأدنى هم أدوات مسؤولهم الأعلى، فرئيس الوزراء مسؤول عن عمل الوزراء، وكل وزير مسؤول عن المدراء العامين في وزارته، والمدير العام مسؤول بشكل مباشر عن مدراء الأقسام في وزارته، وهكذا كل مدير قسم مسؤول عن مدراء الشعب في دائرته، وكل مدير شعبة مسؤول عن الموظفين والعمال في شعبته، وهم أدواته وأذرعه في العمل، فإن كان لديهم سؤال أو مطلب يرفعونه إلى مسؤولهم، وهؤلاء المسؤولون أمناء على من هم تحت إشرافهم، وهو الذي يجيب عن هذه الأسئلة ويستجيب لهذه المطالب، وهو المسؤول عن تنفيذ البرامج المقررة من قبل كل وزارة، ويشرف على الأعمال ويتابع التفاصيل، فإن لم يكن لديه جواب أو حصلت له مشكلة وحلها خارج عن حدود صلاحياته أو لا يجد لها حلًا ولا يعرف الموقف الصحيح منها، فهنا يرجع إلى المسؤول الأعلى منه، وهكذا تصعد القضية إلى سلسلة المراتب العليا إذا لم يكن لها حلّ، إلى أن تصل النوبة إلى الحاكم الأعلى فيبتّ فيها، ولا يجوز أن يترك مثل هذه القضايا المعقدة والحالات الجديدة إلى من هو دونه، فتنشأ حالة من الفوضى والارتباك في إدارة الدولة، وهذا ما يليق به كحاكم أعلى للدولة، وأما الدخول في كل التفاصيل ومباشرتها فهو يؤدي إلى ضياع المنظومة القيادية، ضياع المهام الرئيسية للدولة، وضياع الأهداف، وحدوث حالة التسيب والفوضى وتفكك مؤسسات الدولة. فالأمور التي لا يستطيع الأمناء أن يجيبوا عنها مما يسأله الأذرع والعمال، تقع مسؤولية الإجابة عنها على القائد والمسؤول والمتصدي، حيث يجب عليه التدخل والإجابة والتوضح، ووضع البوصلة، وتحديد الأمور، ودفعها بالاتجاه الصحيح.

الأمر الثاني: (ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك)، أي عند ورودها عليك، فحاجات الناس عندما تصل إليك بادر إلى قضائها، ولا تؤجلها إلى غد، ما دمت قادرًا على ذلك، فالشخص عندما تكون عنده قضية يحب أن تُقضى بسرعة، أو كانت عنده مشكلة يودّ أن تحلّ في حينها، فإذا الأمر بيدك أيها المسؤول فاسعَ في ذلك، وأدخل السرور على قلوب أصحابها، فإنّ إنجازها في وقتها له لذّة وحلاوة في نفوس أهلها، ولا تتركها لغد أو ما بعده من الأيام؛ لأننا لا ندري ما يخفيه القضاء والقدر لنا ولهم، وحينئذ ستكون مبادرة المسؤول في إنجاز العمل تشجيعا للآخرين على إنجاز ما بأيديهم من الأعمال، وستشجع فريقك وأدواتك وأذرعك على هذه السنّة الحسنة والطيبة، فلا ينبغي أن يسمع المواطن عند مراجعة دوائر الدولة: تعال غدًا أو بعد كذا يوم، ويجب أن تُنجز المعاملات في يومها، بل في نفس الوقت وساعته، ومعنى يوم ورودها أي عند ورودها، فإذا ما جاءت الحاجة يجب أن يكون الجواب سريعًا، فإن كانت قابلة للإنجاز فيجب أن تُقضى باحترام، وإن كانت غير قابلة للإنجاز فيجب أن تُردّ بأدب الرفض، وينبغي أن لا يُترك المواطن في حيرة من أمره، وينتظر أسبوعا أو أسبوعين أو ثلاثة من غير جدوى، ومن غير أن يعلم أن معاملته غير قابلة للإنجاز، بل يجب أن يُعتذر له من ساعته، ويُفهّم أن لا سبيل لقضاء حاجته للسبب الفلاني.

(بما تحرج به صدور أعوانك)، الأعوان: الأذرع، الموظفون، المنتسبون، الأدوات، الفريق الذي يشتغل به المسؤول. والمقصود بالإحراج هنا أنه أحيانًا لا يبادر الموظف إلى إنجاز العمل بسرعة، وأنه يتعمد تأخير إنجازها ليدرك المراجعون أهمية ومكانة هذا الموظف ومنزلته وقيمته من خلال الانتظار لساعات أو أيام وهم ينظرون إليه برهبة خشية أن يؤخر معاملاتهم مدة أطول أو يعرقل قضاءها أصلًا؛ استجلابًا للمنفعة المعنوية وإلجاءهم إلى توسيط من له وجاهة أو مسؤولية لترتفع منزلتهم الاجتماعية بين الناس، أو لعله يريد من هذا التأخير مجرد إذلال الآخرين والعياذ بالله، إرضاء لمرض في نفسه، فهو يحب أن يسمع كلمات التوسل والترجي، أو يرى نظرات الاستعطاف والاسترحام. نعم فبعض هذه الأدوات تفكر هكذا أحيانًا. وأحيانًا أخرى يكون سبب المماطلة هو للحصول على الفوائد المادية، وذلك من خلال اضطرار المواطنين إلى دفع الرشوة.

فالأعوان، الفريق، الأدوات لا يبادرون إلى إنجاز الأعمال بسرعة، أما لأبعاد معنوية ونرجسيات، أو لأبعاد مادية تتعلق بالابتزاز والرشى والفساد، وما إلى ذلك. ولذلك على المسؤول في أي مستوى قيادي أن يحرص على متابعة العمل بدقة ومحاسبة

المقصرين. وقد رأيت في بعض الدول التي زرتها مشروعًا قيد الإنجاز، كإنشاء جسر أو نفق قد وضعوا عدادًا أمام الناس لحساب الأيام المتبقية من إنجاز المشروع، فتقرأ اليوم رقم مئة وستة وعشرين، وتجده في اليوم الثاني مئة وخمسة وعشرين، وهكذا ينقص في كل يوم رقمًا. ورأيت أيضًا في دوائر في دول كثيرة عندما يدخل المواطن لإنجاز معاملة ما، يُعطى عند الباب استمارة توضح أنه إذا أردت المعاملة الفلانية فالإجراءات هي كذا، والمدة التي تستغرقها كذا يوم، ويوجد في هذه الاستمارة أيضًا حقل لتقييم إنجاز المعاملة، هل تم ضمن الوقت المحدد؟ هل أنجز العمل حسب الضوابط؟ وهذه الاستمارة تحوّل إلى المسؤول ليراقب من خلالها سير العمل في الدائرة، ليرى هل هناك خلل ما في أداء الموظفين، فيوبخ ويعاقب حتى يعالج هذا الخلل، وهذا من الصلاحيات الحضرية للمسؤول ليتأكد من انسيابية الخدمة وإنجاز معاملات المواطنين، أو مستوى الأداء عند من هو مسؤول عنهم ضمن المدد الزمنية القصيرة والسريعة دون تأخير، دون تسويف، دون مماطلة. وهذه توصية مهمة بخصوص الصلاحيات الحصرية للقائد، للمسؤول، للمدير في الهيكل الإداري للدولة.

الإضاءات المستفادة من النص

الإضاءة الأولى: ضرورة المباشرة في بعض الأمور

ضرورة التدخل المباشر للحاكم في بعض المهام، ماذا يُفهم منه؟ يُفهم منه أنّ الأساس أن لا يتدخل المسؤول الأعلى في تفاصيل عمل المسؤولين الذين هم أدنى منه. وهذا مبدأ في القيادة والإدارة، احترم الفريق الذي اخترته أيها الحاكم ووضعتهم في المراتب الإدارية دونك، وأعطيتهم الصلاحيات اللازمة لإعانتك في إدارة الدولة، فلا ينبغي لك أن تتدخل في كل جزئية من جزئيات عمله، ولا في تفاصيل كل شاردة وواردة، لأنه حينئذ لا يبقى له من الأمر شيء، ولا تبقى له حرمة، ولا أحد يراجعه، فالجميع يأتي مباشرة إلى المسؤول الأعلى، ويقولون ما الداعي إلى مراجعة المسؤول الأدنى ما دامت الأبواب مفتحة أمام المسؤول الأعلى، وهو يتولى مباشرة تمشية الأمور؟، كلا، لا ينبغي أن تسير الأمور على هذا المنوال، حتى لو كان دافع المسؤول الأعلى هو الحرص على سلامة سير العمل، بل على الحاكم احترام المنظومة القيادية، واحترام صلاحيات الفريق، ومنح الثقة لمن يضعه مسؤولًا دونه.

أيها المسؤول في أي مستوى قيادي، عندما تعطي واجبات ومهام للفريق العامل معك على إدارة شؤون ما أنت مسؤول عنه، فالأساس هو أن لا تتدخل في أعمالهم، واتركهم

يحلون ما يواجهونه من مشاكل، ليشعروا بدورهم وصلاحياتهم وقدراتهم على الخدمة وبإمكانياتهم، وحينئذ سيبدعون وينجزون ما وُكّل إليهم من عمل، ويطورون قابلياتهم. وأما أن يتدخل المسؤول الأعلى في شؤون وتفاصيل المستويات الأخرى ممن هم أدنى منه، فحينئذ لا يستطيع أن يربي فريقًا قياديًا، ولا يعطي شخصية لهذا المسؤول الأدنى، لأنّه لا يراجعه أحد، وكل شيء يرجع للمسؤول الأعلى بشكل مباشر، بل يجب وضع الخط العام لهؤلاء المدراء، ووضع سياسات ملائمة لمساحات أعمالهم، ومنحهم صلاحيات تتناسب مع مقدارها، دعهم ليذهبوا ويشتغلوا، وافسح المجال لجميع المستويات القيادية ولأصحاب المهام والواجبات على اختلافهم وتنوعهم بأن يمارسوا دورهم القيادي، ويملؤوا مواقعهم، ويأخذوا القرارات، ويتحركوا ويديروا أعمالهم. وهذا منهج إسلامي في القيادة والإدارة.

فالأساس أن يمارس الآخرون في المستويات المختلفة دورهم، والمسؤول الأعلى لا يتدخل في كل جزئية وفي كل تفصيل. نعم دور المسؤول هو الإشراف والمراقبة والمتابعة والتأكد من صحة سير العمل بالطريقة المناسبة الصحيحة دون أن يتدخل فيه، ويقيّم الأداء، هذه واجباته ولا يتدخل إلا بمقدار الضرورة. هذا هو المنهج الإسلامي في منح الصلاحيات، يخلق حافزا ودافعا لدى كل الفريق في أن يثابر ويعمل، وكل واحد مسؤول عن قضية هو صاحب القرار فيها، هو صاحب الصلاحية فيها، يذهب ويشتغل ويقرر والناس ترجع له وتحل مشاكلها من خلاله، هذا يربّي فريقا كاملا، حيث تتوزع المهام والأدوار على كل الفريق، من غير تحميل على البعض دون البعض الآخر، وفي الوقت نفسه الكل فرح، والكل يسعى بجد، والكل يشعر أنّ له قيمة وله دور في هذه المنظومة القيادية، وأنّ صلاحياته محترمة من المسؤول الأعلى، وهو لا يتدخل فيها، ولو جاء المسؤول الأعلى مراجع يريد رأيه في القضية الفلانية، فينبغي أن يقول له: دعني أسأل الشخص الفلاني فهو مسؤول عن هذا الملف، لا أستطيع أن أعطيك رأيي قبل أن أطّلع على رأيه، وهكذا يرجع الناس إليه، وهذا بالحقيقة يقوّي الفريق بشكل عام، ويرفع من مستوى الإنجاز، ويخلق دوافع وشعورا عند المسؤول في أي موقع أنه بالفعل مسؤول، وهو يمارس دوره بشكل كامل، فلآمر في سرية هو آمر على سريته ضمن سياسة مرسومة له بحدود صلاحياته، وهكذا آمر الفوج يدير كل أموره وكل شؤونه ويتخذ جميع قراراته ضمن صلاحياته الممنوحة له ضمن القانون العسكري، وحينئذ سيحدث تنافس بين السرايا العديدة داخل الفرج الواحد، ويحدث مثل هذا التنافس بين الأفواج العديدة في اللواء الواحد، وهكذا في الألوية المتعددة

ضمن الفرقة الواحدة، والفرق المتعددة ضمن قوات الجيش الواحد، وهذا التنافس يحرك الجميع نحو النجاح، وتحقيق الأهداف المطلوبة، لأنه المسؤول ولديه كامل الصلاحيات، ودور المسؤول الأعلى هو المتابعة والمراقبة، فيحاسب المقصرين والمتهاونين، ويشكر و يقدّر المتفوقين، كل حسب عمله ودوره وإنجازه.

وهذا المنهج من شأنه أن يفجّر الطاقات، ويعمّق الشعور بالثقة عند الفريق، ويوسّع من الصلاحيات، ويخلق الدوافع الحقيقية، ويطور الإنجاز ويرفعه بشكل كبير.

ولكن ـ مع الأسف ـ في تجاربنا وفي بلادنا لا تسير الأمور بهذا الشكل، فعندما تدخل وزارة من الوزارات تجد فيها آلاف الموظفين، وعدد قليل منهم منهمك في العمل، قد أُنيطت بكل واحد منهم عشرون مسؤولية، فهو مسؤول ورئيس لكذا لجنة، وهو مسؤول عن كذا موضوع، وهو يتابع كذا قضية، وعندما تسأل لماذا قد ألقي العمل على هذه القلة القليلة فهم يجهدون ولا يفرغون ساعة لمتابعة شؤونهم الشخصية، في حين أن الآخرين ـ وهم العدد الأكبر ـ جالسون يتفرجون ويقومون بأعمال بسيطة، وفي نفس الوقت ينتقدون وغير راضين بسير العمل بهذه الطريقة؛ لأنهم يرون أنفسهم مهمشين، وليس لهم دور، وهم على أتم الاستعداد لممارسة وتنفيذ ما يناط بهم من أعمال؟ وهذا المنهج منهج خاطئ، فهؤلاء إن كانوا غير نافعين، فلماذا أتيت بهم ووضعتهم في هذا المكان؟، وإن كانوا نافعين فلماذا لا تعطيهم الصلاحيات؟ ألا تنظر أيها الحاكم إلى ما حولك فتتعلم منه، فمثلًا هذا الكرسي الذي أنت جالس عليه يوجد فيه أربعة قوائم يتوزع عليه ثقلكم، وسوف لا يترك أثرًا على الفراش الذي يوجد عليه هذا الكرسي، وأما إذا كان هذا الكرسي مستندًا إلى قائم واحد فإنه سوف يترك أثرًا في الفراش الذي يوجد عليه، وهكذا الأمر لو احتكرت جميع الصلاحيات ولم توزعها بين أعضاء فريقك بالشكل المناسب، وعلى كل المتصدين، وعلى كل العاملين، وكل من يأخذ مساحته، فإنه سوف يقل الثقل عن كاهل أولئك النفر الذين حُصرت بهم جميع الصلاحيات، ويتحسن الأداء، ويشعر الكل بالرضا، و يشعر بأنه جزء أساسي في العمل، والكل يسعى بجد، والكل يتعب، والكل فرح، ويتكامل الفريق بعضه مع بعض. وهذا هو المنهج الإسلامي الصحيح، وحينئذ سيزول التذمر والانتقاد ويشارك الجميع بعملية البناء والإدارة، ويمنح الفرصة الكافية لتنمية طاقاته وبلورة إمكانياته وتفجير طاقاته، وستنتهي كل المشاكل والتبعات الجانبية التي يسببها المنهج الخاطئ في الإدارة، وستوجه الطاقات بشكل إيجابي لا بشكل سلبي، وسينتهي الشعور بالإهمال والتهميش وما يتبعه من الحقد ووضع العراقيل أمام الآخرين للثأر لنفسه، ويُقضى على هذه السلبية

في المنظومة القيادية، وفي المساحة التي هو فيها، ولن يشعر بالظلم أو بالمهانة لتجاوزه وتجاهله وعدم الاهتمام به، وهكذا ستكون المشكلة مضاعفة، وستخلق حساسيات، و تعطل العمل. . إلى غير ذلك.

هذه هي الإضاءه الأولى، وهي ضرورة المباشرة لبعض الصلاحيات، واعتبار المنهج الأساسي والصحيح هو توزيع الصلاحيات وإعطاء كل منظومة قيادية صلاحيات كافية ووافية لتقوم بها.

الإضاءة الثانية: التدخل المباشر عند الضرورة

التدخل المباشر من قبل الحاكم أو المسؤول الأعلى عند الضرورة، وعند الاقتضاء، ودون التوسع في ذلك، مع احترام صلاحيات المسؤولين الآخرين. لكن متى يحصل التدخل؟ عند الضرورة، متى تحدث هذه الضرورة؟ تحصل الضرورة في حالتين:

الحالة الأولى: عندما تكون هناك حاجة لقرارات جريئة، عندما يتملص المسؤولون من اتخاذ القرار الجريء ويلقي كل واحد منهم عبء ذلك على الآخر، خوفًا من تبعات ونتائج ذلك القرار، فهنا المسؤول عليه أن يتدخل ويتخذ ذلك القرار الجريء، ويدفع المؤسسة أو المنظومة القيادية نحو أهدافها، ولا يدع العمل والمشروع معطلًا، فيتدخل عندما يتطلب العمل خطوات نوعية لا يجرؤ عليها الآخرون.

ويكون ذلك عندما يحدث موقف جديد لا يعلم المسؤولون الآخرون ماذا يفعلون، ففي مثل هذا الظرف الطارئ يزداد القلق والحذر من اتخاذ قرار خارج عن نطاق الروتين الإداري المتعارف، فالمسؤول الأدنى ليست لديه الرؤية الواضحة ولا الجرأة الكافية لاتخاذ القرار، هنا يجب أن يأتي المسؤول الأعلى ويتخذ القرار المناسب، لتمضي في سيرها تلك المنظومة القيادية نحو أهدافها.

الحالة الثانية: التأكد من سرعة الإنجاز؛ لإحراز عدم تعطيل مصالح الناس، والحيلولة دون سريان الفساد المالي والإداري في المنظومة القيادية، وكذا لئلا تحدث نرجسيات ويتعطل العمل ويكون متعارضًا ومتقاطعًا مع أهداف العمل، فلا يسمح للمستويات القيادية الأدنى بالابتزاز وممارسة الفساد المالي وغيره بحق من لديه مشكلة أو مطلب أو جاء لحل قضية من القضايا، فهناك دائمًا في الدهاليز المظلمة الإجراءات البيروقراطية الملتوية، وهذه الخطوات الكثيرة تعطي فرصة للفساد، بخلاف ما لو كانت المسألة واضحة وسريعة وبيّنة وتحت الأضواء، إذ تقل فيها فرص الفساد، فكلما

تعقدت طرق الإنجاز وذهبت إلى الدهاليز المظلمة كثرت فرص الفساد، وكلما تيسرت طرق الإنجاز قلّت فرص الفساد. وهذه قاعدة عامة، إذا أردت أن تقضي على الفساد فيجب أن تخلق وتوجد سياقا شفافا وواضحا وسريعا للإنجاز وحل المشكلة. هذا هو المنهج الإسلامي الذي يتحدث عنه أمير المؤمنين(صلوات لله وسلامه عليه).

«التوصية الرابعة : إدارة الوقت وأهميته في النجاح القيادي»

(وأمض لكل يوم عمله، فإنّ لكل يوم ما فيه)

من مجمل توصيات أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ تتمثل بإدارة الوقت، يا مسؤول الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، منظومة قيادية ليس فيها ما تعارف عليه بـ «Time tables»، ليس لديها جداول زمنية، ليس لديها أسقف ومحددات زمنية لتحقيق الأهداف، و لا تراعي مسألة الوقت في الإنجاز والأداء تضيع، ولا تقدر أن تحدد أهدافها، وتنهار وترتبك سريعًا. انظروا ماذا يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وامض لكل يوم عمله)، لا تدخل في يومك عمل يوم آخر فيتعبك ويكدرك، فكل يوم عندك مهام محددة لذلك اليوم عليك أن تنجزها، وعدم تأجيلها إلى اليوم التالي.

(فإنّ لكل يوم ما فيه) من العمل. وفي رواية دعائم الإسلام زيادة: «وأعط لكل ساعة قسطها»[٢٤].

لكل يوم واجباته ضمن الأسقف الزمنية التي وضعتها أيها المسؤول لتحقيق أهدافك، فلا تؤجل عمل اليوم إلى يوم آخر، وإن كان يوم غد، لأنه إذا حُوّل عمل اليوم إلى الغد، فإنّ الغد له مهام أخرى يجب إنجازها، وستتراكم مع مرور الأيام الأعمال المؤجلة من الأيام السابقة، مما يستدعي تأخير إنجاز وأداء الأعمال، وحينئذ يستشعر المسؤول ثقل أعباء التأخير، ويبدأ يتعب نفسيًا، ويتباطأ الأداء، وهكذا تأخذ العملية يومًا بعد آخر أبعادًا أكثر تعقيدًا.

الإضاءات المستفادة من النص

الإضاءة الأولى: أهمية إدارة الوقت

أهمية إدارة الوقت في أي منظومة قيادية أو إدارية لأي مهمة من المهام التي أُسست لها وأنشئت من أجلها، يجب أن يكون هناك توقيتات واضحة لتحقيق الأهداف،

٢٤. دعائم الإسلام ١ : ٣٦٧.

والمنظومة القيادية والإدارية الناجحة هي التي تضع أهدافا واضحة ضمن أسقف زمنية محددة لكل خطوة، فلكل مشروع ولكل ملف يجب أن يكون هناك محددات زمنية واضحة، إذ بدون أسقف زمنية تنشأ حالة من التباطؤ والتفكك والترهل، فيضيع العمل، وتفقد المؤسسة رونقها.

وإذا أردتم تحقيق أفضل النتائج بأقل الكلف في الوقت المحدد، فهذا هو الذي يمكن أن يتمثل بهذه التوصية التي يتحدث فيها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ. هذه الأركان الثلاثة ـ أفضل النتائج، أقل الكلف، الوقت المحدد ـ يجب أن تكون حاضرة دائمًا في نجاح المنظومة القيادية.

ويتطلب إدارة الوقت بشكل صحيح الأمور التالية:

أولًا: فهرسة واجبات ومهام المنظومة القيادية، فمثلًا يفهرس الفوج العسكري واجباته بنقاط محددة، واحد، اثنان، ثلاثة... عشرة...، وكذا تفهرس منظمة المجتمع المدني واجباتها، ويفهرس التيار السياسي أهدافه وواجباته، وهكذا تُفهرس كل المهام والواجبات في المنظومة القيادية.

ثانيًا: تصنيف هذه الأعمال والخطوات والواجبات بعد الفهرسة حسب الأولوية، فإن كانت الأولوية لرقم واحد تضعها أولا، وإن كانت الأولوية الثانية للرقم الثاني تضعها ثانيا، وتعدّل ترتيب الأهداف، فلا تضع الهدف الأقل أهمية فوق، في المرتبة الأولى، وتضع الهدف الأهم تحت، في المرتبة الدنيا، بل يجب وضع الأهداف ضمن أولويات واضحة ومحددة.

ثالثًا: ضع أمام كل مهمة من المهام ما تحتاج إليه من الوقت، تضع أمامها سقفًا زمنيًا، أي: تلزم نفسك بإنجاز هذه المهمة ضمن السقف الزمني المحدد.

رابعًا: أن تلتزم بالأسقف الزمنية التي وضعتها لنفسك بحذافيرها وبصرامة، ولا تسمح بأي تسويف ومماطلة، ولا تتساهل في هذا الموضوع.

فإذا قمت بهذه الخطوات الأربع ستجد منظومتك القيادية والإدارية منظومة ناجحة نشيطة فاعلة، تحقق الأهداف، وتسير بخطوات واثقة إلى الأمام، وتكون أيقونة نجاح. وأما إذا حدث فيها تسويف، ولم تعرف أن تشخّص الهدف المهم من الأهم، والمهم من غير المهم، ولم تضع الأسقف الزمنية الواضحة، ولم تفهرس كل المهام، ونسيت بعضها أو زهدت فيها، فحينئذ تبدأ عملية التفكك والتسيب.

الإضاءة الثانية: تقدير الأضرار الناجمة عن عدم التخطيط الزمني المحدد

انظروا ماذا يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (فإنّ لكل يوم ما فيه)، أي لكل يوم واجبات محددة، وإن لم تنجزها ستضرر المؤسسة وترتبك المنظومة القيادية، فإدارة الوقت بشكل صحيح يجعل الوقت يتحول إلى مفتاح أساسي للنجاح في تحقيق الأهداف المرجوة، إدارة الوقت بشكل صحيح يمكّن المؤسسة من تحقيق أهدافها والمضي قُدُمًا وبسرعة في تحقيق هذه الأهداف، وعدم إدارة الوقت وعدم الاهتمام به يؤدي إلى فوضى، إلى ارتباك قيادي وإداري. والمؤسسة التي لا تحترم التوقيت، فلا واجبات مقننة بوقت محدد، نراها تتخبط وترتبك وتحدث فيها فوضى عارمة، ومعها ستزيد الضغوط على سرعة الإنجاز، فهذا الذي يجب أن تنتهي معاملته اليوم ستتأخر يومًا أو يومين، وسيبدأ ينتقد، وكذا هناك أناس يجب أن تنتهي معاملاتهم في اليوم الثاني سيتأخر إنجازها، وسيبدأون ينتقدون، وهكذا في اليوم الثالث واليوم الرابع، وفجأةً نرى الناس الذين تضررت مصالحم يصطفون صفًا واحدًا، ويعترضون ويرفعون صوتهم بالشك، ويمثلون حالة ضغط هائل على تلك المنظومة القيادية أو تلك المؤسسة، وإذا كان الطرف المقابل هي الدولة بدل المؤسسة فمن الممكن حدوث تظاهرات وثورات واحتجاجات واعتراضات، وتخرج الناس عن طورها وتنفعل وتتحرك، كردّ فعل على عدم احترام التوقيتات، وعدم الاحترام لإنجاز الأهداف في أوقاتها المحددة أيضًا، فالمؤسسة أو المنظومة القيادية التي لا تدير الوقت بشكل صحيح، يؤدي ذلك إلى تجاوز الأولويات، فتتأخر الأمور المهمة، وتتقدم أمور أخرى، لارتباك البوصلة والأهداف المرجوة لهذه المؤسسة بشكل كبير، وتضيع الفرص في جو من التخبط والإرباك والضغوط والاعتراضات، وحينئذ أي فرصة نجاح لهكذا مؤسسة وهكذا منظومة قيادية؟! وستفقد الفرص الواحدة تلو الأخرى، وسيحصل أيضًا تلكؤ في إنجاز المهام، و يزيد هذا التلكؤ، وينخفض أداء العمل يومًا بعد آخر، وسيؤثر هذا الإرباك وهذه الفوضى في نفسية وروحية العاملين في هذه المنظومة، وتزيد الاعتراضات والضغوط عليها، وسينخفض الأداء بشكل طبيعي إلى حد كبير، وحتى بعض الأعمال التي كانت تُنجز بشكل جيد ستنجز في ظل هكذا فوضى بشكل مبتور ومنقوص، ويكون العمل غير دقيق، وهناك اصطلاح بالعامية يقول: «يشربتها تشربت»، فعند تراكم الأعمال وزيادة الاعتراضات والاحتجاجات يلجأ المسؤولون إلى السرعة في إنجاز الأعمال، ولو كان على حساب الدقة والنوعية، ليتخلصوا من شدة الاعتراضات والضغط الكثير، فالدقة في العمل وجودة العمل سيفقدها المواطن، فالمعمل الذي تراكمت عليه العقود، وتأجلت

أوقات الإنتاج، سيعمد كيفما كان لزيادة كمية إنتاجه على حساب النوعية، للتخلص من الضغط الهائل الحاصل نتيجة تأخر أوقات التنفيذ، لكي يُرضي هؤلاء المحتجين، وحينئذ لا تكون البضاعة بالشكل الصحيح. أو التيار السياسي الذي لا يحترم توقيتاته سيفقد تأييد الناس، وسيكون في حالة من السخط تفقده قدرته على التأثير المطلوب واللازم.

وهكذا المنظومة القيادية، فهذه المشاكل الكبيرة التي تصيب أي منظومة قيادية لا تدير الوقت بشكل صحيح، عندها تحدث الفوضى من هذا النوع، حين لا يدارالوقت بشكل صحيح، وحين يحصل هذا التخبط الكبير تبدأ هذه المنظومة القيادية تنجز المهام في الوقت الضائع، ولكن في غير الوقت المناسب، فلا يؤثر شيئًا، ويُبذل جهد كبير، ويُصرف وقتٌ وطاقة وإمكانيات ولكن بلا جدوى، يحرث ولا زرع، ولا إنتاج، مثل الذي يخزن هواء في شبك، يتحرك ولكن لا يحرك شيئًا، ومنظومة قيادية مرتبكة بهذا الشكل، لا تدير الوقت بشكل صحيح، تصبح كل طاقتها وجهدها طاقة سلبية، غير منتجة، والجهد الذي تبذله لا نتاج له، وتبدأ الفرص الكبيرة لتحقيق الأهداف تتفكك وتتبدد وتضيع؛ كل ذلك بسبب عدم استثمار الوقت بشكل صحيح وبشكل مناسب، ويضيع الوقت، وتضيع معه الفرص، وستكون جميع الأعمال منقوصة، وسيُترك تنفيذ المشاريع وهي في منتصف الإنجاز، وستذهب الإمكانيات إلى مشروع ثان وثالث ورابع وخامس؛ لأنه يرى أن لا تأثير، فيتجه إلى التعويض، ويأتي بشيء جديد، لعله يؤثر ويتدارك ما فاته، ولكن يتركه في منتصف الإنجاز ويتوقف ليتوجه إلى مشروع ثالث ومشروع رابع، في حالة من التخبط الكبير في منظومته القيادية والإدارية، وتتعطل الأهداف، وتنحرف البوصلة. وكل هذه الفوضى، وكل هذه الأضرار الخطيرة بسبب عدم إدارة الوقت بالشكل المناسب والصحيح، هكذا يقول أمير المؤمنين (سلام الله عليه).

لاحظوا ما ورد في غرر الحكم عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: (من أخّر الفرصة عن وقتها، فليكن على ثقة من فوتها)[٢٥]، نعم فمن لم يستفد من الفرصة في وقتها ذهبت منه وضاعت، ولا تبقى تنتظره، وحينئذ لا ينفعه الندم ولو أدمى أصابعه حسرة.

وورد في بحار الأنوار عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: (الأمور مرهونة بأوقاتها)[٢٦]، فلا أمر مفتوح، بل كل أمر مرهون بوقته، فإذا استثمرته في وقته حققت النتيجة، وإن لم تبادر إليه في حينه ذهب عنك إلى غيرك، وحينئذ لا ينفع الوقت والجهد الذي تصرفه

٢٥. غرر الحكم: ح٨٧٩٥، نقلًا عن ميزان الحكمة ٣: ٣٣٩٩.
٢٦. بحار الأنوار ٧٧: ١٦٥.

للحصول عليه، ومن يتساهل في تضييع الوقت ستضيع منه فرص كبيرة، وسيقع في أخطاء جسيمة، وسيؤدي ذلك إلى خسائر بشرية ومادية كبيرة وهائلة لا تعوض.

فعليكم بإدارة الوقت بشكل صحيح، وقد ورد في غرر الحكم عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: (بادر الفرصة قبل أن تكون غصة)[٢٧]، فهذه التي كانت فرصة تركض وراءها صارت غصة لك وعبئا عليك، وهي فرصة ما دمت قادرًا عليها، فإن فاتت فهي غصة.

إذن يجب أن نتعامل ونتعاطى مع الفرص في الوقت المناسب والمحدد، ونستثمرها حتى لا تتحول إلى ألم، إلى غصص، إلى خسارة، فكلما أخطأنا في تقدير الوقت وإدارة الوقت والالتزام الصارم بالتوقيتات زادت الخسائر بشكل كبير، سواء كانت خسائر بشرية وطاقات أو كانت مادية، وكلما تراجعت المنظومة القيادية في أداء واجباتها والمهام المنشودة والمرسومة لها، تبدأ عملية انخفاض الإنتاج إن كان في عمل اقتصادي، ويبدأ التأثير السلبي في أهداف وبرامج المنظومة إذا كانت عسكرية أو مدنية أو سياسية، وهذه قاعدة عامة، وسيكون هناك تراجع وانخفاض في النتائج.

ورد في غرر الحكم عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: (تمام العمل استكماله)[٢٨]، تصوروا هذه القاعة الكبيرة، لو أراد شخص بناءها ويكملها إلى الأخير، ولكن لا يؤسس فيها تبريدا ولا إنارة ولا هذا الإكساء المعيّن، وهذه كلها أشياء كمالية، فالأصل هو هذا البناء، هذه القاعة، فلا يمكن أن تُستثمر و يُستفاد منها ونجلس اليوم فيها ونتحدث معكم، فإبقاء العمل منقوصًا، كأن تكون نسبة الإنجاز (٧٠٪)، ونسبة الإنجاز في تلك المدرسة (٨٠٪)، ونسبة الإنجاز في ذلك المستشفى (٩٥٪)، فلا نستطيع الاستفادة منها، ولا نستطيع أن تستقبل طالبًا أو مريضًا؛ لأنّها لم تكتمل بعد، ويجب أولًا أن تكتمل ثم توضع فيها الأسرة والأجهزة الطبية، ثم نأتي بالمرضى إليها، والذريعة أن النفقات أصبحت عالية ولا يمكننا تغطيتها، فرغم أن نسبة الإنجاز بلغت (٩٥٪) فإننا لا نستطيع الاستفادة منه بشكل سليم وصحيح ما لم يُستكمل العمل، ؛ لذلك فإنّ إدارة الوقت تمثل توصية أساسية، ومفتاحا مهما من مفاتيح النجاح القيادية.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوقفنا للأخذ بهذه التوصيات وأداء واجباتنا القيادية كلٌّ من موقعه وبحسب هذه الموازين وهذه الأسس. أكتفي بهذا المقدار وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة لله وبركاته.

---

٢٧. عيون الحكم والمواعظ: ١٩.

٢٨. غرر الحكم: ٧٢٠٢

المحاضرة الخامسة بتأريخ ٢٠٢٠/٤/٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين و صحبه المنتجبين

تقبّل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار، و أسأل الله (سبحانه و تعالى) أن يجعلنا من المرحومين في هذا الشهر الفضيل و أن لا نكون من المحرومين.

كان حديثنا في الأيام الماضية عن عهد أمير المؤمنين (صلوات الله و سلامهُ عليه) لمالك الأشتر حين ولاه مصر، وانتهينا إلى المقطع السادس و العشرين من هذا العهد والذي يتحدث فيهِ أمير المؤمنين (سلام الله عليه) عن توصيات عامة يقدمها للمتصدين، للقادة للمسؤولين، للمدراء، ووصلنا إلى التوصية الخامسة.

«التوصية الخامسة : بناء الذات والتوجه إلى الله»

التوصية الخامسة التي يقدمها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا العهد، هي بناء الذات والتوجه إلى الله (سبحانه وتعالى)، فحينما يتحمل المتصدي والمسؤول مسؤولية عدد من الناس قد يقل أو يكثر، يتحتم عليهِ أن يتعامل بمسؤولية أكبر، ويرسخ العلاقة مع الله (سبحانه وتعالى)، وبناء نفسه بشكل سليم، وضبط مشاعره، والسيطرة على سلوكه، وهذه تساعده كثيرًا في حسن الأداء القيادي، فالجانب الروحي، الجانب المعنوي، له أثر بالغ في تحقيق النجاح في المهمة القيادية والإدارية، إذ كلما كان الإنسان أكثر التزامًا، أكثر اتساقًا مع القيم والمبادئ والمثل، كان أقدر على أداء مهماتهِ القيادية بشكل أفضل.

يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الصدد: (وَاجْعَلْ لِنَفْسكَ فِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ الله تعالى أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ): أيها المسؤول، أيها المتصدي، أيها القائد، أيها المدير، لا تقل: لديّ عمل، أنا غارق في العمل، ليس لديّ فرصة للعبادة والتوجه إلى الله تبارك وتعالى، للابتهال إلى الله جل جلاله، كلا، يجب أن تفرغ أفضل أوقاتك وتخصصها للعبادة، أين تذهب في الأوقات التي ليس لديك فيها عمل؟ ولا تخادع نفسك بأنه لديك اجتماعات، فما هو الغرض من هذه الاجتماعات؟ ألا تريد أن تنجح؟ إن مفتاح النجاح في مكان آخر، فهذه كلها أسباب ظاهرية، لكن السبب الحقيقي والواقعي هو الله (سبحانه وتعالى) الذي بيده مفاتيح كل شيء، فمن الممكن أن تأتيك رؤيا كمقترح لك من الله (سبحانه وتعالى)، ويلهمك خطوة تتخذها تعادل عشرين اجتماعًا، فأنت تارك رب الأرباب، ومسبب الأسباب، ومنشغل بالأسباب الأخرى التفصيلية، وهذا لا يجوز، ويجب أن تخصص أفضل أوقاتك للعبادة، للانقطاع إلى الله (سبحانه وتعالى)، لتعميق صلتكَ وعلاقتك به جل جلاله.

(وَأَجْزَلَ)، يعني أعظمَ، (تِلْكَ الْأَقْسَام)، أفضل الأقسام في وقتك، فأنت عندما تقسم وقتك على أقسام، يجب أن تجعل أفضَل أوقاتك للعبادة، وأفضل الأوقات عندما تكون مرتاحًا ومسترخيًا، عندما تكون متوجهًا لله ومقبلًا نحوه تبارك وتعالى، لا أن تجعل حالات الاندفاع والنشاط للعمل أو للتفاصيل، للجزئيات، وتجعل آخر وقتك، عندما تكون مرهقًا، لأداء فرائضك ونوافلك، فتصلي آخر الوقت، كلا، بل يجب عليك أن تخصص أفضل أقسام وقتك وأجزل تلك الأقسام للعبادة.

(وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لله إِذَا صَلَحَتْ فيهَا النِّيَّةُ): أينما كنت يا مسؤول، يا قائد، يا متصدٍّ، إذا كانت نيتك صالحة، وكان عملك وتصديك في سبيل الله بخدمة عباد الله، وكان الغرض منه غرضا رساليا قيميا، ولم تأتِ لتتأمر على الناس، ولم تأتِ لتأخذ امتيازات، بل تصديت للمسؤولية لكي تخدم الناس، فإذا كانت نيتك كلها خالصة لله (سبحانه وتعالى)، فكل هذا العمل وكل هذه الاجتماعات ستكون عبادة، وكل هذه الاتصالات عبادة، وكل هذه الجهود عبادة، وكل جهد ووقت وخطوة يصرفها الإنسان لخدمة الناس وأداء واجباته ومهامه القيادية والإدارية هي عبادة.

(وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ): كان الهدف منها خدمة الناس، خدمة الرعية، في هذه الحالة، كل هذه الجهود والأعمال تصبح عبادة، ولكن تلك العبادات الخاصة من التهجد وتلاوة القرآن والدعاء والصلاة وما إلى ذلك، يجب أن تعطيها وقتكَ المميز؛

عندما تكون بكامل نشاطك وقوتك، وتؤديها أداء حسنًا؛ لأنها مفتاح للنجاح في المهمة القيادية.

(وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ للهِ بِهِ دِينَكَ)، يجب أن تكون، (إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً)، من أهم ما تفرّغ له نفسك، لتعبّر فيه عن إخلاصك لله (سبحانه وتعالى)، وإقامة الفرائض والواجبات والصلوات والالتزامات بشكل سليم، خالصة لوجه الله تعالى، من دون شائبة، أو رياء، أو تصنّع، إلى غير ذلك.

(فَأَعْطِ اللهَ مِن بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ)، العبادة مجهدة للإنسان، يريد أن ينام بالليل لأنه متعب، فيقوم ليصلي صلاة الليل، يتنفل، يتهجد، وهذا يُقتطع من راحته، ومن وقته، وتأمل في التعبير الجميل: (فَأَعْطِ اللهَ)، ألا يستحق الله تعالى أن تعطيه من وقتك؟ وأنت تعطي من وقتك الكثير الكثير لإخوتك المؤمنين، ولأصدقائك، ومن أجل إنسان طلب منك شيئا تعطي ساعات من وقتك، أفلا يستحق الله (سبحانه وتعالى) أن تعطيه من وقتك اليسير، وتخصص قسمًا من أوقاتك للعبادة.

(وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللهِ مِنْ ذلِكَ كَامِلًا)، وأدِّ التزاماتكَ العبادية بشكل كامل، بشكل دقيق، على أفضل حال، على أكمل وجه، أدِّ واجباتك الدينية على أحسن صورة.

(غَيْرَ مَثْلُومٍ)، الثلم هو نقص العبادة، فغير مثلوم، يعني بها أن لا تكون هذه العبادة مخدوشة بالتقصير أو بشرود الذهن، فالبعض منا من ضعاف الإيمان من أمثالي، في الصلاه مثلًا، ما إن يكبّر ويدخل في الصلاة، حتى يسرح ذهنه يمينًا وشمالًا، ويفكر بكل شيء إلا الصلاة، ثم فجأة يلتفت إلى نفسه فيجد أنه يتلفظ بالجزء الأخير من الصلاة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فأنهى صلاته وهو لا يعرف إذا التفت في أثناء الصلاة هل هو في الركعة الثانية أو الثالثة، فإن أتى بصلاته على هذا الشكل؛ بهذه الغفلة والشرود، يكون قد أتى بصلاته ولا تجب عليه إعادتها، لكنه لم يأت بها على الوجه الأكمل، ونقرأ أحيانًا دعاء وأذهاننا مشغولة بأمر آخر، ولا نلتفت إلى مضامين الدعاء، والمهم عندنا هو أن نقرأ الدعاء كيفما اتفق، وإن لم نلتفت إلى معانيه أو نستوعب ما فيه، وهذه ليست عبادة على أكمل وجه، بل العبادة الكاملة هي التي تكون غير مثلومة، أي غير مخدوشة بالتقصير، أو الرياء.

انظر إلى صلاتك أمام الآخرين؛ هل هي مثل صلاتك عندما تكون وحدك في الغرفة؟ والدعاء الذي تقرأه وأنت أمام الآخرين، هل هو كما لو قرأته وحدك؟ فإذا كان بنحو

واحد فهذا جيد، ولكن إذا كنت تقرأه أمام الناس بصوت ألطف مما لو قرأته وحدك، فعليك أن تراجع نفسك خوفًا من وقوعك في الرياء، وضياع عملك هباء منثورا، وستكون عبادتك حينها مخدوشة مثلومة بالرياء.

(وَلاَ مَنْقُوص)، أي أن تأتي بالصلاة، بالعبادة، على أكمل وجه، إذ يستطيع الإنسان أن يصلي ويؤدي المقدار الواجب من كل ركعة في أقل من دقيقة، ويؤدي الصلاة ذات الأربع ركعات في أربع دقائق، وصلاة الصبح بدقيقتين، ونرى البعض قد أنهى صلاته ولم ينته المؤذن بعد من الأذان، وهناك من يؤدي صلاته من غير أذان ولا إقامة ولا مستحبات ولا تعقيبات، فينهي صلاته في أقل من هذا الوقت، فقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَلاَ مَنْقُوص)، يعني أن لا تأتي بصلاتك بمقدار الواجب فقط، وكأنها إسقاط للواجب فقط، كلا، بل احرص على أن تأتي بالعبادة كاملة غير ناقصة، في آدابها، وفي سياقها، وفي وقارها، وفي هدوئها، وفي الأداء الجيد، والالتفات والتوجه، وغير ذلك.

(بَالِغًا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ)، مهما أخذ ذلك من جهدك، بأن يتعبك، ويحرمك من نومك، ويقلل من راحتك، ولكن هذه اللذة التي يحصل عليها الإنسان وهو يتعبد بين يدي الله (سبحانه وتعالى) والناس نيام، لذة ما فوقها لذة، ويجب أن نستثمرها، وأن نكيّف أنفسنا ونعوّدها على أدائها.

إذن، فالتوصية الخامسة التي يقدمها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هي الاهتمام بالجانب المعنوي للعبادة، بالعلاقة مع الله (سبحانه وتعالى)، بتعميق هذهِ الصلة معه (سبحانه وتعالى)، وببناء الذات البناء الصحيح، بما يساعد الإنسان علىَ النجاح في مهماتهِ القيادية، ومسؤولياته وتصديه.

الإضاءات المستفادة من النص

الإضاءة الأولى: الصلة الدائمة بالله من مقومات النجاح في المهمة القيادية

إن الصلة الدائمة بالله عز وجل من أهم مقومات النجاح في أي مهمة قيادية؛ أن يكون خطك خطًا مباشرًا مع الله (سبحانه وتعالى)، فعندما تدخلون على الواتساب أو التليجرام وتريدون إرسال رسالة إلى صديق، يخبرك الموقع أنه متصل أو غير متصل، فإذا كان متصلًا فمعنى ذلك أنه الآن على الخط، وتستطيع أن تكلمه وترسل له رسالة، فعلاقتنا مع الله (سبحانه وتعالى) يجب أن تكون متصلة، وهذه الصلة بالله (سبحانه وتعالى) يجب أن تكون دائمة، فإذا أراد أحد أن يتصدى لمواقع القيادة والإدارة والمسؤولية،

فهو بحاجة إلى أن يحصل على المناعة المعنوية، على الحصانة المعنوية الداخلية في وجوده، وهذه الحصانة تمنعه من الانحراف، من الانزلاق، من الشطط، من الأنانية، من الكبر، من الفخر، من النرجسية، فحين يكون في المسؤولية والجميع من حوله ينادونه: نعم سيدي، نعم صاحب المعالي، نعم فخامتك، نعم سيادتك، بحسب نوع المسؤولية والموقع، تطرأ عليه حالة من الزهو، وحتى على مستوى البيت، مع الزوجة والأولاد، فمهما كان المستوى، يبقى زهو التصدي، زهو المسؤولية، بأنه أعلى من الآخرين، وهذا يوقع الإنسان في الكثير من الزلات والانحرافات، فإذا أردت أن تكون على قدر من المسؤولية، وأن لا تنزلق، ولا تقع في النرجسية، والتكبر، والفخر، والانحراف، فأنت تحتاج إلى حصانة، تحتاج إلى مناعة.

ما هي الحصانة المعنوية؟ هي الصلة بالله (سبحانه وتعالى)، وهناك مقولة تقول: الموقع يغيّر صاحبه، أو إن الكرسي يغيّر الناس؛ فصاحبنا هذا عندما صار وزيرًا، صار مديرًا، صار مسؤولًا، صار آمرًا، تغيرت أحواله، فالكرسي يغيّر الناس، هكذا يقال، ولكن الواقع أن الكرسي لا يغيّر، بل الكرسي يعرّي الناس، يظهر حقيقتهم، يكشف عن واقعهم.

لماذا عندما لم تكن مسؤولًا، وكنت مكشوف الظهر ليس لديك غطاء، كنت تتصنع خوفا من أن تفقد مكانك، من أن يُعتدى عليك، من أن يُساء إليك، من أن تُطرد، فالخوف يجعلك دائمًا تتعامل بتصنع، لكي لا تُغضب المسؤول، فلا تعمل شيئًا يعرضك للعقوبة، فأنت يعجبك الأمر الفلاني ولكن الخوف يمنعك، وعندما صرت مسؤولًا فوق الجميع، فمن الذي يجرؤ على أن يتكلم معك؟.

عندما كنت أعزب في البيت، فأبوك على رأسك، وأمك على رأسك، وإخوتك الكبار على رأسك، فأنت خائف، ولكن عندما تتزوج وتخرج من بيت والدك، تصبح أنت القائد، وسيد الموقف، وزوجتك وأولادك تحت مسؤوليتك، وعندما يزول الخوف نظهر على حقيقتنا.

وبهذا النحو تعطي المسؤولية الحصانه للإنسان، وحينها يظهر المسؤول على حقيقته، فينحرف، يتعدى، يتجاوز، يغلظ صوته، يحمّر عينيه، مع أنه هو هو، عجيب! ما الذي غيّرك علينا؟ فقد كنت صاحبنا، فكيف صرت بهذا الشكل؟.

إنّ الشعور بالموقع يكون بحسب الوعاء الوجودي لكل إنسان، فهناك إنسان حين تجعله مدير قسم، يصبح مثل صدام، على مهلك، فأنت مدير قسم صغير لا أكثر،

وتحت أمرتك أربعة موظفين، فما هذا الطغيان؟ وتجد شخصًا ينصّب لحكم دولة بأكملها، فلا يؤثر فيه ذلك، ولا يغيّر من طبعه، فهو أكبر، فكل إنسان عندما يتسلم المسؤولية يتصرف بحسب وعائه.

إذن، فالمسؤولية عمومًا حصانة، والحصانة تزيل الخوف، وبإزالة الخوف تظهر حقيقة الإنسان، فيعتدي، يتجاوز، يضرب، يكسر، يهتك الحرمات، يتجاوز الحدود، يتعدى على الحقوق، يتصف بهذه الأوصاف، فما هو الكابح؟ إذا لم يوجد خوف من البشر فيجب أن يكون هناك خوف من الله سبحانه، وهو الذي يضبط الإيقاع، لذا ينبغي أن تكون الصلة مع الله (سبحانه وتعالى) دائمة، فالعلاقة مع الله تجعل الإنسان يضبط مشاعره، يضبط أحاسيسه، يضبط مواقفه ولا يتجاوز على الآخرين، فالحصانة المعنوية، الوازع النفسي، الدافع الذاتي، هي التي تضبط إيقاع الإنسان.

ما تحققه هذه الصلة الدائمة بالله (سبحانه وتعالى)، أنها تخلق رادعا داخليا يكبح جماح النفس، ويضبط الإيقاع.

يذكر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أن هذهِ الصلة الدائمة بالله (سبحانه وتعالى) تتحقق بطريقين:

الطريق الأول: العبادة الخاصة في أوقاتها المحددة؛ دعاء كميل ليلة الجمعة، ودعاء الندبة صباح الجمعة، ودعاء التوسل ليلة الأربعاء، فاليوم الفلاني له أعمال مخصوصة، واليوم الفلاني فيه زيارة خاصة، صلوات، أدعية، عبادة، وكذلك نوافل الليل، قيام الليل... إلى آخرهِ، هذه العبادات في أوقاتها المحددة هي العبادة الخاصة، وهي المدخل لتحقيق هذهِ الصلة الدائمة بين الإنسان والله (سبحانه وتعالى).

الطريق الثاني: العبادة العامة، وقلنا إن الإنسان المتصدي، المسؤول، إذا وجد في مسؤوليته مدخلا ونافذة للخدمة، وتوكل على الله وعمل قربة إلى الله... ما دمت مسؤولًا فأنا أريد أن أوظف هذا الموقع في خدمة الناس، أتواضع لهم، أخدمهم، أفعل كذا وكذا من أجلهم، وأجعل وجاهتي هذه في خدمة الناس، فحينها يكون كل عمله وحركته، ونومه عندما ينام ليرتاح ويتقوى على إكمال مشوار الخدمة غدًا، ينام ليقوى على طاعة الله (عز وجل) في خدمة عباده، يكون كل ذلك عبادة؛ (وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الله تعالى أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيت، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَام)، هذه العبادة الخاصة، (وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لله إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ)، هذه العبادة العامة، والصلة الدائمة بالله (سبحانه وتعالى) تحقق أمرين:

أولا : صلاح النفس والتزكية للقائد ، للمسؤول ، للمتصدي ، للمدير ؛ تزكية النفس ، صلاح النفس ، سلامة النفس ، وهذا مفتاح أساسي من مفاتيح النجاح .

ثانيًا : تؤثر في السلوك القيادي ؛ لأنها انعكاسات وإسقاطات في سلوكه ، في تعامله ، في نبرة صوته ، في مفرداته التي يستخدمها ، في خطواته ، في طريقة تعاطيه مع الناس الذين هم تحت مسؤوليته ، في اتجاهين :

الأول : تزجره عن الخيانة ، الاعتداء ، الجور ، الظلم ، الإساءة ، الإهانة ، فالعلاقة الخاصة بالله (سبحانه وتعالى) تزجره عن هذه كلها ، ولا تسمح له بأن يعتدي أو يتجاوز على الآخرين .

الثاني : لها بُعد إيجابي ، فالدافع يخلق عند الإنسان حافزًا يشجعه على الفعل ، ويعطيه قوة فلا يكل ولا يمل ، ويعمل ليل نهار من أجل خدمة هؤلاء الناس ، لأنه يعرف أن في ذلك رضا لله (سبحانه وتعالى) .

إن الصلة الدائمة بالله كابح تجاه الأخطاء والتعدي والتجاوز ، ودافع تجاه الخدمة والنشاط ، فلا يرغب في أن يترك ذلك ، وكلما قدم أكثر يرغب بأن يقدم المزيد ؛ لأنّ فيه طاعة لله ، وقربة لله (سبحانه وتعالى) ، فترى المسؤول الرسالي الذي يعمل من أجل الله ملؤه النشاط والحيوية والاندفاع ، ولا تقرأ في وجهه إحباطًا ، إذ تراه متفائلًا دائمًا في أحلك الظروف وفي أشد المنغصات .

أمس كنا نتحدث عن عزيز العراق ، وأنه في أشد وأحلك الظروف كان يقول : (الله موجود) ، فإن حدثت كبوة قال : «ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمكَ بعاقبة الأمور» ، وكان دائمًا متفائلًا ، ومندفعًا ، ومتحمسًا .

الواقع مليء بالإحباطات ، فلماذا أنت نشيط ومتفائل بهذا القدر؟ . . لأنّ عندي علاقة مع الله (سبحانه وتعالى) ، فأنا فعلتها لله تبارك وتعالى ، وأديت الذي عليّ ، وترون من يمارس الرياضة ؛ إذ يمشي لكي يفقد سعرات حرارية مثلًا أو يقوّي نفسه ، وأحيانًا يمشي في الشارع ، وأحيانًا يمشي على جهاز ، فيقال له : ماذا تفعل؟ فهذا المشي على هذا الجهاز لا يوصلك إلى مكان؟ فيقول : ليس المهم أن أصل إلى مكان معين ، بل المهم أن أفقد السعرات ، فمع أن الجهاز هو شريط يتحرك ، ويبدأ وينتهي وهو واقف في نفس المكان ، ولكنه فرح بأنه مشى خمسة كيلو مترات وحقق الغرض من رياضته .

وكذلك الذي يعمل لله سبحانه؛ سواء أنجز العمل أو لم ينجز، بقي واقفا في مكانه، أو حدث منعطف، أو حدثت منغصات، فهو فعلها لله تعالى، وبذل جهده لله تعالى، فإن أُنجز العمل فالحمد لله، وإذا لم ينجز فقد أدى ما عليه، وهذا هو منطق «إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة»، هذا المنطق الذي يجعل الإنسان يعيش حالة الاندفاع دائمًا؛ لأنه سواء تحققت النتائج المادية أو لم تتحقق، فإنه قد عمل ما عمل طلبًا لرضا الله (سبحانه وتعالى)، وأدى ما عليه؛ وهذه فكرة أداء التكليف، بأن يعمل الذي عليه والباقي على الله، فواجبه أن لا يقصّر في أداء المهمة، سواء أدت إلى النتائج المطلوبة أو لم تؤدِ، سواء أوصلتني إلى ما أخطط له أو لم توصلني، فهذا بيد الله تبارك وتعالى.

لقد دعا شيخ الأنبياء نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ قومه تسعمائة وخمسين سنة إلى الله عز وجل ليلًا ونهارًا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾[٢٩]، أنا أحفر بالصخر تسعمائة وخمسين سنة، والنتيجة عكسية؛ فلا أحد يتحرك، ولا تأتي النتائج المادية، فماذا نفعل نحن، وهذا نبي قد دخل معركة وخرج منها منكسرًا؟ وهذا الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ عندما ترى الحروب التي دخلها في الجمل وصفين والنهروان، لو حسبناها عسكريًا، ما عدا الحروب الأخرى التي خاضها مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فالحرب العسكرية فيها نصر أو هزيمة، فهل انتصر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عسكريًا في صفين؟.. لم ينتصر عسكريًا.. هل انتصر معاوية؟.. نعم انتصر انتصارًا معنويًا، أما الاعتبارات الأخرى فلها بحث آخر، هكذا هي الدنيا، لذلك فالحيوية تكون حاضرة دائمًا لدى المسؤول، القائد، المتصدي، المدير، الذي يعمل لله (سبحانه وتعالى).

قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعاء كميل: «حتى تكون أعمالي وأورادي كلها وردًا واحدا»[٣٠]، كيف تكون كلها وردًا واحدا، وأنا أصلي وأتعبد، وأنام وارتاح، وآكل وأتنزه، وأجلس مع الأصدقاء أحيانًا ونتلاطف ونتسامر، فكيف تكون كلها وردًا واحدًا؟.

تكون كذلك إذا كان الهدف هو الله (سبحانه وتعالى)، وحياة الإنسان مُسخّرة لخدمة عباد الله وأداء التكليف، فيستريح ليقوى على طاعة الله، والطعام الذي يأكله إنما يأكله ليقوى على طاعة الله، ويلاطف أصدقاءه ليخفف عن نفسه فيقوى على طاعة الله وخدمة

٢٩. سورة نوح: الآية ٥ ـ ٦.
٣٠. إقبال الأعمال ٣: ٣٣٦.

عباده، فتكون كلها عبادة، فمثل هذا الإنسان تكون كل حالاته عبادة، فإن تحققت النتائج فهي عبادة، وإن لم تتحقق النتيجة فهي عبادة أيضًا، وتحقق المطلوب، ولذا هو نشيط ومتفائل ومندفع ومتحمس دائمًا، يؤدي ما عليه.

هذه العبادة بالمعنى العام، التي تكون كل الأعمال فيها عبادة، هل المسؤول، القائد المتصدي، في كل خطوة يجب أن يقصد نية العبادة، نية القربة؛ فإن أردت أن ألقي محاضرة أستحضر نية القربة، وإن أردت أن أدخل اجتماعًا أنوي القربة، أو أردت أن أجري مكالمة هاتفية لتحقيق مصلحة من مصالح الناس، أنوي القربة، هل يجب أن استحضر في كل خطوة أن هذهِ عبادة؟ الجواب: كلا، لا أحتاج إلى ذلك، ويكفي أن يعرف المسؤول أنه قد سخّر نفسه في خدمة الناس قربة لله تعالى، وقد نوى ذلك عندما اتخذ قرارًا بالدخول إلى هذا المشروع، أن يتحمل المسؤولية في هذا المشروع، في هذهِ المهمة، في هذا الموضوع، من أجل أن يسخر كل إمكاناته للتقرب لله (سبحانه وتعالى)، بخدمة عباده، لذلك هو يتحمل المسؤولية، هذه النية العامة؛ أنا موجود هادف في عالم هادف، متوجه نحو الله (سبحانه وتعالى)، هذهِ النية العامة تكفي لتجعل كل تفاصيل حياته عبادة، حتى لو لم يقصدها، وهذا مثل الصوم، إذ نحن لا نجدد نية الصوم في كل لحظة من لحظات النهار، ونكتفي بنية واحدة في أول الشهر، أو نية واحدة في كل ليلة من ليالي شهر رمضان لصيام اليوم الذي بعده، مع أنه من الممكن أن ينشغل أي واحد منا ساعتين أو ثلاث ساعات وينسى أنه صائم، وهو مستغرق بعمل آخر، أما هؤلاء الذين يبقون مستيقظين إلى الفجر ويصلون صلاة الصبح، ثم ينامون إلى قبيل أذان المغرب بدقائق، حينما يوقظهم ذووهم للإسراع بأداء صلاتي الظهر والعصر قبل فواتهما، وبعضهم يمتد نومه إلى ما بعد المغرب، فهل هذه النية منه قبل الفجر عندما ينوي أن يصوم لله (سبحانه وتعالى) تكفي وتغني عن تجديد النية في كل وقت يليها؟ نعم، فهذه النية في أن أدخل إلى العمل وإلى التصدي لأتقرب إلى الله عز وجل في أداء هذا الواجب، هذه النية الإجمالية كافية، وتغني عن تجديد النية في كل خطوة، وفي كل كلمة، وفي كل موقف.

إذن فالحياة المبنية على هذهِ الصلة الدائمة بالله (سبحانه وتعالى)، تجعل الإنسان متفائلا دائمًا، لا يشعر بإحباط، ولا يشعر بانكسار، ولا يتردد، ولا يتراجع، مهما كانت المنغصات كبيرة وعظيمة، ولسان حاله: يفرجها الله، الأمور بيد الله (سبحانه وتعالى)،

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، كل شيء بيد الله، وهو (سبحانه وتعالى) يحلها، ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾[٣١]، بيدِه كل الأمور.

وهذا الاتصال المستمر بالله (سبحانه وتعالى) يمنع الإنسان من الوقوع في المنزلقات، في المطبات، في الانحرافات، في الأخذ بهواه؛ فيحب هذا ويكره ذاك، ويقرب هذا ويبعد ذاك، ويصادق هذا ويعادي ذاك، ويدور حول الأنا، فهذا يتملق لي إذن أقربه، وذاك صارحني إذن أبعده، فالإنسان الرسالي، المسؤول، المتصدي، يبحث عمن يتعاطى مع الأمور بواقعية؛ فمن كان مفيدًا يخدم الناس خدمة كبيرة، أقف معه وأدعمه حتى لو كان ضدي شخصيًا، ومن كان لطيفا جدًا معي، ولكنه فاسد وغير خدوم ولا يفيد، أسحب الدعم عنه حتى لو كان يفيدني شخصيا، فهو لا يخدم الناس ولا يفيدهم، هذِه الصلة الدائمة بالله تعطي قوة كهذه، ومناعة كهذه، وحصانة للإنسان من أن ينزلق إلى مهاوي الانحراف، وتدفعه ليكون في قمة النشاط والحيوية للعطاء والأداء في كل الظروف.

إن الإنسان الذي لديه علاقة مع الله (سبحانه وتعالى) لا يفهم معنى التشفي والثأر والانتقام... فهذا قال اليوم هذا الكلام، ومرت الأيام وصرت مسؤولًا عنه، وصار تحت يدك، فأول خطوه تخطوها، وأول أمر ديواني توقعه هو أن تنقله إلى مكان على الحدود، لتتشفى بِه، لأنه كان يتكلم ضدك، أو كان يؤذيك، فأين «العفو عند المقدرة»؟ فحين أصبحت مسؤولًا عنه فعليك بالعفو، التسامح، الصفح، . . . تجاوز فهذه الدنيا زائلة، وكن أكبر من هذِه الأشياء النفسية، أكبر من الأحقاد التي قد تأخذ الإنسان إلى منزلقات خطيرة.

الإضاءة الثانية: مستلزمات العمل لله تعالى

من يريد أن يعمل لله (جل جلاله)، فهو يحتاج إلى مستلزمات ومقومات، وأهم هذِه المستلزمات هي هذِه الصلة الدائمة بالله (سبحانه وتعالى)، فحين تمتلك هذِه الصلة يكون عملك لله، أما إذا انقطعت هذِه الصلة وتدخلت الأنانيات والأمزجة والنرجسيات والأنا، فلا تستطيع أن تعمل لله (سبحانه وتعالى).

٣١. سورة الأنعام: الآية ٥٩.

تأملوا في خطاب الله (سبحانه وتعالى) لرسوله الكريم وهو يحمّله المسؤولية الثقيلة؛ قال الله (سبحانه وتعالى) في سورة المزمل: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾[٣٢]، أنا اخترتك لتكون نبيًا وسيد الأنبياء، والآن سألقي عليك وأحمّلك مسؤولية ثقيلة، وهي هداية البشر جميعًا، وهذا حمل ثقيل، ولسان حال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إلهي حمّلتني هذه المسؤولية، فما هي الأدوات التي تؤهلني لحمل هذا العبء الثقيل؟ بأي سلاح سأواجه هذا الضلال والكفر المستشري في أرجاء المعمورة؟.. يأتي الجواب بعد هذا التكليف: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾[٣٣]، سلاحك هو قيام الليل، نافلة الليل، ناشئة الليل، فهي أشد وطئًا؛ إذ تجعل لسانك وقلبك شيئا واحدًا، فيكون ما في قلبك على لسانك، إذ تقضي على حالة النفاق والازدواجية، تقضي على حالة الاثنينية بين الظاهر والباطن، ويكون قلبك وكلامك وفعلك وسلوكك وخطواتك كلها في اتجاه واحد؛ ﴿أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾، أعطيك الاستقامة في القول، الثبات في القول، البيان القوي، البيان الواثق، أن تشعر بالقوة، فهناك شخص عندما يتكلم تراه كالجبل، كلامه ثابت وراسخ، وهذه من آثار صلاة الليل؛ قوة البيان، قوة التأثير، الاتساق والانسجام الذاتي بين القلب واللسان، فالحمل الثقيل سلاحه ناشئة الليل، والمهمة الرسالية الثقيلة مستلزماتها الصلة الدائمة والوثيقة بالله (سبحانه وتعالى)، وهذه الصلة الوثيقة تعطيك القوة البدنية، تشعرك بالقوة والنشاط، والقدرة على أن تقوم بعملك، إذ نرى شخصًا يعادل نشاطه باليوم عشرة أشخاص، وأحيانًا تجده ذا بنية ضعيفة، ومع ذلك يتمتع بنشاط وحيوية عالية، في حين ترى ذاك القوي صاحب العضلات المفتولة يتعب بسرعة، وهذا المسكين صاحب البنية الضعيفة يعمل بما يعادل عشرة أشخاص، فمن أين أتى بهذه القوة؟ الجواب هو أن الصلة بالله تبارك وتعالى تعطي هذه القوة البدنية، وتمنحه أيضًا القوة المعنوية؛ قوة الاستشراف، التحليل الدقيق، قراءة الحدث، البصيرة، فيقرأ الأمور قراءة سليمة، ويتخذ القرار الصحيح، ويعرف البوصلة ولا يضيعها، هذه من الله (سبحانه وتعالى)، وهذا نتاج صلاة الليل، ناشئة الليل، التي تعطيك هذه القوة البدنية والروحية والمعنوية؛ تجعلك قويا، وواضحا، وصامدا، وثابتا، جبلا أمام التحديات.

إن الصلة الدائمة بالله (سبحانه وتعالى) هي التي تمنعه من الانحراف، وهي التي تدفعه نحو النشاط بحماسة وفعالية لتحقيق الأهداف والإنجاز، بلا كلل، ولا ملل، ولا تعب، ولا إحباط، ولا يأس، ولا تردد، فهو مقدام دائمًا.

٣٢. سورة المزمل: الآية ٥.
٣٣. سورة المزمل: الآية ٦.

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧﴾[٣٤]، لديك أعمال كثيرة يجب أن تنجزها بالنهار، لا ينجزها الإنسان بقدرات عادية، فيحتاج إلى قدرات خارقة لكي يستطيع أن ينجزها؛ يحتاج إلى تسديد معنوي، وتحديد للبوصلة، واتخاذ القرار السليم في اللحظة المناسبة حين تلتبس الأمور على الآخرين، وهذا لا يتحقق إلاّ بالتعبد، بالتهجد، بناشئة الليل، ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾، في ناشئة الليل، لكي تصبح الصلة وثيقة ومباشرة ودائمة مع الله عز وجل، ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨﴾[٣٥]، التبتل هو الانقطاع إلى الله (سبحانه وتعالى)، ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾، كل شيء بيده، المشرق له، والمغرب له، فهو رب المشرق والمغرب، إلى أين أنت ذاهب؟.. ليس عندي وقت للصلاة وسأركب طائرتي وأذهب، إلى أين تذهب؟ وأينما تذهب فإنّ صاحب ذلك المكان هو الله تعالى، رب المشرق والمغرب، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وهو الذي لديه الحل، وعنده العلاج، وبيده الفرج، ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩﴾[٣٦]، استعن به، توكل عليه، اطلب المدد من الله (عز وجل).

﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، في التصدي ضريبة... تتصدى والكل يصفقون لك ويهتفون: «علي وياك علي»، لا إشكال، الناس تصيح «علي وياك علي»، ولكنّ هناك أناسا تسب، وتشتم، وتهتك، وتتهم بكل شيء، ويبقى الإنسان حائرا معهم؛ هل يدخل في هذه الصراعات الجانبية؟ الأمر محيّر، هذا قال كذا، وذاك قال كذا، ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، اذهب إلى عملك، اذهب إلى هدفك، اذهب إلى بوصلتك، انشغل بتحقيق الأهداف، وحقق الانتصار، فالناس مع المنتصر، ولا تبق حائرا بهؤلاء فيذهب منك النصر، فهؤلاء لا تقدر عليهم، وإذا لم تنتصر تنصرف عنك الناس، فإن كنت في خط صاعد فالناس معك، وإن كنت في خط نازل تفرقت عنك الناس، هذه هي سنن الحياة، وأنت حائر ماذا قال هذا، وذاك ماذا غرد، وذاك ماذا كتب؟.

نعم علينا الدفاع عن أنفسنا، وشرح الأمور وتوضيحها، ولكن ينبغي أن لا ننشغل ونضيع بهذه الأمور، انطلق نحو أهدافك وحققها، حقق الانتصار، حقق الإنجاز،

٣٤. سورة المزمل: الآية ٧.
٣٥. سورة المزمل: الآية ٨.
٣٦. سورة المزمل: الآية ٩.

وسيذهب كل هذا الكلام أدراج الرياح وينسى، ويلتحق الناس بالمنتصر، فالناس مع القوي بقوة الله (سبحانه وتعالى)، ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾[٣٧]، حتى عندما تهجرهم فلا تهجرهم عن غضب، بل اهجرهم هجرا جميلا، بهدوء، بمحبة، جاملهم ولكن توجه نحو هدفك، ولا تنشغل بالقيل والقال، فالقيل والقال لا ينتهي، والذين يبنون قليلون، أما الذين يهدمون فهم كُثُر.

في يوم من أيام الغربة والمحنة والعزلة والضغط الهائل على شهيد المحراب، وكان الجو العام معبأ ضده قبل سقوط نظام صدام الفاشي، جاءت أجواء قاتمة جدًا، صعبة جدًا، وكنت جالسًا عنده، فقلت له: سيدنا لا أفهم ما يحدث؟ فشخصية مثل سماحتكم، بإخلاصكم، وتفانيكم، وعملكم ليل نهار، وموجة تجيء وموجة تذهب، شائعات وشبهات، واتهامات، وهناك أناس ليس لديهم أي عمل، ولا أحد يتكلم ضدهم، ولا أحد يذكرهم بسوء، ولديهم ماكنة ضخمة يكسرون بها أكبر شخصية، حيّروا العالم كله، ولا أحد يتكلم ضدهم، فما الأمر؟ فقال: الفرق أننا نبني وهم يهدمون، والبناء صعب، والهدم سهل.

يتم الهدم بمجرد شائعة أو اتهام، والآن وأنت جالس في مكانك، أخرج هاتفك وغرّد تغريدة؛ ألصق بشخص تهمة معينة، وسترى أن الدنيا سوف تنقلب رأسًا على عقب، فالكل سيتكلم بها، فالهدم سهل، الكسر سهل، الاتهام سهل، والبناء هو الصعب، لذلك يشعر الإنسان أحيانًا بأنّ الجو يسير باتجاهات ضاغطة جدًا، فيتساءل لماذا حدث الأمر بهذا الشكل؟ ما هي المشكلة؟ لماذا تتكلم الناس ضدنا بهذا المقدار؟ والجواب: أنت تبني وغيرك يهدم، والبناء فيه ضريبة، وهذهِ قاعدة تشمل الجميع.

إن كنت تبحث عن النجاح، فاحرص على أن تكون لك صلة دائمة بالله (سبحانه وتعالى)، أتريد أُسرة تعيش حياة طيبة، علاقة إيمانية ودية، ليست فيها مشكلات؟ فليكن ارتباطك بالله (سبحانه وتعالى) قويًا. أتريد مصنعًا يعمل بنجاح؟ صحّح علاقتك مع الله (سبحانه وتعالى). أتريد منظمة مجتمع مدني ناجحة؟ عليك أن توثق ارتباطك بالله (عز وجل). أتريد خطة عسكرية تحقق بها الانتصار على عدوك؟ عليك أن تنتصر لله (جل جلاله). أتريد تيارًا سياسيًا سليمًا؟ عليك التوكل على الله تبارك وتعالى، فالله القادر العزيز المهيمن موجود، وهو معنا أينما كنّا، يراقب نياتنا وأعمالنا، ويتدخل في إمضاء هذه ومنع تلك، وما كان لله ينمو.

---

٣٧. سورة المزمل: الآية ١٠.

يشكو البعض من أنّ الحياة كلها مشكلات، وكلها لغط، وكلها ألم، وكلها منغصات، وكلها نفاق، وكلها دجل، والقلوب قاسية، والمشاعر غائبة، والعوائل تعيش في جحيم، ولو كانت تملك المليارات، فالمال لا يحقق السعادة للبشر، وكم من فقير سعيد بفقره، وغني شقي بماله، فالدين لا المال هو الفيصل بين السعادة والشقاء، والبعيدون عن الله (عز وجل) حياتهم في جحيم، موت أحمر، والحل هو اللجوء إلى الله (سبحانه وتعالى) بإخلاص.

كلما كانت المسؤولية أكبر، والمهمة القيادية أعظم، وجب أن تكون الصلة بالله تبارك وتعالى أوثق، لكي تمكّن هذا المسؤول أو القائد أو المتصدي من أداء واجبه، وتمنعه وتنجيه من الانزلاق والانحراف والظلم والتعدي والتجاوز على الآخرين، لذلك يوصي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مالكًا الأشتر ومن ورائه كل مسؤول ومتصد: (وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ لله به دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِه الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً)، العبادة بالمعنى الخاص، (فَأَعْطِ اللهَ من بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ به إِلَى الله مِنْ ذلكَ كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلَا مَنْقُوصٍ)، اجعل عملك خالصًا لله تعالى، (بَالِغًا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ)، مهما كان فيه من التعب، فعليك أن تقطع من نومك، من راحتك، تقوم من الفراش بالرغم من النعاس، والتعب، والله (سبحانه وتعالى) سيفتح لكَ آفاقًا عظيمة.

أكتفي بهذا المقدار وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة السادسة بتأريخ ٢٠٢٠/٥/٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

إخوتي الكرام، أخواتي الفاضلات تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار.

كان حديثنا في عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر حين ولاه مصر، وكنا في المقطع السادس والعشرين من هذا العهد، الذي يتحدث فيه أمير المؤمنين عن مجموعة توصيات، يقدمها للحكام والقادة والمتصدين، انتهينا من استعراض خمس توصيات، نتحدث اليوم عن التوصية السادسة

«التوصية السادسة: الاعتدال في العبادة»

(وَإِذَا قُمْتَ فِي صلاَتِكَ لِلنَّاس): يا مالك، يا حاكم، يا مسؤول، يا متصدّ، وطبعًا كان من المألوف أن المسؤول الأعلى هو الذي يقف ويؤمّ الجماعة في الصلاة اليومية وصلاة الجمعة، أما الآن فقد اختلفت العادات قليلًا، إذ يأتي المسؤول ويصلي خلف إمام المسجد، ولكن سابقًا كان الحاكم أو الوالي أو المسؤول، هو الذي يؤم في صلاة الجماعة، والحديث هنا ليس عن العبادة الشخصية؛ أن تصلي في بيتك يا مسؤول، فذاك بحث آخر، ولكن حين تصلي بالناس، حين تؤم الناس.

(فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّرًا): لا تطل في صلاتك بطريقة تنفر الناس من الصلاة، لا تطل بقراءة الدعاء بطريقة تتعب الناس وتنفرهم من دخول المسجد مرة ثانية، لا تنفر الناس بعبادة

طويلة، سواء كانت صلاة جمعة أو جماعة، أو غيرها من الطقوس والممارسات العبادية والشعائرية وما شابه، والخلاصة: لا تجعل هذه الصلاة أو العبادة طويلة بحيث تنفر الناس، وتجعلهم يهربون ولا يحضرونها لاحقًا خشية الإطالة.

(وَلاَ مُضَيِّعًا): من الناحية الأخرى لا تسرع بها بنحو يخلّ بأركانها وواجباتها، فتعرّضها إلى الضياع، كما نشاهده لدى بعض أئمة الجماعة الذين يسرعون بنحو لا يستطيع معه بعض المأمومين اللحاق بهم في ركوعهم وسجودهم، فتختل صلاتهم وتضيع، والاعتدال بين الإسراع والإبطاء هو الأسلوب الأفضل، فلا بطء بمستوى ينفر الناس، ولا سرعة تضيع الصلاة، فيجب أن تكون معتدلًا في إقامة الصلاة، وفي إقامة العبادات الجماعية، ويذكر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ السبب قائلًا:

(فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ): هناك أناس مرضى، كأن يكون مبتلى بوجع الظهر ولا يستطيع أن يبقى واقفًا مدة طويلة، أو مبتلى بوجع الركبتين ولا يستطيع الركوع والسجود طويلًا، أو يعاني خفقان القلب، أو غير ذلك من الأمراض التي لا يستطيع معها المأموم الصمود طويلًا، كصاحب مرض السكر الذي يحتاج إلى الذهاب إلى الحمام كثيرا، فلا يصح أن تجلس أمثال هؤلاء في ممارسة عبادية أو طقوس أو دعاء أو صلاة تستغرق وقتًا طويلًا، فيقعون في حرج، فالناس فيهم من هو مريض ولا يستطيع أن يصبر طويلًا.

(وَلَهُ الْحَاجَةُ): هناك أناس ليسوا مرضى، ولكن لديهم عمل؛ بأن يكون قد ترك محله وحضر للصلاة، أو ترك مصلحة من مصالحه، أو هناك من ينتظره، وقد كبّر للصلاة خلفك وتورط، ويريد أن يلحق بعمله، وأنت أخذتها طولًا وعرضًا، فإما أن يكون هناك مرض يستوجب السرعة، أو تكون هناك حاجة معينة لهذا الإنسان، ويريد أن يؤدي صلاته ويرجع إلى عمله، إلى نشاطه، إلى ما شابه ذلك.

(وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ): يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، حين أرسلني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن، وجهت له سؤالًا:

(كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟): أنا ذاهب إلى اليمن، وأنا الآن المتصدي.

فَقَالَ: «صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ»: أضعفهم حالًا، أضعفهم مزاجًا، صلّ الصلاة التي تنسجم مع أضعفهم.

(وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا): ارحم المؤمنين وارأف بهم؛ لأنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يعرف أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لديه سجدة تطول ساعات، فإذا أراد أن يصلي

جماعة بمثل هذه الصلاة فماذا سيكون حال الناس؟ فقال له انظر إلى أضعفهم كم يتحمل، فاجعل صلاتك بهذه الشاكلة.

الإضاءات المستفادة من النص

الإضاءة الأولى: مراعاة الناس في العبادة الجماعية

الحديث عن أحكام مراعاة الناس في العبادات الجماعية، أما العبادة الفردية فشيء آخر لا علاقة لنا به هنا، وهي عندما يؤدي الإنسان صلاته وحده، فأنت أيها المسؤول، أيها المتصدي، عندما تصلي وحدك، فكلما كانت صلاتك أبطأ، وكان سجودك أطول، وكان تضرعك وابتهالك إلى الله أكثر، فهنيئًا لك ووفقك الله لكل خير، وهذا شأنك، وإنما الكلام عن الحالة الجماعية، فالناس على درجات، وليسوا كلهم على مستوى إيماني واحد، وليسوا كلهم في صحة واحدة، وليسوا كلهم قادرين على أن يفرغوا أنفسهم بنحو كاف لمثل هذه الصلوات والعبادات والشعائر على نطاق واسع، فالكلام عن العبادة الجماعية، ولا ينسحب للعبادة الفردية؛ لأنها ترتبط بكل شخص بحسبه، فهناك شخص مريض لا يتحمل أن يؤدي الصلاة جماعة إذا كانت طويلة، أو كان مستعجلًا ولديه التزامات كثيرة، أو مستواه الإيماني لم يصل إلى تحمل العبادة الطويلة.

وكما قلنا دائمًا، فالعبادة يراد منها التقرب إلى الله تبارك وتعالى، فإذا تحولت إلى حالة ضدية، فقدت الهدف المرجو منها، مثلًا أنا ملتزم بقراءة كذا صفحة من القرآن الكريم يوميًا، وفي أثناء القراءة أتصفح بين مدة وأخرى كم صفحة بقيت لأنتهي من القراءة التي ألزمت نفسي بها، فحينئذ تفقد هذه القراءة الهدف المطلوب منها؛ لأنّ الأساس في العبادة أن تقربني إلى الله (سبحانه وتعالى)، والقرب إلى الله يرتبط بالمضمون، وليس بالكم، وليس بمقدار العبادة، فمضمون عبادة أقصر مع توجه كامل أو عال، أفضل من غياب التوجه في عبادة أطول، فقراءة جزء واحد بتوجه أفضل عند الله (سبحانه وتعالى) من قراءة خمسة أجزاء بلا توجه وتدبر وتأمل وما إلى ذلك، وقد تنفر الإنسان فيفقد رغبته بالعبادة، حين يريد أن يطيلها فيضيعها؛ إذ يترك صلاة النوافل، ويترك قراءة الأدعية لكي يحافظ على وقته ووضعه، فهنا لا بد من مراعاة قدرة الناس على التحمل، فبقدر ما يتحملون ولا يتعبون ولا ينفرون، يكون مقدار صلاة الجماعة، فيجب أن تنظم العبادة بنحو يستقطب الناس ولا ينفرهم، فلا تكون المحاضرات الدينية مثلًا طويلة إلى حد يجعل الناس يتقاعسون عن حضورها، كما نبتلى أحيانًا بخطيب

يتحدث كثيرًا، في مجلس حسيني، أو مجلس تأبين، أو خطبة جمعة، أو في مجالس الدعاء، أو اللطميات، فقد تجد رادودًا يجعل الناس يلطمون ساعة ونصف الساعة إلى أن يهلكهم من التعب، صحيح أنك ترى أمامك عشرين أو ثلاثين شخصًا متفاعلًا، ولكن انظر إلى حال البقية، فكل شيء بحدوده، وكل شيء لا بد من أن يكون معقولًا ومقبولًا، فأي ممارسة عبادية جماعية، يكون طولها بمقدار ينفر الناس منها، تكون نفيًا للغرض، فيجب أن تحدد حدود العبادة بالمستوى الذي يجعل الناس تنجذب إليها.

حتى في آداب الزيارة؛ عندما نزور مرقدًا من مراقد المعصومين، يستحب أن نخرج ونحن ما زلنا متعلقين بهم، ولكن ترى بعضهم يقول أريد أن أزور زيارة شبع، ومن هو الذي قال لك أن تشبع؟ إذا شبعت يصيبك الملل، فاخرج وأنت غير شبعان، قبل أن تشعر بالامتلاء، لكي تبقى دائمًا في حالة عطش ولهفة للزيارة، لترجع مرة ثانية، وثالثة، وعاشرة.. لا تمارس العبادة إلى حد الامتلاء، مثل بعض الناس في شهر رمضان، إذ يأكل إلى حد الامتلاء، بحيث لا يدع مجالًا للقمة واحدة، وكذا العبادة ولكنها حالة معنوية، فتجد أحيانًا من يريد أخذ جرعة إضافية، وهي عمليًا تؤدي إلى الامتلاء، وكما أن الطعام المادي إذا وصل إلى حالة الامتلاء له عوارض لاحقة، كالابتلاء بمرض معديّ أو معوي، ولا تستطيع أن تنام، وعوارض ومشكلات صحية أُخرى، فكذلك الامتلاء المعنوي وتحميل الإنسان ما لا يحتمل، والضغط على النفس أكثر مما تتحمل، لها ارتدادات وآثار سلبية، فادخل وأنت مُقبل، واخرج من الزيارة وأنت مُقبل، وأنت لا تزال في حالة عطش ولهفة وغير ممتلئ.

اقرأ القرآن في حالة من التوجه، وأنه التلاوة وأنت لا تزال منشدا إلى القرآن، لكي تبقى هذه الحالة حاضرة فيك دائمًا، فينبغي أن يكون أداء العبادات الجماعية من غير بطء يؤدي إلى هروب الناس، ولا سرعة تؤدي إلى تضييع العبادة، وعدم أداء أركانها، والتزام الاعتدال والوسطية هو المنهج الصحيح، (وَإِذَا قُمْتَ فِي صلاَتِكَ لِلنَّاسِ، فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّرًا)، بالبطء، (وَلاَ مُضَيِّعًا) بالسرعة، وهذا الذي ينطبق على الصلاة ينطبق على غيرها من عبادات وشعائر وممارسات وطقوس، فيجب أن تكون جميعًا حالة معتدلة ومتوسطة ومقبولة، لا تنفر الناس، ولا تضيّع تلك العبادة والشعيرة.

ثم يذكر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ سببين لهذا الأمر:

السبب الأول/ (فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ): المرض، فبعض الناس مرضى، لا يقدرون على الانتظار بسبب مشكلات صحية، فهم لا يطيقون الإطالة في الجلوس أو

في العبادة أو في الدعاء، فهؤلاء سيقعون في حرج من طول العبادة، إذ يكون للمكوث الطويل ارتدادات سلبية عليهم.

السبب الثاني/ (وَلَهُ الْحَاجَةُ): هناك صنف آخر لا يتحمل طول الصلاة لظرفه المعيشي، كأن يكون لديه عمل، أو التزام، أو موعد، أو مصلحة تركها وجاء للصلاة، إلى غير ذلك، فلا بد من مراعاة هذه الشرائح، وإقامة العبادة من صلاة أو غيرها من العبادات، بما يناسب الاعتدال والوسطية، وبما يناسب أضعف المأمومين وأضعف الحضور، وفي مجلسنا والحمد لله جلّ الحضور من الشباب، وقليل ممن صبغ شعره الأبيض، وهم جالسون على الكراسي في أتم الراحة، ولكن الأمر يختلف في حال العبادة، لأنّ فيها كبار السن، وفيها مرضى، وفيها من يريد اللحوق بعمله، فيحتاج إمام الجماعة ونحوه إلى أن يراعي أضعف الحضور في هذه الفعاليات.

ثم يستشهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ على هذا الأمر بما أوصاه به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حينما وجهه إلى اليمن، فيقول: (وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الَيمنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: «صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا».

الإضاءة الثانية: سيرة المعصومين في العبادات الجماعية

كانت سيرة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، في العبادات الجماعية، والممارسات الدينية الجماعية، كصلاة الجماعة والجمعة وغيرهما، وفي الأدعية الجماعية، تتمثل بالوسطية والاعتدال، فإن خطب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في صلاة الجمعة كما وردت في الروايات، أو خطب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو الائمة الآخرين، كانت أطول خطبة عندما يلقيها شخص منا لا تستغرق عشر دقائق، أو سبع دقائق، فخطب الجمعة وخطب العيد نجدها قصيرة، لأنها تلاحظ أضعف المأمومين.

وقد ورد في نهج البلاغة خطبة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يصف فيها سيرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يقول فيها: «حتى أفضت كرامة الله (سبحانه وتعالى) إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فأخرجه من أفضل المعادن منبتًا»، كان منبت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وطينته من أفضل المعادن، من طينة طاهرة، طيبة، نقية، «وأعز الأرومات»، جمع أرومة، وهي الأصل، «وأعز الأرومات مغرسا» أصله من أعز الأصول، فرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، من منبت طاهر وأصل نقي، «من الشجرة التي صدع منها أنبياءه»،

الأنبياء من أسرة واحدة، أصولهم واحدة؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾[٣٨].

«وانتجب منها أمناءه»، الله تبارك وتعالى اختار من يأتمنه على رسالته، وكانوا من أسرة واحدة، «عترته خير العتر»، أهل بيته خير أهل بيت، خير عترة وجدت، «وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت ـ يعني ارتفعت ـ في كرم»، هكذا هو رسول الله وأهل بيته، «لها فروع طوال، وثمر لا ينال»، كل واحد من أهل البيت له منزلة رفيعة لا تُنال، «فهو إمام من اتقى، وبصيرة من اهتدى، سراج لمع ضوؤه»، هناك من المصابيح ما يكون خافت الضوء، ومنها ما يكون متوهج الضوء، فرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ «سراج لمع ضوؤه»، سراج لامع يشع، «وشهاب سطع نوره، وزند برق لمعه»، الشاهد هنا؛ «سيرته القصد»، كانت سيرته الاعتدال؛ ففي العبادة اعتدال، في التعامل اعتدال، وفي جميع شؤون الحياة اعتدال، فكانت سيرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ القصد والاعتدال، «وسنته الرشد، وكلامه الفصل»، ليس هناك كلام فوق كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، «وحكمه العدل، أرسله على حين فترة»، الفترة هي الزمان الفاصل بين بعثة رسولين، «من الرسل»، بعثه الله (سبحانه وتعالى) نبيًا بعد انتظار، امتد من الرسول السابق إلى نبينا، «وهفوة عن العمل»، بعد أن زلّ الناس، والهفوة: الزلة، الانحراف، بعد أن زلوا وانحرفوا عن العمل بتعاليم الأنبياء السابقين، فجاء رسولنا الكريم برسالة جديدة ليقود الناس نحو الهداية، ويريهم الطريق الصحيح، «وغباوة من الأمم»[٣٩]، بعد أن وقع الناس في الجاهلية، فقد بُعث صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأمة كانت تعيش الجاهلية بكل أبعادها، وهو الغباء بعينه، إذن كانت سيرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هي الاعتدال.

وورد في نهج البلاغة أيضًا؛ قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نحن النمرقة الوسطى»، النمرقة هي الوسادة توضع خلف ظهر الجالس يتكئ عليها، ويسند ظهره إليها مباشرة، لأنّ بقية الأعضاء تستند إلى الظهر، والظهر هو العمود الفقري والأضلاع، وحينئذ سيكون جميع الجسم مستندًا إلى هذه الوسادة، فيشعر الجالس بالراحة والاطمئنان، فما ألطفه من تمثيل، فالنمرقة الوسطى هي الوسادة التي توضع في المنتصف ليستند إليها كل الجسم، والكل محتاج إليها.

٣٨. سورة آل عمران: الآية ٣٣- ٣٤

٣٩. نهج البلاغة ١: ١٨٤الخطبة ٩٤.

«بها يلحق التالي»، يلحق بها المتأخر، «وإليها يرجع الغالي»[٤٠]، يرجع إليهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من هو واقع بالغلو والإفراط، فأهل البيت هم المحور، والمرتكز، والمتكأ، ويجب على المتباطئ أن يلحق بهم، لأنّ المتقدم عليهم والمتأخر عنهم هالك لا محالة، كما ورد ذلك في دعاء الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ: «المتقدم لهم مارق، والمتأخر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق»[٤١].

«نحن النمرقة الوسطى»، الوسطية، والاعتدال، منهج أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في العمل، ويجب أن يرجع لهم الغالي والمفرط، لأنه متجاوز للحدود، ويجب أن يلحق بهم المقصّر، وإلاّ ضاع.

ورد في غرر الحكم عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «طريقنا القصد»[٤٢] منهجنا وطريقنا هو القصد والاعتدال.

وورد في بحار الأنوار عن زيد بن علي بن الحسين (زيد الشهيد) المدفون في بابل، في الحلة، قال في تفسير قوله تعالى: (وعلى الله قصد السبيل) [٤٣]: «سبيلنا أهل البيت القصد»، طريق أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ القصد، الاعتدال، الوسطية، «والسبيل الواضح»[٤٤]، يتسم منهجنا وسبيلنا بالوضوح، والاعتدال، والوسطية، فالاعتدال في العبادة أمر مهم.

الاقتصاد في العبادة.. بحث روائي

وقد أفرد المرحوم الكليني في كتابه الكافي، الجزء الثاني، بابًا كاملًا تحت عنوان باب الاقتصاد في العبادة، أي الاعتدال في العبادة، ويضم مجموعة من الروايات، نقرأ بعضها:

منها: عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إن هذا الدين متين»، مبني على أسس متينة قويمة، «فأوغلوا فيه برفق»[٤٥]، هذا الدين عميق،

٤٠. نهج البلاغة ٤: ٢٦ الحكمة ١٠٩.
٤١. الصحيفة السجادية: ٥٢، دعاؤه عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد ركعتي الزوال، وكذلك في صفحة ٢٠٣ دعاؤه عَلَيْهِ السَّلَامُ عند الزوال في كل يوم من شهر شعبان.
٤٢. عيون الحكم والمواعظ: ٣١٨.
٤٣. سورة النحل: الآية ١٠.
٤٤. بحار الأنوار ٢٤: ٢١ ح٤١.
٤٥. الكافي ٢: ٨٦ ح١.

وعندما تريد أن تدخل إلى التدين فادخل برفق، على مهلك، لا تذهب مسرعًا فيه، فقد لا تتحمل، لا تندفع فجأة، فالتدرج مهم، ففي مناهج التعليم يُعطى الطالب في الصف الأول الحروف والكلمات، ثم يزداد ويتطور ما يعطونه له كلما تقدم في العمر وازدادت مداركه، وهكذا حتى يطوي المرحلة الابتدائية، والمتوسطة، والإعدادية، والجامعية، وفي كل مرحلة يعطونه جرعة إضافية، وكذلك العبادة؛ فبعضهم يبدأ من الصفر، ويريد أن يطوي بسرعة مسيرة أعوام في أيام، فمثلًا يقرر مع دخول شهر رمضان قراءة عشرة أجزاء من القرآن الكريم في اليوم، وأن يصلي صلاة الليل بكل مستحباتها، ويصلي جميع النوافل اليومية، ولكن بعد أسبوعين يعجز عن مواصلة برنامجه، ويرتدّ على أعقابه القهقرى، فالعمل العبادي يحتاج إلى تدرج، كما هو الحال في العلم كما قدمنا، ولذلك فالذي يريد دخول طريق السلوك إلى الله (سبحانه وتعالى)، يحتاج أولًا إلى مرشد ومربٍّ، يزوره، ويرى ما هو مستواه، ويعطيه الدواء جرعة جرعة، لكي يتقدم بهدوء، فالتدرج شيء مهم جدًا.

«إنّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق»، لا تندفعوا اندفاعات متهورة، ولا تكلفوا أنفسكم ما لا تطيقون من الدين، فيؤدي بكم إلى إدبار وارتداد وإلى نتائج غير مرغوب بها.

«ولا تكرّهوا عبادة الله إلى عباد الله»، معروف ذاك الذي كان على ديانة أخرى وصار مسلمًا، وكان صاحبه الذي أرشده إلى الإسلام يريد أن يسرع به جدًا في مراتب الإيمان، فدعاه لأداء صلاة الفجر في المسجد بعد أن كان مستغرقًا في نومه، وقد كانت هذه أول ليلة له في إسلامه، واستغرب من إيقاظه في هذا الوقت المبكر ودعوته إلى المسجد، واستجاب الرجل لنداء صاحبه وخرج معه إلى المسجد، وصلى معه صلاة الفجر، وظن الرجل أنه سيرجع إلى بيته ليكمل نومه، ولكن صاحبه قال له: يستحب البقاء في المسجد إلى شروق الشمس والانشغال بتلاوة القرآن والدعاء، واستسلم الرجل لصاحبه، وبقي إلى أن طلعت الشمس، وخرج إلى داره لتناول فطوره والذهاب إلى محل كسبه ليطلب رزقه، وعند الزوال وحلول صلاة الظهر جاءه صاحبه وطلب منه اصطحابه إلى المسجد وأداء صلاة الظهر، فاستجاب الرجل وترك محل كسبه وجاء معه إلى المسجد، وبعد انتهاء الصلاة نهض الرجل للخروج، فطلب منه صاحبه البقاء في المسجد إلى حين صلاة العصر، وبقيا ساعة ونصف الساعة يشتغلان بذكر الله (عز وجل)، وبعد انقضاء صلاة العصر همّ الرجل بالخروج، ولكن صاحبه طلب منه البقاء لصلاة المغرب، وبقيا ساعتين في قراءة القرآن والدعاء، وبعد انتهاء صلاة المغرب

طلب منه البقاء سويعة لأداء صلاة العشاء، وبقي الرجل معه إلى ما بعد صلاة العشاء وافترقا، وعند حلول فجر اليوم الثاني جاءه صاحبه وطرق عليه الباب ليكرر عليه برنامج اليوم السابق، ولكن الرجل اعتذر وأخبره بعودته إلى دينه السابق، وقال له: إن دينكم لا يطاق، فلذلك يجب أن لا تكون العبادة بطريقة تكرّه الناس بها، نتيجة لإطالتها والتوغل فيها بشكل عميق وبجرعات كبيرة.

هناك بعض المتدينين يحتاط إلى درجة لا يطيقها من يعاشره، لأنه يفرض عليهم ما يفرضه على نفسه من الاحتياط في كثير من المباحات، فمعاشرة هذا الإنسان تحت غطاء التدين تسلب كل راحة، وبالتالي فالإنسان الذي يتمتع بطاقة التحمل يجب أن لا يحمّل الآخرين ما لا يطيقونه، وأن لا يتشدد مع أهله وأصحابه بنحو ينفرهم من العبادة ومن الدين.

«فتكونوا كالراكب المنبتّ»، الراكب المنبتّ هو المستعجل، إذ كان السفر على ظهور الخيل أو الجمال في صحراء قاحلة، يستغرق من مدينة إلى مدينة أياما طويلة، فيركب المسافر دابته ويجدّ السير من غير استراحة، أملًا في الوصول بوقت أسرع، متناسيًا أن هذه الدابة لا تتحمل السفر الطويل بهذه السرعة من غير استراحة، فتنفق الدابة قبل أن تقطع ربع المسافة، ويبقي الرجل حائرًا في وسط صحراء قاحلة، فلا هو وصل إلى مقصوده، ولا الدابة بقيت على قيد الحياة، فضيّع الطريقين، ولو كان قد سار باعتدال، ووقف للاستراحة في محطات الاستراحة، لوصل إلى مقصوده وبقيت دابته على قيد الحياة.

«كالراكب المنبتّ الذي لا سفرًا قطع»، ووصل إلى هدفه، «ولا ظهرًا أبقى»[٤٦] الظهر يعني الدابة التي يركب على ظهرها، فلا حافظ على الراحلة والمركب، ولا وصل إلى مقصده، وبقي في الصحراء تائها حائرا لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا، إلا أن تتداركه رحمة من ربه، فتمر عليه قافلة أو راكب يسعفه ويصحبه معه، وهذه هي نتيجة السرعة والعجلة، فلا بد من التدرج والسير بشكل هادئ، لكي يستطيع الوصول.

وفي رواية أخرى، عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «لا تكرّهوا إلى أنفسكم العبادة»[٤٧]، هذه الرواية لا علاقة لها بالآخرين، بل هي متعلقة بالإنسان نفسه، فلا ينبغي لإنسان أن يجور على نفسه بطريقة يكرّه بها العبادة إلى نفسه، فلا يفكّر إلا بالصلاة، وقد

٤٦. الكافي ٢: ٨٦ ح١.
٤٧. الكافي ٢: ٨٦ ح٢.

ألزم نفسه بالتزامات طويلة في هذه الصلاة، قد لا يكون مستعدًا لها في جميع الأوقات، ففي مثل هذه الحالة ينبغي تأخير الصلاة قليلًا لكي يحصل ذلك الاستعداد، وإلّا فعليه ترك بعض ما ألزم به نفسه من المستحبات، والاقتصار على الواجبات إلى حين حصول الاستعداد وإن استغرق ذلك أيامًا، ليستطيع الإتيان بالمستحبات كاملة فيها.

«لا تكرّهوا إلى أنفسكم العبادة»، ألزمت نفسك بدعاء تريد أن تقرأه في هذه الليالي الشريفة، كدعاء أبي حمزة الثمالي، وهو دعاء طويل، وقد لا تكون متهيئًا لقراءته بأكمله، وليس من الضروري أن تقرأ هذا الدعاء في كل ليلة، فاقرأ بعضا منه، وأكمله في الليلة الثانية، لكي تقرأ الدعاء وأنت مقبل، وتأنس به، وتتفاعل معه، ولا تقهر نفسك على قراءته مهما كان الأمر، فتكرّه الدعاء إلى نفسك.

وفي رواية أخرى، عن حنان بن سدير، قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «إنّ الله (عز وجل) إذا أحب عبدًا فعمل ذلك العبد عملًا قليلًا، جزاه بالقليل الكثير»، إذا كان الباب مفتوحًا مع الله (سبحانه وتعالى)، والعلاقة وثيقة معه، وإذا أحبك الله (عز وجل)، ألقى حبه في قلبك فتحبه، فتصبح العبادة من قلبك، بتوجه، بإمعان، بانقطاع، وحينها يجزيك الله تبارك وتعالى بالقليل الكثير، فقليل من العبادة بانقطاع، قليل من العبادة بتوجه، قليل من العبادة بإقبال نحو الله (سبحانه وتعالى)، يعطيك الله (سبحانه وتعالى) بها أجر الكثير من العبادة، وإن كانت قليلة، فالمهم هو النوعية، وليس المهم كم تصلي، كم ركعة مستحبة تصلي في هذه الليالي، وإنما المهم نوع الصلاة؛ توجهك في أثناء الصلاة، وليس المهم كم تقرأ من القرآن، وإنما المهم هو قدر توجهك عند تلاوة القرآن، وتأثرك بهذه الآيات القرآنية، وليس المهم أن تقرأ كل أدعية شهر رمضان؛ الأدعية النهارية والليلية، وهناك عشرات الصفحات في مفاتيح الجنان وقد لا تستطيع أن تقرأها، والمهم هو مستوى توجهك في قراءة هذه الأدعية.

«ولم يتعاظمه»[٤٨]، لا يستكثر الله (سبحانه وتعالى) أن يجزي بالقليل الكثير، فليس كثيرًا على الله أن يعطي بالقليل أجر الكثير من العمل، عندما يكون في هذا القليل حب، وانقطاع، وتوجه، وإقبال، فحينها يكون القليل كثيرًا عند الله (عز وجل).

وفي رواية أخرى، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «مر بي أبي ـ الإمام الباقر ـ وأنا في الطواف، وأنا حدث»، أيام الفتوّة عندما كنت شابًا وما زلت بقوتي، «وقد اجتهدت في العبادة»، حمّلت نفسي من العبادة الشيء الكثير، «فرآني وأنا

٤٨. الكافي ٢: ٨٦ ح٣.

أتصابُّ عرقًا»، كنت غارقًا بالعرق من كثرة الطواف، «فقال لي: يا جعفر يا بني، إن الله إذا أحب عبدًا أدخله الجنة، ورضي عنه باليسير»[٤٩]، لا يحتاج الأمر إلى الكثير، فلا تجعل نفسك في مشقة وتتعب نفسك بهذا المقدار، وركّز على نوع العبادة، لأنّ العبادة التي تركز على نوعها فتكون بإقبال، تورث محبة لله (سبحانه وتعالى)، وإذا دخلت محبة الله في قلبك، صار عملك عملًا نوعيًا، والله (سبحانه وتعالى) يقبل ذلك العمل، والقليل منه يكون كافيًا.

نسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يوفقنا للعبادة النوعية، وأن نكون وسطيين، فلا نترك كل شيء، ولا نقتصر على الواجبات فقط، وهناك شخص من جماعتنا كان يقول لي: أنا لا أصوم يوم الشك، ولا أصوم أي يوم آخر، إلا شهر رمضان، ولعله كذلك في صلاته؛ فلا يصلي إلا بمقدار الواجب، لماذا نقتصر على الواجبات فقط؟ مع أن المستحبات هي طريق التقرب إلى الله تبارك وتعالى.

البعض الآخر تأتيه فجأة ساعة رحمانية، فيدخل في عبادات وفي أعمال طويلة ومرهقة وشاقة، وهو عمليًا لا يستطيع أن يواصل، فبعد يوم أو يومين أو ثلاثة أو أسبوع يتعب، ويترك كل شيء، لذا فإنّ أفضل حالة ينبغي أن يكون عليها الإنسان هي الاعتدال؛ لا تقصّر ولا تبالغ، مارس عبادتك باعتدال، ومارس حياتك باعتدال، وهذا هو ما تحدثنا به سابقًا؛ العبادة بمعناها الخاص والعبادة بمعناها العام، عندما تأتي مقبلًا على الصلاة، أو الدعاء، أو الزيارة، تزداد محبة وعلقة بالله (سبحانه وتعالى)، وعملك في حياتك اليومية سيكون لله تبارك وتعالى، فيتحول كل عمل تأتي به إلى عبادة أيضا، وتكون كل الأعمال والأوراد وردًا واحدًا، كما أشرنا سابقًا، نسأل الله أن يجعل عبادتنا عبادة في توجه وإمعان وتركيز، وأن يوفقنا لحسن عبادته، باعتدال ووسطية.

أكتفي بهذا المقدار وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٤٩. الكافي ٢: ٨٦ ح٤.

المحاضرة السابعة بتأريخ ٣/ ٥/ ٢٠٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار، وأسال الله (سبحانه وتعالى) أن يجعلنا وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الفضيل وأن لا نكون من المحرومين.

كان حديثنا في الأيام الماضية في عهد أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) لمالك الأشتر حين ولاه مصر، وكنا نتحدث في المقطع السادس والعشرين من هذا العهد وهو التوصيات التي يقدمها أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) للقادة والحكام والمسؤولين والمتصدين في مواقع مختلفة، وانتهى بنا المطاف للحديث عن التوصية السابعة منها.

«التوصية السابعة: التواصل مع الناس»

يوصي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه التوصية المسؤول، مهما كانت مسؤوليته ومستواه، من القائد الأعلى إلى المستويات الأدنى في المنظومة القيادية، يوصيهم بالتواصل مع من هم تحت مسؤوليتهم، فعلى الحاكم أن يتواصل مع الناس، مع الرعية، وهكذا في كل المستويات.

إنّ التواصل المباشر يمثل مبدأ إسلاميًا في القيادة والإدارة، فإذا كنت مسؤولا فعليك أن تتواصل مع من أنت مسؤول عنهم، فتجلس معهم، وتتكلم معهم، فلا تحتجب

عنهم، وتمتنع عن لقائهم، فتعيش في فلك، وهم يعيشون في فلك آخر، فالمعايشة الميدانية والتواصل المباشر يمثلان ضرورة أساسية، ومفتاحًا من مفاتيح نجاح المنظومة القيادية بحسب الرؤية الإسلامية.

ونظرًا لطول هذه التوصية، وتضمنها لدروس عديدة، فقد جعلناها ثلاثة أقسام.

القسم الأول: تواصل المسؤول مع من هو مسؤول عنهم

(فَلاَ تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ): الاحتجاب هو الاستتار، والابتعاد، أي لا تُطل ابتعادك عن أناسك الذين أنت مسؤول عنهم، بل تواصل معهم في فترات قصيرة، ولا تغلق بابك، وأبقِ الأبواب مفتوحة للتواصل المباشر مع من أنت مسؤول عنهم، اجلس معهم، واستمع إلى من لديه كلمة، أو ملاحظة، أو اعتراض، أو شكوى، أو تظلم، أو من كان صاحب حق ضائع بسبب مسؤول في مستوى أدنى من المسؤولية، ولم تكن لديه قناة للوصول إليك ليقول لك: إنّ فلانًا ظلمني، أو إن فلانًا مقصر في حقي، فيستطيع من خلال الجلسة المفتوحة أن يشرح لك ويوضح أفكاره، وجهة نظره، تظلماته، شكواه، فلا يبقى شيء في نفسه إلا وعرضه عليك، وهكذا تبقى على اطّلاع مستمر بكل ما يحدث في دائرة مسؤوليتك، وتتكون لديك صورة واضحة عن منظومتك القيادية، سواء كنت رئيسًا أو وزيرًا أو قائدًا أو مسؤولًا في مساحة ما، وفي تلك المساحة أبقِ الباب مفتوحًا لتسمع وتعرف ماذا يعمل من هم في منظومتك القيادية؛ هل يعملون بشكل صحيح وفقًا للضوابط الموضوعة، أو يظلمون الناس ولا يؤدون واجباتهم بشكل صحيح؟ وحينئذ يتسنى لك الاطلاع على مشكلات الناس، وتستطيع وضع الخطط الكفيلة بنجاحها.

(فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلاَةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ): أما إذا حدثت فجوة وفاصلة بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم، فإنّ فيها تبعات خطيرة تؤدي إلى تأزم العلاقة بين هؤلاء ومسؤولهم، بينهم وبين قائدهم، بينهم وبين رئيسهم، بينهم وبين وزيرهم، أيا كان مستوى هذا المسؤول، فتتراكم المشكلات، ويرونه ظالمًا، أو في الأقل هناك أناس أنت تظلمهم، ولم تقف معهم، ولم تُزح الظلم عنهم، بل على العكس، تخلق نقمة لديهم، وردود أفعال سلبية، وسخطًا، وغضبًا، تؤدي إلى الضيق، والألم، والاحتقان، وسوء الظن، وزوال الثقة بين المسؤول وأولئك الناس.

(وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالأُمُورِ): عندما يبتعد المسؤول عمن هو مسؤول عنهم ولا يدري ما يدور حوله، تحدث لدى هؤلاء الناس كل يوم أشياء جديدة، ويصبح لا يعرف ما يفكرون به، وما هي مشكلاتهم، وما هي تحدياتهم، ويصبح غير قادر على التعاطي معها؛ لأنه لا يعلم ما الذي تحتاج إليه الناس.

(وَالاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ): عندما يحتجب المسؤول عن هؤلاء الناس، ينقطع عن المعرفة بما يدور في فلك هؤلاء الناس، فيتكلم بكلام يظن أنه سيفرحهم كثيرًا، وإذا به يغضبهم، أو يركز على شيء يحسب أنه هو الشيء الأساسي عند هؤلاء الناس، فإذا الناس لا يهتمون به، أو يتجاهل شيئًا يحسبه أمرًا بسيطًا ولا قيمة له، وإذا هو صاحب القيمة الكبرى والناس مهتمة به، وعندها سيتحدث الناس في واد، والمسؤول يتحدث في واد آخر، يعيش الناس في فلك، ويعيش المسؤول في فلك آخر، إذ لا يصله نبض الشارع، ولا يدري ماذا يريد الناس، ويتحدث بأمور لا تحظى بأهمية عند الناس، ويهتم بأشياء قد لا تكون الناس مهتمة بها، فتزداد الفجوة بينه وبين الناس، فيكون خطابه بعيدًا عن الناس، واهتماماته بعيدة عن اهتماماتهم، وحينئذ ينقطع ويبتعد عنهم.

(فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ): يحسب الشيء الكبير صغيرًا، فلا يهتم به؛ لأنه لا يمتلك معلومات عن اهتمامات الناس، وليس لديه تحديث لهذه المعلومات.

(وَيَعْظَمُ الصَّغِيرُ): ويحسب الشيء الصغير كبيرًا ومهمًا.

(وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ): يظن أمرًا ما قبيحًا جدًا، فيظهر أنّ الناس تريده وتحبه.

(وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ): وعلى عكس ذلك، يحسب أمرًا ما حسنًا عند الناس، فيحسّنه ويجمّله، وإذا بالناس لا تريده ولا تحبه، وكل ذلك بسبب انقطاعه عنهم.

(وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ): يشاب، يعني يلتبس الحق بالباطل، الأخضر باليابس، وتختلط الأمور على هذا المسؤول، فلا يدري ماذا يفعل، وماذا يريد الناس، فيمدح من لا يحبه الناس، ويذم من يحبونه، ويدين حالة معينة يريدونها، ويتبنى حالة لا يريدونها، فيكره الناس ما يقوله، ويُواجه بردّ فعل، ويثور الشارع بوجهه عند كل تغريدة يغردها، ويعترض عليه عند كل كلمة يتكلم بها، لأنه لا يعرف بالضبط ما هو نبض الشارع، وماذا يريد الناس، وبالطبع فإن هذا الاحتجاب يجعل المشكلة من طرفين، يمثل هو أحدهما، ويمثل الناس الطرف الآخر.

على المسؤول لعلاج هذه الحالة أن يجلس مع الناس، ويشرح لهم ويوضح؛ لماذا اتخذنا هذه الخطوة، لماذا شرّعنا هذا القرار، لماذا اتخذنا هذا الإجراء، لماذا فرضنا حظر التجوال، فيشرح ويوضح ويبيّن لمن هو قريب منه وللناس، ليعرفوا قيمته ودقته في عمله والخدمة التي يقدمها لهم، فقد يتفق أحيانًا أنّ المسؤول يقدّم خدمات كبيرة، ولكن الناس لا يعرفونها، وليس لديهم تفسير لمواقفه، فيعترضون عليه، ولذا يجب عليه أن يشرح لهم ليطلعوا على الإنجازات التي يقوم بها، وحينئذ يشكرونه، وتردم الفجوة بينه وبينهم، وسترتفع الإشكالية الناشئة من عدم فهم المسؤول لمرادهم، وترتفع إشكالية الناس في عدم فهم مواقف المسؤول بالشكل الصحيح والمناسب.

الإضاءات المستفادة من النص

الإضاءة الأولى: ضرورة تجنب الاحتجاب

أيها المسؤول، مهما كانت مسؤوليتك، سواء كنت مسؤولًا تنظيميًا، أو مسؤولًا في محطة، أو مسؤولًا في مركز اقتراع، أو مسؤولًا في مركز تموين، وسواء كان تحت أمرتك خمسون موظفًا، أو خمسمائة، أو خمسة آلاف، دعهم يروك، ولا يسمعوا باسمك فقط، ويجب عليك أن تتواصل معهم، وكذا إذا كنت مسؤولا عسكريًا، كآمر سرية أو آمر فوج، يجب أن يراك جنودك، وتختلط بهم، وتطلع على أحوالهم ومشكلاتهم، وتشرح لهم مواقفك، وتسمع وجهات نظرهم، واعتراضاتهم، وملاحظاتهم، وانتقاداتهم، وتوصياتهم، واقتراحاتهم، ويجب أن تبقى هذه العلاقة.

وحذار أيها المسؤول، أيها المتصدي، أن تبتعد عمن أنت مسؤول عنهم؛ لأن هذا الابتعاد يخلق فجوة بينك وبين هؤلاء الناس، ويؤدي إلى عدم اطلاعك على ما يدور بينهم، وعدم اطلاعهم على جهد المسؤول وإخلاصه وتفانيه والعمل الكبير الذي يقوم به لخدمتهم.

(وَأَمَّا بَعْدَ هذا، فَلاَ تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ)، تأمّلوا تعبير أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إذ يقول: (فَلاَ تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ)، فماذا يعني هذا؟.

يعني أنّ أصل الاحتجاب أمر واقع، ولكن لا تُطوِّلْ أيها المسؤول هذا الاحتجاب، فأنت لست شيخ عشيرة يجلس في مضيفه المفتوح من الصباح إلى الليل، والناس يدخلون ويخرجون طوال الوقت، يحتسون القهوة ويتكلمون معه في كل شيء، وإنما صرت مسؤولًا لأنك كُلفت بمهام وواجبات، وكلما كبرت مسؤوليتك وزادت مهامك،

يجب أن تضع الخطط، وتنفذ المهام، وتشكل الفريق، وتضع سياسات صحيحة للعمل، وتراقب الأداء، وتشرف على العمل، وتدقق في النتائج، وهذه المسؤوليات والمهام تأخذ وقتًا كثيرًا، ولا تستطيع فتح بابك في جميع الأوقات، ولذلك صرت مسؤولًا؛ لأنّ عندك مسؤولية، ولا يمكن أن نقيسك بشيخ عشيرة متفرغ لشؤون عشيرته وحل مشكلاتهم، فديوانه مفتوح للضيوف في كل وقت؛ لأنّ عمله هو هذه العلاقات الاجتماعية، ولا يستطيع أن يحتجب عن الناس.

أما المسؤول فلديه مسؤوليات، لذلك فإن اسمه مسؤول، ولا يستطيع أن يفتح بابه أربعا وعشرين ساعة للناس، والبعض يريد من المسؤول أن تكون أبوابه مفتوحة دائمًا، وأن يجيب على مكالمات الناس ولو في الساعة الثانية بعد منتصف الليل، ثم يعترض ويقول: أي مسؤول هذا الذي لا يجيب على الهاتف؟! وعلى هذا وأمثاله أن يتقي الله؛ هل الساعة الثانية بعد منتصف الليل وقت مناسب؟ أليس هذا المسؤول بشرًا، ولديه مشكلات، وظروف عائلية، والتزامات خاصة، ولديه حياته الخاصة، وجزء من هذا الوقت حق شخصي له كباقي البشر، ويريد أن يعيش حياته، فلديه زوجة وأولاد وعلاقات اجتماعية، حاله كحال بقية الناس، فهناك جانب يرتبط بحياته الشخصية، وهناك جانب واسع يرتبط بمهامه وواجباته ومسؤولياته، بالتخطيط والتنفيذ والإشراف والرقابة، وكل هذه تحتاج إلى وقت، فلا يستطيع أن يكون مستعدًا في كل لحظة لاستقبال الناس والرد على هواتفهم، ولكن من واجبه أن يخصص وقتًا لذلك.

يطلب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا من المسؤول أن لا يطيل احتجابه عن الناس، وأن يخصص وقتًا في فترات متقاربة للقائهم والاستماع إليهم، فالمتوقع من المسؤول أن يكون هاتفه مفتوحًا، وبابه مفتوحًا للتواصل مع الناس، ولكن ليس في أي وقت يختاره الناس، فهذا خطأ وغير ممكن؛ لأنه مسؤول ولديه واجبات ومهام لابد له من إنجازها، فلا يتسع وقته لأن يتواصل مباشرة مع الناس في كل الأوقات، وإن كان ذلك ممكنًا بشكل غير مباشر، إذا اقتنع الناس بطرق التواصل عبر القنوات الأخرى، ومن ناحية أخرى فإنّ المشكلات والواجبات يجب أن لا تكون ذريعة للاحتجاب الطويل عن الناس، بل يجب أن يتواصل معهم، ولكن كيف يتواصل؟ في كل زمان هناك أدوات للتواصل، ففي يوم ما لم يكن هناك هاتف، ولا سوشيال ميديا، ولا إنترنيت، ولا واتساب، ولا تلجرام، فالاحتجاب يعني أن يسد بابه ويمتنع من لقاء الناس، وعدم الاحتجاب يعني أن يفتح بابه ويجلس في ديوانه ويستقبل الناس.

وفي زماننا تطورت الحياة، وأُبتكرت هذه الوسائل الحديثة، واليوم في أزمة كورونا، تجد جامعات العالم ومدارسه تتواصل مع طلابها عبر هذه الوسائل، وتستمر الدروس، إذ يأتي الأستاذ وحده إلى الصف، ويضعون له كاميرا ويدرّس، والطلاب يجلسون في بيوتهم ويسمعون الدرس، ويسألون ويحصلون على الأجوبة، وهكذا أصبح العالم مختلفا.

وكذا الحال في المجالس الحسينية والمجالس الرمضانية، إذ يُعلن في وسائل الاتصال أنّ الخطيب الفلاني سيرتقي المنبر في الساعة الفلانية على الموقع الفلاني، ويحضر الناس هذه المجالس وهم جالسون في بيوتهم، ويستمعون على الهواء.

وكذلك لم تعد الطريقة الوحيدة للمسؤول في التواصل المباشر، أن يجمعهم في مكان ويجلس معهم، فهذه واحدة من الوسائل، فهناك سوشيال ميديا، فيس بوك، واتساب، برامج أخرى، يمكن من خلالها أن يكون المسؤول على تواصل مع الناس، ويستطيعون أن يوصلوا ملاحظاتهم في كل وقت، وكل هذا يدخل ضمن مبدأ التواصل المباشر، ولكن يبقى التواصل وجهًا لوجه له تأثيره الخاص الذي لا يتحقق عن طريق الأجهزة الحديثة.

إذن فهذا التواصل مطلوب، ويمكن الاستفادة من كل هذه الأدوات، ولكن يبقى المبدأ العام؛ مبدأ التواصل مع مَنْ أنت مسؤول عنهم، مبدأ إسلاميا ومفتاحًا أساسيًا من مفاتيح النجاح في المنظومة القيادية والإدارية، والمسؤول الذي لا يتواصل مع من هو مسؤول عنهم، لديه نقص كبير في هذا الجانب.

إن هذا المنهج يمثل منهجًا نبويًا؛ إذ كان رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، بموقعه الكبير ومشاغله الكثيرة ومهامه الرسالية الجسيمة التي كلفه الله (سبحانه وتعالى) بها، كان يتواصل بشكل دائم ومستمر مع الناس، وكان يأتي بنفسه ويقيم صلاة الجماعة والجمعة في المسجد النبوي، وفي ذلك الوقت لم يكن المسلمون يجمعون بين الصلاتين، فهم يأتون إلى المسجد خمس مرات في اليوم؛ الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، بالإضافة إلى حلقات الدرس، والجلوس بعد الصلاة لمن كان عنده سؤال أو حاجة، ولم يكن يمنع الناس من أن يسألوا عن كل ما يريدون، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يهتم بقضاء حوائج عائلته، فكان يذهب ويتسوق لعائلته بنفسه، فيدخل السوق ويراه الباعة والمتسوقة ويتحدثون معه، فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يعيش

معهم ويعرف المشكلات والقضايا كلها، وكان ملمًا بها ومطلعًا عليها، هكذا كان منهج رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ.

ورد في كتاب عيون أخبار الرضا: سأل الإمام الحسين أباه أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليهما)، عن صفات رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، فأجابه أمير المؤمنين عَلَيْهِٱلسَّلَامُ وذكر له هذه الصفات التي نقتصر منها على موضع الشاهد:

«ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس»[٥٠]، يسأل الناس عما يدور بينهم، عن مشكلاتهم، عن قضاياهم، عما يدور في الشارع، في السوق، ماذا يقول الناس، ما هي ملاحظاتهم، واعتراضاتهم، وما الذي يفرحهم، وما الذي يحزنهم، فكان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يسمع دائمًا، ويسأل الناس عما في الناس.

وفي هذا السياق ورد في نهج البلاغة؛ في رسالة أرسلها أمير المؤمنين عَلَيْهِٱلسَّلَامُ إلى قثم بن العباس، وكان عامله على مكة، قال فيها عَلَيْهِٱلسَّلَامُ:

«أما بعد، فأقم للناس الحج»، أنت الوالي على مكة فأقم للناس الحج، علّمهم كيف يحجون بيت الله الحرام، ويحيون هذه الشعيرة.

«وذكّرهم بأيام الله»، الأيام المباركة، الأيام التي فيها إنجازات وانتصارات إلهية، كيوم بدر، ويوم خيبر، ويوم المباهلة، ويوم الغدير، ليحيي الناس هذه الأيام؛ لأنّ الإنسان يقوى بتأريخه دائمًا، ويَعتبِر مما جرى على الأمم السابقة؛ الأيام التي حلّ فيها عذاب إلهي بالناس، بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، اشرحها للناس لتعيش حالة الخوف وحالة الرجاء؛ الخوف من العذاب الذي حل بالناس بسبب المعصية، والرجاء بسبب ما حصل في الأيام المباركة من الإنجازات والانتصارات.

«واجلس لهم العصرين»، العصرين يعني الغداة والعشية، تجمع للتغليب، يقال العصرين، والظهرين، والعشاءين، وهنا نقول (الإمامين الجوادين)، و(الإمامين الكاظمين)، ونعني الإمام موسى الكاظم والإمام محمد الجواد (عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ)، والعصرين: يعني الوقتين صباحًا ومساء.

«فأفتِ المستفتي»، الذي يسأل عن مسألة، يستفتي بشأن واقعة، أعطه موقفه الشرعي فِي هذا الأمر.

٥٠. عيون أخبار الرضا ٢: ٢٨٤ح١.

«وعلّم الجاهل»، الذي لا يعرف شيئا وسألك عنه، فأجبه، وعلّمه، واشرح له، ووضح له.

«وذاكر العالم»، العالم الذي يعرف، تحاور معه، ونضج فكره أكثر، واستفد منه، وخذ بيده إلى آخرته.

«ولا يكن لك إلى الناس سفيرًا إلاّ لسانك»، لا تبقَ جالسًا في مقصورتك وترسل فلانًا وفلانًا ليتواصل مع الناس، بل اجعل ما ينطق به لسانك سفيرًا لك تتواصل به معهم، لأنك الأقدر على أن تشرح مشروعك، وتوضح للناس إنجازاتك، فإنّ الشخص الذي ترسله لا يغني عنك، وقد جاء في المثل: (ما حك جلدك مثل ظفرك)، فأنت تستطيع أن تشرح وتوضح الأمور بالطريقة الأفضل، وتتحدث عن إنجازاتك، ومشاريعك، ورؤاك، وأفكارك، واستشرافك للمستقبل، وماذا تريد أن تعمل لهؤلاء الناس، وكيف تفكر، فأنت أقدر من غيرك على شرح هذه الأمور، فلا تحولها للآخرين، واعمل هذا الشيء بنفسك.

«ولا حاجب إلاّ وجهك»، لا تجعل حاجبًا وحمايات يمنعون الناس من لقائك، بل واجه الناس بنفسك، وتكلم معهم.

«ولا تحجبن ذا حاجة عن لقائك بها»، لا تمنع صاحب الحاجة من لقائك، ولا يصل إلى بابك فيرجعه موظفو مكتبك. . لماذا تمنع صاحب الحاجة من لقائك؟ حاول أن تعرف ماذا يريد وحل مشكلته.

«فإنها إن ذيدت»، إذا دفعت صاحب الحاجة ورفضت أن تسمعه ومنعته.

«عن أبوابك في أول وردها»، منعتها في أول وصولها، ورفضت النظر فيها.

«لم تُحمد في ما بعد على قضائها»[٥١]، فإنك لو قضيتها بعد ذلك لم تشكر عليها؛ لأنّ صاحبها مصدوم منك عندما أرجعته بيد خالية في المرة الأولى، وكان ينبغي عليك أن تستقبله وترحب به، وتعِدُه بالنظر فيها، وإذا لم يكن هناك مانع فستقضيها له، فيخرج من عندك وهو شاكر لك، هذا هو التعامل وفقًا للمنهج الإسلامي؛ استقبله، احتضنه، اشرح له، اعتذر منه، وهذا أمر مهم جدًا لتحقيق النجاح، ولزرع الثقة عند الناس في المسؤول.

٥١. نهج البلاغة ٣: ١٢٧كتاب ٦٧.

إذن لا يوجد ما يسد الفجوة بين المسؤول، القائد، المدير، ومن هو مسؤول عنهم، مثل التواصل المباشر معهم، فالذي يؤمن بالآخرة ويعمل لله، الذي لا يتبع هواه، ولا يكون أنانيًا، ولا يتعالى على الآخرين، الذي يبحث عن الحق والحقيقة، ويريد أن يكون عادلًا، عليه أن يتواصل بشكل مباشر، أما تقارير الأدوات الأخرى، فالناس تحب وتتكلم وتكره وتتكلم، والمسؤول الأدنى منك، الذي يكتب لك التقرير، قد يخفي بعض الأشياء أو يتجاهلها أو يبعدها لكي لا يزعجك، ولا يؤذيك، ولكي لا يحصل لديك انطباع أنه مقصر بشيء، فيعرض الأمور بصورة مثالية دائما، حتى تقول عندما تقرأ التقارير: هذه هي المدينة الأفلاطونية الفاضلة؛ فكل شيء على ما يرام، كل شيء مثالي، والواقع ليس بهذا النحو؛ فهو ليس مثاليًا، بل فيه مشكلات.

خذ التقارير واطّلع عليها، ولكن لا تكتفي بها، فلديك قنواتك المباشرة التي تراقب، وتستطيع أن تأتيك بمعلومات أكثر دقة مما يأتيك به صاحب التقرير، وعندما يعرف صاحب التقرير أنّ هناك أكثر من جهة توصل لك المعلومات، وأنه إذا أخفى قضية، أو غيّرها، فيمكن أن تصل إليك بعد ذلك، وسوف يتبين أنه لم يكن موضوعيًا في تقريره، ولم يكن صادقًا، وأنه لم يبيّن لك كل الحقيقة، فحينها سيكتب تقاريره بشكل أحسن وأدق.

إنّ التواصل المباشر يساعد حتى في تصحيح سلوك المسؤولين الأدنى والمنظومة القيادية؛ إذ سيخافون ولا يستطيعون بعدها أن يخفوا بعض الأشياء؛ لأنهم يعلمون أنها سوف تصل للمسؤول بعد ذلك، وسوف يدفعون ثمن إخفائهم لها، مما يعرض وظيفتهم إلى الخطر.

إذن مهما كانت الصعوبات، والمعوقات، والمشاغل، والالتزامات، يجب أن تخصص أيها المسؤول وقتًا لكي تلتقي الناس، ولا تتحجج بكورونا، واجلس في قاعة كبيرة، وضع فواصل بين الناس، واجلس مع من هم تحت إمرتك، وتحدث معهم، واشرح لهم، عبر وسائل التواصل، أو بأي طريقة أخرى، ولا تقطع بأي حال من الأحول مثل هذا التواصل.

لقد ورد في رسالة وجهها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قيس بن سعد بن عبادة، وكان قد جعله واليًا على أذربيجان، قال له:

«فألن حجابك»، ألن من الليونة، يعني خفف الفواصل بينك وبين الناس، وتواصل معهم.

«وافتح بابك»، افتح أبوابك لتأتيك الناس وتبين أفكارها وآراءها واعتراضاتها.

«واعمد إلى الحق»، وكن إنسانًا حقانيًا وموضوعيًا، ولا تفرق بين الناس.

«فإن وافق الحق ما يحبو سره»، يحبو من المحاباة، وسره يعني عشيرته، جماعته، حزبه، تياره، فلا تأت برهطك وتمكنهم من المنصب الذي أنت فيه، من الوزارة التي استوزروك فيها، فتعيّن حزبك بحجة أنها حصتكم واستحقاقكم الانتخابي، وتترك الآخرين، ولاسيما أولئك الذين لا ينتمون إلى أحزاب حكومات المحاصصة، كلا، فأنت من موقع المسؤولية يجب أن تكون عادلًا، أن تكون حقانيًا، أن تكون منصفًا، فتقرب من هو الأكفأ والأقدر وتعطيه المسؤولية، لا تجعل منطقك أن هذا ليس من جماعتنا فلا أقربه وإن كان هو الأكفأ، وأقرّب من كان من جماعتنا وإن لم يكن الأكفأ، فلا محاباة على أساس المحسوبية والمنسوبية، فهذا خلاف الحق.

لا تجعل لك جماعة ورهطًا، فتهتم بهم وتترك الآخرين، بل تعامل بحقانية مع الجميع، من دون محاباة، أو محسوبية ومنسوبية، أعط كل ذي حق حقه، وسلّم الراية للأكفأ والأكثر نزاهة والأقدر، سواء كان من رهطك أو من غيرهم.

«ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله»[٥٢]، لا تعمل بهواك، لا تقرّب من تهواه، من أقاربك وجماعتك وأصدقائك وتترك الآخرين، بل كن حقانيًا وموضوعيًا.

ثم يستشهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بالآية الشريفة: (إنّ الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب)[٥٣].

إذن يشير أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا النص إلى أن المسؤول الذي يبتعد عن الناس، عن الذين هو مسؤول عنهم، تحدث له مشكلتان:

أولًا: ترتبك العلاقة الإنسانية بينه وبين هؤلاء الناس، وتحدث أزمة ثقة، وفجوة، فلا يستطيع أن يفهمهم، ولا هم يستطيعون أن يفهموه، وتتباعد الأمور بينهما.

ثانيًا: ابتعاد المسؤول عن رحمة الله (سبحانه وتعالى)، فإذا لم يتواصل مع الناس الذين هو مسؤول عنهم، ولم يكن قريبًا منهم، فإنّ رحمة الله لن تشمله.

وفي رواية عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قال: «وأيما والٍ»، مسؤول، قائد، حاكم.

---

٥٢. تأريخ اليعقوبي ٢: ٢٠٢.

٥٣. سورة ص: الآية ٢٦.

«أغلق بابه دون ذوي الخلة والحاجة والمسكنة»، سد بابه دون الناس من أصحاب الحوائج، فلم يسمع لهم ليعرف ما هي مشكلاتهم وحاجاتهم.

«أغلق الله بابه عن خلته وحاجته ومسكنته»[٥٤]، عندما يحتاج هذا المسؤول إلى الله (سبحانه وتعالى)، فإنّ الله يسد بابه دونه، ثم يدعو ويتوسل لقضاء حاجته فلا يستجاب له، وترجع دعواته إليه لأنها تجد أبواب الله مغلقة دونها، لأنه عندما كان يقدر على قضاء حوائج الناس أغلق بابه دونهم، فكذلك اليوم يغلق الله تبارك وتعالى بابه دونه، فلا يقضي له حاجة، فكما تُدين تدان، وحينئذ ستكون بعيدًا عن رحمة الله، والعياذ بالله.

الإضاءة الثانية: النتائج الكارثية للاحتجاب

إنّ للاحتجاب عن الناس، وعدم التواصل معهم، آثارًا ونتائج كارثية، فمن ناحية يضر الناس؛ لأنه يحرمهم حقوقهم؛ فلا يستطيعون أن يتظلموا، ويعترضوا، ويشتكوا، ويبيّنوا أفكارهم، ويعطوا ملاحظاتهم، ويقدموا مقترحاتهم، ويشتكوا من المسؤولين الأدنى لهذا المسؤول الكبير، فإذا لم يكن هناك طريق مباشر إلى المسؤول الأعلى كيف يستطيعون أن يشتكوا من المسؤول الأدنى؟ فتحدث مشكلة.

بالإضافة إلى ذلك فإنّ الاحتجاب يقطع الطريق على بيان أفكارهم، آرائهم، مقترحاتهم، ملاحظاتهم، في تطوير العمل، فهناك إبداعات وأفكار تأتي من العاملين في المنظومة القيادية لا يفكر بها المسؤول أبدًا، وهؤلاء قادرون على إعطاء أفكار تسهم في تطوير العمل، فإذا فقدوا فرصة التعبير عن الرأي، فلن يستطيعوا حينئذ الاعتراض أو الاقتراح أو إبداء الملاحظات، فيبقى هؤلاء مثل قدر الضغط، يزداد الألم شيئًا فشيئًا إلى أن ينفجر؛ لأنه لا توجد طريقة للتنفيس، وسوف ينفجر بطريقه خاطئة، فتجد أحدهم ينشر فجأة بيانًا شديد اللهجة على الفيس بوك، يهتك فيه المسؤول أمام الناس، ثم يزيد من درجة احتجاجه فيخرج في تظاهرة، ثم يزيد من احتجاجه فيعمل اعتصامًا، فيخيّم في الساحات ويقطع الشوارع، ويحدث كل ذلك بسبب عدم توفير فرصة التعبير عن الرأي، والاعتراض بالطريقة الصحيحة أمام المسؤول.

حين يغلق المسؤول بابه، فإنّ الناس سوف تنفس عن غضبها واعتراضها بطريقة أخرى، قد تكون خارجة عن القانون، قد تكون مدمرة، قد تكون سلبية تضره،

٥٤. الاستيعاب لابن عبد البر ٣: ١٢٠٠.

وتضر البلد، وتضر الحالة العامة، فتبعات الاحتجاب خطيرة إلى درجة قد تؤدي إلى انفلات، إلى حرب أهلية، عندما يعترض الناس ويتحركون، وتتدخل الدولة فتقمع وتقتل، فتزداد حدة الاحتجاجات وتتحول إلى حمل السلاح، وتتدخل الأحزاب بين مؤيد ومعارض لاستعمال العنف، ويتطور الصراع شيئًا فشيئًا، ويحمل الناس السلاح بعضهم ضد بعض، وتنشب حرب لها أول وليس لها آخر، فالاحتجاب قد يؤدي إلى حرب أهلية، وقد يؤدي إلى احتجاجات واسعة تطيح بالنظام السياسي.

انظروا إلى عمق الإسلام ودقته في بناء ملامح المنظومة القيادية التي يُحفظ بها النظام، ويُحفظ بها الوضع العام، ويلبي بها مطالب الناس أيضًا، فهذا الاحتجاب يحرم المسؤول، القائد، الحاكم، الوزير، المدير، في أي مسؤولية كان؛ يحرمه من الاطلاع على حقيقة ما يجري، وبماذا يفكر الناس، وما هي مشكلاتهم، وما هي احتياجاتهم، وما هي معاناتهم، ولذلك عندما يريد أن يخدم تراه لا يعرف شيئًا، وبالنتيجة لا يعرف كيف يعمل، فليس لديه احتكاك مع الناس، فلا يملك تصورا عن احتياجاتهم، وهذا الجهل بما يريده الناس، ينعكس سلبًا في قراراته، في توجيهاته، في خطواته، فقد يتخذ إجراءات يكون لها ارتداد عكسي، كأن يشرّع قانونًا يريد أن يخدم به الناس فتكون النتيجة عكسية، كما لو شرّع قانونًا لحماية المحامين، فيرى في اليوم الثاني تظاهرات للمحامين اعتراضًا على القانون، كما يقول المثل الشعبي: (أراد أن يكحلها فأعماها)، فقد شرّع هذا القانون لكي يخدم هذا الصنف، فثاروا بوجهه معترضين؛ كيف تصدر تشريعًا لشريحة من الناس، ولم تجلس معهم، ولم تسمع لهم، ولم تعرف ما هي مطالبهم لكي تضعها في القانون، كيف تشرع قانونًا قبل أن تعرضه على الناس المستفيدين منه، على الجهة المستفيدة، لتنظر هل هذا القانون يفيدهم أو لا يفيدهم؟ وما هي ملاحظاتهم؟.

(فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلاَةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ)، يؤدي إلى فجوة، وهذه الفجوة تؤدي إلى تناقضات وإشكالات، تؤدي إلى أزمة ثقة بين المسؤول والرعية، (وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالأُمُورِ)، وجهل بالأمور، فتريد أن تخدمهم فتضرهم من غير أن تعلم، تؤذيهم وتستفزهم وانت تريد أن تخدمهم، فيجب أن تكون هذه العلاقة علاقة مباشرة ومتواصلة، فالحكومة التي تغلق منافذ الاستماع المباشر إلى مطالب الناس، وإلى تظلماتهم ومعاناتهم وآلامهم؛ تحرم نفسها من الطريقة العلمية والمنهجية للوصول إلى الحقيقة، واتخاذ الخطوات الصحيحة التي تنسجم مع الحقائق والوقائع، فتتخذ خطوات تكون لها ارتدادات عكسية.

(وَالاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ)، الاحتجاب عن الناس يجعلهم لا يعرفون ماذا تعمل، ويجعلك لا تعرف ما هي معاناتهم ومشكلاتهم.

(فَيَصْغُرُ عِندَهُمْ الْكَبِيرُ، وَيَعْظَمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ، وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ)، مع الاحتجاب وعدم التواصل تكون المسارات التي تأخذها الحكومة، تأخذها المنظومة القيادية، أيًا كانت؛ تكون خاطئة، وتأتي بنتائج عكسية وغير سليمة وغير مناسبة؛ لأنها تعتمد على معلومات مغلوطة أو منقوصة أو غير دقيقة، فترتب الأثر وتتخذ القرارات على ضوء هذه المعلومات المنقوصة أو غير الصحيحة أو المبالغ بها، فتأتي القرارات والإجراءات غير مرضية للناس، فتزيد من سخطهم، كهذا المسؤول الذي يريد أن يخدم فيصدر قرارًا بإرجاع مائة ألف منتسب إلى الخدمة؛ من أجل إرضاء المعترضين، وعندما يفتح عينيه يجد أنه أثقل الموازنة بمليارات الدولارات، وتبيّن أنّ هؤلاء المائة ألف لم يقف واحد منهم في ساحات الاحتجاج، بل كان هؤلاء من الهاربين من حرب داعش.. عجبا! لقد خصصت مليارات الدولارات لترضي هؤلاء الناس، ثم لم تفعل شيئًا، وكل الذي عملته أنك أنفقت كل هذه الأموال على أناس آخرين لا علاقة لهم أصلًا بالاحتجاجات، وكانوا السبب في كثير من المشكلات.

إذن حتى الحلول والمعالجات تأتي مبتورة منقوصة سلبية تزيد من الاحتقان، حتى تصل اللحظة التي يعترف فيها بأنه لا يفهم شيئًا، فالقرار الذي اتخذه لخدمة شريحة معينة يأتي بمردود عكسي... ذلك لأنك لم تخدمهم بالطريقة التي يريدونها، فأنت لا تعرف ماذا يريدون، بل أنت جالس في برجك العاجي وتقدر ماذا يريدون، وشتان بين ما أنت تريده للناس، وما يريده الناس لأنفسهم.

أنت مسؤول عن هؤلاء، ويجدر بك أن ترى ماذا يريدون، ما هي مشكلتهم، ومثلك كمثل من يشكو وجعًا في رأسه، فيُعطى علاجًا لمعالجة مرض آخر، وعند الاستعمال تظهر آثاره الجانبية، فيضره هذا العلاج ولا ينفعه، وهكذا هي المعالجات الحكومية للمشكلات؛ تزيد الطين بلّة، فهي تعمل وتتعب وتنفق وتحسب أنها تخدم الناس، وهي في الحقيقة تستفزهم بشكل أكبر، نستجير بالله من هذه الحالات.

لذلك يمثل الاحتجاب عن الناس خطرًا كبيرًا على المنظومة القيادية، ولابد من التواصل المباشر مع الناس.

أكتفي بهذا المقدار وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته

المحاضرة الثامنة بتأريخ ٤/ ٥/ ٢٠٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار، وأسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يوفقنا في هذا الشهر الفضيل، وأن يجعلنا من المرحومين وأن لا نكون من المحرومين.

كان حديثنا في عهد أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، لمالك الأشتر حين ولاه مصر، وكان حديثنا في المقطع السادس والعشرين من هذا العهد، وهو جملة من الأحكام والتوصيات التي يقدمها أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، للحكام والمتصدين للمواقع القيادية والإدارية، وكان الحديث في التوصية السابعة، التي كانت تتحدث عن الاحتجاب وخطورة هذا الأمر، قلنا إن هذه التوصية تشير إلى عدة نقاط، وهي طويلة فقسمناها إلى ثلاثة أقسام، بالأمس تحدثنا عن القسم الأول منها، واليوم نأخذ القسم الثاني

القسم الثاني: بشرية القيادة والإدارة

(وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لاَ يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الأُمُور): توارى يعني خفي، يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: الوالي بشر كسائر البشر، وإنسان كسائر الناس، إذا خفيت عليه أمور من شؤون الناس فهو يجهلها، فليس عنده علم الغيب، ولا يعرف حقائق الأمور من تلقاء نفسه، ولكنه يعرفها من خلال احتكاكه بالناس، من خلال استماعه لهم، من خلال اطّلاعه على مشكلاتهم، من خلال تواصله معهم، من خلال الإلمام بهمومهم، باعتراضاتهم، بشكاويهم، بأحلامهم، بتمنياتهم، فعندما

يحتك المسؤول بالناس يستطيع أن يعرف ما يجري بينهم، أما إذا كان بعيدًا عنهم، وجالسا في برج عاجي، مبتعدا عنهم، لا يسمع لهم، لا يحتك بهم، فكيف سيعرف مشكلاتهم وهمومهم؟، فمن الطبيعي أن يخفى عليه الكثير من الحقائق ذات الصلة بهؤلاء الناس، وستخفى عليه كل الأمور التي لا يعرفها، ولم تصل إلى مسامعه.

(وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ): ضروب أي أنواع، يعني ليس للحق شكل خاص يُعرف به؛ ما هو الحق، وما هي الأمور الكاذبة التي ليست بحق، ما هي الرؤية الصحيحة، وما هي الرؤية الخاطئة، فالأمور ملتبسة، والحق يحتاج إلى أن يذهب الإنسان ويتحرى عنه لكي يعرفه، فكلام الناس كثير، وكل شخص يتكلم بشيء يختلف عما يتكلم به الآخرون، فما هي الحقيقة؟ من هو الذي يتحدث بالصدق؟ فالكلام بحد ذاته ليس فيه إشارة، وربما يتصور البعض أن الكلام الصادق يخرج بطريقة معينة، يخرج منه نور، فيعرف أن هذا صادق وذاك كاذب، والواقع أنه لا توجد سمات وأوصاف كهذه للكلام تميز الصدق من الكذب، بل يختلط كل شيء، فهذا يقول شيئا، وذاك يقول شيئا آخر، ويسمع المتصدي، القائد، المسؤول، تقييمات مختلفة عن قضية واحدة، وهنا ينفعه احتكاكه بالناس، التصاقه بهم، استماعه لهم من مشارب مختلفة، فهذا يأتي يتكلم عن براءته، ويأتي ذاك ولديه شكوى من منطقة معينة، ويفاجئه بسؤال عفوي ويأخذ الجواب، ويقاطع المعلومات ويصل إلى استنتاج عما يدور في خاطره، فالقائد الناجح، المتصدي الناجح، المسؤول الناجح، هو الذي تكون لديه القدرة على معرفة نبض الشارع؛ بماذا يفكر الناس؟ ماذا يريدون؟ ما الذي يحتاجون إليه؟ بماذا يحلمون؟ لكي يستطيع أن يساعدهم في تحقيق طموحاتهم وأحلامهم، ومعالجة التحديات والأمور التي تزعجهم مثلًا.

الإضاءات المستفادة من النص

في هذا القسم من التوصية ـ توصية التواصل مع الناس ـ هناك العديد من الإضاءات:

الإضاءة الأولى: ماهية القيادة والإدارة البشرية

إن القيادة والإدارة ماهيتها بشرية؛ فالقائد والمسؤول إنسان، فلا تتصوروا أنه يمتلك مواهب خارقة، قدرات ما وراء الطبيعة، فيعلم الغيب لأنه صار مسؤولًا، ولأنه صار مسؤولًا صار مسددًا من الله، وقد سمعتم بالألقاب الرنانة التي كان الحكام والسلاطين

من بني أمية وبني العباس وغيرهم يطلقونها على أنفسهم؛ كالمنصور بأمر الله، وغير ذلك من الألقاب، فما إن ينصّب بموقع قيادي حتى يضع لنفسه هالة من القداسة؛ فهذا مسدد، وهذا لا يخطئ، وإذا أومأ بيده إلى جهة فمعنى ذلك أنه يوجد شيء، وأنه يعرف كل شيء، كلا، فهو لا يعرف كلّ شيء، والقيادة ماهيتها بشرية، والبشر خطّاء بطبعه، ومعلوماته على قدر معطياته، فبقدر ما يحصل عليه من معطيات تتوافر لديه معلومات إضافية، ويستطيع أن يقيّم الأمور ويعرف الحقائق بهذا المقدار، فالمسؤول لا يعلم الغيب، والأدوار القيادية لا تمنح الإنسان قدرات فائقة تتجاوز الطبيعة، بل يبقى بشرا، يتحرك ضمن معطياته، ولا معنى للشعور بالقداسة أو إعطاء هالة من القداسة لشخص تصدى إلى مواقع المسؤولية.

(وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ)، حاله كحال أي واحد منا، ومعرفته وتقييماته مبنية على المعلومات التي تصله، وبقدر ما تكون هذه المعلومات واسعة ودقيقة، تكون عنده معرفة دقيقة وتشخيص دقيق، وبقدر ما تكون معلوماته خاطئة ومبعثرة ومبالغًا فيها ومكذوبة، يفقد المعرفة الدقيقة والتشخيص الدقيق، فمعرفته ستكون مشوهة ومشوشة عن الواقع، فتؤدي إلى قرارات غير صائبة وغير سديدة.

(لاَ يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الأُمُورِ)، الشيء الذي يخفيه عنه الناس لا يعرفه، فهو يعرف الأشياء التي تصله فقط.

إن الشعور والانطباع بقداسة المسؤول والمتصدي؛ لا أحد يستطيع أن يكلمه بشيء، لا أحد يستطيع أن يعترض عليه بشيء، مسدد من الله مثلًا، هذا يجعله خارج دائرة النقد والتقييم والاعتراض وما شابه ذلك، فإذا كان مسددًا من الله فمعنى ذلك أنك لا تفهم شيئًا، وهو الذي يفهم فقط، وليس لك حق الاعتراض عليه، لأنك تعترض على الله، فالمعترض على الحاكم، الوالي، معترض على الله، لأنه مسدد من الله سبحانه، ولكن المدرسة الإسلامية الأصيلة، تقول بأنّ الحاكم ماهيته بشرية؛ فهو يقع في أخطاء البشر، ولذا يجب أن يُقيّم عمله، يُقيّم أداؤه، فيجب أن يتابع ويقّيم ويُنقد ويُعترض عليه إذا كانت الخطوة خاطئة، وإذا غاب التقييم، وغابت الرقابة، باعتباره مسددًا من الله، فأي إصلاح يُرتجى حينئذ؟ فهو يمشي بهواه، والناس من حوله كل بيده ورقة وقلم يكتبون ما ينطق به، ولا أحد يستطيع أن يفكر بشيء، فالعقول كلها تتجمد، ولا أحد يعطي نصيحة، أو يبدي موقفًا، وإن كان واضحًا أنّ هذه الخطوة من الحاكم خاطئة، وهذا الإجراء غير سليم، فلا يحق لأحد الكلام لأنه مسدد من الله، وهذا خطأ كبير؛ فالوالي بشر، والماهية البشرية للمتصدي، للمسؤول، للقائد، توقعه في الخطأ؛ لأن مواقفه

كلها مستندة لمعطياته ومعلوماته، فإذا كانت معلوماته دقيقة، وتشخيصه صحيحًا، تكون الخطوة التي يتخذها على أساس التشخيص الصحيح خطوة صحيحة، مثل الطبيب الذي يستعمل أجهزة متطورة ليكتشف ما هو المرض، فعندما يكون لديه تشخيص دقيق يستطيع أن يعطي وصفة صحيحة، أما إذا لم يستطع تشخيص المرض بنحو صحيح، رجمًا بالغيب، أو على أساس الحدس، فقد يصيب وقد يخطئ، والعلاج الذي يعطيه على ضوء تشخيصه، إذا كان تشخيصًا خاطئًا، يكون علاجًا خاطئًا أيضًا، ولا يحل مشكلة المريض، بل يزيد الطين بلة، ويفتح للمريض مشكلة جديدة، نتيجة العوارض الجانبية للعلاج الذي استخدمه، والذي لم يكن علاجًا صحيحًا.

حين يُنظر إلى المتصدي والقائد والمسؤول على أنه يتمتع بالقداسة، وأنه مسدد من الله، سيغيب أي كلام عن إصلاح وتطوير ومراجعة المواقف، وطبعًا يُفترض بالمسؤول أن يلوذ بالله (سبحانه وتعالى)، ويتوكل عليه، ويطلب منه التسديد، ويأتي التسديد الإلهي كثيرًا للمتصدي المتدين الصالح، ولكن أن يطلب هو التسديد، ويتكرم الله (سبحانه وتعالى) عليه بالتسديد بالمواقف شيء، وأن ينظر الناس إليه على أنه المسدد الذي لا يخطئ، ولا يتخذ موقفًا غير سديد، ومواقفه هي الحقيقة وهي الحق دائمًا، شيء آخر؛ لأنّ هذا يغلق الباب أمام أي تقييم، وأي نقد موضوعي، وأي مراجعة ورقابة، فينغلق باب الإصلاح وتطوير العمل بشكل كامل.

هذا أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو المعصوم، وهو العالم الذي لا يشك أحد في سعة علمه حتى من لا يقبل بعصمته، والذي قال عنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[55]، أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ باب مدينة علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ففي مجال العلم هو العالم، وفي السياسة هو المحنّك، وفي فهم الأمور هو صاحب العقل الكبير، وهذه كلها غير العصمة، ومع ذلك هو يطلب من الناس أن يراقبوا ويقيموا أداءه القيادي، ويقدموا له النصح، وينقدوه نقدًا بناء، هو يطلب منهم ذلك، ولعلنا مررنا بأكثر من نص في أبحاث سابقة عن هذا الموضوع، أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يطلب من الناس أن ينقدوه، أن يصوبوه، أن يراقبوا أداءه، أن يقدموا له النصائح.

ورد في نهج البلاغة ـ وقد مرّ في أبحاث سابقة: «فلا تكفوا عن مقالة بحق»، لا تتوقفوا عن أن تقولوا ما هو حق، فعندما ترونني أخرج عن الحقيقة، وأبتعد عن الحق؛

٥٥. نهج البلاغة ٢: ٢٠١، الخطبة ٢١٦. بحار الأنوار ٤٠: ٢٠٠ ح١، المعجم الكبير للطبراني ١١: ٥٥.

أخبروني وبيّنوا لي، اشرحوا لي، هو يطلب منهم ذلك، «أو مشورة بعدل»، ساعدوني بإبداء مشورتكم في الأمور، «لأني لست في نفسي ـ أي بمعزل عن العصمة ـ بفوق أن أخطئ»، أنا في نفسي، علي بن أبي طالب، كشخص بمعزل عن العصمة، معرّض للخطأ، حتى لو كان عندي علم، فأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ معرّض للخطأ أيضًا، «لأني لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي»، وليس هناك صك مفتوح بأن كل مواقفي ستكون صائبة، «إلاّ أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني»[٥٦]، إلا أن يسددني الله الذي يملكني أكثر من نفسي، وهو الذي سدّده وأعطاه العصمة، فكانت مواقفه دائمًا صائبة، ولكن علي بن أبي طالب من دون العصمة والتسديد الإلهي، كشخص، كبشر، ليس فوق الخطأ، حتى لو كان خليفة المسلمين، أو وصيَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وصهره، فهو معرض للوقوع في الخطأ أيضًا لولا أن يعصمه الله (سبحانه وتعالى).

أيها المسؤول، أيها القائد، أيها المتصدي، في أي مستوى من المستويات القيادية، لا تنظر لنفسك على أنك فوق أن تخطئ، ولا تعتقد بأن كل مواقفك صائبة ولا يمكن لأحد أن يعترض عليك، فهذا خطأ.

الإضاءة الثانية: تشخيص القائد قابل للصواب والخطأ

ما دامت القيادة ذات ماهية بشرية، إذن فتشخيص القائد البشري تشخيص بشري أيضًا، قابل للصواب والخطأ والانحراف والعياذ بالله، لذلك فتشخيص القائد والمسؤول والمتصدي خاضع للمحددات البشرية، والبشر يخطئ ويصيب، ويسير في الاتجاه الصحيح أو الخاطئ بحسب معلوماته وتقييماته وقراءته، فالقراءة الصحيحة تؤدي إلى موقف سليم، والقراءة الخاطئة تؤدي إلى موقف خاطئ، والمخرجات ترتبط دائمًا بالمدخلات؛ فإذا كانت المدخلات خاطئة فالمخرجات خاطئة أيضًا، وإذا كانت المدخلات صحيحة فالمخرجات صحيحة أيضًا، فإذا كانت معلومات القائد المتصدي شحيحة أو مغلوطة أو مبالغًا فيها، أو مكذوبة أو مفلترة، فسيصل إليه جزء من المعلومة ولا يصل الجزء الآخر، ويرى جزءًا من الحقيقة، فيكون تشخيصه تبعًا لهذه المعلومات، تشخيصا دقيقا أو تشخيصا مشوشا منقوصا مثلوما مرتبكا، إذ ينظر إلى جانب ويتغافل عن جوانب أخرى؛ لأنه لا يدري بها، ويتخذ الموقف بحسب ما يعلم،

٥٦. نهج البلاغة ٢: ٢٠١، الخطبة ٢١٦.

والمخرجات محدودة دائمًا بمحددات بشرية، فقد تكون إيجابية أو سلبية، متكاملة أو مبتورة، بحسب المعلومات التي وصلت لهذا المتصدي والقائد، لا سيما مع معرفتنا أنّ القيادة ليست فيها قواعد ثابتة؛ فمثلًا يعمل شخص في مصنع يصنع شيئًا معينًا، فالماكنة واضحة، والمشكلات التي تحدث فيها معروفة، والمخرجات معروفة، فالمشكلات يمكن إحصاؤها، وعندما يأتي عامل جديد يقال له مثلًا: هذه الماكنة عندما تعمل كذا ساعة ترتفع درجة حرارتها قليلًا، وهكذا يذكرون له المشكلات الفنية في عمله؛ كذا مشكلة متصورة يتم إحصاؤها، وهي واضحة، وعندما تتوقف الماكنة يذهب العامل لفحصها ليرى أيّها سبّب المشكلة.

ولكن الواقع القيادي ليس بهذا النحو؛ فهو قيادة لمجتمع، قيادة لجمع من الناس، وهذا المجتمع يتحرك، وتستجد لديه متطلبات مختلفة، وتحديات مختلفة، ومشكلات مختلفة، وظروف مختلفة، وهذا الجيل يختلف عن الجيل السابق، والجيل السابق يختلف عن الجيل الأسبق، وهذا الجيل سيختلف عن الجيل الذي يليه، وكل جيل له متطلبات ونظرة ورؤية، والمجتمع الإنساني في كل مرحلة له ظروفه الخاصة، فمثلًا قبل وقتنا هذا لم يكن هناك سوشيال ميديا وواتساب وتلغرام ونحوها من وسائل الاتصال الاجتماعي، وكان الهاتف لا يستخدمه إلا القليل، أما الآن فقد صارت الحياة من نوع آخر، فأنت جالس في بيتك مع زوجتك وأولادك، وكلٌ هاتفه بيده ويتكلم مع الآخرين، فتجلسون ساعة مع بعضكم ولا أحد يتحدث أو ينظر للآخر، وقبل فترة عندما انقطع الإنترنت في العراق صارت الناس تتهكم وتعمل لطائف، مثلًا يقول أحدهم: كبر أولادي ووجدتهم جيدين لطفاء، فقد كنت أعيش معهم ولكني لم أعرفهم، وكنا في عالم آخر، كلٌ منا عينه بهاتفه، فالمجتمعات تتغير، ومعها تستجد متطلبات مختلفة، والقيادات تتغير، ولا يستطيع أحدنا أن يقرأ مذكرات قائد ناجح من قادة المجتمع الإنساني، ويقول: قضي الأمر، وهذه هي القواعد التي تسيّر الأمور، كلا، فالأمر الذي نجح في ذاك الوقت لا ينجح الآن مع هذا القائد الملهم، والأمر الذي ينجح الآن لا ينجح بعد عشرين سنة، نعم هناك قواعد عامة للقيادة، لكن الممارسة القيادية، الحلول التفصيلية، المعالجات للإشكالات والتحديات اليومية متغيرة، ولا يمكن إحصاؤها كما نحصي مشكلات مصنع معين أو أي شيء آخر، لأنها مفتوحة متغيرة متجددة.

القائد الناجح والمسؤول الناجح هو الذي لديه القدرة على جمع أكبر عدد من البيانات، ويقاطعها ويستخرج نبض الشارع ومشكلات الناس الحقيقية، وماذا يريدون، ويقدم حلولًا منطقية لتلك المشكلات، لذلك فالأمر متحرك متغير بحسب استحقاقات

الواقع، ويتغير من حال إلى حال، وقد يحدث أن ما يدور في ذهن القائد المسؤول شيء، وما يدور في ذهن الناس شيء آخر، فقد حدثت الآن احتجاجات تشرين، ولو ذهبنا إلى ساحة التحرير فسنجد المحتجين يقرؤون الأمور بطريقة، بينما يقرأها المسؤول بطريقة مختلفة، مع أنها نفس القضية، ولكن كل واحد يقرأها بشكل مختلف، ما هي؟ ما هو حجمها؟ ما هو عمقها؟ ما هي مسبباتها؟ كيف يمكن السيطرة عليها؟ كيف يمكن معالجتها؟ كيف يمكن تنفيس الاحتقان؟ هذه الأسئلة في حدث اليوم موجودة في ساحة التحرير، على بعد كيلومترات قليلة منا، وكبار المسؤولين تجدهم في المنطقة الخضراء، ولا يفصل بينهما غير جسر، وهذا يفكر بطريقة وذاك يفكر بطريقة أخرى، والإجابات عن هذه الاسئلة في هذه الضفة مختلفة تمامًا عن نظيرتها في تلك الضفة، والفاصل جسر واحد، لذلك يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ».

ونلاحظ أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مع علمه الواسع وعصمته، مارس القيادة ضمن المعايير البشرية، وطبّق هذه المعايير، فعندما يريد أن ينصب واليًا على منطقة معينة، فهو ينظر أولًا إلى المعايير المطلوبة في المسؤول ويطبّقها عليه، فإن رآها تنطبق عليه نصبه واليًا، وبعد شهرين أو ثلاثة أو ستة أشهر برح الخفاء وانكشف الغطاء، ورُفعت التقارير إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بفساد هذا الوالي، ونهج البلاغة مليء بخطب ورسائل وجهها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ولاته، فعزل هذا، وقرّع ذاك، وهدد هذا، وحذّر ذاك، فهل يختار إمام معصوم مفروض الطاعة، إنسانًا للمسؤولية ثم يجده غير أهل لها؟ كلا، ليست القصة قصة خطأ وصواب، بل القيادة ذات ماهية بشرية، وأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مكلف بالعمل بالظواهر؛ يعمل بالقواعد البشرية، بالمعايير البشرية، واختار أولئك الولاة على ضوء هذه المعايير، وتبين لاحقًا الخلل في بعض هؤلاء وعدم انطباق المعايير عليهم.

ومن هذه الشواهد: شخص عيّنه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ واليًا ثم تبين عدم أهليته، وهو المنذر بن الجارود العبدي، الذي جعله أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ واليًا على بعض مناطق فارس، والمنذر بن الجارود هو أحد أعيان قبيلة ربيعة، كريم وعزيز في قومه، من أسرة شريفة وكريمة، اسمه بشر بن عمر بن خنيس من شيوخ ربيعة، وكان ممدوحًا في الجاهلية، وفي السنة التاسعة أو العاشرة للهجرة، أتى بقومه كلهم إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وآمن هو وقومه وحسن إيمانه، وعندما رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه عزيز قومه، ومن أعيان قبيلة ربيعة، وهدى قومه معه، كرّمه

وحفظ حرمته وقدّره، واهتم به، واحترمه، وبعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ـ في السنة العاشرة للهجرة ـ أي في نفس السنة التي آمن فيها هؤلاء أو في السنة التي بعدها، بقوا مؤمنين، وعندما جاءت قضية الخوف أو الطمع حسن إيمانهم، ووُلد للمنذر ولد في السنة الأولى للهجرة، وتوفي أبوه الجارود في سنة عشرين للهجرة، أي بعد عشر سنوات من وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وعندما كان المنذر شابًا يافعًا التحق بأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقاتل معه في حرب الجمل، وعندما رآه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ شابًا شجاعًا مقدامًا، ابن ذلك الرجل الطيب، الذي كرّمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وحفظه، وكان سببًا في إيمان قومه كلهم، وجد أن معايير القيادة تنطبق على هذا الشاب، فهو ابن أسرة كريمة، وأبوه شخصية قيادية مهمة، وقاتل هذا الشاب معه عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأثبت جدارة وشجاعة، فجعله واليًا على بعض مناطق بلاد فارس، ولكنه ـ مع الأسف ـ عندما جلس على الكرسي تدهورت أوضاعه مثل كثيرين، وخان الأمانة.

ونجد قصته في نهج البلاغة، بكتاب له عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى المنذر بن الجارود العبدي، يقول فيه:

«أما بعد، فإنّ صلاح أبيك غرّني منك»، لقد اخترتك واليًا على هذه البلاد بسبب صلاح أبيك، فقد كان أبوك رجلًا صالحًا، وإنسانًا شريفًا، وجليلًا، ونبيلًا، وكان محترمًا في الجاهلية، وقد جمع قومه وأتى بهم إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فآمنوا به، وحسن إيمانهم، وظننت أنك شبل من ذاك الأسد.

«وظننت أنك تتبع هديه»، ظننت أنك تسير على خطى أبيك، وأنك على نهج والدك، وأنك شريف ونبيل مثله.

«وتسلك سبيله، فإذا أنت في ما رقي إليّ عنك»، لكن ما وصلني من تقارير، سياق بشري، فلم يقلِ أعلمني الله (سبحانه وتعالى) بعلم الغيب، بل وصلني تقرير عنك، المفتش العام مثلًا أرسله لي، أو وصل إليّ من العيون التي وضعتها عليك وعلى أمثالك من الولاة، الذين يجوبون البلاد ويقيّمون شؤون الولاة، إذن وصل تقرير لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو سياق بشري؛ معايير الاختيار بشرية، سياق الاختيار بشري.

«لا تدع لهواك انقيادًا»، أنت لا تقود هواك، بل هواك هو الذي يقودك؛ أسلمت أمرك إلى الهوى، وذهبت إلى انحرافات أخلاقية، مستغلًا موقع القيادة الذي أعطيتك إياها لتكون خادمًا للناس، فكنت ذئبًا عليهم، وألقيت نفسك في مستنقع الفساد المالي والأخلاقي وما شابه.

«ولا تبقي لآخرتك عتادًا»، لم تبقِ للآخرة شيئا، فكل عملك للدنيا، وكل همك الدنيا؛ كيف تجمع المال، وكيف تشفي غليل انحرافاتك، وتركت الآخرة.

«تعمر دنياك بخراب آخرتك»، تشتري البساتين وتبني القصور على حساب آخرتك.

«وتصل عشيرتك بقطيعة دينك»، تعطي جماعتك وأقرباءك وحزبك، وجمعتهم من حولك، وأنت فرح بهم، على حساب قيمك الدينية وأخلاقك.

«ولئن كان ما بلغني عنك حقًا»، أنا الآن أدقق بالتقارير، فإن كانت حقًا، إذن هذه مقاييس ومعايير بشرية أيضًا.

«ولئن كان ما بلغني عنك حقًا، لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك»، إذا كانت هذه التقارير صحيحة، فالبعير الذي عند عشيرتك أفضل منك، وشسع نعلك الذي في قدمك أشرف منك، فهذا الشسع يقوم بوظيفته بشكل صحيح، وتستطيع أن تمشي به وتحفظ قدمك من أشواك الأرض وحرارتها.

«ومن كان بصفتك فليس بأهل أن يسد به ثغر»، كيف أسلمك ثغور المسلمين، وتكون مؤتمنًا وعلى حدودها، وأنت لا يُشد بك رأس، ولا أنت على قدر المسؤولية؟ فأنت مهتم بدنياك، ولا تنفع لأي مهمة.

«أو ينفذ به أمر»، جعلتك واليًا لتنفذ أوامري وتعليماتي في خدمة الناس، ولكن شخصا مثلك لا تُؤدى به مهمة.

«أو يعلى له قدر»، أردتك أن تُعلي مكانة الخلافة الإسلامية، مكانة القيادة الإسلامية، ولكنك أخزيتنا بهذا السلوك.

«أو يشرك في أمانة»، جعلتك مؤتمنًا على أعراض الناس وأموالهم، على كل شؤون الرعية في هذه البلاد، ولكنك بهذه الأخلاق وهذا السلوك لا تصلح لأن تكون شريكًا في الأمانة.

«أو يؤمن على جباية»، الناس تدفع ضرائب وزكوات، وأنت الوالي، بيدك بيت مال المسلمين، فإذا كنت بهذا الفساد فأنت لا تصلح لأن تكون أمينًا على بيت المال، فلا نستطيع أن نأتمنك على جباية الأموال.

«فأقبل إليّ»، للتحقيق والتفحص في صحة هذه التقارير، لئلا أصدر حكمًا قبل الفحص، فإن كان التقرير صحيحًا فشسع نعلك أحسن منك، ولكني مع كل هذه الثقة بالتقرير الوارد لا أرتب أثرًا على التقرير وحده، ويجب أن أسمع منك أيضًا، وأحقق معك لكي أستطيع أن أتخذ قراري.

«فأقبل إليّ حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله»[٥٧]، أقبل إليّ لكي أحقق بالموضوع وأرى إن كان هذا التقرير صادقًا، لأنفذ فيك حكم الله (سبحانه وتعالى)، وإن لم يصدق فسترجع عزيزًا كريمًا، ونعاقب من كتب هذا التقرير، هكذا كان أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يتعامل بأدوات بشرية.

القسم الثالث: التواصل مع الناس وخطورة الاحتجاب

المقطع الأخير من الحديث عن التواصل مع الناس وخطورة الاحتجاب، يشير فيه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى عدم الجدوى وعدم الفائدة من الاحتجاب؛ لماذا تحتجب؟ ما هي المشكلة عندك؟ يضع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ الخيارات، ويجيب بأنه في كل الخيارات ليس الاحتجاب هو الحل، فلماذا تهرب من الناس؟ لماذا تغلق بابك؟.

(وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ): أيها المتصدي، لديك احتمالان:

(إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ): إما أن تكون إنسانا شريفا، سخيا، كريما، خدوما، جئت لتخدم الناس.

(فَفِيمَ احْتِجَابُكَ): لماذا تحتجب، وما كان تسلمك للمسؤولية إلا لخدمة الناس؟ وأنت أيضًا كريم النفس، وقد جئت لتعطي وتقدم، فلماذا تخفي نفسك؟ لماذا تغلق بابك؟ افتح بابك للناس.

(مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ): ماذا سيحدث حين تفتح بابك؟ سيأتيك صاحب الحق ويقول لك: أريد حقي، وأنت كريم وقد جئت لتخدم، وهذا لديه حق مسلوب يريد أن تعطيه إياه.

(أَوْ فِعْلِ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ): جاءك مواطن لديه مطلب، لديه قضية، لديه حاجة، وأنت بيدك صلاحيات وتستطيع مساعدته وأن تقضي حاجته، فأين المشكلة؟ لماذا تغلق بابك؟ إذا كنت كريمًا سخيًا خدومًا تؤمن بمبدأ الخدمة، فهذا يومك، فافتح بابك ودع الناس تدخل، وأعط صاحب الحق حقه، وصاحب المشكلة حل مشكلته.

(أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنعِ): أما إذا كنت بخيلًا مبتلى بالمنع، تبحث عن الوضع القانوني الجامد، صاحب عقلية تعقّد كل شيء، ولا تريد أن تقضي حاجة لأحد، ولا تريد أن تحل مشكلة لأحد، ولا تريد أن تخدم، إذا كنت من هذا النوع.

---

٥٧. نهج البلاغة ٣: كتاب ٧١.

(فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ): لماذا أغلقت بابك، مع أن الناس تأتيك وتطلب حوائجها؟ ولكنها منذ الأسبوع الأول من تسلمك لمنصب المسؤولية، رأت أنك ضرع لا تُرتجى منه قطرة حليب، وكل من يأتيك يخرج من عندك خالي الوفاض، وكل من يأتيك تتملص منه بحيلة قانونية؛ المادة رقم كذا تقول كذا، فيشيع في الدائرة أنّ هذا المسؤول شجرة لا تثمر، ولا يؤمل منه شيء، ولعل كثيرا منكم رأى في دوائرنا وفي وزاراتنا من يقول له: إن هذا لا تحصل منه على شيء، فلا تذهب إليه ولا تتعب نفسك معه، وابحث عن غيره.

إن كنت بخيلًا، معقّدا للأمور، ولا تريد أن تحل مشكلة، ولا تريد أن تخدم الناس، ففي فترة وجيزة سيعرفك الناس ويصيبهم اليأس منك، ولا أحد بعد ذلك سيدق بابك، فلماذا تسد بابك؟ افتح الباب فلا أحد يطلب منك حاجة.

(مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مما لاَ مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ): أكثر حاجات الناس ليس فيها أذى عليك يا مسؤول، فمن كان صاحب حق فأعطه حقه، ومن كانت عنده حاجة تقدر على قضائها وضمن صلاحياتك فاقضها له، وأنجز له معاملته، فهل في ذلك خسارة لك؟ هل خسرت شيئًا من جيبك؟. لديه مشكلة وأنت مدير وبيدك الأمر، فإن استطعت مساعدته فساعده، وأنجز معاملات الناس، فإن جاءك من يقول لك: إن عائلتي في المكان الفلاني، ومقر عملي بعيد عن عائلتي، وطلب نقله الى مكان إقامته، فوافق له على طلبه وانقله ولمّ شمله مع عائلته، واستفد منه في ذلك المكان، لماذا تبقيه في مكان ناءٍ بعيد عن عائلته؟ ولا عبء في مثل هذا الطلب على المسؤول، فمن كان له حق فأعطه حقه، ومن كان صاحب حاجة تقدر على تلبيتها فاقضها له.

(مِنْ شَكَاةِ مَظْلِمَة): عنده مظلمة يشكو منها، فارفع الظلم عنه.

(أَوْ طَلَبِ إِنْصاف فِي مُعَامَلَة): أو يطلب إنصافه في شيء ما فأنصفه، وحل المشكلة ليس فيه عبء عليك يا مسؤول، فلماذا تغلق بابك؟.

الإضاءات المستفادة من النص

الإضاءة الأولى: السبب الأول لعدم جدوى الاحتجاب

يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا جدوى من الاحتجاب ولا فائدة منه، لأنك إن كنت سخيًا، إن كنت كريمًا، إن كنت جوادًا، فالمراجعون لك على نوعين:

إما صاحب حق جاءك وعنده حق بحسب القانون، وأنت كريم وتريد أن تخدم، فماذا تنتظر؟ أعطه حقه.

والصنف الثاني ليس لديه حق ملزم، ولكن عنده مطلب، عنده قضية، عنده حاجة، وأنت رجل كريم وتستطيع أن تلبي له حاجته، فأنجزها له، لماذا تغلق بابك؟ افتح الباب ولبِّ طلبات هؤلاء الناس، حتى لو لم تكن حقًا ثابتًا لهم، ولكن هي ضمن صلاحياتك وتستطيع أن تنجزها، فأنجزها لهم، أين المشكلة؟ (وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ، فَفِيمَ احْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ، أَوْ فِعْلَ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ؟)، هذا أو ذاك، فماذا تنتظر؟ ما الذي يؤخرك؟ افتح الباب ودع الناس تدخل وحل مشكلاتهم.

الإضاءة الثانية: السبب الثاني لعدم جدوى الاحتجاب

إذا لم تكن من الكرماء ومن الخدومين، وكنت بخيلًا شحيحًا لا تريد أن تنجز معاملات الناس، ولا تملك ثقافة الخدمة، فلا جدوى من الاحتجاب أيضًا ولا فائدة فيه، فالذي ليست لديه ثقافة الخدمة ويتهرب من مطالب الناس وحاجاتهم، والذي لا يملك سعة صدر ليسمع شكاويهم، فلماذا يحتجب؟ فما دامت هذه أخلاقك فسوف ينفض عنك الناس، وستشتهر بين الناس بذلك في فترة وجيزة، وحينئذ لا أحد سيطرق بابك في شكواه، ولا أحد سيأتي ويثقل عليك في مطلب، وسوف ييأس الناس منك، إذن من الأجدر بك أن تفتح بابك، وتسمع كلام الناس، فالذي يأتيك بعد ذلك ليست لديه مشكلة يطرحها، لأنه قد يئس منك.

إنك تفتح بابك لمن يتحدث معك في ما هبّ ودب، ولكنك تغلقه أمام أصحاب الحوائج.. لماذا تغلق باب الإصلاح، وقد تقتنع بكلمة من أحدهم وتراها صحيحة، أو يطرح أحد المواطنين مشكلة أو قضية عن ظاهرة، تفيدك في نجاح مهمتك القيادية، وقد تستطيع أن تجدد أدواتك، فما الضرر الذي يلحقك من الاستماع له؟ لن يلحقك أي ضرر.

إن كنت لا تريد أن يقدم أحد شكوى إليك، فلا أحد سيشتكي، وسييأس الناس منك، لأنك لا تريد أن تلبي مطالبهم، فاعلم أنه لا أحد سيطلب منك شيئًا بعدها، بل سيذهب لغيرك ليطلب حاجته، فاسمع منهم في الأقل، فقد تستطيع أن تجدد، وأن تصلح، وأن تطور من أدائك القيادي، (أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنعِ، فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ

مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ)، سيكفون بسرعة عن مسألتك وطلب حوائجهم منك، إذا يئسوا من استجابتك لهم، إذ ستكون لديهم حالة من اليأس والإحباط، وستكون سرابًا بقيعة لا يرتوي منه الضمآن، وعندها قضي الأمر ولا أحد سيأتيك ويطلب منك شيئا، فانهض وافتح بابك واستفد.

الإضاءة الثالثة: السبب الثالث لعدم جدوى الاحتجاب

لا فائدة ولا جدوى من الاحتجاب؛ لأنّ فتح الباب والتواصل مع الناس ليس فيهما مؤونة كبيرة، أو ثقل عليك، فلماذا تتهرب من لقاء الناس والتواصل معهم؟ فهروبك من الناس، وغلق بابك بوجوههم، سوف يثير سخطهم وامتعاضهم، وسيثورون عليك، يتظاهرون ضدك، يشتمونك.

لماذا تسد بابك؟ افتح بابك، واسمع منهم، فإن كان مطلبهم حقا، إن كانت لديهم قضية مشروعة، فلماذا تتأخر في تنفيذها؟ أعطهم حقهم وحل مشكلاتهم، وإن لم تكن لبعضهم مطالب مشروعة، وكانت لديهم توقعات مستحيلة غير ممكنة، أو عندهم مطالب تخالف القانون، فاسمع مطالبهم، وقل لصاحب الطلب: أرغب في مساعدتك، ولكن القانون لا يسمح بذلك، فأعتذر منك.

ليكن ردك عليه ردا جميلا؛ بالاعتذار لعدم تلبية طلبه أولًا، وبيان أسباب الاعتذار ثانيًا؛ أن المادة الفلانية هكذا تقول، القانون الفلاني هكذا يقول، وأنا اعتذر جدًا، أرغب في مساعدتكم، وأنتم على رأسي وأنا في خدمتكم، وقدّم له قدح شاي إن لم يكن شهر رمضان، وحياكم الله، وودعه إلى باب الغرفة، فيخرج من عندك وهو فرح، وانت لم تفعل له شيئًا، فمن أي شيء أنت خائف؟ فإن كان مطلبه حقًا فلماذا تؤخر حقه؟ وإن لم يكن مطلبه حقًا فاعتذر منه، وكان الله مع المحسنين، وليس في ذلك عبء عليك، (مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مما لاَ مَؤُونَةَ فيه عَلَيْكَ، مِنْ شَكَاةِ مَظْلَمَة)، إذا كانت عنده مظلمة فارفع مظلوميته، وأعطه حقه، وليس في ذلك مؤونة عليك، (أَوْ طَلَبِ إِنْصاف فِي مُعَامَلَة)، أنصفه إن كان صاحب حق، وإذا لم يكن كذلك؛ ليس محقًا ولا منصفًا في ما يريد، فاعتذر منه بالطريقة التي مرت سابقًا.

إذن لا يوجد ما يبرر الاحتجاب في كل الأحوال؛ فإن كنت كريمًا فلا تحتجب، وإن كنت بخيلًا ولا تريد أن تخدم فلا تحتجب، وسواء كان من الممكن تحقيق المطلب، أو لم يكن ممكنًا، فلا تحتجب في الحالين، فالاحتجاب والابتعاد والفجوة بين المسؤول

والرعية أو الناس الذين هو مسؤول عنهم، خطأ فادح وكارثي، له آثار هدامة وخطيرة، ويجب أن نتجنبه دائمًا.

نسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يجعل أبوابنا مفتوحة بوجه الناس، وقلوبنا وأسماعنا صاغية لمشكلاتهم، وأن نعمل جاهدين لحل ما يمكن حله، ولا أحد منا اليوم مقطوع من شجرة، فنحن مجتمع عشائري، ومن الممكن أن يوجد إنسان بسيط ولكنَّ ابن عمه مدير عام في المكان الفلاني، أو ابن خاله مسؤول في الجهاز الفلاني، أو أخاه آمر الفوج الفلاني، فكل واحد منا اليوم بمنظومة علاقاته، أقاربه، أصدقائه، يصل إلى بعض الأماكن، فحين أرى صاحب حاجة، أتصل هاتفيا بابن عمي، أو ابن خالي، أو شيخ عشيرتي، أو ابن منطقتي، أو بفلان الذي كان يدرس معي في الجامعة، فكل واحد منا يعرف مائة شخص في مواقع المسؤولية، فأرفع الهاتف وأسعى في حل مشكلة هذا المواطن، ولن أخسر شيئًا، فهي مجرد مكالمة، ولو أن كل واحد منا بحسب مساحة تأثيره، يساعد الناس ويخفف من مشكلاتهم، ويسعى بقضاء حوائجهم، فهل سيبقى هذا الاحتقان؟ هل ستبقى الناس مستفزة؟ وهل ستشعر بالغبن والمظلومية؟ كلا طبعًا، لذلك فهذه مسؤوليتنا جميعًا، ونسأل الله أن يجعلنا على قدر المسؤولية.

أكتفي بهذا المقدار وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة التاسعة بتأريخ ٥/ ٥/ ٢٠٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله والطاهرين وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم وصيامكم، وأسأل الله(سبحانه وتعالى) أن يجعلنا وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الفضيل، وأن لا نكون من المحرومين.

كان حديثنا في الأيام الماضية في عهد أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، لمالك الأشتر حين ولاه مصر، وكان الحديث في المقطع السادس والعشرين من هذا العهد، وهو جملة من الأحكام والتوصيات التي يقدمها أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) للحكام والقادة والمدراء والمتصدين والمسؤولين، ووصلنا إلى التوصية الثامنة.

«التوصية الثامنة: خطورة الخواص في استغلال موقع المسؤولية»

تنقسم هذه التوصية إلى قسمين:

القسم الأول: التحذير الشديد من استغلال الخواص والمقربين لموقع المسؤولية

عندما يشغل شخص منصب المدير، أو المسؤول، أو الوزير، أو الآمر، أو القيادي في موقع ما، يلتف حوله أناس من أقاربه وأصدقائه ومحبيه، من جماعته، من حزبه، من تياره، من جيرانه، من زملائه، ثم يبحثون عن مصالحهم الخاصة، وليس عن نجاح المهمة القيادية والمسؤولية، وهنا يحذر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ كثيرًا من مثل هذا الاستغلال للموقع، ليس من المسؤول نفسه، بل من ذويه، من بطانته، من خواصه،

من أقاربه، من المحسوبيات والمنسوبيات الموجودة، فعلى المسؤول أن لا يعطي فرصة من هذا النوع لهؤلاء ولا لغيرهم، يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً): المسؤول المتصدي لديه خواص، لديه جماعته.

(وبِطَانَةً): البطانة: الأهل، وهو مشتق من الشيء اللصيق، كما يخيطون بطانة للملابس تكون ملاصقة للجسم، فالبطانة هي التي تكون دائمًا ملاصقة للإنسان، وهم الأقرباء والأصدقاء والناس الملتصقون به، فأي والٍ، أي متصدٍ، أي مسؤول، ستكون لديه خواص وبطانة، وهم الناس الملتفون حوله.

(فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ): البعض من هؤلاء قد يريد أن يستأثر، يأخذ، يفعل ما يقدر عليه لمنفعته الشخصية، مستغلا صلته بالمسؤول؛ أنا أخو الوزير الفلاني، أنا ابن معالي الوزير الفلاني، أنا ابن عم المسؤول الفلاني، أنا من جماعة فلان، أنا من حزب فلان، من هذه الكلمات التي تسمعونها، فيستغل عنوان هذا المسؤول، ليس لخدمة المنظومة القيادية، أو لتحقيق الأهداف، بل ليستفيد هو من هذه المسؤولية، ويحتكر، ويستأثر، ويتطاول، ويترفع، فيتهامس الناس: أن هذا الوزير قد أخذها طولًا وعرضًا، والناس ترتجف منه، وهؤلاء بطانته مثله؛ أنا حماية الوزير، أنا سكرتير الوزير، أنا ابن عم الوزير، أنا ابن عمة الوزير.. جعلناه وزيرًا ليدير الوزارة فابتلينا بعشيرته، وعائلته، وحزبه، وجماعته، وأصدقائه، وكل منهم جاء ليتأمر على الناس، ويقول: أنا من ذوي الوزير.

(وَتَطَاوُلٌ): تجاوز على المال العام، تجاوز على صلاحيات المنصب، تجاوز على مساحات وخصوصيات الناس.

(وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ): تكبّر، عجرفة، عدم إنصاف في التعامل، إساءة. على مهلكم، ما الأمر؟ فالوزير نفسه لا يتعامل بهذا الشكل، فماذا ترى نفسك؟ وهذه التصرفات غالبًا ما تكون هي العوارض التي تواجه المسؤول، في موقع التصدي والمسؤولية، فهناك شرذمة تدور حول المسؤول، يظهرون الحرص عليه، والواقع أنهم حريصون على أنفسهم ومصالحهم وقضاياهم الخاصة.

كيف يجب أن يتعامل المسؤول مع هذه البطانة أو الخواص السيئين؟ وبالطبع ليس كل بطانة سيئة، فهناك أناس في الفريق مخلصون، منضبطون، ملتزمون، خدومون، وهذا أمر جيد؛ لأنّ المسؤول يحتاج إلى فريق يعمل به، إذ لا يمكن لأي متصد ومسؤول أن يدير مسؤوليته من دون فريق، والكلام عن البعض ممن يتقرب للمسؤول

بمظهر الحرص وهو بالحقيقة انتهازي، يريد أن يصل إلى مصالحه الخاصة عن طريق هذا المسؤول، وهنا يعطي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ الحل فيقول:

(فَاحْسِمْ): اقطع موارد استغلال وشرور هؤلاء البطانة.

(مَادَّةَ أُولئِكَ): وفي بعض النسخ: (مؤونة أولئك)، عبء أولئك، احسم هذا العبء.

(بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ): بمنعهم من استغلال اسمك، من الحديث باسمك، من الضغط على الناس، من أخذ الأموال والابتزاز، من استغلال منصبك، فتجد بعضهم يقول للمراجع: أتريد وظيفة، أعطني كذا دولار، أتريد أن أنجز معاملتك، أعطني كذا دولار... عجيب! أنت أخو الوزير، ابن عمه، ابن خاله، صرتم تطلبون الأموال لكي توصلوا مطالب الناس للوزير؟ وقد بلغني أن بعضهم يطلب أموالًا طائلة لإنجاز بعض المعاملات، من غير ضمان بإنجازها، فهي مقابل أن يضع الملف أمام الوزير فقط.

(فاحسم مادة أولئك)، عبء أولئك، مؤونة أولئك، (بقطع أسباب تلك الأحوال)، بمنع أولئك الناس من استغلال اسمك وعنوانك، وهم عنوانهم: بطانتك، تيارك، جماعتك، امنعهم بشكل باتّ، وقف بوجوههم بقوة، واقطع أيديهم عن استغلال اسمك وعنوانك لمآربهم ومصالحهم الخاصة.

(وَلاَ تُقْطِعَنَّ): تُقطع من الإقطاع، فهؤلاء الذين يقتطع لهم السلطان أو الحاكم أرضًا زراعية واسعة ويملّكها لهم يسمونهم بالإقطاعيين.

(لأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ): الحميم: يعني القريب، من أقربائك، من حزبك، من جماعتك.. لا تهب الإقطاعيات لأحد من حاشيتك وحامتك، لا توزّع أراضي بين هؤلاء، فالحاكم آنذاك ليس لديه من الموارد غير الأراضي والخراج، ولم يكن لديه نفط وأمثاله من المعادن، وكان من المتعارف أن يهب الولاة هذه الأراضي لحواشيهم وأقربائهم، ويوزعوا الأراضي الزراعية إقطاعيات بين ذويهم وخاصتهم، فيقول له أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا تفعل هذا الشيء.

(وَلاَ يَطْمَعَنَّ مِنْكَ): لا يطمع هؤلاء الذين حولك من حاشيتك وأقربائك وأصحابك.

(فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ): في امتلاك عقدة، يعني ضيعة، يطمع هؤلاء أن تملكهم أراضي زراعية.

(تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ): عندما تريد أن تهب الأراضي الزراعية لهؤلاء، فإنهم يريدونها قريبة من الماء، وفي موقع جيد، فهم لا يكتفون بأخذ هذه الأراضي بغير وجه حق، بل يختارون الأراضي الأحسن وإن أضرت بالأراضي المجاورة، فهم يريدونها قريبة من مجرى المياه، ليكونوا أول من يسقي بما يكفي هذه الأراضي الواسعة، ثم يُرسل الفائض إلى أراضي الناس، أو يضرون بمصالح الناس، عندما يريد أحدهم أن يدخل بدابته أو سيارته إلى أرضه فيجتاز مزارع الناس ويخرب زروعهم وسائر مصالحهم، فإياك أيها الحاكم أن تعطي أرضا تضر بمصالح أصحاب الأراضي المجاورة.

(فِي شِرْب): بالري والسقاية، يجب أن تكون هناك عدالة في توزيع المياه بين أرض وأخرى، لا أن تقدّم أراضي جماعة السلطان، وأراضي أصحاب المحافظ والوزير والمسؤول الفلاني، على غيرها من أراضي الناس، في الري والسقاية.

(أَوْ عَمَل مُشْتَرَك): أو يضر بالأعمال الزراعية المشتركة بين هذه الإقطاعيات وسائر الأراضي الزراعية للناس، كما لو جاءت ماكنة الحرث لحرث الأرض، فيجب أن تكون هناك فرص متكافئة بين الجميع، فلا يميز قطعة أرض على أخرى، بذريعة أن هذه الأراضي هي إقطاعيات المقربين والبطانة، فلهم كل الخدمات، وبقية الناس لهم الله، فإذا بقي وقت أنجز لهم أعمالهم، وإلاّ فهم يعرفون تكليفهم، وكذلك في سائر الخدمات الأخرى، كالبذور والأسمدة ومكافحة الأوبئة وفي كل شيء، يجب أن تكون هناك فرص متكافئة، بين هؤلاء المقربين من المسؤول وعموم الناس.

(يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ): هناك ضرائب، هناك أجر لفلاحي الأراضي الزراعية، هناك أجر للعمال الذين يقومون بتلقيح الأشجار والنخيل، وعندما يطلب الفلاح أجره يقول له: اذهب وخذ أجرك من الآخرين أصحاب المزارع والبساتين الأخرى، والذي لا يعطي سأقطع عنه الماء، فيحمّل أعباءه على الآخرين، من الضرائب والالتزامات والأسمدة وسائر الأمور الأخرى، كالنفقات المطلوبة للجهد الزراعي، أو يفرض على كل واحد منهم أن يرسل له فلاحًا، ومن لا يفعل يقطع عنه الماء، فيضطر الناس إلى إرسال فلاحين يعملون بالمجان، ويسخرهم بهذه الطريقة، مستغلًا عنوان المسؤولية لأعمال السخرة هذه، فيعمل له الناس بالمجان، وهذا لا يجوز.

(فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذلِكَ لَهُمْ دُونَكَ): يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك: إن المنفعة الهنيئة ستكون لهم، دون الوزير الذي يعمل باليوم سبع عشرة ساعة أو ثماني عشرة ساعة، ويلاحقه السب والشتم، وابن عم المسؤول، ابن أخي المسؤول، ابن المسؤول، لا

يعلم ما يجري في الدنيا، ومشغول بمزرعته وأمواله وإمكاناته ووضعه، فالراحة والفائدة والمنفعة تصير لهذه البطانة، للخواص، دون الحاكم الذي لا يصل له شيء.

(وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ): ولكن كلام الناس هو ضدك أيها الحاكم، لا ضد هذه البطانة، إذ يقولون: انظروا إلى هذا الحاكم الظالم كيف مكّن حاشيته وأقرباءه من أموال المسلمين وأراضيهم وأملاكهم، ويكيلون له، لا لهم، السب والشتم وما قبح من الكلام، ولا أحد يتكلم ضد البطانة، بل كل الكلام ضد المسؤول، فالتبعات عليك أيها الحاكم.

(فِي الدُّنْيَا): من سب وشتم وهتك وانزعاج واحتجاجات وتظاهرات إلى آخره.

(وَالاْخِرَةِ): يحاسبك الله عز وجل على هذا العمل يوم القيامة، فالحساب عليك والفائدة والمنفعة لغيرك، لأولئك البطانة، فلماذا تضيع دنياك وآخرتك، فلا تبع آخرتك بدنيا غيرك، من أقاربك وأصدقائك وحاشيتك، لا تسمح لهم باستغلالك، واقطع أطماعهم، اتخذ موقفًا حاسمًا، هذه هي التوصية التي يقدمها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ للمسؤول المبتلى بالأقارب والأصدقاء.

الإضاءات المستفادة من النص

الإضاءة الأولى: التحذير من المتملقين والانتهازيين

إنّ أي مسؤول، أي متصدٍ، سيحاط بشكل طبيعي بعدد من أقربائه وذويه، ومن أصدقائه الذين يثق بهم، ومن حزبه وجماعته، وسيكونون بطانة له، وسيلتفون حوله، فأينما وجدت السلطة، والنفوذ، والقوة، والإمكانات، تجد الانتهازيين والمصلحيين، فتراهم يتملقون للمسؤول بالكلام المعسول، وهم بالأمس قبل أن يصبح مسؤولًا لا يشترونه بفلسين، ولسان حاله يقول لهم: كنتم بالأمس لا تكادون تردون سلامي، واليوم تحترق قلوبكم حرصًا عليّ؟ كلا، هذا التملق ليس لي وإنما هو للموقع، تريدون الاستفادة من منصبي.

بمجرد أن يتسلم شخص المسؤولية ترى هؤلاء ينهالون عليه؛ فهذا يقول له: ألا تتذكرني؟ لقد كنّا في صف واحد في المدرسة الابتدائية، لقد كنت عبقري زمانك، وأنا منذ ذلك الوقت أحبك جدًا، فأين كنت كل هذه السنين لم نرك؟.. الآن تذكر بعد مرور كل هذه السنين أنه كان معه في المدرسة الابتدائية!.

يظهر هؤلاء الانتهازيون والمصلحيون ويحيطون بالمسؤول، حبًّا بالقوة والسلطة والمال والإمكانات، فهؤلاء لديهم خططهم للوصول إلى مآربهم؛ يطلبون العافية، ويريدون استغلال الموقع، فيضع أحدهم خطة كاملة خلال أربع سنين، وهي الفترة التي سيشغل فيها صاحبه الوزارة؛ كيف يحصل منه على كذا مليار مثلًا.

يقفون أمامه وديعين مطيعين؛ نعم سيدي، نعم معاليك، وأمثال هذه من كلمات الخضوع والتذلل، وهم يريدون مصالحهم، وهنا يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك ومن ورائه كل حاكم: إذا لم تكبح جماح هؤلاء، إذا لم تلطمهم على أفواههم، إذا لم تبعدهم عنك، فإن هؤلاء الانتهازيين يذهبون بمنظومتك القيادية إلى المهلكة، إلى الانهيار، إلى السقوط، إلى الفشل، ولن يدعوك تنجح، وأينما وجد الماء نبت الدغل بين الزرع، مع أن هذا الماء للزرع لا للدغل، ولكن الدغل يعتاش دائمًا على ماء الزرع، وتراه ينمو أسرع من الزرع نفسه، ويأخذ الكمية الأكبر من الماء، وهؤلاء الخواص مثل الدغل للمسؤول؛ فأينما وجدت المسؤولية وجدتهم يظهرون، وإن لم يبعدهم المسؤول ويقتلعهم ويحسم أمره معهم، فإنهم سيفشلونه ويضيّعون له دنياه وآخرته، إذ ستثور الناس في الدنيا بوجهه، وتعترض عليه وتسبه وتهتكه؛ أن الوزير الفلاني مكّن أخاه من الوزارة، ويضيع الآخرة على نفسه أيضًا، فيكون قد خسر الدنيا والآخرة، وتتفشى ظواهر الفساد والرشى، فإذا كان أخو الوزير يأخذ الرشى، فهل سيتوقف من في الوزارة عن أخذها؟ والناس على دين ملوكهم، وسيأخذ كل من في الوزارة الرشى، وعندما يرى المواطن جميع الدوائر والوزارات أو كثيرا منها تأخذ الرشى سوف يستسلم ويدفع، وعندما يدفع وهو صاحب وظيفة سيقول: سآخذ رشوة كما أخذوا منّي، ومثلما دفعت سآخذ، لأعوض ما خسرت، وهكذا يتلوث المجتمع، فهؤلاء الخواص من أجل انتهازيتهم ومصالحهم يحولون الفساد إلى ظاهرة، فترى الفساد متفشيًا في المؤسسات، وفي المجتمع، وفي كل مكان، وكلها تأخذ عناوين جديدة، فيسميها بعضهم شطارة، ويسميها بعضهم خبرة، ويسميها آخرون حنكة، فتتلبس بلباس لطيف، مع أنها كلها سرقات، ولا أحد يتحرك له جفن، لذلك يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وبِطَانَةً)، أينما وجد مسؤول فستكون له خاصة وبطانة؛ أناس يلتفون حوله، بعضهم جيدون مخلصون، وبعضهم نعوذ بالله خونة سيئون.

المسؤول الناجح، القيادي الناجح، هو الذي يدقق دائمًا في أحوال الناس الذين يحيطون به؛ من هو الذي أثرى على حساب المال العام؟، من هو الذي تغيرت أحواله؟،

من هو الذي يصل إليه كلام عنه؟، فيضربهم ضربة قاصمة، ومن هو المخلص الشريف النزيه ليبقيه قريبا منه؟.

سيكون لدى جميع هؤلاء الأقرباء والأصدقاء والأتباع والمحبين والمقربين والحمايات وأعضاء حزبه وجماعته وتياره، توقعات بعضها غير مشروع؛ إذ سيقولون: إن الوزير منّا، فليعمل لنا ويعطِنا، ماذا يعطيك؟ هل المال مال أبيه فيعطيك؟ هذه أموال الناس فكيف يعطيك منها؟ ويرون أن كون الوزير منهم يعني أن التعيينات يجب أن تكون كلها لهم، متناسين أن هذه الوزارة لكل الشعب العراقي وليست لطائفة أو عرق أو حزب، ولكننا نرى أن الوزير إذا كان من لون معين، من جهة معينة، يحوز كل الامتيازات لجماعته وحزبه وتياره، ويبقى الآخرون ينظرون بحسرة لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، وكل هذا لا يجوز، ولا يصح، وتتمثل هذه الطموحات غير المشروعة في ثلاثة أمور، كما يذكرها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الأمر الأول: (فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ)، هؤلاء المستغلون الانتهازيون يستأثرون ويحتكرون، فالتعيين كله بأيديهم، والعقود كلها لا تتم إلا من خلال إمضائهم، ويستغلون ويستنزفون أصحاب المصالح قبل أن يعطوهم أي مشروع.

الأمر الثاني: (وَتَطَاوُلٌ)، هذه البطانة الخائنة تتطاول على حقوق الناس، ونجد بعض الناس الذين لديهم إمكانات وملياراتٍ ومناصب، ومع ذلك يلاحقون المواطن على مرأب للسيارات مثلًا، وينافسونه على أتفه الأمور، فتجده يدس أنفه في كل شيء، ويتطاول على حقوق الآخرين بوقاحة، ولا يقف عند حد، فهؤلاء يريدون كل شيء لهم، مع علمهم أنّ هذه حقوق الناس.

الأمر الثالث: (وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ)، معاملة خشنة، سيئة، مزعجة، ليست فيها قيم، ليست فيها أخلاق، ليس فيها إنصاف، كلها محاباة ومحسوبيات ومنسوبيات، ومن ليس لديه ظهر له الله، وكفى به ظهيرًا.

تأملوا ما جاء في الخطبة الثالثة في نهج البلاغة، المسمّاة بالخطبة الشقشقية، وهي خطبة عجيبة إذا سنحت لكم فرصة فاقرؤوها وتدبروا في مضامينها، وهي خطبة طويلة، ولكن نأخذ منها المقطع الذي هو موضع الشاهد، يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إلى أن قام ثالث القوم»، في إشارة إلى الخليفة الثالث، عندما تولى الخلافة.

«وقام معه بنو أبيه»، أقاربه وعشيرته قاموا معه في أمر الخلافة، والتفوا حوله، فماذا فعلوا؟.

«يخضمون مال الله»، الخضم يعني اللهم، من لهم يلهم، إذا تناول الطعام بشراهة، فهناك من الناس من يأكل على مهل، وهناك من يسرع ويلتهم الطعام التهامًا، مثل أكل من اشتد به الجوع، وهو تشبيه رائع لحالة بطانة الخليفة الثالث من بني أمية في سرقة بيت مال المسلمين والاستحواذ عليه، فيعبر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن اندفاع خواص الخليفة الثالث من أقربائه وخواصه الذين (خضموا) مال الله، الذي هو بيت مال المسلمين، فذروه قاعًا صفصفًا.

«يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع»[٥٨]، انظروا إلى هذا التمثيل الجميل والدقيق، فعندما تصل الإبل إلى نبتة الربيع، وهي حيوانات تعيش في الصحراء، وكل النباتات التي تقتات عليها يابسة، ونبتة الربيع طرية، فعندما يأتي فصل الربيع تجد الجمل يلتهم هذه النبتة التهامًا، فيشبّه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ حال أقرباء الخليفة الثالث في نهش المال العام، بهذه الإبل وهي تلتهم نبتة الربيع الطرية اللطيفة، وتقضمها قضمًا، إذ تستحوذ على هؤلاء – نستجير بالله من ذلك – حالة حرص، جشع، فلا يشبع أحدهم ولا يمل؛ فحين يسرق مليونا يريد عشرة ملايين، وحين يسرق مائة مليون يريد مليارا، وحين يسرق مليارا يريد عشرة مليارات، فلا ينتهي نهمه إلى حد، هكذا يتعامل، وكل المنظومة كذلك.

يريد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يقول هنا إن كل منظومة إدارية، قيادية، حكومية، أو غيرها، فيها عدد من الأشخاص يلتفون حول المسؤول، وكل همهم ما يمكن أن يحصلوا عليه، وطبعًا لا نعمم، فهناك أناس مخلصون، يقفون ويخدمون، ولكن هناك الدغل أيضًا، فمن هؤلاء الناس انتهازيون ومصلحيون، وفي أي منظومة قيادية عليك أيها المسؤول أن تقيّم الناس الذين حولك، وتراقبهم، وتتأكد من سلوكهم، وأيّ من هؤلاء تراه من هذا الدغل، انتهازيًا، فلا تتأسف عليه، ألقه جانبًا وتخلص منه، غير مأسوف عليه، فإنه إن بقي فلن يُبقي لك باقية، وسيضيع عليك دنياك وآخرتك، ولن ينفعك في شيء، وما لم تعالج هذه الظاهرة، وما لم تقطع يد هؤلاء الانتهازيين الذين يحيطون بك، فالمنظومة القيادية آيلة إلى الخواء، إلى الانهيار، إلى التفكك، إلى فشل لا نجاح بعده، وسوف تتسع الفجوة يومًا بعد يوم بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم؛ الحاكم مع الشعب، والمنظومات الأخرى بحسبها، إذ تستشري حالة من السخط،

٥٨. نهج البلاغة ١: ٣٥ الخطبة الثالثة.

فالناس لا يقبلون محاباة البعض على حسابهم، لذلك يدعو أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى محاربة هذه الحالة بشدة.

الإضاءة الثانية: القضاء على ظواهر انتهازية واستغلال البطانة

لا بد من القضاء على ظواهر انتهازية واستغلال البطانة، وعلى المسؤول أن يضرب هؤلاء ويقضي عليهم، ويقمع هذه الظواهر، ويغلق كل المنافذ التي تساعد البطانة على الاستغلال، ولا يسمح لهذه البطانة بأي شكل من الأشكال، بأن يفضلوا أنفسهم على غيرهم في المنظومة القيادية، ويجب أن يكون حالهم كحال غيرهم، في امتيازاتهم وفي أي شيء آخر، فحتى لو كانوا قريبين من المسؤول فيجب أن يكون التعامل بعيدًا عن التمييز والمحاباة، فإن حصل تمييز ومحاباة فسوف يعمل الناس لتحقيق مصالحهم، ويذهبون للتمترس وراء المسؤول، وحينئذ تتشكل محاور متعددة ضمن المنظومة القيادية، مع أنهم جميعًا جماعة تيار واحد، أو منظومة واحدة، أو مشروع واحد، فتفرقوا جماعات، ومن هنا تبدأ المصيبة؛ عندما يميّز طرف نفسه على غيره، فتكون كلمته هي النافذة، ويكون الناس أمام خيار لا بديل له، هو تقييم المسؤول الفلاني له، فإن قال إنه جيد يصعد، وإن قال إنه سيئ ينزل، وحينئذ يذهب الجميع للتفاهم معه، لكي يقول عنهم إنهم جيدون ليصعدوا، وهناك مسؤول ثان، ومسؤول ثالث، فتتشكل المحاور، والاستقطابات، والمحسوبيات، وتتدخل العلاقات الشخصية؛ فإن كان هذا معي فهو جيد جدًا وأرفع درجته حتى لو كان أقل كفاءة، وذاك الآخر الذي ليس من جماعتي أكسره حتى لو كان كفوءًا جدًا.

إذن معايير الكفاءة، والنزاهة، والقدرة القيادية، لم تعد هي التي تتحكم باختيارات المواقع، وإنما تذهب الأمور إلى اتجاهات أخرى للأسف الشديد، فيعم التطاول على المال العام، وتقل النزاهة، ويبتعد الإنصاف؛ فإن كنت من جماعتي فليس هناك من هو أحسن منك، وإن كانت أسوأ بشر على الأرض، أما إذا لم تكن من جماعتي فليس لك شيء عندي ولو كنت نبيًّا.

وهذه كلها لا تنتهي، وتؤدي إلى مضاعفات حساسة وخطيرة؛ فلا يوجد إنصاف في التعيينات؛ فإن كان هذا الوزير من الجماعة الفلانية فالتعيينات كلها لجماعته، أما الآخرون فليس لهم شيء حتى لو كانوا أكفأ، وليس هناك إنصاف في الامتيازات، فهي كلها لجماعته وإن لم يكونوا يعملون، والآخر حتى لو كان يعمل فليس له امتيازات، وهكذا تستمر هذه كلها بالاتساع.

(فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ)، يجب القضاء على هذه الظواهر، وقطع اليد التي تستغل اسم المَسؤول، وتسيء إلى المنظومة القيادية والقيم، ويذكر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أمرين للقضاء على ظاهرة استغلال البطانة للحاكم:

الأمر الأول: توضيح الصورة للجميع؛ قل لجميع من لهم صلة بك، كأبنائك وإخوانك وأبناء عمومتك وأعضاء حزبك: لا يوجد فضل لأحد على آخر إلاّ بالحق، وأي شخص يعمل بنحو جيد فهو الأقرب لي، وأخدمكم لشعبه هو الأقرب لي، ولا أفرق بين أخي وابني وابن عمي وغيرهم، ولا يخدعنكم من يقول لكم غير هذا، فالأقرب لي هو الذي يعمل.

اشرح لهؤلاء المقربين إلى أن يتضح لهم أنّك لا تحابي أحدًا على حساب الحق، وعندما يرى الآخرون أنك لا تفرق بين شخص وآخر، يدب عندهم النشاط والحيوية، وتتولد لديهم الرغبة في أن يخدموا ويقدموا، وعندما تتضح الصورة للجميع، لبطانتك وللآخرين، أنك لا تفرق بينهم، وأن المعيار لديك هو الإخلاص في العمل، وليست لديك قرابة مع أحد، فهذا يساعدك كثيرًا على كسر اندفاع البطانة والمقربين في استغلال منصبك، وحينئذ سوف لا يتجرأ الآخرون من غير هؤلاء على استغلالك، بل سيقفون كمراقبين ومحاسبين لكل من يحاول من البطانة والأقرباء استغلال المنصب، وطبعًا ينبغي أن يترجم ذلك أيضًا على صعيد الواقع، وأن لا يقتصر الحاكم والمسؤول على مجرد الكلام، بل يجب أن يؤكد عمله هذا المعنى، وأن لا يكون كلامه لمجرد ذر الرماد في العيون، وسلوكه يحكي شيئًا آخر، فإن كان الأمر كذلك فهو لم يفعل شيئًا، أما إذا كان المسؤول جادا في ذلك واقعًا، ولا يفرق بين أحد وآخر إلا بحجم الكفاءة والإنجاز والعمل وما شابه ذلك، فحينئذ يكون قد حقق النجاح.

الأمر الثاني: التعامل الحاسم والحازم، فيقطع دابر هؤلاء بلا رأفة ولا شفقة، فكل من يريد استغلال اسمه، ومن يريد الإساءة للمنظومة القيادية، ومن يريد أن يجمع ثروة على حساب المصلحة العامة والعنوان العام.. إلى آخره، فالرأفة حرام بحق هؤلاء، فاضربهم واقطع دابرهم، وإلى جهنم وبئس المصير، ودعهم عبرة لمن اعتبر، فالبطانة التي تسيء استغلال العنوان يجب أن تُقمع وتُضرب بقوة، وكل هؤلاء الانتهازيين والاستغلاليين إذا شُخصوا بلا إجحاف ولا ظلم أنهم كذلك، فاضربهم بقوة، وتأكد من أن كل شيء يسير باتجاهه الصحيح وليس العكس، وستلتف الناس حولك أكثر، أما إذا كنت تستحي من هذا، وتخشى أن يغضب ذاك، وتخاف من ذاك أن يجيّش الناس عليك ويفعل كذا وكذا، فاعلم أنه سيُقضى عليك وعلى من حولك من هؤلاء الانتهازيين

بالضربة القاضية، ولكن عندما تضرب هؤلاء وتقمعهم وتقتلعهم من جذورهم، هم ومن جاؤوا به من الانتهازيين، فسيكتب لك النجاح، وستفسح المجال واسعًا أمام العاملين المخلصين للولوج إلى ساحة العمل النظيف والنزيه والكفوء.

تأملوا ما ورد في كتاب بحار الأنوار؛ في إشارة إلى الأمر الأول المتقدم، وهو وجوب توضيح الأمور إلى الجميع، هذا الحل الأول والخطوة الأولى لعلاج هذه الحالة: عن أبي عبيدة قال: سمعت أبا عبد الله الصادق (سلام الله عليه)، يقول: «لما فتح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مكة»، إذ كان قبلها في ضيق وحروب وغزوات، وقد هاجر قهرًا من مسقط رأسه وموطنه مكة إلى يثرب مع جمع كبير من أصحابه، ويوم دخل مكة منتصرًا، ورجع لوطنه بذلك الفتح المبين: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾[٥٩]، وطفقت الناس تدخل في الإسلام أفواجًا، وبسط الإسلام نفوذه على سائر الجزيرة العربية بفتح مكة.

ووقف أبو سفيان قائد فيلق الشرك والضلال ذليلًا وهو يخضع للإسلام، وقُلّد مع مشركي مكة لقب الطلقاء، ليبقى ذلك وصمة عار في جبينهم إلى يوم يبعثون، ووقف لائذًا بالعباس بن عبد المطلب قائلًا: «يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيمًا، فقال له العباس: ليس بملك ولكنها النبوة»[٦٠]، هكذا كان ينظر إليه أبو سفيان ومشركو مكة، وجيء بهم أسارى إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وقد أشار إلى أنهم كانوا أسرى في يد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الكليني في الكافي في رواية عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وأنّ مكة دخلها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عنوة، فكانوا أُسراء في يده فأعتقهم، وقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»[٦١]. وأشار إلى هذه الحقيقة أيضًا المناوي، قال: «وكان رحيمًا حتى بأعدائه، لما دخل يوم الفتح مكة على قريش، وقد أجلسوا

٥٩. سورة النصر: الآية ١ ـ ٢.
٦٠. مجمع الزوائد ٦: ١٦٤.
٦١. الكافي ٣: ٥١٣ ح٢.

بالمسجد الحرام، وصحبه ينتظرون أمره فيهم؛ من قتل أو غيره، قال: ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: اذهبوا فأنتم الطلقاء»[٦٢]. وقال من خطبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عند فتح مكة وقد جيء بصناديد قريش أسرى: «ألا بئس جيران النبي كنتم، لقد كذبتم وطردتم وأخرجتم وفللتم، ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني، فاذهبوا فأنتم الطلقاء»[٦٣].

نرجع إلى رواية بحار الأنوار: «لما فتح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مكة قام على الصفا»، وهو جبل مجاور لبيت الله الحرام، ومنه ينطلق الحاج للسعي بين الصفا والمروة، صعد على جبل الصفا، وقد اجتمع أهل مكة، «فقال: يا بني هاشم»، وهم عشيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، «يا بني عبد المطلب»، وهم أبناء عمومته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأهل مكة كلهم يسمعون، ويتساءلون: لماذا خص عشيرته وبني عمومته دوننا؟ تُرى ماذا يريد أن يقول لهم ليكون الناس شهودًا على قوله؟.

«إني رسول الله إليكم»، أنا الآن لست ابن عشيرتكم وابن عمكم، ولكني رسول الله إليكم، فقد جئتكم بعنوان المسؤول والمتصدي والقائد، «وإني شفيق عليكم»، والكلام الذي أُريد أن أتكلم به أقوله حرصًا عليكم وحبًا لكم، «لا تقولوا إن محمدًا منا»، من اليوم لا أريد أن أسمع أحدًا يقول: إن محمدًا منا بني هاشم، وإنه منا بني عبد المطلب، «فوالله ما أوليائي منكم ولا من غيركم، إلاّ المتقون»، من اليوم ليست لي قرابة مع أحد إلاّ بالتقوى؛ (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم)[٦٤]، فلا يحق للحاكم أن يقول بعد هذا الكلام: هذا من عشيرتي أو من جماعتي أو من حزبي، فهناك شيء واحد هو التقوى، فالأتقى هو الأقرب؛ أنت أخي أو ابن عمي ولكنك لست متقيًا، وذاك ليس من قرابتي ولكنه من أهل التقوى، فهو الأقرب لي.

احذروا أن تقولوا محمد منا، فقد جئتكم نبيًا، ولم آتكم شيخ عشيرة، وموقعي القيادي يقول بأنني أساوي بين الجميع، ولا يتقدم أحد على أحد إلاّ بالموازين الموضوعية؛ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، التقوى، ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾[٦٥]، إذن المؤمن أقرب لي، ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ

٦٢. فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٥: ٢١٨ ح٦٨٣٧.
٦٣. مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١: ١٨٠.
٦٤. سورة الحجرات: الآية ١٣.
٦٥. سورة السجدة: الآية ١٨.

أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾[٦٦]، المجاهد أقرب لي لأنّ الله (سبحانه وتعالى) قد فضله، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦٧]، الأعلم منكم هو الأقرب لي، سواء كان من عشيرتي أو من غيرها، فالموازين هي: التقوى، والإيمان، والجهاد، والعلم، فالأكثر تقوى، الأكثر إيمانًا، الأكثر جهادًا، الأكثر علمًا، هو الأقرب لي، ولا أُميّز أحدًا إلا بما ميّزه به الله (سبحانه وتعالى).

«فلا أعرفكم تأتوني يوم القيامة تحملون الدنيا على رقابكم، ويأتي الناس يحملون الآخرة»، لا يأتِني أحد من بني هاشم يوم القيامة يحمل الدنيا؛ أي غير ملتزم، بينما يأتي آخر من غير بني هاشم وهو يحمل الآخرة؛ أي كان يعمل للآخرة، وسأقف مع ذاك الغريب، ولا أقف مع ذاك الذي من بني هاشم، فليست لديّ قرابة مع هؤلاء الأشخاص، ولكن قرابتي مع الذي يلتزم ويعمل بالقيم بشكل أفضل.

«ألا وإني قد أعذرت في ما بيني وبينكم»، هذا خطاب عام أمام أهل مكة كلهم، أبيّن عذري أمام الله بيني وبينكم، هذا هو المعيار الفاصل؛ فالمتقي منكم قريب لي، وغير المتقي ليس كذلك، وإن كان ابني أو ابن عمي، فأنا لا ألتفت لهذه المعايير، «وفي ما بيني وبين الله عز وجل، فإنّ لي عملي ولكم عملكم»[٦٨]، لا يقُل لي أحد إنه من بني هاشم، بل الحساب على العمل، على الالتزام، على المبادئ، وليس على شيء آخر؛ فإن كان لديك عمل صالح فأهلًا بك، وإن لم يكن عندك عمل صالح فلا أعرفك ولا تعرفني؛ (لكم دينكم ولي دينِ)[٦٩]، عملي لي وعملكم لكم، وكل شخص (ينام بقبره)، كما في التعبير الدارج.

ووردت في كتاب الكافي الشريف، رواية تخص قوله تعالى في سورة التوبة، بشأن موارد صرف الزكوات: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾[٧٠].

٦٦. سورة النساء: الآية٩٥.
٦٧. سورة الزمر: الآية ٩.
٦٨. بحار الأنوار ٢١: ١١١ ح٢.
٦٩. سورة الكافرون: الآية ٦.
٧٠. سورة التوبة: الآية ٦٠.

(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ)، لعله في كل موضع ورد فيه ذكر الصدقات في القرآن يقصد منها الزكاة، وحيثما تذكر الزكاة يقصد منها الصدقة بالمعنى الذي نقوله نحن، إذن كانت الزكاة تطلق عليها في القرآن تسمية الصدقة؛ (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ)، يعني الزكاة، وهي تُعطى للفئات التالية:

(لِلْفُقَرَاء)، الفقير: الذي لا يملك قوت سنته، يعطى من مال الزكاة.

(وَالْمَسَاكِينِ)، المسكين: أسوأ حالًا من الفقير؛ وهو الذي لا يستطيع أن يعمل، فالمسكين مغلوب على أمره.

(وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا)، وهم الموظفون الذين يعملون في جمع الزكوات، جهاز جمع الزكوات، تدفع رواتبهم من الزكاة نفسها.

(وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ)، وهم الناس الذين لديهم موقف تجاه الإسلام؛ لذلك يعطون بعض المال لتقريبهم من الإسلام، وهذه لا تسمى رشوة، بل تسمى استمالة، تأليف القلوب، وهذا منهج إسلامي؛ زكاة تُدفع للمؤلفة قلوبهم، وقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أعرابي فقال له: ألست خيرنا أبًا وأمًا، وأكرمنا عقبًا ورئيسنا في الجاهلية والإسلام؟ فغضب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقال: يا أعرابي، كم دون لسانك من حجاب؟ قال: اثنان: شفتان وأسنان، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أما كان في أحد هذين ما يردّ عنا غرب لسانك هذا؟ أما إنه لم يعط أحد في دنياه شيئًا هو أضر له في آخرته من طلق لسانه، يا علي قم فاقطع لسانه، فظن الناس أنه يقطع لسانه، فأعطاه دراهم»[٧١]، فقطع اللسان هنا هو كناية عن إعطاء المال ليكف عن التعرض لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا نوع من تأليف القلوب.

(وَفِي الرِّقَابِ)، هم العبيد، تُدفع الزكاة لعتقهم من الرق وفك رقابهم من العبودية.

(وَالْغَارِمِينَ)، هم المدينون، تسدد ديونهم من مال الزكاة إذا لم يقدروا على سدادها.

(وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ)، هي الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى، وينتصر فيها لدين الله؛ من تبليغ، إرشاد ديني، توعية دينية، ربط الناس بالدين والقيم، هذه النشاطات تحتاج إلى الأموال، ومن الممكن أن تمول من الزكاة من سهم سبيل الله.

(وَابْنِ السَّبِيلِ)، وهو المنقطع في مدينة أخرى غير مدينته، ضاعت أمواله أو سُرقت، يُدفع له من مال الزكاة أيضًا لكي يرجع إلى أهله.

---

٧١. بحار الأنوار ٨٦: ٢٢ ح٣٨.

(فَرِيضَةً مِّنَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)، الزكاة فريضة من الفرائض التي أوجبها الله (سبحانه وتعالى) على المسلمين.

وفي رواية في كتاب الكافي، أن بني هاشم أقارب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كانوا يعانون الفقر الشديد، وكانت الأيام أيام قحط ومجاعة، ولا يوجد عمل يسترزقون منه، فجاؤوا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وقالوا له: يا رسول الله، لقد جاءك تشريع الزكاة، ولا بد من موظفين يجمعون هذه الزكوات من الناس، ومن موارد صرف الزكوات هم العاملون عليها، فاجعلنا موظفين في دائرة الضرائب، نجمع لك الزكوات ونعيش من هذه الأموال.

عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إنّ أناسًا من بني هاشم، أتوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشي»، أي لجمع زكاة المواشي، وكان أصحابها من الرعاة متفرقين في الصحاري والبراري، ويحتاج جمع الزكاة منهم إلى جهد جهيد، «وقالوا يكون لنا هذا السهم الذي جعله الله للعاملين عليها، فنحن أولى به»، مقابل أن يكون لهم السهم الذي جعله الله للعاملين عليها، لأنّ بني هاشم لا حق لهم في الزكاة وإن كانوا فقراء أو مساكين أو مدينين، ونحن يا رسول الله أولاد عمك، وعشيرتك، وأنت ترى حالنا من الفقر وضنك العيش، «فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: يا بني عبد المطلب، إن الصدقة لا تحل لي ولا لكم»، الصدقة على بني هاشم حرام؛ أراد أن يسد الباب عليهم وينهي الموضوع من أصله، ويجب أن يكون العاملون عليها من غير بني هاشم، وهذه الزكاة كلها لا تشملكم، «ولكني قد وُعدت الشفاعة»، لكن الله (سبحانه وتعالى) أعطاني مكرمة وهي أن أشفع للناس يوم القيامة، «فما ظنكم يا بني عبد المطلب إذا أخذت بحلقة باب الجنة، أتروني مؤثرًا عليكم غيركم؟»[٧٢]، لقد ادخرت لكم شيئًا مهمًا هو خير لكم من كل ما يمكن أن أقدمه لكم في الدنيا، وهي الشفاعة التي طلبتها من الله عز وجل وأعطانيها، فإن كنت أوثر عليكم غيركم في هذه الدنيا، فإني في مقابل ذلك لن أوثر عليكم غيركم في ذلك اليوم العصيب الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون.

وربما يعترض البعض ويقول: لا يوجد شيء كهذا، فإنّ كل من يستحق الشفاعة يُعطاها، سواء كان من بني عبد المطلب أو غيرهم، والشفاعة حق لا يُستخدم إلاّ بما هو حق، وما هو عدل، وما هو إنصاف، فحتى في مسألة الجنة، فإنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يشفع لغير بني هاشم أيضًا، وفي نفس الوقت لا يشفع لبعض بني هاشم،

٧٢. الكافي ٤: ٥٨ ح١.

ولا علاقة له بمن هو الأقرب، فلا يمكن أن يشفع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لأبي لهب وإن كان عمه؛ لأنه لا يستحق الشفاعة، وهذا أمر مفروغ منه، وإنّ هذا به صلاحكم؛ أن أكون منصفًا مع الجميع، وأن أوثر غيركم عليكم في الحياة الدنيا، فاذهبوا واطلبوا الرزق كما يفعل غيركم من الناس، ولا تتوقعوا مني أن أعطيكم لأنكم من بني هاشم، من قرابتي، بل أنتم كسائر الناس في الدنيا والآخرة، ولكن المعايير التي ذكرناها آنفًا لا مانع من تطبيقها في الاستحقاق المعنوي ومراعاة الجانب الموضوعي، وحتى في الحق الحصري بالشفاعة يراعى الجانب الموضوعي، ولا يجامل رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أحدًا على حساب الحق والعدل، هكذا كان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ.

وكان أمير المؤمنين عَلَيْهِٱلسَّلَامُ يتعامل أيضًا بحزم شديد مع المحيطين، مع البطانة، مع الأقارب، ومن هذه الصور الأسطورية تعامله مع أخيه عقيل بن أبي طالب، وهو أخوه من أمه وأبيه، فبعد أن أخذ حصته من بيت المال لم تكفه لكثرة عياله، وكان ما في بيت المال شحيحًا، فكانوا يعطون شيئًا بسيطًا، فجاء عقيل إلى علي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ يطلب منه أن يساعده في محنته، ولكن عليًا عَلَيْهِٱلسَّلَامُ كان أشد منه فقرًا، لأنه كان له من الأولاد خمسة وعشرون ولدًا عدا زوجاته وخدمه، ويصف أمير المؤمنين عَلَيْهِٱلسَّلَامُ هذه الحادثة الغريبة فيقول:

«والله لقد رأيت عقيلًا، وقد أملق»، كان في أشد حالات الفقر، وصفة الإملاق هنا لستُ أنا أو أنت الذين نقولها، بل علي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ هو الذي يصف أخاه به، فتصوروا الحالة البائسة التي كان عقيل فيها.

«حتى استماحني»، يعني طلب مني، أي قال لي: انظر إلى حالي يا علي أنا وعيالي؛ فقد أهلكنا الجوع، وهذا بيت مال المسلمين بيدك، فأعطني قليلًا مما يسد رمقنا.

«من بُركم»، قال: أعطني قليل من الحنطة الموجودة في بيت مال المسلمين، ما أتقوّى به على فقري، فأنا مسلم أيضًا.

«صاعًا»، لم يطلب أكثر من صاع، وهو ما يعادل ثلاثة كيلوات، فإنّ أولادي أولادك، وقد أهلكهم الجوع.

«ورأيت صبيانه»، ليس هو الذي أخبرني، وإنما رأيتهم بأم عيني.

«شعث الشعور»، قال الفراهيدي: «يقال: رجل أشعث الرأس: وهو المغبر الرأس، المتلبد الشعر جافًا غير دهين»[٧٣]، فالذي يترك غسل شعره يصبح مجعدًا، ويقال له أشعث الشعر.

«غبر الألوان»، ألوان وجوههم شاحبة، من شدة فقرهم.

«كأنما سوّدت وجوههم بالعظلم»، قال ابن منظور: «العظلم: عصارة بعض الشجر، قال الأزهري: عصارة شجر لونه كالنيل أخضر مائل إلى الكدرة. وقيل: هو الوسمة»[٧٤]، يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: كانت وجوههم شاحبة جدًا، وكأنما صبغت باللون الأسود، كانوا في هذه الحالة من الفقر، وطلب مني مساعدته من بيت مال المسلمين؛ لأنه كان يعلم بحالي.

«وعاودني مؤكدا»، ثم عاودني مرة ثانية وثالثة يطرق بابي، لإغاثته خوفًا من الموت.

«وكرر عليّ القول مردّدًا»، كرر طلبه مني مرة بعد أخرى.

«فأصغيت إليه سمعي»، لأنّ عقيلًا فقد بصره في أواخر حياته، وكان أكبر من أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بعشرين سنة، عندما وجدني لا أرد عليه، وأكتفِي بالإصغاء إليه.

«فظن أني أبيعه ديني»، ظن أن قلب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قد لان له، وأنه سوف يعطيه ما يطلب، ويفضله على غيره لأنه أخوه.

«وأتبع قياده»، وأسمع كلامه وأطيعه في رغبته في أن أعطيه.

«مفارقًا طريقتي»، أتخلى عن طريقتي في المساواة بين المسلمين.

«فأحميت له حديدةً»، لابد من أنكم قد رأيتم حديدة محماة قد احمرّ لونها واشتدت حرارتها.

«ثم أدنيتها من جسمه، ليعتبر بها».

ويروي عقيل هذه الحادثة عندما سأله معاوية عنها، فقال: «أقويت ـ افتقرت ـ وأصابتني مخمصة شديدة، فسألته فلم تند صفاته»، الصفاة: الحجر الصلد الضخم، يقال: فلان لا تندي صفاته، أي أنه بخيل، والجملة كناية عن إمساكه عَلَيْهِ السَّلَامُ عن بذل بيت المال لأخيه، «فجمعت صبياني وجئته بهم، والبؤس والضر ظاهران عليهم،

٧٣. كتاب العين ١: ٢٤٤.
٧٤. لسان العرب ١٢: ٤١٢.

فقال: ائتني عشية لأدفع إليك شيئًا، فجئته يقودني أحد ولدي، فأمره بالتنحي ثم قال: ألا فدونك، فأهويت حريصًا قد غلبني الجشع أظنها صرة، فوضعت يدي على حديدة تلتهب نارًا، فلما قبضتها نبذتها، وخرت كما يخور الثور تحت يد جازره، فقال لي: ثكلتك أمك، تئن من حديدة أوقدت لها نار الدنيا، فكيف بك وبي غدًا إن سُلكنا في سلاسل جهنم؟»[٧٥].

نكمل كلام أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

«فضج ضجيج ذي دنف من ألمها»، الدنف هو المرض، أي صرخ صرخة مريض من شدة الألم، عندما أمسك الحديدة المحماة.

«وكاد أن يحترق من ميسمها»، من أثرها في يده.

«فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه؟»، تتوجع وتصرخ من حديدة أحميتها بضع دقائق لأمازحك ولم تتحملها.

«وتجرني إلى نار سجّرها جبارها لغضبه»، تجرني إلى تلك النار التي أوقدها الله سبحانه لغضبه، فأنت لم تتحمل هذه النار التي هي لعبة إنسان، فكيف تريدني أن أتحمل نار غضب الله؟.

«أتئن من الأذى ولا أئن من لظى؟»[٧٦]، من النار، من جهنم، إلى آخر ما ورد.

هكذا كان علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في هذا الجانب.

أكتفي بهذا المقدار وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٧٥. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٢٥٣.
٧٦. نهج البلاغة ٢: ٢١٧ كلام ٢٢٤.

المحاضرة العاشرة بتأريخ ٦/ ٥/ ٢٠٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالنا وأعمالكم، وبارك لنا جميعا في صيام هذه الأيام الشريفة المباركة ونحن في العشرة الثانية من شهر رمضان، وأسأل الله أن يجعلنا من المرحومين في هذا الشهر، وأن لا نكون من المحرومين.

كان حديثنا في الأيام الماضية في عهد أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) لمالك الأشتر حين ولاه مصر، وكان الحديث في المقطع السادس والعشرين من هذا العهد، وهو جملة من التوصيات التي يقدمها أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) للحكام والمتصدين في مواقع القيادة والإدارة المختلفة، وكان الحديث في التوصية الثامنة وهي توصية طويلة نحن قسمناها إلى قسمين، في القسم الأول من هذه التوصية يحذر أمير المؤمنين من استغلال الأقربين، الخواص، البطانة لموقع المسؤولية، وذكرنا في الإضاءة الأولى طبيعة هذه الحقيقة، وكان الحديث في الإضاءة الثانية وهي ضرورة التعامل الحاسم والحازم مع هذه الظاهرة و وضع حد من قبل المتصدي لعبث ذويه ومقربيه وبطانته، وذكرنا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان شديدًا في هذا الجانب واستعرضنا العديد من النصوص في هذا الأمر، ثم انتقلنا للحديث عن سيرة أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، وأيضا ذكرنا أكثر من شاهد في سلوك أمير المؤمنين في هذا الشأن وانتهى بنا المطاف إلى الحديث عن أخيه عقيل.

وهناك خطبة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يذكرها المرحوم الكليني في كتاب الكافي الشريف، يقول:

«خطب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن آدم لم يلد عبدًا ولا أمة»، الله تبارك وتعالى عندما خلق البشر خلقهم جميعًا أحرارًا، ولم يخلق بعضًا منهم عبيدًا وبعضًا أحرارا، لم يخلق عبدًا وأمة، بل خلق كل الناس أحرارًا، ثم دخلت الاعتبارات الأخرى على الخط.

«وإنّ الناس كلهم أحرار، ولكن الله خوّل بعضكم بعضًا، فمن كان له بلاء»، من ابتلي في أن يكون عبدًا.

«فصبر في الخير»، عليه أن يصبر على ذلك.

«فلا يمنّ به على الله عز وجل، ألا وقد حضر شيء»، توفرت موارد في بيت المال.

«ونحن مسوون فيه بين الأسود والأحمر»، الأحمر يعني الأبيض، وهذا المال الذي توفر نساوي فيه بين الأبيض والأسود، فلا نفرق فيه على أساس عرقي، ولا على أساس المكنة الاقتصادية، أو ما شابه ذلك، بل نساوي بين المسلمين.

«قال: فأعطى كل واحد ثلاثة دنانير، وأعطى رجلًا من الأنصار ثلاثة دنانير، وجاء بعده»، الذي كان واقفا بعده في صف الانتظار، «غلام أسود، فأعطاه ثلاثة دنانير، «فقال الأنصاري: يا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا غلام»، كان هذا عبدي، «أعتقته بالأمس»، بالأمسأعتقته وصار حرًا، واليوم تعطيه ثلاثة دنانير كما أعطيتني، «تجعلني وإياه سواء؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إني نظرت في كتاب الله فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضلا»[٧٧].

لم يفرق القرآن بين إنسان وآخر على أساس العرق، فلا يختلف إنسان عن إنسان بسبب عرقه، فهذا مسلم وأنت مسلم، وإن كنت أبيض وهو أسود، وأنت حر وهذا اليوم صار حرًا، وإن كان عبدا لك بالأمس، فهذا لا يغير من صورة المسألة في شيء ولا يجعل لك حقًا في أن تأخذ أكثر مما يأخذ، وكلاكما سواسية في العطاء من بيت مال المسلمين، فانظر إلى المساواة إلى أي مستوى.

وورد في هذا السياق أيضًا كلام لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في نهج البلاغة، في رسالة وجهها إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر في وقت سابق على توليته لمالك الأشتر، يقول فيها: «أما بعد، فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين» يعني استعين به.

٧٧. الكافي ٨: ٦٩ ح٢٦.

«وأقمع به نخوة الأثيم»، أقمع: أكسر، والنخوة: الكبر والتعالي، والأثيم: هؤلاء الذين يتكبرون، ويفضلون أنفسهم على الناس، وبك أكسر أنوفهم وشوكة الاستعلاء فيهم.

«وأسدّ به لهاة الثغر المخوف»، اللهاة: هي قطعة اللحم التي تلتصق في سقف الفم في نهايته، وأحيانًا عندما نأكل يلتصق شيء بها، والثغر: جمعه ثغور، ويقصد به حدود المسلمين، المخوف: يعني الذي يخشى منه، فأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: أنا أسدّ بك ثغور البلاد الإسلامية التي يخشى منها، فأنت الوالي، تمسك بجيشك الحدود، وتمنع دخول الأعداء.

«فاستعن بالله على ما أهمك»، هذه مسؤوليات عظيمة، يجب أن تستعين بالله لتحقيقها، وهي: الاستقواء بك على إقامة الدين، وكسر تكبر بعض الناس على غيرهم، وحماية ثغور المسلمين وحدودهم.

«واخلط الشدة بضغث من اللين»، لا تستطيع بالشدة وحدها أن تجمع الناس على ما تريد، بل ستنفرهم منك، وقد أشار إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٧٨]، فلا تكن لينًا فقط فلا أحد يسمع لك، ولكن كن ذا حزم في لين، ذا شدة مخلوطة مع اللين.

«وارفق ما كان الرفق أرفق»، الذي ينفع معه المعروف، ولا يحملك على محمل خاطئ عندما تتعامل معه باحترام ورفق ولين، فتعامل معه بلين؛ لأنّ الأساس أن تتعامل مع الناس بلين واحترام، إذا لم يكن هذا مما يفسدهم ويجعلهم يتجاوزونك أو يستغلون لطفك ولينك معهم.

«واعتزم بالشدة حين لا تغني عنك إلاّ الشدة»، الذين لا ينفع معهم اللين، لأنهم يستضعفونك عندما يرونك ليّنا، فحينئذ عليك اللجوء للشدة ليستقيموا لك، هذا هو التوازن بين الشدة واللين؛ فهناك أناس إن تعاملت معهم برفق استقاموا على الطريق، فلا مبرر لاستعمال الشدة مع هؤلاء، وينبغي أن يكون المسؤول معهم لطيفًا جدًا ويحترمهم ويكرمهم ويقدرهم، والتعامل الهادئ معناه أن الطرف المقابل يدرك ما يريد المسؤول بنظرة أو بإشارة، ويسرع للتنفيذ، فمثل هذا يحتاج إلى اللين فقط.

٧٨. سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

وهناك أناس في الاتجاه المعاكس؛ «العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشارة «، فبمجرد أن تهوّن عليه قليلًا وتحترمه يخرج من طوره، ولا تستطيع الإمساك به، فمثل هذا يستوجب المراقبة المستمرة، وأن تتعامل معه بشدة لكي تسير الأمور، فلا تنفع معه إلا الشدة.

وهناك أناس بين هذا وذاك، فيحتاج التعامل معهم إلى قليل من اللين وقليل من الشدة، أن تغلظ عليه حينًا، وتستوعبه وتحتضنه حينا آخر.

هذا التوازن يرتبط بطبيعة تحقيق المهام؛ فعندما تغضب وتتعامل بشدة فهذا ليس للثأر والتشفي، وعندما تتعامل بلين فهو ليس للضعف، فتحتاج إلى شدة في لين، وحزم في لين، والهدف كله تحقيق الأهداف المرجوة، الغايات المرجوة، الواجبات التي يجب أن تتحقق، هذا هو الهدف، فإذا وجد من يفي بالواجبات ويؤديها برفق، فلا تتعامل معه بشدة، وتواصل معه باللين والمحبة والمرونة، وإذا وجد من لا ينفع معه إلا الشدة، فلا خيار إلا أن تتعامل معه بشدة.

«واخفض للرعية جناحك»، تواضع للناس الذين هم تحت مسؤوليتك.

«وابسط لهم وجهك»، انبساط الوجه: الابتسام، فهناك من وجهه عبوس، نستجير بالله، وعندما تنظر إليه ترغب فقط في أن تكف شره، وهناك من هو هش بش، تعلو الابتسامة محياه في أغلب الأحيان، فأنت أيها المسؤول، أيها المتصدي، كن سمحًا، مبتسمًا، لطيفًا مع مَن أنت مسؤول عنهم.

«وألن لهم جانبك»، تعامل باللين معهم ما كان اللين مفيدًا ونافعًا لتحقيق الأغراض.

«وآسِ بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية «، اجعلهم سواسية ولا تفضّل بعضهم عَلى بعض في اللحظة والنظرة والتحية والاحترام؛ لا تبالغ مع البعض وتتجاهل البعض الآخر، وكن قريبًا منهم، حريصًا على أن تساوي بينهم في هذه الأمور.

«حتى لا يطمع العظماء في حيفك»، فإنك إن لم تساوِ بين الناس في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية، وفرقت بينهم في ذلك، وكنت تولِي أصحاب النفوذ والوجهاء والأغنياء وأضرابهم اهتمامًا أكبر من غيرهم، فحينئذ سيطمع هؤلاء في حيفك، أي في استغلال تمييزك هذا ضد خصومهم، وخاصة ضد أولئك الذين لا تعير لهم اهتمامًا ـ وهو نوع من أنواع الظلم ـ إذن سيقوم أهل الوجاهات، وأهل الإمكانات، وأصحاب النفوذ،

والأثرياء، وأولئك الذين يحظون منك بالاحترام الأكثر، والرعاية الأكبر، باستغلال حيفك هذا ـ أيها المسؤول ـ في فرض إرادتهم على الآخرين الذين هم أضعف عندك.

وربما يبرر المسؤول سلوكه هذا بأنه لا يمتلك الوقت الكافي للاهتمام بجميع المواطنين بدرجة واحدة، ولذا فهو مضطر لأن يداري أصحاب النفوذ، وهم مفاتيح الجماعات الذين قد يحتاج إليهم في الأزمات والظروف الطارئة، وإن ولّد هذا السلوك آثارًا جانبية، كحصول الطمع عند هؤلاء في استغلال نفوذ المسؤول في محاولة بسط نفوذهم على الآخرين، وجعلهم أشداء على غيرهم، فيظلمونهم، ويعتدون عليهم، ويتجاوزون حدودهم، ويفضّلون أنفسهم على الآخرين، وهذه كلها مسائل حساسة وخطيرة لو حصلت.

«ولا ييأس الضعفاء من عدلك»[٧٩]، عندما يرى الضعيف اهتمامك بذاك الذي جاء يشتكي منه، واحترامك له، وانصراف انتباهك إليه، وتركك هذا الضعيف فريسة سهلة بينكما، سيحصل عنده اليأس، ويقول: إذن لا يوجد سبيل لأخذ حقي إذا كانت هذه مكانة خصمي عند الخليفة، عند الأمير، عند المسؤول، فماذا أقول؟ وكيف أعترض؟ ومن الذي يسمعني؟ ولكي تحول دون حصول اليأس لدى الضعفاء من عدلك، عليك أن تساوي ـ أيها الحاكم ـ بينهم بالاحترام والتحية والاهتمام، فيكون الفقير والغني، والعبد والحر، والأبيض والأسود، محترمين جميعًا عندك على حد سواء، فيجب أن تساوي بين الناس في مجلسك، في نظراتك، واهتمامك.

يقال: إن أحد المراجع عندما كان يستقبل الناس في غرفته الصغيرة التي لا تتسع لأكثر من عشرين شخصًا، لا يكتفي بسلام وترحيب عام تجاه الجميع، بل كان يسلم على الجميع فردًا فردًا مؤشرًا بإصبعه: سلام عليكم، سلام عليكم، سلام عليكم، وعندما يرى هذا الشخص أن المرجع سلّم عليه بالخصوص وأظهر للجميع نفس الاحترام، فسوف يخرج فرحًا وراضيا عنه، لذا فإنّ إشعار الجميع بالرعاية والاهتمام أمر مهم جدًا، وهكذا هي المساواة.

وورد أيضًا في نهج البلاغة في كتاب لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان، وهي منطقة في إيران، وتعلمون أن إيران اليوم كانت تابعة إداريًا للكوفة، عاصمة الدولة الإسلامية ومقر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان هو الذي يعين الولاة في هذه المناطق. يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الكتاب:

٧٩. نهج البلاغة ٣: ٢٧ كتاب٢٧.

«أما بعد، فإنّ الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرًا من العدل»، إذا اختلف هواه فلا يكون عادلًا.

وهنا الشاهد: «فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء»، في الحق يجب أن يكون الناس سواسية، فلا تغلّب بعضًا على بعض، لا تفضّل بعضًا على بعض.

«فإنه ليس في الجور عوض من العدل»، إذا ميزت تكون قد ظلمت أولئك الذين تجاهلتهم، عندما ركزت على البعض دون البعض الآخر، ولا يمكن أن يكون الجور عوضًا من العدل.

وقد يبرر الحاكم فعلته هذه بأنّ هؤلاء الين خصصتهم بالتحية والإكرام، والاهتمام والاحترام، هم وجهاء وشيوخ عشائر وقيادات أحزاب وزعماء جمعيات وأناس متنفذون في المجتمع، يستطيعون أن يتحكموا بالشارع، ويجنبونا الكثير من المشكلات، فأنا أعطيهم من وقتي لأنّهم إذا أصبحوا إيجابيين فسوف يهدئون لي الشارع في حال ثورانه.

وهذا الكلام مردود جملة وتفصيلًا؛ فإنه لا يجوز إسخاط الناس لإرضاء فئة تزعم أنهم سيقفون معك لو انتفض هؤلاء الناس، لأنك باحترام هذه الفئة وتجاهلك لمعظم الناس تكون قد صنعت الأرضية الملائمة لاحتجاج هؤلاء الناس عليك وعلى هذه الفئة التي توليها كل الاهتمام والرعاية، وهذا لا يصح.

«فاجتنب ما تنكر أمثاله، وابتذل نفسك»، اصرف وقتك وابذل جهدك.

«في ما افترض الله عليك، راجيًا ثوابه، ومتخوفًا عقابه، واعلم أن الدنيا دار بلية، لم يفرغ صاحبها فيها قط ساعة إلاّ كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة «، إذا لم يستشعر المتصدي المسؤولية ويصرف وقته في المهام التي كلّف بها، فإنّ هذا الوقت الذي تركه وانشعل في مسائل أخرى، سيكون وبالًا عليه وحسرة يوم القيامة.

«وأنه لن يغنيك عن الحق شيء أبدًا»، لا تظن أنك ستحصل على شيء عندما تترك الحق وتذهب إلى شيء آخر، فالحق وحده هو الذي يحقق لك النتائج الصحيحة عندما تصل إليه بالوسائل الحقة والمشروعة والصحيحة.

«ومن الحق عليك حفظ نفسك، والاحتساب على الرعية بجهدك، فإنّ الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك»[٨٠]، راقب الرعية، وانظر أين الاعوجاج لتصلحه وتقومه، ولا تتعامل بطريقة إدارية بحتة، أو تنجز مهام إداريةفقط، بل عليك

٨٠. نهج البلاغة ٣: ١١٥كتاب ٥٩.

أن تفكر في رعاية هؤلاء الناس الذين هم تحت مسؤوليتك؛ قيّمهم من خلال الاطلاع على مبادئهم وسلوكهم وأخلاقهم وتعاملهم، فأنت مسؤول عن هذه الأمور أيضًا؛ عن تقويم انحرافهم وأخلاقهم، وهذا شيء مهم جدًا أيضًا.

وورد في رسالة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أمرائه على الجيش بعد أن بويع بالخلافة، جاء فيها:

«من عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى أصحاب المسالح»، المسالح: جمع مسلحة، وهو الثغر من ثغور المسلمين، وسمّيت الحدود والثغور بالمسالح لكثرة السلاح فيها، من أجل حماية الحدود من الأعداء.

«فإنّه حقًا على الوالي أن لا يغيره على رعيته فضلٌ ناله»، الوالي يجب أن لا يتغير على الناس؛ بسبب فضل حصل عليه مقدم له من غيره.

«ولا طَوْلٌ خُصَّ به»، ولا منزلة عظيمة حصل عليها، فالمكانة التي يحصل عليها الوالي والحاكم يجب أن لا تغير سلوكه مع الناس، فمهما كبر الحاكم أو المسؤول يجب أن يبقى قريبًا من الناس، ومتواضعًا لهم.

«وأن يزيده ما قسم الله له من نعمه دنوًا من عباده»، على الحاكم والمسؤول كلما ازدادت مكانته ومنزلته، أن يكون أكثر قربًا من عباد الله، وترابيًا أكثر مع الناس.

«وعطفًا على إخوانه»، وأن يكون علو شأنه سببًا في زيادة عطفه على الناس، ويتجسد ذلك من خلال زيادة الاهتمام بهم.

إذن فالمسؤولية يجب أن لا تغير سلوك المسؤول، بل على العكس؛ يجب أن تطور سلوكه، وكلما كانت مسؤوليته أكبر يجب أن يكون تواضعه للناس أكثر.

«ألا وإن لكم عندي أن لا أحتجز دونكم سرًا إلا في حرب»، حقكم على الحاكم أن يشارككم في إطلاعكم على أسرار الدولة، اللهم إلاّ الأسرار المتعلقة بالحرب، فهؤلاء المرابطون على الحدود في المناطق النائية، ولا يصل إلى مسامعهم إلاّ النزر اليسير من الأخبار، يجب أن يكونوا على علم بما يجري في البلاد، والأسرار التي تكتمها الدولة عن عموم الناس، لأنّ هؤلاء القادة العسكريين المرابطين هم الأكثر حرصًا على الأمة وعلى سلامة سير الأمور فيها، وهم المعنيون بمثل هذه الأسرار، ليكونوا على علم كامل، ومعرفة تامة، بما يحاك من خلف الكواليس من أمور خطيرة تؤثر في مستقبل

البلاد وحياة العباد، أما في ما يخص الأسرار العسكرية المتعلقة بالحرب، فيجب أن تبقى في طي الكتمان عن الجميع، إلا الدائرة الخاصة التي تصنع فيها قرارات الحرب.

«ولا أطوي دونكم أمرًا»، لا أخفي عنكم شأنًا من شؤون الدولة.

«إلا في حكم»، أشاوركم في الأمور وأستمع لآرائكم، باستثناء الأحكام القضائية التي هي حكم الله ولا يجوز فيها التشاور.

«ولا أؤخر لكم حقًا عن محله، ولا أقف به دون مقطعه»، لا أتخذ قرارًا يسلبكم حقوقكم، ولا أقطع ما هو حقكم.

«وأن تكونوا في الحق عندي سواء»، هذا هو الشاهد، أي أساوي بينكم في ما هو حق، فلا أفرق بينكم.

«فإذا فعلت ذلك وجب لله عليكم النعمة، ولي عليكم الطاعة»، إذا حصلتم على حاكم أو إمام كهذا، يشرككم في المشاورة، ويسألكم عن أحوالكم وأموركم، ويطلعكم على أسرار الدولة، ويتواضع لكم، ويحفظ حقوقكم، ويساوي بينكم، فيجدر بكم أن تشكروا الله (عز وجل)، وتطيعوا هذا القائد المسؤول الذي تتوفر فيه هذه الصفات.

«وأن لا تنكصوا عن دعوة»، أن لا تتأخروا عن دعوة ندعوكم بها، سواء كانت دعوة لحرب أو سلم أو أمر في قضية ما.

«ولا تفرطوا في صلاح»، هذا الاهتمام بكم، والتواضع لكم، ومراعاة حقوقكم، يجب أن تشجعكم على مراعاة العمل بالصلاح.

«وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق»، أن تتحملوا الشدائد، وتكونوا أصلب وأكثر تمسكًا بالمشروع، فما دام قائد المشروع منفتحًا عليكم، ومهتمًا بكم، يجب أن ترتبطوا وتتمسكوا بالمشروع أكثر، وتنتموا إليه أكثر.

«فإن أنتم لم تستقيموا لي على ذلك»، أما إذا لم تعملوا هذا الشيء، ولم تكن لديكم استقامة وثبات.

«لم يكن أحد أهونعليّ ممن اعوجّ منكم»، يصبح وضعكم أصعب من أي شخص آخر، ويكون انحرافك، وأنت في مواقع المسؤولية، وأنت في مواقع التصدي، أعظم من انحراف الإنسان البسيط.

«ثم أُعظِم له العقوبة»، عندما ترونني لينًا ومتواضعًا ولطيفًا وحافظًا لحقوقكم ومساويًا بينكم، فلا تستغلوا هذا الأمر وتتمردوا عليّ، فالذي يخرج عن جادة الصواب سأُعظِم له العقوبة وأعاقبه بشدة.

«ولا يجد فيها عندي رخصة»، ثم لا أتساهل مع انحرافاتكم.

«فخذوا هذا من أمرائكم، وأعطوهم من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم»[٨١]، لذلك لكم عليّ التواضع، وحفظ الحقوق، والمساواة، وإشراككم في الحقائق والمعلومات والمجريات، وعليكم الطاعة، والالتزام، واستثمار هذا التعامل الطيب في الاتجاه الصحيح.

وورد أيضًا في بعض الروايات قصة مشابهة عن عبد الله بن جعفر، وهو ابن أخ الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وزوج ابنته الحوراء زينب (عَلَيْهَا السَّلَامُ)، ونعرف أن عبد الله بن جعفر كان شابًا شجاعًا مقدامًا، قاتل مع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في حروبه الثلاث؛ في الجمل وصفين والنهروان، وكان اندفاعه في القتال بمستوى جعل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول له: على مهلك، ليس هكذا القتال، فكان عالمًا شجاعًا مقدامًا، هذه هي أوصاف عبد الله بن جعفر، ولكن أصابته الحاجة وطرق الجوع بابه، فطلب من أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يساعده في هذا الأمر، فماذا كان رده عَلَيْهِ السَّلَامُ؟.

روى ابن أبي الحديد عن هارون بن سعيد قال: قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا أمير المؤمنين؛ لو أمرت لي بمعونة أو نفقة، فوالله ما لي نفقة إلا أن أبيع دابتي. فقال له عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا والله ما أجد لك شيئًا إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك»[٨٢]، كيف أعطيك أكثر من حصتك من بيت مال المسلمين؟.

وورد في نهج البلاغة أن عبد الله بن زمعة ـ وكان من شيعة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ والمخلصين له، وكان إنسانًا عظيمًا مميزًا، ومجاهدًا قدم الكثير، وضحى بالكثير؛ فقد استشهد أبوه وعمه وأخوه في المعارك، ولم يكن إنسانًا عاديًا، فهو من عوائل الشهداء، وهو مضح، ومخلص، ومتفانٍ ـ طلب من أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ شيئًا من المال يزيد على حقه الذي يوزع بين المسلمين، فقال له أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن هذا المال ليس لي ولا لك»، هذا المال ليس ملكًا شخصيًا لي لأتصرف به كما أشاء، وهو أيضًا ليس ملكًا شخصيًا لك لأعطيك إياه.

٨١. نهج البلاغة ٣: ٧٩ كتاب٥٠.
٨٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٢٠٠.

«وإنما هو فيء للمسلمين»، هذه أموال المسلمين، فيئهم الذي حصلوا عليه.

«وجلب أسيافهم»، جاءت هذه الأموال بسيوف المسلمين، في المعارك التي أعطوا فيها دماء، وانتصروا على الأعداء وحصلوا على هذه الغنائم، فهي ليست أموالي ولا أموالك لأعطيك منها، ولم تكن القوات المسلحة في ذلك الوقت تمنح رواتب، ولا حتى سلاحًا، فلا توفرها الدولة لهم، وعندما تدق طبول الحرب يحمل المسلمون سيوفهم ورماحهم وسهامهم، ويركبون خيولهم أو إبلهم وينطلقون إلى ساحة المعركة، ومن لم يكن لديه ما يركب عليه يذهب ماشيًا، ولذا اختلف سهم الراكب عن سهم الماشي في توزيع الغنائم، فلا رواتب ولا سلاح ولا عتاد تعطى لهم، نعم إذا انتصروا في المعركة تقسم الغنائم على عدد الجنود، وكانت الناس تأتي لتقاتل في سبيل الله، وليحصلوا على الغنائم، ولا يجوز إعطاء الغنائم إلى من هبّ ودبّ ممن لم يشارك في القتال.

«فإن شركتهم في حربهم، كان لك مثل حظهم»، إذا كنت قد شاركتهم في الحرب، فلك مثل ما أعطيت الآخرين، وإلاّ فلا عطاء لك من هذه الأموال، من غير أن تذهب إلى المعركة وتقاتل كما قاتلوا وتحصل معهم على المغانم، وإن كنت ابن أخي، فلا نفقة لك.

«وإلاّ فجناة أيديهم، لا تكون لغير أفواههم»[٨٣]، هذه الأموال هي مما جنوه بأيديهم، وما حصلوا عليه بأيديهم من المعركة والقتال، لا يكون إلاّ لأفواههم وأفواه أولادهم وعوائلهم، ولا يحق لي أن أعطيك منها لقمة واحدة.

لقد كان علي عَلَيْهِ السَّلَامُ شديدًا مع ولاته، ومع أُمراء الجيش، لئلا يتجبروا ويمكنوا بطانتهم وخواصهم من التلاعب بحياة الناس والمال العام، ولئلا يفضل هؤلاء خواصهم وأقاربهم وذويهم على غيرهم، فكان يراقب هذه المسألة بدقة، ومن هذه الأمور الواردة قصة الوالي مصقلة بن هبيرة الشيباني، الذي كان واليًا على منطقة من مناطق فارس اسمها (أردشيرخرة)، ولعلها تسمى اليوم (فيروز آباد)، إذ بلغ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أن هذا الوالي يوزع الأموال والمغانم بين أعوانه وأصدقائه وأقاربه، فأرسل له رسالة شديدة اللهجة، يقول له فيها:

٨٣. نهج البلاغة ٢: ٢٢٦ كلام ٢٣٢.

«بلغني عنك أمرٌ إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك»، إن كنت قد فعلت ما أُخبرتُ به عنك، فأول ما جنيت به على نفسك هو تعرضك لغضب الله (سبحانه وتعالى).

«وأغضبت إمامك»، وثانيًا تكون بفعلك هذا قد خرجت عن طاعة إمامك علي بن أبي طالب الذي نصبك في هذا المكان لتطيع الله عز وجل وتطيع إمامك، ولم أضعك في هذا المنصب لتفعل ما يحلو لك.

«أنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم، وأُريقت عليه دماؤهم» بلغني أنك توزع خراج المسلمين، الغنائم التي حصلوا عليها برماحهم في الحروب.

«فيمن اعتامك من أعراب قومك»، اعتام: من العيمة، قال الفراهيدي: «العيمان: الذي يشتهي اللبن شهوة شديدة»[٨٤]. وقال الجوهري: «العيمة: شهوة اللبن، قال ابن السكيت: إذا اشتهى الرجل اللبن قيل: قد اشتهى فلان اللبن، فإذا أفرطت شهوته جدًا قيل: قد عام إلى اللبن»[٨٥] يعني التف حولك من أقاربك من هو الأشد شهوة في الاستحواذ على بيت مال المسلمين، وقد بلغني أنك وزعت بينهم هذه الغنائم التي حازها المسلمون بدمائهم.

«فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة»، قسم شديد من علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، بالله عز وجل، باثنين من أفعاله التي لا يشاركه فيها أحد، هما: فلق الحبة، أي إنبات الزرع، وبَرء النسمة، أي خلق الأرواح.

«لئن كان ذلك حقًا»، هذا تأكيد على موضوع سابق تكلمنا فيه؛ في عنوان الماهية البشرية للقيادة، وخلاصته أنه حتى لو كان القائد معصومًا، فإنّ السياقات والمعايير والطرق التي يتبعها هي سياقات ومعايير وطرق بشرية، ومعنى قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لئن كان ذلك حقا»، أن الإمام لا يتخذ قراره قبل أن يدقق ويحقق بالتقارير التي وصلت إليه.

«لتجدنَّ بك عليَّ هوانًا»، سترى هوانًا وذلًا عندي لم تره في حياتك.

«ولتخفنّ عندي ميزانًا»، سوف تسقط من عيني، أي لا تكون لك أي قيمة عندي.

«فلا تستهن بحق ربك»، فإياك ثم إياك أن تستهين بحق الله (سبحانه وتعالى)، وتتجاوز على الحرمات.

«ولا تصلح دنياك بمحق دينك»، لا تضيّع دينك لتحصل على متاع دنيوي زائل.

---

٨٤. كتاب العين ٢: ٢٦٩.

٨٥. الصحاح ٥: ١٩٩٤.

«فتكون من الأخسرين أعمالًا»، فإنك إن أصلحت دنياك بزوال دينك تكون من الأخسرين أعمالًا يوم القيامة؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[٨٦].

«أَلا وإِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَقِبَلَنَا مِن المسلمين»، حق الذين عندك وعندنا من المسلمين.

«في قسمة هذا الفيء سواءٌ»، حقهم أن يقسم بينهم هذا المال بالتساوي؛ كل واحد يحصل على حصته وليس أكثر من ذلك.

«يَرِدُون عِندِي عليه ويَصدُرُونَ عنه»[٨٧]، هكذا يجب أن تكون الأمور.

الإضاءة الثالثة: قطع الطريق على الخواص في استغلال المنصب

يجب على المسؤول أن يقطع الطريق على الأقرباء، والخواص، والأتباع، ممن يلتف حوله، في استغلال الموقع لصالحهم ومآربهم الخاصة، ويشير أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا إلى بعض الشواهد التي كانت في ذلك الوقت.

ما هي الموارد التي يتكون منها بيت المال آنذاك، والتي هي تحت تصرف الإمام؟.

يتكون بيت المال من الزكوات والأخماس والأعشار والأنفال والغنائم، وجميعها ذات مصارف محددة ومعلومة في الشريعة، وهي موارد محدودة جدًا، ولذا دعا الإسلام إلى الإنفاق التطوعي كثيرًا لسد العجز في بيت المال، وخاصة في الحالات التي ليس لها عنوان في بيت المال، بل قد أوجبها في بعض الحالات، كالإنفاق على الأبوين وعتق العبيد؛ لأنّ الإسلام قد اعتمد كثيرًا على القطاع الخاص الذي كان قطاعا شخصيًا غالبًا، في إدارة الموارد الاقتصادية، فلم يكن لديه نفط، ولا مليارات من التجارة والضرائب ونحوها من النشاطات الاقتصادية العامة، وكان الفقر والإفلاس ظاهرة سائدة في المجتمع، ولم يكن الناس يمتلكون غير إمكانات بسيطة، كبعض الأغنام والماعز والإبل والدواجن، يعتاشون من لحومها وألبانها وأصوافها وجلودها وبيضها، وبعض نخيلات يزرعها أحدهم في قطعة أرض صغيرة حيث تتوفر المياه من الآبار، وإن كان الحال أخذ يتغير شيئًا فشيئًا بعد فتح العراق وبلاد الشام وإيران، حيث الأنهار الكبيرة والأراضي الزراعية الواسعة، ولكنها كانت مملوكة من أصحاب البلاد

٨٦. سورة الكهف: الآية ١٠٣ - ١٠٤.
٨٧. نهج البلاغة ٣: ٦٨ كتاب ٤٣.

الأصليين، ولم يكن العرب الفاتحون لهذه الأراضي يعرفون ويطيقون العمل بالزراعة، بل كانوا يأنفون منه في كثير من الأحيان، وإن اتفق أن حصلوا على قطعة أرض زراعية، فقد كانوا يشترون العبيد للعمل فيها، وكانوا يحبذون كثيرًا الحصول على أرزاقهم من الغزو والحروب؛ من الغنائم التي يحصلون عليها.

وقد مكّن هذا الوضع الجديد الولاة من اقتطاع الأراضي الصالحة للزراعة وتوزيعها بين خواصهم وذويهم، وهنا لعبت العلاقات القبلية دورًا كبيرًا في الضغط على الولاة للاستئثار بالقطع الزراعية قرب الأنهار والعيون، في مناطق خلابة لم يألفوا العيش في أجوائها الجميلة، ولا سيما إذا عرفنا أن جيوش المسلمين الفاتحة لهذه الأراضي كانت تتكون من القبائل، فكانت القبيلة تستوطن بأكملها في الأراضي التي تفتحها، وكانت سياسة الدولة تشجع على الانتقال من اقتصاد الرعي إلى الاقتصاد الزراعي، ولهذا أعطت حرية واسعة للولاة في استصلاح الأراضي وتوزيعها بين الفاتحين؛ ليستقروا في تلك البلاد ويحدثوا فيها تغييرًا ديموغرافيًا، أي تغيير التركيبة السكانية للبلاد المفتوحة، فتستطيع الدولة إحكام سيطرتها عليها، ولاسيما أن هذه السياسة قد نجحت في استقرار القبائل العربية التي هاجرت إلى العراق والشام قبل الفتح الإسلامي، بل استطاعت أن تكوّن دولًا فيها، وإن كانت تابعة لدولة الأكاسرة ودولة القياصرة، كدولة المناذرة في العراق ودولة الغساسنة في الشام.

ومن هنا نشأت مشكلة في الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء السابقين، إذ كانت الأراضي توزع بين الأقرباء وأصحاب النفوذ لكسب الولاءات، وكان هذا عملًا مألوفًا عند تولي علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للخلافة، فأراد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يطبق معايير العدالة في توزيع الأراضي بين المسلمين، وإلغاء الاعتبارات الأخرى التي سببت ظلما فاحشا لكثير من الناس الضعفاء والفقراء، ونرى أن كمًا كبيرًا من رسائل وكتب أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى ولاته هي لمعالجة هذه الظاهرة وإحقاق الحق والعدل وإنصاف المظلومين، ولقيت سياسته هذه معارضة عنيفة من المستفيدين من السياسات السابقة، وأخذوا يحرضون الرأي العام عليه تحت عناوين مختلفة، ولم يتركوا لهذه التجربة الإنسانية الرائدة الفرصة لإكمال مشروعها الإصلاحي. لذلك يذكر أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طبيعة الاستغلال الذي كان سائدًا هناك.

أما الآن فالوضع الاقتصادي مختلف تمامًا؛ فقد تنوعت الموارد الاقتصادية بشكل كبير جدًا، وأصبحت الدولة تمتلك موارد ضخمة جدًا تتيح لها الدخول في مشاريع استثمارية وخدمية تدر عليها أرباحًا هائلة، لا سيّما في الدول الريعية كالعراق الذي

يعتمد الدخل القومي فيه على استخراج النفط وبيعه بشكل يكاد يكون مطلقًا، وفي نفس الوقت عرّض الاقتصاد الوطني إلى الانهيار في البلاد التي تفتقد إلى حكام نزيهين، أو تفتقر إلى قوانين صارمة في معاقبة الاعتداء على المال العام، خاصة في العراق الذي وقع بأيدي أناس قد أنهكهم الجوع والفقر، سواء ممن كانوا في الداخل أو من الذين جاؤوا من الخارج، فأوغلوا في تقاسم المغانم والسرقات، بل بنوا نظام الحكم برمته على أساس المحاصصة العرقية والحزبية والطائفية، إمعانًا في السرقات الهائلة التي لم يعهد لها تأريخ البشرية مثيلًا.

الآن هناك سرقات من نمط جديد، وهذه كلها يجب أن يجري التدقيق فيها؛ فمثلًا يسرق يوميًا كذا مائة مليون دينار من أموال العراق من مزاد بيع العملة، وانتشر التلاعب في الحسابات المصرفية، فيجب رصد مواقع الخلل والتلاعب بالمال العام، والبحث عن كل اعتداء على المال العام وتطويقه وإيقافه.

«ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك»، تقطع من الإقطاع، يعني لا تمنح إقطاعية ـ وهي قطعة الأرض الزراعية الواسعة ـ إلى خواصك، من أقربائك والمقربين إليك وجماعتك وأصحاب الوجاهة والنفوذ.

«ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة»، في امتلاك ضيعة، فعندما يراك أحدهم توزع هذه الأراضي بين خواصك، يبعثه ذلك إلى التقرب منك، طمعًا في الحصول على ضيعة، وتكون قد ملّكته ضيعة مجانًا من أموال المسلمين.

«تضر بمن يليها من الناس»، عندما يرونك تفعل ذلك، لن يكتفوا بالحصول على ضيعة في أي مكان، بل سيطلبون منك الحصول عليها في أفضل الأماكن، وحينئذ سيضرون بأصحاب الضياع الأخرى الموجودة من قبل. واليوم نرى المسؤولين في الحكومات المتعاقبة، من أعضاء مجالس المحافظات والمدراء العامين ووكلائهم ونوابهم، أو من النواب المتعاقبين في مجلس النواب في دوراته المختلفة، يطلبون من أمانة العاصمة أو من دوائر البلديات في المحافظات الحصول على أفضل قطع الأراضي بأسعار زهيدة، والحصول على قروض كبيرة بفوائد بسيط وطويلة الأمد لبنائها، بل تعدى الأمر إلى شراء أو إجارة عقارات الدولة بأسعار زهيدة تحت مسميات مختلفة في ملفات فساد خطيرة لم يشهد لها العراق مثيلًا خلال المائة سنة الماضية، أي منذ نشوء الدولة العراقية الحديثة، وكذلك يطلب بعض الوزراء اليوم أن تكون قطعة الأرض التي تهبها له الدولة مطلة على نهر دجلة، أو في الحي الفلاني، ويريد أن تكون مساحتها

(٦٠٠) متر أو (١٠٠٠) متر، وهكذا يطلبون أن تكون الأراضي في أفضل أماكن المدينة، فيأخذون قطع أراض ويتملكونها بغير وجه حق، وكذا في العصور السابقة كانوا يطلبون أن تكون القطعة الزراعية قرب الأنهار أو العيون ليسهل سقيها، فتضر بقطع الأراضي الزراعية الأخرى التي يمتلكها الناس.

«في شربٍ»، تأخذ الماء كله لمزرعتك ولا تبقي ماء لأصحاب المزارع الأخرى.

«أو عمل مشترك»، أو الأمور الأخرى كالأسمدة مثلًا أو الخدمات الأخرى، هذه كلها تأخذها لنفسك.

«يحملون مؤونته على غيرهم»، بالإضافة إلى قطع الأراضي الجيدة التي يأخذونها، من حيث الموقع القريب من مصادر المياه، يفضلون أنفسهم على الآخرين أيضًا بإلقاء أعباء العمل والسقي ومؤونة كري الأنهار على الآخرين من أصحاب الأراضي والمزارعين الآخرين، كأن يشترط على أصحاب الأراضي التي تمر سواقيهم من خلال أراضيه أن يمنع عنهم الماء إذا لم يرسلوا فلاحين لزراعة أرضه وسقيها، فيستخدم نفوذ الدولة للتسلط على هؤلاء المستضعفين، فيزرع هؤلاء المساكين له ويسقون ويحصدون وغير ذلك من أعمال، تحت وطأة نفوذه وضغطه عليهم.

الإضاءة الرابعة: الآثار المدمرة لاستغلال البطانة لنفوذ الحاكم

الآثار الخطيرة والهدامة والمدمرة لتمدد بطانة وخواص وأقرباء المسؤول، وتفشي حالة الفساد المالي، والانتهازية، والتجاوز على المال العام، والضغط على الناس لابتزازهم وأخذ الأتاوات والأموال منهم، هذه كلها أمور خطيرة تؤدي إلى حالة من الخواء والانهيار في المنظومة القيادية، وتصبح منظومة يتمايز فيها الناس بحسب قربهم أو بعدهم من المسؤول، ومنظومة كهذه لا يمكن أن تدوم، بل ستهتز مصداقية القائد والمسؤول عندما يرى الناس أفعال بطانته وخواصه، ويزيد الإحباط واليأس بين الناس، ولسان حالهم يقول: لن ينفعنا شيء مهما فعلنا؛ نتعب، نقاتل، نعطي دماء، وعندما يأتي وقت توزيع المغانم تُعطى لأناس آخرين ونحن ننظر فقط، ولن ينفعنا أي جهد نبذله، ولا أي وقت نقضيه في العمل، فالجهد والشقاء والمشكلات علينا، والفوائد لغيرنا، فيصيب الناس إحباط شديد، لأنّ الأمور كلها بيد البطانة يفعلون ما يريدون؛ يسرقون ويبتزون الناس، وعندما يرون المواطنين صامتين ومضطرين للدفع، تزداد جرأتهم أكثر؛ فمن كان يطلب دينارًا يطلب دينارين، ثم يطلب خمسة دنانير، ثم عشرة،

ثم مائة، ومن كان يتمدد على دونم من الأرض، يتمدد بعدها على عشرة، ثم على مائة، وهكذا يتوسع تجاوزهم على الناس، والجشع لا يقف عند حد، وخاصة من هؤلاء المحيطين بالمسؤول، فكثير منهم سراق، فيلجأ الذين تحت أمرتهم إلى السرقة أيضًا، ويبررون سرقتهم بأنّ من هو مسؤول عنهم يسرق فلماذا لا يسرقون هم أيضا؟ ثم تتسع الظاهرة وتشمل المجتمع كله، ويتحول المجتمع إلى مجتمع فاسد؛ لأنّ الناس على دين ملوكهم.

يا مسؤول، إذا لم تضبط إيقاع الموظفين من حولك، ستتمدد وتتسع هذه الظاهرة، لتشمل المنظومة القيادية كلها، لأنّ كل واحد من هؤلاء ينظر إلى من فوقه، فإن كان سارقًا ومرتشيًا وخائنًا فسيكون من تحته كذلك، وتتقنن هذه الأشياء ويدب الفساد في كل مكان، وهذه مشكلة عويصة نتيجة التساهل في هذا الأمر، وعندما ينتشر فساد كهذا، فلن ترى إلاّ اللعب والنهب والسرقة والرشى، وستنهار المنظومة الأخلاقية للمجتمع أو لتلك المساحة القيادية، فتنعدم القيم والحلال والحرام، ولا يعير أحدهم اهتمامًا لما كان عند العرف عيبًا، ويسمونها شطارة، وشعارهم خذ ما تستطيع الحصول عليه، هكذا يصبح التعامل، فينتج الإحباط والانكسار لدى النخب والطاقات والعقول؛ إذ سيقولون: نحن نخطط ونضع أفكارًا ومشاريع ومبادرات وننفذ، ثم يذهب الناتج إلى غيرنا، أو يقول أحدهم: لقد درست ونلت شهادة الدكتوراه، ووصلت إلى درجة الأستاذية في الاختصاص الفلاني، ولدي خبرة بلغت ثلاثين سنة، وعند تشكيل الحكومة أتوا بشاب تابع للحزب الفلاني أو الجماعة الفلانية وجعلوه وزيرًا، ويجب أن أقول له سيدي عندما أتحدث معه، فأين الاختصاص؟ وأين العلم، وأين الخبرة؟ ولماذا إذن نتعب أنفسنا؟ فلو بذلت سنة واحدة من التملق لمسؤولي الأحزاب والكتل بدل السنوات العشر التي بذلتها في الحصول على الاختصاص، لكنت وزيرًا بدلًا من هذا التعب والجهد المضني في الدراسة، ومن غير أن أحتاج إلى كل هذا العلم، فيحدث إحباط لدى النخب، وتراجع كبير وانكسارات شديدة، عندما تكون المحسوبيات والمنسوبيات هي التي تحدد المواقع والتعيينات، وليست الدراسة والوصول فيها إلى أعلى الدرجات العلمية.

(فيكون مهنأ ذلك لهم دونك)، يستمتعون بهذا المال الحرام دونك.

(وعيبه عليك في الدنيا والآخرة)، أما في الدنيا فخزي وسب وشتم وسخط ولعن من الناس، بينما ذهب المال في بطون أقاربك وأصدقائك وجماعتك وحماياتك

وسكرتارياتك، ولم تنل منه شيئا، وأما في الآخرة فأنت مسؤول أيضًا، وبالتالي لماذا هذا التساهل في هذا الأمر وتحميل نفسك مسؤوليته؟.

القسم الثاني: ضرورة الالتزام والمساواة بين القريب والبعيد في الحقوق

القسم الثاني من توصيات أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، هو ضرورة الالتزام والمساواة بين القريب والبعيد في الحقوق، فلا يجوز تفضيل بعض الناس على غيرهم بغير وجه حق، فهناك حقوق عامة نسميها في أدبياتنا حقوق المواطنة، فكونك مواطنًا يعني أن لك حقوقًا، وهناك قانون يجب أن يطبق على الجميع، فلا يستطيع هذا أن يخالف إشارة المرور لأنه مسؤول كبير، أما المواطن العادي فالويل له إن خالف الإشارة، فيؤدي شرطي المرور التحية للأول، ويفرض أشدّ عقوبة بحق الثاني، مع أن الاثنين ارتكبا الخطأ نفسه، وقانون المرور قد وُضع للجميع، وينبغي أن يكون الجميع سواسية أمام القانون كما نص على ذلك الدستور، ويجب أن يحترمه الجميع، ويعاقب الجميع على مخالفته، فالحقوق العامة التي يشترك فيها الناس يجب أن لا يميز فيها أحد أو يفضّل على غيره، ويجب أن يتساوى فيها الجميع، وقد يكون هناك شخص لديه اختصاص أكثر، ويبذل جهدًا أكبر، ومهامه أكثر خطورة؛ يستحق امتيازات موضوعية وواقعية ضمن القانون، وهذا أمر مقبول، ولكن في ما هو حق المواطنة المشترك بين الجميع، في ما هو الحق المشترك في فوج، في عضوية تيار سياسي، في الانتماء الى جماعة معينة، يجب أن يكون هناك مساواة كاملة، لكي لا يشعر أحد بالتمييز.

إذن في هذا القسم يتحدث أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن ضرورة المساواة في التزام القريب والبعيد بالحقوق بمسطرة واحدة.

(وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ): طبّق الحق على الجميع، على القريب والبعيد؛ على أقاربك وعلى الغرباء عنك، على خواصك وجماعتك وحزبك وعلى الآخرين، ولا تميز بين أحد وآخر، وإن لم يعجب هذا العمل بعضهم، وسينطلقون لتحريك الرأي العام ضدك.

(وَكُنْ فِي ذلِكَ صَابِرًا)، فاصبر، وتحمل، واثبت على هذا المبدأ، وواجه بقوة الاعتراضات التي تأتي من أولئك الانتهازيين، الذين يريدون أن تكون لهم امتيازات تختلف عن الآخرين.

(مُحْتَسِبًا)، احتسب هذا الأذى، والتشهير، والسباب، والشتيمة، والتسقيط الذي تشنه عليك جيوشهم الإلكترونية؛ لأنك لا تريد أن تفرق بين شخص وآخر، وتضرب مصالحهم ومافياتهم، فينطلقون للتشهير بك، وينعتونك بالفاسد وهم الفاسدون، فإن ثلاثة أرباع حملات الاتهام بالفساد يقودها فاسدون، لكي يحوّلوا الأنظار عن اتهامهم بالفساد، والناس يصدّقون ما تردده ماكنتهم الإعلامية، وتكون ردة فعل هؤلاء الناس تجاه الفساد أن يصدقوا كلام الفاسدين أنفسهم بحق النزيهين في أحيان كثيرة، (محتسبًا)، احتسب ذلك عند الله.

(وَاقِعًا ذلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ): لا تلتفت لما يحدث لبطانتك، وجماعتك، حتى لو انزعج منك ابنك؛ لأنّ ابن عمه أو ابن خاله أو صديقه قد أعرضوا عنه لأنك لم تفضلهم على الآخرين بغير وجه حق، وحتى لو اعترض عليك حزبك وجماعتك وقالوا لك: جعلناك وزيرًا لتكون هذه الوزارة لنا بقرة حلوبًا، ولكنك أغلقت الأبواب في وجوهنا، فلا تصغِ لهؤلاء، ودعهم وما يقولون، وكن حقانيًا منصفًا.

(وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ): انظر للمآلات، لعاقبة الأمور، انظر للنهاية، انظر للنتيجة؛ فسوف يغضب منك عدد محدود من المستفيدين ممن هم حولك، ولكنك سترضي مائة، سترضي ألفًا، سترضي عشرة آلاف، سترضي مليونا، سترضي أربعين مليونًا، بحسب المكان والموقع الذي أنت فيه، فاخسر عشرة واربح ألفًا إذا كانت منظومتك القيادية تتكون من ألف، واخسر عشرة أو عشرين واحصل على مليون، فالعاقبة لك، وسيلتف حولك الناس، ويرونك حقانيًا ومنصفًا ومدافعًا عن حقوقهم، وسيقاتلون من أجلك، ويفدونك بأرواحهم، هذه هي عاقبة الأمر.

(وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ): هذا الثقل الذي ينتج من المساواة، ومن اعتراض الانتهازيين والمافيات والعصابات والمستغلين، عاقبته حميدة؛ فسوف يلتف حولك الناس فتقوى بهم، وسيُلطم هؤلاء الانتهازيون على أفواههم، ولا يستطيعون أن يتحدثوا عنك بسوء.

(فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذلِكَ مَحْمُودَةٌ): نتيجة المساواة والإنصاف والعدالة محمودة، وهي التفاف الناس حولك، وثقتهم بك، ووقوفهم معك في مواجهة المفسدين والمافيات.

الإضاءات المستفادة من النص

الإضاءة الأولى: التزام المساواة في الحق

المساواة حق لي وحق لك؛ أن لا يُفرق بين أحد وآخر، وهذا يمثل ضرورة من ضرورات العدالة الاجتماعية، فلا تستطيع أن تكون عادلًا وأنت تفرق بين الناس، لا على أساس الحق، وإنما على أساس المحاباة، والصداقات، في ما هو حق عام، قانون عام، التزامات عامة، حقوق عامة، ونتكلم عن الحق المشترك؛ حق المواطنة أو حق العضوية أو ما إلى ذلك، وهذا لا يمنع بحسب القانون أن يكون الأشخاص مختلفين في العطاء، بحسب الموقع والمسؤولية والشهادة والخبرة إلى آخره، فالموظف الذي لديه خمس وعشرون سنة خبرة مثلًا ونُصّب مديرًا عامًا ويتحمل مسؤولية كبيرة، يختلف عن موظف عُيّن حديثًا في الدائرة ويزاول أعمالًا بسيطة فيها، هل يجوز أن نساوي بينهما؟ هذا تفاضل على أسس موضوعية، وصحيح أنه بحسب قانون التدرج الوظيفي، فإن سلّم الرواتب فيه درجات؛ درجة أولى وثانية وثالثة... إلى آخره، ولكن هذا لا يمنع أن نتكلم عن الحقوق المشتركة ووجوب عدم التمييز فيها بين البعض والبعض الآخر، وهذه قضية صعبة؛ لأنّ الأقرباء والأصدقاء والبطانة لديهم توقعات؛ إذ يريدون أن يكون وضعهم مختلفًا عن غيرهم، فذاك البعيد لا يعرفك وسيُنفذ عليه القانون، أما القريب فسوف يشاغب ويضغط على المسؤول لكي يحصل على استثناءات، ويجب أن لا يفرق المسؤول بين داعم ومعارض، فهذه حقوق مواطنة يجب أن تُعطى للمعارض والموالي على حد سواء؛ فالجميع يستحقونها، وهذا ليس أمرًا سهلًا، أن تساوي في العطاء بين شخص يدعمك ويخدمك، وشخص يقف ضدك، ولكن هذا هو المنهج الإسلامي في القيادة والإدارة.

روى جابر بن عبد الله قال: «كنا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جلوسًا، فأقبل علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: قد أتاكم أخي»، إلى أن قال في وصفه: «وأعدلكم في الرعية»، أكثركم عدلًا بين الناس، «وأقسمكم بالسوية»[٨٨] وأكثركم مراعاة للمساواة في القسمة، أي يساوي بين الناس في قسمة العطاء، يتعامل بعدل بين الناس، يقسم الحقوق بالتساوي بينهم.

وحين تصدى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ للخلافة وجد أمامه ركام سنن تغيرت فيها حاجات الناس، وظهرت حاجات جديدة، وظهر اللعب والفساد ومشكلات كبيرة، وأصبحت ظاهرة التمييز مقننة بقانون، وأصبح التجاوز على المال العام، وتجاوز

٨٨. الأمالي للطوسي: ٢٥١ ح٤٤٨/ ٤٠.

العدالة والمساواة بين الناس، يسيران وفقًا لقواعد وقوانين، وجاء أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فضربها كلها، فقام الناس بوجهه؛ بعضهم يقول: لماذا حدثت في أربع سنين ثلاث حروب؟ لماذا يا علي بن أبي طالب حدث هذا وأنت الحكيم والعالم؟ لقد كان السبب وراء ذلك هو أنّ مصالح كبرى لمافيات وجماعات ضُربت، وتصوروا الأمر في أوضاع بلدنا الآن؛ فهذه العقود والمليارات لفلان، وتلك لفلان، ثم يأتي حاكم ويضربها جميعًا ويقضي عليها، فماذا سيحدث؟ ستقوم الأمة كلها في وجهه، ولا تسمع أحدا يقول إن مصالحي ضُربت، بل سيقولون: وا إسلاماه! هذا حاكم غير وطني، وغير شريف، وغير نزيه، وهذا كذا وكذا، وهكذا يخرجون له ألف سبب ليخرجوه من السلطة، ويحافظوا على مصالحهم.

لقد روى الشيخ الكليني في كتابه الكافي الشريف، الخطبة التالية لأمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ التي يذكر فيها معاناته، نقتطع جانبًا منها:

«ثم أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصته وشيعته، فقال: قد عملت الولاة قبلي أعمالًا خالفوا فيها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، متعمدين لخلافه»، أي أن هؤلاء الحكام الذين جاؤوا بعد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قد خالفوا سنّته متعمدين، مع سبق الإصرار، فقد وضع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ منهجًا، فجاء هؤلاء وكسروه وساروا في طريق آخر.

«ناقضين لعهده، مغيرين لسنّته، ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ»، لو حاولت أن أرجع هذه السنّة إلى ما كانت عليه أيام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، انظروا كيف ستكون النتيجة لو فعل ذلك:

«لتفرق عني جندي»، يتفرق الجيش، إذ سيعمد قادة هذا الجيش لتفريق الجند من حولي، فقد اعتادوا أن يأخذوا أموال الجنود بغير وجه حق، ويسرقوا، ويستحوذوا على الإقطاعيات.

سمعت مرة من قائد عسكري كبير كانت وظيفته التفتيش، يقول: ذهبت إلى أحد المعسكرات فرأيت العجب؛ فلم أرَ معسكرًا يضاهيه في العراق، وكأني في دولة متقدمة، لما رأيت من نظام وترتيب، وسُررت بما رأيت من تشجير وتبليط، وعندما دخلت القاعات وجدت أن كل قاعة أجمل من الأخرى، وطعام الضباط كطعام المنتسبين، وعندما دخلت محل الإقامة الخاص بالضباط، وجدته فندقا خمس نجوم، وكذلك أقسام إقامة المنتسبين، أما مكتب القيادة فهو مكتب القائد العام للقوات

المسلحة، أو القصر الجمهوري، فقلت في قلبي: هذا هو الفاسد، يقول: وعندما فتحت دفاتر الحسابات قلت له: من أين لك كل هذا؟ قال: مشكلتي أني لا أسرق، وهذه هي الأموال التي تدفعها لنا الدولة، تصل في كل شهر، فتتجمع هذه الأموال، وبدلا من أن أسرقها أنفقها على المعسكر، وأخرج الوصولات، عجيب! لو كان كل الجيش فعل ذلك لكانت كل معسكراتنا هكذا، وسوف تتعلم منا أمريكا، وتبين أن هذا القائد هو الشريف وليس الفاسد.

يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: إذا أردت أن أرجع الأمور إلى ما كانت عليه في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فإنّ جندي سيتفرقون من حولي.

«حتى أبقى وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عز وجل وسنّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»[٨٩]، إما أن أبقى وحدي، أو ستبقى معي قلة قليلة من المخلصين، ثم يشرح لهم أين هذه الانحرافات.

ماذا تريد أن تفعل يا أمير المؤمنين لكي ترجع الأمور لما كانت عليه في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟ . . وهذا كله قد حدث خلال أربع وعشرين سنة بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى اليوم الذي بويع فيه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكيف بنا اليوم ونحن على بُعد ألف وأربعمائة سنة، فماذا يمكن أن نعمل؟.

أكتفي بهذا المقدار وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٨٩. الكافي ٨: ٥٩ ح٢١.

المحاضرة الحادية عشرة بتأريخ ٢٠٢٠/٥/٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله والطاهرين وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم وصيامكم، وأسأل الله(سبحانه وتعالى) أن يجعلنا وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الفضيل، وأن لا نكون من المحرومين.

كان حديثنا في الأيام الماضية في عهد أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، لمالك الأشتر حين ولاه مصر، وكان الحديث في المقطع السادس والعشرين من هذا العهد، وهو جملة من الأحكام والتوصيات التي يقدمها أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) للحكام والقادة والمدراء والمتصدين والمسؤولين، وكنا نتحدث عن حزم أمير المؤمنين(صلوات الله وسلامه عليه) مع المحيطين به، ونكمل الآن الحديث في هذا السياق.

الإضاءة الثانية: الثبات والاستقامة في التزام المساواة في الحق

عندما تساوي بين الناس، فكيف ترضى هذه المافيات والعصابات والمجموعات التي ضخّمت وجودها على حساب الناس، وكل واحد منهم أصبح يسمّي نفسه قائدًا، ولديه مكانته ووجاهته، والأموال التي استحوذ عليها من السحت والحرام؟. لن يقبلوا بهذا وسيثورون في وجهك أيها الحاكم، وسيحرضون الناس عليك، ويخلقون لك ألف مشكلة، اللهم إلا إذا داريتهم وأعطيتهم الامتيازات التي يرغبون فيها.

إنّ هذا المنهج سيواجه اعتراضات شديدة من قبل الانتهازيين والمصلحيين الذين ستُضرب مصالحهم، فهؤلاء يبحثون عن سطوة وإمكانات ونفوذ، ولن يستسلموا لهذا المنطق الإسلامي في المساواة بسبب مطامعهم، وهؤلاء قد يكونون أقارب، أو

حزبيين، أو من بطانتك، أو من أصدقائك، جاؤوا يبحثون عن دنيا تريد أن تسلبها منهم، ولا يستطيع هؤلاء أن يحصلوا على هذه الامتيازات بطرق قانونية، فمع مبدأ المساواة لن يستطيعوا أن يحصلوا على ما يريدون، وهم مضطرون لأن يمضوا بطرق غير قانونية وملتوية، ويأخذوا بعض الحصانات والامتيازات والمكانة الخاصة ويميزوا أنفسهم، وحين تريد أن تضرب كل هذه الأشياء وتساوي بينهم، فاستعد للبلاء.

لذلك يوصي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بثلاث خطوات في مواجهة هذه الضغوط:

الأولى: الثبات والصبر والاستقامة: لا تدع كثرة الاعتراضات والضجيج والعجيج منهم تغيّر موقفك، وتثنيك عن مواجهتهم، فتعود إلى مجاملتهم وتعطيهم منزلة خاصة، وتترك خلق الله وتهتم بهم فقط، لا تفعل هذا، واثبت على منهجك في المساواة، والحقانية، والموضوعية، والترابية مع الجميع، وطبّق سياسة الباب المفتوح مع الجميع.

الثانية: احتساب ذلك عند الله سبحانه وتعالى: هذه الضغوط والسب والشتم والتشهير والحملات الإعلامية، احتسبها عند الله عز وجل، والله سيثيبك ويأجرك، وعليك ملاحظة النتائج المستقبلية؛ صحيح أنك الآن تحت الضغط، ومتعب من كثرة القيل والقال، والتهويل، وإثارة الرأي العام ضدك، ولكن الناس عندما تراك لا تعطي أحدًا على حساب آخر، وتحترم الجميع، وتساوي بين الجميع، فسوف يلتفون حولك، وهؤلاء الفاسدون شرذمة قليلة، أما أولئك الناس فهم عشرات الألوف، مئات الألوف، ملايين، بحسب سعة المنظومة القيادية، فلا تُحابِ هذه المافيات التي لا يتجاوز حجمها العشرات أو المئات، لا تحابِ قلة قليلة وتجعل الناس كلها ضدك، بل عليك الالتفات إلى مصالح الناس، ودع هؤلاء العشرة أو المائة يتضجرون من الناس التي تقف إلى جانبك، والتي تدافع عنك عندما يتعرض لك أحدهم، فتهابك هذه الشرذمة؛ لأنّ الرأي العام معك، ونرى أنه عندما تكون هناك موجة عامة في تأييد شخص ما، فإنّ أحدًا لا يجرؤ على أن يخالفه، فعليك أن تحمي نفسك ليس بهذه البطانة وهؤلاء الخواص، بل بقربك من الناس، وبحل مشكلاتهم، وإنصافهم، والمساواة بينهم، هذا هو الطريق الصحيح.

(وكن في ذلك)، أولًا: (صابرًا)، ثانيًا: (محتسبًا)، ثالثًا: (واقع ذلك في قرابتك وخاصتك حيث وقع)، لا يهمك عدم رضا أقربائك وأصدقائك، ولا يهمك سخط هذا وإعراض ذاك، فإنهم سيرجعون إليك لاحقًا، فاذهب وضع الأساس الصحيح.

الثالثة: النظر إلى عاقبة الأمور (وابتغ عاقبته): عندما يرى الناس أنك رجل عادل، فسوف يلتفون حولك، ويسندون ظهركَ، ويرفعونك على الأكتاف.

(بما يثقل عليك منه، فإنّ مغبة ذلك محمودة)، النتيجة محمودة؛ فعندما يكون الناس معك، سيدافعون عنك ويحمونك، وعند ذلك لا يستطيع أحد أن يواجهك.

«التوصية التاسعة: ضرورة المصارحة والمكاشفة والشفافية مع الناس»

الدرس الأخير من توصيات أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في المقطع السادس والعشرين، هو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(وَإِنْ ظَنَّت الرَّعِيَّةُ بكَ حَيْفًا فَأَصْحِرْ لَهُمْ بعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ عَنكَ ظُنُونَهُمْ بإِصْحَارِكَ، فَإِنَّ فِي ذلكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقًا بِرَعِيَّتِكَ، وَإِعْذَارًا تَبْلُغُ فِيه حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ).

يتحدث أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه النصيحة عن ضرورة المصارحة والمكاشفة والشفافية مع الناس.

(وَإِنْ ظَنَّت الرَّعِيَّةُ بكَ حَيْفًا): إذا أصبح لدى الناس انطباع سلبي عنك بأنك ظالم، ولم تكن كذلك، ولكن التشويش من الأعداء والخصوم والحملات الإعلامية والاتهامات، جعلت الناس تصدّق ذلك شيئًا فشيئًا، وتكوّنَ عندها انطباع بأنك فاسد ماليًا، ولم تكن كذلك، أو أنك فاسد أخلاقيًا، ولم تكن كذلك، أو أنك رجل متكبر ومتعال، ولم تكن كذلك، فإذا ظنوا بك حيفًا، فما هو الحل؟ كيف تعالج الموضوع؟ هل تقاتلهم، هل تسبّهم وتشتمهم؟ هل تقول لهم: يا ظلمة، يا جهلة، كيف ترونني هكذا؟ كلا، ليس هذا هو الحل، بل الحل هو كما يعلّمنا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(فَأَصْحِرْ لَهُمْ بعُذْرِكَ): أصحر من الصحراء، يقال: أُريد أن أصحر، أي أريد الذهاب إلى الصحراء، وعندما يذهب أحدنا إلى الصحراء فهو يبرز ويظهر نفسه؛ لأنها مكشوفة، لذلك فإن (أصحر لهم)، تعني أظهر لهم الحقيقة وصارحهم وبيّن لهم؛ أتقولون إني فاسد ماليًا، لأني بنيت قاعة؟.. وفّرنا لكم مكانًا تجتمعون فيه، وهذا المكان للدولة، والأرض التي أنشئت عليها القاعات للدولة.. اشرح لهم، وضّح لهم، لتصحح لهم هذه الانطباعات الخاطئة.

(وَاعْدِلْ عَنكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ): اعدل من العدول، أي التنحية، واعدل عنك ظنونهم، أي أبعد عنك ظنونهم السيئة، بإصحارك، أي بمكاشفتك، بصراحتك، فعندما توضّح للناس الحقيقة، فحينذاك ستصحح انطباعاتهم الخاطئة عنك.

(فَإِنَّ فِي ذلكَ): في هذا الإصحار، في هذه المصارحة، في هذه المكاشفة، (رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ)، أولًا: فيها رياضة نفسية، يقال: هذا مرتاض، أي يقوم بالرياضة النفسية، فأنت بذلك تروض نفسك، وقد يقول المسؤول: هل أشغل نفسي بالشرح لهؤلاء؟ هل أنا متهم فأوضح لهم؟ ليعترض عليّ منهم من يعترض، وليقل ما يقول، فمن أعجبه الأمر كان بها، ومن لم يعجبه فليضرب رأسه بالحائط، كلا، لا تقل ذلك، وإياك أن تتعامل مع الناس بهذه الطريقة؛ فهذا الشرح والبيان وإزالة الالتباس أمر جيد لنفسك؛ إذ تتواضع أمام الناس، وتروض نفسك على أن تكون في موضع المتهم، فتشرح وتوضح وتبين للناس حتى تزيل عنهم الالتباس.

ثانيًا: (وَرِفْقًا بِرَعِيَّتِكَ): هؤلاء رعيتك، ولديهم انطباع خاطئ عنك، فارفق بهم ووضّح لهم حقيقة الأمور، لكي لا يبقوا حائرين، ساخطين، يعيشون الغموض والجهل، فاشرح لهم لتزيل عنهم الحيرة.

(وَإِعْذَارًا): أبدِ العذر لهم، (تَبْلُغُ فِيه حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ)، إذا رآك هؤلاء منحرفًا، غير مهتم بهم، فلن يسمعوك، وسينحرفون عن الصواب، ولكن عندما توضح لهم، تكاشفهم، تصارحهم، تزيل الالتباس عنهم، فسوف يرجعون إليك ويلتفون حولك، وعندها تستطيع أن تأخذ بأيديهم إلى طريق الهداية، وتوجههم بالاتجاه الصحيح، فترشدهم، وتحفظهم، وستنجح المنظومة القيادية، إذن عليك بتعليمهم.

الإضاءات المستفادة من النص

الإضاءة الأولى: دور الوضوح والمكاشفة والمصارحة في المنظومة الإداريةوالقيادية

المصارحة من أهم مفاتيح النجاح القيادي، فلا تكن طلسمًا ولغزًا للناس، فهم لا يعرفونك، فتواضع لهم، وتكلّم معهم، وصارحهم، ووضّح لهم، وهذا أمر مهم جدًا؛ اشرح للناس وجهة نظرك، واحرص على الوضوح في المواقف، والمصارحة مع الشعب أو الناس الذين هم تحت مسؤوليتك، إذن فالمكاشفة وتوضيح الأمور الباقية في

أذهانهم عن سلوكك من غير جواب عنها، أهم مفاتيح نجاح الأداء القيادي والإداري، فإنّ أغلب الانحرافات، والخروج عن جادة الصواب، والمخالفات في السلوك، تبدأ منالغموض؛ عندما ترى مجموعة من الناس سلوك هذا المسؤول غريبًا، وأن لديه ما يثير الشبهات، ولا يعلم الناس ماذا يعمل في الدهاليز المظلمة، فتبدأ التكهنات، والقيل والقال، وتنسج القصص الخيالية الكثيرة، وتبدأ المشكلة، فعليك بمصارحة الناس كلهم.

قد يتذرع مسؤول بوباء كورونا، ويقول: ابتلينا بهذا الوباء، وإذا لم نلتزم بالحظر فسوف ينتشر لا سمح الله، وإذا ما أصبنا بكورونا فسنفقد الحياة، وحينئذ لا يبقى لنا مدراء، وعندها سيضيع العراق كله، فصارحهم، ولا تقل كيف أخوّف الناس، وتصور الأمور لهم وكأن كل شيء مثالي، فلا يأخذ الناس هذا الموضوع على محمل الجد، وفجأة يأكل الوباء الدنيا كلها.

اخرج إلى الناس وقل لهم إن (٩٠٪) من موازنتنا أو أكثر من النفط، وليس لدينا شيء آخر، فالمصانع كلها معطلة، والزراعة متخلفة، والتجارة خاوية على عروشها، وكل ما لدينا من النفط، وهذا النفط قد هبطت أسعاره، وأصبحنا لا نريد ربحًا ولكن نريد أن لا نخسر فقط، والآن نبيع بخسارة، والبرميل الذي يكلفنا ثمانية عشر دولارًا نبيعه الآن بخمسة عشر دولارًا. عليك أن توضّح للناس، وتشرح لهم؛ بأن وضعنا أصبح بهذه الكيفية، وأنتم كلكم معنيون، فهذا بلدكم، والثروة ثروتكم، إن زادت فهي لكم، وإن نقصت فهي من ضلعكم، فدعونا نفكر ماذا يجب أن نعمل لكي نعالج الوضع الاقتصادي المتدهور؟ وكيف نواجهوباء كورونا؟ أما أن تأتي وترسم لهم صورة وردية، وتصور لهم أن القضية سهلة، وأننا قادرون على تجاوز الأزمة، وفجأة تأتي الرواتب وقد استُقطعت نسبة منها، بعنوان ادخار إجباري، فذهب ثلث الراتب، فلا يجوز أن لا تخبر الناس بالأسباب، لأنهم إذا لم يعرفوا الأسباب فيمكن أن تخلق لنفسك مشكلة، إذ سيحملونك المسؤولية.

أخبرهم أن الوضع الأمني شهد هذه التطورات؛ مثلا، أنّ (داعش) ظهر مجددًا في ديالى وكركوك، وفي صلاح الدين بدأت خلايا نائمة تتطور وتنتشر وتتحرك، وأصبح لدينا ترهل في أجهزتنا الأمنية، وصراعاتنا السياسية أبعدت الاهتمامات باتجاهات أخرى، والمشكلة مع الأطراف الدولية انعكست على حجم مراقبتهم ومتابعتهم لنشاط الدواعش، وأن الوضع الأمني صعب وخطير، ويحتاج إلى أن نتكاتف لنعالج هذه المشكلات، وعندما يراك الناس تشرح لهم الوضع، وتضع أمامهم الأرقام،

وتكشف لهم الحقائق، فسوف يساندونك ويتحملون المسؤولية معك، ويصبرون على الضغوط، ولكنهم حين لا يعلمون فسوف يتهمونك: (أين ذهبت المليارات؟ سرقونا باسم الدين)، فوضّح لهم أنه لا توجد أموال لكي يسرقها أحد.

نعم هناك أسرار في الدولة؛ أسرار حربية، أسرار أمنية محدودة، فتبقى هذه في دائرة ضيقة، وليست هناك مصلحة في اطّلاع الناس عليها، لأنّهم إذا عرفوها فسوف تصل إلى مسامع الأعداء أيضًا، فالتلفاز يسمعه الصديق والعدو، وهناك أمور يجب أن لا يعرفها العدو، ولذا لا يجوز مصارحة الناس بها، وهي أمور محدودة، وعمومًا يجب أن تكون هناك مصارحةللناس، فمن خلال الوضوح والمصارحة والمكاشفة والشفافية ستترتب النتائج التالية:

أولًا: لا يحتاج الناس للذهاب إلى خطوات خارجة عن القانون، من تعدٍ وتجاوز، وسيعرفون الحقيقة منك مباشرة من غير أن يذهبوا إلى طرق ملتوية.

ثانيًا: العلاقات المشبوهة، في عمل الوزارات، أو في العقود والصفقات، هذه العلاقات يجب أن تُكشف وتُوضح؛ بأن يعلن المسؤول أن لديه هذه المشكلة؛ كأن يقول مثلًا: إن هذه الوزارة يسيطر عليها مدير المكتب، والوزير لا حول له ولا قوة، أو إننا نعاني المشكلة الفلانية ونطلب وقوفكم معنا، ومساعدتنا لكي نطوّق هذه الظواهر السلبية، وعندما يسمع الناس منه ذلك، ويعرفون أنهم محل ثقة لدى المسؤول، الذي يصارحهم بما يجري، فسوف يقاتلون من أجله، وكذلك ستنكشف الصفقات في الدهاليز المظلمة، والعقود المشبوهة، والغريبة والعجيبة؛ سفرات لعمان، لبيروت، لإسطنبول.. وعندما يُسألون عن سبب سفرهم، يجيبون أنهم ذاهبون لرؤية تاجر، فهل أنت أيها الوزير ذاهب إلى هناك لرؤية تجار؟ لماذا تعطي صكوكًا مفتوحة لهذا وذاك؟ ما معنى هذا؟ وحينئذ سيقف الناس جميعًا من أجل أن يكون لهم اطّلاع على هذه الأمور، وعندما يكشف المسؤول والقائد عن الحقائق للناس، حينها سيرتجف الفاسدون خوفًا، وكل سيعرف حدّه، وحجمه، وتنتهي هذه الحالات.

(وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفًا فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ عَنكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ)، هذا كان منهج أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ منهج المصارحة والمكاشفة.

ورد في نهج البلاغة قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لما بويع بالمدينة: «والله ما كتمت وشمة»، الوشمة: الكلمة، النقطة، يقسم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إنه لم يكتم أمرًا قط

ولو كان بمقدار كلمة أو نقطة، «ولا كذبت كذبة»[٩٠]، ولم أتحدث إليكم بأمر خلاف الواقع، ولم أخفِ عليكم شيئًا من الواقع، فقد شرحت لكم كل شيء ووضحته، هذا هو منهج المصارحة.

وورد في نهج البلاغة أيضًا من كتاب له عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أمراء الجيوش: «ألا وإنّ لكم عندي ألاّ أحتجز عنكم سرًا إلاّ في حرب»[٩١]، لا أستطيع أن أخرج على شاشة التلفاز وأقول: ستنطلق عمليات الهجوم العسكري غدًا، لأنّ العدو إذا سمع ذلك فسوف يستعد، وستحدث خسائر كبيرة، فيجب أن أخفي مثل هذه الأخبار، لأنها أسرار حربية، وهي أسرار محدودة، لكن ما سواها يمكن أن يطّلع عليه الناس، ويعرفوا كل شيء، لكي يعذروا المسؤول في ما يقوم به من أدوار ومن جهود.

الإضاءة الثانية: تأثير الوضوح والمصارحة في الأداء القيادي والإداري

ما هو تأثير المسؤول والقائد والمدير الذي يصارح ويكاشف ويوضح ويبين؟ يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن هذه المصارحة تفعّل المنظومة القيادية، وتنجح المسؤول في عمله، فلماذا لها هذا الدور؟. الجواب يتلخص بالنقاط التالية:

أولًا: لأنها تشجع كل المسؤولين، وكل المدراء، على أن يتعاونوا بشكل سليم؛ لأنهم يعرفون أنهم بمجرد أن ينحرفوا سيخرج المسؤول الأعلى ويكشفهم أمام الناس، فكل واحد منهم سيلزم طريقه ويمشي مستقيمًا لكي لا يُفضح، فيكون الوضوح والشفافية عنصرًا ضاغطًا على المسؤول دائمًا، ولهذا يجب على المسؤولين، والمدراء، أن يسيروا في الاتجاه الصحيح؛ لئلا ينفضح أمرهم، ويُطردوا من مناصبهم، ويُحالوا على القضاء لينالوا جزاءهم العادل، فالحصانة بالحق فقط، ولا حصانة لأحد بالباطل، فإن سرق المسؤول فعلى الحاكم أن يهتكه ويفضحه أمام الناس ليعرفوا حجم جريمته، فإن أخطأ المسؤول خطأ فادحًا ومتعمدًا فعلى الحاكم أن يشرح ويوضح للناس أنّ المسؤول هو من يتحمل مسؤولية خطئه، ويقيله من منصبه، ويقدمه للقضاء.

ثانيًا: المكاشفة تخلق بيئة سليمة، ليس فيها مخاتلة ومكائد ولعب، بل هي واضحة، فيؤدي ذلك إلى تحسين وتطوير العلاقة داخل المنظومة القيادية، وإلى تحسين الأداء وتطويره.

---

٩٠. نهج البلاغة ١: ٤٨ كلام ١٦.

٩١. نهج البلاغة ٣: ٧٩ كتاب ٥٠.

ثالثًا: إشراك الناس في ما يدور من أمور، يجعل المسؤولين تحت الأضواء دائمًا، إذ يعلن الحاكم أمام الإعلام حقيقة القضية الفلانية، ويوضح للناس تفاصيلها، وعندما يعرف الناس هذه الحقائق يتولد لديهم الرضا، والانتماء، والحماس، فيدافعون عن مشروعهم، ومنظومتهم القيادية في إطار وطني، ويرتفع الحس الوطني في تيار سياسي، وفي الانتماء لهذا التيار، وكذا يتعمق في إطار المصنع، فيتحسن العمل، ويزيد الإنتاج، عندما يرون أنهم جميعًا شركاء، وأنهم ليسوا مجرد موظفين، أو أجراء، لأنه عندما يبين لهم، يقتنع الناس حينئذ بأنهم محترمون ومقدرون، وأنه يجب عليهم أن يقفوا مع هذا المشروع، وبالتالي يتم توجيه المسارات بالاتجاه الصحيح عبر المكاشفة والمصارحة.

رابعًا: من خلال المكاشفة والمصارحة يتم اكتشاف الانحرافات بسرعة، إذ يطلب المسؤول من الناس أن يشخصوا له الخطأ، وعندما تتبيّن المشكلة منذ شروعها، فستكون الفرصة أكبر للعلاج والتدارك، قبل أن تتحول هذه الانحرافات إلى ظواهر عامة، حينما تتفشى في المجتمع، فيصبح أمر معالجتها أصعب.

خامسًا: تساعد على سرعة معالجة هذه الانحرافات والمخالفات وتطويقها، فالمصارحة تساعد على سرعة المعالجة، وسرعة طرح الحلول، وتطويق هذه الانحرافات.

سادسًا: توجد بيئة سليمة تساعد على سرعة تحقيق الأهداف المرجوة لهذه المنظومة القيادية، وتماسك أهدافها، ويكون الناس عارفين بالتحديات، وبالأسباب، وبالقضايا، فالإنسان عدو ما يجهل، أما إذا عرفه فسوف لا يعترض عليه، وربما يندفع نحوه.

سابعًا: تساعد على صلاح الأمة واستقامتها؛ عندما ترى الأمة أن المسؤولين أصلحوا أمرهم، وأنّ أمورهم مكشوفة أمامها، والناس على دين ملوكهم، فإذا كان المسؤولون يسيرون في الطريق المستقيم، فإنّ الناس تسير أيضًا في الطريق الصحيح، وإذا مشى المسؤول مكبًا على وجهه، فإنّ الناس ستندفع في الطريق الخطأ، وستبرر لنفسها الكثير من الأخطاء، (فإنّ في ذلك رياضة لنفسك)، هذه المصارحة تقضي على النرجسية، وتجعل المسؤول يتواضع ويتحدث للناس، ويجيب عن أسئلتهم وإشكالاتهم، وتُكسر حالة الاستعلاء والكبر في داخله.

ثامنًا: (ورفقًا برعيتك)، فيها نوع من الرفق والاهتمام بالرعية، حين تطلعهم على هذه الأمور، (وإعذار تبلغ فيه حاجتك)، وفيها بيان العذر الذي يساعدك على قضاء حاجتك في توجيه الناس التوجيه الصحيح، فالناس لا يسمعون منك إلا إذا جعلوك قدوة لهم،

ولا يمكن أن يلتفوا حولك إذا كانت لديهم انطباعات سلبية عنك، إذن، فالإصحار، والمصارحة، والمكاشفة، تساعد في تصحيح صورة المسؤول أمام الناس، فالناس عندما يرونه على حقيقته سيلتفون حوله، ويسمعون منه، وحينئذ يستطيع أن يوجههم ويدفعهم في الاتجاه الصحيح، (وإعذار تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحق)، حاجتك الأساسية هي كيف تقوّم الناس على الحق؛ كيف تهدي الناس، كيف تنصح الناس، وهذا يتحقق من خلال المصارحة والمكاشفة.

وبهذا ينتهي المقطع السادس والعشرون من هذا العهد الشريف، وسنتناول المقطع السابع والعشرين في الجلسة المقبلة إن شاء الله.

أستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة الثانية عشرة بتأريخ ٩/ ٥/ ٢٠٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار، وأسال الله (سبحانه وتعالى) أن يجعلنا وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الفضيل وأن لا نكون من المحرومين.

كان حديثنا في الأيام الماضية في عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر حين ولاه مصر، وانتهى بنا المطاف للحديث عن المقطع السابع والعشرين بعد أن أنهينا المقطع السادس والعشرين.

المقطع السابع والعشرون

ينقسم هذا المقطع إلى ثلاثة عناوين:

العنوان الأول: السلم والحرب وأحكامهما

يتحدث المقطع السابع والعشرون عن السلم والحرب، وأحكام هذين الأمرين الأساسيين؛ أحكام السلم وأحكام الحرب في الرؤية الإسلامية، إذ يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الجانب:

(وَلاَ تَدْفَعَنَّ صُلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ): إن كنت في حرب مع عدو، ودعاك إلى الصلح فلا ترفض ذلك؛ (لا تدفعنّ)، لا تمانع.

(ولله فِيهِ رِضى): تارة لا يكون الصلح على وفق موازين أو قواعد؛ إذ يدعوك عدوك إلى الصلح لأنه منهك ويكاد يُهزم بين يديك، وقد اقتربت من الانتصار عليه، وهذا بحث آخر، أما الكلام هنا فهو في الصلح إذا كان فيه رضى لله (سبحانه وتعالى)، فلا ترفضه، ولا تدفعه.

(فإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ): للصلح فوائد كثيرة:

أولًا: (دَعَةً لِجُنُودِكَ): تتحول القوات المسلحة من حالة الاستنفار والحرب إلى حالة السلم، وإعادة الانتشار، وإعادة التدريب، ومعالجة الترهل، وترميم الألوية والقطاعات العسكرية التي حدثت فيها انهيارات في المعركة، إلى غير ذلك من الأمور، فالقوات المسلحة بحاجة إلى أن تستعيد قوتها ونشاطها وعافيتها في ظروف السلم، فإن جاءتك فرصة للصلح فاقبل بإيقاف الحرب؛ لكي تتمكن من ترتيب الوضع وإراحة قواتك المسلحة.

ثانيًا: (وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ): في الحرب هموم جمة، منها الشهداء والجرحى وعوائلهم، واستنزاف الإمكانات، والخراب والدمار الذي تخلفه الحرب، فالذي يدخل في حرب يعيش همّا مستمرا، والصلح يريحك قليلًا من هذه الهموم.

ثالثًا: (وأَمْنًا لِبِلاَدِكَ): عندما تسود أجواء الصلح والسلام، تكون في حالة استرخاء، فلا يوجد عدو يهاجمك، فيكون بلدك في مأمن.

إذن، في الصلح راحة للقوات المسلحة، وتخفيف للهموم العامة عند الناس؛ فإن حالة الحرب لها تأثير في الاقتصاد، وتأثير نفسي معنوي بين الناس؛ من فقدان الأحبة، أو إرسال أحبائهم إلى ساحات المعارك، إلى غير ذلك، وربما عاش الكثير منا أجواء هذه الحروب، ونعرف حجم الأعباء المادية والمعنوية التي يتحملها الشعب والوطن والمسؤولون والقوات المسلحة، إذ يتحمل الجميع هذه الأعباء في الحرب، والصلح فرصة لتوفير الأمن في البلاد.

(وَلَكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ): بعد أن تصالح العدو، يجب البقاء على أهبة الاستعداد والحذر.

(فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ): قد يكون الهدف من الصلح هو استغفالك بأنّ الحرب قد انتهت، فتسود أجواء الفرح والاطمئنان بانتهاء الحرب، ويرجع الجنود إلى أهاليهم، ويعم الاسترخاء في البلاد، وبعدما يستتب الأمن يفاجئكم العدو بالهجوم، إذن قد لا

يكون العدو جادًا في ما يطرح، فظاهره يريد السلام والصلح، وواقعه أنه يراك قويًا ولا يستطيع قتالك، فيدعوك إلى الصلح، ويتربص بك، فإذا ما تفككت قواك وفقدت حالة الاستنفار، غدر بك وانقض عليك، فاحذر من أن يكون ما دعاك إليه مكيدة.

(فَخُذْ بِالْحَزْمِ): وأنت في حالة السلم، وأنت في حال الصلح مع هذا العدو، يجب أن تبقى حازمًا، وذلك من خلال وضع خطط واضحة للاستنفار والتعبئة، وترتيب البيت الداخلي، والاستعداد للمنازلة التي ربما تقع في أي لحظة.

(وَاتَّهِمْ فِي ذلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ): ما أجمله من تعبير؛ يقول: لا تحسن الظن بعدوك، وإن دعاك للصلح، فربما كان ذلك منه مكرا وخديعة، فاتهم حسن ظنك به، يعني أن حسن الظن في موارد الحذر غير صحيح، وإياك أن تحسن الظن بالعدو، فالتسامح والصلح والسلام أمور صحيحة ومطلوبة ومفيدة، وإذا ما عُرضت على الإنسان يجب أن لا يتركها، ولكن الثقة بالعدو يحوّل الإنسان إلى حالة يكون فيها مغفلاً، فينقض عليه عدوه، فحذارِ من الرضوخ لابتسامة العدو الصفراء، وحذارِ من نعومة ملمسه، فإنّ الأفعى كذلك، فعندما يسألك الصلح فاقبل به، واستغل الفرصة وعالج بيتك الداخلي، ورتب قواتك المسلحة، وخفف من هموم وأعباء الشعب، ووفر الأمن للبلاد، ولكن يجب أن تستثمر مرحلة الصلح لمزيد من التحضير والتهيؤ والاستعداد للمنازلة اللاحقة التي قد تكون وشيكة، فإن غدر بك فأنت على أهبة الاستعداد، وبيدك زمام المبادرة، وحينئذ لن تُمنى بخسارة.

الإضاءات المستفادة من هذا النص

الإضاءة الأولى: السلم والحرب في الرؤية الإسلامية

إنّ الأساس في الإسلام هو السلم والصلح، وليس الحرب، فالحرب ضرورة وليست خيارًا، فنحن لا نختار الحرب، بل هي ضرورة تُفرض علينا، وما دام الخيار بأيدينا، وكان هناك أكثر من خيار، فخيارنا السلم، خيارنا الصلح، خيارنا التفاهم، خيارنا الحوار، ومن يقول إن الحرب خيار، فهذا يعني أن أمامنا أكثر من خيار؛ إما أن نحارب أو نتحاور، فإن اخترنا الحوار فهذا يعني أننا تركنا خيار الحرب، فلا تكون الحرب إلا لضرورة، وذلك عندما تسقط كل الخيارات.

فالأساس في الإسلام هو السلام، والحوار، والتفاهم، وحل المشكلات بالطرق السلمية، وليس الأساس في الإسلام هو الحرب، وعندما ننظر كيف انتشر الإسلام في

الجزيرة العربية، هل كان لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ جيش جرار قاتل به العرب وانتصر عليهم، وفرض عليهم الإسلام بالقوة؟ الجواب كلا، فقد كان العرب قبائل متناحرة، وكل قبيلة لديها مجموعة من الإمكانات العسكرية المحدودة؛ سيوف ودروع وسهام، وهي تغزو ويقاتل بعضها بعضًا من أجل أهداف وغايات محدودة، نعم كانت قريش أكبر قبيلة، ولها سطوة أكبر، ولها تأثير أوسع، وحاربت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ؛ لأنه جاء بدين يخالف ما في أيديهم من دين يقوم على عبادة الأوثان، ولكن بقية القبائل هي قبائل متناحرة، ولم تكن لديها جيوش، والذي كان يمتلك جيشًا في الصدر الأول للإسلام هو الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية البيزنطية الرومانية، إذ كانت لديهما جيوش جرارة، وكانتا دولتين عظميين آنذاك، أما الجزيرة العربية في العصر الجاهلي فكانت قبائل مشتتة في أعماق الصحراء، إلا القليل ممن استوطن قرى مثل مكة ويثرب والطائف، وكانت كل قبيلة تضعف الأخرى، وربما دخلت في تحالفات صغيرة مع بعضها في وقت ما، ولم يفرض رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ الإسلام على أحد بالقوة؛ كيف وقد قال له الله (سبحانه وتعالى): ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[٩٢]، حتى إنه عندما دخل مكة فاتحًا من غير إراقة دماء لم يلزم مشركي مكة باعتناق الإسلام، وإنما قال لهم عندما جمعهم المسلمون في البيت الحرام، وهم ينتظرون أمر رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بهم بالأسر أو القتل: «ما تظنون أني فاعل بكم؟ فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»[٩٣]، ولم يطلب منهم النطق بالشهادتين، وإنما دخلوا الإسلام بعد ذلك طواعية، وكذا جميع الفتوحات التي خاضها المسلمون في عهد رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وبعده، لم يكره إنسان على اعتناق الإسلام، بل فُرضت عليهم الجزية فقط، مقابل توفير الحماية والأمن لهم بردّ أي اعتداء عليهم، فالإسلام لم يدخل في حرب من أجل نشر الدين، ولم يدخل إنسانٌ فيه بحرب، بل اقتنعوا به؛ بمنطقه، وقيمه، ومبادئه، وأخلاقه، بسمات رسوله ومنطقه، هذه الأمور هي التي جعلت الناس ترغب بالإسلام، فآمنوا به مختارين وليس بالقوة.

نعم هوجم المسلمون فدافعوا عن أنفسهم في غزوات عديدة ومعروفة، ولكن كلها كانت غزوات دفاعية وليست هجومية، فالإسلام لم يعتدِ على أحد، ولم يُرس مفاهيم الاعتداء على الآخرين، نعم يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ

٩٢. سورة البقرة: الآية ٢٥٦.
٩٣. الكافي ٣: ٥١٣ ح٢.

عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[٩٤]، ليس أكثر، هذا هو منهج الإسلام، وكذلك انتشر الإسلام خارج الجزيرة العربية، ووصل إلى بلاد نائية في حينها كإندونيسيا، ودخل عشرات الملايين في الإسلام طوعًا، من غير أن تصل إليها سرية أو فوج ـ كما يحدثنا التأريخ ـ فضلًا عن قوات أكبر، ولكن انتشر الإسلام عن طريق تجار ورجال أعمال مسلمين، دعوا الناس إلى الدين بأخلاقهم، وقيمهم، ونزاهتهم، واستقامتهم، فدخل الناس في دين الله أفواجًا، بعد أن اقتنعوا بالإسلام، وكذلك في الصين، آمن عشرات الملايين من الناس بالإسلام من تلقاء أنفسهم، ولم يحدثنا التأريخ عن حروب ومعارك عسكرية أدت إلى دخول هؤلاء الناس في الإسلام، وكذا الأمر في شبه القارة الهندية؛ الهند وباكستان وبنغلادش، وكذا الحال في أفريقيا، فقد دخلت شعوب كثيرة في الإسلام طواعية من غير أن يصل إليها جندي واحد، وهكذا حيثما وجد الإسلام تجده لم يدخل بغزوات وحروب، ولم يفرض نفسه على الناس، بل نفذ إلى أعماقهم بالفكر والقيم والمبادئ والأخلاق، وهذا هو الذي دفع المغول إلى اعتناق الإسلام، فقد جاء هؤلاء الغزاة الهمجيون واحتلوا بلدان المسلمين، وكان سلوكهم وحشيًا، ولم تكن للمسلمين قوة عسكرية تستطيع الوقوف بوجه هؤلاء، ولكن هؤلاء المغول المكتسحين، بعد جيلين من احتكاكهم بالمسلمين بدأت ثقافتهم تتغير، وتأثروا بالإسلام واعتنقوه، ثم ساهموا في بناء الحضارة الإسلامية، ونجد اليوم الكثير من اللمسات والبصمات التي تركها المغول كجزء من التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية، بعد أن جاؤوا معتدين وغزاة وفتكوا وبطشوا، وينقل المؤرخون أن لون ماء دجلة تغير إلى اللون الأحمر، لكثرة الدماء التي أريقت على أيدي المغول عندما دخلوا بغداد، ولكن حتى هؤلاء المغول تأثروا بالإسلام واعتنقوه، وساهموا في بناء الحضارة الإسلامية، بالفكر وليس بالحرب، إذ لم يكن للمسلمين طاقة بمواجهتهم ومقاتلتهم.

إذن فالسلام يمثل أساسًا رصينًا في الرؤية الإسلامية، في الفهم الإسلامي، والحرب لا تكون إلا لضرورة، وليست خيارًا، إذ تستطيع بالسيف أن تحتل بلدًا ما، وتتحكم برقاب عدد من الناس، ولكن هل تستطيع بالسيف أن تدخل إلى قلوبهم وتتحكم بقناعاتهم ومعتقداتهم؟ كلا طبعًا، بل العكس هو الصحيح، فقد يؤدي استخدام القوه والسطوة والظلم إلى ارتدادات عكسية، حين يتصلب الناس أكثر في قناعاتهم

٩٤. سورة البقرة: الآية ١٩٤.

وأفكارهم، وإن كانوا يتصنعون الطاعة أحيانًا لأن السيف على رقابهم، ولكن قناعاتهم ومبادئهم ومشاعرهم لا تنسجم مع قناعات الجلاد ومبادئه ومشاعره.

إنّ هذا الحجم من التفاعل الوجداني والمعنوي مع الرسالة الإسلامية؛ مع قيمها السمحاء، مع مبادئها، مع مثلها، مع أخلاقها، مع سيرة الرسول الأكرم وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، هذه كلها لا تنسجم مع فرض هذه العقيدة على الناس بالعنف والقوة، وأنها انتشرت بالسيف والفتك والبطش، فالعقائد لا تُفرض بالقوة، والقلوب لا يمكن السيطرة عليها بالقوة، فمفتاح القلوب شيء آخر، وهذا الحجم من التفاعل مع الإسلام هو دليل على أن الإسلام ليس دين حرب وعنف وقوة، على خلاف بعض الصيحات الشاذة والمنحرفة التي ترى أن الإسلام انتشر بالسيف وقوة السلاح، فهذه قراءة مغلوطة ومعوجة.

آيات الحرب والسلم في القرآن الكريم

نجد كثيرًا من الآيات القرآنية الشريفة تندد بشدة بمظاهر الفساد في الأرض، ومن أوضح مصاديق الفساد هي الحروب والقتال وإراقة الدماء؛ فهناك أربع وثلاثون آية في القرآن الكريم تركز على هذه الحقيقة، وتدين الفساد في الأرض وإراقة الدماء والحروب؛ ففي سورة البقرة ورد قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١﴾[٩٥]، إذ لا يوجد من يأتي ويقاتل ويقول أنا مفسد، وهذه من أخطر الأمور، فالكثير من الحروب الدموية تبحث لنفسها عن غطاءات وتبريرات، كالوطنية، القداسة، استغلال الدين، استغلال العناوين المقدسة عند الناس، لتحقيق أجندة السلطة والتحكم، واستنفار الناس لتحقيق مآرب ومصالح خاصة للحكام.

والحق أن الحرب لا ينبغي أن تكون إلا لتحقيق مصلحة عامة، أو لدفع ضرر ومفسدة عامة، ولكن نزوات بعض الحكام وطموحاتهم في توسيع نفوذهم هي التي تشعل فتيل الحروب بين الشعوب أحيانًا، أو الدوافع العرقية والشعور بتفوق عرق ما على عرق آخر هي التي تقدح نيران حرب ضروس بين الأمم تارة أخرى، وقد عشنا في بلادنا هذه التجارب المرة لدور النزوات الشخصية للحكام في صنع الحروب، ولم يكن للمصالح العامة أي دور فيها، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا

٩٥. سورة البقرة: الآية ١١.

نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢﴾[٩٦]، إذا لم تكن إراقة الدماء وتدمير حياة الناس فسادًا، فما هو الفساد إذن؟.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٨٥﴾[٩٧]،

وقال أيضًا: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٢٥﴾[٩٨]، في إشارة إلى الفاسقين الذين ينقضون عهد الله بعصيانهم، بذنوبهم، بآثامهم، وقد أمرنا الله (سبحانه وتعالى) أن نتواصل مع كتابه الكريم ـ الثقل الأكبر ـ ومع رسوله وأهل بيته ـ الثقل الأصغر ـ وهؤلاء يقطعون ما أمر الله به أن يوصل، فالكتاب عندهم مهجور، سواء بتلاوته أو بترك العمل بمضامينه، وكذلك لا يتبعون رسول الله وأهل بيته الكرام ويعصونهم، بل يحاربونهم، ويقتلونهم، ويسجنونهم، ويحاصرونهم في بيوتهم، وينفونهم، وهؤلاء أعظم الناس خسارة، وهو من أجلى مصاديق الفساد في الأرض.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾، من هم هؤلاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا؟ هم: العصابات المسلحة، أولئك الذين يروعون الناس بالسلاح، المليشيات المنفلتة والخارجة عن القانون، فهؤلاء جميعًا يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا، فيعتدون على أموال المسلمين، وعلى أعراضهم وحرماتهم، وحكم الله (سبحانه وتعالى) بحق هؤلاء هو: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾، قتل هؤلاء المفسدين في الأرض؛ بالإعدام شنقًا، ﴿أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾، إذا لم يُقتلوا يجري صلبهم حتى يموتوا صلبًا، وذهب بعض المفسرين إلى أنهم يقتلون ثم يصلبون نكاية وشدة لكي يرتدع المجتمع عن سلوكهم.

﴿أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾، تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، وحتى هذه فيها عدل، فإذا قطعت يده اليمنى ورجله اليمنى يختل توازنه فلا يستطيع أن يمشي، ولا يستطيع أن يتحرك ويعيش، فالحكمة في قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى هي لكي يستطيع أن يحافظ على توازنه ويتمكن من المشي، فالله (سبحانه وتعالى) رؤوف حتى بحق هذا المجرم.

---

٩٦. سورة البقرة: الآية ١١ـ١٢.
٩٧. سورة الأعراف: الآية ٨٥.
٩٨. سورة البقرة: الآية ٢٧.

﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، النفي هو الإبعاد، ولكن هل يتحقق هذا الإبعاد من محل إقامته، أو يبعد من مكان جريمته؟ اختلف المفسرون، واختلف الفقهاء أيضًا في حكمه، ﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾[99]، الخزي في الدنيا يتحقق بالقتل والصلب أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف، أو النفي من الأرض، ولكن هذا العذاب الدنيوي الشديد الذي يصل إلى القتل، لا يسقط عنهم العذاب الأخروي، فهذه كلها في الدنيا، وأما في الآخرة: (ولهم في الآخرة عذاب عظيم).

ربما تستبدل عقوبة القتل العمد في الدنيا من القصاص إلى الدية إذا أراد أولياء الدم ذلك، أو هناك بعض العقوبات من حدود وتعزيرات في بعض الذنوب أن أجريت في الدنيا، طهر صاحبها بعدها ورفعت عنه العقوبة الأخروية، أما جريمة السطو المسلح، وترويع الناس، والقيام بعمل لا يتناسب مع السلم المجتمعي، فلها تبعات وآثار حتى في الآخرة، مهما كان العذاب الدنيوي شديدًا، فلهم في الآخرة عذاب عظيم أيضًا.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾، عمّ الفساد في كل مكان، فما هو سببه؟ ﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾، الناس هم الذين أفسدوا، ونشروا هذا الفساد، ﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾[100] الله (سبحانه وتعالى) جعل للفساد والانحراف السلوكي أثرًا وضعيًا، إضافة إلى الآثار المعنوية والأخروية، والأثر المادي مباشر: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾، لعلهم يرجعون عن مواقفهم، ويصلحون مواقفهم، ويتخلون عن انحرافاتهم. هذه طائفة من الآيات ذكرنا بعضها، وهناك العديد من الآيات الأخرى في هذا الاتجاه.

ومن جانب آخر نجد أن عددًا كبيرًا من الآيات القرآنية دعت إلى السلام والصلح من خلال نفي الفساد والتحذير منه وإدانته، فإذا لم يكن فساد ووجد صلح فهذا جانب، والجانب الثاني أن هناك آيات قرآنية شريفة دعت بشكل مباشر وصريح إلى السلم والصلح، وبعض هذه الآيات أشارت إلى أهمية السلام بشكل عام، وأعطت قواعد عامة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾[101]، أنت صائم فلا تقسم بالله، وقل عوضًا من ذلك: أنا صائم، بل لا تجعل الله تبارك وتعالى على لسانك في كل شيء، وفي كل الأحوال، فعلينا أن لا نأتي بلفظ الجلالة بين كلمة وأخرى،

٩٩. سورة المائدة: الآية ٣٣.
١٠٠. سورة الروم: الآية ٤١.
١٠١. سورة البقرة: الآية ٢٢٤.

وعلينا أن نترك قول: لا والله، وإي والله، لماذا تبيع الله (سبحانه وتعالى) في كل قضية؟ لماذا تأتي باسم الله جل جلاله في كل موضوع؟ ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾، لا تعرضوا الله سبحانه لحلفكم، لا تستخدموا لفظ الجلالة في كل يمين، وفي كل قضية تريدون إثباتها.

أولًا: لماذا تقسم؟ هل أنت شاك بنفسك؟ هل عندك أزمة ثقة بنفسك؟ هل ضعفت شخصيتك أمام هذا الذي سألك، فأحسست بأنك متهم فتحلف لترضيه؟ لماذا تأتي بالقسم عندما يسألك أحدهم سؤالًا؟ ليس هناك حاجة إلى الحلف، حاولوا أن تتخلصوا من هذه العادة السيئة؛ ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾، اليمين هو القسم، الحلف: لا والله ونعم والله، فلا تأتوا بلفظ الجلالة في كل قضية.

ثانيًا: ﴿أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾، لا تقسم على أن لا تبرّ، فبعض الناس إذا فعل لأحدهم خيرًا ولم ينفع معه، يقسم بالله أن لا يعمل خيرًا لأحد من الآن فصاعدًا، أو هناك شخص واقف يصلي جماعة، وأخرجته دفعة من حالة الاستقرار فبطلت صلاته، فيقول: والله، من الآن فصاعدًا لن أحضر صلاة الجماعة، فالله يقول: لا تقسم على أن لا تبر، على أن لا تتقي، لا تقسم على أن لا تصلح بين الناس، هذا لا تفعله أبدًا، ومثال القسم على ترك الصلح: رجل دخل في فض نزاع عشائري يريد أن يحل مشكلة، فجاءت ولده طلقة فقتلته، فيقسم بالله أن لا أشترك بعد اليوم في حل أي نزاع عشائري، والآية الكريمة تخاطبه بأن لا يقسم على ترك الإصلاح بين الناس، مهما كانت مضاعفات الصلح والسلام، فإنّ إخفاقك في بعض التفاصيل يجب أن لا يمنعك من السعي في الصلح، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٤﴾[١٠٢].

وفي هذا السياق أيضًا وردت الآيات الكريمة التالية:

قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١﴾[١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾[١٠٤].

١٠٢. سورة البقرة: الآية ٢٢٤.
١٠٣. سورة الأنفال: الآية ١.
١٠٤. سورة هود: الآية ١١٧.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٩﴾[١٠٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾[١٠٦].

ويطول بنا المقام إذا أردنا استعراض هذه الآيات وإن كانت فيها دروس كبيرة، ولكن الوقت لا يستوعب بيان هذه الآيات الشريفة.

أما بشأن الآيات التي تشير إلى السلام والصلح في موارد خاصة، وليس على نحو العموم، فمن الممكن مراجعة الآيات التالية:

قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢﴾[١٠٧].

وقوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٢٠﴾[١٠٨].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٢٨﴾[١٠٩].

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾[١١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥﴾[١١١].

---

١٠٥. سورة النحل: الآية ١١٩.
١٠٦. سورة الأعراف: الآية ٥٦.
١٠٧. سورة البقرة: الآية ١٨٢.
١٠٨. سورة البقرة: الآية ٢٢٠.
١٠٩. سورة البقرة: الآية ٢٢٨.
١١٠. سورة الشورى: الآية ٤٠.
١١١. سورة النساء: الآية ٣٥.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ٤٥﴾[١١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩﴾[١١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩﴾[١١٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ.﴾[١١٥].

فهذه كلها آيات تشير إلى موارد خاصة في الصلح والسلام والهدنة، وليس السلام بمعناه الواسع والعام.

ومنها: آيات جاءت بصيغة التقريع لمن يخالف السلم والصلح؛ تقرّع من يرفض، أو يمنع، أو لا يستجيب، لصلح في نزاع جرى بينهم.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ١٥٢﴾[١١٦].

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٤٩﴾[١١٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾[١١٨].

ففي هذه الآيات تحذير شديد وتقريع لمن يردّ الصلح والسلام إذا ما عرض عليه.

ومنها: آيات توبخ وتقرع المفسدين، وقلنا إنّ الحرب وإراقة الدماء أوضح مصاديق الفساد، كما ورد ذلك في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾[١١٩].

---

١١٢. سورة النساء: الآية ٤٥.
١١٣. سورة النساء: الآية ١٢٩.
١١٤. سورة الحجرات: الآية ٩.
١١٥. سورة الحجرات: الآية ١٠.
١١٦. الشعراء: ١٥٢.
١١٧. سورة النمل: الآية ٤٩.
١١٨. سورة الأعراف: الآية ٥٦.
١١٩. سورة البقرة: الآية ١١ ـ ١٢.

ومنها: آيات تضمن عدم ضياع جهود المصلحين، فعندما تضع يدك لتصلح بين شخصين، بين حزبين، بين بلدين، بين جماعتين، بين متخاصمين، فهناك ضمان إلهي بأنّ جهدك هذا لن يضيع، حتى لو لم يثمر هذا الصلح ولم يتكلل بالنجاح، فجهدك محفوظ، كما جاء في قوله تعالى من سورة الأعراف: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾[١٢٠].

ومنها: الآيات التي تشير إلى ضرورة السلم والصلح، كما ورد في الآيات التالية:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾[١٢١].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾[١٢٢].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾[١٢٣].

ومنها: الآيات التي تشير إلى أهمية السلم والصلح والهدنة حتى مع الآخرين الذين لا يحاربون المسلمين ولم يخرجوهم من ديارهم، فطالما أن هؤلاء لم يحاربوكم، ولم يضغطوا عليكم ليخرجوكم من أرضكم، فيجب أن تكونوا معهم في تعاون، في سلام، كما ورد ذلك في الآيات التالية:

قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[١٢٤].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾[١٢٥].

ومنها: ضرورة قبول لجوء من يلتجئ إلى المسلمين ويلوذ بهم، فإذا جاءك شخص واستجارك ولاذ بك، فيجب أن تقبل به وتعينه في هذا الأمر، كما ورد ذلك في قوله

١٢٠. سورة الأعراف: الآية ١٧٠.
١٢١. سورة البقرة: الآية ٢٠٨.
١٢٢. سورة الأنفال: الآية ٦١.
١٢٣. سورة النساء: الآية ٩٠.
١٢٤. سورة الممتحنة: الآية ٨.
١٢٥. سورة النساء: الآية ٩٠.

تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾[١٢٦].

وكذا تجدون طائفة كبيرة من الآيات القرآنية تتحدث عن الصلح والسلم، وأنه هو الأساس، وتحذر من عدم الانصياع للسلم وعدم القبول به، والمصالحة مع الآخر المؤمن، بل حتى مع غير المؤمن، كما في الآية السابقة من سورة التوبة.

إذن فالحرب مدانة، إراقة الدماء مدانة؛ لأنها تسلب الأمن والحريات من الناس، فإذا كانت هناك حرب فمعنى ذلك أن هناك ظروف طوارئ ومحددات لا تمكّن الإنسان من التحرك بحرية، ويوجد أيضًا مستوى هائل من الخراب والدمار، وهذا شيء كبير يدعو إلى تجنب الحروب، وكذلك تجبر الناس بشكل واسع على النزوح وترك بلادهم وأراضيهم وبيوتهم، فإذا اندلعت الحرب في مكان، فلا يستطيع الناس البقاء فيه حفاظًا على حياتهم، ويوجد لدينا اليوم مئات الألوف من النازحين، ونحن الآن بعد انتهاء الحرب بسنين، غير قادرين على إرجاعهم إلى مدنهم وقراهم، وكذلك تتسبب الحرب بخسائر بشرية كبيرة وتترك جيوشا من الأرامل والأيتام والجرحى والمعوقين، وخسائر مادية هائلة تقدّر بالمليارات، لذلك فالحروب غير مرغوب بها، إلا عند الضرورة القصوى، كما سنتناوله في أبحاثنا القادمة.

الحرب ثقافة جاهلية

الحرب ـ بما هي حرب ـ ثقافة جاهلية؛ كل فرد سلاحه بيده، وإصبعه على الزناد، متهيئ للقتال في أي لحظة، وهناك أناس تطلب الشر وكأنها مجبولة عليه، وتدخل في صراع مميت بشأن أبسط قضية.. على مهلك، لماذا تتوثب بسرعة إلى الشر والقتل من غير أن تترك فرصة للخيارت الأخرى؛ بأن تتحرك لحل المشكلة، لماذا تؤذي أبناء الناس وتلقي بهم إلى المهلكة؟ لا تجري الأمور هكذا، فآخر الدواء الكي، وخيار الضرورة حينما تنفد كل الخيارات، والحرب آخر خيار وليس أول الخيارات.

ولأنّ الحرب تحمل وحشية بربرية يرافقها انحطاط بشري دائمًا، ولهذا تتعرض المجتمعات إلى اهتزازات وتراجع خطير في القيم والمبادئ أثناء الحروب، لذلك علينا أن نتجنب الحرب جهد الإمكان، لأنها ابتعاد عن منهج الأنبياء والمصلحين، الذين

١٢٦. سورة التوبة: الآية ٦.

منهجهم منهج سلم، منهج ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[١٢٧].

الحرب ثقافة جاهلية، وقد ورد في نهج البلاغة خطبة طويلة تسمّى بالقاصعة، تحتوي على مضامين عظيمة، والقاصعة من القصع، وهو التحقير، والخطبة القاصعة هي الخطبة التي يحقر فيها أمير المؤمنين عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ المتكبرين، ولعل الله تبارك وتعالى يوفقنا ـ بعد أن ننهي هذه الأبحاث ـ لشرح وبحث هذه الخطبة التي تتضمن مداليل أخلاقية واجتماعية كبيرة.

يشير أمير المؤمنين عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في مقطع من هذه الخطبة الطويلة إلى ظروف وأوصاف وسمات المجتمع الجاهلي في الجزيرة العربية قبل الإسلام، وكيف أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عندما جاء بالرسالة الإسلامية استطاع أن يغيّر من طباع هذا المجتمع، ويصف أمير المؤمنين عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ سمات المجتمع الجاهلي في الجزيرة العربية، فيقول:

«وأطباق جهل»، كان المجتمع منغمسًا بالجاهلية، جهل علم، وعدم معرفة.

«من بنات موؤودة»، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ على مضض ﴿أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٥٩﴾[١٢٨]، وبقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ٩﴾[١٢٩]، فكان من تلد امرأته بنتًا أمام خيارين: إما أن يبقيها حية ويستشعر الذلة في المجتمع، أو يدفنها وهي على قيد الحياة.

«وأصنام معبودة»، تركوا عبادة الله الواحد الأحد، وتمسكوا بعبادة الحجر.

«وغارات مشنونة»[١٣٠]، كانت الغارات في كل مكان وزمان في أرجاء الجزيرة العربية، وكانوا يتفاخرون بالقتل والسلب والنهب، وهذه سمة بارزة من سمات عرب الجاهلية، فكانت عصابات السلب والنهب تقطع الطرق وتتربص بالقوافل التجارية لسرقتها.

---

١٢٧. سورة النحل: الآية ١٢٥.
١٢٨. سورة النحل: الآية ٥٨ ـ ٥٩.
١٢٩. سورة التكوير: الآية ٨ ـ ٩.
١٣٠. نهج البلاغة ٢: ١٥٣ الخطبة١٩٢.

وورد في نهج البلاغة أيضا نهي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أدنى مستويات القتال، وهي حالات الدعوة للمبارزة، فضلًا عن الدعوة إلى الحرب، التي تهلك فيها أعداد كبيرة، والمبارزة أن يتحدى أحدهم شخصًا ويدعوه للقتال، وأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ينهى عنها مع أنها ليست حربا على نطاق واسع؛ إذ يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تدعونّ إلى مبارزة»[١٣١]، لا تدعُ أحدًا للمبارزة، وبالتالي إما أن تموت أنت أو يموت هو، حتى لو كان المقتول شخصًا واحدًا فهو كثير.

وفي نهج البلاغة أيضًا خطبة يصف فيها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ الدنيا، بأنها: «دار حرب وسلب، ونهب وعطب»[١٣٢]، هذه سمات الدنيا التي كانت في ذلك الوقت، فلا ترى الناس في الدنيا سوى الحروب والسلب والنهب والدمار.

وتحدث أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في خطبة من نهج البلاغة أيضًا عن الحرب فقال: «إنّ الفتن إذا أقبلت شبّهت»[١٣٣]، يعني أن الحرب لا تضيّع الحق فقط، بل تخلط الأوراق أيضًا، وتوفر غطاء للباطل بأن يجد له مبررًا، ووقوع الحرب يؤدي إلى ارتفاع صوت الباطل، وخفوت صوت الحق، فتشتبه الأمور وتختلط؛ من هو على الحق ومن هو على الباطل، ففي الحروب تختلط الأوراق.

وورد في كتاب لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في نهج البلاغة، قال: «من تعدّى الحق ضاق مذهبه»[١٣٤] يعني أن من تجاوز الحق ودخل الحرب، «ضاق مذهبه»، ضاع دينه، وذهبت قيمه، واهتزت أخلاقه، وارتبك إيمانه، وهذه كلها في الحروب غير المشروعة، وسنتحدث عن الحرب المشروعة.

من أعراض الحرب أن تأخذ أولاد الناس وتذهب لسفك الدماء ونشر الخراب والدمار، وقد ورد في نهج البلاغة حكمة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال فيها: «بئس الزاد إلى المعاد؛ العدوان على العباد»[١٣٥]، أسوأ زاد ووزر يأخذه الإنسان إلى يوم القيامة هو العدوان على العباد؛ بأن تعتدي على عباد الله وتشن حربًا عليهم.

وورد عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ في غرر الحكم: «من زرع العدوان حصد الخسران»[١٣٦]، الاعتداء ليس له نتيجة، بل هو خسارة سواء انتصرت أو هُزمت، فأنت خاسر في كل الأحوال،

---

١٣١. نهج البلاغة ٤: ٥٢ الحكمة ٢٣٣.
١٣٢. نهج البلاغة ٢: ١٦٢ الخطبة١٩١.
١٣٣. نهج البلاغة ١: ١٨٣ الخطبة ٩٣.
١٣٤. نهج البلاغة ٣: ٥٥ كتاب ٣١.
١٣٥. نهج البلاغة ٤: ٤٩ الحكمة ٢٢١.
١٣٦. غرر الحكم: ٨٠٣٣ نقلًا عن ميزان الحكمة ٣: ١٨٤٧ ح٢٥٥٩، عيون الحكم والمواعظ: ٤٣١.

حتى مع الانتصار، كما في الحرب بين نظام صدام والجمهورية الإسلامية، وفي حرب الخليج، إذ ذهب عشرات الألوف من أبناء الشعب العراقي، فلو كنت منتصرًا فأنت خسران في الحقيقة، فكيف إذا كانت الحقيقة غير ذلك، وعندما تنتهي الحرب وتذهب فرحة الصلح، ترى أن الحرب خلّفت وراءها جيوشًا من الأرامل والأيتام والخراب والدمار، وهذه الترليونات من (١٩٦٨) إلى (٢٠٢٠) التي نحنِ الآن فيها، لو كانت هذه الأموال التي أنفقت في التسليح وهذه الحروب المدمرة، قد أنفقت على بناء العراق، لكان العراق اليوم بلدًا متطورًا اقتصاديًا، وذا بنية تحتية قوية ومتقدمة.

منهج علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الحرب والسلم

ورد في حكم أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في نهج البلاغة: «الغالب بالشر مغلوب»[١٣٧]، الغالب مغلوب، الغالب خسران، فكيف حال المنهزم المغلوب؟ إذا انتصرت في حرب غير مشروعة فأنت خسران.

إذن يرى علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن الحرب وإراقة الدماء شرٌّ ورذيلة، ويرى السلام والصلح خيرًا وفضيلة، هذا هو منطق علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومنطق الإسلام، وعلي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في حروبه الثلاث ـ الجمل والنهروان وصفين ـ لم يقدم على تلك الحروب إلا مضطرًا، ذكر ذلك ابن الأثير الشيباني في كتابه الكامل في التأريخ، وذكرها ابن جرير الطبري في كتابه تأريخ الأمم والملوك: سأل عامر بن مطر الشيباني أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين خرج نحو البصرة في حرب الجمل: على ماذا تقدم؟ فقال له أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «والله ما أريد إلا الصلح حتى يُردَّ علينا»، يعني إلا إذا ردّوه علينا، ولم يتركوا لنا خيارًا إلا أن نقاتلهم، فنحن ذاهبون لصلح معقول ولسنا ذاهبين للقتال، تلك المظلومية في خلفيات حرب الجمل كما تعرفون.

وفي الواقعة نفسها يروي ابن الأثير والطبري: «فلما أراد علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ المسير من الربذة إلى البصرة، قام إليه ابن لرفاعة بن رافع، فقال: يا أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أي شيء تريد؟ وأين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابوا إليه، قال: فإن لم يجيبونا إليه؟ قال: ندعهم بعذرهم، ونعطيهم الحق ونصبر، قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم، قال: فنعم إذن»[١٣٨].

١٣٧. نهج البلاغة ٤: ٧٨ الحكمة ٣٢٧.
١٣٨. الكامل في التأريخ ٣: ٢٢٤. تأريخ الأمم والملوك ٤: ٤٧٩.

هذا هو منهج علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ مع من خرجوا عليه بالسلاح واحتلوا مدينة من المدن الكبيرة، وأراقوا فيها الدماء، فهو لم يبدأ مع هذا كله بطلب الاستسلام منهم أو الحرب، بل جاءهم براية الإصلاح بشرط أن يقبلوا منه ويستجيبوا له، وكان نهجه – كما ذكره في هذه الرواية – أنهم إن لم يقبلوا بالإصلاح ولم يستجيبوا له فلا ينتقل إلى خيار الحرب، بل يتركهم بالعذر الذي خرجوا به، وهو المطالبة بدم عثمان، ويعطيهم الحق ويفوض أمره إلى الله (سبحانه وتعالى) ويصبر، فإن لم يرضوا بذلك أيضًا، فلا ينتقل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى خيار الحرب، بل يتركهم ما تركوه، وكيف يتركونه وهم يعلمون أن عليًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يترك البصرة بأيديهم يعيثون فيها فسادًا، وإنما سيتدخل سلميًا لإعادة سيطرته عليها وإخضاعها إلى نفوذه باعتباره الخليفة الشرعي الذي بايعه المسلمون كما بايعوا من قبله، فإن لم يتركوه يمارس دوره الشرعي كما يمارسه في باقي ولايات الدولة الإسلامية، ولجؤوا إلى السلاح والقتال لمنعه من بسط نفوذه، وهاجموه وأعلنوا الحرب عليه، فحينئذ تسقط كل الخيارات الأخرى، ولا يبقى له سوى القتال للدفاع عن النفس، وهكذا يكون علي عَلَيْهِ السَّلَامُ معذورًا أمام الله (عز وجل) في حروبه جميعًا؛ لأنه اتّبع هذا المنهج السلمي والسليم، ومعذورًا أيضًا أمام المسلمين، بل وأمام الإنسانية جميعًا.

من يرفض أن يدخل بطاعتي وجلس في مكانه أقبل منه، من يرفض أن يدخل في طاعتي ويتكلم ضدي ولا يقوم بعمل عسكري أقبل منه أيضًا، ولكن من يدخل في طاعتي ولا يقبل صلحي ويرفع سلاحه بوجهي، فهنا لا أقول له تعال واقطع رأسي، بل أدافع عن نفسي وامتنع منه.

ورد في غرر الحكم قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أفضل النصح الإشارة بالصلح»[١٣٩]، أفضل نصيحة تقدمها لإنسان يستنصحك هي المشورة بالصلح، فلا ينبغي أن تقول حين يخبرك أنه قطع علاقته بأحد إخوانه المؤمنين: حسنًا فعلت، بل قل له: هذا شهر رمضان، شهر الرحمة والمغفرة، ونحن نقترب من ليالي القدر، ونريد أن نرفع أيدينا بالدعاء، ونطلب من الله (سبحانه وتعالى) أن يصفح عنا، وإذا كنت تريد أن يصفح الله (سبحانه وتعالى) عنك فينبغي أن تصفح عن أخيك المؤمن، وقل له: لست أنا المحق، بل أنت المحق، وإن كان أخوك في الواقع هو المقصر وأنت المحق، ولكن

١٣٩. غرر الحكم: ح٩٣٧٩، ح٩٠٠٠، نقلًا عن موسوعة أحاديث أهل البيت ٦: ١٤٢ح ٧٠٧٠.

ابتدئه بالعذر، ارحم تُرحم، اصفح يُصفح عنك، تسامح لكي تحصل على المغفرة الإلهية في ليلة القدر.

وورد في نهج البلاغة من كلام لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية، وكان ذلك بعد أن أرسل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ رسائل عدة إلى معاوية، واستفرغ وسعه معه في النصيحة وإلقاء الحجة، ولم تنفع في رجوعه إلى الطاعة، وقد جاء جرير بن عبد الله البجلي، وكان صديقًا لمعاوية، إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وطلب منه أن يذهب إلى معاوية ويتحدث إليه لعله يقنعه ويرجعه إلى جادة الصواب، فقبل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وحدّد له وقتًا لرجوعه، وذهب جرير إلى الشام، وطلب أصحاب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ منه أن يستعد للحرب، فقال:

«إنّ استعدادي لحرب أهل الشام وجرير عندهم إغلاق للشام»، كان طلب أصحاب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ منه الاستعداد للحرب قبل رجوع جرير في الموعد المحدد، يخالف أخلاق المفاوضات، وهدمًا لجهود المصالحة، وذريعة لمعاوية في رفض التفاوض، ومعنى عبارة «إغلاق للشام»، هو أن مهمة جرير ستفشل بكل تأكيد، وإن كان احتمال نجاح جرير بمهمته ضئيلا جدًا لا يعادل واحدا بالألف، ولكن مع ذلك ينبغي أن ننتظر إلى حين رجوعه في الموعد المقرر، فالاستعداد للحرب سيجهض جهود جرير، وهو عندهم الآن.

«وصرف لأهله»، لأهل الشام.

«عن خير إن أرادوه»، قد يهديهم الله (سبحانه وتعالى) لقبول الصلح، والاستعداد والتحضيرات للحرب سد باب الخير ومنعهم من قبول الصلح.

«ولكن قد وقّت لجرير وقتًا»، حددت له وقتًا لرجوعه من الشام، ولم أترك الوقت مفتوحًا له.

«لا يقيم بعده إلا مخدوعًا أو عاصيًا»، فإن أقام هناك بعد المدة المحددة له فهو إما مخدوع من معاوية، الذي أخذ يسوّف ويماطل من أجل كسب الوقت؛ أنظرنا لغد أو بعد غد حتى نرى رأينا، أو استرح بعض الوقت حتى يزول عنك عناء السفر، وأمثال ذلك من ألوان الخداع، أو يكون جرير عاصيًا، وانحاز إلى معاوية أصبح ضدنا، ولذا وضعت

وقتًا معقولًا، وإذا لم يستطع أن يصل إلى حل ضمن هذا الوقت فسنكون في حلّ منه، ونستطيع حينها أن نستعد ونتعبأ للحرب.

«والرأي عندي مع الأناة والصبر»، وهنا انظروا الى حرص أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ على أي فرصة ولو ضئيلة للصلح وتجنب الحرب.

«فأرودوا»، يعني أرفقوا، أي على مهلكم، لا تستعجلوا، رويدًا رويدًا، أمهلوا جريرًا لعله يستطيع النجاح، «ولا أكره لكم الإعداد»[١٤٠]، ولكن أحب لكم الاستعداد والتهيؤ على المستوى الشخصي؛ كل شخص منكم داخل بيته، يحدّ سيفه، ويهيئ رمحه وقوسه وسهامه، ويهيئ فرسه وقوته وقوت عياله، فهذه لا مانع منها، ولكني أنا علي بن أبي طالب خليفة المسلمين لا أدعوكم بشكل رسمي للتهيؤ والاستعداد، فأجهض جهود الصلح التي يقوم بها جرير.

وورد في خطبة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن سمع كلام الحكمين في واقعة التحكيم بصفين، وهي خطبة طويلة أذكر لكم منها محل الشاهد فقط:

«وأما قولكم: لمَ جعلت بينك وبينهم أجلًا في التحكيم»، اعترض عليه جماعة من عسكره: لماذا جعلت وقتًا للتحكيم؟ وهنا يجيب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن هذه الشبهة، بقوله:

«فإنما فعلت ذلك ليتبين الجاهل»، ليحصل الجاهل بالأمور على المعرفة.

«ويتثبت العالم»، العالم قلق ويطلب دليلًا ليطمئن قلبه، ويستطيع خلال هذا الأجل أن يتثبت.

«ولعل الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة»[١٤١]، هذا الاحتمال بأن يفضي التحكيم إلى هدنة وصلح، ولكي يعلم الجاهل، ويطمئن قلب العالم حين تتضح له الأمور أكثر، هذه هي الأسباب التي جعلتني أضع أجلًا لهذه الهدنة، فانظر إلى الاهتمام الكبير بالصلح والسلام ما دام ممكنًا.

وورد في نهج البلاغة في خطبة له عَلَيْهِ السَّلَامُ فيها مضامين مهمة، وأذكر هنا الشاهد، وهو دعاؤه عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الخطبة:

---

١٤٠. نهج البلاغة ١: ٩٣ الكلام ٤٣.

١٤١. نهج البلاغة ٢: ٥ الخطبة ١٢٥.

«اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان»، لم نتصدَّ لكي ننافس الآخرين على سلطة وكرسي ومواقع.

«ولا التماس شيء من فضول الحطام»، أو من أجل جمع المال، أو الحصول على شيء من حطام الدنيا الزائل، فلم تكن هذه الدنيا وراء هذا التصدي وتحمّل كل هذه الأعباء، «ولكن لنرد المعالم من دينك»، ومعالم الدين هي ما ذكرته الآية الشريفة: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[١٤٢]، نريد أن نحفظ معالم دين الله، ونظهر الإصلاح في بلاد الله، وهذا هو الشاهد؛ أن هدفه في التصدي هو أن يصلح، يوقف الحروب، يوقف الفساد.

«فيأمن المظلومون من عبادك»، أن يكون هؤلاء المظلومون في أمان وراحة.

«وتقام المعطلة من حدودك»، تطبق الحدود الإلهية المعطلة في المجتمع، هذا هو الهدف.

«اللهم إني أول من أناب، وسمع وأجاب، لم يسبقني إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالصلاة»[١٤٣]، أنا أول من لبّى دعوة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولبيت نداء الصلح والسلام الوارد في قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾، إذا قبلوا بالسلام فاقبل به أنت أيضًا، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾[١٤٤].

نسأل الله التأييد والتسديد، وأن نكون دائمًا دعاة سلام، دعاة صلح، ودعاة تقارب بين الناس، وأن نعمل بهذا الأمر بكل ما أوتينا من قوة.

للحديث صلة يأتي تباعا، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١٤٢. سورة الحج: الآية ٤١.
١٤٣. نهج البلاغة ٢: ١٣ الخطبة ١٣١.
١٤٤. سورة الأنفال: الآية ٦١ـ٦٢.

المحاضرة الثالثة عشرة بتأريخ ١٠/ ٥/ ٢٠٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار، وأسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يجعلنا وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الفضيل وأن لا نكون من المحرومين.

كان حديثنا في الأيام الماضية في عهد أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) لمالك الأشتر حين ولاه مصر، وكنا نتحدث في المقطع السابع والعشرين الذي يتحدث فيه أمير المؤمنين عن السلم والحرب وأحكامهما، وتحدثنا عن الإضاءة الأولى، وننتقل الى الإضاءة الثانية.

الإضاءة الثانية: السلم هو الأساس في الحفاظ على المجتمع

إن السلم وإن كان يمثل الأساس في التعامل والتعاطي في الاختلافات التي تحصل مع الآخرين، ولكنه الأساس أيضًا في الحفاظ على المجتمع؛ الحفاظ على الأمن والسلم المجتمعيين، الحفاظ على الأرواح، الحفاظ على الممتلكات، الحفاظ على القيم، أما إذا كان السلم والهدنة يؤديان إلى أن تُداس كرامة الإنسان، تداس العزة الإنسانية، تضيع القيم والمبادئ والمثل، تضيع الحقوق، ولم يكن هناك أي طريق للحفاظ على الحقوق، والعزة والكرامة، والحريات، والقيم، إلا من خلال الحرب، فحينذاك لا بد من أن ينظر إلى الحرب على أنها مدخل أساسي لاستعادة الحقوق، ولا بد من الذهاب إلى الحرب حينذاك من أجل الحفاظ على المصالح العليا.

وعمومًا فإنّ للحكم والإدارة أربعة أهداف أساسية:

أولًا: إقامة العدل بين الناس، فيجب على الحاكم أن يشيع العدل والإنصاف بين الناس، هذا واحد من أهم أهداف الحكم.

ثانيًا: توفير الأمن والاستقرار، ليشعر الناس بالأمن، وبإمكانية مزاولة حياتهم بشكل طبيعي وانسيابي.

ثالثًا: تحقيق الخدمات والرفاه الاجتماعي، وهذا هدف أساسي أيضًا من أهداف الحكم.

رابعًا: التربية والتنشئة الصحيحة للمجتمع، بإشاعة القيم النبيلة، مكارم الأخلاق، الأعراف السليمة، التقاليد الصالحة، ليكون مجتمعا يسير ضمن قيم صحيحة، ويعيش برفاه ورخاء في ظل أمن واستقرار، وتشاع فيه العدالة الاجتماعية.

هذه هي الأهداف الأربعة الأساسية التي يمكن أن نفترضها للحكم، وإذا كان بالإمكان تحقيق هذه الأهداف عبر الوسائل السلمية فهو الأساس، ولكن إذا لم يمكن تحقيق هذه الأهداف بهذه الوسائل، كما لو تسلط فرد على الحكم وأقام نظامًا ديكتاتوريًا يفتك ويبطش، وضاع أمن الناس، وغابت حرياتهم، وانتهكت العدالة الاجتماعية، وانعدم الرفاه والرخاء والخدمات، ولا يوجد أي طريق لإقناعه بأن يتخلى عن السلطة ويعطي فرصة لغيره، أو أن يصحح من مساراته، فحينذاك لا خيار إلا قتال هذا الطاغوت، أو إذا اعتدت دولة خارجية وانتهكت سيادة البلد، أو أرادت مجموعات إرهابية مسلحة أن تستعبد الناس، وتخل بالأمن، وتسيطر على إرادة الناس، وتفرض عليهم أجندة خاصة، ولم يكن بالإمكان تحقيق هذه الأهداف إلا بالحرب، فحينئذ يتطلب الحفاظ على الأهداف الأساسية والمصالح العليا الذهاب إلى الحرب؛ لاستعادة هذه الحقوق والحفاظ عليها، فإذا لم يكن بالإمكان أن نحقق هذه الأهداف بالطرق السلمية، ولا مجال لاستحصالها إلا عبر استخدام القوة، ففي هذه الحالات تصبح الحرب ضرورة؛ لأنه لا مجال لاستعادة الحقوق إلا من خلال استخدام القوة، فيضطر صاحب الحق لأن يدخل الحرب لاستحصال حقه، وتكون الحرب ضرورة اجتماعية، وضرورة إنسانية، للحفاظ على المصالح العامة، وعلى حقوق الناس، ولا خيار في مثل هذه الظروف إلا الذهاب إلى الحرب.

من لا يريد أن يحارب حفاظًا على كرامة الأمة؛ عندما تنتهك حقوقها، وتسلب سيادتها، فهذا يسمونه هروبا من المسؤولية، فإذا لم يوجد طريق إلا باستخدام القوة

فلا معنى للمطالبة بالسلم حينئذ، ولا يمكن استخدام القوة تحت يافطة السلام والحوار والأمان؛ لأنّ الآخر يستعبدك، فأي سلام مع الاستعباد؟ إنما السلام حينما يمكن أن تحافظ على العزة والكرامة، على إنسانيتك، على حقوقك، على حرياتك بالطرق السلمية، ولكن إذا لم تتوفر فرصة كهذه، وأدى ذلك إلى الاستعباد وانتهاك السيادة وامتهان العزة والكرامة الإنسانية، فلا سبيل غير الذهاب إلى الحرب، وإلا نكون قد تخلينا عن مسؤولياتنا، وهربنا من أداء الواجب الوطني، وهذا يعني ترك الظلمة والمستبدين يفتكون بالشعوب والأمم.

وردت في نهج البلاغة خطبة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في أجواء التحكيم بصفين، نذكر مقطعًا منها:

«إن أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه من الباطل»، المهم هو الحق.

«وإن نقصه وكرثه»، كرثه الأمر: إذا اشتد عليه وبلغ منه المشقة[١٤٥]، أي حتى لو كان الالتزام بالحق يؤدي به إلى نقصان؛ إلى أن يخسر أموالا، أن يخسر في أمور معنوية أو مادية، ولكن من أجل أن يحق الحق يكون الحق أحب إليه من الباطل، حتى لو كان الثمن أن يخسر من أمواله، أو يزيد من همه، أو يخاطر بحياته، ومع كل ذلك يكون الالتزام بالحق أحب إليه من الباطل.

«وإن جر إليه ـ أي الباطل ـ فائدة وزاده»، حتى لو كان السير في طريق الحق يفقده ماله، أو حياته، أو أحبته، فهو أحب إليه من أن يمشي في طريق الباطل، وإن حصل على مال، أو جاه، أو مكانة، أو سمعة طيبة، في مجتمع انقلبت فيه الموازين.

«فأين يتاه بكم»، الى أين تذهبون في التيه والحيرة؟ ألست أنا أمير المؤمنين قائدكم في هذه المعركة ـ في صفين ـ التي فيها خير الدنيا والآخرة، فالحق فيها معروف؛ في علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، والباطل فيها معروف؛ في معاوية ومن معه، ويجب أن يكون الحق أحب إليكم من الباطل، لذلك يجب أن يكون الوقوف إلى جانب علي والتضحية لتحقيق المشروع الذي يقاتل من أجله أولوية لكم.

«ومن أين أتيتم؟»، كيف دخل عليكم الشيطان؟ أو من أين دخلت عليكم الشبهة، فالتبس عليكم الأمر مع وضوحه؟.

---

١٤٥. انظر: الصحاح ١: ٢٩٠.

«استعدوا للمسير إلى قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه»، نريد أن نقاتل قومًا التبست عليهم الأمور، فلا يرون الحق ولا يعرفونه.

«وموزعين بالجور»، مغرورون بالجور، يمشون وراء الشعارات الفارغة، تاركين المشروع الحق، من أجل المشروع الباطل.

«لا يعدلون به»، لا يستبدلون به العدل، فهم ذاهبون إلى الظلم.

«جفاة عن الكتاب»، مبتعدون عن مضامين الكتاب العزيز، لا يأخذون بمضامين القرآن الكريم.

«نكب عن الطريق»، حائدون عن الطريق، مبتعدون عن الطريق.

«ما أنتم بوثيقة يعلق بها»، لستم عروة يوثق بها، فلا أستطيع أن أشد ظهري بكم، لا أستطيع أن استند اليكم، فحين أريد منكم النصرة دفاعًا عن الأمة، دفاعًا عن الشعب، دفاعًا عن المصالح العليا، لا تقفون معي، مع أنكم يجب أن تقفوا معي لنستعيد حقوق الأمة المسلوبة.

«ولا زوافر عزّ يعتصم بها»، لستم أعوانًا يمكن أن أستعين بكم في مواجهة هذا التحدي.

«لبئس حشاش نار الحرب أنتم»، يحش النار أي يوقدها، أي بئس موقدو نار الحرب أنتم؟ أأنتم طلاب حروب؟ أأنتم أمراء حروب؟ أأنتم أمراء ميليشيات؟.

«أُف لكم! لقد لقيت منكم برحًا»، أي لقيت منكم شدة وشرًا، وتجرعت الآلام بسببكم.

«يومًا أناديكم ويومًا أناجيكم»، مرة أطلب منكم العون والنصرة علنًا وجهارًا، ومرة أطلب منكم العون والنصرة سرًا.

«فلا أحرار صدق عند النداء»، عندما أدعوكم للحرب لا تستجيبون ولا تلبون نداء الحرب.

«ولا إخوان ثقة عند النجاء»[١٤٦]، ولا أنتم موضع ثقة فاستودعكم الأسرار، لأنكم سرعان ما تفشون ما أفضي به لكم منها، والحرب تحتاج إلى كتمان السر، وأنتم لا سر لكم. هكذا كان حال جيش أهل الكوفة بعد قبولهم التحكيم، وها هو يستنهضهم لقتال

١٤٦. نهج البلاغة ٢: ٦ الخطبة ١٢٥.

جيش معاوية فلا يستجيبون له، ولا يقبلون له قولًا، ولا ينفعهم تقريع، بل على العكس أخذوا يعدّون العدة للتمرد عليه وقتاله، وقد حاول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بسلسلة من الخطابات الحيلولة دون هذه الظاهرة وتجنب الحرب مع هؤلاء الخوارج، ولكن لم تجدِ نفعًا، وهو بذلك يكون قد أقام الحجة البالغة عليهم، وها هو يكرر القول عليهم في التوبيخ والتقريع وبيان مواطن ضعفهم وانحرافاتهم، حتى امتلأ قلبه قيحًا من هذا الخلق المنكوس، وذاق الأمرّين من هؤلاء الناس الذين كانوا أدواته في المعارك.

إذن حين تكون مصلحة الأمة في الحرب يجب أن نحارب، حين يكون خيار الضرورة في الحرب فلا بد من أن نذهب للحرب والانتصار للمصالح العامة، لمصالح الأمة، ولكن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن ليتعجل الحرب، قبل أن يستفرغ الوسع في انتهاج كل الوسائل السلمية؛ من الحوار وإلقاء الحجة من أجلِ إقناع الناس بالحق الذي يحمله، فكان أحيانًا يتباطأ في اتخاذ القرار؛ ففي صفين مثلًا كانت الجيوش جاهزة للقتال، ولكنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يرسل الرسل والكتب إلى معاوية، في محاولة منه أن يعالج الأمر ويتجنب الحرب، وأخذت جماعات من جيشه تلومه على هذا التأخير، وتتهمه بأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يمتلك الشجاعة والجرأة لخوض الحرب مع معاوية، وأنه خائف من جيش الشام ومتردد ويبحث عن حلول سلمية، وكانوا يضغطون عليه للدخول في الحرب.

يصف أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه الحالة في الخطبة الخامسة والخمسين من نهج البلاغة، حين سأله أصحابه: لماذا هذا التردد؟ لماذا هذا التباطؤ في اتخاذ قرار الحرب؟ لماذا لا يعطي قرار الهجوم؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«أما قولكم أكلُّ ذلك كراهية الموت؟»، هل تظنون أني متردد خوفًا من الموت، وأحاول بذل جهود إضافية لحل الأمور بالطرق السلمية خوفًا من الحرب؟.

«فوالله ما أبالي دخلت إلى الموت أو خرج الموت إليّ»، لا يخوفني الموت مثقال ذرة، سواء وقعت عليه أو وقع عليّ، دخلت إليه أو خرج إليّ، فلا أكترث أبدًا.

«وأما قولكم شكًّا في أهل الشام»، يعني ترددًا في قتالهم.

«فوالله ما دفعت الحرب يومًا إلاّ وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي»، أخرت الحرب لعل جماعة من هذه الآلاف يهديها الله تبارك وتعالى وتلتحق بنا، فأكون سببًا في هدايتهم، فإنّ من يُقتل بسيف علي مصيره إلى النار، ومن يُقتل تحت راية علي فإلى الجنة، فأنا مشفق على جيش العدو، وأتباطأ لعلي أنجيهم من سيفي لكي لا يكونوا من أهل النار.

«وتعشو إلى ضوئي»، يعني تستدل على ضوء أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بنور بصرها الضعيف، أي تستدل على هداه عَلَيْهِ السَّلَامُ ببصيرتها الضعيفة فتجيء إلى الطريق الصحيح، وهذا الكلام استعارة، إذ شبّه عَلَيْهِ السَّلَامُ من يهتدي به من أهل الشام، بمن يعشو ليلًا إلى النار؛ لأنّ بصائر أهل الشام ضعيفة؛ فهم لم يعرفوا الإسلام إلا من خلال بني أمية، فهم من الاهتداء بهدي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ كمن يعشو ببصر ضعيف إلى النار في الليل.

«وذلك أحب إليّ من أن أقتلها على ضلالها»، لو قتلهم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد إقامة الحجة عليهم يكون أحب إليه وأعذر عند الله تبارك وتعالى، مما لو قتلهم على ضلالهم، وأما كونهم على ضلال فلأنهم يقاتلون مع معاوية صمًا وعميًا من غير أن يتفحصوا عن الحق والباطل، ولذا وجب على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إقامة الحجة عليهم، ليقاتلوه وهم يعلمون أنه على حق وأنّ معاوية على الباطل، فلا يبقى لهم عذر يعتذرون به عند الله (سبحانه وتعالى)، فمن لم يأت إلى صف علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ووقف في الصف الآخر مع معاوية فهو ضال، وحين يُقتل بسيف علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يُقتل ضالًا ومصيره إلى النار.

«وإن كانت تبوء بآثامها»[١٤٧]، وإن كانت ترجع إلى ربها متلبسة بمعاصيها، فهم يتحملون مسؤولية قرارهم، ولست أنا الذي أضللتهم، بل هم أضلوا أنفسهم، واختاروا طريق الباطل، وأنا لا أتحمل مسؤولية ضلالهم، بل هم يتحملون مسؤولية ضلالهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[١٤٨]، ولكن بالرغم من أنهم هم المسؤولون عن ضلالهم، ولكن قلبي مشفق عليهم، ولا أرغب في أن يُقتلوا بسيفي، فيكون مصيرهم إلى النار، وأريد أن أنصحهم بالحديث إليهم، وإرسال رسول إليهم، لعل بعضهم يهتدون ويأتون إلى طريق الحق، لكي لا يُقتلوا وهم على الضلال، فلا تظنوا بي الخوف من الموت، هكذا كان أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يشرح لهم هذا الأمر.

إذن لا بد من أن يكون الهدف من الحرب هو تحقيق الأهداف، ويجب أن تكون هذه الحرب بعيدة تمامًا عن مفاهيم الانتقام، والتشفي، والاستعلاء، والاستكبار، والتعذيب، وملاحقة الأطفال والنساء والشيبة، وملاحقة الهاربين وقتل الجريح، وقتل من يستسلم في المعركة، كلا، بل جئت لهدف، وإذا انكسر العدو فقد تحقق الهدف، والإجهاز على الجريح وقتلة حرام، وكذا النساء والأطفال ليست لهم علاقة بالحرب، وإن كانوا متعاطفين مع ذويهم، فلا يجوز أن يُقتلوا، أما الإهانة والإذلال فهي سلوكيات

١٤٧. نهج البلاغة ١: ١٠٤ الخطبة ٥٥.
١٤٨. سورة الأنعام: الآية ١٦٤.

لا تُنبئ عن أن الهدف من الحرب هو هدف رسالي، بل هو انتقام وتشفٍّ، وعندما تُسبي النساء والأطفال، وتُعذب وتهين الناس؛ هؤلاء الأعداء أصبحوا بيدك وجردتهم من سلاحهم وزال خطرهم، فما هو معنى الإذلال والإهانة؟ معناهما أن ذلك تشفٍّ لا أكثر، والحرب خيار ضرورة وليس خيارا اعتياديا، ولذا يجب أن تكون ضمن أسقفها وأهدافها، وليس أكثر من ذلك، وهدف الحرب هو العزة والكرامة والسيادة واستعادة الحقوق والحريات. . . إلى آخره، وأي سلوكيات تنبئ عن أهداف أخرى، هي مجرد أحقاد واستعلاء وكسر وتشفّ وانتقام، وهي جميعًا مرفوضة وغير مقبولة.

إذن فالهدف من الحرب إيقاف الظلم، الانتصار للحق، الانتصار للمظلوم، إشاعة العدالة، منح الحريات، توفير الأمن والأمان، إعادة العزة والكرامة الإنسانية، هذا هو الهدف، فإذا رفعوا الرايات البيض عندما يحمى وطيس الحرب ويذوقون حرارة السيوف، فيمكن إيقاف القتال متى ما تحقق الهدف من الحرب، فالناس التي تدخل معها الحرب على أصناف؛ فمنهم من يكون على ضلال وانحراف، وما لم تقتله فهو باق يتوعدك إلى اللحظة الأخيرة، وغير مستعد لأن يستجيب لك، فهذا الصنف يجب أن تقاتله إلى الموت، وهناك صنف بمجرد أن يشتد وطيس الحرب يرفع الرايات البيض بالاستسلام، إذ لم يكونوا يتوقعون أن يصل الأمر للقتال، لذلك حين يقع القتال يستجيبون، والموقف مع هؤلاء هو إيقاف الحرب من الوهلة الأولى التي طلبوا فيها الصلح، لأنّ الهدف قد تحقق، واستمرار الحرب والقتل وإراقة الدماء مع تحقق الأهداف يتنافى مع مبدأ الضرورة القائل بأنّ الضرورات تقدر بقدرها، والحرب ضرورة لتحقيق الهدف، وقد تحقق الهدف بالخطوة الأولى وانتهت الضرورة فيجب إيقاف الحرب، ولا يجوز الاستمرار والمبالغة في الحروب حتى بعد تحقق أهدافها، فالهدف من الحرب أن يتحقق الردع، فإن تحقق الردع واستسلموا وجب إيقاف الحرب وانهاؤها والكف عن إراقة الدماء، وكان أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما تُسد كل الطرق ولا يبقى إلا طريق الحرب، يخرج في اللحظة الأخيرة قبل أن يعطي الأمر بالمعركة لنصحهم، مع أنه أرسل لهم الرسائل وأجرى معهم حوارات ومفاوضات على مدى أشهر، ثم أتوه مدججين بالسلاح مستعدين للحرب، ولكنه يأبى إلاّ ينصحهم في اللحظة الأخيرة لعل الغرض يتحقق من غير سفك الدماء، وتحل المشكلة عبر النصيحة.

ورد في بحار الأنوار عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «وأيم الله لأنصحن للخصم»، أنصح العدو في اللحظة الأخيرة، لعل الله يهديه، ويرجع عن غيه، ويعرف حقانية المشروع الذي أحمله بعد أن يسمع كلامي، فأحفظ دمه وأنقله من الضلال إلى الهدى «ولأنصفن

للمظلوم»[١٤٩]، أنصف المظلوم، فإن لم ينفع النصح فهنا ينتقل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الخطوة الأخرى قبل الحرب، وهي التهديد والتحذير، لعل ذلك ينفع معهم، كما ورد في خطبة له عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل أن يدخل حرب النهروان مع الخوارج، لتخويفهم لعلهم يتراجعون عن القتال ويتحقق الهدف، فلا يضطر للحرب:

«فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى»، إذا ما بدأت المعركة فسوف تتطاير رؤوسكم، وتتركون جثثًا هامدة، «بأثناء هذا النهر»، في هذا النهر الذي بجنبكم، «وبأهضام هذا الغائط»، الغائط هو المنخفض من الأرض، وكانوا مشرفين على واد منخفض، فقال لهم: ستسقطون صرعى إما في النهر أو في الوادي، فالأفضل لكم أن تسمعوا كلامي قبل أن نبدأ بالحرب، فإذا بدأت فسوف يكون مآلكم كما أخبرتكم.

«على غير بينة من ربكم»، وأنتم على ضلال، فمرة يكون الإنسان على حق ويستشهد، وذلك فوز عظيم، ولكنكم على ضلال.

«ولا سلطان مبين معكم»، وليس لديكم دليل على حقانية موقفكم، فليس لديكم غطاء شرعي في هذه الخطوة.

«قد طوحت بكم الدار»، يعني قذفتكم في مضلة وفي متاهة وفي انحراف.

«واحتبلكم المقدار»، يعني أوقعكم القدر الإلهي في حباله.

«وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة»، نهيتكم أن تسيروا في هذا الطريق.

«فأبيتم عليّ إباء المنابذين»، رفضتم رفض ناقض العهود والمواثيق، ألم تبايعوني؟ فأنا الخليفة الآن، وأنتم الخوارج؛ خرجتم عليّ منابذين، ونقضتم العهود والمواثيق.

«حتى صرفت رأيي إلى هواكم»، سايرتكم إلى ما ترغبون، ومشيت معكم بحسب عقولكم، وما اهتديتم ولم تجروا عدلًا، ثم لم ينفع معكم أيضًا.

«وأنتم معاشر أخفّاء الهام»، الهام: الرأس، وخفيف الرأس، أي خفيف العقل، أي ليس لديكم عقول، فما أكثر ما حدثتكم، وكم شرحت لكم، وكم سقت لكم من الأدلة، ولكنكم جامدون، وتسمعون ولا تستجيبون.

«سفهاء الأحلام»، أنتم وإن كانت نياتكم طيبة ولكنكم حمقى سفهاء العقول، لذلك قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تقتلوا الخوارج من بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه»[١٥٠]، فهؤلاء كانوا يطلبون الحق فأخطؤوه، فهم متحجرون على أمر، لا يسمعون من أحد ولا يقبلون نصيحة.

---

١٤٩. بحار الأنوار ج ٣٢: ٣٣ ح ١٩.

١٥٠. نهج البلاغة ١: ١٠٨ الخطبة ٦١.

«لم آت ـ لا أبا لكم ـ بجرًا»، لم آتكم بشر، لم آتكم بداهية.

«ولا أردت لكم ضرًا»[١٥١]، ما أردت أن أضركم، بل أردت منفعتكم، أردت أن أخدمكم، أردت أن أرجعكم إلى طريق الهدى، فأنا ناصح لكم، ومشفق عليكم، ومع ذلك لا تسمعون لا أبا لكم، فإذا لم ينفع النصح معكم، فلعل التهديد ينفعكم، وإذا لم ينفعكم التهديد أيضًا فسأضطر إلى أن أدخل الحرب معكم، فحين لا تنفع نصيحة، ولا حوارات، ولا تهديد، فلابد من دخول الحرب، وليس عندي خيار آخر.

وفي الحرب يجب مراعاة الموازين، المصالح العليا، الدوافع الإلهية، قيم المعركة، أدب الحرب؛ عدم الاعتداء، عدم التجاوز، عدم المبالغة، الأهداف الأربعة التي تحدثنا بها، وجاء أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ليحقق هذا المقدار لا أكثر، ولم يأتِ للتشفي والانتقام.

تأملوا دعاء أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في صفين عندما كان يستعد للحرب؛ إذ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ في خطبة لما عزم على لقاء القوم بصفين، رافعًا يديه بالدعاء، وهذا الدعاء بالطبع خطبة تربية، دعاء بصوت عالٍ، وكان الجيش كله يسمعه، ونقتصر منها على الشاهد:

«اللهم رب هذه الأرض التي جعلتها قرارًا للأنام»، هذه الأرض أنت أردتها أن تكون محل استقرار وأمن للعباد؛ لتستقر الناس بها.

«ومدرجًا للهوام والأنعام»، الكائنات من الهوام والأنعام تريد مكانًا لتدرج وتعيش فيه، فعلى هذه الأرض تحيا الكائنات من الإنس والحيوانات، ويجب أن تشعر بفرص الحياة والعيش فيها.

«وما لا يحصى مما يُرى ولا يُرى، وربَّ الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتادًا»، ربّ الجبال التي جعلتها أوتادًا للأرض.

«وللخلق اعتمادًا»، وجعلت هذه الجبال للخلق ملجأ يلجؤون إليه.

وهنا الشاهد: «إن أظهرتنا على عدونا»، إذا كتبت لنا النصر في هذه المعركة على عدونا.

«فجنبنا البغي، وسددنا للحق»، جنبنا الكبر والغرور، والبغي عليهم؛ بأن نقتلهم من غير أن تكون هناك حاجة لهذا العمل، سددنا لكي لا نتجنب الحق.

«وإن أظهرتهم علينا»، أما إذا انتصروا علينا وانكسرنا.

---

١٥١. نهج البلاغة ١: ٨٦ الخطبة ٣٦.

«فارزقنا الشهادة، واعصمنا من الفتنة»[١٥٢]، أن لا يكون انتصارهم علينا سببًا في الفتنة، فيضيع الحق ويتمكن أهل الباطل، فعند النصر يخاف أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من أن يتجاوز الدوافع الإلهية، ويحصل انتقام وتشفٍّ وإهانة وإذلال وتعالٍ، كما لو أرسلوهم إلى المدن واستعرضوهم أمام الناس لترى ذلهم وهوانهم وتبصق بوجوههم، فإذا كتب لنا النصر على عدونا، فعلينا أن لا نبغي، ولا نتجاوز، ولا نعتدي، ولا ننتقم، ولا نتشفى، ولا نعذب، ولا نهين، ولا نسيء، ولا نجانب الحقيقة، وإن انتصروا علينا فنحن نريد الشهادة، وينبغي أن لا يكون انتصارهم سببًا لفتنة الناس وضلالهم عن الحق، فانظروا إلى منهج أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحرب.

ولذلك عندما يدخل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في حرب، فهذا يعني أنه لا يوجد أي مجال وأي فرصة للمعالجة من دون الحرب، فكم كان حجم الاضطرار عند علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ليدخل في حرب صفين التي خلّفت خمسة وسبعين ألف قتيل، خمسة وأربعون ألفًا من جيش الشام، وثلاثون ألفًا من جيش علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان هذا الرقم في ذلك الزمان رقمًا مخيفًا ومهولًا، وهؤلاء مسلمون وهؤلاء مسلمون، وقد أوضح عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه لم يكن أمامه خيار إلاّ الذهاب إلى الحرب؛ عندما اقتضت الضرورة القصوى ذلك، إذ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ في خطبة له في بيان أسباب حرب صفين:

«ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه»، يعني استفرغت الوسع في هذا الأمر، واستقصيت، وبحثت، وتأملت، وحاولت بكل الوسائل إيجاد طريق آخر فلم أجد.

«وقلبت ظهره وبطنه»، تفحصته من جميع جهاته، وحاورت، ونصحت، وهددت، وأرسلت وفودًا، وفعلت كل ما أستطيع من أجل إيقاف الحرب.

«فلم أرَ لي فيه إلاّ القتال أو الكفر بما جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»، وصلت إلى مفترق طريقين: إما أن أقاتل، أو أن يذهب دين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، بأن يكفر به الناس، فقاتلت لئلا يكفر الناس بدين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وليس لدي خيار آخر، فلقد اضطروني لقبول الحرب، ولم يتركوا لي طريقًا للتهدئة والصلح.

«إنه قد كان على الأمة وال أحدث أحداثا»، لقد شق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ طريقًا، أوجد منهجًا في الأمة، أتى بمشروع لهداية هذه الأمة.

«وأوجد الناس مقالًا»، يعني جعلهم واجدين للمقال؛ أي أصبح لديهم منطق، ورؤية، وقيم، ومبادئ، قلبهم رأسًا على عقب.

---

١٥٢. نهج البلاغة ٢: ٨٣ الخطبة ١٧١.

«فقالوا ثم نقموا فغيروا»[١٥٣]، ابتعدوا عن طريق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ومشروعه، وقد وصلت معهم بعد استنفاد كل الوسائل المتاحة إلى مفترق طرق؛ إما أن أقاتلهم أو يكفر الناس بدين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فاضطررت إلى قتالهم.

وعندما كان أصحاب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يرونه حزينا، بالرغم من انتصاره، يستغربون ويقولون: يا أمير المؤمنين، نحن منتصرون فلماذا هذا الحزن؟ فيقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: لم نأت للتشفي، صحيح أن الله (سبحانه وتعالى) قد نصرنا، ولكن عندما أنظر الى هذا القتل وهذه النساء التي ترملت والأطفال التي تيتمت، حتى من جيش عدوي، المسلمين المنحرفين الضالين، فإنّ قلبي يتقطع ألمًا وحسرة عليهم، ولكن ماذا أفعل؟ إن لم أقاتل كفر الناس بدين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وإن قاتلت فهذه هي المضاعفات الخطيرة، وقتال المسلمين أشد على أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من قتال الكفار، ومن هذه الزاوية فإنّ ابتلاء أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان أعظم من ابتلاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه كان يقاتل الكفار والمشركين، ولكن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ابتُلي بقتال المسلمين في حروبه الثلاث: الجمل والنهروان وصفين، وقتال المسلمين بعضهم لبعض أمر لم يألفه المسلمون من قبل، ولهذا كان الأمر عظيمًا على أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكان يُرى حزينًا مهمومًا مألومًا، حتى حينما انتصر في هذه المعارك.

الإضاءة الثالثة: الحذر والحيطة من العدو حين يدعو إلى الصلح

ذكرنا أن الحاكم إذا دُعي إلى الصلح فعليه أن يستجيب، ولكن لا يستجيب وهو مغمضٍ العينين فيُستغفل، بل عليه أن يستجيب وهو حذر؛ لئلا يكون هذا الصلح لعبة وتكتيكًا، ومؤامرة والتفافًا.

(لكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه)، بعد أن يصالحك يجب أن تبقى على حذر شديد منه.

(فإنّ العدو ربما قارب ليتغفل)، صالح لكي يستغفلك؛ لكي تسترخي وتعطي إجازة لمقاتليك ويرجع كل إلى أهله فينقضّ عليك.

(فخذ بالحزم)، اقبل بالصلح ولكن كن حازمًا، وارجع لبناء بيتك الداخلي، وهيئ جيشك ودربهم، لتكون حاضرًا للمواجهة في أي لحظة، فإذا رآك العدو في كامل الجهوزية فلن يفكر بالغدر بك، ولن يستطيع أن يستغفلك إن كنت حازما متنبها.

١٥٣. نهج البلاغة ١: ٩٤ الخطبة ٤٣.

(واتهم في ذلك حسن الظن)، لا يجوز التعامل مع العدو بحسن الظن، بل يجب اتهام حسن الظن بهم؛ والحذر من أنهم قد يريدون الغدر بك وقتلك، فالعدو متهم ويجب التعامل معه بسوء الظن، وخاصة في هذه القضية التي فيها إراقة دماء، وإزهاق أرواح، وأمن دولة، ومخاطر عظيمة، وحسن الظن مع المؤمنين فقط وليس مع العدو، فالقاعدة في التعامل مع العدو هي سوء الظن والحيطة والحذر؛ لئلا تقع في مكائده وشباكه، فلابد من أن تراعي أعلى مستويات الحذر والجهوزية حتى بعد الاستجابة للصلح.

وقد رأينا المحنة التي واجهها علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في حرب صفين؛ فعندما كادت الحرب تنتهي بهزيمة جيش معاوية، جاء معاوية إلى عمرو بن العاص وقال له: أنت صاحب المكائد، فجد لنا حلًا لتلافي هذه الهزيمة الوشيكة لجيشنا أمام جيش علي، فقال عمرو: ارفعوا المصاحف على الرماح وليصح الجيش: بيننا وبينكم كتاب الله، أتقاتلون القرآن؟ وانخدع عشرون ألفا من جيش علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، من أصحاب الجباه السود من كثرة السجود، من الذين لا معرفة لهم ولا وعي، ويحسبون أن الدين هو كثرة الركوع والسجود، غافلين عن أن ذلك لا وزن له من غير طاعة الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ طاعة كاملة، فهؤلاء قد عرفوا الإمام وقاتلوا تحت رايته، ولكنهم عصوه في أحرج الظروف والأوقات، أكان هؤلاء يعرفون عليًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فبايعوه على الطاعة كخليفة للمسلمين؟ أم كانوا يعرفونه كإمام مُنصّب من الله يجب عليهم طاعته على كل حال، أم لم يكونوا يعرفونه، لا كخليفة للمسلمين ولا كإمام زمانهم، فلماذا جاؤوا للقتال معه في صفين؟ لا حجة لهم، وحجتهم داحضة إن كانت لهم حجة.

عشرون ألفًا من المقاتلين الأشداء من جيش علي عَلَيْهِ السَّلَامُ انخدعوا بحيلة رفع المصاحف، وأجبروا عليًا على قبول التحكيم وإيقاف الحرب، بالرغم من محاولات علي عَلَيْهِ السَّلَامُ المتكررة لإقناعهم باستمرار الحرب، أو في الأقل أن يتركوا مالكًا الأشتر ومن معه يواصلون القتال، وقد وصل قريبًا من خيمة معاوية ومن معه من قادة جيش الشام، ولكنهم رفضوا وهددوه بالقتل إن لم يصدر أمرًا إلى مالك بالانسحاب من المعركة، وقد أصر هؤلاء الأغبياء على أنهم على حق، وهم يرددون: أنقاتل كتاب الله؟.

وقد جاؤوا إلى علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ووقفوا أمامه وقالوا له: «يا علي (بالاسم) أجب القوم إلى كتاب الله إذا دُعيت»، استجب لنداء القرآن، فقد رفع القوم المصاحف، وأوقف

الحرب للتفاهم معهم على أساس كتاب الله، «وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان»، وإن لم تفعل قتلناك كما قتلنا الخليفة الثالث عثمان بن عفان.

«فوالله لنفعلنها إن لم تجبهم»، يؤكدون أنهم جادون في ما قالوا له؛ إما أن توقف الحرب وترضخ لكتاب الله، أو نقتلك، وموقفهم هذا موقف غريب لم يسبق له نظير في تأريخ المسلمين، إن لم نقل في تأريخ الإنسانية؛ وقد كانوا جادين في تهديدهم بقتله إن لم يستجب لهم على الفور، وقد كانت أمامهم خيارات عديدة قبل الوصول إلى هذا الخيار الأصعب، كاعتزال القتال، أو فرض شروط للقتال معه.

«فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: عباد الله أنا أحق من أجاب إلى كتاب الله»، هل هناك من يزايد عليّ بالقرآن؟ هل هناك من استجاب لنداء الكتاب أكثر مني؟ هل هناك من يعرف القرآن أكثر مني؟ أنتم الآن تريدون أن تفرضوا عليّ أن أستجيب لهذا القرآن، ألا تعرفون من أنا؟ أنا القرآن الناطق، أنا من علّمني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ معارف هذا القرآن آية آية.

«ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط»، هؤلاء قادة مؤامرة رفع المصاحف.

«ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن»، متى قرأ هؤلاء القرآن؟ متى عرفوا قيم القرآن؟ متى عرفوا قيم الدين؟ لكي يرفعوا القرآن اليوم؟.

«وأنا أعرف بهم منكم»، تعالوا واسألوني من هو معاوية؟ ومن هو عمرو بن العاص؟ ومن هو ابن أبي معيط؟.

«صحبتهم أطفالًا، وصحبتهم رجالًا»، أعرفهم ويعرفونني منذ الطفولة، فكل واحد منّا يعرف الآخر.

«فكانوا شر الأطفال، وشر الرجال»، عندما كانوا أطفالًا كانوا شر الأطفال، وعندما صاروا رجالًا كانوا شر الرجال، فهؤلاء أسوأ خلق الله، فلا دين لهم ولا يأبهون للقرآن، فكيف تريدون أن تمشوا وراءهم؟.

«ويحكم إنها كلمة حق يُراد بها باطل»، ضحكوا عليكم برفع المصاحف، فهل هؤلاء يعرفون القرآن؟.

«إنهم والله ما رفعوها أنهم يعرفونها ويعملون بها «، هؤلاء لم يرفعوا القرآن، بل رفعوا الورق، إذ لم يعرفوا القرآن ولم يعملوا به، فليست لهم علاقة بالقرآن؛ رأيتهم في صباهم، ورأيتهم في كبرهم، فلم يعرفوا القرآن في حياتهم، ولم يعرفوا دين الله.

«ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة»، اتركوا هذا الكلام، واتركوا هذه المكائد والخديعة، فلا تتعرضوا لها واتركوها لي.

«أعيروني سواعدكم وجماجمكم»، ارفعوا سيوفكم، ضحّوا من أجل هذا المشروع الذي أنتم سائرون فيه.

«ساعة واحدة»، قفوا معي ساعة، وبالطبع فإن ساعة هنا ليست ساعة بتعبير اليوم، أي ستين دقيقة، فالمعركة كانت في نهايتها، وقد بدأ الانكسار والهروب، فساعة هنا بمعنى وقفة واحدة، نزلة واحدة، أعطوني سيوفكم وسواعدكم وجماجمكم واستعدادكم للتضحية لنهجم الهجمة الأخيرة، وسينتهي كل شيء.

«فقد بلغ الحق مقطعه»، وصلنا إلى لحظة الحقيقة والنصر الكبير المؤزر ونهاية هذه الفتنة، وقد قدّمنا خمسة وعشرين ألف شهيد، وقُتل من القوم خمسة وأربعون ألفا، والنصر على الأبواب، ولا نحتاج إلا إلى منازلة أخيرة.

«لم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا»، لم يبق إلا الضربة الأخيرة التي نقصم بها ظهرهم.

ثم قال: «ويحكم أنا أول من دعا إلى كتاب الله، وأول من أجاب إليه»[١٥٤]، ها أنتم تحاجونني بالقرآن، فهل هناك من دعا إلى القرآن بقدر ما دعوت إليه؟ وهل هناك من عمل للقرآن في حياته كما عملت؟ وهل هناك من طبق القرآن في حياته كما طبقته؟ هل هناك من جعل القرآن منهجه ومشروعه كما فعلت؟ هل هناك من لبى نداء القرآن في حياته كما لبيت؟ ولكنهم مع ذلك كله بقوا مصرين على موقفهم، إما أن توقف الحرب أو نقتلك، فضيعوا على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلى الأمة الإسلامية ـ مع الأسف الشديد ـ فرصة القضاء على هذه الفتنة وعودة الناس إلى الهداية.

بهذا ننتهي من الإضاءة الثالثة، وللحديث صلة تأتي تباعًا، أكتفي بهذا المقدار وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٥٤. بحار الأنوار ٣٢: ٥٣٣ ح٤٤٩.

المحاضرة الرابعة عشرة بتأريخ ١١/ ٥/ ٢٠٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار، وجعلنا الله وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الفضيل، وأن لا نكون من المحرومين.

كان حديثنا في الأيام الماضية، في عهد أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) لمالك الأشتر حين ولاه مصر، وذكرنا أن هذا العهد يمثل اختزالا لنظرية القيادة والإدارة في الإسلام، وكان حديثنا في المقطع السابع والعشرين من هذا العهد، والذي يتحدث فيه أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، على الحرب والسلم وأحكامه.

العنوان الثاني: العهود والمواثيق

القسم الأول: الالتزام بالعهود والمواثيق

ثم ينتقل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ليتحدث عن موضوع غاية في الأهمية والخطورة في حياة الإنسان، ولا سيما في المنظومات القيادية والإدارية وفي ظروف التصدي، وهو الالتزام بالعهود والمواثيق، فالإنسان المسلم المؤمن حينما يتعهد بشيء، حينما يعد بشيء، فعليه أن يلتزم بهذه العهود والوعود والمواثيق، وما ألزم به نفسه عليه أن يلتزم به، وأن يعمل به، وأن لا ينكث أو ينقض هذه العهود والمواثيق، وهذه مسألة مهمة جدًا.

نستعرض قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الشأن، والنص طويل، وسوف أتناوله مقطعًا بعد آخر في محاضرات عدة، ولكل نص إضاءاته ودروسه، لكي لا تختلط الأمور:

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوّ لَكَ عُقْدَةً): إذا عاهدت عدوك عهدًا أو عقدت معه عقدًا، فالتزم به، فلماذا يذكر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ العهود والمواثيق مع الأعداء، الجواب: إذا كان العهد مع العدو يجب الوفاء به، فما بالك بالعهد مع الصديق، فقد أخذ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أسوأ الخيارات وأبعدها وأصعبها؛ فإذا وجب عليك الوفاء بعهد عدوك، فكيف إذا كان هذا العهد مع صديقك، أو كان في دائرة المؤمنين، في دائرة المواطنين، في دائرة الناس الصالحين، إلى غير ذلك؟.

(أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً): ما أجمله من تعبير؛ فالإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يمثل العهد بالذمة، والذمة أو الضمير شيء يخص الإنسان، يقول عندما تعاهد فهذا ضميرك وذمتك، ويعبر عنه باللباس؛ (ألبسته)، أي أنك تلبس ضميرك من عاهدته، فعندما تَعِد أحدًا بأن تنجز له العمل الفلاني مثلًا، فهذا يعني أنك ألبسته ضميرك، وقد رأيتم في حفلات توزيع الجوائز؛ حيث يصعد الفائز الأول والثاني والثالث إلى المنصة، ويأتون له بوسام معين ويلبسونه إياه، وأنت عندما تعاهد أو تواعد أحدًا، فكأنك تقلد من عاهدته ضميرك وذمتك، فإذا أخللت بهذا العهد، فقد أخللت بضميرك.

(فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ): إذا عاهدت عهدًا فالتزم به وحافظ عليه، وذلك من خلال الوفاء به، ويجب أن يكون مجتمعنا بنحو لا تحتاج الناس فيه إلى ورقة وقلم وضمانات وشهود، بل تكون الكلمة هي رأسمال أحدنا، وينبغي أن لا يعطي هذه الكلمة إلا وهو يعلم أنه قادر على الوفاء بها، وعندما يقول سأفعل الأمر الفلاني يفعله، وعندما يَعِد بشيء يفي به، وحياطة العهد تعني حفظه، ويكون ذلك من خلال الوفاء والالتزام به وتنفيذه.

(وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالأَمَانَةِ): إذ وعدت بشيء فيجب أن ترعى ذمتك بصدق الوعد، باعتباره أمانة يجب عليك أن تحافظ عليها وترعاها.

(وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ): ولو كان ذلك بقطع رقبتك، ولو قدمت حياتك من أجل وعدك؛ (واجعل نفسك)، اجعل روحك، (جنّة)، يعني درعًا، أي اجعل روحك درعًا أمام كلمتك، اجعل حياتك درعًا أمام عهودك ومواثيقك، والمقاتل يمسك الدرع دائمًا بإحدى يديه ويجعلها أمامه لكي تقيه السهام، وهنا يشبّه أمير المؤمنين

عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الروح بالدرع للحفاظ على الوعد، أي اجعل وعدك خلف درعك، بأن تبذل نفسك من أجل الوفاء بعهدك وتنفيذ العمل الذي وعدت به.

(فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ عزَّ وجلَّ شَيْءٌ): لا يوجد من كل فرائض الله عز وجل فريضة، ولا يوجد من كل ما يريد الله (سبحانه وتعالى) أمر.

(النَّاسُ أَشدُّ عَلَيْهِ اجْتِماعًا، مَعَ تَفرُّقِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَشتّتِ آرَائِهِمْ، مِنَ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ)، لا يجتمع الناس على كلمة، فآراؤهم مشتتة، وأهواؤهم متفرقة؛ لكل شخص رأيه وهواه، ولكل فئة رأيها وهواها، فلو طُرح علينا سؤال عن رأينا في قضية ما، فسترى أن كلًا يدلو بدلوه، وقلّما نجتمع على رأي واحد، بل تتعدد الآراء، وكذا لو طُرح علينا سؤال عن هوانا في الشخص الفلاني أو المسألة الفلانية، لرأيتم أن أهواءنا مشتتة في ذلك؛ فبعضٌ يحب هذا الشخص أو تلك المسألة، وبعضٌ يبغض هذا الشخص أو تلك المسألة، وبعض لا يحبهما ولا يكرههما، ونادرًا ما يمكن أن نجتمع على موقف واحد، هذا على مستوى مجموعة محدودة، فكيف لو طرح هذا السؤال على الناس جميعًا، فسيكون من النادر أو المتعذر أن يجتمعوا على رأي واحد؛ لاختلاف مداركهم، وأمزجتهم، وأولوياتهم، وأهوائهم، ورغباتهم، ولكن هؤلاء الناس على الرغم من اختلاف رغباتهم وأهوائهم، وتشتت أفكارهم، مجتمعون ومتفقون على شيء واحد، برّهم وفاجرهم، غنيهم وفقيرهم، مؤمنهم وملحدهم، ذكرهم وأنثاهم، متعلمهم وجاهلهم، كبيرهم وصغيرهم، وكل إنسان عنده ذرة ضمير وما زال محافظًا على شيء من إنسانيته، متفقون على وجوب وحُسن الوفاء بالعهد.

(فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ عزَّ وجلَّ شَيْءٌ): لا يوجد شيء من فرائض الله عز وجل.

(النَّاسُ أَشدُّ عَلَيْهِ اجْتِماعًا): كلهم متفقون عليه.

(مَعَ تَفْرِيقِ أَهْوَائِهِمْ): بالرغم من أن رغباتهم مختلفة.

(وَتَشْتِيتِ آرَائِهِمْ): وأفكارهم مختلفة، مع ذلك هم مجتمعون عليه.

(مِنَ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ): الوفاء بالعهود والمواثيق قضية يتفق عليها الجميع، ويجتمع عليها الناس على اختلافهم.

(وَقَدْ لَزِمَ ذلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيما بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ): القصة ليست قصة مسلمين ومشركين، فالمشركون يلتزمون أيضًا بعهودهم ومواثيقهم، فهذه حالة إنسانية وليست حالة دينية، وهي ليست ذات قيمة إسلامية فقط، بل هي ذات قيمة إنسانية أيضًا، فكل

إنسان مهما كان دينه، ومهما كانت عقيدته، ومهما كانت توجهاته، وما زال محافظًا على إنسانيته، يلتزم بالعهود والمواثيق.

(لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ): استوبلوا أي رأوها وبيلة، ومعنى وبيلة أي مهلكة، بمعنى أمر شديد، أمر لا يطَاق؛ لأَنّ هؤلاء المشركين رأوا عواقب الغدر، وخواتيم عدم الوفاء بالعهود والمواثيق، فأيقنوا أن عواقبه وخيمة وخطيرة وشديدة، لذلك التزم الناس جميعًا بالعهود والمواثيق، واعتبروها قيمة إنسانية.

اذهبوا إلى كل دول العالم، وانظروا في عقود شرائهم وبيعهم، أو معاملاتهم المالية من ديون وأقساط، والعالم قائم على أساس الاقتراض من المصارف، ففي الدول المتطورة، المصارف هي التي تملك مقدرات الناس، فإن (٨٠٪) من الناس تشترى سلعها بالأقساط، ويبقى يدفع أقساطا للمصرف مدة عشر سنوات أو أكثر حتى ينتهي منها، فالبيت الذي يسكن فيه قد اشتراه له المصرف، ويدفع أقساطا للمصرف مدة عشرين أو ثلاثين سنة، ويتمتع الناس هناك بتسهيلات مصرفية كبيرة، فالناس كلها تدفع أقساطا، حسنًا، لماذا يدفع المصرف لجميع هؤلاء الناس؟ أليس معناه التزام المقترض بالوفاء؟ وهو ضامن لرجوع أمواله مع أرباحها.

إذن فعدم الوفاء بالالتزامات قضية عواقبها وخيمة، فمع شيوع خيانة العهود والمواثيق والالتزامات والوعود، لن يبقى حجر على حجر، ولأن العواقب وخيمة وشديدة، فجميع الناس على اختلاف أهوائهم ومشاربهم وتشتت أفكارهم واختلاف آرائهم ومعتقداتهم، أبيضهم وأسودهم، كبيرهم وصغيرهم، مسلمهم ومسيحيهم، متدينهم وملحدهم، كل البشر، يقرون بتعظيم الوفاء بالعهود والمواثيق، ويعدون ذلك أساسًا في حياتهم.

(فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ): عدم الوفاء بالعهد هو غدر وخيانة، ومن قطع على نفسه عهدًا ثم لم يعمل به فهو غادر لذمته، سواء كان هذا العهد مع نفسه أو مع الآخرين أو مع ربه، فالعهد يجب الوفاء به.

(وَلاَ تَخِيسَنَّ بَعَهْدِكَ): نقول: هذه البضاعة خاست، يعني تلفت، صارت غير صالحة للاستعمال البشري، وكذا خيانة العهد ونقضه هو خيس، وهو تشبيه رائع لعدم الوفاء بالعهد، يعني أنه ذو رائحة نتنة. فاحذر من أن تغدر بعهدك، أو تنقضه، أو تتخلف عن كلمتك، وتتنصل من التزاماتك ووعودك.

(وَلاَ تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ): الختل هو الخداع، هو المكر، فحتى عدوك لا يجوز أن تمكر به عندما تواعده، عندما تعطي عدوك الأمان لا يجوز أن تغدر به وتخدعه، وتسمي ذلك تكتيكًا، كأن تدعوه للتفاهم وعندما يأتي تغدر به، فهذا أمر خطير، فلا يجوز أن تمكر بعدوك إذا أعطيته الأمان، أو أن تنقض التزاما مع عدوك إذا عاهدته على شيء، فإذا عقد معه هدنة فألقى سلاحه وذهب ليستريح، فلا يحق لك أن تهاجمه فجأة، بذريعة أن الحرب خدعة، كلا، ليس لدينا هذا الكلام؛ فالحرب حيلة وخدعة ما دامت هناك حرب، أما بعد إعلان الهدنة فلا تجوز الخدعة، نعم استخدم تكتيكات وهو يستخدم تكتيكات في أثناء الحرب، ولكن عندما تعطي الأمان، وتعلن وقف إطلاق النار، وتعلن هدنة، فلا يحق لك في مدة الهدنة أن تهجم عليه، فهذا غدر وخيانة.

(فَإِنَّهُ لاَ يَجْتَرِئُ عَلَى اللهِ): لا يتجرأ على الله (سبحانه وتعالى)، ولا يعتدي على حدود الله جل جلاله، وينقض العهود والمواثيق والعقود.

(إِلاَّ جَاهِلٌ شَقِيٌّ): الذي ينقض العهود يحمل صفتين: الجهل والشقاء، والجاهل: ضد العالم، وهو الذي لا يعرف العواقب الوخيمة لعدم الوفاء بالعهد، ولا بد من أنكم رأيتم طفلا صغيرا عندما يرى مدفئة تتوقد نارًا، يأتي ويضع إصبعه عليها، فهذا جهل منه أنّ هذه النار تحرق إصبعه، وعندها يدرك أنّ النار محرقة، فيمتنع من وضع إصبعه مرة أخرى، فينتقل من حالة الجهل إلى حالة العلم بالتجربة، وكذا هذا الذي ينقض عهده؛ فهو جاهل بالعواقب، ولا يعلم ما ستؤول إليه نتائج وآثار عدم الوفاء. والجاهل برغم جهله قد لا يقدم على مخالفة أمر تسالم الناس على حسنه وتعظيمه، ولكن من كان شقيًا من هؤلاء الجهال يقدم على مثل هذا العدوان والعصيان والتجني، من غير خوف من الله سبحانه، غير آبه بالعقوبات القانونية، وغير مراعٍ لقواعد التعاملات بين البشر.

الإضاءات في هذا النص الشريف

الإضاءة الأولى: ضرورة الالتزام بالعهود والمواثيق واعتباره شرطًا أساسيًا في المنظومة القيادية والإدارية

لا يمكن لقائد أو متصد أو مسؤول أن ينجح إلا بشرط أساسي، وهو استقرار المنظومة القيادية المبتنية على الثقة والاطمئنان، فالكلمة التي يقولها يلتزم بها، ولو وظّف عاملًا في مصنع مثلًا فهو يعطيه أجره في رأس كل شهر، أما إذا وظّفه على هذا الأساس، ثم تمر الشهور ولا يدفع له أجره، متذرعًا بأعذار واهية، فمن أين ستأتي الثقة

بهذه المنظومة القيادية التي تتعامل مع شرائح من شعبها بهذا المستوى من نقض العقود والعهود؟ فلا يمكن حينئذ أن يلتف حولها أحد، أو يدافع عنها، فلا بد لمن يريد النجاح من أن يفي بالعهود والمواثيق والوعود جميعًا، من غير تمييز بين فئة وأخرى، وطائفة وأخرى، وعرق وآخر، ودين وآخر، فالعلاقات الإنسانية بين البشر مبتنية على العهود والمواثيق، والأعراف الاجتماعية التي تربط الناس بعضها ببعض مبتنية على الالتزام بالعهود والمواثيق، وقواعد العمل السياسي والاقتصادي وما شابه مرهونة بالالتزام بالعهود والمواثيق، وكل شيء في هذه الحياة مرتبط بهذه القضية، فإذا تزلزلت هذه الثقة، ولم تنفذ هذه المنظومة القيادية، أو هذا القائد، وهذا المسؤول، ما يعدون به، ما يتعهدون به، والكلمة عندهم مجرد حروف ينطقون بها ثم تتلاشى في الهواء، وإذا كانت مكتوبة فهي مجرد حبر على ورق، فلن يبقى حجر على حجر، وستزول الثقة إن كانت موجودة، وإذا زالت الثقة سينهدم كل شيء.

فالثقة واطمئنان القلوب، واستقرار النفوس، هي الأساس في كل التعاملات، وتتحقق ثقة الناس بالقائد والمسؤول، من خلال الالتزام بالعهود والمواثيق؛ فإذا وُجد الالتزام وُجدت الثقة، وإذا لم يوجد الالتزام فلا ثقة، وإذا فقدت الثقة فلا يوجد اطمئنان، وإذا لم يوجد الاطمئنان فُقد الاستقرار، وعندها ستحل الفوضى العارمة، وهذا يسجل في كل المستويات، وليس فقط القائد الأول، أو القائد الأعلى، فكل مسؤول في أي مستوى كان؛ مدير مصنع، مدير مترو، قائد تيار، قائد بلد، بحاجة إلى صدق الكلمة.

يجب أن يكون الالتزام والوفاء بالعهود والمواثيق سمة عامة في كل المستويات القيادية، في كل التعاملات، وليس في هذا المستوى فقط، أو مع تلك الشريحة، بل يجب أن يكون عامًا في جميع المستويات، سواء في التعامل الداخلي: داخل البيت أو داخل التيار أو داخل الجماعة، أو في التعامل الخارجي مع الآخرين: تعامل سياسي أو تعامل اقتصادي، أو غير ذلك من التعاملات، ويجب الالتزام والوفاء بالعهود والمواثيق، في كل شيء، مع الصديق، ومع العدو.

قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، في النهي عن الغدر، والتحذير منه، والدعوة إلى الالتزام بالعهود والمواثيق:

«أيها الناس، إن الوفاء توأم الصدق»، الوفاء أخو الصدق، بل هو توأمه، أي أنه يشبهه من جميع الجهات، فلا وفاء لكاذب، لأنّ الوفاء مقرون مع الصدق، فمن كان صادقًا كان وفيًا، ومن كان وفيًا كان صادقًا، ولا تجد صادقًا لا يفي بعهده ووعده، ولا تجد

وفيًا لا يصدق في كلامه، فالصدق والوفاء قرينان، كما أن الكذب والخيانة قرينان، فإذا خان الصادق سُلبت منه صفة الصدق وكان كاذبًا، وإذا وفى الكاذب بعهده كان صادقًا وسُلبت منه صفة الكذب، إذن فالوفاء والصدق وجهان لعملة واحدة، كما أن الخيانة والكذب وجهان لعملة واحدة.

«ولا أعلم جنّة»، وقاية، درعًا.

«أوقى منه»، أشد وقاية وحفظًا من الوفاء بالعهود والمواثيق.

«ولا يغدر من علم كيف المرجع»، من علم الى أين نحن ذاهبون، وما يؤول إليه مصيرنا، وما هي عاقبة أمرنا، وما هي نهاية عمرنا؛ لا يغدر، وكما قيل في المثل: «حبل الكذب قصير»، فهذا الذي يكذب وافتضح أمره، يتنصل من كذبته ويتراجع عنها، فتصدّقه الناس، ولكنهم لا يصدقونه في المرة الثانية، وهكذا في المرة الثالثة، وهكذا في كل مرة يتكرر منه ذلك، فلا يتعامل معه أحد بعد ذلك، فيحاصر ويعزل.

«ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيسًا»، لقد صرنا في زمان ترى الناس فيه الغدر شطارة وذكاء ودهاء، مع أن هذه سياسة كذب ودجل، وليست شطارة ولا ذكاء ولا كياسة، ولكن الناس تراها هكذا.

«ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة»، الجهال هم الذين يصفون أهل الغدر من الذين ينقضون عهودهم ولا يفون بوعودهم ويخدعون الناس، بحسن التصرف والبراعة في التدبير، وأنهم ذئاب لا يُغلبون، ولاعبون ماهرون، وأمثال هذه التشبيهات، وعنوانها حسن الحيلة، أي شطارة، فأي شطارة؟ فهذا يرى لقطة خاطفة، ولا يرى الخط الطويل، وعواقب الأمور.

«ما لهم قاتلهم الله!»، لعن الله هؤلاء الناس الذين يسمّون الأشياء بغير أسمائها؛ يسمّون الغادر كيّسًا، وينسبون عمله إلى حسن الحيلة.

«قد يرى الحُوّل القُلّب»، يعني هؤلاء الشطار بتحويل وجه الأمور، من الذين يلعبون بالكلمات، ويغيّرون الحقائق، ويقلّبون الأمور.

«وجه الحيلة»، قد يعرفون الحيل والمكائد، ويغلبون في مسألة معينة.

«ودونها مانع من أمر الله ونهيه»، ولكن هناك أمرا يقطع الطريق على مثل هذه الحيل الصغيرة والتكتيكات البسيطة، وهذا المانع هو أمر الله عز وجل ونهيه.

«فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها»، يراها بعينه ويعرف أنها حيلة، ولكنه يدعها ويتركها؛ لأنّ قيمه لا تسمح له بذلك.

«وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين»[١٥٥]، ينتهز هذه الفرص من الحيل والمكائد واللعب والدجل والالتفاف، من لا يتحرج في دين الله، ولا يهتم بالإثم والمعصية، ولا يبالي بما وعد الله (سبحانه وتعالى) من يتعدى حدوده من العذاب والعقاب الشديد، وما وعد من أطاعه من الثواب العظيم.

ولأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مثل هذا الكلام في موضع آخر: «والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر والفجر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يُعرف به يوم القيامة، والله ما اُستغفل بالمكيدة، ولا اُستغمز بالشديدة»[١٥٦]، أنا عند عهدي ولا أنقضه، ولكن معاوية لا يفي بعهد، ويسميه البعض دهاء، وما هو بدهاء، بل هو غدر وفجور، ولولا أن الغدر والفجور محرم لكنت من أدهى الناس، لا في نقض العهود والمواثيق، بل في حقيقة الدهاء والمكر والكيد.

وفي غرر الحكم عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الوفاء حصن السؤدد»[١٥٧]، الوفاء بالعهود والعقود هو الحصن المنيع الذي يحقق السعادة والرخاء والسؤدد.

الإضاءة الثانية: الالتزام بالعهود والمواثيق في القرآن الكريم

اهتم القرآن الكريم اهتمامًا بالغًا بموضوع الالتزام بالعهود والمواثيق، والتحذير بشدة من الغدر والخيانة، ونهى بشكل كبير عن نقض العهود والمواثيق؛ نجد ذلك جليًا في مجموعة من الآيات القرآنية، وهي كالتالي:

المجموعة الأولى: الآيات التي تتحدث عن العهود والمواثيق والالتزام بها بشكل عام؛ كما في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾[١٥٨]، يأمرنا الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة بالوفاء بالعهد للبر والفاجر، فأي عهد نتعهد به مع الآخر يجب أن نفي به، ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾، يعني أن الله تبارك وتعالى يسألنا يوم القيامة عن الوفاء بالعهد.

وروى الكليني عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ثلاث لم يجعل الله فيهن رخصة: أداء الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد للبر والفاجر، وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين»[١٥٩].

---

١٥٥. نهج البلاغة ١: ٩٢ الخطبة ٤١.
١٥٦. نهج البلاغة ٢: ١٨٠ كلام ٢٠٠.
١٥٧. غرر الحكم: ح١٠٤٤، نقلًا عن ميزان الحكمة ٤: ٣٦١٣.
١٥٨. سورة الإسراء: الآية ٣٤.
١٥٩. الكافي ٢: ١٦٢ ح١٥.

وقال تبارك وتعالى في سورة البقرة: ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ﴾[١٦٠]، أثنى الله تبارك وتعالى في هذه الآية الشريفة على الموفين بعهودهم، وجعل الوفاء بالعهد من أصناف البر، ووصف من كانت فيه هذه الخصلة مع خصال أخر بالمتقي، وقد استدل بعض العلماء على انحصار هذه الخصال المذكورة بأهل البيت عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ؛ لما لها من السمو الذي لا يستطيع أن يصل إلى ذراه غير المعصوم[١٦١].

وقال تبارك وتعالى في سورة المؤمنون وسورة المعارج: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨﴾[١٦٢]، يراعون عهودهم ويلتزمون بالوفاء بها، ومعنى الآية الكريمة ـ كما ذهب إليه بعض العلماء: «أي يؤتمنون عليه من جهة الحق أو الخلق»[١٦٣]، وفسر بعض العلماء المراعاة في الآية الكريمة بالحفظ والإصلاح[١٦٤].

وقال تبارك وتعالى في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[١٦٥]، عقود جمع عقد، والجمع المحلّى باللام يفيد العموم، كما يقول علماء العربية، فيجب الوفاء بكل العقود، سواء كان عقدًا بينك وبين الله عز وجل، أو كان عقدًا بينك وبين الناس، في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإنسانية والمعنوية والروحية والمادية، والداخلية والخارجية، مع الناس القريبين والبعيدين، مع الأصدقاء والأعداء، وفي رواية عن الإمام الصادق عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فسّر العقود في هذه الآية الكريمة بالعهود[١٦٦].

وقال تبارك وتعالى في سورة آل عمران: ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦﴾[١٦٧]، قال المفسرون: «أي كل من أوفى بما عاهد عليه، أيّ عهد كان، واتقى الله في ترك الخيانة والغدر، فإنّ الله يحبه»[١٦٨].

المجموعة الثانية: الآيات التي تتحدث عن الالتزام بأمور محددة، وهي كالتالي:

---

١٦٠. سورة البقرة: الآية ١٧٧.

١٦١. انظر: الشريف المرتضى في الفصول المختارة: ١٣٨ ـ ١٤٠، والشيخ المفيد في الفصول المختارة: ٤٧.

١٦٢. المؤمنون: ٨، المعارج: ٣٢.

١٦٣. المجلسي في بحار الأنوار ٦٤: ٢٦٤، المازندراني في شرح أصول الكافي ١: ٢٥٣.

١٦٤. المجلسي في بحار الأنوار ٦٤: ٢٦٤، الراوندي في فقه القرآن ٢: ٢٣٨.

١٦٥. سورة المائدة: الآية ١.

١٦٦. وسائل الشيعة ٢٣: ٣٢٧ ح٣.

١٦٧. سورة آل عمران: الآية ٧٦

١٦٨. تفسير جوامع الجامع ١: ٣٠١، التفسير الأصفى١: ١٥٧.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١﴾[١٦٩].

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٩١﴾[١٧٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩٥﴾[١٧١].

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ۝٢٣﴾[١٧٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ۝١٥﴾[١٧٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٢٧﴾[١٧٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْۗ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٧٣﴾[١٧٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١٥٢﴾[١٧٦].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝٢٠﴾[١٧٧].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٢٥﴾[١٧٨].

---

١٦٩. سورة يس: الآية ٦٠ ـ ٦١.
١٧٠. سورة النحل: الآية ٩١.
١٧١. سورة النحل: الآية ٩٥.
١٧٢. سورة الأحزاب: الآية ٢٣.
١٧٣. سورة الأحزاب: الآية ١٥.
١٧٤. سورة البقرة: الآية ٢٧.
١٧٥. سورة آل عمران: الآية ٧٣.
١٧٦. سورة الأنعام: الآية ١٥٢.
١٧٧. سورة الرعد: الآية ٢٠.
١٧٨. سورة الرعد: الآية ٢٥.

وكل هذه الآيات تشير إلى عهود في قضايا محددة.

المجموعة الثالثة: الآيات التي تشير إلى عهد الله (سبحانه وتعالى) مع عباده:

قال الله تبارك وتعالى في سورة البقرة: ﴿أَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[١٧٩]، لله تبارك وتعالى عهد معنا، ولكن كم نحن غافلون عن هذا العهد، ﴿أَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ﴾ في الطاعة ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ في المغفرة.

وقال تبارك وتعالى في سورة التوبة: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾[١٨٠]، هل هناك أوفى من الله بعهده؟ طبعًا لا أحد أوفى منه (سبحانه وتعالى)، أخائف أنت أن يتخلف الله (سبحانه وتعالى) عن وعوده وعهوده؟ كلا، لا تخف، فإنّ الله عز وجل قطع معنا عهدًا فقال: أحسنوا العبودية وأنا أجزيكم وأثيبكم.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[١٨١]، فإذا جاء الدعاء بشروطه الصحيحة فسوف تأتي الاستجابة، وحاشا لله أن يخلف وعده، وهل هناك من هو أوفى بعهده من الله؟.

الإضاءة الثالثة: الالتزام بالعهود والمواثيق في السنّة الشريفة

ورد في كتاب تهذيب الأحكام: عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قال: «المؤمنون عند شروطهم»[١٨٢]، إذا وضعوا شروطًا والتزامات وعهودًا يجب عليهم الالتزام بها.

وورد في كتاب الكافي: عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قال: «المسلمون عند شروطهم»[١٨٣]، ورد في الرواية السابقة لفظ (المؤمنون)، وورد في هذه الرواية لفظ (المسلمون)، ولا فرق في التعبيرين؛ لأنّ الوفاء واجب على المؤمن والمسلم على حد سواء، بل هو واجب على غير المسلم أيضًا.

وورد في مسند أحمد بن حنبل: عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له»، الذي لا أمانة له ولم يكن مؤتمنًا لا يعدّ نفسه من أهل الإيمان، «ولا

---

١٧٩. سورة البقرة: الآية ٤٠.
١٨٠. سورة التوبة: الآية ١١١.
١٨١. سورة غافر: الآية٦٠.
١٨٢. تهذيب الأحكام ٧: ٣٧١ح٦٦.
١٨٣. الكافي٥: ٤٠٤ح٨.

دين لمن لا عهد له»[184]، من لا يفي بالعهود فليس عنده دين، فلا يحق لك أن تتحدث بالدين وأنت تخلف عهودك ووعودك.

ورد في كتاب الكافي: عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ثلاث لم يجعل الله عز وجل لأحد منهن رخصة»، معنى عدم الرخصة هنا هو عدم جواز تركها على أي حال، وهي ثلاث خصال، الأولى: «أداء الأمانة إلى البر والفاجر»، ائتمنوك على شيء، أي وضعوه عندك أمانة، فيجب عليك إرجاعه إليهم متى طلبوا ذلك، ولا يجوز لك في أي حال من الأحوال الامتناع عن إرجاعه، تحت أي ذريعة كانت. والثانية: «والوفاء بالعهد للبر والفاجر»، يجب الوفاء بالعهد الذي قطعته على نفسك لأي كان، ولا فرق في ذلك بين البر والفاجر. والثالثة: «وبرّ الوالدين، برين كانا أم فاجرين»[185]، لا يسقط برّ الوالدين بالنسبة لأولادهم تحت أي ذريعة كانت، وإن كانا فاجرين، فلا يسقط حق الأبوّة والأمومة، فبرّهما واجب حتى لو كانا منحرفين.

ورد في كتاب مستدرك الوسائل، باب تحريم البغي والالتزام بالعهد: «حدثني (الإمام موسى بن جعفر الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: حدثنا أبي جعفر بن محمد، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب»، إذن هذه الرواية من روايات السلسلة الذهبية التي يرويها إمام عن إمام، إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، «قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ما رفع الناس أبصارهم إلى شيء إلا وضعه الله (سبحانه وتعالى)»، يعني أن الله سبحانه وتعالى يضع ويقلل من قيمة الشيء الذي ترفع الناس أنظارها إليه وتراه كبيرًا، «ولو بغى جبل على جبل»، وهو مثل ضربه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، على عاقبة البغي، وكيف أن الله عز وجل ينتصر للمظلوم، «لجعل الله تعالى الباغي منهما دكًا»[186]، يخر وينهار إذا ما تخلف عن الوفاء بعهده.

وفيه أيضًا: عن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «يقول إبليس لجنده: ألقوا بينهم البغي والحسد، فإنهما يعدلان قريبًا من الشرك»[187]، إذا قيل لمسلم: هلمّ إلى الشرك؛ لا يقبل ذلك ويرفضه بشدة، ولكن الشيطان لعنه الله يلتف عليه ويأتيه من طريق آخر، فيقول لجنوده: إننا إذا قلنا للمسلمين: أشركوا بربكم، فلن يقبلوا، ولكننا ندعوهم إلى

---

١٨٤. مسند أحمد بن حنبل ٣: ١٥٤.
١٨٥. الكافي ٢: ١٦٢ ح١٥.
١٨٦. مستدرك الوسائل ١٢: ٨٥ الباب ٧٤ح١.
١٨٧. مستدرك الوسائل١٢: ٨٥ الباب ٧٤ ح٢

أمر قريب من الشرك، وهو البغي والحسد، ومن البغي نقض العهد، إذن فترك العهود والمواثيق ونقضها أمر قريب من الشرك.

وفيه أيضًا: عن ثابت قال: سمعت أبا جعفر الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إن أسرع الخير ثوابًا: البرّ»، يعني أن الإحسان إلى الناس، هو أسرع شيء إلى الثواب والأجر من الله (سبحانه وتعالى)، أي أن ثواب البرّ يجده الإنسان في الدنيا قبل الآخرة، لأنّ الله تبارك وتعالى يعجّل مكافأته مباشرة، فيتنعم المحسن بإحسانه قبل أن يتنعم بها المحسن إليه، طبعًا مع الفارق الشاسع بين إحسان العبد وإحسان الله تبارك وتعالى، «وأسرع الشر عقوبة: البغي»[١٨٨]، وفي مقابل الأسرع ثوابًا وهو الإحسان، الأسرع عقوبة وهو البغي، الذي من أبرز مصاديقه نقض العهود والمواثيق، فهو الأسرع عقوبة من بين كل الذنوب الأخرى، فإنّ الباغي يتلقى عقابه مباشرة في دار الدنيا قبل الآخرة، ففي الوقت الذي يكتوي فيه المظلوم من آلام بغي ظالمه، يتجرّع الظالم غصة ظلمه، ويكتوي بحرارة نار بغيه، وشتان بين عقوبة العبد الضعيف وعقوبة العزيز الجبار المنتقم. والكلام هنا ليس في أصل استحقاق الثواب والعقاب، بل في سرعة وصولهما إلى صاحبيهما، فالمحسن يأتيه ثوابه سريعًا، والباغي وناقض العهد والمواثيق يأتيه عقابه سريعا أيضا، وإن كان الله (عز وجل) يمهل ولا يهمل، ولكن في نقض العهود والمواثيق تأتي الصفعة الإلهية بسرعة.

ورد في نهج البلاغة: قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في خطبته القاصعة: «الله الله في عاجل البغي»، احذروا من الصفعة التي تأتيكم بسرعة وبلا إمهال عند نقض العهود والمواثيق، «وآجل وخامة الظلم»، وآجل عاقبة الظلم، يعني العقوبة الأخروية بالإضافة إلى العقوبة الدنيوية، فإنّ من الذنوب ما له عقوبة أخروية فقط، ومن الذنوب ما له عقوبتان: دنيوية وأخروية، «وسوء عاقبة الكبر»، التكبر عاقبته سيئة، فهو يؤدي إلى عزلة الإنسان المتكبر والمتعجرف، فيصبح معزولًا مكروهًا، ولن يلتف حوله أحد، «فإنها مصيدة إبليس العظمى، ومكيدته الكبرى، التي تساور قلوب الرجال، مساورة السموم القاتلة «، تساور قلوب الرجال أي تتوثب إليها هذه الأمور، وهي كالسم القاتل، «فما تكدي أبدًا»، يعني لا ترد عن تأثيرها، وهي مشتقة من أكدى حافر الفرس إذا بلغ الكدية، وهي الأرض الصلبة، فلا يمكنه أن يحفر، «ولا تشوي أحدًا»، لا تخطئ المقتل وتصيب غيره، والشوى: الأطراف، كاليد والرجل، يعني أن ما استهدفه لا يصيب طرفا من أطرافه، بل يصيبه بمقتل، «لا عالمًا لعلمه، ولا مقلًا في طمره»[١٨٩]، لا العالم يفيده علمه إذا نقض العهد والمواثيق، والطمر: الثوب

١٨٨. مستدرك الوسائل ١٢: ٨٥ الباب ٧٤ح٣.
١٨٩. نهج البلاغة ٢: ١٤٨ الخطبة ١٩٢.

الخلق، أي ولا الفقير بطمره ينفعه فقره في الخلاص من مصائد إبليس العظمى ومكائده الكبرى إذا نقض العهد والمواثيق.

وفي مستدرك الوسائل: رواية أخرى عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «اتقوا البغي فإنه يجلب النقم»، هذا الذي ينقض العهود والمواثيق يأتيه البلاء من فوقه ومن تحته، وعن يمينه وشماله، «ويسلب النعم»، تذهب النعم من بين يديك، «ويوجب الغير»[190]، تتغير أحوالك بسبب نقض العهود والمواثيق من الغنى إلى الفقر، ومن الوجاهة إلى العزلة.

وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إياك والبغي، فإنّ الباغي يعجل الله له النقمة»، تأكيد على تعجيل النقمة أيضًا، «ويحل به المُثُلات»[191]، يفعل به العجائب، والمثلات: جمع (مُثْلة) يعني العقوبة، أي تنزل به العقوبات بالجمع، مثال ما نسمعه أحيانًا أن فلانًا التاجر أو الملياردير، مرض أولاده الواحد تلو الآخر وماتوا، وذهبت كل أمواله بانهيار البورصة، وسُرقت داره، انظروا كيف تحل العقوبة مرة واحدة، ويصبح مضرب مثل، هكذا هي خطورة البغي ونقض العهود والمواثيق، نستجير بالله من ذلك.

وورد في كتاب وسائل الشيعة باب تحريم الغدر والقتال مع الغادر، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «سألته عن قريتين من أهل الحرب»، من غير المسلمين، من أهل الحرب الذين لم يدخلوا في ذمة المسلمين، «لكل واحدة منهما ملك على حدة»، قرية فيها جمع من الناس من غير المسلمين وعليها ملك يحكمهم، وقرية أخرى مثلها ولهم ملك منهم، «اقتتلوا ثم اصطلحوا»، تعاقدوا وتعاهدوا على الصلح، «ثم أن أحد الملكين غدر بصاحبه»، ثم نقض الصلح أحد الملكين الكافرين وغدر بصاحبه، «فجاء إلى المسلمين»، جاء هذا الملك الغادر إلى المسلمين، «فصالحهم»، دخل في عقد صلح مع المسلمين، بينما بقيت القرية الأخرى لا عقد صلح لها مع المسلمين، «على أن يغزو تلك المدينة»، واشترط أن يدخل المسلمون معه في حرب القرية الأخرى، أي جاء هذا الملك الكافر بعد أن غدر بصاحبه يستقوي بالمسلمين على صاحبه الكافر أيضًا، فقال أبو عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا»، لا يجوز للمسلمين الغدر، ولو بأهل الكفر، «ولا يأمروا بالغدر»، ليس فقط لا ينبغي لهم الغدر، بل لا ينبغي لهم أن يأمروا بالغدر أيضًا، «ولا يقاتلوا مع الذين غدروا»، ليس ذلك فقط، بل لا يحق لهم أيضًا نصرة الغادر

١٩٠. مستدرك الوسائل ١٢: ٨٧ باب ٧٤ ح٨.
١٩١. مستدرك الوسائل ١٢: ٨٧ باب ٧٤ ح٨.

والقتال معه، «ولكنهم يقاتلون المشركين حيث وجدوهم»[١٩٢]، ولكن يحق لهم قتال أهل الشرك الذين لم يدخلوا مع المسلمين في ذمة أو صلح وهدنة.

وفيه أيضًا: عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: يجيء كل غادر بإمام يوم القيامة»، كل واحد يجيء بإمامه يوم القيامة، فلا يأتي هذا الغادر بمفرده، بل يأتي كما يأتي جميع الناس كل بإمامه، «مائلاً شدقه حتى يدخل النار»[١٩٣]، الشدق: جانب الفم[١٩٤]، يجيء الغادر يوم القيامة مائل الشدق، أي صار فمه في أحد جانبي وجهه، فيدخل النار.

وفيه أيضًا: عن الأصبغ بن نباتة، قال: «قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ذات يوم وهو يخطب على المنبر بالكوفة: أيها الناس لولا كراهية الغدر كنت من أدهى الناس»، أتحسبون أني لا أعرف طرق المكر والخداع، ولا أعرف طرق اللعب، ولا أعرف مداخل الأمور ومخارجها، ولكن هذا لا يجوز، ولو كان جائزًا فلا أحد يستطيع اللحاق بي فيه، ولكنت أدهى الناس، «ألا إن لكل غدرة فجرة»، الغدر يرافقه الفجور والعياذ بالله، «ولكل فجرة كفرة»، والفجور يؤدي إلى الكفر، «ألا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار»[١٩٥]، وهذا هو الذي يحجزني عن ركوب الغدر والخيانة، ولولا ذلك لكنت من أدهى الناس.

هذه بعض الآيات والروايات العظيمة في مسألة نقض العهود والمواثيق وخطورتها، وضرورة الالتزام بالعهود والمواثيق.

نكتفي بهذا المقدار، شكرا لكم وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٩٢. وسائل الشيعة ١٥: ٦٩ ح١.
١٩٣. وسائل الشيعة ١٥: ٦٩ ح٢.
١٩٤. الصحاح ٤: ١٥٠٠.
١٩٥. وسائل الشيعة ١٥: ٧٠ ح٣.

المحاضرة الخامسة عشرة بتأريخ ١٢/ ٥/ ٢٠٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار، وجعلنا الله وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الفضيل، وأن لا نكون من المحرومين.

كان حديثنا في الأيام الماضية عن عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشتر حين ولاه مصر، وذكرنا أن هذا العهد يمثل اختزالا للنظرية الإسلامية في القيادة والإدارة، وكنا نتحدث في المقطع السابع والعشرين من هذا العهد، والذي يتحدث عن السلم والحرب وأحكامهما، وانتهى بنا المطاف للحديث عن العهود والمواثيق وأهمية الالتزام بها، اليوم نقرأ القسم الثاني من هذا الموضوع.

القسم الثاني: الخطوط الحمر في موضوعة العهود والمواثيق

القسم الثاني من هذا الموضوع الشيق والأساسي، يتمثل بالخطوط الحمر في موضوعة العهود والمواثيق؛ قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(وَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ): الله (سبحانه وتعالى) جعل عهده وذمته في أمر، لأننا قلنا إن العهود والعقود مع الناس، هي عهد الله، فما أن يمضي إنسان عهدًا بينه وبين إنسان آخر حتى يصبح عهد الله، وإن كان هذا العهد مع عدو أو مشرك أو كافر.

(أَمْنًا): هذا الأمر الذي جعله الله تبارك وتعالى في عهده وذمته هو حالة الأمن والاستقرار والطمأنينة، حينما يلتزم الجميع بعهودهم وعقودهم، وبما قطعوه على أنفسهم، وبما يلزمون به أنفسهم.

(أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ)، الرحمة الإلهية تكون شاملة للأمة وللجماعة التي تلتزم بعهودها ومواثيقها.

(وَحَرِيمًا): الحريم هو المكان الذي يحرم مسّه، يحرم الاقتراب منه، يصبح هذا الالتزام بالعهود والمواثيق حريمًا، لا يحل الاقتراب منه.

(يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ): يلوذون به، يسكنون إليه، لأنه منيع وحصين.

(وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ): وينحازون إليه، ويفزعون إليه، ويتمسكون به، فالالتزام بالعهود والمواثيق يحقق الأمن المجتمعي، يحقق حالة من الاستقرار الاجتماعي، يستنزل الرحمة الإلهية، يوجد الملاذ الذي يلتف حوله الناس، ويلوذون به.

(فَلاَ إِدْغَالَ): قلنا الإدغال من الدغل، وهو المصطلح المستعمل في لهجتنا الدارجة لذلك العشب غير المفيد الذي يخرج مع الزرع.

(وَلاَ مُدَالَسَةَ، وَلاَ خِدَاعَ فِيهِ): يعني لا إفساد ولا خيانة ولا مكر ولا حيلة، في التعاطي مع هذه العهود والعقود، ويجب الالتزام بها بشكل كامل.

الإضاءات المستفادة من هذا النص

الإضاءة الأولى: الدور الفريد للالتزام بالعهود والمواثيق في القيادة والإدارة

يتمثل الدور الفريد والمميز للالتزام بالعهود والمواثيق في القيادة والإدارة والمنظومة القيادية، في أنه لا شيء يؤثر كالالتزام بالعهود والمواثيق، أي أن القائد والمسؤول والمدير عند كلمته؛ يفي بوعده، فالشعب عينه على القائد ماذا يقول، إن طمأنهم اطمأنوا، وإن وعدهم بشيء تيقنوا بتحققه، وهذا من شأنه أن يوجد نوعا من الاستقرار والثقة والتماسك، وهكذا الأمر في المستويات الأدنى؛ فإنّ أي مسؤول في أي مستوى من المسؤولية، إذا كان ممن يفي بالالتزامات والعهود، ويقف عند كلمته ويلتزم بها، يكون قد أمسك بالمفتاح الأساسي الذي يجعل المنظومة القيادية تتماسك بشكل كبير، ويجلب لها الثقة، والاطمئنان، والأمن، والراحة، والاستقرار، وهذا كله يأتي من خلال الالتزام بالعهود والمواثيق؛ (وقد جعل الله عهده وذمته أمنًا أفضاه بين العباد برحمته، وحريمًا يسكنون إلى منعته، ويستفيضون إلى جواره)، فكل عهد، وكل عقد، لا يتقاطع مع الحق، فهو أمان يعيشون في ظله بسلام، أما إذا وجد شخص يبرم عقدًا أو يلتزم بقضية خلاف الحق؛ فيها باطل، كأن يتعهد بقتل فلان، فإن هذا الشخص يقال له: إن هذا خارج عن الالتزام بالعهود والمواثيق، لأنّ شرط العهد والعقد والالتزام هو أن يكون ما يتعاقد ويتعاهد عليه، متسقًا مع الحق، وأن لا يتقاطع مع الشرع أيضًا، فلا

يجوز للإنسان أن يقطع وعدًا أو عقدا أو عهدًا فيه معصية لله (سبحانه وتعالى)، فيه وقوع في الحرام، بل العهد الصحيح هو العهد الذي ينسجم مع الحق، وينسجم مع الشرع، فمثل هذا يكون حريمه حريم الله تبارك وتعالى، ونقضه نقضًا للعهد مع الله (سبحانه وتعالى).

روي في السنن الكبرى عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: » المسلمون عند شروطهم، ما وافق الحق من ذلك»[١٩٦]، أي بشرط أن تلتصق بالحق، وتوافقه، فإذا وافقت الحق وجب الالتزام بتلك الشروط والعهود التي ألزم الإنسان بها نفسه.

وروي في المعجم الكبير عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «المسلمون عند شروطهم، إلا شرطًا حرّم حلالًا أو أحل حرامًا»[١٩٧]، الشرط غير المقبول هو الشرط الذي يغير الموازين الشرعية، يتلاعب بالثوابت الشرعية، يحلل الحرام ويحرّم الحلال، أما الشرط الشرعي فهو شرط حق يجب الالتزام به، والعهد فيه هو عهد مع الله (سبحانه وتعالى).

إذن فالعهد يحقق ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الأمن والاستقرار، ويتمثل هذا بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وقد جعل الله عهده وذمته أمنًا أفضاه).

الأمر الثاني: يستجلب الرحمة الإلهية، وهذا يظهر من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (برحمته)، الرحمة تأتي من خلال هذا الالتزام بالعهود والمواثيق.

الأمر الثالث: الحريم الذي يلوذون به، ويعتمدون عليه في حفظ مصالحهم، في الدفاع عن حقوقهم، وهذا يستفاد من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وحريمًا يسكنون إلى منعته)، فمن قطع معي وعدًا، أو عاهدني عهدًا، أو تعاقد معي على شيء، فما دام هناك عقد والتزام، فهناك شيء يرجع إليه الإنسان، فلا يبقى تائهًا، وعندها لا يقول: أقرضتك أموالًا، فأين الأموال؟ أو اشتريت منك سيارة، فأين السيارة؟ لأنّ الوفاء بالوعد والعقد والعهد يمنع من ذلك، فما دام العقد محترمًا، والعهد محترمًا، فعند الإنسان شيء يلوذ به عندما تحصل مشكلة، فهناك دائمًا حريم يعود إليه.

١٩٦. السنن الكبرى ٧: ٢٤٩.
١٩٧. المعجم الكبير ١٧: ٢٢.

الإضاءة الثانية: الخط الأحمر في القيادة والإدارة هو الالتزام بالعهود والمواثيق

الخط الأحمر في القيادة والإدارة هو الالتزام بالعهود والمواثيق، فكل منظومة قيادية، كل مجموعة من الناس، عندهم خطوط حمر، يضعون لأنفسهم خطوطًا حُمرًا لا يسمحون بأن يتجاوزها أحد، فما هو الخط الأحمر في المنظومة القيادية لعلي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟ في رؤية الإسلام؟.

الخط الأحمر عند علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، في الرؤية الإسلامية، ليس هو النقد والاعتراض والاحتجاج، فهذه القضية حق مسلّم به من حقوق الناس، وتحدثنا سابقًا في هذا الموضوع، وذكرنا النصوص المؤيدة لذلك، وأثبتنا أنه حق واضح وثابت وبيّن، والخط الأحمر ليس هو الصراحة والشفافية والوضوح في السياسات، في الخطوات، في المواقف، في التشريعات؛ لأنّ هذه من أوضحِ معالم الحكم الرشيد، الذي ينظر إلى الآخرة، وإلى عواقب الأمور، وقد تحدثنا طويلًا في الأيام الماضية في هذا الموضوع أيضًا.

الخط الأحمر ليس هو الإشراف، والتقييم، والمتابعة، والتفتيش، والتدقيق في أداء المسؤولين والمدراء؛ لأنّ هذه قضية مسلّمة، وبدونها سينتفض الشارع وستسقط هذه المنظومة القيادية.

الخط الأحمر ليس هو الحفاظ على السلطة، لأنّ السلطة ليست غاية، بل السلطة وسيلة، فقيمة السلطة تتجلى حين يعتمدها الإنسان في الوصول إلى الغايات النبيلة؛ في إحقاق الحقوق، في نشر العدل والإنصاف بين الناس، في خدمة الناس، سلطة تحق الحقوق، وتشيع العدل، هذه هي السلطة المطلوبة. أما السلطة التي تؤدي إلى الظلم والإجحاف بحق الناس، فهذه وبال على الحاكم الذي يتسلط على أولئك، فليست هناك قيمة ثابتة ودائمة للسلطة كيفما كانت، فقيمة السلطة بشروطها، ولأمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حديث طويل ومتنوع في هذا المجال.

قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الخطبة الثالثة من نهج البلاغة: «أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، وخلق الأرواح، لولا حضور الحاضر»، نعرف أنّه كانت لعلي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بيعة عظيمة وكبيرة، فقد التف حوله آلاف الناس، وجلسوا في بابه يريدون مبايعته، وأصروا عليه أن يتصدى للخلافة، بعد مقتل الخليفة الثالث، وهذه البيعة التزام من طرفين، فعندما تبايع الناس الحاكم يصبح إمامًا وخليفة لهم، وهو التزام من الطرفين.

«لولا حضور الحاضر» الذين جاؤوا للبيعة وجلسوا عند باب داري وبايعوني.

«وقيام الحجة بوجود الناصر» وتمت الحجة عليّ بوجود ناصر يبايعني على خلافة المسلمين، ووجود جيوش مستعدة للقتال تحت إمرتي، ونصرتي في إحقاق الحق، وإقامة العدل، ففرض هذا الحال عليّ التزامًا؛ لأني قادر من خلال هذا التصدي، أن أشيع العدل والإنصاف بين الناس، فهناك حجة أقيمت عليّ أمام الله (سبحانه وتعالى).

«وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا»، أن لا يوافقوا مقرّين.

«أن لا يقارّوا على كِظة ظالم»، كِظة: هي حالة التخمة التي تحدث للبعض عند الإكثار من الأكل، عندما يأتي إلى الطعام جائعًا، فيتناول مقدارًا أكثر من حاجته، وعندما ينتهي لا يستطيع القيام من مكانه، وحالة التخمة هذه هي الكِظة.

«أن لا يقاروا»، أخذ الله جل جلاله على العلماء، أن لا يسكتوا عن كِظة ظالم، وهي كناية عن ناهبي أموال الناس، إمكانات الناس، فهو متنعم بالمال العام، هذه هي كِظة ظالم.

«ولا سغب مظلوم»، السغب هو شدة الجوع، وقد أخذ الله (تبارك وتعالى) على العلماء أن لا يقاروا ولا يسكتوا عن جوع المظلومين، وعن تخمة الظالمين، ولولا هذه الالتزامات، لولا هذه الحجة التي أقيمت، بحضور الحاضر والالتزام الذي تحقق من البيعة.

«لألقيت حبلها على غاربها»، يعني لتركت الأمر، وتخليت عن هذه الخلافة.

«ولسقيت آخرها بكأس أولها»، فأولها وآخرها لا يعنيان لي شيئًا.

«ولألفيتم دنياكم هذه»، ليس الدنيا التي أرادها الله تبارك وتعالى للناس، بل دنياكم، دنيا المكر والخديعة واللعب والدجل والتآمر.

«دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»[١٩٨]، إذ لا قيمة لعفطة عنز ـ أجلكم الله ـ عند أحد، وهي في الواقع لا قيمة لها، فكل دنياكم هذه، وما تتصارعون من أجل الحصول عليه، هذه كلها أقل عندي من عفطة عنز، يقولها علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو الصادق في ما يقول.

وورد في نهج البلاغة أيضًا قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عند خروجه لقتال أصحاب الجمل: «قال عبد الله بن العباس: دخلت على أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بذي قار، وهو

١٩٨. نهج البلاغة ١: ٣٦ـ ٣٧ الخطبة٣.

يخصف نعله»، يخيط نعله الممزق، «فقال لي: يا ابن عباس ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها، فقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: والله لهي أحب إليّ من إمرتكم، إلا أن أقيم حقًا أو أدفع باطلًا»[١٩٩]، إذن فالإمرة التي فيها إقامة للحق ودفع للباطل هي التي لها قيمة، أما الإمرة التي لا يستطيع فيها إقامة الحق والعدل، وليس فيها إلا الدماء والقتال والحرب، فلا خير فيها، والنعل المخصوف أحب إلى علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ منها.

وورد في نهج البلاغة في رسالة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى واليه على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري، وقصته معروفة حينما دُعي إلى وليمة فيها ما لذّ وطاب من الأطعمة، ولبى هذه الدعوة، التي لم يحضرها سوى الأثرياء دون الفقراء، فأرسل له أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كتابًا يقّرعه فيه، إذ كتب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ له: «ألا وإن لكل مأموم إمامًا يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، إلا وإنّ إمامكم» يقصد نفسه.

«قد اكتفى من دنياه بطمريه» الطمر هو الثوب الخلق، الثوب العتيق، ولم يكن علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يملك غير ثوبين عتيقين، هما رداء وإزار.

«ومن طعمه بقرصيه» واكتفى من الطعام برغيفين من خبز الشعير في اليوم، وإدامه الملح، فكان يوزع الحنطة بين الناس ويأكل خبز الشعير، ومعروف أن خبز الشعير يابس، وقد جاء في بيان مطعمه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه كان يفته من شدة اليبوسة ثم يلتهمه.

«ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك» لا تستطيعون أن تعيشوا هذه العيشة.

«ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد» إعانة الحاكم الأعلى للمسلمين تكون بالورع، ومخافة الله سبحانه، والاجتهاد، والعمل الدؤوب، والعفة، وهي غض البصر، والتعامل بشكل سليم في الأمور الأخلاقية، والتعامل بسداد أي بتصرف رشيد وبحكمة.

«فوالله ما كنزت من دنياكم تبرًا» التبر هو الذهب والفضة قبل أن يصاغ.

«ولا ادّخرت من غنائمها وفرًا» ولا جمعت لنفسي مالًا، ولا ادخرت من غنائم الدنيا شيئًا.

«ولا أعددت لبالي ثوبي طمرًا» ولا فكرت بثوب جديد استبدل به هذه الملابس البالية إذا تهرأت وتمزقت ولم تعد تستر بدني.

«ولا حزت من أرضها شبرًا» ولا ملكت شبرًا من الأرض في هذه الدنيا.

---

١٩٩. نهج البلاغة ١: ٨٠ الخطبة ٣٣.

«ولا أخذت منه إلا كقوت أتان دبرة» وهي الدابة التي ينكسر ظهرها، فيقل أكلها، يعني أنه يأكل من الطعام مقدارًا قليلًا كالدابة المريضة التي يقل أكلها.

«ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصة مقرة»، قال ابن منظور: «ثمرة عفص: لا تسوغ في الحلق»[٢٠٠] ومقرة أي مرة، قال الفراهيدي: «المقر: شبه الصبر»[٢٠١]، فهذه الدنيا عند علي بن أبي طالب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أهون من حنظلة لا يستسيغها الآكل.

«بلى كانت في أيدينا فدك، من كل ما أظلته السماء»، كانت عندنا فدك، فيها كل ما لذّ وطاب.

«فشحت عليها نفوس قوم» بخلت فيها نفوس قوم، أن تكون فدك في أيدي أهل البيت، ولم يصرّح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأسمائهم، درءًا للفتنة.

«وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونِعمَ الحكم الله، وما أصنع بفدك»، وتركتها نفوس أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وتركت المطالبة بها، مع أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان حاكمًا ويستطيع إرجاعها إلى أبناء فاطمة الزهراء (عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ)، ولكنه لم يفعل، فقد زهد هو وأولاده فيها، فقد مرّ ربع قرن على غصبها، ليبقى غصب فدك عنوانًا لمظلومية الزهراء، ولئلا يستغل الآخرون ذلك ويتحول عنوان الصراع من غصب الإمامة والولاية إلى غصب قرية فدك ذات البساتين المثمرة، ويكفي في فدك أن حق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قد غُصب، لتبقى معلمًا على الدهور والأزمان.

«وما أصنع بفدك وغير فدك، والنفس مظانها»، يعني المكان الذي تظن أنها تلجأ إليه.

«في غدٍ جدث»، فإنّ النفس مآلها إلى القبر.

«تنقطع في ظلمته آثارها»، عندما يُدخل الإنسان إلى القبر في تلك الظلمة تنقطع فيه كل آثار الدنيا، فماذا يرى الإنسان في قبره؟ أموالا، جاها، أراضي، ذهبا؟ مهما ملك الإنسان فسيذهب بالكفن فقط، ولا يذهب معه أي شيء من دنياه.

«وتغيب أخبارها»، وستغيب في تلك الظلمة والحفرة جميع الأخبار.

«وحفرة لو زيد في فسحتها، وأوسعت يدا حافرها، لأضغطها الحجر والمدر»، وسينزل الإنسان إلى حفرة ضيقة، وإذا كان الدفان كريمًا ووسع له قليلًا في قبره، فسيملأ هذه الفسحة تراب الأرض المحيط بها، فلا ينفع الميت أن يوسع في قبره قليلًا.

---

٢٠٠. لسان العرب ٤: ٣٥٤.

٢٠١. كتاب العين ٥: ١٦١.

«وسد فرجها التراب المتراكم»، الفرج هي الثغرات الموجودة في القبر، وسوف تسد بالتراب الذي سينهال عليها بمرور الأيام.

«وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى»، نفسي أذللها بالتقوى.
«لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر»، لتكون يوم القيامة آمنة من عذاب الله (سبحانه وتعالى).
«وتثبت على جوانب المزلق»، المزلق: مكان الزلل، يعني الصراط، هل تستطيع أن تثبت على الصراط ولا تنجر إلى النار؟ ولا تتصوروا عندما أقول لكم إن هذا طعامي ومشربي وملبسي أن ذلك يعني أنه ليس عندي شيء أكثر من ذلك.
«ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفّى هذا العسل»، يعني أستطيع الحصول على المصفّى من هذا العسل، وهو أرقى أنواع العسل.
«ولباب هذا القمح»، إذا كنتم تأكلون القمح بقشوره، فإني أستطيع أن أحصل على لباب هذا القمح، فإنّ أكله بلا قشور من أطيب ما يكون.
«ونسائج هذا القز»، أستطيع أن ألبس الحرير، لا أن ألبس ملابس خلقة.
«ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي»، الجشع شدة الحرص.
«إلى تخيُّر الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص»، هل آكل كل هذه الأطعمة، وقد يكون في الحجاز من لا يمتلك رغيف خبز يأكله.
«ولا عهد له بالشبع»، لا يتذكر وقتًا قد شبع فيه فهو دائمًا جائع.
«أو أبيت مبطانًا»، المبطان هو صاحب المعدة المملوءة.
«وحولي بطون غرثى» جائعة.
«وأكباد حرى» عطشى.
«أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيتَ ببطنةٍ . . . وحولك أكبادٌ تحنُّ إلى القدِّ»

القد هو الجلد غير المدبوغ، يحن إليه الجياع.
«أأقنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر؟»، فالمسألة ليست مسألة عناوين؛ هذا حاكم، وهذا مسؤول، وهذا أمير المؤمنين، وأنا لا أشاركهم في مكاره الدهر.
«أو أكون أسوة لهم»، المفروض أن أكون أسوة لهم.
«في جشوبة العيش»، خشونة العيش.
«فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات»، هل يكون كل اهتمامي في تناول الأطعمة اللذيذة؟ وتتبع أي كتاب ينزل إلى السوق يحتوي على طبخات جديدة؟.

«كالبهيمة المربوطة همها علفها»، فنكون كالبهيمة المربوطة شغلها الشاغل هو ما تتناوله من العلف.

«أو المرسلة»، البهيمة غير المربوطة التي تبحث عن طعامها.

«شغلها تقممها»، تبحث في القمامة عن شيء تأكله.

«تكترش من أعلافها»، يصبح لديها كرش من كثرة الأكل.

«وتلهو عما يراد بها»، وهي غافلة عما يريده بها أصحابها من الذبح، فهل أكون مثل هذه البهيمة؟.

«أو أُترك سدىً، أو أُهمل عابثًا»، هل أضيع وقتي عبثًا؟. هناك شيء يسمّونه قتل الوقت، كمن يقول لصاحبه: تعال نذهب إلى المقهى لنجلس ساعتين أو ثلاث ساعات لنقتل وقتنا، عجيب! تقتل الوقت وتضيعه؟

«أو أجرّ حبل الضلالة»، أو أسلك طريق الانحراف فأظلم هذا أو ذاك.

«أو أعتسف طريق المتاهة»، الاعتساف: السلوك في طريق غير واضح، لا يعرف سالكه إلى أين يؤدي به.

«وكأني بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب، فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان»، سيقول الذي يسمع كلامي هذا: إن علي بن أبي طالب لضعيف، إذا كان طعامه هذا، وكل قوته رغيفان من خبز الشعير، فسوف يترنح بضربة واحدة من أقرانه في سوح المبارزة والقتال، ثم يجيب عَلَيْهِ السَّلَامُ عن هذه التساؤلات قائلًا:

«ألا وإنّ الشجرة البرية أصلب عودًا»، وهي الشجرة التي تنبت في الصحراء في ظروف غير ملائمة، حيث لا ماء، ولا تربة غنية بالعناصر، وتكون أصلب وأقوى من الشجرة التي تنبت في القرى، وتستطيع مقاومة العواصف العاتية، بينما لا تستطيع ذلك النباتات التي تنبت قرب الأنهار.

«والرواتع الخضرة أرق جلودًا»، الخضراوات والأشجار التي تنبت في أماكن قرب النهر طرية وإذا لم يصلها الماء ستموت، وهو مثل من الواقع ضربه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ليبيّن للسائل أنّه كالنبتة البرية؛ أصلب عودًا وأقوى شكيمة من أولئك الذين تتغذى أجسادهم من لذائذ الأطعمة وألوانها، فلا تخافوا على إمامكم، وقد رأيتموه كيف جندل أبطالهم في ميادين القتال.

«والنابتات العذية»، يعني النباتات التي تستقي من ماء المطر، وهي تمتص ماء أقل من النباتات والأشجار التي تستقي من ماء الآبار والأنهار.

«أقوى وقودًا»، يكون وقودها أقوى من غيرها، عندما تجتث عيدانها لتكون حطبًا، لأنها يابسة، بينما تكون عيدان الأشجار الأخرى طرية، فلا تحترق بشكل كامل.

«وأبطأ خمودًا»[٢٠٢]، وعندما تُحرق تبقى أطول من غيرها حتى تخمد.

تشير هذه النصوص إلى أن السلطة لا تمثل الأساس والخط الأحمر في المنظومة القيادية، بل السلطة هي لإحقاق الحق وإنصاف المظلوم، وهذه السلطة هي السلطة النافعة والمفيدة، إذن ما هو الخط الأحمر؟ الخط الأحمر كما يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الالتزام بالعهود والمواثيق، هو كرامة الإنسان، وحرية الإنسان، والالتزامات التي وضعتها المنظومة القيادية في حفظ كرامة الناس.

ومن حكم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنّ العهود قلائد في الأعناق إلى يوم القيامة، فمن وصلها»، فمن التزم بهذه العهود، «وصله الله، ومن نقضها»، نقض العهود، «خذله الله، ومن استخف بها»، قلل من قيمتها، «خاصمته»، شكته هذه العهود، «إلى الذي أكدها»، وهو الله عز وجل الذي أكد هذه العهود والمواثيق كما ذكرنا في الآيات التي استعرضناها في لقاءات سابقة، «وأخذ خلقه»، ألزم خلقه «بحفظها»[٢٠٣]، فلا خط أحمر حقيقيًا إلا الالتزام بالعهود والمواثيق، (فَلاَ إِدْغَالَ وَلاَ مُدَالَسَة وَلاَ خِدَاعَ فِيهِ)، وعليك أيها المسؤول الالتزام بالعهود والمواثيق بشكل كامل.

القسم الثالث: التدقيق في إبرام العقود والمعاهدات

(وَلاَ تَعْقِدْ عَقْدًا تَجُوزُ فِيهِ الْعِلَلُ، وَلاَ تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ القَوْلِ)

يرتبط هذا القسم بالتدقيق في إبرام العقود والمعاهدات، مراعاة الدقة في صياغة العقود والمعاهدات؛ كيف تصاغ العقود؟ كيف تصاغ المعاهدات؟.

(ولا تعقد عقدًا): لا تُجر صياغة ـ شفاهًا أو كتابة ـ عقد شراء أو بيع أو أي عقد آخر، إلا بعد مراعاة الأمور التالية:

(تجوز فيه العلل): العلل يعني التأويل، يعني عبّر تعبيرًا واضحًا لا يحتمل التأويل، لئلا يعترض معترض بعد ذلك فيقول إن هذه الكلمة فيها المدلول الفلاني، وفيها المعنى الفلاني، ولذا ينبغي أن تكون الصياغة دقيقة.

٢٠٢. نهج البلاغة ٣: ٧٢ ـ ٧٣ الخطبة. ٤٥
٢٠٣. شرح غرر الحكم: ٢: ٦١٦.

(ولا تعولنّ على لحن القول): لا تعتمد على ليّ عنق العبارة، أو ليّ عنق كلام المتحدث، لتنتزع منه ـ بشكل من الأشكال ـ معنى آخر، فمثلًا قول رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في بيعة غدير خم: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»[٢٠٤] واضح جدًا، وعرفت الناس منه ما يريد، وبايعوا عليًا عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، وقالوا له: «بخ بخ لك يا علي أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»[٢٠٥]، فالقائل يدري ما يريد، والمستمعون عرفوا ما يريد، ورتبوا عليه الأثر وبايعوا، ثم يخرج لك شخص بعد مئات السنين ليقول لك: إن هذه الولاية فيها سبعة وعشرون معنى، ولا نعلم أي معنى يراد[٢٠٦]! وغايتهم تضييع المعنى الحقيقي حينما ربطوه بكل هذه المداليل العجيبة، وعندما يقال للبائع: ألم تبع الدار بالمبلغ الفلاني إلى فلان، فلماذا استغفلته وكتبت العبارة الفلانية، ثم ذهبت تشتكي وترافع في المحكمة وتستند إلى هذه العبارة؟ وكل هذا لعب، واحتيال، واعتماد على تفسيرات وتأويلات لم تكن مقصودة في المعاملة، وهذا نقض للعقد، ولا يجوز بعدما كان المعنى واضحًا بينكما، (ولا تعولنّ على لحن القول)، على الكلام الذي يقال وتحاول أن توحي بأنّ المراد منه شيء غير ما قصد في العهد الذي تعاقدت عليه.

(بعد التأكيد والتوثقة): أي بعد الانتهاء من صياغة العقد والتأكد مما جاء فيه، والإمضاء عليه من طرفي العقد، يأتي أحدهما فيقول: ما المقصود من الكلمة الفلانية أو العبارة الفلانية؟، فإنه لا معنى للاعتراض بعدها، ولا يجوز نقض العقد بعد إبرامه.

(ولا يدعونك ضيق أمر، لزمك فيه عهد الله، إلى طلب انفساخه): مثلا الشركات النفطية، لديها طريقان: الطريق الأول: عقود مشاركة؛ بأن تطلب مثلا نسبة (٢٠٪) من سعر البرميل الواحد، فإذا كان سعره مائة وعشرين دولارا فإنّ لها أربعة وعشرين دولارًا عن كل برميل، وإذا كان سعره عشرين دولارًا فلها دولار واحد عن كل برميل، فالنسبة ثابتة ولا يؤثر فيها صعود سعر البرميل أو هبوطه، والطريق الثاني: عقود خدمة، وهي أن تطلب الشركات النفطية حصة ثابتة، بغض النظر عن صعود سعر برميل النفط أو هبوطه، فلا علاقة لها بتغير أسعار النفط، فهي تريد مبلغًا مقطوعًا عن كل برميل، كأن يكون عشرين دولارًا عن كل برميل، وتتعهد الدولة المنتجة للنفط بدفع كل نفقات الإنتاج، وعندما رأى المسؤول المفاوض أن الأرجح هو إبرام العقد على أساس عقود

٢٠٤. الكافي ١: ٢٩٥ ح٢، مسند أحمد بن حنبل ١: ٨٤، ١١٨، ١١٩، ٢٥١.
٢٠٥. بحار الأنوار ٣٧: ١٤٢ ح٣٦، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٣٨٦.
٢٠٦. انظر: الغدير ١: ٣٦٢.

الخدمة؛ لأنّ سعر برميل النفط عندها كان مائة وعشرين دولارًا، فكان يجب أن يدفع أربعة وعشرين دولارًا عن البرميل الواحد، بينما كان يجب عليه أن يدفع عشرين دولارًا للبرميل الواحد على أساس عقود الخدمة، ووقّع الطرفان العقد على أساس عقود الخدمة، ومضت فترة فهبطت أسعار النفط هبوطًا شديدًا، فذهبوا إلى شركات النفط وقالوا نريد الاتفاق على أساس عقود مشاركة، وهذا لا يجوز؛ إذا ارتفعت الأسعار نريد عقود خدمة، وإذا نزلت نريد عقود مشاركة، ولكن في بلادنا هكذا تجري الأمور، وقد واجهنا مشكلة بسبب عقود الخدمة، ومُنينا بضرر كبير، فقد كلّف استخراج النفط أحيانا أكثر من سعر البيع، فنستخرج النفط وندفع أموالًا إضافية لكي نبيعه، فتكلفة الإنتاج ثمانية عشر دولارا ويباع النفط بخمسة عشر دولارا في بعض الحالات.

ومثال آخر: لو اشتريت دارًا بسعر معيّن، ثم حدثت أزمة اقتصادية خانقة وانخفضت على إثرها أسعار العقار إلى النصف، وأصبحت في ضيق، وخاصة أنك لم تدفع جميع السعر، وما زلت مدينًا بنصف السعر مثلًا، بينما نزلت قيمة الدار إلى نصف السعر، فلا يحق لك أن تقول لأبحث لي عن حجة لألغي المعاملة، (ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله)، عقد أبرمته وصار عهدًا لله (سبحانه وتعالى)، (إلى طلب انفساخه بغير الحق)، هناك فسخ بوجه حق وفسخ بغير وجه حق، والفسخ بالحق كما لو أنك وضعت شرطًا في متن العقد بأنّ لك أو للطرفين فسخ العقد خلال مدة محددة، فقمت بفسخه خلال هذه المدة، فهذا جائز، والفسخ بغير وجه حق أن العقد لا يتضمن هذه الفقرة، ولم يكن هناك ما يوجب الفسخ والتراجع، فلا يجوز الفسخ، وربما يحدث هذا كثيرًا في تعاملات البورصة، حينما تشتري سهمًا لشركة أو غيرها ثم يهبط أو يرتفع بعد ساعتين، فيأتي الطرف المتضرر يريد الفسخ، وهذا لا يجوز.

(فإنّ صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه): أن تصبر على هذا الضيق والخسارة وترجو الله أن يفرج عنك.

(وفضل عاقبته): وترجو العاقبة الحسنة حينما تلتزم بالعهود والمواثيق في الدنيا والآخرة، لما مرّ سابقًا من أن عقاب نقض العهود يأتي بسرعة ولا يتأخر، وهو من العقاب العاجل لا الآجل، فإذا أردت الخلاص من العقوبة الدنيوية والأخروية، فيجب عليك أن تتحمل الضيق، تتحمل الخسارة، وتمضي في هذا العقد والعهد.

(خير من غدر تخاف تبعته): من أن تغدر وتنقض العهد، ثم بعد ذلك تقع في العواقب الوخيمة.

(وأن تحيط بك من الله فيه طلبة، فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك): كن حذرًا من أن تنقض العهد، وتغدر بذلك العقد الذي عقدته مع الآخرين، ثم تأتي طلبة الله، عقوبة الله، بطريقة تجعلك تطلب الرجوع إلى العهد، والاستقالة هي الرجوع عن الشيء، (وأن تحيط بك من الله فيه طلبة)، يعني أن تتوجه لك من الله طلبة بالالتزام بالعهود والمواثيق، فلا تستقيل فيها، أي لا تستطيع فيها أن تتراجع وتعود إلى الالتزام بالعهود والمواثيق، فلا تستقيل فيها دنياك وآخرتك.

الإضاءات المستفادة من النص

الإضاءة الأولى: الدقة في تنظيم العقود والعهود

تنسيق العلاقة بين أعضاء أي منظومة قيادية، والبرامج التي تحقق أهداف هذه المنظومة، كلها تتطلب التزامات؛ تسمية الوصف الوظيفي، توزيع الواجبات والمهام، بيان مهام كل شخص ومسؤولياته وحقوقه، إلى غير ذلك من شؤون وأمور، وهذه فيها حقوق وواجبات لكل شخص، فيها بيان للمهام والالتزام على كل شخص، وفيها تحديد الفوائد والأطر والضوابط والمحددات التي يجب أن يلتزم بها كل شخص، وفيها تحديد للإيرادات والإنفاقات وما شابه ذلك من شؤون مالية أو غيرها، وكل هذه يجب أن تنظم بسياق معين، ومعاهدات وعقود، لكي لا يضيع حق أحد.

فإذا لم تتم صياغة هذه العقود والمعاهدات بشكل صحيح وواضح وبيّن وشفاف، وكتبت بطريقة ملتوية وفضفاضة، فإن هذا سوف يسبب الاختلاف عندما يفهم منها كل طرف شيئًا غير الذي يفهمه الآخر، وتصبح ورقة العقد هي السبب في خلافات كبيرة بين الأطراف، وقد تكون هذه الصياغة الركيكة نتيجة قلة معرفة، عدم خبرة، ولذلك يجب أن يتم اختيار خبراء وقانونيين متمكنين من صياغة العهود المعاهدات والعقود بطريقة تكون بعيدة تمامًا عن أي تفسيرات وتأويلات لاحقة، ففي كثير من الأحيان يكون ضعف الإمكانات العلمية أو العملية، هو الذي يوقع المتعاقد بكثير من الالتباسات والإشكالات، ونلاحظ في بلادنا في هذه السنين، أن الشركات العالمية لديها خبراء وتعرف كيف تصوغ العقود بطريقة تجر النفع لها لو حدث خلاف بين الحكومة والقطاع الخاص، بين الحكومة وشركة أجنبية، فحين تُرفع القضية إلى المحكمة يصدر الحكم لصالح الشركة، وليس لصالح الحكومة، لماذا؟ لأننا لم ندقق في الصياغة، ودائمًا ما يكون الطرف الآخر أقدر على الصياغة الأدق، إذ وضع في متن العقد نقاطًا تعطيه الحق في حالة حصول نزاع وخلاف مع الطرف الآخر، وهذا خلل، وعلينا أن نأتي بالخبير

القانوني الذي يستطيع أن يصوغ العبارات بشكل صحيح، ويثبت حقنا بشكل سليم، وبدونها ستكون هناك أضرار كبيرة وفادحة تصيب المنظومة القيادية.

(ولا تعقد عقدًا تجوز فيه العلل)، لا تكتب عقدًا ذا صياغات مرتبكة، يجوز فيه التحايل والتأويل إلى غير ذلك، فيجب في العقد أن يتضمن كل التفاصيل بدقة، وأن يكون العقد ملمًا بكل الجوانب بشكل علمي وواضح وشفاف، لا يدع مجالًا للتلاعب بأي شكل من الأشكال، ولا يحتمل التأويل أو التنصل منه في وقت لاحق، ولا يفتح مجالا للاستغلال من قبل من يريد أن يتراجع أو ينقض العقد بشكل أو آخر.

الإضاءة الثانية: ضرورة تجنب تأويل العقود والمعاهدات بعد إمضائها

يجب علينا قبل إمضاء العقود السؤال والاستفسار عن كل كلمة وفقرة فيها، لأنه بعد الإمضاء عليها يصبح العقد ناجزًا، ولا يجوز لك أن تؤول وتحاول التملص من هذه العقود التي أبرمتها مع الآخرين، فلا يجوز نقض العهود والمواثيق والمعاهدات بسبب خسارة لاحقة تطرأ، أو خلل في العقد يُكتشف، لأنّ العقد قد أُبرم وانتهى، وكان عليك أن لا تنسى أن تكتب ما تريد، وكان عليك أن تأتي بخبير ليضع الأمور في سياقها الصحيح، أما أن تبحث بعد الخسارة عن تأويل، عن تحايل تنقض به هذا العقد، فهذا لا يجوز، (ولا تعولنّ على لحن القول بعد التأكيد).

بعد حرب صفين والصلح الذي أُبرم على يد أبي موسى الأشعري، خسر المسلمون خسارة كبيرة، لأنه كان وثيقة صيغت بطريقة ركيكة وهشة، استفاد منها جيش معاوية، وخرج جيش أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ المنتصر عسكريًا؛ خاسرًا في هذه المعاهدة.

ذكر الدينوري ـ المتوفى سنة (٢٨٢) هجرية ـ في كتابه الأخبار الطوال كلامًا لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في حكم نقض العقد الذي أبرمه أبو موسى الأشعري ممثلًا عن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ مع عمرو بن العاص ممثلًا عن معاوية، قال: «وأقبل سليمان بن صرد الخزاعي، إلى علي مضروبًا على وجهه بالسيف، فقال: يا أمير المؤمنين، أما لو وجدت أعوانًا ما كتبت هذه الصحيفة»، كيف تقبل أن نقرّ هذا الصلح المهين والمذل والمخزي للمسلمين ونحن منتصرون، فكيف نخرج مغلوبين بعد كل هذه التضحيات؛ خمسة وعشرين ألف شهيد؟ فدعنا ننقض هذا الصلح؟.

قال الدينوري: «وقام محرز بن خنيس بن ضليع، إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين، أما إلى الرجوع عن هذا الكتاب سبيل؟ فوالله إني لخائف أن يورثك ذلًا، فقال علي:

أبعد أن كتبناه ننقضه؟»[٢٠٧]، يستنكر عَلَيْهِ السَّلَامُ عليهم هذا الكلام، فنقض العهود لا يجوز حتى لو خُدع صاحبنا أبو موسى الأشعري، حتى لو خسرنا، أردت عبد الله بن العباس ولكنكم لم تقبلوا وأصررتم على أبي موسى الأشعري، وكنت أعلم أنه ليس كفؤًا لعمرو بن العاص، وأنه لا خبرة له في التفاوض، واخترت أيضًا مالكًا الأشتر، ولم تقبلوا أيضًا وقلتم إن هذا رجل منك، ونحن نريد رجلا محايدا، ويقف على مسافة واحدة منك ومن معاوية، وأصررتم على أبي موسى الأشعري، فكان الذي كان[٢٠٨]، إذن حتى لو كنا غير راضين ومغبونين ومظلومين وكان الصلح مذلًا، فما دمنا وقّعنا فلا تراجع.

ورد في سيرة ابن هشام في صلح الحديبية، أن صلح الحديبية الذي عقده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع مشركي قريش، تضمن بنودًا لصالح المسلمين، وبنودًا ظاهرها لصالح المشركين، فقد شرط المشركون أن أي مسلم يهاجر من مكة إلى المدينة، يجب عليهم أن يرجعوه ويسلّموه إلى قريش، ووافق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على هذا الشرط، ووقعوا عهد الصلح، وبعد الإمضاء على الصلح، سمع أبو جندل بن سهيل بن عمرو، وكان مسلمًا وسجينًا في مكة، أن المسلمين قد جاؤوا إلى الحديبية، ففرّ من السجن، وجاء بأغلاله وقيوده إلى الحديبية، ليلتحق بالمسلمين وينجو بنفسه، ولكنه وصل بعد الاتفاق وبعد التوقيع، فرآه سهيل بن عمرو الذي كان مندوب قريش في هذه المفاوضات، فألقى القبض عليه، وقال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يا محمد، قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا؟ قال: صدقت»، أي أبرمنا الصلح وصار نافذًا قبل أن يصل إليك هذا، وجعل يجر أبا جندل ليرجعه إلى قريش، وكان هذا كبيرًا على المسلمين، «وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أأُردّ إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإنّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا، إنّا عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم»[٢٠٩]، الفرج قريب، ولكن يجب أن تذهب معهم الآن، وبالفعل لم تمر سنة واحدة حتى عاد المسلمون إلى مكة فاتحين، هكذا يكون الالتزام بالعهود والمواثيق.

٢٠٧. الأخبار الطوال: ١٩٧.

٢٠٨. انظر: كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٩٨ ـ ٤٩٩.

٢٠٩. السيرة النبوية ٣: ٧٨٣.

الإضاءة الثالثة: الصبر على الالتزام بالعقود والعهود

يجب الصبر على الالتزام بالعقود المبرمة، والعهود الناجزة، حتى لو تبيّن أن فيها خسارة؛ لأنّ العقد بين طرفين، وأنت تفكر فقط متى تربح، وإذا خسرت ترغب بأن تنقض الاتفاق، فلماذا تعاقد الطرف الآخر معك، أليس هو يطلب الربح مثلك؟ فإذا ربح فقد خسرت، وإذا خسر فقد ربحت، هذه هي طريقة العقد، فبالتالي سوف يخسر أحد الطرفين، ولذا عليك أن تضبط أمرك، وتدرس الموضوع جيدًا، ولكن إذا وقّعت فيجب أن تتحمل النتائج، ولا بد من أن تصبر، (فلا يدعونك ضيق أمر، لزمك فيه عهد الله، إلى طلب انفساخه بغير الحق)، كل عهد مع الناس يتضمن عهدا مع الله (سبحانه وتعالى)، ولا يجوز نقضه، ويجب الصبر على العهود والعقود حتى لو كانت هناك خسارة لأحد الطرفين، ولكن هذا الصبر خطوة فيها حصافة، فيها حكمة، وفيها رضا الله (سبحانه وتعالى)؛ إذ تخسر جزئيًا ولكنك تربح، والمجتمع يربح، الثقة والأمان والاستقرار، والكل يثق في الكلام ويمضي ويتعاقد، فالمصلحة أعظم من أي خسارة جزئية تحصل لك في هذه القضية أو تلك، (فإنّ صبرك على ضيق ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته).

لاحظوا ما قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في نهج البلاغة: «وما يغدر من علمَ كيف المرجع»[٢١٠]، الذي يعلم إلى أين المآل والعاقبة لا يغدر، ولذلك فإن نقض العهود والمواثيق والعقود يعد محقًا للإيمان، إذ يزول الإيمان من قلب الإنسان، ويسقط الإنسان عن مقام إنسانيته، وهو يعبّر عن انحطاط وسفالة أجلّكم الله.

وفي شرح غرر الحكم: قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الغدر أقبح الخيانتين»[٢١١].

وفي المصدر نفسه: «الغدر شيمة اللئام»[٢١٢].

وفيه أيضًا: «إياك والغدر، فإنه أقبح الخيانة، وإنّ الغدور لمهان عند الله»[٢١٣].

٢١٠. نهج البلاغة ١: ٩٢ الخطبة ٤١.
٢١١. شرح غرر الحكم ٢: ٢٨.
٢١٢. شرح غرر الحكم ٢: ٧٩.
٢١٣. شرح غرر الحكم ٢: ٢٩٦.

اسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يجعلنا ممن يلتزم بالعهود والمواثيق والعقود ولا يتراجع عنها ويبقى عند كلمته، كيفما كانت الأمور، وحتى لو خسر هنا أو هناك، فإنّ الالتزام بالكلام والعهود والعقود منهج إسلامي أصيل يجب أن نتمسك به.

، وللحديث صلة تأتي تباعًا، والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحاضرة السادسة عشرة بتأريخ ٢٠٢٠/٥/١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين، تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار، و أعظم الله أجورنا وأجوركم باستشهاد سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين علي ابن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه) وأسأل الله أن يجعلنا وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الفضيل، وأن لا نكون من المحرومين.

كنا متنعمين من بداية هذا الشهر الفضيل بالتعرف أكثر على معارف أهل البيت و معارف أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، وكان حديثنا في عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر حين ولاه مصر، وذكرنا أن هذا العهد يمثل اختزالا لنظرية القيادة والإدارة في الإسلام، وكنا نتحدث في المقطع السابع والعشرين من مقاطع هذا العهد، حيث الحديث عن السلم والحرب وأحكامهما، ذكرنا أن الأساس في الرؤية الإسلامية هو السلام، والحرب ضرورة، ثم انتقلنا للحديث عن العقود والمعاهدات وضرورة أن يلتزم الإنسان بما يتعاقد به أو ما يتعاهد عليه وأهمية التدقيق في صياغة هذه العقود والمعاهدات بالطريقة التي تنظم العلاقة بين أبناء المجتمع، بين الحكومات، وبين الدول على اختلاف المستويات.

العنوان الثالث : استخدام القوة والقتل وسفك الدماء

ينتقل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا المقطع للحديث عن جانب آخر في إطار السلم والحرب، هو مسألة استخدام القوة والقتل وسفك الدماء، وما هو المستنكر من ذلك، وما هو الجائز، وما هي حدوده. ونظرًا لطول هذا المقطع شيئًا ما، فقد قسمته إلى

ثلاثة أقسام، ولكل قسم إضاءات ورسائل خاصة به، لكي نستوفيه بالنقاش والتداول والتدقيق.

القسم الأول: التحذير من سفك الدماء في غير حلّها

وهو قسم مهم وحساس، يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(وإياك والدماء وسفكها بغير حلّها): إذن هناك دماء تسفك بحلّ، بحق، كما في القصاص عند الإفساد في الأرض؛ حينما ينحرف الإنسان إلى مستوى يكون فيه وجوده وحياته سببا في تدمير حياة الآخرين، وهذا ما سيتحدث فيه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لاحقًا، ولكن المبنى العام والأساس هو عدم سفك الدماء، وعدم القتل.

(فإنّه ليس شيء أدعى لنقمة): لا يوجد شيء يدعو إلى النقمة، إلى العذاب، إلى العقوبة.

(ولا أعظم لتبعة): ولا شيء أعظم في عواقبه وتبعاته.

(ولا أحرى بزوال نعمة): ولا يوجد شيء أحرى، أليق، أقرب إلى أن يتسبب بزوال النعم.

(وانقطاع مدة): ولا يوجد شيء أكثر تأثيرًا في زول الحكم، في انهيار النظام، في سقوط النظام والحاكم في المنظومة القيادية وانتقالها إلى آخر.

(من سفك الدماء بغير حقها): لا يوجد شيء أعظم من سفك الدم بغير وجه حق، فهو الذي يتسبب بكل هذه الأمور؛ يأتي بالنقمة والعقوبة والعذاب الإلهي، ويترك التبعات الكبيرة والخطيرة والعواقب الوخيمة، ويزيل النعمة، وينهي السلطة، ينهي الحكم، ينهي النظام، هذه عواقب سفك الدماء بغير حق.

(والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد): أول ما يحاسب عليه يوم القيامة، أول ما يبتدأ به الحساب يوم القيامة.

(في ما تسافكوا من الدماء يوم القيامة)، أول ما يحاسب عليه الإنسان في يوم القيامة هو سفك الدماء، من هو القاتل؟ من سفك دمًا؟ هذا أول من يحاسب في يوم القيامة.

الإضاءات المستفادة من النص

الإضاءة الأولى: حق الحياة للإنسان

يشير هذا النص بوضوح إلى أن الأساس هو أن يعيش الناس، فحق الحياة حق ذاتي للإنسان، ويجب الحفاظ عليه وحمايته وصيانته، ويجب أن يشعر الإنسان في المجتمع

بأن حياته مصانة، وأنه يجب أن يعيش في أمان واستقرار، وأن لا تتعرض حياته وحياة ذويه إلى الخطر، وقد يكون معترضًا، وقد يجهر باعتراضه، وقد يخالف السلطة في بعض التفاصيل، ولكن كل ذلك يجب أن لا يمنع من أن يعيش حياته بدون قلق على نفسه، فإنّ سلب الحياة من الناس، الاعتداء على حياة الناس بغير وجه حق، له آثار وخيمة.

لاحظوا قول الله (عز وجل) في سورة المائدة: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[٢١٤].

هناك سببان يجوز فيهما القتل:

الأول: القصاص، ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾، ويتحقق في القتل العمد دون القتل غير العمد، فالقاتل العامد فقط يُقتص منه، دون القاتل عن خطأ وغير عمد، فعليه الدية ولا يُقتص منه.

السبب الثاني: الإفساد في الأرض، ﴿أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، فالمفسد في الأرض ـ بشروط ومحددات معينة ـ يجوز قتله، والمفسد هو من هدد الأمن العام بشهر السلاح وإخافة المواطنين، وهذا القتل بحق من شأنه إعادة الصلاح والإصلاح إلى المجتمع، لأنه إن كان قصاصًا فهو قتل بحق، وإن كان بسبب إفساد في الأرض ضمن شروطه فهو قتل بحق أيضًا.

ولكن ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾، من قتل شخصًا واحدًا فقط بغير حق، فهو بمنزلة من قتل جميع الناس، من آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أي قتل الإنسانية جميعها، وفي مقابل ذلك، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾، من صان دم شخص واحد، من حفظ نفسًا واحدة ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾، فكأنه حافظ على حياة الناس كلها، بمنزلة إحياء الإنسانية جميعًا.

إذن تتجلى أهمية حرمة حق الحياة في المنظومة القيمية للإسلام في حفظ حياة الناس وأرواحهم، وهي من الأهمية ما تجعل تفويت فرصة حق الحياة لشخص واحد وتغييبها، يعادل تغيب حياة الناس جميعًا، فمن يقتل فردًا واحدًا فكأنما قتل الناس جميعًا.

لماذا قتل إنسان واحد يعادل قتل البشرية بأسرها؟ ولماذا إحياء إنسان واحد يعادل إحياء البشرية بأكملها؟ ما هي فلسفة هذا الحكم؟ والجواب:

---

٢١٤. سورة المائدة: الآية ٣٢.

أولًا: إن من يقتل إنسانًا واحدًا بغير حق يتجرأ على قتل الناس جميعًا، فإنّ القاتل، سواء كان فردًا أو جماعة كانوا شركاء بهذا القتل ضمن إطار مجموعة مسلحة أو الحكومة في معناها الأوسع، إذا قتل شخصًا بغير وجه حق، فسوف يأتي بمبررات لممارسته القتل، كأنّ يقول: هذا تكلّم ضدي، أو هذا كتب ضدي بالفيس بوك، أو هذا فعل كذا معي، وهكذا يخلق ألف مبرر للقتل، فكل من يقتل بلا سبب دائمًا ما يأتي بتبريرات معينة غير مقبولة، وغير مقنعة، وهذا الذي يقتل بمثل هذه الأعذار سوف يُقدِم على قتل آخرين بنفس هذه الاعذار، فيقتل الأول والثاني والثالث والرابع والعاشر، والذي تتعود يده على استخدام الزناد يهون القتل عنده لكل من يفتح فمه معه، ولكل من يعترض عليه، هذه الثقافة والمنهجية التي تعدم حياة إنسان واحد، هي ذاتها قادرة على أن تعدم حياة الثاني والثالث والعاشر والألف، فتقتل مجتمعًا بأسره، ويتحول هذا القاتل إلى إنسان خطير على المجتمع، يمكن أن يختلق أي عذر ويعدم حياة أي إنسان، وهذه مشكلة كبيرة، ولا حلّ لها غير القصاص.

ثانيًا: إن المجتمع هو حقيقة واحدة، وله أحكام موحدة، فمن يقتل نفسًا واحدة فكأنما قتل الجميع، والاعتداء على شخص واحد هو اعتداء على المجموع؛ لأنّ الأحكام أحكام موحدة، ولا يوجد شيء أعظم من حرمة القتل، وإراقة الدماء بهذه الطريقة.

وبنفس المنطق في البعد الإيجابي؛ فإنّ من يهتم بحياة إنسان واحد، له مبررات تجعله يبذل المستحيل لينقذ حياة إنسان آخر، وسيستحضر المبررات نفسها لينقذ الثاني والثالث والرابع والعاشر، وهذا الذي عنده قيم، ومُثل، ومبادئ، ومحددات، وضوابط في إيقاع السلوك وضبطه، بنحو يجعله غير مستعد لقتل حتى الذي يعتدي عليه، بل ويحييه وينقذه، ومثل هذا الإنسان بنفس هذه القيم يمكن أن ينقذ حياة الثاني والثالث والرابع والعاشر، ولذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[٢١٥].

وفي هذا السياق يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»، هذا الذي يضع السنن الصحيحة، يضع تقاليد للعمل صحيحة، يغرس نبتة سليمة، يعلم الناس فكرة صحيحة، فله أجرها وأجر كل من يعمل بها، فإنه لولا تلك النبتة لما حصدت كل هذه الثمار، ولولا هذه الثقافة الصحيحة التي

٢١٥. سورة المائدة: الآية ٣٢.

أرساها لما سار الناس على هذا النهج، «ومن سنّ سنة سيئة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»[٢١٦]، يجب أن نكون حذرين جدًا إزاء القضايا التي فيها أبعاد يمكن أن تتسع وتشمل آخرين، سلبًا أو إيجابًا، في سنّة، في ثقافة، في كلمة، في موقف، في سابقة معينة، فإن كانت جيدة فسيبقى الأجر مستمرًا له، وهذا ما يسمى بالصدقة الجارية، فهي تُكتب له بعد وفاته أيضًا، فعندما يغادر إلى ربه وقد سنّ سنّة طيبة، وعمل بها آلاف أو ملايين الناس من بعده، فله نفس المقدار من الأجر الذي يحصل عليه الشخص العامل، وكذا الأمر في البعد السلبي ـ مع الأسف ـ أيضًا، فمن سنّ سنّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

ورد في كتاب الكافي الشريف، في باب القتل من كتاب الديات: عن حمران بن أعين، وهو أخو زرارة بن أعين، وقد كان عالمًا جليلًا ومن كبار الرواة، قال: «قلت للإمام أبي جعفر الباقر (صلوات الله وسلامه عليه): ما معنى قول الله (عز وجل): ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾؟ قال: قلت: وكيف ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ فإنما قتل واحدا؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: يوضع في موضع من جهنم إليه ينتهي شدة عذاب أهلها، لو قتل الناس جميعًا إنما كان يدخل ذلك المكان»، العذاب الذي يواجهه في ذلك المكان الذي في جهنم والذي يخصص له، هو مكان فيه من الألم والعذاب ما لو قتل الناس جميعًا لكان فيه. «قلت: فإن قتل آخر؟ قال: يضاعف عليه»[٢١٧]، حسنًا، لقد قتل شخصا واحدا وحصل على عذاب كهذا، فمن أي شيء يخاف بعده؟ سيقتل الثاني والثالث والعاشر، وفي المثل الشعبي: (المبلل ما يخاف من المطر)، فإذا كان من قتل شخصا واحدا، له عذاب من قتل الناس جميعًا، فما الذي يردعه عن قتل الثاني والعاشر والألف إذا لم يترتب عليه عقاب إضافي؟ والجواب: أن من قتل فردًا واحدًا يعاقب كما لو قتل الناس جميعًا، فإن قتل اثنين فسوف يعاقب كما لو قتل الناس جميعًا مرتين، وهكذا كلما زاد العدد ضوعف له العذاب، فمن قتل إنسانًا واحدًا لا يتصور أنه نجا من عقاب قتل الثاني والثالث... كلا، لكل جريمة قتل من العذاب والعقوبة ما يعادل قتل الناس جميعًا.

٢١٦. بحار الأنوار ٧١: ٢٠٤، صحيح البخاري ١: ٧٤ ح٢٠٣.
٢١٧. الكافي ٧: ٢٧١ ح١.

الإضاءة الثانية: ضرورة تجنب سفك الدماء بغير وجه حق

(وإياك والدماء وسفكها بغير حلها)، تصل حرمة الدم إلى مستوى لا تجوز معه إراقة الدماء حتى مع التقية، فالحكم الشرعي هو جواز التقية إذا تعرضت حياة الإنسان إلى الخطر، والمقصود من التقية ـ كما عرّفها الفقهاء ـ هي «إظهار الموافقة مع الغير المعاند، قولاً أو عملاً، لأجل الاحتراز من الضرر»[٢١٨].

واستُدل لها بآيات وروايات كثيرة:

منها: قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةًۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾[٢١٩].

ومنها ما رواه المعلى بن خنيس قال: «قال لي أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا معلى اكتم أمرنا ولا تذعه، فإنه من كتم أمرنا ولم يذعه أعزّه الله في الدنيا، وجعله نورًا بين عينيه يقوده إلى الجنة، يا معلى إن التقية ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقية له، يا معلى إن الله يحب أن يُعبد في السر كما يحب أن يعبد في العلانية، والمذيع لأمرنا كالجاحد له»[٢٢٠].

فالتقية هي حكم يضطر إليه الإنسان المؤمن عندما تتعرض حياته إلى الخطر، فيخفي حقيقة ولائه لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ويظهر موافقة الحكام الظلمة، وينتقل إلى العمل بالسر لتقويض أركان الجور والكفر، وهو أسلوب متعارف عليه في العمل السياسي منذ القدم.

فقد رُوي عن الإمام الصادق أيضًا أنه قال: «ما بلغت تقية أحد تقية أصحاب الكهف، إن كانوا ليشهدون الأعياد ويشدون الزنانير، فأعطاهم الله أجرهم مرتين»[٢٢١].

والإنسان هو الذي يقدّر المصالح العامة العليا، ويقدّر الحفاظ على الأسرار، ويقدّر الحفاظ على حياته، والتقية تجوز لحقن دم الإنسان نفسه، ولكن لها حدود، وحدّها أن لا تكون على حساب دماء الآخرين، فإذا كانت التقية تعرّض حياة إنسان آخر للخطر،

٢١٨. مائة قاعدة فقهية: ١٠٢.
٢١٩. سورة آل عمران: الآية ٢٨.
٢٢٠. وسائل الشيعة ١٦: ٢١٠ ح٢٤.
٢٢١. وسائل الشيعة ١٦: ٢١٩ ح١.

فلا تقية حينئذ، ومثال ذلك: لو أعطاك شخص مسدسًا وطلب منك أن تقتل شخصًا آخر، فهنا لا تقية، ولا يجوز قتل هذا الإنسان بذريعة التقية؛ لأنّ الأساس في تشريع التقية هو لحفظ الدماء، فإذا وصل الأمر إلى سفك دماء الآخرين فلا تقية، ولا يجوز لك أن تقتله، لأنه لا فرق حينئذ بينك وبينه.

ورد في كتاب الكافي الشريف عن الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه)، قال: «إنما جُعلت التقية ليحقن بها الدم، فإذا بلغ الدم فليس تقية»[٢٢٢]، فلا معنى للتقية حينئذ.

إذن الدم هو الخط الأحمر، سفك الدماء هو الخط الأحمر، ويجب أن لا يُعتدى عليه من الأشخاص، أو الجماعات، أو الحكومات، ولكن إراقة الدم من الحكومات أشد خطورة من إراقته من قبل شخص أو عشيرة أو ما شابه ذلك؛ لأن الحكومة عندها غطاء كبير، إمكانات واسعة، عندها جهاز قضائي، عندها سجون، وتستطيع أن تأتي بأكبر رأس وتلفق له تهمًا وتعاقبه، والسبب الحقيقي هو معارضته للحكومة، ولكنها تحاكمه بتهم لا علاقة لها بمواقفه من النظام، وتسلبه الحياة بغطاءات وتبريرات كثيرة أخرى.

فإذا اعتادت الحكومة التساهل بالدماء، بالقتل والإعدام، تحت مثل هذه الغطاءات، فهو من أخطر الأمور؛ لأنه سفك للدماء بغير وجه حق تحت ستار القانون، فيُقتل بجريمة قتل لم يرتكبها، أو بتهمة التعامل مع دول أخرى، وغيرها من التهم الملفقة، والواقع أنه يُقتل باسم القانون لأنه معارض للحاكم، أو لجماعة نافذه بالحكومة، فيتم الضغط على القضاة لتمرير أحكام الإعدام بحق هذا وذاك، أو العكس حينما تعطل أحكام الإعدام بآخرين يستحقونها؛ لأنهم من جهاز السلطة، أو من أدوات القمع فيها.

فلا بد من وضع محددات صارمة وشروط دقيقة ومراحل متعددة ورقابة وإشراف دقيقين لكي تكون قضية الإعدام صعبة ومعقدة جدًا، لا يستسهلها أي قاض في أي قضية، فيجب أن تكون الأمور على أشد حال من التدقيق والصرامة، لكي لا تفلت الأمور من الحكومة.

ورد في كتاب الكافي عن الإمام أبي جعفر الباقر (سلام الله عليه)، قال: «ما من نفس تُقتل، برّة ولا فاجرة، إلا وهي تُحشر يوم القيامة متعلقة بقاتله بيده اليمنى، ورأسه

٢٢٢. الكافي ٢: ٢٢٠ ح١٦.

بيده اليسرى، وأوداجه تشخب دمًا»، أي إنسان يُقتل، سواء كان برًا أو فاجرًا، وسواء قُتل بحق أو بغير حق، يأتي يوم القيامة ودماؤه تسيل، وكأنه في اللحظة التي قُتل فيها، يمسك القاتل بيده اليمنى، ويمسك رأس القاتل بيده اليسرى، ويجره في يوم المحشر بين يدي الله (سبحانه وتعالى).

«يقول: يا رب سل هذا فيمَ قتلني؟ فإن كان قتله في طاعة الله»، قد يكون قتله في معركة حقة، أو كان مفسدًا في الأرض، أو قُتل لقصاص أو لأي جريمة استحق بها القتل.

«فإن كان قتله في طاعة الله أثيب القاتل الجنة»، يجزيه الله بدخول الجنة.

«وذهب بالمقتول إلى النار، وإن قال في طاعة فلان»، في يوم الحساب، لا يستطيع أحد أن يكذب؛ لأنّ الله (سبحانه وتعالى) يُخرس ألسنتهم، وتنطق أيديهم وأرجلهم وجلودهم، كما أخبر بذلك القرآن الكريم، ولذلك عندما يُسأل المجرم يوم القيامة يأتي الجواب كما هو في الحقيقة، لأنه يفقد السيطرة على جوارحه، فلا يستطيع أن يحرّف ويغيّر ويكذب، فهذه تحصل في الدنيا، ولا يمكن أن تحصل في الآخرة، فعندما يُسأل لماذا قتلته؟ يقول: قتلته لحساب فلان بن فلان، أو فلان من الناس أمرني، أو لكي أُرضي فلانًا، فهناك من الناس من يبيع آخرته بدنيا غيره، وهناك من يبيع آخرته بدنياه، وهو أهون من سابقه، لأنه يستمتع بدنياه بنفسه، ولكن أن يبيع آخرته ليستمتع الآخر بدنياه، فتلك هي الطامة الكبرى.

«وإن قال في طاعة فلان»، قتلته من أجل فلان، «قيل له: اقتله كما قتلك»، اقتله بنفس الطريقة التي قتلك بها، «ثم يفعل الله عز وجل فيهما بعد مشيئته»[٢٢٣].

وورد في المصدر نفسه أيضًا، عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه)، قال: «إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقف بمنى حين قضى مناسكها»، بعد انتهاء المناسك في منى.

«في حجة الوداع»، في آخر سنة من حياته الشريفة.

«فقال: أيها الناس اسمعوا ما أقول لكم، واعقلوه عني، فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم في هذا الموقف بعد عامنا هذا»، لا تستطيعون رؤيتي بعد هذا الوداع، ولا استطيع أن أقف معكم هذا الموقف لاحقًا، ومن أوصى ذويه وهو ملقى على فراش الموت،

٢٢٣. الكافي ٧: ٢٧٢ ح٣.

يكون التركيز لسماع ما يقول أكبر، والإصغاء بإمعان أكثر، فكيف إذا كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو المتكلّم؟.

«ثم قال: أي يوم أعظم حرمة؟ قالوا: هذا اليوم»، إذ لا أعظم من يوم عرفة.
«قال: فأي شهر أعظم حرمة عند الله؟ قالوا: هذا الشهر»، شهر ذي الحجة.
«قال: فأي بلد أعظم حرمة؟ قالوا: هذا البلد»، مكة المكرمة، التي شُرفت بالكعبة والبيت الحرام، إذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ اختار أعظم يوم في أعظم شهر، وبقعة في أعظم بلد، ليخبرهم بأعظم كلام.
«قال: فإنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقونه»، لا يجوز التعدي على أموال الناس ولا على أرواحهم.
«فيسألكم عن أعمالكم»، سوف يأتي ذلك اليوم الذي تقفون فيه بين يدي الله، ويسألكم عن كل مال مددتم أيديكم إليه، وعن كل دم سفكتموه.

«ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد، ألا من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، فإنه لا يحل دم امرئ مسلم ولا ماله إلا بطيبة نفسه»، حتى المأخوذ حياء فهو كالمأخوذ غصبًا، كما نراه عند بعض ضعاف النفوس الذين ما إن يروا شيئًا عند الآخرين كمسبحة نفيسة أو خاتم نفيس، حتى يقولوا لصاحبها: دعنا نرها، يا لها من مسبحة جميلة أو خاتم جميل! ثم يطلبون بوقاحة إهداءها لهم، وهذا المؤمن من حيائه يقول لهم: تفضلوا، وهذا حرام لا يجوز؛ لأنه مأخوذ حياء، وهو بمنزلة المأخوذ غصبًا، فلا تحرج الآخرين بمطالب وقضايا من هذا النوع، وأنا شخصيًا عندي خاتم واحد، و أعتز به كثيرًا؛ لأنه هدية من شهيد المحراب، أهداه لي بمناسبة زواجي، وهو خاتم أبيه، عن أجداده، ولهذا الخاتم تأريخ، وهو خاتم غير عادي، وعندما يأتي الناس ليسلموا عليّ يطلب البعض منهم هذا الخاتم، فأضطر في كل مرة لأن أقول هو هدية من شهيد المحراب، ولا أستطيع أن أعطيك إياه، وأقع في الإحراج في كل مرة لأني لا أستطيع إهداءه لأحد. فمن الإحراج أن تطلب من الناس أشياء تخصهم، يكونون أحيانًا معتزين بها، وأحيانًا يكون فيها بعد معنوي لهم، وأحيانًا لهم فيها ذكرى من حبيب أو شخص معين، ولذا يجب أن يدقق في هذا الأمور.

«فإنه لا يحلّ دم امرئ مسلم ولا ماله إلا بطيبة نفسه، ولا تظلموا أنفسكم، ولا ترجعوا بعدي كفارا»[٢٢٤] لا تتركوا الإسلام بمجرد أن أرحل إلى ربي وتخرجوا منه،

٢٢٤. الكافي٧: ٢٧٣ ح١٢.

وترجعوا كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض، كما كنتم سابقًا قبل أن يمنّ الله تعالى عليكم بالإسلام.

الإضاءة الثالثة: العواقب الوخيمة لإراقة الدماء بغير حق

يستعرض أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ خمس عواقب وخيمة لسفك الدماء بغير حق:

الأولى: أن سفك الدماء يعرّض صاحبه إلى العقوبة الإلهية، الانتقام الإلهي، العذاب الإلهي.

الثانية: تترتب على إراقة الدماء أعظم التبعات والعواقب.

الثالثة: إراقة الدماء من أوضح الأسباب لزوال النعمة، فالإنسان في مرحلة ما من حياته يعيش حياة طيبة؛ لديه زوجة وأولاد صالحون، وحياة طيبة، وبيت جيد، ومقبولية حسنة بين الناس، ولكن فجأة يتعكر صفو دنياه، وينقلب عاليها سافلها؛ فتمرض زوجته وأولاده، وتحترق داره، ويخسر عمله، وتنتشر عنه شائعة بين الناس فيعرضون بوجوههم عنه، فيفقد كل هذه الأشياء مرة واحدة، وتزول النعم التي وهبها الله تبارك وتعالى له، وكل ذلك بسبب التساهل في سفك الدماء.

الرابعة: يسبب التهاون في إراقة الدماء بغير وجه حق سقوط الأنظمة الحاكمة، وفقدان المكانة الاجتماعية والموقع الوظيفي الذي كان المسؤول فيه، كل بحسب موقعه؛ هذا آمر في فوج، وذاك مسؤول في وزارة، وذلك قائد في تيار سياسي... إلى آخره، تجري عليهم سنن الحياة، أو إذا كان حكومة ونظاما سياسيا فسوف ينهار، حينما تخرج الناس وتحتج عليه، ومعنى ذلك أن هناك إراقة دماء بغير وجه حق.

الخامسة: أن أول ما يحاسب عليه في يوم القيامة هو مسألة الدماء؛ (فإنه ليس شيء أدعى لنقمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقها، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد في ما تسافكوا من الدماء يوم القيامة).

لاحظوا ما ورد في كتاب الكافي، الحديث الثاني من باب القتل: عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر الباقر (صلوات الله وسلامه عليه)، قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أول ما يحكم الله فيه يوم القيامة الدماء، فيوقف ابنَي آدم فيفصل بينهما، ثم الذين يلونهما من أصحاب الدماء، حتى لا يبقى منهم أحد»، تعالج وتحسم كل قضايا القتل أولًا، ثم ينظر في ما دون القتل مما تنازع فيه الناس.

«ثم الناس بعد ذلك»، ثم يأتي حساب الناس في القضايا الأخرى.

«حتى يأتي المقتول بقاتله فيتشخب في دمه وجهه»، يسيل دمه على وجهه.

«فيقول هذا قتلني، فيقول: أنت قتلته؟ فلا يستطيع أن يكتم الله حديثًا»[٢٢٥]، يقول: نعم قتلته، إن كان بحق أو كان بباطل كما قرأنا في تلك الرواية، إذن أول ما يحاسب عليه يوم القيامة هو موضوع القتل وسفك الدماء.

القسم الثاني: خطورة تدعيم الحكم بسفك الدماء

القسم الثاني من هذا المقطع المهم يتحدث عن خطورة تدعيم الحكم بإراقة الدماء، فالفكرة السائدة منذ القدم أن سفك الدماء هو السبيل الأمثل للبقاء في الحكم مدة أطول، فإن تريد الاستمرار في الحكم فما عليك إلا أن تضرب أعناق من تسول لهم أنفسهم معارضتك، وعندها سيستقر كل شيء بمكانه، وستحكم مطمئنا إلى نهاية حياتك، وأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا يحذر من هذا المنهج، ويبيّن أنه منهج خاطئ، يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(فلا تقوينّ سلطانك بسفك دم حرام): لا تحاول أن تقوي سلطانك، سطوتك، تأثيرك، بالقتل وسفك الدماء بغير وجه حق، وكل من يفتح فمه بانتقاد النظام فليس له إلا السيف وتجتث رأسه، مهما كانت منزلته ووظيفته، من داخل النظام أو من خارجه، ومهما كان ذلك الاعتراض صغيرًا وتافهًا، فينال القتل الوزير والمدير وكاتب التغريدة والذي سرّ لبعض أصدقائه حديثًا تُشم منه رائحة المعارضة، بل قد يصل حكم الإعدام عند بعض الطغاة إلى من رأى حلمًا أنه صار ملكًا أو رأى أن الملك سقط من عرشه، ولا فرق في ممارسة القتل بين من كان يعيش في منطقة قريبة من مركز الحكم، ومن يعيش في منطقة نائية في أطراف المملكة، ليكونوا عبرة لغيرهم، وتعيش الناس حالة من الهلع والخوف الشديد من التعرض أو السماع لحديث يتعلق بسلبيات النظام الحاكم، ويقابل هذا المنهج منهج آخر يدعو إلى سعة الصدر في التعاطي مع هذه الأمور، ويعتبر سفك الدم شيئًا عظيمًا تكاد السموات يتفطرن منه وتنهد له الجبال.

(فإنّ ذلك مما يضعفه ويوهنه): يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لأصحاب هذا المنهج: أتحسب أنك تقوّي حكمك بإراقة الدماء وقتل الناس بغير وجه حق؟ بل على العكس

٢٢٥. الكافي ٧: ٢٧١ ح٢.

من ذلك؛ فإنّ هذا من شأنه أن يضعف الحكم ويوهنه؛ لأنّ الناقمين سيزداد عددهم يومًا فيومًا، ويتحولون إلى تيار عارم لا تستطيع الوقوف بوجهه.

(بل يزيله وينقله): يعني يزيل السلطة وينقل المُلك إلى أشخاص آخرين، ومن يعتقد بأنه سوف يستمر بحكمه من خلال إراقة الدماء فهو واهم، والتأريخ المعاصر خير شاهد على ذلك؛ فقد رأيتم ما حلّ بصدام وأعوانه بعد الجرائم المريعة التي ارتكبها بحق أبناء الشعب العراقي، ففي انتفاضة (١٩٩١) قتل خمسمائة ألف إنسان في أسبوعين، وكم قتل من قبلهم ومن بعدهم، فما كانت عاقبته؟ أخرجوه من حفرة ضيقة مستسلمًا ذليلًا، بهيئة أثارت دهشة كل من رآه، وكان يتوسل بالأمريكان أن لا يضعوه بأيدي العراقيين، وما كان مصير ولديه عدي وقصي؟ فقد قُتلوا شر قتلة في الموصل في الدار التي كانوا يختفون فيها بعد أن وشى بهم أحد المقربين منهم.

وأنا أتذكر يوم مقتل ولدي صدام عدي وقصي، وكان شهيد المحراب حينها ما زال على قيد الحياة، وعندما انتشر الخبر كنا في النجف، التي امتلأت سماؤها بالإطلاقات النارية ابتهاجًا وفرحًا وسرورًا بمقتلهما، فدخلت على شهيد المحراب، وكان جالسًا متأملًا في غرفته، وليس على وجهه أي أثر من آثار الفرح، فقلت لعله لم يسمع بالخبر، لأزف له خبر مقتلهما، فقلت له: سيدنا هل سمعتم بخبر مقتل ولدي صدام؟ قال: نعم سمعت، فزاد فضولي أكثر، فقلت له: سيدنا لا أرى على محياكم أي علامة للفرح والسرور؟ هؤلاء أناس ظلمة، والآن حصل بهم ما حصل، يُفترض بنا أن نكون فرحين وسعداء؟ ولا أرى ذلك ظاهرًا عليكم؟ فرفع رأسه وقال: يا عم، نحن لسنا أهل شماتة، ولا أهل ثأر، أنا الآن في لحظة اعتبار، أرى هؤلاء الذين كان العراق كله ضيعة من ضياعهم في يوم ما، والشعب العراقي عبيدًا لهم، هكذا ظلموا، هكذا تعاملوا، هكذا اعتدوا، هكذا تجاوزوا، وهكذا كانت نهايتهم، وهذه لحظة اعتبار، وليست لحظة فرح وإطلاق نار، نحن لسنا أهل تشفٍّ، لا نتشفى حتى بعدونا، وقد قمنا بمسؤوليتنا في الدفاع عن شعبنا، فوقفنا وضحينا وأعطينا كل شيء، ثم ذهبوا، وهذه هي سُنة الحياة، ويجب علينا أن نعتبر، فصُعقت جدًا من هذا الجواب؛ لأنه كان درسا كبيرا في حياتي الشخصية.

(فلا تقوينّ سلطانك بسفك دم حرام، فإنّ ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله)، فلولا تلك الدماء التي سفكها هذا الظالم لما انهار ملكه وسلطانه، ولبقوا متربعين على كرسي الحكم إلى يومك الحاضر، فالحمد لله الذي يهلك ملوكًا ويستخلف آخرين.

الإضاءات المستفادة من النص

الإضاءة الأولى: التحذير من محاولات تدعيم السلطة بسفك الدماء

التحذير من محاولات تدعيم الحكم والسلطة بسفك الدماء بغير وجه حق، بقتل الناس ظلمًا، وسيادة فكرة الحفاظ على المسؤولية، الحفاظ على الموقع، الحفاظ على الحكم، كل بحسب مستواه، بأي ثمن كان؛ أكسر هذا، أضرب ذاك، وبتقرير كيدي أكسر رقبة منافس على موقع، وأزيح فلانًا من مكانه، فالمهم أن أبقى في الكرسي، ووصل الأمر من أجل الحفاظ على المنصب إلى مستويات هابطة جدًا، فترى آمر سرية أو مسؤولا تنظيميا في منطقة صغيرة، يقلب الدنيا رأسًا على عقب، وتراه مستعدا لأن يفعل كل شيء من أجل الحفاظ على منصبه أو موقعه، هكذا تفعل وأنت مسؤول صغير في مجموعة عسكرية في منطقة نائية، فكيف بك لو كنت قائدًا عامًا للقوات المسلحة؟! والحقيقة أن هذه نفسيات ليست لها علاقة بحجم المسؤولية، فربما تجد مسؤولًا في مستوى عال من المسؤولية ليست لديه هذه الحالة، وفي المقابل تجد مسؤولًا في مستوى مسؤولية صغيرة جدًا، يريد أن يفعّل السلطة والنفوذ بأقصى قدر ممكن، ويقود الأمة على أساس ما يراه، هكذا يتعامل البعض.

إن فكرة ضرورة الحفاظ على الموقع، على الحكم، على السلطة، على الدور الذي هو فيه بأي ثمن كان، فكرة خطيرة قائمة على قاعدة الغاية تبرر الوسيلة؛ فما دامت الغاية هي السلطة، فكل شيء حلال ومباح، كل شيء جائز، كل شيء سائغ؛ أختلق أكاذيب، كل من ينافسني أكسره لكي أبقى أنا الرأس الأوحد، وهذا أمر خطير جدًا، يدفع الإنسان لارتكاب أبشع الجرائم، وصولًا إلى القتل، من أجل أن يحافظ على موقعه، على حكومته، وهذا أمر لم يرتضه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لنفسه، لم يرتضِ أن يُظلم أحد أو يُساء لأحد من أجل أن يبقى في السلطة، أو أن يكون حاكمًا، فلم يضَغط أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ على معارضيه لكي يبقى في السلطة، لم يفعل مثل هذا أبدًا.

لاحظوا ماذا يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «والله لئن أبيت على حسك السعدان مُسهّدًا»، حسك شوك السعدان، وهي نبتة فيها شوك شديد، وهي مؤلمة جدًا، وقد ورد أن سيد الشهداء الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يخرج في ليلة عاشوراء، ويمشط المنطقة المحيطة بالخيام، ويرفع حسك السعدان هذا، لكي لا تصاب ذراريه وبناته ونساؤه في اليوم التالي بهذا الشوك، إذا فروا حفاة، لأنّ وخزته مؤلمة جدًا، ويقول أمير المؤمنين

عَلَيْهِ السَّلَامُ، لو كان نومي على حسك السعدان، الذي يمنع الإنسان من النوم، والنوم على هذا الشوك هو لون من ألوان التعذيب الشديد، لأنّ الإنسان يطلب الراحة عند النوم.

«أو أُجرّ في الأغلال مصفدا»، أي مقيدًا في الأغلال.

«أحب إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالمًا لبعض العباد»، تحمُّل هذا العذاب الشديد أحب إلى علي بن أبي طالب من أن يكون ظالمًا لبعض الناس.

«وغاصبًا لشيء من الحطام»، أو يكون مستحوذًا على بعض المال العام أو بعض المال الخاص من أموال الناس.

«وكيف أظلم أحدًا لنفس يسرع إلى البلى قفولها»، البلى: الفناء، قفولها: رجوعها، أي كيف أظلم وأنا أعلم أن نفسي ذاهبة إلى الموت والفناء، من أجل شيء زائل لا بقاء له، فأرتكب هذه الظلامات بحق الآخرين، وأعتدي على حياة الآخرين، على أموالهم، على أعراضهم، على حرياتهم؟.

«ويطول في الثرى» في التراب، «حلولها»[٢٢٦]، هذه النفس سيطول مقامها في التراب، فهي ذاهبة إلى القبر وستبقى في التراب إلى يوم البعث والحساب، أفيعقل أن أرتكب كل هذه الجرائم من أجل هذه النفس؟.

ومن كلام له في السياق نفسه يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها»، الدنيا وما فيها، بل العالم كله وهو أعم من الدنيا.

«على أن أعصي الله في نملة أسلبها»، لا أن أقتل هذه النملة، أو أسجنها، بل أن أسلبها.

«جلب شعيرة»، وهي قشرة حبة الشعير، لا حبة الشعير؛ لأنها لا تستطيع أن تحملها، فلو أعطوني هذه الدنيا وما فيها لكي أظلم هذه النملة، بأخذ هذه القشرة من فمها.

«ما فعلتها»، لما فعلتها مقابل الدنيا وما فيها، لأن في ذلك ظلمًا لهذه النملة.

«وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها»، الدنيا عندي أقل قيمة من هذه الورقة التي لا قيمة لها أصلًا.

«ما لعلي ولنعيم يفنى، ولذة لا تبقى، نعوذ بالله من سبات العقل»، نومة العقل.

«وقبح الزلل»، السقوط إلى الهاوية.

«وبه نستعين»[٢٢٧] هكذا كان علي لا يقبل أن يظلم أحدًا من أجل موقع، ولا يقبل أن يعتدي على أحد، حتى لو كان هذا الاعتداء بسيطًا؛ هو أن يسلب نملة قشر شعيرة تحملها.

---

٢٢٦. نهج البلاغة ٢: ٢١٨ الكلام ٢٢٤.

٢٢٧. نهج البلاغة ٢: ٢١٨ الكلام ٢٢٤.

ومن كلام لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لما عوتب على التسوية في العطاء، بين الشريف والوضيع، بين الغني والفقير، بين أصحاب الوجاهات والناس البسطاء، وقد كانوا يرون أنه ينبغي أن يفعل كما فعل أسلافه في التمييز في العطاء، فلا يعطي الكل بالسوية، وقد ألفوا أن يُعطى البعض أكثر مما يُعطى الآخرون، فقد كانوا في عهد الخلفاء السابقين أصحاب تخصيصات وامتيازات، وكما يُطلق عليهم اليوم أصحاب درجات خاصة، ينبغي أن تُعطى لهم رواتب مضاعفة، فكيف يساوي علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بين الجميع في العطاء؟ فأجابهم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟»، يا أمير المؤمنين، هؤلاء البسطاء لا ينفعونك، والذين ينفعونك هم أبناء الطبقة المتنفذة، فهم يكتبون المقالات، وينظّرون في السياسات، ويخرجون على الشاشات، وهؤلاء هم الذين يصنعون الرأي العام، وهم الذين يرتقون المنابر، وهؤلاء وهؤلاء... فإذا أردت نجاح حكمك، فيجب عليك أن تميّزهم بالعطاء، كما كان يفعل الخلفاء السابقون، وستكون كل هذه الأصوات لك، فتزداد هيبة، وتكون لك مكانة أعظم.

«أتأمروني أن أطلب النصر بالجور» بظلم الناس وعدم المساواة بينهم.

«في ما وليت عليه؟ والله لا أطور به» لا أمر بهذا، ولا أقربه، ولا أريده.

«ما سمر سمير» أي مدى الدهر، ما دمت حيًا.

«وما أمّ نجم في السماء نجما» وما قصد نجم نجمًا آخر، ومتى يقصد النجم نجمًا آخر؟ مستحيل، لا يكون ذلك أبدًا.

«لو كان المال لي لسويت بينهم» لو كان المال ملكي خاصة، لعدلت بينهم في العطاء.

«فكيف وإنما المال مال الله، ألا وإنّ إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف»، فأعطي شخصًا خمسة أضعاف الآخرين، وهذا إسراف وتبذير، وقد حرّمهما الله تبارك وتعالى، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧﴾[٢٢٨]، وقال: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ١٤١﴾[٢٢٩].

«وهو يرفع صاحبه في الدنيا، ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الدنيا، ويهينه في الآخرة»، كيف يرفع صاحبه في الدنيا؟ لأنه سيجد ألسنة تكيل له المدح والثناء، وكيف يضعه في الآخرة؟ لأنّ الله (سبحانه وتعالى) لا يرضى بغير المساواة في العطاء بين عباده؛ لأنّ المال ماله والناس عبيده.

٢٢٨. سورة الإسراء: الآية ٢٧.

٢٢٩. سورة الأنعام: الآية ١٤١.

«ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه ولا عند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم»، هذا أثر وضعي لإنفاق المال في غير الوجه الذي يجب أن يُنفق فيه، بأن يصرف المال العام في غير موضعه، والأثر الوضعي لهذا العمل هو أن الله (سبحانه وتعالى) يحرمه شكرهم، فنرى من يقول: أنا حكمت العراق كذا سنة، أعطيتكم درجات خاصة، عيّنت منكم مدراء، أعطيتكم كذا من الأموال، وفعلت كذا وكذا، وكل ذلك لم ينفع، فلم يصوّت لنا هذا الشعب، ولم يقف إلى جانبي في الشدائد، وهذا أمر عجيب يذكره أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، إذ يسلبه الله شكرهم، وهذا أثر وضعي.

«وكان لغيره ودّهم»، دفع له ليصوّت له في الانتخابات، ولكنه ذهب وصوّت لغيره، إذ يجعل الله تبارك وتعالى الودّ لغيره.

«فإن زلت به النعل يومًا»، يعني إذا وقع يومًا من الأيام، بأن جاءته صفعة فأسقطته عن مكانته وموقعه.

«فاحتاج إلى معونتهم»، قد أقعدته الدنيا فاحتاج إلى مساعدة من كان قد عمل لهم معروفًا، أعرضوا بوجوههم عنه، ولم يردّوا له جميل ما أولاهم، فيصيح بهم: يا فلان ألم أجعل منك مديرًا عامًا بعد أن كنت موظفًا بسيطًا؟ يا فلان ألم أجعل منك وكيل وزير ولم تكن تحلم بذلك يومًا؟ وهكذا يبقى يستصرخهم واحدًا واحدًا من غير جدوى، ولا يجد آذانا مصغية، وهم عنه معرضون، وبه يستهزئون، فهذا يغلق هاتفه، وذاك يسدّ بابه دونه، وذلك يرفض لقاءه، وهكذا أصبح الجميع يتهرب منه بمجرد أن فقد منصبه وكرسيّه.

«فشر خليل، وألأم خدين»[٢٣٠]، الخدين يعني الصديق، فكل هذه الصداقات لا حقيقة لها، والهش والبش والضحك والكلام المعسول لا واقع لها، وكلمات التبجيل والاحترام وسيدي ومولاي ومعالي دولة الرئيس وفخامة الرئيس مجرد ألفاظ خاوية لا معنى لها في قاموس هؤلاء، وتتطاير بمجرد أن يفقد المسؤول منصبه، وما كان هذا الكلام منهم إلا وأنت تأمر وتنهى، وتعزل وتنصب، ولكن عندما تزاح عن الكرسي فهؤلاء غير مستعدين لأن يقفوا معك قدر أنملة، وأما الذي سيقف معك فهم هؤلاء الفقراء من الناس، الذين تركتهم وصرفت وقتك واهتمامك لهؤلاء الذين جاؤوك بحثًا عن مصالحهم، لا عن مصلحتك، وهم غير مستعدين لأن يضحوا من أجلك بشيء، لأنهم يريدون السلطة لهم، وانظروا إلى هذه الحكومة التي انتهت قبل أيام، فقد كانت خلال سنتين بقرة حلوبا لهم؛ أعطِ لبعض الكتل كذا، وأعطِ فلانًا كذا، وأعطِ وأعطِ

٢٣٠. نهج البلاغة ٢: ٦ ـ ٧ كلام ١٢٦.

وأعط، ولكن في اليوم الذي وقع فيه بمشكلة، وفقد منصبه، لم يقف معه أحد، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[٢٣١] فاعتبروا أيها الناس.

في حرب أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع القاسطين، أي في صفين مع معاوية وأزلامه، وقف وجهاء جيش أهل الكوفة يثبطون الناس عن القتال، هؤلاء الذين وقف لهم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كل تلك الوقفات المشرفة، وأنقذهم من الشرك إلى الإسلام، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الذل إلى العز، ومن الفقر إلى الغنى، تركوا عليًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - إلا القليل - واستجابوا للمتخاذلين، الذين اتصلوا بمعاوية سرًا وتعهدوا له بتثبيط الناس عن القتال، وأخذوا يشككون في شرعية القتال، وفي جدوى قتال جيش الشام، بعد كل هذه التضحيات، ومصيرنا الذبح لو قاتلناهم، فمارسوا دورًا تخريبيًا في تصديع وحدة الصف وتشكيك الناس بقيادة أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وعندما رأى بعض أصحاب أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما يفعل هؤلاء، طلبوا منه أن يعاقبهم ويضرب على أيديهم ويمنعهم من الاستمرار في مؤامرتهم هذه، فلو تركهم يمارسون دورهم الخبيث هذا فسوف يصل الحال إلى نتيجة لا تُحمد عقباها، فعليك بالضغط عليهم ومعاملتهم ببعض القسوة ليعودوا إلى جادة الطريق، فأنت الحاكم ويجب أن تضغط عليهم بقطع الرواتب مثلًا، ولكن أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يرتضِ هذا المنهج، ولم يضغط على أحد لكسب الموقف.

لاحظوا ماذا قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لهم:

«كم أُداريكم؟»، كم من وقت صرفته معكم؟ كم تحملتكم؟ كم عانيت من أجلكم؟.

«كما تداري البكار العمدة»، العمدة: الإبل الفتية بعد الولادة، وعندما تولد الإبل الفتية تكون متعبة، فيدارونها إلى أن تقف على أرجلها وتمشي، يقول لهم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: هكذا داريتكم كما تُدارى هذه الناقة عند ولادتها.

«والثياب المتداعية»، داريتكم كما يدارى الثوب الخلق، فالثوب القديم يتمزق بأبسط حركة، فيجب على صاحبه أن يداريه جدًا، لئلا يتمزق.

«كلما خيطت من جانب تهتكت من آخر»، تخيطه من هنا، ينفتق من هناك، فيضطر علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى أن يداريهم كما يدارى الثوب الخلق.

«أفكلما أطلّ عليكم منسر من مناسر أهل الشام»، المنسر: طليعة الجيش التي تتقدم قبل الجيش لاستطلاع المكان، والمعنى أنه كلما ظهرت على حدود العراق مع الشام سرية من سرايا جيش معاوية.

---

٢٣١. سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

«أغلق كل رجل منكم بابه»، يعني إذا سمع الرجل منكم أنّ سرية عسكرية من جيش الشام وصلت إلى الحدود، سارعتم إلى بيوتكم وأنتم في الكوفة، وأغلقتم أبواب دوركم، مع أن مسيرها من حدود الشام إليكم يستغرق أيامًا، وكأن القضية لا تعنيكم، ولا أنكم المستهدفون من هذا الجيش، وهو استنكار صارخ لموقفهم المتخاذل هذا.

«وانجحر انجحار الضبة في جحرها»، انجحر يعني استتر، والجحر: بيت الضب، وهي حفرة يستتر بها تحت الأرض، الضبة: أنثى الضب، واستعمل لفظ الضبة بدل الضب كناية عن شدة الجبن، لأنّ الانثى تفر إلى بيتها عندما تسمع بأمر يخيفها، وأنتم مثل الضبة التي تختبئ في جحرها عندما يتناهى إلى سمعها ما تخافه وتحذر منه، وهذا تقريع شديد لهم، وخاصة أنهم من قبائل قد مارست القتال ومقارعة الرجال جيلًا بعد جيل، ووصفهم بهذه الأوصاف يحط من كرامتهم، والظاهر أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يجد طريقًا آخر لاستنهاض هممهم غير هذه الكلمات والتشبيهات يعيّرهم بها، لعلهم يفيقون من سكرتهم، ويفيئون إلى رشدهم، وقد شبّههم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنثى هذا الحيوان، ولم يشبههم بالمرأة التي تفر إلى دارها وتغلق بابها عند إحساسها بالخطر، زيادة لهم في التنكيل والتحقير.

«والضبع في وجارها»، الضبع: حيوان بري معروف، وهو حيوان جبان يفضل الهروب والاختباء على مواجهة الأعداء، والوجار هو بيت الضبع، وهو رغم كبر حجمه نسبيًا يبالغ في حفر جحر له للاختباء به، والضبع مضرب أمثال عند العرب في شدة حماقته، فهو وإن كان محسوبًا من الحيوانات المفترسة إلا أنه لجبنه يعيش على الفطائس، ويكنيه العرب بأم عامر بكنية أنثى، ومن أقوال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «والله لا أكون كالضبع ينام على طول اللدم»[٢٣٢].

وفي الهامش: «قال أبو عبيد: يأتي صائد الضبع فيضرب بعقبه الأرض عند باب جحره ضربًا غير شديد، وذلك هو اللدم، ثم يقول: خامري أم عامر بصوت ضعيف، يكررها مرارًا فتنام، فيجعل في عرقوبها حبلًا ويجرها فيخرجها، وخامري أي استتري في جحرك، ويقال: خامر الرجل منزله إذا لزمه».

وهو تشبيه ثانٍ لأهل الكوفة عندما يترامى إلى سمعهم قدوم جيش أهل الشام إليهم، وهو تشبيه فيه من التقبيح والإهانة والعار أقصاه وأشده، لم يألفه العرب في أمثالهم.

ثم يقول لهم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

---

٢٣٢. نهج البلاغة ١: ٤١ كلام ٦.

«الذليل والله من نصرتموه»، الذي يضع مصيره بأيديكم يُذل؛ لأنكم سرعان ما تتخاذلون وتتركون نصرته، فيصبح بين يدي عدوه ذليلًا.

«ومن رمي بكم فقد رمي بأفوق ناصل»، الأفوق من السهام مكسور الفوق، والفوق: موضع الوتر من السهم، والناصل: العاري عن النصل، أي من رمى بكم فكأنما رمى بسهم لا يثبت في الوتر حتى يرمى، وإن رمى به لم يصب مقتلًا لأنه لا نصل فيه، وهو مثل يُضرب بمن استنجد من لا ينجده.

«إنكم والله لكثير في الباحات»، جمع باحة، وهي الساحات، أي أنكم كثير في أماكن التسوق والتنزه والترفيه والتسلي، «قليل تحت الرايات»، قليل في ساحة النزال عندما ترتفع الرايات لخوض المعارك، فكل واحد منكم خبأ رأسه وجلس في بيته.

«وإني لعالم بما يصلحكم»، أعرف ما هو دواؤكم، أعرف ما يصلح أمركم، فقليل من الضغط حري بأن يجعلكم تمشون كما أُريد وأسوقكم سوقًا.

«ويقيم أودكم»، الأود: الاعوجاج، أي أعلم بالأسلوب الذي يصلح اعوجاجكم.

«ولكني لا أرى إصلاحكم بفساد نفسي»، في منهج علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ لا مكان لإصلاح الرعية بفساد الراعي والحاكم، فإنّ استخدام القوة معكم من شأنه أن يصلحكم، ولكنه في الوقت نفسه يؤدي إلى فساد نفسي، وأنا غير مستعد لأن أفعل ذلك.

«أضرع الله خدودكم»، يعني أذل الله وجوهكم، وكلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا دليل على يأسه من هؤلاء القوم، الذين لم ينفع شيء لإصلاحهم.

«وأتعس جدودكم»، حطّ من حظوظكم، والتعس: الانحطاط والهلاك والعثار.

«لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل»، إنكم تعرفون الباطل بتفاصيله، ولكنكم لا تعرفون الحق بهذا المستوى، وهذه الصفة الأولى فيكم، والصفة الثانية:

«ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق»[٢٣٣]، فأنتم أساتذة في التفنن بإبطال الحق، وتفنيده والاعتراض عليه والانتقاص منه؟ ولكنكم لا تفعلون الأمر نفسه في إبطال الباطل والنيل منه. وكلمات أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ القاسية هذه تعبر عن ألم شديد ويأس فريد.

٢٣٣. نهج البلاغة ١: ١١٦ ـ ١١٧ الخطبة ٦٩.

الإضاءة الثانية: العواقب الوخيمة والخطيرة لدعم الحكم بإراقة الدماء

يشير أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أولًا إلى الوهن والضعف في المنظومة القيادية، ومن ناحية أخرى يشير إلى سقوط المنظومة واستبدالها: (فإنّ ذلك يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله).

وللحديث صلة تأتي تباعًا، أكتفي بهذا المقدار وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة السابعة عشرة بتأريخ ٢٠٢٠/٥/١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

أعظم الله أجورنا وأجوركم باستشهاد سيدنا ومولانا، أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، علي ابن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه)، وجعلنا وإياكم من السائرين على نهجه ومنواله.

كان حديثنا في عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر حين ولاه مصر، وكنا نتحدث في المقطع السابع والعشرين من هذا العهد، وكان حديثنا في إراقة الدماء وخطورة هذا الأمر، وأنه يمثل الخط الأحمر في المنظومة القيادية والإدارية بحسب رؤية الإسلام، وكذلك تحدث أمير المؤمنين عن المخاطر العظيمة لرؤية خاطئة يحملها البعض بأن تدعيم الحكم إنما يكون عبر إراقة الدماء، واستعرضنا عددا من النصوص التي تشير إلى أن القضية معكوسة، فيذكر أمير المؤمنين أن إراقة الدماء وقتل الناس هو الذي يودي بالحكم وينهي الحكم ويؤدي إلى اسقاط النظام.

القسم الثالث: عدم تبرير إراقة الدماء

القسم الثالث يخص إراقة الدماء، و يتحدث فيه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أن إراقة الدماء لا تُبرر، لا تقبل التبرير، إذ لا يمكن القبول بأي تبرير لسفك الدماء، والحاكم عندما يريد أن يسفك الدماء لا يقول إنه متعطش للدم، ولا يقول إنه خائف على الكرسي، ويقتل الناس لكي يبقى على الكرسي، بل يختلق مبررات لقتل هؤلاء الناس، كأن يزعم أن هؤلاء مشمولون بالمادة القانونية الرابعة من قانون مكافحة الإرهاب، والمعروفة

باسم (٤) إرهاب، أو أن هؤلاء خارجون عن القانون، أو أنهم بغاة، أو أنهم يخلون بالأمن المجتمعي، وهكذا يختلق مائة تبرير لكي يقتل الناس، ليبقى في الحكم، وهنا يقطع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ باب التبريرات من هذا النوع؛ إذ يقول:

(ولا عذر لك عند الله ولا عندي): يا مالك، أنت ذاهب لتكون حاكمًا ووالِيًا على مصر، فلا عذر لك عند الله عز وجل، ولا عندي أنا إمامك علي بن أبي طالب، في ماذا؟.

(في القتل العمد): أن تتعمد قتل الناس وسفك دمائهم بغير وجه حق.

(لأنّ فيه قود البدن): القود يعني القصاص، لا تقل إن هذا مواطن بسيط وأنا الوالي والحاكم، فإذا قتلت بريئًا سأقتص منك وأقتلك مهما كان ذلك الإنسان بسيطًا في نظرك، فالأرواح متساوية، والناس سواسية في حق الحياة، بلا فرق بين الشريف والوضيع، بين المسؤول والمواطن البسيط، وهذا أمر لا يختلف فيه الناس، فهذا المواطن إنسان وأنت إنسان، فأنتما مشتركان في الإنسانية، لا يوجد تمييز لأحدكما على الآخر في الإنسانية، وإن كان ممكنًا التمييز في أمور أُخرى، فلا يقبل لك أي عذر في القتل العمد بغير وجه حق، وأي عذر غير مقبول لا عند الله (سبحانه وتعالى) ولا عندي، وسأقتص منك وأقتلك.

(وإن أُبتليت بخطأ): أما إذا وقعت في القتل الخطأ، أي لم ترد قتله ولكنه مات بفعل منك كالضرب عند التعزير أو إقامة الحد.

(وأفرط عليك سوطك): أردت أن تؤدبه فضربته بسوطك فمات، كأن كان مُبتلى بمرض معين فلم يتحمل الضربة غير القاتلة فمات.

(أو سيفك): أردت أن تخوفه بالسيف ليكف عن مخالفة معينة، ولكن ضربة السيف جاءت خطأ وقطعت رقبته مثلًا، ولم تقصد ذلك ولكنه حدث.

(أو يدك بالعقوبة): أو أردت أن تضربه بيدك لتأديبه، فجاءت هذه اللكمة على قلبه مثلًا فسقط ومات.

(فإنّ في الوكزة وما فوقها مقتلة): الوكزة: اللكمة، وما فوق الوكزة: الضربة القوية، فهناك بعض اللكمات والضربات والكدمات قد تؤدي إلى القتل.

(فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم): أنفة السلطان، وكبرياء السلطة؛ أنا ضابط استخبارات، أنا مسؤول في الموقع الفلاني، هذا الشعور بالزهو، بالأنفة، من تكون أنت؟ مسؤول وصاحب قرار وصاحب مسؤولية، وتضع القيود بيد هذا وذاك، وتأخذهم إلى الاستجواب، فمن قال لك إن التحقيق يعني الضرب واللكمات؟ من قال لك إن التحقيق يعني استخدام القوة؟ مما قد يؤدي إلى أخذ اعتراف

بغير وجه حق؛ فمن أجل الخلاص من الضرب، يكتب الذي تريده، ويوقّع على ما كتبت، مع أنه لم يرتكب ما اعترف به.

(لا تطمحن بك)، أي لا يرتفعنّ بك زهو السلطان، السلطة، القوة، الموقع، النفوذ، المكانة، يؤدون لك التحية، ويقولون لك: نعم سيدي، فيدفعك ذلك إلى السطوة على الناس، والاعتداء عليهم، وضربهم، ثم حين تبالغ بالضرب، ويسقط أحدهم لا تريد أن تتحمل مسؤوليته، ولا تريد أن يسجل بملفك أنك قتلته ولو خطأ، فتذهب وتزور تقريرا طبيا، وتكتب له شهادة وفاة لأسباب أخرى ليست لها علاقة بك، وتتخلص من دفع الدية، مع أنك قتلته ولو خطأ، ولا تريد أن تدفع الدية لذوي المقتول، لأولياء الدم، وهذا لا يصح؛ (فلا تطمحن بك نخوة سلطانك)، لا تدفعك سطوة الموقع الذي أنت فيه، إلى أن تأنف أن تؤدي إلى أولياء المقتول الدية لقتل هذا الإنسان خطأ.

الإضاءات المستفادة من النص

الإضاءة الأولى: عدم القبول بأي تبرير للقتل العمد

من غير المقبول أن تشهر مسدسك وتقتل إنسانًا بريئًا، لا يستحق القتل، ثم تأتي بألف مبرر لقتلك إياه، كأن تقول إنك قد فقدت أعصابك عندما بصق في وجهك، أو إنه أجابك بجواب فقدت بسببه صوابك، أو إنه اتهمك بتهمة أنت بريء منها، أو عيّرك بقضية أنت خلو منها، فشهرت عليه مسدسك وأطلقت عليه رصاصة وقتلته، وهذه الأعذار وإن كانت حقيقية فإنها غير مقبولة، فإن كان قد بصق بوجهك، فليس جواب البصق هو القتل، وإن أسمعك كلمة خشنة، فليس جواب الكلمة الخشنة القتل، وهذا قتل عمد حكمه القصاص إلا أن يعفو أولياء الدم أو يقبلوا بالدية، ولا يُقبل تبرير القتل العمد بأي عذر من الأعذار، وبأي ذريعة من الذرائع، وأحيانًا يتذرع الحاكم بأنّ هذا القتل كان لحفظ النظام السياسي وحفظ الحكومة، وأن هذا المقتول (جوكري)، عميل لأجندة خارجية، ونحو ذلك، وهكذا يسول لنفسه القتل في السجون أو الشوارع، وكل يوم نسمع بقتل إنسان ـ في الأقل ـ بأمثال هذه الذرائع، مع أنه لا يجوز تحت يافطة حماية النظام، حماية السلطة، حماية الحكومة، الحكم على الناس بالتآمر، وافترضوا أنه متآمر، فالمتآمر بطريقة سلمية ليس عقابه القتل، فخذه إلى القضاء وأثبت أنه متآمر، وأحكم عليه بالسجن كذا سنة، وطبّق عليه القانون، أما أن تقتله تحت يافطة حفظ النظام، فلا يجوز لك القتل العمد، ولا يحق لك إراقة الدماء تحت يافطة حماية الدولة، فهذا أمر غير مقبول، وهذا ضد الرؤية الإسلامية والفهم الإسلامي للحكم والسلطة؛

فالإنسان في المنطق الإسلامي وفي الرؤية الإسلامية له حرمة عظيمة، تصل إلى حد أن قتل واحد منهم يساوي قتل الناس جميعًا منذ خلق الله تعالى الخلق إلى قيام الساعة؛ قال الله (سبحانه وتعالى): ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾[٢٣٤] وقد تحدثنا عن هذه الآية الشريفة، وهذا الإنسان الذي له هذه الحرمة العظيمة إذا أعدمته الحياة وهو واحد، فكأنك أعدمت البشرية كلها الحياة.

وقد ذكرنا في تفسير هذه الآية رواية نقلناها عن الإمام الباقر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، أن قاتل العمد يوضع في النار وينال من العذاب الأخروي بقدر ما لو أنه قتل البشرية كلها.

لنعرف ما هي الحكومة؟ ما هي السلطة؟ ما هي فلسفتها؟ فكما بينا في لقاءات سابقة، فإن فلسفة الحكم والسلطة هي إحقاق الحق، إشاعة الإنصاف، الدفاع عن الناس، عن أعراضهم، وأرواحهم، وممتلكاتهم، وأمنهم، واستقرارهم، وكرامتهم، وسيادتهم، وإنما أصبح الحكم ذا قيمة لنا؛ لأنه وسيلة لحماية الإنسان وخدمة الإنسان، ثم تأتي أنت ـ أيها المسؤول ـ فتقتل إنسانًا بغير وجه حق، مع أن هذا الحكم هو وسيلة لحماية الإنسان ورعايته وخدمته وحفظه، وحفظ ممتلكاته، وإنك بقتل هذا الإنسان، إنما تستهدف الغاية التي من أجلها وُجد النظام، بحجة الحفاظ على الوسيلة، وهي الحكومة، كمن جلب علفًا بهدف اقتيات خروف له في بالبيت، فهو قد أتى به لخدمة الخروف، وأخفاه في مكان ما، فجاء الخروف وأكل كل ما اشتراه صاحبه، وكان حصة يومين، فغضب الرجل وقتل الخروف، ومثل هذا الرجل يعده العرف أحمق؛ لأنه قتل الخروف من أجل العلف، أي قتل الغاية من أجل الوسيلة، وكذلك الحكم ليس غاية، بل الحكم وسيلة لخدمة الناس، وأنت أيها الحاكم تقتل الناس من أجل الحكم، وهذا يؤدي إلى نفي الغرض، ولا يجوز ذلك.

وقد استعرض أمير المؤمنين عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في خطب عدة ـ ذكرنا مقاطع منها في لقاءات سابقة ـ مفهوم أن الحكم لا قيمة له إلا بمقدار ما يدافع عن المظلوم ويوقف الظالم عند حده، كقوله عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كِظة ظالم، ولا سغب مظلوم»[٢٣٥] أي ولا جوع مظلوم، وهذا هو الهدف من الحكم؛ أن لا يتخم الظالم، أن لا يستحوذ على المال العام، فيجوع المظلوم، فلا يجوز لك أيها الحاكم أن تقتل المظلوم من أجل الحفاظ

٢٣٤. سورة المائدة: الآية ٣٢.
٢٣٥. نهج البلاغة ١: ٣٦ الخطبة ٣.

على الحكم، فهذا نفي للغرض؛ (ولا عذر لك عند الله ولا عندي في القتل العمد؛ لأنّ فيه قود البدن)، فيه قصاص، أي تُقتل كما قتلته.

الإضاءة الثانية: ضرورة تعويض أولياء الدم عند القتل الخطأ

إذا ما وقع القتل خطأ، من غير عمد، كما لو حدث في أثناء التحقيق والاستجواب، أو في ملاسنة، فضربه فوقع قتل بطريقة غير مقصودة، حتى لو كان المقتول خطأ مجرمًا، وقُتل أثناء الاستجواب والتحقيق معه، وضربه المحقق ضربة فوقع ومات، فيجب عليه أن يدفع الدية لأوليائه، إذا ثبت أنه قتله كان خطأ، لا أنه استغل فرصة التحقيق معه ليقتله لعداوة له معه، بل ضربه ضربة غير مميتة فمات المجني عليه، كأن يكون ضعيفًا أو مريضًا أو تحرك المجني عليه فوقعت الضربة في مكان مميت، في قلبه مثلًا، فهذا المحقق مدان على كل حال؛ لأنّ الغرض من الضرب هو استخلاص المعلومات، أو مات المجني عليه في أثناء إقامة الحد أو التعزير، والغرض من العقوبة هو إصلاحه، وإرجاعه للطريق، وليس الانتقام منه، وهناك من يمارس الاستجواب بضرب المتهم في أي مكان من جسمه، على رأسه أو قلبه، فيكون انتقامًا وتشفيًا، وليس عقوبة للإصلاح، فهو يريد أن يتشفى، ليشبع نزوة في نفسه، وليظهر أمام الآخرين أنه قادر على انتزاع المعلومات منه بسرعة، وهذا تشفٍ، وانتقام، وعدوانية، وخلاف الهدف المطلوب، فلا يمكن تجاهل أي مستوى من مستويات التقصير، فحينما يتجاوز المسؤول حدوده، ويعتدي على مواطن بما يؤدي إلى مقتله، فإن كان على وجه الخطأ يجب أن يدفع لأوليائه الدية؛ (وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بعقوبة، فإن في الوكزة وما فوقها مقتلة، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم)، أي لا ينبغي الشعور بالسلطة والقوة وبأنك أيها الحاكم فوق القانون، وأن الأمر إليك تفعل ما تشاء لأنك القانون، وأنت الذي تنفذ القانون، والسلطة شيء خطير؛ لأنّ الصلاحية الممنوحة للمسؤول، في جلب المتهمين وضربهم لمعرفة الحقيقة، قد تؤدي إلى المبالغة في الإساءة إليهم، استنادا إلى سلطته وصلاحياته، ثم بعد أن يقع القتل يبرر ذلك بألف تبرير، ويكتب في هذه التقارير الكثير من الأكاذيب، فالأداء غير ما يكتب في كثير من الأحيان، ويسعى للتنصل من مسؤولياته، فيكتبون مثلًا أنه أصيب بالحمى ومات، مع أنهم أخذوه سالمًا قبل أيام، فمن أين جاءته الحمى؟ ما هذه التبريرات الغريبة والعجيبة؟ وكيف تخرج شهادة من الطب العدلي خلاف الحقيقة؟ أتقتل إنسانًا مظلومًا ولا تعترف بخطئك، وتمتنع من دفع الدية وتعويض ذويه عما حصل؟.

لاحظوا ما ورد في بحار الأنوار عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنه ليس شيءٌ مما خلق الله، صغيرًا وكبيرًا، قد جعل الله له حدًا، إذا جوّز به ذلك الحد، فقد تعدّى حد الله فيه»[٢٣٦] تجاوز حدود الله، كل شيء فيه حدود، فيه إطار، والذي يتجاوز هذه الحدود فقد تجاوز حدود الله، وهذه كلها حدود الله قد وضعها للحفاظ على النوع الإنساني.

ورد في الكافي: عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، «إن لكل شيء حدًا ومن تعدى ذلك الحد كان له حدٌ»[٢٣٧]، الذي يتجاوز الحدود يجب أن يُحد، يقام عليه الحد؛ لأنه تجاوز الحدود، وعندما يتجاوزها فله حد أيضًا، فإن كنت تريد أن تقيم الحد على شخص وتضربه ثمانين سوطًا، فلماذا تضربه خمسة وثمانين سوطًا؟ والله تبارك وتعالى لم يقدّر له هذه الأسواط الخمسة الإضافية، وقد تجاوزت عليه، وهذا الاعتداء له حد أيضا، ويجب أن تُضرب خمسة أسواط.

وورد فيه أيضًا: عن أبي جعفر الباقر (سلام الله عليه)، قال: «إنّ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أمر قنبر أن يضرب رجلًا حدًا»، قال له: اضرب هذا الرجل الحد الفلاني، ثمانين سوطًا مثلا، «فغلظ قنبر»، ولعل بشاعة الجريمة دفعت قنبرًا إلى مواصلة الضرب، «فزاده ثلاثة أسواط، فأقاده عليٌ من قنبر ثلاثة أسواط»[٢٣٨]، فلا يجوز تجاوز الحدود، ومن يفعل ذلك فعليه حد، إذن حتى عند إقامة الحد يجب الالتزام بنفس المقدار، وليس أكثر من ذلك.

يجب وضع أي شخص عنده سلطة أو نفوذ أو صلاحية في التحقيق مع الناس، أو إقامة الحدود عليهم؛ تحت المجهر، تحت دائرة الضوء، أمام كاميرات منصوبة، تحت المراقبة والتفتيش والزيارات المفاجئة، وسؤال من يخضعون للتحقيق وما شابه على انفراد؛ هل هناك أمر خلاف القانون؟ هل هناك اعتداء تتعرضون له؟ يجب أن تتم كل هذه الإجراءات ووضع محددات صارمة، وإجراءات مشددة، وتعليمات حدية تمنع مثل هذا التجاوز والاعتداء على الناس تحت يافطة القانون وحماية الدولة وحماية الأمن العام، ونحو هذه العناوين التي تُطرح، ولو حصل الاعتداء فلا بد من تعويضه وتداركه وتلافيه، فلا يجوز أن لا يتلافى.

٢٣٦. بحار الأنوار ٢: ١٧١ ح ١٠.
٢٣٧. الكافي ٧: ٧٥ ح٦.
٢٣٨. الكافي ٧: ٢٦٠ ح١.

المقطع الثامن والعشرون

آفات الحكم والتصدي والمسؤولية

يستعرض أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في المقطع الثامن والعشرين، آفات الحكم والتصدي والمسؤولية؛ أيها المسؤول، سواء كنت قائدًا للدولة، أو كنت قائدًا لقطعة عسكرية، أو كنت قائدًا لتيار سياسي، أو كنت رئيسًا لمصنع، أو كنت مديرًا لشركة، أو كنت رب أسرة وعندك عائلة أنت مسؤول عنها، وفي أي مستوى قيادي آخر، إن للتصدي وتحمل المسؤولية عن عدد من الناس، سواء كانوا خمسة أشخاص، أو خمسين مليونًا، آفات يستعرضها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ويبين أحكامها.

الآفة الأولى: العجب وحب المديح والإطراء

من آفات المسؤولية والتصدي، أن يقع المسؤول في حالة من العجب وحب المديح والإطراء؛ بأن يرى نفسه هو الذي يفهم، وهو الذي يعرف، وهو الذي يمتلك الرؤية الثاقبة، وهو صاحب العقل المميز، وهو الحريص على الأمة، فلا يسمع إلى من يتكلم معه، وإن سمع لا يصغي، لأنه يعتقد بأن الآخرين لا يفهمون، وهو الذي يفهم فقط، ويسيطر عليه هذا الشعور، وهذا الانطباع، فكيف إذا كان يعيش في مجتمع يجعل المسؤول طاغوتًا.

ونحن اليوم في حكومة جديدة لم يمض عليها إلاّ أربعة أو خمسة أيام، و(٨٠٪) من هؤلاء الوزراء كانوا مدراء عامين في نفس الوزارات، وبالأمس القريب لم يكن أحد يعير له اهتمامًا، واليوم نصّب وزيرًا، فتراكض زملاؤه من المدراء الآخرين، معاليك، ما هذه الأفكار العظيمة.. لقد مضى عليّ معكم خمسة عشر عاما في الوزارة، لم أسمع منكم كلمة إطراء، ولم تهتموا بآرائي، والآن صرت أنا المفكر، وصرت الإنسان العظيم الذي بيده كل شيء؟.

هناك في كل منظومة قيادية مجموعة من الانتهازيين والمصلحيين يحيطون بالمسؤول، يكيلون له آيات الثناء والمديح، وكأنه عبقري زمانه، ولم تنجب أنثى مثله، ويصورون له أن أفكاره وآراءه لا مثيل لها ولا نظير، ويستمرون هكذا شهرًا وشهرين وثلاثة، حتى يصدق أنه كذلك، ويرى أنه بالفعل فلتة زمانه، ولسانه يلهج بالترحم على والديه اللذين أنجبا شخصًا مميزا مثله، بالبويضة التي كانت أمه تحملها، وبالنطفة التي

لقّح بها والده تلك البويضة، ولعلها جاءت بالقفزة الجينية التي انتقلت إليه من الجد السادس عشر، كلا، ليس الأمر كما تتوهم، ويصوره لك المتملقون، فحالك كحال البشر، فلا تصدق ما يقولون، وسترى أنه بمجرد صدور الأمر الديواني بإقالتك أو بانتهاء مدة حكومتك، فلن يشتريك أحد بفلسين، وسترجع كما كنت في زوايا النسيان والإهمال، فلا تصدق ما يقال لك، فالدنيا ليست هكذا، واعلم أن العجب والنرجسية والاعتداد بالذات مهلكة للإنسان في مرحلة التصدي.

(وإياك والإعجاب بنفسك): احذر أن تقع في فخ الإعجاب بنفسك.

(والثقة بما يعجبك منها): ثم احذر من الثقة والركون إلى ما يعجبك من نفسك، فتعيش في شرنقة ذاتك وتحدثها: أي كلام هذا، وأي أداء هذا، وأي مواقف هذه! أنا المسدد من الله تبارك وتعالى. على مهلك أيها المسؤول، لدينا أربعة عشر معصوما فقط، فلا تضعن نفسك في موضع من اختارهم الله عز وجل محلًا لخلافته في الأرض، ولا تسولن لك نفسك والشيطان بأنك القائد الضرورة، ولولاك لساخ العراق بأهله، فمن تكون أيها المنفوخ حتى تضع نفسك في منزلة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟ ما لك وهذه القصة؟ وأنت ترى مراجع الطائفة يقضي أحدهم خمسين أو ستين عامًا من حياته في دراسة الفقه والأصول والرواية والدراية والرجال، ثم يطبع رسالة عملية يكتب في أولها: العمل بهذه الرسالة مجزئ ومبرئ للذمة إن شاء الله، ولا يكتب أنها مطابقة لحكم الله (سبحانه وتعالى)، وعملك الذي تأتي به من المحتمل أن يكون خطأ، وما أكثر الفقهاء الكبار الذين بعد ثلاثين أو أربعين سنة يحدث عندهم تطور في رؤيتهم الفقهية، في نظرية رجالية معينة، في متبنى أصولي معين، فيغير الفتوى، ونحن المقلدون لهذا المرجع قد عملنا وفقًا لفتواه السابقة أربعين عاما، فماذا نعمل؟ هل تجب علينا إعادة أعمالنا السابقة؟ الجواب: لا يجب عليك الإعادة، وعملك السابق مبرئ لذمتك، ولكن عليك العمل من الآن فصاعدًا بالفتوى الجديدة.

وأنت أيها المسؤول لم تنصب بعد مدير شعبة، فصار لسان حالك يقول: أنا ربكم الأعلى؛ تفهم كل شيء، ومسدد من الله (سبحانه وتعالى)، فمن أين أتيت بهذا؟.

(وحب الإطراء، فإنّ ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه): هذا هو المدخل السهل، والمفتاح السحري؛ أن تسلم قيادك بيد الشيطان، فيؤثر في نفسك، فتصاب بالعجب؛ فترى أنك وحدك الذي تفهم، وأنت لا سواك من تفكر جيدًا، وأنت العارف بكل شيء، وأنت الحاذق في عملك، وأنت الذي تمتلك موهبة قراءة الأمور بمهارة،

والبقية كلهم صفر على الشمال، وأنت الأوحد الذي لا يضاهيك أحد في الأمور جميعًا، وهذه هي المهلكة العظمى.

(ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين): قدمت إحسانًا، أنجزت عملًا جيدًا، فأصبت بالعجب، فمُسح هذا الإحسان من قائمة أعمالك، ولم يسجل لك إحسانًا نتيجة العجب الذي وقعت فيه.

الإضاءات المستفادة من النص

الإضاءة الأولى: خطورة العجب في القيادة والإدارة والتصدي

العجب في القيادة والإدارة والتصدي وتحمل المسؤولية، أيًا كانت هذه المسؤولية، خطر عظيم؛ لأنه يدفع الإنسان إلى حالة الغفلة، فلا يرى عيوبه، ويرى ما هو جيد فقط، ويرى العيب شيئًا حسنًا، وأنّ كل ما يقوله ويفعله أمر حسن، وأنه معجزة أنعمت بها السماء، فيندفع باتجاه أهوائه، ويبالغ في نرجسياته، ولا يترك فرصة للآخرين لنصحه وإرشاده، فلا يسمع من أحد، ومن ينتقده عليه أن يتحمل النتائج، ولو قيل له: معاليك، سيادتك، سعادتك، ما هو رأيك بالقضية الفلانية؟ لو كان الأمر هكذا ألم يكن أفضل؟ لو لم تقل الكلام الفلاني ألم يكن أجدر؟ لانقلبت الدنيا، ولطرد القائل وألقاه على قارعة الطريق، وأرسل لمن يقوم مقامه، ليعتبر من يريد أن يفتح فمه وينتقده، ولا يقبل نصح من ينصحه، ويريد له الخير ويريد أن يطوره، فلا يرى إلا نفسه، ولا يسمع إلا من نفسه، وكأنه يعيش وحده في هذا العالم، وربما رأيتم شخصا تجلس معه ساعة ولا يعطيك مجالًا أن تتكلم معه بجملتين، وبمجرد أن تفتح فمك في قضية، يتكلم وكأنه الخبير الأول فيها، فلو تحدثت بالطقس لقاطعك وتكلم وكأنه الخبير الأوحد بالأنواء الجوية، ولو تحدثت في السياسة لقاطعك وكأن لا أحد أفهم منه فيها، ولو تحدثت معه بالطبخ لقاطعك وكأنه شيف قصر الإليزيه، مهلًا وعلى رويدك! دعنا نتكلم بكلمتين، ما القصة؟.

قال الله تبارك وتعالى في إشارة إلى هذه الظاهرة: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾[٢٣٩]، زُيّن له، وإلا في الحقيقة هو ليس هكذا، هو يراه كذلك؛ إذ أعجب بنفسه فرأى كل أعماله صحيحة لا يوجد أفضل منها.

٢٣٩. سورة فاطر: الآية ٨.

العجب في المنظومة القيادية والإدارية لدى المسؤول يجعله يتمحور حول نفسه، ينكفئ على نفسه، ينطوي على نفسه، ولابد من أنكم رأيتم دودة القز كيف تلف نفسها بلعابها فتكوّن شرنقة تحجبها عن العالم الخارجي. مسكين هذا المسؤول؛ يحسب أنه يعمل وإذا به داخل شرنقة ذاته، لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلًا للخروج منها، فيزيد الطوق على نفسه، حتى يخنق نفسه فيموت، فهذا المسؤول مثل دودة القز؛ إذ يكون مآل أمرها أن تؤخذ مع شرنقتها وتحول إلى خيوط حرير تُصنع منها الملابس، فكانت نهاية هذه الدودة التي بذلت كل هذا الجهد بهذا الشكل، وهذا المسؤول يحيط نفسه بهذا النحو؛ لا يسمع من أحد، ويبقى يعمل معتمدًا على عقله فقط، إلى أن يسقط فيهوي إلى مكان سحيق.

ولذلك فالإعجاب يورث الجهل، ويبقي الإنسان جاهلًا، لأنه لا يشارك الآخرين عقولهم، وفي الحكمة عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: »من شاور الرجال شاركها في عقولها«[٢٤٠]، وهذا المسؤول لا يريد أن يشارك الآخرين في عقولهم، فيصبح جاهلا، وبالتدريج يفقد القدرة على اتخاذ القرارات الصحيحة، فحين ينكفئ لا يستطيع أن يطور نفسه، ولا يستطيع أن يواكب المجتمع، فتكون قراراته خاطئة، أو غير مفيدة، فيتخذ قرارات لإصلاح الأمور، ولكنها تزداد سوءًا، وهو لا يدري لماذا تتعقد الأمور أكثر، وكل قرار يتخذه يزيده توغلًا أكثر في الطين، يجعله يتراجع أكثر، ينكسر أكثر، ومهما عمل لا يحصل على رضا الناس، فهو إما لا يعمل الشيء الصحيح، أو يعمل الشيء الصحيح بطريقة غير صحيحة، أو يعمل الشيء الصحيح في الوقت الخاطئ.

عليك أيها المسؤول في مثل هذه الحالة أن تسمع من الآخرين الذين هم حولك، واسمع ماذا يقولون، وهناك وزراء عندما يريد أحدهم أن يتخذ قرارًا يسأل الوكيل عن رأيه، فإن لم يقتنع يسأل المدير العام، فإن لم يقتنع يسأل هيئة الرأي.

أما الوزير الذي يدير الوزارة وحده، ولا يريد أن يسمع من وكيل، أو مدير، أو مستشار، أو خبير، وحينئذ ستتوقف المنظومة عن التطور؛ لأنه لا يوجد رافد جديد لها، وليس هناك غير عقله وطريقته، وربما تجد ديكتاتورًا قد عطّل التطور في بلد كامل، شعب كامل، أمة كاملة، مدة ثلاثين أو أربعين سنة، وبمجرد أن يموت يتحرك البلد في اليوم الثاني، ما سبب هذا الظلم؟ سببه أنه معجب بأفكاره ورؤيته وطريقته، والعجب يؤدي إلى انهيار المنظومة القيادية، وتفككها، وتراجعها الخطير.

---

٢٤٠. عيون الحكم والمواعظ: ٤٤.

لاحظوا ما ورد في شرح غرر الحكم: عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «العجب عنوان الحماقة»[٢٤١] من الحماقة أن يعجب الإنسان بنفسه، ولا يسمع من الآخرين.

وفي نهج البلاغة: قال عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصية لابنه الإمام الحسن: «واعلم أنّ الإعجاب ضد الصواب، وآفة الألباب»[٢٤٢]، الإعجاب هو استحسان ما يصدر عن النفس مطلقًا، وهو من أعظم الأخلاق ضررًا على عقل صاحبه، فيسلك به في الطريق الخاطئ، ويعطل عقله عن التفكير، ويحبسه في سجن ذاته.

وفي شرح غرر الحكم: عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «العجب يفسد العقل»[٢٤٣]، إعجاب المرء بنفسه يفسد عقله كما يفسد الخل العسل.

وفي نهج البلاغة: عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «الإعجاب يمنع من الازدياد»[٢٤٤]، الإعجاب يوقف التطور، النمو، الزيادة، ولذلك يجب قمع هذه الحالة، والإبادة الشاملة لظواهر الإعجاب في المنظومة القيادية، فهو مثل الدغل الذي ينبت بين الزرع ويأخذ كل الماء ويقتل الزرع، وأينما وُجد الإعجاب فهو بحاجة إلى تنفيس، والتنفيس للشخص المعجب بنفسه يتم عبر تقليل مسؤوليته، وسحب بعض صلاحياته، فإن لم يجد معه نفعًا أُخرج من المنظومة القيادية؛ لأنه فيروس خطير ينذر بقاؤه بتهشيم المنظومة القيادية، وأيًا ما كانت أسباب العجب فلا بد من التعرف عليها، وضربها وتفكيكها وإزاحتها وإبعادها، لكي تبقى المنظومة تعمل بجد، بعقل مفتوح وقلب مفتوح ورغبة بالتطوير والاستماع لكل ملاحظة، نراجع ولا نتراجع، فالمراجعة الدائمة شيء ضروري ومهم.

في شرح غرر الحكم: عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «اتهموا عقولكم، فإنه من الثقة بها يكون الخطأ»[٢٤٥]، ل ابد من التشكيك دائمًا في ما يتوصل إليه العقل من استنتاجات معينة، فربما تكون هذه الاستنتاجات خاطئة في بعض الأحيان، واحتمل فيها الخطأ، فكلامك صائب يُحتمل فيه الخطأ، وكلام الآخر خطأ يُحتمل فيه الصواب، وهذا الاتهام للعقل يعني التشكيك بالنتائج؛ إعطاء فسحة وفرصة للوصول إلى الصواب بشكل أكثر دقة، فلا تقل مائة بالمائة، ولكن قل الظاهر هكذا، فمهما كنت مستوضحًا وواثقًا استمع لما يقوله الآخر بعقل مفتوح، لا بحكم مسبق، أي لا تضمر في نفسك أنّ هذا لا يفهم

٢٤١. شرح غرر الحكم ١: ١٤٨.
٢٤٢. نهج البلاغة ٣: ٤٦ كتاب ٣١.
٢٤٣. شرح غرر الحكم ١: ١٨٩.
٢٤٤. نهج البلاغة ٤: ٤١ الحكمة ١٦٧.
٢٤٥. شرح غرر الحكم ٢: ٢٦٧.

ولكن دعنا نسمع ما يقول لنرضيه، بل حاول أن تسمع بعقل مفتوح وقلب مفتوح، فلعل كلمة واحدة من كلامه تكون مفيدة، وتستطيع بها تطوير الفكرة التي عندك، الرؤية التي عندك.

وفي كتاب الكافي: عن علي بن سويد عن أبي الحسن الكاظم موسى بن جعفر (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ): «سألته عن العجب الذي يفسد العمل؟ فقال: العجب درجات، منها: أن يزين للعبد سوء عمله»، عمل سيئ، عمل خاطئ، يُزيّن له، فيُجعل حسنًا وجميلًا في نظره فيقدم عليه.

«فيراه حسنا فيعجبه»، قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾[٢٤٦]، الأخسرون أعمالًا هم أهل النار الذين يحسبون أنفسهم من أهل الجنة، فتراهم فرحين مطمئنين، لأنّ أنفسهم أو شياطينهم تزين لهم سوء أعمالهم.

«ويحسب أنه يحسن صنعا»، فرح بعمله وهو خطأ، فهو يظن أن عمله حسن جدًا.

«ومنها: أن يؤمن العبد بربه فيمنّ على الله عز وجل، ولله عليه فيه المنّ»[٢٤٧]، إذا قام يومًا لصلاة الليل، فيجب أن تعرف الناس أنه صلى تلك الليلة صلاة الليل، والذي لم ينتبه له يبقى يتثاءب أمامه لكي يسأله ماذا بك؟ فيقول: أشعر بالنعاس، أقمنا صلاة الليل بالأمس! وهكذا أفشى السر الذي ينبغي أن يكون بينه وبين ربه، ولسان حاله يقول: ماذا تريد أكثر من هذا يا إلهي، فهذه صلاة الليل قد صلیناها.

أما إذا نزلت من عينه قطرة دمع عندما كان يقرأ دعاء، فتراه يمنّ على الله (سبحانه وتعالى) بذلك، مع أنّ لله عز وجل هو الذي منّ علينا إذا حصل عندنا انكسار قلب، فلذنا إليه بقلب منكسر، ولله الفضل علينا إذا أكرمنا بتوفيقه لزيارة أو دعاء أو نافلة أو قيام ليل أو خدمة للناس، كل هذا من فضل الله تبارك وتعالى علينا، أن هيأ لنا لطفًا من عنده، ووفقنا لهذه الطاعات لنكون أقرب إليه، وليست المنّة لنا على الله (سبحانه وتعالى).

وفي الكافي أيضًا: عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه) عليه، قال: «إن الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه»، يرتكب معصية فيندم.

«ويعمل العمل»، يعمل الحسنة لكي يعوض، فيستغفر الله عز وجل، ويأتي ببعض الطاعات الأخرى.

---

٢٤٦. سورة الكهف: الآية ١٠٣ ـ ١٠٤.

٢٤٧. الكافي ٢: ٣١٣ ح٣.

«فيسره ذلك»، بعد أن تجف الدمعة يقول الحمد لله، لقد محوت الذنب، وغفر الله عز وجل ذنبي، وأصبح وضعي على ما يرام، والآن أستطيع أن آخذ راحتي.

«فيتراخى عن حاله تلك»، يفقد حالة الندم، وحالة الخوف من الله عز وجل، فيترك كثيرًا مما كان يعمل به من الطاعات، ويتحول إلى حالة الرضا عن نفسه، ويسترخي عن الاستمرار في ما كان عليه من الندم على ذنوبه والتفريط أيام حياته.

«فلئن يكون على حاله تلك ـ من الندم ـ خير له مما دخل فيه»[٢٤٨]، من الرضا والاسترخاء، وهذه ليلة القدر الثانية، وطوبى لمن يوفق لقيام هذه الليلة وإحيائها. . ما هو انطباعك؟ الحمد لله لقد وفقت لذكر الله عز وجل في خمس أو ست ساعات، أدعية ونوافل ودمعة وبكاء، عملي جيد وسأنام مرتاحًا، فهل هذه الحالة أفضل أو حالة الشعور بالندم؟ اجعل نفسك دائمًا مشدودًا لله (سبحانه وتعالى).

وفي الكافي أيضًا: عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال «أتى عالم عابدًا»، زار عالم عابدًا.

«فقال له: كيف صلاتك؟»، يا عابد كيف تصلي؟.

«فقال: مثلي يُسأل عن صلاته؟»، يستنكر العابد على العالم سؤاله عن صلاته، لأنّ المعروف أنّ العابد أكثر الناس اهتمامًا بصلاته، فيقول له: تسألني عن صلاتي، وأنا ليس لي شغل غير الصلاة، فمن الطبيعي أن أهتم بها.

«وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا»، وبدأ يبيّن له سنوات عمره المديدة التي قضاها في أداء الصلاة، فهل يُعقل أن من قضى عمره وهو يصلي لا يعرف كيف يصلي، أو لا يحسن كيف يصلي.

«قال: فكيف بكاؤك؟ قال: أبكي حتى تجري دموعي. فقال له العالم: فإنّ ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مدلّ»، المدل هو المرتاح، المنبسط، المقتنع بعمله، الذي يرى أنّ الله (سبحانه وتعالى) راض عنه.

«إن المدلّ لا يصعد من عمله شيء»[٢٤٩]، هذا الذي يرى نفسه أنه أدى كل ما عليه، لا يصعد من عمله شيء.

وفيه أيضًا: عن بعض أصحابنا، عن أحدهما (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) ـ أي الإمام الباقر أو الإمام الصادق ـ قال: «دخل رجلان المسجد، أحدهما عابد والآخر فاسق، فخرجا من المسجد والفاسق صدّيق، والعابد فاسق»، يعني تغير الفاسق إلى مؤمن شديد الصدق،

٢٤٨. الكافي ٢: ٣١٣ ح٤.

٢٤٩. الكافي ٢: ٣١٣ ح٥.

وتغير العابد إلى رجل فاسق، عجيب! فهذا دخل الى المسجد وليس للملهى، دخل عابدا وخرج فاسقا، بينما خرج الفاسق صدّيقًا.

«وذلك أنه يدخل العابد المسجد مدلًا بعبادته، يدل بها فتكون فكرته في ذلك»، يدخل العابد المسجد ويأتي بصلاته وهو يشعر بالمنة على الله جل جلاله بعبادته، وعندما يخرج من المسجد لا يستشعر الخوف من الله جل جلاله، بل يشعر بالمنة عليه سبحانه بأنّه قد أتى بما عليه، وأنّه ليس لله (سبحانه وتعالى) عليه حجة في معاقبته، بل له الحجة على الله (سبحانه وتعالى) في الرضا عنه وإدخاله الجنة.

«وتكون فكرة الفاسق في التندم على فسقه»، أما الفاسق فهو عندما يدخل المسجد، يأتي نادمًا على ما سلف منه في ارتكاب المعاصي، فيدخل المسجد وهو خائف من الله (سبحانه وتعالى) بسبب ما اقترفه من ذنوب، فهو يأتي بصلاته وهو يرجو من الله تبارك وتعالى غفران ذنوبه والرضا عنه وإدخاله الجنة، فيخرج من المسجد وهو بين الخوف والرجاء، فيدخله الله تبارك وتعالى في رحمته.

«ويستغفر الله عز وجل مما صنع من الذنوب»[٢٥٠]، وهو بهذا الاستغفار يخرج صدّيقًا، بينما يخرج العابد من المسجد مسترخيا مدلًا على الله (سبحانه وتعالى) بعبادته، فيستحق بذلك غضب الله (سبحانه وتعالى)، والطرد من رحمته.

وفيه أيضًا: عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: «قلت لأبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: الرجل يعمل العمل وهو خائف مشفق»، يعني يأتي بالطاعة وهو خائف لا يدري هل يقبل الله تبارك وتعالى منه أو لا يقبل.

«ثم يعمل شيئًا من البر فيدخله شبه العجب به»، ثم يأتي بعمل من أعمال البر، كالتصدق، فيدخل في قلبه ليس العجب، بل شبه العجب، وكم هو دقيق تعبير الرواية، فإنه لو دخله العجب لفسد عمله قطعًا، ولذلك نجد جواب الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ دقيقًا جدًا يتناسب مع سؤال السائل.

«فقال: هو في حاله الأولى وهو خائف أحسن حالًا منه في حال عجبه»[٢٥١]، أي أنّ حاله عندما كان خائفًا ومشفقًا، أحسن وأفضل من حاله وقد دخله شبه العجب.

وفيه أيضًا: عن أبي عبد الله الصادق (سلام الله عليه)، قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: بينما موسى جالس إذ أقبل إبليس، وعليه برنس ذو ألوان»، البرنس:

---

٢٥٠. الكافي ٢: ٣١٤ ح٦.

٢٥١. الكافي ٢: ٣١٤ ح٧.

كل ثوب رأسه منه ملتصق به، دراعة كان أو ممطر أو جبة[٢٥٢]. أقبل إبليس عليه اللعنة وعليه برنس بألوان زاهية على نبي الله موسى (على نبينا وآله وعَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)، وهو جالس وحده، وهذا من اللقاءات المباشرة بين اللعين والأنبياء، ودار بينهما الحوار التالي الذي ينقله رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

«فلما دنا من موسى خلع البرنس، وقام إلى موسى فسلّم عليه، فقال له موسى: من أنت؟ فقال: أنا إبليس»، ويظهر من سؤال موسى (على نبينا وآله وعَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) أنّ مظهر إبليس عليه اللعنة كان مظهرًا بشريًا عاديًا بحيث لم يستطع تمييزه عن باقي البشر.

«فقال: أنت! فلا قرّب الله دارك»، فانقبض موسى (على نبينا وآله وعَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) عند سماعه ذلك، ودعا بهذا الدعاء، الذي يتعوذ به من إبليس عليه اللعنة، إذ لا ملاذ منه لعنه الله إلا بالله سبحانه وتعالى.

«قال: إني إنما جئت لأسلّم عليك؛ لمكانك من الله»، أنت نبي عظيم من أنبياء الله، وهذا هو ديدني في السلام على أولياء الله العظماء.

«فقال له موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: فما هذا البرنس؟ قال: به اختطف قلوب بني آدم»، أي أنه لعنه الله يختطف قلوب البشر بهذه الألوان الزاهية التي يلقيها على الأشياء؛ ليزداد تعلقهم بالدنيا.

«فقال موسى: فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه؟»، أي ذنب هذا الذي يمثل مفتاحك السحري وبه تتمكن من الاستحواذ والسيطرة على قلوب الآدميين؟.

«قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، وصغر في عينه ذنبه»[٢٥٣]، ذكر إبليس لعنه الله ثلاثة أسباب تمكّنه من السيطرة على قلب الإنسان، أولها وأخطرها هي إعجاب الإنسان بنفسه، ومعنى ذلك أنّ الإنسان هو الذي يمكّن الشيطان من نفسه، ويسلم له زمام قيادته، فالشعب الذي يقوده حاكم معجب بنفسه، ليعلم أنّ الذي يقوده حقيقة هو الشيطان الرجيم، الذي أخبرنا الله تبارك وتعالى أنه العدو المبين للإنسان.

وورد في نهج البلاغة في السياق نفسه، قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إنّ المديح والإطراء يوقعان الإنسان في العجب، يقول:

٢٥٢. كتاب العين ٧: ٣٤٣.
٢٥٣. الكافي ٢: ٣١٤ ح٨.

«وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أني أحب الإطراء واستماع الثناء»، إنّ غرضي من هذه الخطبة هو نفي ما قد يكون خطر في أذهانكم من أني أحب المديح والثناء، كما هو ديدن الحكام الذين يحبون مديح الناس لهم والثناء عليهم. وبهذا يكون أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أوصد الباب في وجه المتملقين من الشعراء والخطباء وغيرهم في الاستماع إلى مديحهم.

«ولست بحمد الله كذلك»، ثم يحمد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ الله تبارك وتعالى على عدم اتصافه بهذه الصفة، وهي حب الإطراء والثناء، ويعني ذلك أنّ كراهية المدح والثناء نعمة تستحق الحمد والشكر.

«ولو كنت أحب أن يُقال ذلك؛ لتركته انحطاطًا لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء»، ثم ينتقل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بيان حالة افتراضية، وهي أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لو كان يحب المديح والثناء؛ لقمع هذا الحب وطرده من قلبه تواضعًا لله سبحانه وتعالى، الذي هو أحق بالمدح والثناء، فليس هناك من يستحق الثناء غير الله (سبحانه وتعالى)؛ لأنه صاحب النعم كلها.

«وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء»، هنا يتطرق أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ظاهرة شائعة عند الناس، وهي حبهم لتلقي المديح والشكر بعد الجهد الذي يبذلونه في قضية ما، ويتكلل بالنجاح، وهو أمر لا بأس به.

«فلا تثنوا عليَّ بجميل ثناء»، ولكني لا أريد هذا الثناء أيضًا، وإن كان أمرًا مشروعًا.

«لإخراج نفسي إلى الله سبحانه وإليكم من التقية»، حتى أخرج نفسي بين يدي الله (سبحانه وتعالى) وإليكم من التقية، يعني من الخوف، في إشارة إلى العذاب.

«في حقوق لم أفرغ من أدائها، وفرائض لا بد من إمضائها، فلا تكلموني بما تُكلّم به الجبابرة»، لا تتكلموا معي بالطريقة التي يتكلمون بها مع الجبابرة، باستعمال ألقاب التبجيل والتعظيم والقداسة.

«ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة»، وهم أهل الغضب، ولا بد من أنكم رأيتم شخصًا غاضبًا جدًا، كيف هي حاله عندما يتكلم، فتتحدث إليه بكلام ناعم لتهدئه، حذرًا من تصدر منه كلمة خشنة ضدك، أو تأتيك منه ضربة أو طعنة، إذ ينبغي الحذر الشديد من هؤلاء الغاضبين في الكلام، فلا تكلموني بما تكلمون به هؤلاء الناس.

«ولا تخالطوني بالمصانعة»، لا تعاملوني بالحركات المصطنعة التي يتعامل بها مع الملوك والجبابرة، كالانحناء والوقوف سماطين ونحو ذلك.

«ولا تظنوا بي استثقالًا في حق قيل لي»، ولا تتصوروا أني إذا قلتم لي حقًا فسوف أستثقل ذلك وأتضجر منه، كلا، فأنا لا أكره ذلك.

«ولا التماس إعظام لنفسي»، ولا أطلب أن أُعظّم ويُتعامل معي بطريقة مختلفة عن الناس.

«فإنه من استثقل الحق أن يُقال له، أو العدل أن يُعرض عليه؛ كان العمل بهما أثقل»[٢٥٤].

للحديث صلة تأتي تباعا، أكتفي بهذا المقدار والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٥٤. نهج البلاغة ٢: ٢٠٠ الخطبة ٢١٦.

المحاضرة الثامنة عشرة بتأريخ ٢٠٢٠/٥/١٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار، وجعلنا الله وإياكم من المرحومين في هذا الشهر الفضيل، وأن لا نكون من المحرومين

كان حديثنا في عهد أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) لمالك الأشتر حين ولاه مصر، وذكرنا أن هذا العهد يمثل اختزالا لنظرية القيادة والإدارة في الاسلام، وانتهينا للحديث عن المقطع الثامن والعشرين من هذا العهد والذي يتحدث فيه عن آفات الحكم والتصدي، وانتهى بنا المطاف للحديث عن الآفة الثانية

الآفة الثانية : المنّ والتزيّد وإخلاف الوعد

حينما ينجز المسؤول والمتصدي خدمة معينة للناس الذين يتحمل مسؤوليتهم، أيّا كان مستواه من المسؤولية، ينبغي أن لا يمنّ عليهم؛ أنا فعلت لكم كذا، وأنجزت لكم كذا، وأنتم كنتم حفاة وأنا ألبستكم أحذية، فحالة المنّ وإظهار الجميل من قبل المسؤول لإنجاز أو خدمة حققها للناس، ظاهرة سلبية جدًا، والتزيّد هو تضخيم وتهويل العمل الذي قام به، فيعطيه هالة وينفخ به ويكبره، وإخلاف الوعد أن يعد ويخلف وعده، لا يفي بوعده، وهذه الآفة الثانية من الآفات التي يتحدث عنها أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

(وإياك) يا مالك (والمنّ على رعيتك بإحسانك): أن تمنّ على الرعية بالإحسان الذي تقدمه لهم، بالإنجاز الذي تحققه لهم.

(أو التزيّد في ما كان من فعلك): شيء ما تقول أنا عملته، مع أنك لم تعمله، بل غيرك هو من عمله، ولكنك تحتكره وتنسبه إلى نفسك، وتضخم العمل الذي تقوم به، وكما في المثل الشعبي: (الحبة تسويها كبة)؛ شيّدت نافورة صغيرة، وأنت تعرّف الناس به كمشروع عملاق! فاخجل من نفسك، فالتضخيم والتهويل والتزيّد يشمل فعلا غير متحقق؛ إذ يدّعي كذبًا أنه فعل الشيء الفلاني، مع أن غيره فعله ولكنه ينسبه إلى نفسه، أو أنه بالفعل عمل شيئًا ولكن ليس بالحجم الذي يظهره ويبرزه، هذا هو التزيّد.

(أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك): تعد الناس بشيء ثم تخلف وعدك، ولا تلتزم به.

(فإنّ المنّ يبطل الإحسان): المنّ على الناس، يفسد ويزيل آثار الإحسان الذي قدمته، فأنت تخدم فعلًا، ولكن في ساعة تنفجر عندما يثيرون أعصابك، فتقول: ألست أنا الذي فعلت لكم كذا؟ ألست أنا الذي أعطيتكم كذا؟ فتنسفها جميعًا في ساعة غضب، والناس لا يرتاحون لشخص يمنّ عليهم، حتى لو كان بالفعل قد عمل كل هذه الأشياء، لكن هذا المنّ مزعج للناس، ويبطل الإحسان.

(والتزيّد يذهب بنور الحق)، التزيّد: هو التضخيم، ومنه نسبة الشيء إليك وأنت لم تفعله، وهو يزيل نور البركة الذي به تأثيره المعنوي.

(والخلف يوجب المقت): إخلاف الوعد يوجب حالة السخط والبغض.

(عند الله والناس): الله يبغضك ويسخط عليك، والناس أيضًا تبغضك وتسخط عليك، عندما تعدهم بشيء ولا تفي بوعدك.

(قال الله سبحانه: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُون﴾) [٢٥٥] يستشهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه الآية الشريفة على أن إخلاف الوعد يوجب المقت.

إذن آفة المن والتزيّد وإخلاف الوعد هي الآفة الثانية التي يتحدث عنها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الإضاءات المستفادة من النص

الإضاءة الأولى: تجنب المنّ في المنظومة القيادية

يجب تجنب المنّ في المنظومة القيادية، من قبل القائد، والمسؤول، والمتصدي أيًا كان مستوى التصدي، وقد ذكرنا أنه يبدأ من رب الأسرة الذي يكون مسؤولًا عن عائلته، وإن كانت تتألف من شخصين أو ثلاثة، فهو يمارس دورًا قياديًا بهذا المستوى،

٢٥٥. سورة الصف: الآية ٣.

وينتهي بالقائد العام للقوات المسلحة وزعيم الدولة وما إلى ذلك، وقد تحدثنا في أبحاث سابقة أن المسؤولية من وجهة نظر الإسلام ذات هوية خدمية، فالمسؤول خادم، وليس متسلطًا، وليس حاكمًا، ولما كانت المسؤولية ذات ماهية خدمية وليست تسلطية، فلا معنى لأن تمنّ على الناس وأنت خادم لهم، وكلما كانت مسؤوليتك أكبر وجب أن تتجلى الخدمة بشكل أوضح، فأنت خادم، والخادم يعمل بواجبه، بالمهام والواجبات المكلّف بها، لقد أعطيت كل هذه الامتيازات، وهذا الموقع وتفصيلاته، والحمايات التي معك، وصرت وزيرًا، أو مديرًا، أو مسؤولًا في مكانٍ ما، وحصلت على كل هذا الاحترام والتقدير والامتيازات والرواتب والسيارات... إلى آخره، أُعطيت كل هذه الأشياء لكي تخدم، وأنت الآن عندما تقوم بواجبك تريد أن تمنّ على الناس، وهذا لا يجوز، فما تقوم به هو واجبك ومهمتك المكلف بها، وقد وُضعت كل هذه الإمكانات المادية والمعنوية تحت تصرفك لكي تقوم بهذا العمل، والآن عندما جاءت لحظة العمل تمنّ على الناس، بأنك قد قدمت لهم هذه الخدمة، فلا معنى للمنّ في خطوة صحيحة وإنجاز كبير حققته، فهذا واجبك.

(إياك والمنّ على رعيتك بإحسانك)، تحذير شديد للحاكم والمسؤول من المنّ على الشعب؛ لأنه قدّم إليهم إحسانًا، فالملاك في نظر علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في العمل المبتني على الخدمة، في الإنجاز المبتني على الخدمة، هو أن لا يكون فيه منّ؛ لأنه أداء لواجب، وهو نظير ما كان عليه بعض المسلمين في صدر الإسلام، الذين كانوا يمنّون على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بإسلامهم، فجاء الخطاب الإلهي موبخًا لهم: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[٢٥٦]، ويُستفاد من الآية الكريمة أن المنّ لله تعالى وحده، ولا يجوز لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يمنّ على الناس؛ لأنه كان يقوم بواجبه في دعوتهم إلى الإسلام امتثالًا لما أمره به الله (سبحانه وتعالى)، وهذا المعنى مستفاد من الآية الكريمة، لا من ظاهرها، وظاهرها كما قلنا أن المنّ كان من المسلمين على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فالأمر كان معكوسًا، وكان عليهم الشكر له لما تحمل من أعباء ثقيلة في إيصال رسالة الله إليهم، ولا يؤثر في الأخبار أن رسول الله قد منّ على الناس بما عانى من أجلهم وقدّم لهم، فكيف يمنّون هم عليه؟.

٢٥٦. سورة الحجرات: الآية ١٧.

ورد في شرح الغرر: عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «ملاك المعروف ترك المنّ به حتى يكون المعروف معروفًا»[٢٥٧]، العمل المنجز هو معروف إيجابي صحي مقبول، وما دام هو كذلك فيجب أن يُترك المنّ به؛ إذ المنّ دليل أنانية الفاعل للمعروف، فيقول: أنا عملت من أجلكم، أنا قدمت لكم، أنا خدمتكم، أنا علمتكم، أنا ربيتكم، وهذه نرجسية وأنانية، فالذي يمنّ على الناس هو الذي يعتدّ بنفسه بشكل كبير، ويرى نفسه شيئًا كبيرا، فيريد أن يشبع الأنا، فيمنّ على الناس ويذكّرهم بما فعله، وهذا أسوأ ما يكون.

وورد في شرح الغرر أيضًا: «لا سوء أقبح من المنّ»[٢٥٨]، أقبح شيء هو أن يمنّ المسؤول على من هم دونه في المسؤولية، فهذا مسؤول تنظيم يقف ويخاطب التنظيمات: من أنتم؟ أنا الذي جمعتكم، أنا الذي فعلت لكم كذا وكذا، وهذا قائد في قطاع عسكري يمنّ على الجنود والمراتب، وهذا مسؤول في تيار سياسي يمنّ على تنظيماته، وناسه، وهذا مسؤول بمصنع يمنّ على عماله: لو لم أكن أنا مسؤولًا هنا لقتلكم الجوع، أأنت الرازق أم الله (سبحانه وتعالى) هو الرزاق ذو القوة المتين؟ فالأرزاق موجودة، وأنت لا تعطيه بالمجان، بل هو ما يستحقه من أجر إزاء ما يقدّمه من عمل، وقد كسب أجره من عرق جبينه وكدّ يمينه، فعلى أي شيء هذا المنّ والجميل؟! وإذا كان المنّ بالإحسان قبيحا، فالمنّ بالواجب أقبح، وهو أسوأ شيء.

ورد في كتاب الكافي الشريف: عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إن الله تبارك وتعالى كره لي ست خصال»، أي منعني، حرّم عليّ، «وكرهتها للأوصياء من ولدي»، وأنا أيضًا حرمتها على أوصيائي الاثني عشر من بعدي، «وأتباعهم من بعدي»، وهي محرمة على شيعتهم أيضًا، «منها المنّ بعد الصدقة»[٢٥٩]، المنّ بعد الصدقة: المنّ بعد العطاء، وقد يكون هذا العطاء غاليًا، أو عطاء خدمة علمية، عطاء وقت جعلته في خدمة الآخر، عطاء خدمة قدمتها للآخر، عطاء علاقاتك التي استخدمتها بأن رفعت هاتفك واتصلت بمسؤول لحل مشكلة الآخر، دعاء دعوت به لأخيك المؤمن في ليلة القدر، في مظان الإجابة، في زيارة، كل هذه الأمور، من مصاديق العطاء.

---

٢٥٧. شرح الغرر٦: ١١٨.
٢٥٨. شرح غرر الحكم ٦: ٤٣٥.
٢٥٩. الكافي ٤: ٢٢ ح١.

الإضاءة الثانية: عواقب المنّ في المنظومة القيادية والإدارية

المنظومة القيادية التي تعمل على أساس المنّ على الناس، والتفضل عليهم؛ لأنه قدّم كذا وكذا، هذه تخرج عن ماهيتها الخدمية، وتؤدي إلى ضياع الجهود بشكل كامل، كل هذا العمل الكبير الذي تقوم به يضيع ويذهب هباء منثورًا، عندما تمنّ على الناس، فتولّد عندهم حالة من السخط والغضب؛ (فإنّ المنّ يبطل الإحسان)، هكذا يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ (يبطل الإحسان)، يعني ينهيه ويلغيه، أتريد أن تمسح الناس من الذاكرة أي جميل قدّمته لهم، مهما كان جميلًا؟ فالمنّ يفسد العمل.

ورد في شرح الغرر: قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «المنّ يفسد الصنيعة»[٢٦٠] الصنيعة أي الخدمة، الإنجاز، والمنّ يفسد هذه الخدمة وهذا الإنجاز كما يفسد الخل العسل.

وورد في كتاب الكافي: عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «المنّ يهدم الصنيعة»[٢٦١] المنّ يهدم المعروف كما يهدم المعول البناء، وجميع هذه الروايات تصب في نفس الاتجاه؛ الإنجاز يزول ويُعدم ويُمحى من ذاكرة الناس، وهو إنجاز وفعل كبير وعظيم، ولكن عند المنّ والتجميل يذهب هذا كله، ويُنسى أيضًا.

ورد في شرح الغرر: عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما كدرت الصنائع بمثل الامتنان»[٢٦٢]، ليس هناك شيء يكدر صفو الصنائع والإنجازات والخدمات ويمسحها ويشوش عليها بقدر الامتنان على الناس بها.

الإضاءة الثالثة: تجنب تضخيم الإنجاز ونسبته إلى المنظومة القيادية

تجنب تضخيم الإنجاز، تهويل الإنجاز، ونسبته إلى المنظومة القيادية، ولا تزعم أنك أنجزته، إذا كان غيرك هو الذي أنجزه، والأحرى بك أن تنسب الفضل لأهله، فإنك إن فعلت ذلك تكبر في أعين الناس، وتشجع وتحفز الآخرين على العمل، لا أن تنسب كل شيء لك، وتصادر كل هذا العمل الذي تنجزه التنظيمات والمجموعات، فتأخذه كله وتمسح أسماءهم وتجعله باسمك، وكان الأجدر بك أن تنسبه لأصحابه، وتقول: إن هذا العمل أنجزه فلان، وذاك العمل أنجزه فلان، وهذا الابتكار للأخ الفلاني، وعندما تصل هذه الكلمات إلى مسامع هؤلاء فسوف يتشجعون، وسيكون

٢٦٠. شرح الغرر ١: ١٩٢.
٢٦١. الكافي ٤: ١٢٢ ح٢.
٢٦٢. شرح الغرر ٦: ٦٠.

حافزًا للآخرين أيضًا للقيام بمثل هذه الأعمال، لكي تُذكر أسماؤهم، فانسب العمل الذي أتى به غيرك لصاحبه، وثمّن وقدّر صاحب الإنجاز، أما العمل الذي أنجزته أنت فاذكره بحجمه، ومن الأفضل للمسؤول أن يذكر إنجازاته بتواضع، فيقول: لقد أنجزنا هذا العمل المتواضع، لقد بذلنا هذا الجهد المتواضع لإنجاز هذا الشي البسيط، دع الناس هي التي تراه كبيرًا، فلا تبقَ تتحدث به وتكبره بالطريقة التي تحدث عند الناس ردة فعل معينة، فلا تضخم، ولا تهول فعلا فعلته، ولا تنسب فعلا لم تفعله لنفسك، أو تتحدث عن إنجاز وهمي، فضائي، فلا شك في أن هذا أسوأ ما يكون، هذا هو التزيّد.

(وإياك والتزيّد في ما كان من فعلك)، التزيّد مرفوض تمامًا وغير صحيح، وهو التهويل والتضخيم في العمل، أيًا كانت الأسباب، فهذا غش، وتدليس، وخداع للناس؛ تغشهم حينما تتحدث عن فعل غير موجود، عن إنجاز غير موجود، وتتحدث عن إنجاز لنفسك وهو لغيرك، فأنت تغش، كالغش بالامتحان؛ فهو يكتب الجواب الصحيح، ولكن هذا الجواب ليس له، بل يأخذه من الشخص الذي كان إلى جنبه، وينسبه إلى نفسه لكي يحصل على درجة النجاح، فهو يصادر جهد الآخر، ولذا عندما يخرج المسؤول للإعلام ويقول: فعلنا كذا وأنجزنا كذا، أين فعلتم؟ وأين أنجزتم؟ هل أنت الذي فعلته أو غيرك الذي فعله وأنجزه ونسبته إلى نفسك؟ أو تراه يتحدث عن إنجاز أكبر من الواقع، ولا يمكن قبول هذا السلوك في المنظومة القيادية السليمة أيا كانت الأسباب.

ورد في شرح الغرر: قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الغش شرّ المكر»[٢٦٣]، أسوأ حالات المكر هو الغش، ومن الغش أن تنسب عمل الغير إلى نفسك، أو تضخم من مقدار إنجازك.

وفيه أيضًا: قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الغش من أخلاق اللئام»[٢٦٤] اللئيم هو الذي يغش، فالكريم لا يسرق جهود الآخرين وينسبها إلى نفسه، وضده اللئيم الذي لا يرى غير نفسه على حساب الآخرين.

وفيه أيضًا: قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «شرّ الناس من يغش الناس»[٢٦٥]، أسوأ إنسان هو الذي يغش الآخرين، ويتحايل عليهم، تارة بإعطاء معلومة خاطئة؛ بيان خلاف الحقيقة، تضخيم الإنجاز، إنجاز وهمي غير موجود، هذا كله ظلم بحق الناس، غش

٢٦٣. شرح الغرر ١: ١٩٢.
٢٦٤. شرح الغرر ١: ٣٤٣.
٢٦٥. شرح الغرر ٤: ٤٦٤.

للناس، فيا مسؤول لا تحدث الناس إلا عن إنجاز أنت حققته وعملته، وحينما تحدثهم عنه تحدث بحجم الإنجاز ولا تكبره، وتجعل الناس تراه كبيرًا، فإنك عندما تكبره وتنفخ فيه تضلل الناس، وعندما يكتشفون الحقيقة يفقدون الثقة بك.

وجاء في كتاب الكافي: عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ليس منا من غشنا»[٢٦٦]، الذي يغشنا ليس بمسلم، فلا يحسب نفسه علينا، لا يقل أنا مسلم، فالمسلم لا يغش، فالذي يصادر إنجازات الآخرين ومكتسباتهم خارج عن دائرة الإسلام، فضلًا عن دائرة الإيمان.

الإضاءة الرابعة: عواقب تضخيم وتهويل الإنجازات

ماذا يحدث لمن يضخم حجم الإنجاز، ويعطي انطباعات غير واقعية للناس؟ عندما تسمع الناس الكلام أول مرة، أنّ هذا المشروع هو أكبر مشروع في الشرق الأوسط، أو أن هذا المول هو أكبر مول على وجه المعمورة، فسوف تعترض وتقول: متى رأيت الدنيا ليكون هذا أكبر مشروع أو أكبر مول؟ ولماذا أنت مغرم ومهووس باستعمال أفعل التفضيل إلى هذا الحد؛ أكبر، أعظم، أكثر، أضخم، أوسع، أطول؟ هكذا يصف المسؤولون أي إنجاز ولو كان بسيطًا جدًا، على مستوى نافورة مثلًا، والظاهر أن شعارهم اضحك على الناس، ولكن اليوم ببركة (گوگل) يستطيع الناس البحث عن أي معلومة، وكل شيء موجود حول الموضوع الذي يبحثون عنه، وسيعرفون هل هذه النافورة هي أعظم وأطول نافورة في العالم أو لا، وحينئذ سينكشف حجم التهويل والتضخيم الذي يمارسه هؤلاء المسؤولون، ومدى الانطباعات غير الدقيقة وغير الواقعية والمزيفة التي يعطونها للناس، وقد تصدّق الناس لأول وهلة، وتحمد الله تبارك وتعالى على أننا أصحاب أطول نافورة في الشرق الأوسط، حسنًا ثم ماذا؟ بعد يوم أو يومين أو ثلاثة، وأسبوع أو أسبوعين، سيكتشفون الحقيقة، وأنه توجد في الدولة الفلانية نافورة أطول بعشرين مترًا، وهكذا الحال بالنسبة للإنجازات الأخرى التي يتباهون بها، وتطلع الشمس على (الحرامية) كما يقولون، وينفضح أمرهم أمام الملأ وعلى رؤوس الأشهاد، ولكن لا حياء لمن تنادي، وقديمًا قيل: إن لم تستحِ فافعل ما شئت، ويتبيّن أن الحقيقة ليست كما يقولون، وأنّ نسبة الإنجاز مثلًا ليستَ (٨٠٪) مثلًا، بل كانت(٢٠٪)، وهناك تضخيم في الأمور، ويتبين للناس أن هذا المسؤول

٢٦٦. الكافي ٥: ١٦٠ ح١.

غشهم، وكذب عليهم، وضخم إنجازه، وهنا سيهتز أهم عماد وأهم مرتكز تبتني عليه العلاقة بين المسؤول والناس؛ وهو الثقة، سيهتز هذا المرتكز، هذا العمود، ويسقط العماد وتُفقد الثقة، وحينما يخرج المسؤول في المرة الثانية، سيقول الناس: إنها مثل المرة الأولى، حين صرّح بما صرّح به ثم ظهر أنه غير صادق، فمن يقول إنه صادق في هذه المرة؟ فقد بالغ كثيرًا أول مرة، فمن يقول إنه لا يبالغ في هذه المرة أيضًا، وتبقى هذه القضية تلاحقه في كل كلماته، وفي كل مواقفه، فيظن الناس أنها مبالغ بها أو فيها غش أو أنها غير صحيحة، إذ تهتز الثقة، وعندما تهتز الثقة فإنّ استعادتها ليست سهلة، فهذا مثل الماء الذي يُسكب على الأرض، لا يستطيع أحد جمعه، فالثقة إذا اهتزت يصعب ترميمها واستعادتها، وأحيانًا يستحيل أن ترجع الثقة مهما صدق المسؤول بعدها، بل ينسحب عدم الثقة هذا على جميع المسؤولين وإن لم يكذبوا ويضخموا، ويترسخ لدى الناس انطباع أن هذا المسؤول كذاب، وكل ما يفعله ليعيد مصداقيته لن يجدي نفعًا، وسيبقى هذا الانطباع يلاحقه.

طبعًا لا ينحصر هذا الأمر بالمسؤول فقط، بل يشمل كل إنسان حتى في علاقاتنا الإنسانية البسيطة؛ فعندما لا يكون المسؤول دقيقًا ويضخم ويهول كل كلمة يتكلم بها، يبقى السامع يفلتر ويدقق ويتأكد من كلماته، وهذا يعني أن المتكلم غير موثوق به، وأنّى له إرجاع الثقة، والثقة إذا أُزيلت فمن الصعب، وأحيانًا من المستحيل، استعادتها، (والتزيّد يذهب بنور الحق)، تذهب البركة من كلامه، وتزول قناعة الناس بهذا العمل.

ورد في بحار الأنوار، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «من غش أخاه المسلم، نزع الله عنه بركة رزقه»، يزيل الغش بركة الرزق، «وأفسد عليه معيشته»، يحرص الإنسان في حياته على أن يكون عزيزًا في قومه، محترما في جماعته، والشخص المشكوك به والمطعون بوثاقته يكون معزولًا اجتماعيًا، لا يريد أحد مخالطته، وحتى ذلك الذي يبتسم في وجهه ويجامله هو غير واقعي في سلوكه هذا، لأنه شخص عديم الثقة، «ووكله إلى نفسه»[٢٦٧] الله (سبحانه وتعالى) يكله إلى نفسه، فيسقط ويهوى ويضيع.

إذن كلما عظمت المسؤولية كانت آثار هذا التضخيم والتهويل أعظم وأكبر، فنرى مثلًا عندما يبالغ الطفل في كلامه، فالناس لا تؤاخذه بسبب قلة عقله، وتنزعج من الشاب الذي يبالغ في كلامه، والأمر أشد صعوبة في رجل يبالغ في حديثه، وإذا وصلت

٢٦٧. بحار الأنوار ٧٦: ٣٦٥.

النوبة إلى القائم مقام أو مسؤول البلدية، تصبح استعادة الثقة من الصعوبة بمكان، وربما كانت مستحيلة، فكيف الحال بالمحافظ والوزير ورئيس الدولة والقائد السياسي المرموق؟ إذن كلما عظمت المسؤولية كان وقع التضخيم والتهويل وآثاره الهدامة وعواقبه الوخيمة أشد.

الإضاءة الخامسة: تجنب إخلاف الوعد في القيادة والإدارة

يا مسؤول، يا قائد، يا مدير، يا متصدّ، لم يصدر قرار تعيينك بعد، بدأت تذرع بالجنة كما في المثل؛ سأعمل لكم كذا وكذا... وهكذا، من الوعود التي تشنّف لها الأسماع ويسيل لها اللعاب، رويدك قليلًا، هل تعلم إمكانات هذا الموقع؟ وما هي صلاحياته؟ وهل تعرف ظروف البلد؟ لماذا تعد الناس؟ لماذا تتحدث بأمور لا تقدر على إنجازها؟ فهذا لا يجوز، فاجعل لنفسك مصداقية، ولا تتجاوز بوعودك للناس ما تقدر عليه، فهذا الأمر يهز الثقة أيضًا إلى حد كبير، حين يظهر المسؤول أمام وسائل الإعلام ويعد الناس بأنّ الكهرباء ستكون أربعا وعشرين ساعة في نهاية السنة، وسنقوم بتصديرها من السنة القادمة، وأسعارها في التصدير جيدة، فأين هذا الكلام؟ لماذا تُسمع الناس كلامًا غير دقيق؟ لماذا تعد الناس بأشياء لا تقدر عليها؟ هذا من شأنه أن يهز الثقة إلى حد كبير.

(وإياك) احذر يا مالك (أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك)، ثم تخلف الوعد، فلن يجديك نفعًا أن تأتي بألف دليل لتتنصل من مسؤولية كلامك، وترجع ثقة الناس إليك، فلا ينبغي أن تعد بشيء لا تستطيع الوفاء به، ثم تبقى تختلق التبرير تلو التبرير لتستعيد الثقة التي تلاشت أوصالها، ويستحيل عليك أن تعيدها.

يجب عليك عندما تعد بشيء أن تأتي به بالكمال والتمام، وعندئذ تكون قد وفيت بوعدك، وتستحق أن يُقال لك: جزاك الله خيرًا، أما إذا لم تتمكن من أن تأتي به، فأنت مدان أمام الناس، ومدان أمام الله سبحانه يوم القيامة، في اليوم الذي يُنشر فيه كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ونحن الآن في عصر وصل فيه التطور التكنولوجي في فن الاتصالات إلى درجة يتيسر معها الحصول على أي معلومات بمجرد لمسات لا تستغرق ثواني على اليوتيوب أو (گوگل)، فيظهر كل شيء على الشاشة، ويظهر ما قاله المسؤول الفلاني من الأول إلى الأخير؛ كذا قال قبل خمس سنين، كذا قال قبل أربع سنين، كذا تكلم قبل شهر، وهكذا تخرج لك المعلومة التي تريد في

غضون لحظات، وكل التفاصيل أمامك، ولا يضيع منها شيء؛ كلمة تكلمت بها، وعد وعدته، أين أصبح؟ يبقى يلاحقك.

التخلف عن تنفيذ الوعود قد تكون له أسباب مختلفة، فأحيانًا ـ وهو الأساس في الوعد ـ أراد أن يضلل الناس لكي يكسب أصواتهم في الانتخابات، وقبل كل انتخابات اشبعوا وعودًا أيها الفقراء؛ هكذا سنعمل لكم، هكذا سنوظفكم، وهكذا سنمنح رواتب الرعاية الاجتماعية لكل المستحقين بلا استثناء، ووعود كثيرة لا تُحصى، وعندما تنتهي الانتخابات ومنذ اليوم الثاني يُنسى كل شيء، ولم تكن وعودهم سوى هواء في شبك.

فالمسؤول أحيانًا عند الوعد يقصد التضليل، يقصد الإغواء، فهو يعلم أن ما يعد به لا يمكن أن يتحقق، وإذا قيل له: لماذا تعد؟ يقول: إنها الانتخابات، ولا بد لنا من أن نتحدث للناس لكسب أصواتهم، وبعد ذلك الله كريم، نعم قد تسير الأمور هكذا منذ البدء، فهو يعرف من البداية أن ما يعد به غير قابل للتطبيق، وغير واقعي، ويعد طمعًا في صوت انتخابي لا أكثر، ويقصد منه تضليل الناس، ليس إلا.

وفي أحيان أخرى لا يقصد المسؤول التضليل، بل هو رجل صادق يريد أن يعمل، ولكنه ضعيف إداريًا، ليس عنده عمل مؤسسي، وليس لديه تخطيط، وأدواته ضعيفة، وآلياته ضعيفة، وسياساته ضعيفة، وخططه ضعيفة، وبرامجه ضعيفة، وتقديراته للموقف ضعيفة، فلا يستطيع أن يعمل الذي وعد به، فهو يريد أن يحقق إنجازًا، ويمكن تطبيق ما وعد به في ظل إدارة ناجحة، في ظل مدير قوي، في ظل منظومة إدارية وقيادية ومؤسساتية فاعلة، في ظل سياسات رشيدة، في ظل أولويات صحيحة، في ظل خطط ناجحة، وهو يفتقد كل هذه الأمور، فليس عنده الأدوات والآليات اللازمة.

وأحيانًا أخرى لا يتحقق العمل الصحيح بسبب المسؤول، عندما يسوّف ويقول لا أحد يحاسبني، وهؤلاء الناس كم مهمل، لا يقرؤون ولا يكتبون، ولا أحد منهم يذكر أو يعرف، أطلق كلمتي وأعد بما أشاء، فيعد الناس مستخفًا بعقولهم، يعد الناس استنادًا إلى اعتماده على نفسه ونرجسيته، وأنه يفعل المعاجز... إلى آخره، وليست عنده تقديرات صحيحة، فيعطي الناس وعودًا غير صحيحة.

وأحيانًا أخرى يكون المسؤول عجولًا، لا يطبخ الأمور حتى تنضج، فيطلق وعوده بلا دراية، بلا حكمة، بلا دراسة، وعندما يرجع إلى مستشاريه يقولون له: معاليك ماذا عملت؟ فخامتك ماذا فعلت؟ دولتك ماذا ارتكبت؟ سيادتك إلى أين نحن ذاهبون؟ كيف تعد الناس هكذا؟ وبأيّ ميزانية؟ وبأيّ ظروف؟ وبأيّ أدوات؟ لا نقدر على

إنجاز ما وعدت به، فيقول: وما أدراني، سألني الصحفي وأعطيته إياها، ألقاها على مسامعهم من دون دراية، وقد لا يكون يقصد التضليل، ولكنه لم يدرسها، ولم يخطط لها، ولم يستشر بها، وخرجت منه الكلمة عفويًا، كلمة تكلم بها، والله كريم، نعم صحيح أن الله دائمًا كريم، ولكن لماذا لا نكون نحن كرماء أيضًا؟ ما هي خططنا؟ ما هي رؤيتنا ودراستنا للأمور قبل أن نعد؟ فهذا أمر حيوي ومهم جدًا، ولكن أيا كانت الأسباب، تضليلية أو لقصور وضعف، قصد أن يضلل الناس، أو لم يقصد، وكان ناويًا أن يخدم الناس بالفعل، ويعمل لهم هذه الأشياء التي وعدهم بها، ولكن لم يدرس الأمور دراسة متأنية وصحيحة، فوعد بأشياء لم يكن قادرًا على أن ينفذها، أيًا كانت الأسباب، فالمسؤول حينما يعد ولا يفي بوعده تهتز الثقة بينه وبين الناس، فلا تصدق كلامه بعدها، لأنه هدم الجسور بينه وبينهم حين وعدهم فأخلف وعده.

ورد في كنز العمال: عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «العِدَة ـ يعني الوعد ـ دَين، ويل لمن وعد ثم أخلف، ويل لمن وعد ثم أخلف، ويل لمن وعد ثم أخلف، كرّرها ثلاثًا»[٢٦٨]، وتكرار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لهذه الجملة ثلاث مرات، دليل على خطورة هذا الأمر، وعلى حجم الآثار المدمرة للوعد الذي لا يُنفّذ من قبل المتصدي والمسؤول، وعلى أهمية موضوع إخلاف الوعد وخطورته.

بل أحيانًا في المنطق الديني قد يكون الوعد أخطر وأهم وأشد من الدَّيْن، كما ورد ذلك في كنز العمال أيضًا: عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «الواعد بالعدة مثل الدين أو أشد»[٢٦٩] أحيانا يكون الوعد أشد من الدَّيْن في رقبة الإنسان.

وفي نهج البلاغة: قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «المسؤول حرّ حتى يعد»[٢٧٠]، فالمسؤول حرّ ما لم يعد، فإن وعد أصبح أسيرًا؛ لأنّ عليه أن ينفذ وعده.

وفي نهج البلاغة أيضًا في خطاب التنصيب في المدينة، قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ذمتي بما أقول رهينة»، ذمتي مرتهنة بكلامي، «وأنا به زعيم»، كل ما أقوله لكم فأنا أقصده، وليس عندي كلام فضفاض أحشوه، «والله ما كتمت وشمة»، الوشمة تعني نقطة، يعني لم أخفِ عنكم سرًا بمقدار نقطة، فقد شاركتكم الأسرار، شاركتكم

٢٦٨. كنز العمال ٣: ٣٤٧ ح٦٨٦٥.
٢٦٩. كنز العمال ٣: ٣٤٩ ح٦٨٧٦.
٢٧٠. نهج البلاغة ٤: ٧٩ الحكمة٣٣٦.

الظروف، ولم أخفِ عنكم شيئًا، فأنا مسؤول عنكم، وأنتم أصحاب القرار، والمعنيون بقيادتي وإدارتي، فلا أخفيكم شيئًا، «ولا كذبت كذبة»[٢٧١]، ولم أبالغ يومًا في كلام غير صحيح وخلاف الواقع أبدًا، فقد قلت الحقيقة كما هي بلا رتوش، ولذلك يجب على المسؤول أن لا يقطع وعدًا يكون عاجزًا عن تنفيذه.

وفي شرح غرر الحكم: قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تعد عدة لا تثق من نفسك بإنجازها»[٢٧٢]، حتى لو كنت ناويًا الإنجاز فلا تثق بقدرتك عليه، إذا لم تكن عندك ثقة بالإنجاز فلا تعد، إلا أن تكون متأكدًا وواثقًا من أنك قادر على الإنجاز. أنا خادمكم حين يأتي أحدهم ويطلب مني شيئًا ما، أقول له: لا أعدك بالتنفيذ، ولكن أعدك بالمتابعة، لأنها بيدي وأنا قادر عليها، أما ذاك المسؤول، اقتنع أم لم يقتنع، ما هي الضوابط والتعليمات والقوانين، ما هي رغبة المسؤول، ما هو ضميره، فلا علم لي بها، لئلا تأتيني غدًا وتقول لي: وعدت ولم تفِ بوعدك، أنا لا أعدك بالتنفيذ؟ ولكن أعدك بالمتابعة، وهو الأمر الذي أنا واثق منه ومتأكد منه.

فما كنت واثقًا منه أيها المسؤول ومتيقنا من أنك قادر على أن تفعله فيمكنك أن تعد به، أما الشيء الذي أنت غير متأكد من إنجازه فلا تعد به وإن كنت تحتمله، أعطِ وعدًا بالمتابعة ولكن لا تعد بالإنجاز، فلعله يحدث أمر يحول بينك وبين الإنجاز؛ «لا تعدنّ عدة لا تثق من نفسك بإنجازها».

وفي منطق علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا إذا وعدت بشيء فيجب أن توفر مستلزمات تنفيذه؛ لأنّ التنفيذ يتطلب منك أشياء ومستلزمات تكون مقدمة لتنفيذ الوعد، يجب أن تهيئها، فحينما يعد المسؤول الناس بتوفير الكهرباء، فإنّ ذلك يستلزم وزيرًا كفوءا، ومنظومة نزيهة، وخبرات دولية، وميزانيات مناسبة، وضربًا للمافيات والعصابات ومكافحة الفساد في هذا القطاع، يستلزم إيقاف المحسوبيات والمنسوبيات، فطالما وعدت بتوفير الكهرباء فيجب أن توفر كل هذه المستلزمات لكي تتوفر الكهرباء.

ورد في شرح غرر الحكم: قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اذكر وعدك»[٢٧٣]، لا تعد بوعد ثم تنساه، فيذهب الوعد كأن شيئا لم يكن، بل اجعله دائمًا نصب عينيك، تحت دائرة الضوء، اكتبه على مكتبك، علقه على الجدار، ويجب أن أقدّم هذه التوصية للسيد

٢٧١. نهج البلاغة ١: ٤٥ الخطبة ١٦.
٢٧٢. شرح غرر الحكم ٢: ١٧٢.
٢٧٣. شرح الغرر ٢: ١٧٢.

رئيس الوزراء، وأقول له: البيانات الحكومية التي قدمتها وأخذت الثقة على أساسها، اكتبها وضعها على مكتبك أو علقها على جدار غرفتك، لتراها كلما دخلت غرفتك، فتتذكر ما وعدت به، وأنا يجب أن أنصح نفسي وأنصحكم جميعًا، كل مسؤول في أي موقع من مواقع المسؤولية، ما هي واجباته، ماذا وعد الناس، عليه أن يكتبها على ورقة ويضعها أمامه؛ «اذكر وعدك»، عجيبة هذه الحكمة؛ عندما تعد بشيء فاجعله تحت دائرة الضوء لئلا تنساه.

وورد في كتاب الكافي: عن هشام بن سالم، قال: «سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: عدة المؤمن أخاه نذر»، أي هي نذر حقيقة، فكما أن النذر يجب الوفاء به، فكذلك الوعد يجب الوفاء به، «لا كفارة له»، حنث اليمين له كفارة، فمن حلف يمينًا وحنث به عليه أن يدفع كفارة، وكذلك من نذر نذرًا ولم يستطع أن يفي به تجب عليه الكفارة، ولكن إخلاف الوعد لا كفارة له، فماذا يفعل؟ هل ينفع أن يستغفر الله ألف مرة؟ لا ينفع، فما دامت قد وعدت فيجب أن تفي بوعدك، ولا كفارة للخلف بالوعد، «فمن أخلف فبخلف الله بدأ»، إذا أخلفت وعدك الذي قطعته لأحد من الناس، فإنك قد أخلفت الوعد مع الله (سبحانه وتعالى)؛ لأنّ وعدك مع الناس التزام عند الله (سبحانه وتعالى)، «ولمقته تعرّض»، الذي يخلف الوعد مع الله يتعرض لسخط الله (سبحانه وتعالى)، «وذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾»[٢٧٤]، لماذا تقول أمرًا لا تفعله، فيزيد السخط الإلهي عليك؟.

في كتاب الكافي أيضًا: عن أبي عبد الله الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفِ إذا وعد»[٢٧٥]، ادّعاء الإيمان أمر سهل، ويحتاج إلى ما يثبت ذلك، إذ نقول نحن مؤمنون، ولكن كيف نثبت ذلك؟ فإذا كنت مؤمنًا حقيقيًا فعليك الوفاء بوعدك، فالدين المعاملة، الدين الوفاء بالوعد والعهد، الالتزام بالعهود والمواثيق، وليس أداء الركعات المفروضة فقط، وليس عدم حلق اللحية ولبس المحابس فقط، وليس أن تحمل بكفك مسبحة فقط، فهذه بعض المظاهر الدينية عند الناس، ولكن ليست هي الدين في جوهره، في عمقه، بل الدين هو التزام الصدق وحسن التعامل والتدبير والتعاطي بشكل سليم مع الناس، وتعزيز الثقة مع الناس، هذا هو الدين؛ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر»، إذا

٢٧٤. الكافي ٢: ٣٦٣ ح١.
٢٧٥. الكافي ٢: ٣٦٤ ح٢.

كنت مؤمنًا حقيقيًا فعليك أن تفي بوعدك، فهنا يتبين الدين؛ بالوفاء بالوعود يتبين مدى التزامك الديني.

نسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يجعلنا من المؤمنين الملتزمين، ممن يفون بالوعود التي يقطعونها مع الناس.

وللحديث صلة لآفات الحكم والتصدي تأتي تباعًا، وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المحاضرة التاسعة عشرة بتأريخ ٢٠٢٠/٥/١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وعلى صحبه المنتجبين، تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم، وأسأل الله (سبحانه وتعالى) أن نكون قد سجلنا من المرحومين بليلة القدر الكبرى وأن لا نكون من المحرومين، أعوذ بجلال وجهك الكريم أن ينقضي عني شهر رمضان، أو يطلع الفجر من ليلتي هذه ولك قبلي تبعة أو ذنب تعذبني عليه، نسأل الله أن يتقبل منا جميعا صالح الأعمال، ويبارك لنا فيما تبقى من شهر رمضان، وأن يجعل فيه الرحمة والمغفرة والرضوان

كان حديثنا في عهد أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) لمالك الأشتر حين ولاه مصر، وذكرنا أن هذا العهد يمثل اختزالا لنظرية القيادة و الإدارة في الإسلام، وكنا نتحدث في المقطع الثامن والعشرين من هذا العهد حيث الحديث عن آفات الحكم والتصدي، وانتهينا للآفة الثالثة

الآفة الثالثة : التسرع والتهاون في الأمور

تتمثل هذه الآفة بحالة التسرع في الأمور، وكذلك حالة التهاون في الأمور، ويأتي التسرع من حالات الإفراط والاندفاع الزائد، ويأتي التهاون من حالات التفريط والإهمال، وكذلك اللجاجة؛ عندما يكون المسؤول والمتصدي لجوجًا في تحقيق أمور غير واقعية وغير موضوعية.

وما يقابل التسرع هو التأني، وما يقابل التهاون هو الحزم، وما يقابل اللجاجة هو الواقعية، فبالتالي هذه الآفات تعني أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو المتصدي، القائد، المسؤول، المدير، إلى أن يتعامل دائمًا بتأنٍ وحزمٍ وواقعية.

يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها): احذر أيها المسؤول أن تتعجل الأمور قبل أن يحين وقتها، وقبل أن تصل إلى الحد الذي تتهيأ فيه جميع ظروفها اللازمة للإنجاز، كالجنين الذي تريد أمه إنجابه قبل أن تتم مدة الحمل البالغة تسعة أشهر، فإنه لا محالة سيولد ميتًا، والمسؤول الذي يتسرع الأمور قبل أن يحين وقتها، يسمّونه في اللهجة العامية «تشربت»، يسمّونه إسقاط واجب، أو ذر الرماد في العيون. وهناك فرق كبير بين من يريد أن ينجز عملًا متقنًا، ومن يريد ضجة إعلامية ليقول للناس: إنني أنجزت هذه الأمور، في الوقت الذي كان يجب أن تطبخ فيه حتى تنضج، وتدرس دراسة عميقة، ثم بعد ذلك يتخذ فيها القرار، لتأخذ حيز التنفيذ. إذن فالعجلة تفسد الأمور؛ (إياك والعجلة بالأمور قبل أوانها)، قبل أن تصل إلى وقتها ونضجها المطلوب.

(أو التساقط فيها): أو من جانب آخر التهاون فيها.

(عند إمكانها): عندما تصل إلى لحظة الإنجاز، عندما تتوفر الظروف المناسبة لتحقيق الأمر، فإنّ التهاون فيها، والتباطؤ عنها، مفسدة لها أيضًا، فتعجل الأمور أمر غير سليم، والتباطؤ بالأمور والتهاون أمر غير سليم وغير مقبول أيضًا.

(أو اللجاجة فيها): أو تصر على الشيء بشكل غير منطقي وغير معقول، كأن يأتي مسؤول ويجمع العاملين في مشروع معين، ويقول لهم: كم بقي للمشروع حتى ينتهي؟ فيقولون: بقي شهران، فيقول لهم: سآتي بعد أسبوعين وأرى المشروع كاملًا، وإلا سأعلقكم جميعًا على حبل المشنقة، أو أطردكم من وظائفكم. ليس هكذا تُدار الدولة، فإنّ اختزال العمل من شهرين إلى أسبوعين يعني تجاوز أعمال فنية وهندسية وإجراءات يجب أن تُعتمد، وإنهاء المشروع في أسبوعين يعني تجاوز الرصانة، والدقة؛ لأنّه إنجاز ليس ضمن السياق المطلوب، وسيخرب العمل، فإنجاز المشاريع ليس بالعنتريات، وينبغي أن يكون وقت إنجازها محسوبًا بشكل دقيق، واختزاله يربك العمل، ويخرجه عن سياقاته الصحيحة، وينتج مضاعفات سيئة، فالمسؤول عندما يلح في قضية لا يمكن تحقيقها، فهذا أمر غير صحيح، ومن شأنه أن يفسد العمل، فالمسؤول أحيانًا يعتقد بأنّ الإدارة الصحيحة تكمن في الضغط على العاملين؛ بأن يطلب منهم نتائج غير ممكنة التحقق في وقت ما، وفي ظرف ما.

(إذا تنكرت): إذ كانت لم تزل متنكرة؛ غامضة، غير واضحة، غير معروفة، لا يعرف وجه الصواب فيها، لا تعرف البوصلة فيها، فإن صحة سير العمل تكمن في التريث

إلى حين انكشاف الغموض، كما لو أُرسلت التربة للفحص، فينبغي الانتظار إلى حين وصول نتيجة فحص التربة، لنرى هل ظروف الأرض صالحة لبدء تشييد المشروع، ولكن المسؤول يطلب من العاملين البدء بالمشروع وعدم الانتظار، مما يسبب نتائج كارثية لو جاءت نتائج الفحص بعد ذلك بعدم صلاحية التربة لإنشاء المشروع.

إذن إذا كانت الأمور غامضة في قضية هندسية، أو سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، فاللجاجة في سرعة إنجاز العمل دون التحري والتقصي والتأكد من صحة المسارات والإجراءات والخطوات، مضيعة للعمل ومفسدة له، فاللجاجة في العمل مع الغموض خطأ فادح ينبغي تلافيه.

(أو الوهن عنها): في المقابل إذا كانت الأمور واضحة؛ أن كانت نتائج فحص التربة إيجابية، وكان كل شيء جاهزا، فلا معنى للانتظار، وينبغي البدء بالمشروع، وترك التسويف والمماطلة والانتظار لما بعد شهر أو شهرين وهكذا، لماذا التأخير وكل شيء جاهز؟ وهنا يحذر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من الوهن، والضعف، والإهمال، وعدم المبادرة لإنجاز العمل بعد الوضوح.

(إذا استوضحت): يعني إذا وضحت وانكشفت الأمور، وأصبح الموقف واضحًا، فلماذا التماهل وعدم البت بالأمور؟ كما حصل في التشكيلة الوزارية الحالية التي ينقصها سبعة وزراء، وعندما يطلب من رئيس الوزراء المبادرة إلى تقديم الأسماء إلى مجلس النواب لأخذ الثقة لإكمال الحكومة، يقول: كلا، الأفضل أن ننتظر إلى الشهر المقبل، لماذا الشهر المقبل؟ أو يقول: الأفضل الانتظار إلى ما بعد العيد، لماذا بعد العيد؟ لماذا لا تسرع الآن بإنجاز هذا العمل ما دامت ظروفه مهيأة؟ إذن فاللجاجة في شيء لم ينضج بعد خطأ، وكذا الوهن والتكاسل والضعف عن شيء ناجز خطأ أيضًا.

(فضع كل أمر موضعه): ضع كل شيء في مكانه، أنجز كل أمر بالشكل الصحيح السليم.

(وأوقع كل أمر موقعه): تأكيد لما سبق؛ لخطورته وأهميته ووجوب بالغ العناية به، وهو أمر دقيق يحتاج إلى تقدير خبير لا يحسنه كل أحد.

الإضاءات المستفادة من النص

الإضاءة الأولى: تجنب العجلة والتسرع في الأمور

الحكم أمانة بيد المنظومة القيادية المسؤولة، ولذا يجب على المسؤول أن تكون قراراته وخططه وسياساته وإجراءاته مدروسة، لكي لا يندم عليها، ولا يؤدي إلى أخذ المنظومة القيادية إلى إجراءات خاطئة، فالقيادة ليست موقعا لقرارات متسرعة وعجولة توقع الإنسان في مطبات ومشكلات، بل يجب أن تدرس الأمور دراسة متأنية في اتخاذ القرار وفي وضع الخطط الناجعة لتنفيذه، والمباشرة بالتنفيذ والإقدام على الأمر يجب أن تخضع لدراسة علمية متقنة رصينة، يتأكد من خلالها أن هذا القرار قرار صحيح، وأنّ هذه الخطط خطط دقيقة، وأنّ التنفيذ سيتم بأفضل ما يكون، ولذا يجب أن تجري استشارات عميقة لخبراء حقيقيين ومختصين، و أن يكون هناك تقييم شامل لكل تداعيات هذا الإجراء، فمثلًا تُطرح مقترحات عديدة لمواجهة وباء كورونا، يدعو بعضها إلى اتخاذ إجراء حظر شامل، وبعضها إلى اتخاذ حظر جزئي، ويقترح آخرون الحظر المناطقي، ويقترح آخرون تخفيف الحظر الجزئي بأن يكون من العاشرة ليلًا إلى السادسة صباحًا، بدلًا من السادسة عصرًا، من أجل فتح المجال للناس للحركة بحرية أكبر، ويجري تداول أسباب وتداعيات كل مقترح من أجل الوصول إلى الإجراء الأمثل، فتجري دراسة واستقصاء شامل واستشارات دقيقة من مختصين، ونحتاج إلى تقييم شامل للآثار الاجتماعية، والسياسية، والخدمية، والنفسية على الناس، قبل أن يُتخذ أي قرار، ومن دون ذلك فالسير سيكون عشوائيًا؛ من غير تخطيط، أو دراسة، أو تدقيق، أو استشارة، وفيه مهلكة المنظومة القيادية، وستحل الكارثة وتنهار المنظومة بقرار خاطئ يأخذها إلى الهاوية، أو أخطاء كارثية قد يصعب حلها ومعالجتها وتداركها.

نرى في بلادنا أحيانًا أنه يصدر أمر ديواني في شيء ما، وبعد ساعتين يصدر أمر يلغي الأمر الأول، بعد ساعتين وليس سنتين! فما هذا التخبط في اتخاذ القرارات؟ وما هي الصورة التي تعكسها هذه القرارات والمواقف؟ وكل كتاب يذهب إلى عشرة أماكن؛ إلى كل الجهات المعنية، وكل ساعة يأتي كتاب ينقض الآخر، وهذا يكشف عن حالة من التخبط، وعن حالة من عدم الإدراك وعدم الدراسة الصحيحة والعميقة قبل اتخاذ القرار؛ التخبط في التعليمات، والإجراءات، والسياسات، والخطوات، وحتى على مستوى التشريعات؛ التشريع يُقرأ قراءة أولى وقراءة ثانية ويُعرض على لجان لكي يصوب، وعندما يُقر تقوم قيامة الجهة المستفيدة، فهل يجوز أن يقرّ قانون لا يعرض على الجهة المستفيدة؟ وهل يجوز لمن يكتب تشريعات أن يجلس في غرفة مظلمة، ولا

يتشاور مع الجهات المستفيدة؟ فمثلًا عندما يُراد كتابة قانون للمحامين، فينبغي التشاور مع نقابة المحامين بشأن رأيهم بمختلف فقرات القانون، قبل إقراره وتشريعه، وهكذا الأمر مع جميع الأصناف الأخرى التي يراد تشريع قانون لها، فأي تشريع يجب أن يلحظ الجهة المستفيدة، لكي يستطيع أن يحل مشكلاتها ويعالج تقاطعاتها ويطور أوضاعها، أما هذا التخبط وهذه العشوائية وهذا التعجل، فهي مضرة جدًا بالمنظومة القيادية.

ولكن لا بد من التأكيد على ضرورة التمييز بين أمرين؛ بين السرعة والتسرع، فالتسرع أمر خاطئ، أمر مدان، آفة من آفات التصدي، أما السرعة في إنجاز العمل بعد اكتمال شروط إنجازه، فهذا أمر مطلوب، فالسرعة جيدة، ولكن التسرع خاطئ.

(إياك والعجلة بالأمور قبل أوانها)، تحذير من العجلة بالأمور قبل أوانها، ولكن عندما جاء أوانها، ودرستها وناقشتها ووصلت إلى استنتاجات كاملة، فهنا يجب أن تباشر بالمشروع، ولا تنتظر. التسرع يكشف عن قلة حكمة، عن عدم إمعان النظر، عن عدم بُعد الأفق، عن عدم استشراف التأثيرات السلبية لهذا القرار.

ورد في نهج البلاغة من حكم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من الخرق المعاجلة قبل الإمكان»، من الحماقة التسرع قبل توفر الظروف الملائمة.. من السفه اتخاذ موقف قبل التهيؤ والاستعداد له.. من قلة العقل أن تتخذ خطوة تهيّج مشاعر الناس ضدك، وعليك أن تمهد الأرضية الملائمة، ليأتي القرار مقبولًا، ويحظى بغطاءات شعبية، وربما تكون الناس متفهمة، ولكنك أيها المسؤول تسلك بالقرار مسلكًا لا أحد يعرف ما هو؟ وكيف هو؟ فتنشأ اعتراضات توجب سحبه، وهذا كله إضعاف للمنظومة الحكومية والقيادية.

«والأناة بعد الفرصة»[٢٧٦]، يعني من الحماقة التأني بعد الفرصة، فإذا توفرت الفرصة وكانت الظروف مؤاتية، وكل الإجراءات سليمة، وكل الدراسات كاملة، فلا يجوز لك الانتظار، ويجب عليك المبادرة؛ لأنّ «الفرصة تمر مر السحاب»[٢٧٧] كما في حكمة أخرى لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأسرع ما دام الوقت ملائما والأجواء مهيأة لاتخاذ القرار.

ورد في بحار الأنوار: في وصية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لابنه الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وأنهاك عن التسرع بالقول والفعل»[٢٧٨]، التسرع بالقول أو بالفعل خطأ، فعليك أن تسأل وتدقق

٢٧٦. نهج البلاغة ٤: ٨٤ الحكمة ٣٦٣.
٢٧٧. نهج البلاغة ٤: ٦ الحكمة ٢١.
٢٧٨. بحار الأنوار ٦٨: ٣٢٩ ح٦.

وتنظر، فربما تظهر لك كلمة أو رقم أو شيء ما، ثم لا يكون قولك أو فعلك صحيحًا ولا دقيقًا، فهذا من شأنه أن يضعفك إلى حد كبير، والتسرع في الفعل هو التعجل في الأفعال بالطريقة التي تفسد العمل، وهذا لا يصح.

وورد في شرح غرر الحكم: قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «العجول مخطئ وإن ملك، والمتأني مصيب وإن هلك»[٢٧٩]، أي حتى لو تحقق الغرض يبقى العجول مخطئًا؛ لأنّه مخطئ بآليته، فقد تمر الأمور بخير في المرة الأولى، ولكنه سيقع في مشكلة في المرة الثانية، فإذا نجحت الأمور صدفة، بالرغم من التعجّل بلا دراسة، بأن عمل شيئًا وأتى بنتيجة إيجابية، فمع ذلك يبقى مخطئًا؛ لأنّ الآلية خاطئة، ولا يمكن بآليات خاطئة أن تتصور الحصول على نتائج طيبة وصحيحة، وإن حصل مرة صدفة وخدمته ظروف معينة، بأن تعجّل في أمر والله (سبحانه وتعالى) أتى بها صحيحة؛ كمن أغمض عينيه وعبر الشارع، وصدفة لم تدهسه سيارة، فلا يستطيع أن يبني عليها مرة أخرى، ويغمض عينيه مرة ثانية ويعبر الشارع، فاحتمال تعرضه للدهس وارد جدًا، فالآلية خاطئة حتى لو جاءت النتيجة صحيحة، لذلك هو مخطئ.

«العجول مخطئ وإن ملك»، وإن حقّق ما يريد، «والمتأني مصيب»، الذي يدرس الأمور، الذي يدقق الأمور مصيب، «وإن هلك»، عندما درسها ودقق فيها ورآها صالحة، ثم قرر الدخول فيها والإقدام عليها، ولكنه مع الأسف لم يحصل على النتائج المرجوة منها، ولم تثمر، ولم تنتج، وفشل المشروع، وبما أنه استفرغ جهده فسيكون ضميره مرتاحًا، ولا يلوم نفسه؛ لأنه اتّبع الآليات الصحيحة، وهذه الآليات إذا أخفقت هذه المرة، فإنها ستنجح معه في المرات القادمة، أما آليات العجلة فإنها وإن نجحت معه مرة، ولكنها ستفشل معه في المرات القادمة، فالتعجل خطأ وإن أصات الهدف مرة، والتأني صحيح وإن أخطأ الهدف مرة.

وورد في شرح غرر الحكم: قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أصاب متأنٍ أو كاد»، المتأني إما أن يصيب الهدف، أو يكاد يصيبه، أي كاد يقترب من الهدف، «وأخطأ مستعجل أو كاد»[٢٨٠]، والمستعجل يخطئ الهدف أو يكاد يخطئه وإن أصاب، فهو قريب من الخطأ، ولذا يجب الدقة في هذا الأمر.

٢٧٩. شرح غرر الحكم ١: ٣٢٢.
٢٨٠. شرح غرر الحكم ١: ٣٤١.

وفي شرح غرر الحكم: قال (علي عَلَيْهِ السَّلَامُ): «العجل يوجب العثار»[٢٨١] العثار من العثرة، أي العجلة توجب العثرة والزلة.

وفي شرح غرر الحكم أيضًا: «مع العجل يكثر الزلل»[٢٨٢]، مع التسرع يزيد الزلل، تزيد الإخفاقات، تزيد الأخطاء.

وورد في شرح غرر الحكم: قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «العجل قبل الإمكان»، يعني قبل التمكن من حيثيات الأمر، وقبل توفير الظروف المناسبة، «يوجب الغصة»[٢٨٣]، يوجب الألم والحسرة، عندما تتخذ قرارًا عجولًا وتخطو خطوة متسرعة فتفشل، فلا يبقى لك إلا الألم والغصة والحسرة.

وفي بحار الأنوار: قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مع التثبت تكون السلامة»، عندما تدرس الموضوع وتتحرى عنه وتدقق به وتتثبت منه يكون في ذلك السلامة والوصول إلى النتائج، «ومع العجلة تكون الندامة»، وعندما تتسرع تندم ولا تتحقق النتائج، «ومن ابتدأ بعمل في غير وقته»، بدأ في العمل دون أن يوفر ظروف نجاحه، «كان بلوغه في غير حينه»[٢٨٤]، فسيكون وقت قطاف النتائج غير مناسب، أي سوف تصل لهذا الأمر ولكن ستقطف ثمره قبل نضوجه، فلا تستطيع أن تستفيد منه، كقطف العنب في أول ظهوره، ويسمى (الحصرم)، فهو لا يؤكل، ويحتاج إلى بقائه على أشجاره شهرا أو شهرين ليتحول إلى عنب لذيذ، وحينئذ يحين أوان قطافه، ولكن عندما تقطفه متعجلًا قبل وقت نضوجه تكون قد أفسدته، فلا تستطيع أن تأكله، ولم تتركه حتى وقت نضوجه ليكون صالحًا للأكل.

وجاء في دعاء الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في يوم عرفة: «وبارك لي في قدرك، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجّلت»[٢٨٥]، الطلب من الله عز وجل أن لا نحب تعجيل ما أخّر، ولا تأخير ما عجّل، أي يا إلهي، لا تحبب إلينا تعجيل الأمر الذي لم يحن وقته بعد، ولا تبغّض إلينا تأخير الأمر الذي حان وقته؛ لأنه ربما كانت هناك مصلحة في التأخير، أو مصلحة في التعجيل، فلا نتمنى أن يتحقق الآن الأمر الذي

٢٨١. شرح غرر الحكم ١: ١١٨.
٢٨٢. شرح غرر الحكم ٦: ١٢١.
٢٨٣. شرح غرر الحكم ١: ٣٥١.
٢٨٤. بحار الأنوار ٦٨: ٣٣٨ ح ٣.
٢٨٥. إقبال الأعمال ٢: ٧٨.

أخّرته يا إلهي، أو يتأخر الأمر الذي عجّلته، وهذا الشيء مهم جدا؛ أن تتحقق الأمور في أوقاتها المناسبة.

وورد في كتاب بحار الأنوار: عن الإمام الجواد، أبي جعفر الثاني عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قال: «قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم»[٢٨٦]، التدبير والتخطيط والدراسة والاستشارة قبل العمل تؤمنك من الوقوع في الندم بعد الفعل.

وفي بحار الأنوار أيضًا: عن الإمام جعفر الصادق (سلام الله عليه)، عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وهذه من روايات السلسلة الذهبية التي يرويها إمام عن إمام عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قال: «إنّ رجلًا أتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله أوصني، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: فهل أنت مستوصٍ إن أوصيتك؟»، استفهام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من السائل عن مدى التزامه بالنصيحة التي سيقولها له، دليل على عدم التزام الناس بالنصائح التي يعرفونها، ويقال إن مجموعة من الناس جاؤوا إلى باب أحد العرفاء، فلم يفتح لهم الباب، فمكثوا عند الباب وهم يلحون بطلب النصيحة، ولم يبرحوا حتى استجاب لهم وفتح الباب، وقال لهم: إخواني أنصحكم بأن تعملوا بالنصائح السابقة التي سمعتموها.

البعض يحب استماع النصيحة، ولكنه لا يعمل بها، وبالتالي فهي لا تترك أثرًا في حياتهم، فالإنسان عندما يستنصح الآخرين ينبغي أن يسأل نفسه: هل سأعمل بهذه النصيحة؟ ولما كان الناس غافلين عن ذلك، سأله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فهل أنت مستوص إن أوصيتك؟»، أتيت تطلب نصيحة، تطلب وصية، فإذا أعطيتك إياها فهل ستعمل بها؟ «حتى قال ذلك ثلاثًا»، أي أعادها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عليه ثلاث مرات، «في كلها يقول الرجل: نعم يا رسول الله»، وتكرارها يعني أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يرى بعين الباطن أن هذا الرجل غير أهل للعمل بالنصائح، وأنه يريد أن يسمع فقط، «قال: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: فإني أوصيك إذا أنت هممت بأمر فتدبر عاقبته»، انظر ما هي نتيجته؟ ما هي عاقبته؟ تدبر فيه، دقق فيه، ادرسه جيدًا، «فإن يكن رشدًا فأمضه»، إذا رأيته جيدًا ونافعا لك، وفيه رشدك ومصلحتك، فاعمل به، «وإن يكن غيًّا فانتهِ عنه»[٢٨٧]، أما إذا رأيت أنه لا يحقق

٢٨٦. بحار الأنوار ٦٨: ٣٣٨ ح١.
٢٨٧. بحار الأنوار٦٨: ٣٣٨ ح٤.

مصلحتك الدنيوية ولا الأخروية، فلا تمضه واتركه ولا تعمل به، فكل عمل عزمت القيام به فعليك أن تدرسه وتتأمل فيه، فإن رأيت فيه مصلحتك ما لم يكن معصية فاعمل به، وكذا كل كلمة تريد أن تتفوه بها عليك أن تدقق فيها وتنظر إلى تبعاتها وآثارها، قبل أن تنطق بها، فإنك إن نطقت بها، فلن تستطيع أن ترجعها، كالماء الذي ينسكب من الإناء، فلا تستطيع له جمعًا.

وفيه أيضًا: عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إنما أهلك الناس العجلة»، «إنما» أداة حصر، يعني أن السبب الوحيد في هلاك الناس هو العجلة والتسرع، «ولو أن الناس تثبتوا لم يهلك أحد»[٢٨٨]، أي لو كان الناس يدرسون الأمر الذي يريدون القيام به، ويتأكدون منه، فلا أحد سيهلك، وسوف يسيرون بالاتجاه الصحيح.

وفيه أيضًا: عن أبي جعفر الباقر (سلام الله عليه)، قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: الأناة من الله، والعجلة من الشيطان»[٢٨٩]، التأني والتروي هبة وتوفيق من الله عز وجل للعبد، والتأني يعني الدراسة والتدقيق والتشاور، ثم الإقدام على العمل الذي عزمت عليه.

الإضاءة الثانية: الحذر من التهاون في الأعمال

إياك أن تتهاون وتتباطأ وتتكاسل حين تحين الفرصة وتتوفر الظروف، فما دام الحديد ساخنًا ـ كما يقولون ـ فاطرقه، ولا تنتظر شيئا، وبادر للعمل، فإنك إن تركته حتى يبرد، لم يجدِ الطرق عليه شيئًا؛ (أو التساقط فيها) يعني التهاون، (عند إمكانها)، عندما تتوفر ظروفها، فأقدم ولا تتأخر، فكما أن التعجل مضر قبل الدراسة، فكذلك التهاون والتكاسل في اتخاذ القرار والمضي قُدُمًا عند توفر الظروف، مهلكة أيضًا، ونرى أحيانًا بعض القادة لديهم مشكلة التسرع، فكل ساعة يتخذ قرارًا ثم يتراجع، والبعض الآخر لديه أزمة تباطؤ، فعندما يتطلب الأمر صدور قرار منه، يطلب تشكيل لجنة لدراسة القضية الفلانية، وتأتي اللجنة بأكثر من رأي، فيبقى في حيرته مترددًا، لا يستطيع أن يتخذ قرارًا، فيطلب تشكيل لجنة ثانية، أو يحولها إلى الجهة الفلانية لاستطلاع آرائهم فيها، إلى أن ينتهي وقتها وتضيع، ويضيع هو معها أيضًا، ويضيع البلد معه. إذن

٢٨٨. بحار الأنوار ٦٨: ٣٤٠ ح١١.
٢٨٩. بحار الأنوار ٦٨: ٣٤٠ ح١٢.

فالتعجل والتسرع بالقرار مهلكة، وكذا التباطؤ والتهاون في اتخاذ القرار بعد نضوجه مهلكة أيضًا.

والطريقة الوسطى بين التسرع والتساقط، بين التفريط والإفراط، بين التعجل والتهاون، هي الطريقة المثلى في اتخاذ القرار والإقدام على العمل، أي «خير الأمور أوسطها»[٢٩٠]، كما جاء على لسان علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وورد في حكم علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من نهج البلاغة: «من حلم لم يفرط في أمره»[٢٩١]، الإنسان الحليم لا يضيع الفرص، ولا يتهاون في أمره عند حلول الوقت المناسب، لأنّ التهاون والتكاسل والتردد في القرار، في الخطوة بعد نضوجها، تؤدي إلى إخلال كبير في إنجاز المهام القيادية، و«الفرصة تمر مر السحاب»[٢٩٢]، إذا لم تستثمر ذهبت منك، والوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، فبادر واستفد من الفرصة.

وورد في شرح غرر الحكم: «التفريط مصيبة القادر»[٢٩٣]، إن أهم مصائب ورزايا الإنسان القادر على الفعل الذي توفرت ظروفه وتهيأت شروطه، هو التفريط والتهاون والتكاسل؛ لأنه لا يعطي للفرص قيمتها، ويُظن أنه قادر على إنجاز كل عمل متى شاء، وبضياع الفرصة يضيع العمل منه.

وورد فيه أيضًا: «الفرصة سريعة الفوت، بطيئة العود»[٢٩٤]، الفرص تضيع بسرعة، ولا ترجع إلا بعد وقت طويل، فالله تبارك وتعالى يهيئ لك فرصة في الموضوع الذي هو موضع اهتمامك الآن، فعليك المبادرة والإسراع في استثمارها، فإن لم تفعل وفاتتك فعليك الانتظار طويلًا حتى تتهيأ لك فرصة أخرى. فحين تأتيك الفرصة، ويكون الظرف مناسبًا، فأقدم بسرعة ولا تتأخر، فحينما تتوفر فرص النجاح، ظروف النجاح، لا بد من اغتنامها والمضي قُدُمًا بلا تردد، وتحمل بعض المضاعفات، ولا يوجد شيء بلا مضاعفات؛ فالعلاج الذي ينبغي لنا أن نستعمله لنعالج أنفسنا من المرض، فيه أعراض جانبية، ومع ذلك نستعمله؛ لأنّ شفاءنا مرهون باستعماله، وتحمّل العوارض الجانبية أهون من الموت، ولا يوجد شيء بلا عوارض، وأنت أيها المسؤول عندما تمتنع من اتخاذ قرار خشية الأعراض الجانبية، فمعنى ذلك أنك تعرض البلد للموت

٢٩٠. عيون الحكم والمواعظ: ٢٤٠.
٢٩١. نهج البلاغة ٤: ٨ الحكمة ٣١.
٢٩٢. نهج البلاغة ٤: ٦ الحكمة٢١.
٢٩٣. شرح غرر الحكم١: ٢٤٢.
٢٩٤. شرح غرر الحكم ٢: ١١٣.

والضياع، والمنظومة القيادية إلى التفكك والانهيار؛ (أو الوهن عنها إذا استوضحت)، إذا انكشفت ظروفها، فلا تهن ولا تتباطأ ولا تتكاسل، وأمض على بركة الله.

الإضاءة الثالثة: الحذر من اللجاجة في الأعمال

اللجاجة هي الإصرار على شيء غير مدروس، غامض، مبهم، وقد حذّر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ الحاكم من اللجاجة في الأمر من دون واقعية، أو دراسة، بغير وجه حق، بشيء غير ممكن التحقق، إرضاء لرغبته الشخصية وبحثًا عن الأمجاد، فيأمر برفع هذا ووضع ذاك، وبناء هذا ونقض ذاك، ويضغط على العاملين معه، والمساكين لا يدرون ماذا يفعلون، وعندما يرتفع صوت معترضًا أن ما تقومون به خطأ، يقال له: اسكت فهذا أمر المسؤول، وعندما يطلب من المسؤول مناقشة هذا القرار؛ هل كان صائبًا أو هل هذه الخطوة صحيحة؟ لا يجد آذانًا مصغية.

إنّ اللجاجة تُخرج المنظومة القيادية من مسارها الصحيح، وتعرضها للانحراف ومخاطر الانهيار، سواء كانت اللجاجة في القرار، أو في التنفيذ، فأحيانًا يكون القرار خاطئًا ويصر عليه المسؤول، وأحيانًا يكون القرار صحيحًا ولكن المسؤول يصر على طريقة غير صحيحة في التنفيذ تؤدي إلى إفساد العمل.

ورد في نهج البلاغة من حكم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللجاجة تسلّ الرأي»[٢٩٥]، أي تفسد الرأي وتبعده وتزيله وتذهب به.

وفي شرح غرر الحكم: قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ليس للجوج تدبير»[٢٩٦]، لا يملك اللجوج القدرة على التدبير، ولو كان عنده تدبير ما ركب رأسه، واستبد برأيه، وأصر على قراره الخاطئ.

ولذا يحذّر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مالكًا من اللجاجة فيها إذا تنكرت، أي لا تصر على أمر عند الغموض، ولا تقدم عليه إلا إذا صار واضحًا، وحينئذ أقدم على اتخاذ القرار وتنفيذه.

واللجاجة أمر غير منطقي، وتكشف عن مشكلتين في شخصية صاحبها:

المشكلة الأولى: داخلية ذاتية، فاللجوج عنده نقص ذاتي، ولديه عقدة حقارة؛ لذلك يدّعي أنه قادر على فعل أشياء غريبة، إذن فهو صاحب مشكلة نفسية.

---

٢٩٥. نهج البلاغة ٤: ٤٢ الحكمة ١٧٩.

٢٩٦. شرح الحكم ٥: ٧٩.

المشكلة الثانية: خارجية، لا يستطيع أن ينجز الأمور بسياقاتها الصحيحة، فيختار طرقًا غير مألوفة، وغير مدروسة، فيها تهور، فيها مجازفة، فيقحم المنظومة القيادية والناس الذين هو مسؤول عنهم بهذا الأمر، ويدخل القضية من غير أبوابها، وقد أمرنا الله تبارك وتعالى أن نلج إلى الأمور من أبوابها، قال تعالى: ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾[٢٩٧]، لماذا تدخل من الشباك؟ لماذا تعمل عملًا بطريقة تخاطر به، في الوقت الذي توجد فيه آليات صحيحة توصلك للنتيجة؟.

وللجاجة تبعات وتداعيات، بعضها قصيرة الأمد، أي تظهر بسرعة، وبعضها بعيدة الأمد، أي لا تظهر بسرعة، وبعضها تظهر في الدنيا، وبعضها تظهر في الآخرة، بحسب طبيعة الموضوع الذي حصلت فيه اللجاجة.

جاء في شرح غرر الحكم: قال علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «اللجاج أكثر الأشياء مضرة في العاجل والآجل»[٢٩٨]، يبيّن أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خطورة اللجاجة والعناد والإصرار، بلا منطق ولا موضوعية، وأنها أكثر شيء يضر الإنسان في حاضره وفي مستقبل أيامه.

وورد فيه أيضًا: قال علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «راكب اللجاج متعرض للبلاء»[٢٩٩]، إن الإصرار الأعمى على أمر يوقع صاحبه في المشكلات، ويعرّض نفسه لألوان المحن والابتلاءات.

وورد في نهج البلاغة من وصية لأمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لابنه الإمام الحسن عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «وإياك أن تجمح بك مطية اللجاج»[٣٠٠]، تجمح يعني تأخذك مطية اللجاج، فالذي يركب اللجاج يأخذه إلى الهاوية.

وفي شرح غرر الحكم: «اللجاج يكبو راكبه»[٣٠١]، اللجاج يكسر صاحبه.

وفي ميزان الحكمة مجموعة من الروايات في هذا السياق:

منها: «اللجوج لا رأي له»[٣٠٢]، لأنه لو كان صاحب رأي لما لجّ في موضوع لا يمكن تحققه.

ومنها: «اللجاج يفسد الرأي»[٣٠٣]، كما أن اللجوج لو كان صاحب رأي فإنّ اللجاج يفسد رأيه.

---

٢٩٧. سورة البقرة: الآية ١٨٩.
٢٩٨. شرح غرر الحكم ٢: ١٥٦.
٢٩٩. شرح غرر الحكم ٤: ٨٥.
٣٠٠. نهج البلاغة ٣: ٥٣ كتاب ٣١.
٣٠١. شرح غرر الحكم ٢: ٣١.
٣٠٢. ميزان الحكمة ٨: ٤٨٤.
٣٠٣. ميزان الحكمة ٨: ٤٨٤.

ومنها: «ليس للجوج تدبير»[٣٠٤]، ومن سلبيات اللجاجة أن صاحبها لا تدبير له.
ومنها: «اللجاج ينتج الحروب ويوغر القلوب»[٣٠٥]، اللجاجة توجد جرحًا في القلب لا علاج له، لأن اللجاجة في موضوع لا يمكن أن يتحقق تورث الحسرة والألم المستمر.
ومنها: «اللجاجة تورث ما ليس للمرء إليه حاجة»[٣٠٦]، تورط صاحبها في أمور هو في غنى عنها.
ومنها: «احذر اللجاج تنجُ من كبوته»[٣٠٧]، ترك اللجاج يؤدي إلى النجاة من عثرته.
ومنها: «مطية اللجاج تكبو»[٣٠٨]، لا بد من أن يعثر اللجوج، ويسقط في مهوى حماقته.
ومنها: «إياك واللجاجة فإنّ أولها جهل وآخرها ندامة»[٣٠٩]،
ومنها: «من لج وتمادى فهو الراكس»، يعني الناكث للعهد «الذي ران الله على قلبه»، غطى على قلبه، «وصارت دائرة السوء على رأسه «[٣١٠].
ومنها: «ثمرة اللجاج العطب»[٣١١] العطب يعني الهلاك.

الإضاءة الرابعة: وضع الأمور والأعمال في موضعها الصحيح

أوصى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مالكًا وكل حاكم من ورائه بأن يضع كل أمر في موضعه الصحيح؛ (فضع كل أمر موضعه)، ويستفاد من هذه الصيغة شمول التوصية لكل أمر، فكل شيء يجب أن يضعه المسؤول في موضعه الصحيح، وهذا العموم (كل أمر) يشمل كل الشؤون القيادية؛ في اتخاذ القرار، في التخطيط، في التنفيذ، في التنظيم، في التنسيق، في القيادة، في الرقابة، في التقييم، في التطوير، في الإشراف، وكل خطوة، يجب أن تُدرس دراسة مستفيضة، وتُوضع في موضعها الصحيح، فالقيادة ليست لعبًا، وإدارة عدد من الناس ليست لعبًا، بل أمر يحتاج إلى دراسة، يحتاج إلى عمق، يحتاج إلى رؤية، يحتاج إلى دقة، يحتاج إلى تأن، ومن دونها يظهر الوهن والتفكك في المنظومة القيادية.

٣٠٤. ميزان الحكمة ٨: ٤٨٤.
٣٠٥. ميزان الحكمة ٨: ٤٨٤.
٣٠٦. ميزان الحكمة ٨: ٤٨٤.
٣٠٧. ميزان الحكمة ٨: ٤٨٤.
٣٠٨. ميزان الحكمة ٨: ٤٨٤.
٣٠٩. ميزان الحكمة ٨: ٤٨٤.
٣١٠. ميزان الحكمة ٨: ٤٨٤.
٣١١. ميزان الحكمة ٨: ٤٨٤.

من حكم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في نهج البلاغة: «العدل يضع الأمور مواضعها»[٣١٢]، إذا كان من العدل وضع الأمر في موضعه، فمن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ولذا كان من الواجب على الحاكم المسلم المأمور باستعمال العدل في كل أموره، أن يضع كل شيء في موضعه؛ أن يكون كل شيء محسوبا، ومدروسًا، وليست هناك عفويات وانفعالات ومزاجيات وشخصنة في القيادة والإدارة.

لاحظوا كلام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في غرر الحكم: «قدّر ثم اقطع»، أيها الخياط؛ ليس هكذا تقص القماش، ثم تعتذر لصاحب القماش أنّ الثوب قد زاد شبرًا أو نقص شبرًا، بل عليك تقدير القماش وقياسه بشكل دقيق ثم اقطع، «وفكّر ثم انطق»[٣١٣]، لا تحرّك لسانك بكلمة لتنطق بها قبل أن تفكر فيها، وفي عواقبها، وكذا ينبغي على الإنسان أن يستبين ويدرس ويدقق ويستشير ويتحرى ويستقصي قبل أن يقوم بأي عمل.

ورد في نهج البلاغة، الخطبة الخامسة من خطب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لما توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وجاءه أبو سفيان مصطحبًا معه العباس بن عبد المطلب، بعد أن تقمص رداء الإصلاح، وجاء يحرضه على رجالات السقيفة، وكيف أنهم اغتصبوا حقه، ويعرض عليه النصرة والقيام بالسيف، ولكن عليًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يعرف حقيقته، وما أضمر من نية خبيثة للإيقاع به، ثم تركه فريسة سهلة لأعدائه، الذين كانوا أقرب إلى أبي سفيان عملًا ومنهجًا من علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان كلامه حقًا أراد به باطلًا، فمن المتيقن أن أبا سفيان لا يريد الخير لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو يريد بالإسلام والمسلمين السوء، فهو الذي حارب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ طيلة عقدين من الزمن، وهو الذي جيّش الجيوش ودخل مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في حروب طاحنة منذ الهجرة إلى حين فتح مكة، وقد انكشف زيف مزاعم أبي سفيان بعد أقل من عقد من الزمن حينما سُلّمت ولاية الشام لابنه يزيد، ثم لابنه معاوية بعد وفاة يزيد، وتسلّم بنو أمية القيادة والسلطة بعد وفاة عمر، وعزلوا جميع الصحابة من السلطة، واستمر حكمهم ثمانين عامًا، إلى أن انتقم الله عز وجل منهم شر انتقام، ومزقهم شر ممزق، بعد أن عاثوا في الأرض فسادًا.

قال الشريف الرضي جامع نهج البلاغة: «ومن خطبة له عَلَيْهِ السَّلَامُ لما قُبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة»،

٣١٢. نهج البلاغة ٤: ١٠٢ الحكمة ٤٣٧.
٣١٣. شرح غرر الحكم ٢: ٧٦.

والصحيح أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ ألقى هذه الخطبة على جماعة من المسلمين قد اجتمعوا أمام باب داره، وكان فيهم العباس وأبو سفيان، كما جاء ذلك صريحًا في آخر هذه الخطبة المباركة التي نقلها السيد علي خان المدني في كتابه الدرجات الرفيعة، قال: «ثم نهض ودخل منزله وتفرق القوم»[٣١٤]، ويؤيده أيضًا ما قاله الحسين بن محمد بن الحسن الحلواني ـ تلميذ الشريف الرضي ـ في كتابه نزهة الناظر؛ قال في ديباجة نقله لهذه الخطبة: «لما قُبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ اجتمع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وعمه العباس ومواليهما في دور الأنصار لإجالة الرأي، فبدرهما أبو سفيان والزبير وعرضا نفوسهما عليهما. . . الخ»[٣١٥] وقال في آخرها: «ثم نهض عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال أبو سفيان: لشيء ما فارقنا ابن أبي طالب»[٣١٦].

ويمكن الجمع بين هذه النصوص المتناقضة بأنّ هذا الاجتماع الذي رتبه العباس مع الأنصار كان في أحد بيوت الأنصار، ثم انضم إليه أبو سفيان مصطحبًا معه الزبير، ثم جاؤوا إلى المسجد النبوي حيث باب لبيت علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى المسجد ـ كما هو معروف ـ وانضم إليهم في المسجد بعض المسلمين الذين كانوا هناك، فخرج إليهم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وألقى هذه الخطبة، أو أن عليًا كان معهم في بيت ذلك الأنصاري ثم جاؤوا جميعًا إلى المسجد. ومضمون الخطبة يدل أيضًا على أن كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن حصرًا مع العباس وأبي سفيان كما يُفهم من كلام الشريف الرضي. وتركيز البعض على دور أبي سفيان مبالغ فيه، فقد كان أحد الحاضرين لا أكثر، وقال ما قال، ولكن نُقل قوله ولم يُنقل كلام غيره سوى كلام العباس بن عبد المطلب.

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أيها الناس شقّوا أمواج الفتن»، تشبيه لكثرة الفتن وشدتها بأمواج البحر العاتية، وهنا يطلب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من الناس جميعًا، وليس من المسلمين فقط، مما يدل على أن هذه الفتن ستعم الناس جميعًا، ولا تقتصر على المهاجرين والأنصار المجتمعين لسماع خطبته، وأنّ ما هم فيه ليس فتنة واحدة، بل هي فتن يستتبع بعضها بعضًا، بأن يشقوا أمواج الفتن، لا بالهروب منها، أو الاستسلام لها، وإنما بمواجهتها وتحديها والتماس النجاة منها، ثم يذكر عَلَيْهِ السَّلَامُ الوسيلة التي يستطيع الناس النجاة بها من هذه الفتن العارمة، فيقول: «بسفن النجاة»، فمن هم سفن النجاة؟ ولماذا عبّر عنها

٣١٤. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٨٦.
٣١٥. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ٥٥ ح٣٩
٣١٦. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ٥٦ ح٣٩.

بصيغة الجمع؟ ولم يستعمل هذا الاصطلاح في النصوص الدينية والأدبيات الإسلامية إلا في آل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

فقد روى الصدوق عن علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «من أحب أن يركب سفينة النجاة، ويستمسك بالعروة الوثقى، ويعتصم بحبل الله المتين، فليوالِ عليًا، وليأتم بالهداة من ولده»[٣١٧]، ورواه الحسكاني عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا بنفس سند السلسلة الذهبية[٣١٨]، وقد جاء التعبير بصيغة الجمع؛ لأنّ كل واحد منهم هو سفينة نجاة في زمانه، فعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ هو سفينة النجاة في زمانه، ثم الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم التسعة المعصومون من ذرية الحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وقد عبّر عنهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بسفينة نوح، قال: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلّف عنها غرق»، رواه الحاكم النيسابوري في مستدركه عن أبي ذر، وقال: «صحيح بشرط مسلم ولم يخرجاه»[٣١٩]، أي البخاري ومسلم في صحيحيهما، وكذا رواه الطبراني عن أبي ذر أيضًا[٣٢٠]، ورواه أيضًا عن ابن عباس[٣٢١]، وكذا رواه الهيثمي عن ابن عباس[٣٢٢]، ورواه الطبراني عن أبي سعيد الخدري[٣٢٣]، وكذا رواه الهيثمي عن أبي سعيد الخدري[٣٢٤]، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ[٣٢٥].

«وعرجوا عن طريق المنافرة»، أي ابتعدوا عن طريق الفرقة والخلاف، أي تمسكوا بطريق الوحدة ولا تتفرقوا، وكان التزام أتباع علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذا الكلام هو سبب وحدة المسلمين بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

«وضعوا تيجان المفاخرة»، يعني انزعوا عن رؤوسكم تيجان التفاخر والتعالي والتكبر، فقد ابُتلي العرب دون سائر الأمم بالتفاخر في أنسابهم، فكل قبيلة تزعم

٣١٧. عيون أخبار الرضا ٢: ٢٦١ ح٤٣.
٣١٨. شواهد التنزيل ٤: ١٣٠ ح١٧٧.
٣١٩. المستدرك على الصحيحين ٣: ١٥١.
٣٢٠. المعجم الأوسط ٤: ١٠، ٥: ٣٠٦، ٥: ٣٥٥، المعجم الصغير ١٣٩: ١، ٤٥: ٣، ٣: ٤٦.
٣٢١. المعجم الصغير ٣: ٤٦.
٣٢٢. مجمع الزوائد٩: ١٦٨.
٣٢٣. المعجم الأوسط ٦: ٨٥، المعجم الصغير ٢: ٢٢.
٣٢٤. مجمع الزوائد ٩: ١٦٨.
٣٢٥. المصنف ٧: ٥٠٣.

أنها أفضل من غيرها، حتى كان هو الأساس الذي استند إليه رجال السقيفة في غصب الخلافة من علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فاحتجوا بأنهم من قريش، عندما أرادها الأنصار مناصفة، وقريش أفضل ممن سواها من قبائل العرب، وعندما سمع علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بذلك قال: «احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة»[٣٢٦] يقصد نفسه المقدسة عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

«أفلح من نهض بجناح»، جناح يعني مكامن القوة، أي يستطيع أن يتقدم، أن يحقق، أن ينجز، وهذا هو الخيار الأول الذي طرحه أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للنجاة من الفتن.

وهذا كلام في غاية الخطورة، فهنا علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يطلب النصرة لاسترجاع حقه، وقد أدرك ابن أبي الحديد معنى هذا الكلام، فأتى به كاحتمال أخير من احتمالات ثلاثة، مع أن الاحتمالين الأولين غريبان وبعيدان جدًا؛ يقول: «أفلح من نهض بجناح، أي مات، شبّه الميت المفارق للدنيا بطائر نهض عن الأرض بجناحه. ويحتمل أن يريد بذلك: أفلح من اعتزل هذا العالم، وساح في الأرض منقطعًا عن تكاليف الدنيا. ويحتمل أيضًا أن يريد: أفلح من نهض في طلب الرئاسة بناصر ينصره، وأعوان يجاهدون بين يديه»[٣٢٧].

وقد أيّد غرابة هذين الاحتمالين الشيخ ابن ميثم البحراني في شرحه على نهج البلاغة؛ إذ قال بعد نقله لقول ابن أبي الحديد المذكور آنفًا: «ولا يخفى بعدهما، بل الأظهر في الروايتين أن المعنى: فاز من قام بطلب الحق إذا تهيأت أسبابه أو انقاد لما يجري عليه مع فقدها»[٣٢٨].

«أو استسلم فأراح»، وهذا هو الخيار الثاني الذي يطرحه أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للنجاة من الفتن، فمن لم يستطع النصرة، فعليه أن يستسلم ويرضخ للواقع، فيريح نفسه ويريح غيره من المنازعة بلا طائل، وذلك عند عدم الناصر.

قال الشيخ المجلسي في بيان هذين الخيارين: «فاز من قام بطلب الحق إذا تهيأت أسبابه، أو انقاد لما يجري عليه مع فقدها»[٣٢٩]، يعني إما أن يحكم علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ويأخذ الخلافة «بجناح»، أي تقيض له، ويبايع كما بويع بعد أربع وعشرين سنة من هذا الكلام،

---

٣٢٦. نهج البلاغة ١: ١١٦ الخطبة ٦٧.
٣٢٧. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢١٤.
٣٢٨. شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ١٠٤ الطبعة الحجرية، نقلًا عن بحار الأنوار ٢٨: ٢٣٤.
٣٢٩. بحار الأنوار٢٨: ٢٣٤.

أو يستسلم فيريح نفسه أو يعتزل، ولكن أن تأتي أنت يا أبا سفيان ـ تريد أن تملأها دماء، فما هي الفائدة من ذلك؟.

هذه الخلافة «ماء آجن»، ماء نتن، وهو الماء الذي يتغير لونه وطعمه ورائحته.
والخلافة «لقمة يغص بها آكلها»، الحكم والتصدي والمسؤولية لمن لا يكون بقدرها وأهلًا لها، لقمة يغص بها، مثل العظم الذي يقف في مريء الإنسان، فالحكم ليس لعبا، ولا نزهة، فهل أنت ـ أيها المتصدي ـ بقدر المسؤولية؟ هل لديك مقوماتها؟ هل تستطيع أن تنجح؟ أو ليست لديك القدرة، وستخرج عليك الناس، تسبك وتشتمك، ولا تريدك وتريد تغييرك؟.
«ومجتني الثمرة لغير وقت إيناعها»، الذي يجلس في موقع الحكم أو في موقع المسؤولية، وهو ليس مؤهلًا، فمثله كمثل الذي يقطف الثمرة قبل نضوجها، فلا يستطيع أن يأكلها، ويحتار بها.
«كالزارع بغير أرضه»، الذي يزرع بأرضه يعرف وضعها؛ يعرف من أين ماؤها، وما هو زرعها، أما الذي يزرع بغير أرضه، فلا يدري ما هي؟ وقد تكون سبخة، فلا يحصل منها على شيء.
«فإن أقل»، إذا طالبت بحقي، وهو حق الأمة، ووقفت بوجوههم.
«يقولوا حرص على الملك»، سيقولون انظروا إلى علي يبحث عن كرسي الحكم، فلو وقف أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وطالب بحقه لقالوا معركة كراسي؛ يريد الحكم والسلطة.
«وإن أسكت يقولوا جزع»، خاف علي بن أبي طالب، وليس هو بقدر المسؤولية.
«جزع من الموت»، خائف على نفسه، يخاف أن يقتلوه.
«هيهات بعد اللتيا والتي»، بعد كل تلك الشدائد التي كابدتها، كبيرها وصغيرها.
«والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه»، الموت لا يخوفني، علي بن أبي طالب لا يخاف الموت، بل يأنس به كما يأنس الطفل بثدي أمه.
«بل اندمجت على مكنون علم»، يعني انطويت على علوم وحقائق أعرفها.
«لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة»[٣٣٠]، لحدث عندكم اضطراب، وهو تشبيه بالحبل عندما ينزل في البئر العميقة، وتعلمون أنه كلما كانت البئر أعمق فهي تحتاج إلى حبل أطول، وتكون حركته أكثر، فيتولد اضطراب شديد للحبل، وهنا يمثل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه لو باح لهم بما يحفظه في قلبه من أسرار ومعارف وحقائق، لحدثت لهم حالة من الاضطراب أشد من اضطراب الحبل في البئر العميقة،

٣٣٠. نهج البلاغة ١: ٤٠ الخطبة ٥.

ولذا فإن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقدر المواقف بشكل سليم وصحيح، ولا يرتضي أن ينساق وراء أبي سفيان وفلان وفلان ويمزق الأمة.

الإضاءة الخامسة: تنفيذ الأمور

يجب أن يتم تنفيذ الأمور في ظروف وشروط ملائمة؛ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وأوقع كل أمر موقعه)، هيئ أولًا الظروف والأسباب، ثم أقدم على الخطوة حين تكون ظروفها مناسبة، فلا بد من الالتفات إلى الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأمنية والنفسية، ولا بد من مراعاة ظروف الناس في الخطوات والقرارات والإجراءات، ولا بد من مراعاة عنصر المكان وعنصر الزمان في تنفيذ الأمور، وهذه مسألة مهمة جدًا؛ أين تريد أن تتخذ هذا القرار؟ ومتى تريد أن تتخذه؟ إذ من الممكن أن يكون هذا القرار صائبًا في وقت، ولا يكون صائبًا في وقت آخر، ويمكن أن يكون صائبًا مع شعب لديه ثقافة معينة، ولا يكون صائبًا مع شعب آخر ذي ثقافة مختلفة، فدراسة كل هذه الظروف، واختيار الوقت والمكان المناسبين لأي خطوة عند اتخاذ القرار وتنفيذه مسألة في غاية الأهمية.

لقد مر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بظروف صعبة جدًا، وكان أمامه طريقان أحلاهما مر، وكان عليه أن يختار أحدهما؛ إما أن يذهب باتجاه الصراع المسلح لاستعادة الحق المغتصب، وحينئذ ستراق الدماء، وستبدو القضية كأنها معركة كراسي، كما بيّن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك في الخطبة الخامسة من خطب نهج البلاغة الآنفة الذكر، أو يتماشى مع الواقع المفروض، وسيبدو ضعيفًا وغير مهتم بأمور المسلمين، وما إلى ذلك.

لاحظوا وصف أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لهذا الأمر، كما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة، من خطبة له عَلَيْهِ السَّلَامُ في مسيره إلى البصرة، في طريقه لحرب الجمل، يقول: »وروى الكلبي: لما أراد علي عَلَيْهِ السَّلَامُ المسير إلى البصرة، قام فخطب الناس، فقال بعد أن حمد الله وصلى على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: إن الله لما قبض نبيه استأثرت علينا قريش بالأمر«، وضعت قريش يدها على الخلافة واستأثرت بها.

«ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة»، أنا أحق من جميع الناس بالخلافة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وليس لغيري أي حق فيها، وعندما سلبت قريش هذا الحق رأيت نفسي أمام خيارين.

«فرأيت أن الصبر على ذلك»، القبول بهذا الأمر الواقع والتماشي معه.
«أفضل من تفريق كلمة المسلمين»، أفضل من أن أفرق كلمة المسلمين، وما يستتبع هذا التفريق من خصومات ونزاعات تؤدي إلى الاقتتال.
«وسفك دمائهم»، قد يستمر هذا القتال وتكون نهايته مفتوحة، «والناس حديثو عهد بالإسلام»، لأنّ الغالبية العظمى من الناس في الجزيرة العربية قد دخلت الإسلام بعد عام الفتح، واعتنقت الإسلام جماعات جماعات، وعلى نطاق واسع جدًا، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بقوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، فتح مكة، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾[٣٣١]، وكان فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، وكانت وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في السنة العاشرة للهجرة، وعدد كبير من الناس دخلوا الإسلام في أواخر السنة الثامنة للهجرة فما بعد، والمدة بين عام الفتح ووفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سنة ونصف السنة تقريبًا، أي أن أغلب الناس دخلوا الإسلام خلال عام ونصف، فهم لا يعرفون إلا قليلًا عن الإسلام، وإذا ما وقع اقتتال بين أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فسوف يرتد كثير من هؤلاء الناس عن الإسلام؛ لأنهم سوف يفسرونها على أن الإسلام حكم وسياسة، وليس دينا وعقيدة، وكان أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ينظر إلى هذه الحقيقة.
«والدين يمخض مخض الوطب»، يمثّل علي عَلَيْهِ السَّلَامُ الدين في ذلك الوقت بالإناء المملوء بالحليب أو اللبن، فعندما يُحمل هذا الإناء يسقط شيء منه بأبسط حركة، ولذا ينبغي الحذر الشديد عند حمله، فقد يراق جميع ما في الإناء لو اختل توازن حامله.
«يفسده أدنى وهن»، أقل حركة تريق الحليب، أي أن حال الناس عند وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كحال هذا الوعاء المملوء بالحليب، فلم يمض على إسلام أغلبهم إلا شهور، وأقل حدث يمكن أن يجعلهم يرتدون عن الإسلام، ولاسيما أنّ الكثير منهم لم يدخل الإسلام إلا بعد أن صار للمسلمين سطوة عظيمة، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خلال هذه الفترة القصيرة يوجه الجيوش إلى القبائل في أنحاء الجزيرة العربية يدعوهم إلى الإسلام، وكانت الناس تدخل فيه بلا مقاومة، ولذا فإنّ أدنى ضعف ووهن يتعرض له المهاجرون والأنصار ربما يؤدي إلى ارتداد المسلمين الجدد، كما حصل بالفعل لبعض القبائل التي ارتدت بمجرد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.
«ويعكسه أقل خلف»، يعني أن أبسط حركة يمكن أن تؤدي إلى إراقة هذا الحليب.

٣٣١. سورة النصر: الآية ١ ـ ٢.

«فولي الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهادا»، لم يبذلوا الجهد الكافي في حسن إدارة دفة القيادة.

«ثم انتقلوا إلى دار الجزاء»، ثم ماتوا وانتقلوا إلى ربهم.

«والله ولي تمحيص سيئاتهم»، الله (سبحانه وتعالى) كفيل بمحاسبتهم على تقصيرهم.

«والعفو عن هفواتهم»، وبيده سبحانه وحده العفو عن ذنوبهم، إن شاء عفا وإن شاء عاقب، وأنا علي بن أبي طالب قد نصبني الله تبارك وتعالى إمامًا للناس بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في غدير خم بعد حجة الوداع، وقد أخذ لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ البيعة منهم، ولكني رأيت مصلحة الناس بأن لا أنازع قريش على الخلافة، والآن بعد أربع وعشرين سنة بايعني المسلمون بعد أن وصل الأمر إلى ما وصل إليه.

«فما بال طلحة والزبير وليسا من هذا الأمر بسبيل»، طلحة والزبير يعلمان أن ولاية الأمر حقي، وليس لهما منها شيء، فلماذا يطمعان فيها، وقاما بتجهيز الجيوش لقتالي؟ بأي حق يفعلان ذلك؟ لماذا لا يراعيان وحدة المسلمين؟ لماذا لا يحافظان على دماء المسلمين، كما فعلت ذلك طيلة هذه المدة؟ فقد تنازلت عن حقي الذي جعله الله تبارك وتعالى لي، فلماذا لا يتنازلان عن باطلهم ويسرحان هذا الجيش الذي أعدّاه لقتالي؟ هكذا يقارن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بين موقفه وموقف طلحة والزبير.

«لم يصبرا عليّ حولًا ولا شهرًا»، لم ينتظراني سنة، ولا شهرًا، لينظرا ماذا سأعمل، وهو شبيه بموقف المتظاهرين اليوم من حكومتنا الجديدة التي لم يمض عليها إلا أيام معدودات، في حين ينبغي إعطاؤها الفرصة الكافية لتنفيذ برنامجها، وقد حدد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ سنة واحدة، وبعدها يمكن أن يُتخذ موقف منها، إذ لا يمكن أن يعمل الحاكم المعاجز بيومين أو ثلاثة، فلم يصبر طلحة والزبير على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لا عامًا ولا شهرًا.

«حتى وثبا ومرقا»، خرجا عليه وارتدا عن بيعته، وحملا السيف عليه؟.

«ونازعاني أمرًا لم يجعل الله لهما إليه سبيلًا»، الله عز وجل لم يجعل لهما الخلافة، وجعلها لي من دون الناس جميعًا، وهذا كتاب الله تبارك وتعالى ينطق بالحق؛ إذ قال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾[٣٣٢]، وليس في القرآن آية جعلت الولاية لطلحة والزبير، ولا لغيرهما.

٣٣٢. سورة المائدة: الآية ٥٥.

«بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين»، وقد بايعاني على الطاعة بدون إكراه، فالبيعة ملزمة لهما.

«يرتضعان أُمًا قد فطمت»، يعني أن طلحة والزبير يرضعان من ثدي أم قد فطمت رضيعها، فجف الحليب من ثدييها، ولعله إشارة إلى المرأة التي أخرجاها معهما، وأنها لا تنفعهما شيئًا، وسيلقيان مصيرهما المحتوم.

«ويحييان بدعة قد أميتت»، الخروج بوجه الحاكم العادل بدعة، وليست سنّة، وهذه البدعة قد أميتت.

«أدم عثمان زعما؟»، كان شعار طلحة والزبير هو المطالبة بدم عثمان، الانتصار لدم عثمان، الثأر لدم عثمان من علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكانت كلمة «واعثماناه» يتردد صداها في معسكرهم، وعليها اجتمع الناكثون، ولم يبرزا نواياهما الخفية، وهي طمعهما بالخلافة، لأنهما لو زعما أنهما أولى بها لما وجدا أنصارًا، ولما خرجت معهما المرأة.

«والله ما التبعة إلا عندهم وفيهم»، وهنا انتقال بالكلام من صيغة المثنى إلى صيغة الجمع، لاشتراك المرأة معهما في تحمل تبعات قتل عثمان، فقد عُرف عنها أنها كانت تحرض على قتله، وتقول: «اقتلوا نعثلًا فقد كفر»[٣٣٣] والنعثل هو كثيف شعر الرأس واللحية، وهو لقب أطلقته المرأة على عثمان[٣٣٤]، فعواقب دم عثمان هم يتحملونها وليس أنا.

«وإنّ أعظم حجتهم لعلى أنفسهم»، حجتهم ترجع عليهم، فإنّ عليًا هو أبرأ الناس من دم عثمان، ونقل الطبري أن طلحة أسرّ إلى ابن عديس قائد القوة المسلحة المحاصرة لدار الإمارة، بأن يمنع الدخول على عثمان والخروج من عنده، فقال عثمان: «هذا ما أمر به طلحة بن عبيد الله، ثم قال عثمان: اللهم أكفني طلحة بن عبيد الله، فإنه حمل عليّ هؤلاء وألبهم، والله إني لأرجو أن يكون منها ـ أي من الخلافة ـ صفرًا، وأن يُسفك دمه، إنه انتهك مني ما لا يحل له»[٣٣٥].

«وأنا راض بحجة الله عليهم، وعمله فيهم»، حجة الله تبارك وتعالى على هؤلاء الناكثين، ولعله إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ

٣٣٣. تأريخ الطبري ٣: ٤٧٧، الإمامة والسياسة ١: ٥١.
٣٣٤. انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد٦: ٢١٥.
٣٣٥. تأريخ الطبري ٣: ٤١١.

مِنكُمۡۖ﴾[٣٣٦]، أو لعله إشارة إلى البيعة التي في أعناقهم، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ﴾[٣٣٧]، وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الصلاة المكتوبة إلى الصلاة المكتوبة التي بعدها كفارة لما بينها، إلا من ثلاث: شرك بالله ونكث الصفقة وترك السنّة، أما نكث الصفقة فالإمام تعطيه بيعتك ثم تقبل عليه تقاتله بسيفك»، قال الحاكم النيسابوري في ذيل هذا الحديث: «هذا حديث صحيح ولم يخرجاه»[٣٣٨] أي البخاري ومسلم.

ثم يبيّن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه راض بما ينزل الله (سبحانه وتعالى) بهما مما يستحقان.

«فإن فاءا وأنابا»، إذا تابا ورجعا إلى الله (سبحانه وتعالى).
«فحظهما أحرزا»، يكونان من أصحاب الحظ الحسن، لأنهما سيحفظان حياتهما في الدنيا، ويتجنبان العقاب الإلهي في الآخرة.
«وأنفسهما غنما»، وحافظا على حياتهما، وأعظم بها من غنيمة أن يبقيا حيين.
«وإن أبيا»، وأما إذا أصرا على الخروج وحملا السلاح وجيّشا الجيوش للقتال.
«أعطيتهما حد السيف»، فحينئذ لم يتركا لي خيارًا غير قتالهما.
«وكفى به ناصرًا لحق»، الله (سبحانه وتعالى) كفيل بنصر الحق، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ٤٥﴾[٣٣٩].
«وشافيًا لباطل»[٣٤٠] ويتشفى من الباطل ويهزمه، وبالفعل فقد قُتل طلحة والزبير في هذه المعركة.
وورد في نهج البلاغة في كتاب لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشتر: «أما بعد، فإن الله سبحانه بعث محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نذيرًا للعالمين، ومهيمنًا على المرسلين، فلما مضى عَلَيْهِ السَّلَامُ تنازع المسلمون في الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي ـ في قلبي ـ ولا يخطر في بالي، أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن أهل بيته»، تزعج يعني تبعد الخلافة عن آل محمد.

---

٣٣٦. سورة النساء: الآية ٥٩.
٣٣٧. سورة الفتح: الآية ١٠.
٣٣٨. المستدرك على الصحيحين ٤: ٢٥٩.
٣٣٩. سورة النساء: الآية ٤٥.
٣٤٠. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٣٠٨.

«ولا أنهم منحُّوه عني من بعده»، ولا كنت أتصور أن العرب ينافسونني على حق جعله الله ورسوله فيّ.

«فما راعني ـ ما أفزعني ـ إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه»، يعني تسابقهم إلى بيعة الأول.

«فأمسكت يدي»، عندما رأيت الناس ذهبت باتجاه السقيفة وبايعت من بايعت، أمسكت يدي ولم أبايع وتركت الناس وشأنهم، متجنبًا سفك الدماء.

«حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام»، حتى رأيت الناس قد ارتدت عن الإسلام، ورأيت الإسلام يضيع، وكان سلوكهم سببًا في هروب الناس من الإسلام.

«يدعون إلى محق دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ»، يريدون أن يمحوا دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

«فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلمًا ـ خرقًا ـ أو هدمًا، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم»، فتركت ولايتكم، الخلافة عليكم، حفاظًا على الإسلام من الضياع، فالإسلام عندي أعظم من ولايتكم.

«التي إنما هي متاع أيام قلائل»، الإمارة أيام قلائل وتزول، فالكرسي لا يدوم.

«يزول منها ما كان كما يزول السراب»، السراب هو الشيء الذي يراه الظمآن من بعيد ويحسبه ماء، ولكن كلما اقترب منه يراه يبتعد، فهو ليس سوى وهم.

«أو كما يتقشع السحاب»، ربما رأينا جميعًا قطع السحاب الكثيفة تملأ أجواء السماء، فنظن أن المطر سيهطل بغزارة، ولكن سرعان ما يتبدد هذا السحاب ويعود الجو صحوًا.

«فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه»[٣٤١] يعني استمر الدين وحفظ.

وورد في نهج البلاغة في خطبة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في وضع الأمور في نصابها، والتضحية من أجل أن تأخذ الأمور مساراتها الصحيحة، فإنّ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لو كان قد أصر على أخذ الخلافة بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مباشرةً لأدى ذلك إلى حرب أهلية بين المسلمين وإراقة الدماء، وإلى ارتداد مجموعات كبيرة من المسلمين عن الإسلام، فصبر عَلَيْهِ السَّلَامُ أربعًا وعشرين سنة يرشد الناس، إلى أن وصلت اللحظة التي أدركت فيها الأمة أن التجربة غير ناجحة، وغير منتجة، وأنّ هناك انسدادا سياسيا بحسب تعبيرنا اليوم، فجاؤوا وانهالوا عليه يبايعونه. انظروا إلى هذا التقدير

٣٤١. نهج البلاغة ٣: ١١٨ كتاب ٦٢.

الصحيح للموقف، وإلى المكان والزمان وتأثيرهما، وإلى القرار الصحيح، وقد كانت هذه الخطبة بعد مقتل طلحة والزبير، والخطبة السابقة كانت قبل حرب الجمل.

«بنا اهتديتم في الظلماء»، نحن الذين هديناكم من الجاهلية.

«وتسنمتم ذروة العلياء»، أي ارتقيتم إلى العلى.

«وبنا أفجرتم عن السرار»، السرار: هو اليوم الأخير من الشهر وتكون فيه الظلمة قاتمة، فيكنى به عن الظلام، يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بنا أفجرتم»، بنا خرج الفجر الساطع الذي جاءكم فأضاء لكم في لحظة الظلام.

«وقر سمع»، أي صُمَّ.

«لم يفقه الواعية»، يعني الصارخة، دعاء على السمع الذي لم يفقه الواعية بالثقل والصمم، يقصد أنه لم يسمع العبر، ولم يسمع المواعظ، التي كان أثرها شديدًا عليكم، ولكن بعضكم صمٌ لا يسمعون النصيحة والعبرة.

«وكيف يراعي النبأة»، الصوت الخفي.

«من أصمته الصيحة»، من لا يسمع الصيحة كيف يسمع الصوت الخفي، وكيف يلاحظ العبر الخفية من لم ينتفع بالعبر الجلية الظاهرة؟.

«ربط جنان لم يفارقه الخفقان»، وهو دعاء للإنسان الذي ما زال قلبه خائفًا من الله تبارك وتعالى يخفق بالثبوت والاستمساك.

«ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر»، أما الذين غدروا فسيرون نتائج غدرهم.

«وأتوسمكم بحلية المغترين»، استشرفكم وأنتم ترتدون لباس وزينة أهل الغرور.

«حتى سترني عنكم جلباب الدين»، ظاهر التدين، من الصلاة، وطول اللحية، وحف الشارب، وارتداء ثوب قصير، وما إلى ذلك من ظواهر التدين في عرف الناس، هذا الإسلام ظواهر فقط، ولأنكم متجلببون بظاهر الدين، وكنتم على حكم الإسلام، منعني ذلك عن قتالكم، فإظهاركم لشعار الإسلام عصمكم مني مع علمي بنفاقكم.

«وبصرنيكم صدق النية»، صدق نيتي وهب لي البصيرة التي بها أراكم على حقيقتكم.

«أقمت لكم على سنن الحق في جوادّ المضلة»، بهذه البصيرة جعلني الله (سبحانه وتعالى) أتعامل معكم كمسلمين ظاهريًا، ولكن باطنيًا أعرف حقيقتكم وجوهركم الغدار.

«حيث تلتقون ولا دليل»، تجتمعون وتحاولون، ولكن ليس عندكم أي دليل تستندون إليه في هذا الأمر.

«وتحتفرون ولا تميهون»[٣٤٢] يعني تحفرون الآبار ولا تحصلون على الماء، أي لا تصلون إلى نتيجة؛ لأنكم سلكتم الطريق الخاطئ.

إذن من أهم عناصر القيادة هو أن يتم وضع الأمور في مواضعها، وأن تُدرس المسائل بشكل دقيق، وأن لا يكون هناك تعجّل حتى لو كان لك حق، فأحيانًا هناك مصلحة أكبر فتتنازل عن حقك من أجل الآخرين، وهذا ما فعله أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال مقولته الشهيرة: «لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين، وكان الجور عليّ خاصة»[٣٤٣].

نسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يجعلنا من السائرين على نهج أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وممن يعي هذه الحقائق المهمة والمعارف الجليلة، وأن نعمل بها في حياتنا اليومية؛ لنفوز ونتقدم ونتطور ونحقق الإنجاز تلو الإنجاز بإذن الله تعالى.

أكتفي بهذا المقدار، وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٣٤٢. نهج البلاغة ١: ٣٨ الخطبة ٤.

٣٤٣. نهج البلاغة ٢: ١٢٤ كلام ٧٤.

المحاضرة العشرون بتأريخ ١٨/ ٥/ ٢٠٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار، وأسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يجعلنا من المرحومين بهذا الشهر الفضيل، وأن لا نكون من المحرومين.

كان حديثنا في عهد أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) لمالك الأشتر حين ولاه مصر، وذكرنا أن هذا العهد يمثل اختزالا لنظرية القيادة والإدارة في الإسلام، وكان الحديث في المقطع الثامن والعشرين من هذا العهد، والذي يتحدث عن آفات الحكم والتصدي، انتهى بنا المطاف إلى الآفة الرابعة من هذه الآفات.

الآفة الرابعة: عدم المساواة بين المسؤول وعموم الناس

الآفة الرابعة من هذه الآفات، التي يتحدث فيها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هي عدم المساواة بين المسؤول وعموم الناس، أو بينه وبين من هو مسؤول عنهم، مهما كانت هذه الدائرة ضيقة أو واسعة، فالاستئثار وأخذ الامتيازات الكثيرة، والتمييز بين المسؤول والآخرين، في المواقع، في أماكن الجلوس، في الأدوار، في الامتيازات الأخرى المعنوية والمادية، في ما هو حق عام للجميع؛ أمر غير محبذ وغير صحيح، وآفة من آفات الحكم.

عندما يرى المسؤول لنفسه الحق في أن يتمتع بامتيازات، في ما هي شؤون عامة وحقوق مواطنة، يجب أن يشترك ويتساوى فيها الجميع، نراه يقدم نفسه على الآخرين

في كل شيء، هكذا يتعامل البعض، وهذه آفة من آفات القيادة والإدارة والتصدي، انظروا ماذا يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(وإياك والاستئثار): الاستئثار يعني أن تطلب الزيادة لنفسك، أيها المسؤول، أيها المتصدي، أيًا كان مستوى مسؤوليتك، تريد أن تميز نفسك، فتأخذ امتيازات أكثر من الآخرين، وقد تكون هذه الامتيازات مادية أو معنوية.

(بما الناس فيه أسوة): في الأمور التي يجب أن يكون الناس فيها متساوين، فهناك شيء اسمه حقوق المواطنة، وكل مواطن يحمل الجنسية العراقية وينتمي إلى هذا البلد له هذه الحقوق، أيًا كان موقعه، سواء كان فقيرا أو غنيا، لديه مسؤولية أو ليست لديه مسؤولية، فهذه حقوق مواطنة، وفي تلك الأمور التي يتساوى فيها الناس لا يحق لك أن تميز نفسك، نعم هناك أمور يجعلها لك القانون، كما لو كانت حياة المسؤول في خطر بحكم مسؤوليته، فلا بد من أن يكون معه من يحميه مثلًا، وكذا البروفيسور صاحب الشهادة الفلانية، الذي أمضى سنين طويلة من عمره ليتمكن من علم ما، من معرفة ما، حتى أصبح لديه مستوى علمي معين، فهنا يميز عن غيره بحسب القانون، كأن يعطى راتبًا أكثر من الإنسان العادي، وهذا استحقاق، وهكذا هناك أشياء يتميز بها المسؤول عن غيره بحسب الاستحقاق، ضمن القانون، ضمن السياق، وهذا لا بأس به، ولكن الكلام عما هو حق المواطنة المشترك، الذي يتساوى فيه الجميع، ويريد المسؤول أن يميز نفسه في هذه الأمور، فهذا لا يصح.

(والتغابي عما تُعنى به): يعني التغافل، تغمض عينيك عما يجب أن تهتم به في دائرة مسؤوليتك، في منظومتك القيادية، من خروقات من مدراء تحت مسؤوليتك، أو أن مدراء تحت مسؤوليتك يرتكبون أخطاء، يعتدون، يتجاوزون، يميزون أنفسهم، وأنت تغمض عينيك لئلا تراهم، ولا تهتم بما يحدث.

(مما قد وضح للعيون): أي أصبحت هذه الخروقات واضحة، والكل يتحدث بها، الكل يراها، فعليك أيها المسؤول أن تضبط إيقاع المنظومة القيادية؛ سلسلة المراتب التي تحتك، فلا يكفي أن تكون قائدًا للجيش، قائدًا لفرقة، آمرًا للواء، آمرًا لفوج، ويكون سلوكك جيدًا، بل انظر إلى من هم تحت إمرتك كيف يتعاملون مع الناس، وكذلك لا يكفي أن تكون قائدًا تنظيميًا، مسؤولًا عن مساحة معينة، بل انظر إلى القيادات التي دونك هل يتعاملون بشكل لائق مع الناس؟. إن كنت رئيس شركة فانظر إلى المدراء الذين هم تحت إمرتك كيف يتعاملون، وإن كنت وزيرًا فانظر إلى الوكلاء

والمدراء كيف يتعاملون، فالمسؤول أينما كان، عليه أن يضبط إيقاع كل من هم دونه في المسؤوليات وفي المراتب، أما أن تضج الناس من سلوك مدير معين، والمسؤول عنه غير مهتم، ولا يستمع لهذه التظلمات، ولا يتخذ موقفًا من هذا المسؤول الأدنى، ويتغابى وكأنه لا يعلم بما يجري، فهذا غير مقبول.

(فإنه مأخوذ منك لغيرك): لو دامت لغيرك ما وصلت إليك، وما دامت المسؤولية قد وصلت إليك، فمعنى ذلك أن شخصًا بعدك سيأتي ويأخذها منك، كما أخذتها أنت من الذي كان قبلك، فالإهمال في المنظومة القيادية، وعدم الاكتراث لأخطاء المسؤولين الأدنى، وعدم متابعة أدائهم وسلوكهم وتعاملاتهم، تؤدي بك ـ أيها المسؤول ـ إلى أن تفقد الموقع الذي أنت فيه، وستكثر اعتراضات الناس عليك ويزيد السخط حتى يقيلوك.

(وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور): عندما يقيلونك وتجلس في بيتك بعد إخراجك من دائرة المسؤولية، وهذه المسؤولية هالة، تجعل أناسا تجامل، وأناسا تنافق، وأناسا تتملق، ويخفون المعلومات غير الجيدة ويبعدونها عنك، ويوصلون إليك المعلومات التي يريدونها، كالإنجازات والانتصارات، وعندما يقيلونك، ستنكشف كل هذه وسترى الحقيقة كما هي، وستتعجب أن الأمر الفلاني كان هكذا، وذاك الأمر كان كذا، وأنّ المسؤول الفلاني كانت لديه هذه المشكلة في الأداء القيادي، وأن هناك مشكلات في المنظومة التي كنت تديرها، وهكذا تنكشف المشكلات والأخطاء.

(وينتصف منك للمظلوم): عندما كنت في المسؤولية تضرب هذا وذاك، تعتدي وتتجاوز وتتطاول، ولكن عندما تُرفع الحصانة عن النائب في البرلمان و تنتهي دورة مجلس النواب الممتدة أربع سنوات، يبقى هو وعمله، وكذا الوزير الفلاني؛ فما دام في الحكومة فأموره مستقرة، ولكن في اليوم الذي يخرج فيه من الوزارة، يستطيع موظف بسيط في النزاهة أن يفتح له ملفات ما كانت لتُفتح ما دام هو في الوزارة، ويجره إلى المحاكم، (وينتصف منك للمظلوم)، يؤخذ منك للمظلوم حقه الذي ظلمته فيه، وينتصف من الإنصاف، ينصف المظلوم من خلال هذه الخطوة.

الإضاءات المستفادة من هذا النص

الإضاءة الأولى: تجنب الاستئثار والتمييز في المنظومة القيادية والإدارية

يجب أن يكون الجميع سواسية في ما هو حق للجميع؛ كحق العضوية، حق الانتماء، حق المواطنة، وهناك آفة كبيرة؛ هي أن يحاول المسؤول، المدير، استغلال موقعه للحصول على المزيد من الامتيازات والاستئثار بأدوار معنوية ومادية هي ليست من استحقاقه، يأخذها بهذه الطريقة؛ (وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة)، يعني أن الجميع متساوون، لذلك كان أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في كتب التنصيب التي كتبها لولاته، يركز على هذا الموضوع دائمًا، ويحذرهم من أن يستأثروا أو يميزوا أنفسهم عن بقية الناس، وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ حريصًا دائمًا على أن لا ينفتح باب لمثل هذا التمييز والمقامات والشأنيات في منظومته القيادية، وكان حين يحصل اختراق، حينما يعرف أن أحد ولاته ميّز نفسه عن الآخرين، يتخذ موقفًا حازمًا وشديدًا وسريعًا، لكي يقطع دابر هذا الأمر ولا يسمح بالاستئثار والتمييز في منظومته القيادية.

ورد في نهج البلاغة من الكتاب الذي أرسله أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى محمد بن أبي بكر حين قلده ولاية مصر، يقول:

«فاخفض لهم جناحك»، أنت ذاهب إلى مصر، فعليك أن تتواضع للناس.
«وألن لهم جانبك»، تعامل بلين، بمحبة، باحترام، بتقدير.
«وأبسط لهم وجهك»، ابتسم وكن بشوشًا معهم، ولا تعبس بوجوههم، فإنّ البعض يحسب أن المدير الناجح والمسؤول الناجح هو الذي يخوّف الناس، فيجب عليه أن يحمر عينيه قليلًا، ليبدو إنسانًا جافًا، لكي تهابه الناس وترتجف منه، ولكن من قال لك إن هذه هي الطريقة الصحيحة لقيادة الأمور، فقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وكذلك أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هشًا بشًّا[٣٤٤]، يتعامل بهشاشة وبشاشة دائمًا مع الناس.
«وآسِ بينهم في اللحظة والنظرة»، يعني ساوِ بينهم، حتى في النظرة، ولا تبقَ مركزًا على شخَص واحد، أو جهة واحدة، بحيث يشعر الحاضرون وأنت جالس في مجلسك بأنك مهتم بهم جميعا، وحتى في حركة العين فيجب أن تشمل الجميع؛ «في اللحظة والنظرة «، فإذا أردت أن تركز على أحد فيجب أن تركز على الثاني والثالث و. . . لكي يتكون شعور عند الحاضرين في المجلس بأنك مهتم بهم بلا تمييز بين شخص وآخر، ولكن تصوروا في مجلس يحضر فيه عشرة أشخاص، فإذا كان المسؤول ينظر إلى شخص واحد ويتحدث معه، ويهمل التسعة الآخرين، فما هو الانطباع الحاصل؟

٣٤٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٥.

سيقولون إن هذا هو المقرب، وهذا حاجته مقضية، ونحن الضائعون، كلا، بل يجب عليك يا مسؤول أن تساوي بين الجالسين حولك حتى في النظرات، في الاهتمام، في تقاسيم الوجه، لكي تُشعر الجميع بأنهم محترمون في مجلسك.

«حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم»: إذا أكثرت النظر إلى واحد من وجهاء الحاضرين، وميزته عن غيره في النظرة واللحظة، أو أفردته بالحديث من بين الحاضرين، فسوف يطمع فيك، وسيقول: ما دمت قد حظيت بهذه المنزلة عند هذا المسؤول فعليّ استغلاله، ومن الآن فصاعدًا سألوي عنق من يتعرض لي من خلال هذا المسؤول، ولذا ينبغي أن لا يطمع فيك ـ أيها المسؤول ـ أي شخص من أصحاب النفوذ، فيستخدموك لضرب منافسيهم وخصومهم، أو للإساءة إلى الناس وظلمهم، فتظلم الآخرين من أجلهم.

«ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم»، إذا جاءك مظلوم وعنده شكوى من وجيه، فرأى كل اهتمامك بهذا الوجيه، وقد جلس عندك ربع ساعة ولم تنظر له نظرة واحدة، فسوف يشعر بأنه لا توجد فرصة للانتصار له، إذن فهذه المساواة بالنظرة واللحظة، بالاهتمام، تمنح الضعيف قوة، وعندما يرى القوي أنك وهبت الضعيف قوة من خلال مساواتك بينهما، فلن يجرؤ على النيل منه، ولكن عندما يرى القوي أنك أوليته اهتمامًا أكثر من الآخرين، فسوف يستخدم قوتك للنيل من خصومه، وربما لم تكن ترى ـ أيها المسؤول ـ أن لهذا الأمر البسيط في نظرك، وهو المساواة في اللحظة والنظرة، كل هذه النتائج الخطيرة.

«فإنّ الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة»، كل شيء مساءل عنه الإنسان، سواء كان كبيرًا أو صغيرًا، جليلًا أو تافهًا، بل يحاسب حتى على النظرة، وتقاسيم الوجه، وإظهار الاهتمام أو عدم الاكتراث، وأحيانًا مجرد النظرة تكفي في معرفة أن فيها التعظيم والاحترام أو فيها الإهانة والإذلال، ولذا يجب أن يحظى الجميع باحترام المسؤول.

«والظاهرة والمستورة»، فالله (سبحانه وتعالى) يسائل الإنسان عن جميع أعماله الظاهرة أو المخفية؛ لأنّ الله سبحانه لا يخفى عليه شيء، فهو العالم بما ظهر وما تخفي الصدور، فيحاسب على ما يظهره الإنسان وما يستره عن أعين الناس، لذا يجب عليك ـ أيها المسؤول ـ أن تتعامل مع الجميع بمنطق واحد، فلا تتعامل معهم في الظاهر بطريقة معينة، ولكنك تميّز بينهم في السر والخفاء.

«فإن يعذب فأنت أظلم، وإن يعفو فهو أكرم»[٣٤٥] إذا عذبنا الله (سبحانه وتعالى) فمن ظلمنا، وإذا عفا عنا فمن فضله علينا، وليس باستحقاقنا.

وورد أيضا في مقطع آخر من نفس هذا الكتاب: «واعلم يا محمد بن أبي بكر، أني قد وليتك أعظم أجنادي في نفسي، أهل مصر»، ومن كلامه هذا عَلَيْهِ السَّلَامُ يظهر ما يوليه عَلَيْهِ السَّلَامُ من حب لأهل مصر، وأنّ جنود مصر هم أعظم أجناد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

«فأنت محقوق أن تخالف على نفسك»، وفي مقابل ما أعطيتك من ولاية هذا البلد القريب إلى نفسي، والشعب الذي أحبه وأمّرتك عليهم، يجب عليك أن تخالف هواك لكي تؤدي حق هذه المهمة الحساسة والخطيرة.

«وأن تنافح عن دينك»، تدافع عن دينك، تجاهد عن قيمك، وحذار من أن تفقد حالة الدفاع عن دينك وقيمك عندما تتربع على كرسي المسؤولية.

«ولو لم يكن لك إلا ساعة من الدهر»، لو لم يبق من عمرك غير ساعة، ولا يقصد بالساعة معناها في زماننا، بل يقصد اللحظة، عليك أن تبقى مدافعًا عن دينك.

«ولا تسخط الله برضا أحد من خلقه»، إياك يا مسؤول أن تتعرض لسخط الله (سبحانه وتعالى) من أجل رضا أحد من خلقه، مهما كان ذلك الشخص مهمًا في نظرك أو في نظر الناس.

«فإنّ في الله خلفًا من غيره»، في الله تبارك وتعالى خلف من كل الناس، فإنّ الله (سبحانه وتعالى) لو كان معك والناس كلها ضدك فأنت الرابح، فلا تخف من أن يعرض فلان عنك بوجهه ما دام في ذلك لله رضا، وما قيمة رضا فلان إذا كان في ذلك سخط له (سبحانه وتعالى)، ولذا على المسؤول أن يضع في حسابه دائمًا في كل قضية إحراز رضا الله (سبحانه وتعالى) أولًا، فإن كان ذلك العمل يرضيه فأقدم عليه، سواء رضي فلان أو لم يرض، وإن كان مما يسخط الله عز وجل فابتعد عنه، ولا تسولنّ لك نفسك أو الشيطان أن لا تفكر بإحراز رضا الله (سبحانه وتعالى)، أو أن في رضا فلان وفلان رضا لله سبحانه، وحينئذ يحلل عليك غضب الله، ومن يحلل عليه غضب الله فقد هوى على أم رأسه في نار جهنم، وكان لها حصبا، واعلم أن في رضا الله (سبحانه وتعالى) خلفًا لك من الناس في الدنيا والآخرة، أما إذا كان رضا فلان لا يتقاطع مع رضا الله، فأنت في الحقيقة لم تعمل لأجل رضاه، بل من أجل رضا الله (سبحانه وتعالى)، وإن وقع رضا

٣٤٥. نهج البلاغة ١: ٢٧ الكتاب ٢٧.

فلان عرضًا في طول رضا الله، وأما إذا دار الأمر بين سخط الله ورضا فلان، فلا والله ليضرب فلان رأسه بالجدار ولا تتركنّ رضا الله عنك، فالمدار دائمًا وأبدًا هو على إحراز رضا الله تبارك وتعالى، فإذن إذا كان فلان ـ مهما كانت منزلته الدينية أو الدنيوية ـ يطلب شيئًا خلاف الشرع، أو خلاف المروءة، أو فيه ظلم لأحد، فلا يجوز الإقدام على ذلك العمل إذا كان فيه سخط الله (عز وجل) وغضبه، واحرص على إحراز رضا الله تبارك وتعالى؛ لأنّ في رضاه خلفًا وعوضًا من رضا الناس.

«وليس من الله خلف في غيره»[٣٤٦]، أما أن تترك رضا الله (سبحانه وتعالى)، فمن هو الخلف منه؟ هل فلان أو فلان خلف من الله جل جلاله؟ إذن ليس هناك خلف من الله تعالى، ولا محيص من أن يكون رضا الله تعالى هو الأول، وإن أدى ذلك إلى غضب جميع الناس، فلا تقدم على عمل يغضب الله عز وجل، وأقدم على ما يرضيه ولا تخف من النتائج والآثار المترتبة على سخط عبد من عبيده (سبحانه وتعالى)، وتمسك برضا الله (سبحانه وتعالى) وإن غضب الناس، فالله تبارك وتعالى هو الذي يعوضك، فعندما يراك قد آثرت رضاه على رضا غيره، يعوضك عمّا يمكن أن تخسره، بل يزيدك من فضله.

وورد في نهج البلاغة في خطبة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ما يشير إلى مسألة مقتل عثمان بن عفان، ثم ما حدث بعد ذلك من اتهام له عَلَيْهِ السَّلَامُ بدم عثمان، فقد كانت حرب الجمل ـ كما تعرفون ـ عنوانها الانتصار لدم عثمان من قبل طلحة والزبير، وهنا يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في الجواب عن هذه الشبهة:

«لو أمرت به لكنت قاتلًا»، لو كنت قلت اقتلوه لكنت شريكًا في دمه.

«أو نهيت عنه لكنت ناصرًا»، ولو كنت قلت لا تقتلوه لكنت ناصرًا له، وأنا في الواقع لم أقل اقتلوه، ولم أقل لا تقتلوه، أما لأني لم أقل للناس لا تقتلوه، وجلست في داري، تحملونني مسؤولية قتل عثمان، وأكون عندكم أنا قاتل عثمان، فهذا أمر عجاب.

«غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير مني»، يعني أن الذين نصروه ليسوا بأفضل من الذين خذلوه، لهذا لا يستطيع ناصره أن يقول: أنا خير من الذي خذله، ولا يستطيع خاذله أن يقول:

٣٤٦. نهج البلاغة ٣: ٢٩ الكتاب ٢٧.

إن ناصره خير مني، يريد عَلَيْهِ السَّلَامُ أن القلوب متفقة على أن ناصريه لم يكونوا في شيء من الخير الذي يفضلون به على خاذليه.

وهنا الشاهد: «وأنا جامع لكم أمره»، أُريد أن أعطيكم تلخيصًا عن منهج عثمان بكلمتين.

«استأثر فأساء الأثرة»، ميّز عثمان نفسه عن الآخرين، ووضع امتيازات لنفسه، ومكّن أقاربه وأرحامه، فأخطأ في هذا التمييز، ولم يراعِ عدم الاستئثار في القيادة، فثارت الناس بوجهه.

«وجزعتم»، من استئثاره، وحدثت عندكم ردة فعل، وخرجتم ضده محتجين.

«فأسأتم الجزع»[٣٤٧]، لكن جزعكم أو اعتراضكم أخذ وتيرة متصاعدة، فحرقتم مقرات، وقتلتم الناس، وارتكبتم أعمالًا غير صحيحة، وقد بالغ ووقع في الخطأ حينما استأثر، وأنتم وقعتم في الخطأ حينما بالغتم في ردة الفعل بعد أن قتلتموه، وهذا شأنكم، فلا تحملوني ما لم أقله وما لم آمر به. ولكن بالتالي يؤدي الاستئثار في الحكم إلى رد فعل، إلى احتجاج، إلى ثورة، إلى حراك قد يخرج أحيانًا عن السيطرة، ويتجاوز حدوده، فيؤدي إلى نتائج ومضاعفات خطيرة، والخطر في هذا الاستئثار هو أنه يهدم جسر الثقة بين المسؤول ومن هو مسؤول عنهم، عندما يتكبر المسؤول ويريد كل شيء له، ويترك الناس الذين دونه، ويميز نفسه عن غيره، فيفقد ثقة الناس بالتدريج، ويبتعدون عنه، وتزول المحبة، ويزول التفاهم، وتذهب الثقة، ويغيب التشارك، وهذه كلها مسائل أساسية لنجاح أي مسؤول في منظومته القيادية.

الإضاءة الثانية: تجنب التغافل في المنظومة القيادية والإدارية

لا تتجاهل أداء المسؤولين والقادة الذين هم دونك، وراقب أداءهم، ويعدّ الإشراف الدقيق على سلوك المسؤولين في المنظومة القيادية، مدخلًا أساسيًا من مداخل النجاح في القيادة والإدارة، وعلى الحاكم أن يمنع المسؤولين من الاجتهادات الشخصية، والأمزجة الخاصة، وخرق القانون، فقد يعتقد بعض المسؤولين بأنه مادام مسؤولا فهو يستطيع أن يخرق القانون ويتجاوز على القانون، ولذا على الحاكم أن يمنع الظلم والاعتداء والتجاوز على الآخرين من قبل منظومته القيادية، ويعالج ضعف الأداء فيهم،

٣٤٧. نهج البلاغة ١: ٧٥ الكتاب ٣٠.

ومن كان ضعيفا ولا يتقبل المعالجة فعليه أن يخرجه ويأتي بمسؤول قوي غيره، لئلا تبقى الناس متحيرة به، وعليه أن يمنع الإجحاف الذي يقوم به أشخاص في منظومته بحق الآخرين، هذه كلها أمور أساسية في القيادة والإدارة والتصدي.

(وإياك والتغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيان)، إذا كان هناك مسؤول في منظومتك القيادية قد وضح أمره للعيان، ورأى الناس بأجمعهم عدم التزامه بالقانون، وقد ضج منه الناس، وعنده مشكلات كبيرة، وأنت لم تُعِر الموضوع أي اهتمام، فعليك تقع مسؤولية إصلاح ومعالجة هذا الأمر، فتشخيص الخروقات في المنظومة القيادية ومعالجتها مهمة قيادية لأي مسؤول، وعليه أن لا يتباطأ في ذلك، وإلا فإنّ الناس حينئذ سترى أنك راض عما يفعله هذا المسؤول، وتحمّلك المسؤولية كاملة، فتتولد أزمة ثقة بينك وبين الناس، وبالتالي تنهار المنظومة القيادية بشكل عام، ولذلك يجب الإسراع في التشخيص وفي المعالجة؛ لأنه إذا ما حصلت حالة من التغافل، أو حالات الاعتداء ضمن المنظومة القيادية، أو التجاوز، أو الاستئثار، أو التمييز، أو أداء غير موفق، أو سلوكيات غير صحيحة، فيجب الإسراع في معالجتها، واتخاذ الموقف الواضح منها، أو ستكون النتائج غير محمودة.

(فإنه مأخوذ منك لغيرك)، اعلم أنّ هذا الموقع لا يدوم لك، ولا تتوهم ذلك، وبإهمالك لهذه الأمور قد يفاجئك على حين غرة الأمر الديواني بإقالتك.

(وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور)، حين تتضح الأمور، وينتصف منك للمظلوم، هذه هي الآفة الرابعة.

الآفة الخامسة: حالات الانفعال والغضب والسباب والشتيمة

قد يشعر المسؤول بحصانة لنفسه، فلا يتحرج في أن يكسر الآخرين ممن هم دونه في حالات الغضب، ويمسح بهم الأرض، فبعض الناس لا يتحمل ثقل المسؤولية وإن كانت صغيرة، فيبقى يتخبط يمينًا وشمالًا؛ ضابط في زاوية من زوايا البلد، عندما ينصب آمرًا لفوج، تنقلب الدنيا على رؤوس من هم تحت إمرته، ولا يستطيع أن يلتقي به من كان بالأمس يسمر معه، ماذا تغير؟ على مهلك ورويدك، ضع رجلك على الأرض لئلا تقذفك أمواج الهواء بعيدًا حيث لا تشتهي، وآخر عندما ينصّب أو يختار قائدًا تنظيميًا في منطقة ما، فالويل كل الويل للعاملين معه، فتراه قد نفش ريشه ونفخ نفسه، وأصبح يتكلم مع الناس بالمثاقيل، على مهلك يا أخي، لماذا تعاليت على إخوتك بمجرد

منصب رمزي لا يستتبع شيئًا؟ وهناك موظف عادي جالس على كرسيه في دائرة خدمية، عندما تذهب إليه في أمر من أمور وظيفته، يقول لك: قف خارجًا، أو تعال غدًا أو في اليوم الفلاني، وتراه يصيح ويسيء ويهين، ويفعل ما لا يفعله المدير العام.

إنّ الأساس في نجاح المنظومة القيادية هو العاطفة، واحترام الناس وتوقيرهم، وعدم الإساءة لهم، ومن آفاته الغضب، وفي هذا الشأن جاء قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

(املك حمية أنفك): في إشارة إلى الغضب، فالإنسان عندما يغضب يحمى أنفه، ولذا على الحاكم أن يسيطر على غضبه ويضبط نفسه.

(وسورة حدك): السورة تعني السطوة، الاعتداء، وحدّك يعني بأسك، يعني شدة الغضب، الإقدام، الكسر، فعليك ـ أيها الحاكم ـ أن تملك أعصابك، وتضبط إيقاعك.. لقد كان الناس منك في راحة، وما إن نُصبت مسؤولًا حتى اُبتلي بك الناس واستغاثوا منك، وعانوا بسببك أشد العناء، وهم يرتجفون منك خوفًا.

(وسطوة يدك): بمجرد أن يغضب المسؤول سرعان ما يرفع يده ليصفع المواطن بكل وقاحة واستهتار، وكأنّ الناس عبيد عنده، فما القصة؟ لماذا تتنمر على هؤلاء الناس الضعفاء الذين نصبت في موقعك هذا لخدمتهم؟ أمنت العقاب فأسأت الأدب، واطمأنت نفسك أن الذين في السلطة هم على شاكلتك، وسيقفون معك في حال حدوث أي مضاعفات لمثل هذه التصرفات الظالمة. اعلم أيها الضابط الذي تمارس هذه الأعمال يوميًا في مخفر الشرطة، أنك تتسلم راتبك من أموال هذا الشعب، فحين يُدخلون عليك شخصًا متهما بالسرقة، ولا تعلم هل هو سارق بالفعل أو لا، فلماذا تبادر بصفعه قبل أن تتكلم معه؟ وقبل أن يرفع رأسه تركله بقدمك، فمن أعطاك الحق في ضرب هذا الإنسان والاعتداء عليه؟ وأما الفحش والكلام البذيء ـ نستجير بالله ـ فحدّث ولا حرج، وينهال عليه بما يخرج من لسانه، من سباب وشتيمة وهتك عرض، وهذا أمر سيئ جدًا.

(وغرب لسانك): الغرب يعني الحد، أي للسانك حد كحد السيف، يقتل شخصية من ينال منه، كما يقتل السيف من ينال منه، ونستجير بالله من أصحاب الألسن البذيئة؛ إذ يتكلمون بكلمات لا تتصور أن ينطق بها بشر، ما هذا المنطق؟ ما هذا الاعتداء على الناس؟ ما هذا الهتك لأعراض الناس؟ ما هذه الكلمات النابية؟ من الذي أعطاك هذا الحق في أن تنتهك كل الحرمات والأعراض؟ هل لأنك مسؤول؟.

(واحترس من كل ذلك): راقب لسانك، ويدك، وتقاسيم وجهك، ونظراتك، وتعاملك، وطريقة إغلاقك الباب، وحركاتك، وسكناتك.

(بكف البادرة): بإيقاف حالة الغضب بكل معانيه؛ غضب بشتيمة، غضب بضرب، غضب بنظرات مهينة، غضب بسلوك مهين، وكل أنواع المهانة للآخرين وانتهاك حرمة الناس، فكل هذا لا يجوز، وبحسب القواعد، عندما تكون غاضبًا وتستمر بالكلام والصراخ يزيد غضبك، فأنت تشعل نار الغضب أكثر، ولكن عندما تسكت وتلتزم الصمت تهدأ فورة الغضب، ومعنى (بكف البادرة)، أي لا تبادر بإظهار الغضب؛ لأن إظهار الغضب يزيدك اشتعالًا فتكثر أخطاؤك، عندما تكون غاضبا، حتى لو كان الفعل يستحق، فاصمت في لحظة الغضب، واجلس واذكر الله قليلًا؛ سبّح الله وأستغفره واحمده وصل على محمد وآل محمد، وقل شكرا لله، لا إله إلا الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، وكان عزيز العراق (رحمة الله عليه) عندما يغضب يكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، ويبقى يعيدها إلى أن يهدأ.

(وتأخير السطوة): لا ترتب أثرًا في لحظة الغضب، كأن ترفع سماعة الهاتف لتتكلم بما لا يجوز، أو تمسك بالقلم لتكتب به ما لا ينبغي، فأنت غاضب ويمكن أن تفعل كل شيء، فاجلس واصمت، وأستغفر ربك إلى أن تهدأ، وعندما تهدأ سيكون قرارك صائبًا، وانظر في الموضوع بعد الهدوء؛ هل يستحق الاهتمام بعيدًا عن الانفعال؟.

(حتى يسكن غضبك): أخّر السطوة، أخّر الإقدام على أي قول أو عمل، حتى يسكن غضبك.

(فتملك الاختيار): لِمَ العجلة والأمور بيدك؟ فإن رأيت المصلحة في إقالة هذا الرجل فافعل ذلك، وتكون قد فعلت ذلك عن بصيرة، ولم تخسر شيئًا، فهذا الخيار موجود لديك، فانتظر ربع ساعة حتى يسكن غضبك، وينتهي الانفعال، لماذا الآن؟ فربما عندما تهدأ ترى القصة لا تستأهل، فالقاعدة العامة التي تشمل كل الناس، وهي تهم المتصدي أكثر؛ لأنّ مسؤوليته أكبر، هي السكوت في لحظة الغضب، لا قرار في لحظة الغضب، بل اجلس وأصبر واهدأ، وبعدما تهدأ قلّب الأمور وانظر أين هي المصلحة، وعندها اتخذ قرارك.

(ولن تحكم ذلك من نفسك، حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك): لن تستطيع أن تفعل هذه الأمور؛ أن تكظم غيظك وتضبط مشاعرك وتسيطر على انفعالاتك، إلا حينما تكثر همومك، يعني اهتمامك، تركيزك، بذكر الآخرة، لأنك لو بادرت عند

غضبك بظلم الناس فماذا ستقول لله غدًا؟ فاذكر الآخرة وركز عليها، فأنت غدًا نازل في تلك الحفرة الضيقة، وكل واحد منا سينزل في هذه الحفرة: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ)[٣٤٨] وكل هذه الأعمال سوف تبقى، نحن والكفن وما لدينا من أعمال، ولا شيء آخر، فلا تبالغ، ولا تخطئ بحق الآخرين.

الإضاءات المستفادة من النص

الإضاءة الأولى: خطورة القسوة والخشونة والحدية في تعامل المسؤول

القسوة والخشونة والحدية في تعامل المسؤول أمر مدان وغير صحيح، والقسوة في غير محلها للكسر والإساءة والإهانة من قبل المسؤول، أمر خطير، وهي تُفقد الإنسان منزلته الاجتماعية، وتدعو إلى تركه والابتعاد عنه، قال الله تبارك وتعالى مخاطبًا رسوله الكريم: ﴿لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾[٣٤٩].

لاحظوا ما ورد في شرح غرر الحكم: «الخرق شر خلق»[٣٥٠]، الخرق لغة ضد الرفق[٣٥١]، يعني أن الشدة والغلظة أسوأ خُلق، حالة الشدة والغلظة والصراخ والشتيمة والاعتداء على الناس ليست من الأخلاق الشريرة فقط، بل هي من أشر الأخلاق، ولذا ينبغي على المسؤول تجنب هذه الحالة.

وفيه أيضًا: «أقبح شيء الخرق»[٣٥٢].

وفيه أيضًا: «أسوأ شيء الخرق»[٣٥٣].

وفيه أيضًا: «لا خلق أشين من الخرق»[٣٥٤]، أسوأ حالات الأخلاق الخرق، وهي حالة الغضب والشدة التي تعتري الإنسان عند انزعاجه وانفعاله.

وفيه أيضًا: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه»، عندما تتعامل مع أي قضية برفق وهدوء تزيده زينة وجمالًا، ولن تخسر أو تندم على موقفك، «وما كان الخرق في شيء إلا شانه»[٣٥٥]، يعني أنقصه وأعابه، حتى لو كان ذلك الشيء جيدًا، فقد يتلفظ الإنسان

٣٤٨. سورة الزمر: الآية ٣٠.
٣٤٩. سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
٣٥٠. شرح غرر الحكم ١: ٢٠٠
٣٥١. الصحاح ٤: ١٤٦٦.
٣٥٢. شرح غرر الحكم ٢: ٣٧١.
٣٥٣. شرح غرر الحكم ٢: ٣٧٨.
٣٥٤. شرح غرر الحكم ٦: ٣٨٠.
٣٥٥. شرح غرر الحكم ٦: ٦٢.

بقول أو يقدم على عمل في حال الانفعال يندم عليه بعد ذلك، ويتمنى أنه لم يقله أو يفعله، ويضطر إلى إراقة ماء وجهه لتقديم الاعتذار، فلا ينبغي للإنسان أن يتعامل بانفعال؛ لأنه في وضع غير طبيعي، وغير سوي، فتصدر عنه أقوال أو أفعال لا يرغب فيها، وعلى المسؤول أن يلوذ بالهدوء والصبر قليلًا إلى أن تنجلي سحابة الغضب، ويعود إلى حالته الطبيعية، لأنه لن يفوته شيء، فبيده زمام الأمور، ومن ارتكب جريمة مثلًا تستحق قطع رأسه، يمكن لك تسليمه إلى القضاء ليعدموه، إذن فلماذا الانفعال وبيدك مفاتيح الحل؟.

ورد في نهج البلاغة، الخطبة الثالثة المعروفة بالخطبة الشقشقية، وقد تناولنا منها سابقا بعض المقاطع، يصف فيها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أحوال الخلافة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكيف أن الغلظة والشدة أخذت مأخذها في ذلك الحين، لاحظوا ماذا قال عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«فيا عجبا»، يتعجب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من تغيير منهج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في الحكم بعد وفاته مباشرة.

«بينا هو يستقيلها في حياته»، إشارة إلى قول أبي بكر عندما بويع بالخلافة: «أقيلوني فلست بخيركم»[٣٥٦] طلب الإقالة والإعفاء من تولي هذا الأمر، وأن يختاروا غيره.

«إذ عقدها لآخر بعد وفاته»، ما معنى أن تزهد بها في حياتك، ثم توصي بها لشخص آخر بعد وفاتك؟! هذا لا ينسجم مع الزهد، هكذا يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

«لشدّ ما تشطرا ضرعيها»، عندما يأتي شخصان ويريدان أن يحلبا الماعز أو ما شابه، وعندها ضرعان، يتقاسمان اللبن، فيأخذ أحدهما نصفًا ويأخذ الآخر نصفًا، هكذا يمثل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه الحالة المعروفة للناس آنذاك، وكأنهما تقاسما السلطة والموقع؛ فحينما انتهت خلافة الأول أوصى بها للثاني ليأخذ حصته منها، وهكذا تقاسما الخلافة بينهما.

«فصيّرها في حوزة خشناء»، تحولت الخلافة إلى جهة صعبة المرام، خشنة الطباع.

«يغلظ كلمها»، الكلم هو الجرح، يعني أصبحت خشونتها تجرح جرحًا عميقًا، والناس متألمة من الخشونة التي تستخدم معهم، فلم يكونوا يعهدون هذه المعاملة في زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

٣٥٦. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٦٩.

«ويخشن مسها»، أصبح اسم الخلافة، اسم القيادة، خشن الملمس، أي يتأذى ويتضرر من يقترب منها، وعلى من يمسها تحمل الإساءة والضرب، وهذا في الحقيقة شيء خطير.

«ويكثر العثار فيها»، تكثر العثرات والزلات في خلافة مبتنية على أساس الانفعال والغضب والخشونة والكسر.

«والاعتذار منها»، ويكثر الاعتذار منها؛ يرتكب الحاكم زلة فيضطر إلى أن يعتذر منها.

«فصاحبها كراكب الصعبة»، الإبل الصعبة في قبال الإبل الذلول المطيعة، وهي التي يصعب ركوبها، وهو تشبيه للحاكم الذي يستخدم الخشونة والقسوة، فيسقطه الناس من كرسيّه كما تسقط الإبل الصعبة راكبها؛ إذ يضغط عليه الجو العام، وهو في قلق دائمًا كأنه راكب الجمل العنود، غير المطيع، وغير الذلول.

«إن أشنق لها خرم»، إذا جر زمام الناقة العنود المشاكسة بقوة انخرم أنفها، فلا تستطيع المشي بعدها؛ لأنها ستختنق عندما تجر.

«وإن أسلس تقحم»، وإذا أرخى لها زمامها رمى بنفسه في الهلكة؛ لأنّ هذه الإبل العنود مضطربة الحركة، وسترميه في هاوية تكون فيها نهايته، وهنا يشبّه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ الحاكم الذي يستخدم العنف والقسوة منهجًا في التعامل مع الأمة براكب الناقة الصعبة التي لا تطاوعه في قيادها، فإن جرها بعنف آذاها، وإن تركها وأسلس نفرت به وآذته، فيبقى حائرًا لا يدري ماذا يفعل؛ إن تشدد معهم فسيواجه برد فعل عنيف، وإن تساهل معهم سيتجرؤون عليه ولا يطيعونه.

«فمُني الناس»، يعني اُبتلوا، «لعمر الله بخبط»، الخبط هو السير على غير هدى؛ أي انحراف في المسارات.

«وشماس»، هو رفض الفرس أن يمتطيها أحد.

«وتلون واعتراض»، فيصبح الحكم عملية صعبة جدًا ومعقدة، ومن غير الممكن إدارة هذا الموقع الحساس نتيجة هذا الوضع.

وفي شرح غرر الحكم: قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من خشنت عريكته»، أي طبعه خشن وخلقه صعب، «أفقرت حاشيته»[٣٥٧]، تفرق الناس من حوله، وهذه قاعدة عامة، وقد خاطب الله (سبحانه وتعالى) رسوله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بقوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا

٣٥٧. شرح غرر الحكم ٥: ٣٢٥.

غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٣٥٨]، لا يجتمع الناس حول الإنسان السيئ الخلق، ويتفرقون عنه ويبقى وحده، وتفتقر حاشيته أي تصبح قليلة.

وورد في نهج البلاغة في كلام لأمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قاله لزياد بن أبيه حين ولاه بلاد فارس، خلفًا لعبد الله بن العباس، نهاه في أوله عن أن يزيد في الخراج؛ أي الضرائب، وأمره بانتهاج العدل، ثم قال له:

«واحذر العسف»، احذر الشدة بغير حق، من غير حاجة إلى الشدة، لا تتعامل معهم بالشدة.

«والحيف»، يعني الميل من العدل إلى الظلم، أي لا تظلم وكن عادلًا، ولا تقسُ على الناس بغير وجه حق.

«فإن العسف يعود بالجلاء»، سياسة العنف والقسوة تؤدي بالناس إلى الهجرة وترك البلاد، واليوم هناك الملايين من العراقيين في خارج العراق من أيام الديكتاتور، فما الذي حملهم على الهجرة إلى شتى أقطار الأرض وتحمُّل الغربة؟ إنها الشدة والعنف والتعامل القاسي، والجلاء يعني أنهم يجلون أنفسهم؛ أي يهاجرون إلى مكان آخر.

«والحيف يدعو إلى السيف»[٣٥٩]، أي يؤدي الظلم إلى أن ترفع الناس السلاح في وجه الحاكم الظالم، لتأخذ ثأرها ممن يظلمها ويسفك دماءها بغير وجه حق.

الإضاءة الثانية: ضرورة السيطرة على الغضب في المنظومة القيادية والإدارية

يجب السيطرة على نوازع النفس، ضبط الإيقاع، من الغضب، من الشدة، من الكسر، من الغلظة في المنظومة القيادية والإدارية. ويتم هذا الضبط عبر أمرين:

الأمر الأول: إصلاح النظام التربوي والثقافي، فعندما يصبح استخدام الكلمات النابية أمرًا اعتياديًا ومتعارفًا، وعندما تصل هذه الثقافة إلى حدودها القصوى، كما هو شائع في الثقافة الشعبية العراقية ـ مع الأسف ـ فيمازح الصديق صديقه بألوان الشتائم أو يناديه بألقاب نابية تمجها الآذان، ويكون المزاح عبارة عن شتائم وسباب وإهانة؛ فحينئذ نحتاج إلى عمل ثقافي كبير، وتغيير في الثقافات، وتنشئة صحيحة.

٣٥٨. سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
٣٥٩. نهج البلاغة ٤: ١٠٩ الحكمة ٤٧٦.

إن كنت تريد أن تمازح صديقك، فمازحه بشكل لطيف، لماذا تمازحه بشتيمة وسباب؟ ما هذا المزاح العجيب؟ تشتم عرضه بحجة المزاح، وتهينه أمام الآخرين بحجة المزاح.

نحتاج إلى ثقافة جديدة، وتنشئة جديدة، تدين الغلظة والشدة والتعامل غير اللائق واستخدام الكلمات النابية وما شابه ذلك.

الأمر الثاني: الحاجة إلى قوانين وتعليمات تعزز هذه الثقافة، فالثقافة وحدها لا تكفي من دون قوانين رادعة وتعليمات وإجراءات صارمة، فمثلًا موضوع التحرش؛ إذ صدرت فيه تعليمات، وسُنّت له قوانين، لأنه قضية شائعة، فأصبح حتى التحرش اللفظي يمكن أن يعرض مرتكبه للمساءلة القانونية إذا اشتكى المتضرر، بل مجرد إشارة يمكن أن تجعل صاحبها تحت طائلة القانون، أما في قضايا السباب والشتيمة واستخدام الشدة فلا توجد قوانين، ولا توجد إجراءات رادعة.

إذن، نحن بحاجة إلى ثقافة صحيحة من ناحية، وإلى إجراءات صارمة من ناحية أخرى، ضد تحقير الناس وإهانتهم، وحين يشكو شخص شخصًا آخر قد أهانه وسبه وشتم عرضه، تكون هذه قضية قانونية يُرمى مرتكبها في السجن إذا ثبت أنه قال ذلك، وعندها سينتهي الناس من الإهانة والسب والشتم، لأنهم سيحسبون ألف حساب، ولا ينفع أحدهم أن يقول إني كنت أمازحه، لأنه لا مزاح في عرف القانون بالإهانة والسب والشتم والهتك، فأي مزاح هذا الذي فيه هتك للحرمات؟ هتك لكرامة الإنسان؟ وقد انعكس ذلك أيضًا في الدراما العراقية في بعض الأحيان، ولكن عندما تنظر إلى الدراما السورية مثلًا تسمع كلمات: ابن عمي وابن خالي وهكذا، وكلها كلمات عائلية واحترامات، وحتى عندما يغضب لا تعرف أنه غاضب، بينما السائد عند العراقي هو الصياح، وحتى عندما يريد أن يضحك الناس يجب أن يصرخ بزوجته، أو يصيح بابنه، فما هذه الثقافة الغريبة التي تسوّق من خلال بعض هذه الدراما العراقية، ومن قال إن الطبع العراقي هو دائمًا بهذه القسوة والشدة والحدة، فيجب أن نضع الثقافات الصحيحة في هذا الأمر.

(املك حمية أنفك)، أي غضبك، (وسورة حدك)، أي بأسك، (وسطوة يدك)، لا تضرب بيدك أحدًا، (وغرب لسانك)، غلظة لسانك، (واحترس من كل ذلك بكف البادرة)، بالهدوء وعدم المبادرة إلى التعبير عن الغضب وتأخير السطوة، ولا تقدم على

قول أو فعل، (حتى يسكن غضبك)، إلى أن تهدأ، (فتملك الاختيار)، تكون وقتها مختارًا، فتنظر أين هي المصلحة، وما هي الخطوة الصحيحة فتتخذها.

وردت في كتاب وسائل الشيعة رواية أعجبتني كثيرًا؛ ليس الشاهد فيها فقط، بل موضوعها لطيف وشيق أيضًا؛ عن عمار بن أبي الأحوص قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن عندنا قومًا يقولون بأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ «، يعني يحبون عليًا ويوالونه، «ويفضلونه على الناس كلهم»، ويرونه أفضل من غيره، «وليس يصِفُون ما نصِفُ من فضلكم»، لكن لا يقولون بعصمته وإمامته كما نقول نحن بعصمتكم وإمامتكم أهل البيت، «أنتولاهم؟»، هل يجوز لنا مصادقتهم ونصرتهم؟.. هم يحبون عليا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ويحترمونهم ويفضلونهم، ولكنهم لا يعتقدون بإمامتهم وعصمتهم، بل يقولون هم علماء أجلاء، أعظم من غيرهم من العلماء.

«فقال لي عَلَيْهِ السَّلَامُ: نعم في الجملة»، يعني لا توثق علاقتك بهم، واقتصر على العلاقة العادية معهم، تواصلوا معهم، ابنوا علاقة معهم.

«أليس عند الله ما لم يكن عند رسول الله؟»، الله تبارك وتعالى أعظم من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فالرسول هو عبد من عبيد الله (سبحانه وتعالى)، فما كان لله أعظم مما كان لرسوله.

«ولرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عند الله ما ليس لنا»، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أفضل من أهل بيته، فمكانته عند الله أعظم من مكانتهم، فالله أعظم من رسوله، ورسوله أعظم من أهل بيته.

«وعندنا ما ليس عندكم»، وعند أهل البيت من المقام والمرتبة الإيمانية، أعظم مما عند أتباعهم.

«وعندكم ما ليس عند غيركم»، ومستوى المرتبة الإيمانية لأتباع أهل البيت أعلى من مرتبة غيرهم، والمقصود طبعًا هم الأتباع الحقيقيون.

«إن الله وضع الإسلام على سبعة أسهم»، أي على سبع مراتب، هي:

«على الصبر، والصدق، واليقين، والرضا، والوفاء، والعلم، والحلم، ثم قسم ذلك بين الناس، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم فهو كامل محتمل»، فالذي أعطاه الله تبارك وتعالى هذه المراتب السبع فهو الكامل الذي يتحمل من أسرار العلوم والابتلاءات ما لا يتحمله غيره.

«وقسم لبعض الناس السهم، ولبعضهم السهمين، ولبعضهم الثلاثة»، وهكذا حتى انتهى إلى السبعة، ثم قال:

«لا تحملوا على صاحب السهم سهمين»، الوعاء الوجودي لصاحب السهمين أكبر من الوعاء الوجودي لصاحب السهم الواحد، وإيمانه أعظم، فلا تحمل صاحب السهم الواحد ما تحمله لصاحب السهمين.

«ولا على صاحب السهمين ثلاثة أسهم»، ولا تحمل صاحب السهمين ما تحمله لصاحب الأسهم الثلاثة، وهكذا الأمر بالنسبة للمراتب الأخرى.

«ولا على صاحب الأربعة خمسة أسهم، ولا على صاحب الخمسة ستة أسهم، ولا على صاحب الستة سبعة أسهم، «فتثقلوهم»، الذي تحمله أكثر من طاقته الإيمانية تثقله.

«وتنفروهم»، وعندما تثقله تنفره، وعندما ينفر يترك الإيمان برمته، كمن يطلب ممن تعلم الصلاة اليومية توًا أن يستيقظ نصف الليل ويصلي صلاة الليل بكل مستحباتها مدة ثلاث ساعات، ولا يطلب منه إتيان صلاة الليل بشكل عادي، بل يريدها منه كاملة، وفي اليوم الثاني يعتذر حتى عن الإتيان بصلاته اليومية، وكان الأجدر أن يتدرج معه شيئًا فشيئًا، كأن تقول لمن تريد أن تعلمه صلاة الليل أن يقتصر أولًا على إتيان الشفع والوتر ثلاث ركعات فقط، وهي لا تستغرق سوى ثلاث دقائق، فإن التزم بها مدة شهر، فحينها تقول له: ما رأيك لو أضفت إليها ثماني ركعات أخرى، ركعتين ركعتين، فيكون المجموع إحدى عشرة ركعة، لا تستغرق سوى إحدى عشرة دقيقة، وبعد سنة يضيف إليها المستحبات الأخرى، فتأتي تباعًا بالتدريج، أما أن تحمله وهو ما زال في المرتبة الأولى ما يحمله من كان في المرتبة السابعة، فإنه لا محالة سينفر.

«ولكن ترفقوا بهم وسهلوا لهم المدخل»، سهّلوا لهم مدخل الطاعة والعبودية لله (سبحانه وتعالى)، ولا تتوقعوا منهم أن يقدروا على أن يأتوا بمثل ما تأتون به من العبادات والطاعات، بل ارفقوا بهم وليتدرجوا شيئًا فشيئًا بهدوء حتى لا ينفروا.

«وسأضرب لك مثلًا تعتبر به»، ثم يضرب الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مثلًا عن شخص حُمّل ما لا يطيق فكانت عاقبة أمره خسرا:

«إنه كان رجل مسلم، وكان له جار كافر»، كان لمسلم جار كافر.

«وكان الكافر يرافق المؤمن»، وكان هذا الكافر متأثرًا بشخصية المسلم، وله معه رفقة وصداقة.

«فأحب المؤمن للكافر الإسلام»، عندما رأى المؤمن هذا الكافر إنسانًا خلوقًا وعاقلًا، عرض عليه الإسلام.

«فلم يزل يزيّن له الإسلام حتى أسلم»، أخذ يتحدث له عن الإسلام بهدوء، إلى أن اقتنع هذا الكافر، ونطق بالشهادتين وصار مسلمًا والحمد لله.

«فغدا عليه المؤمن»، دقّ عليه الباب عند الفجر.

«فاستخرجه من منزله»، أيقظه من نومه عند الفجر، وطلب منه أن يأتي معه لأداء صلاة الصبح في المسجد.

«فذهب به إلى المسجد ليصلي معه الفجر جماعة»، طلب منه أن يصليا الفجر جماعة في المسجد، فصلاة الجماعة خير ثوابًا من صلاة الفرادى، والصلاة في المسجد أعظم ثوابًا من الصلاة في البيت، فكانت هذه أول قضية تفاجأ بها هذا الرجل الذي لم يمض على إسلامه سوى يوم وليلة.

«فلما صلى»، فلما انتهى من الصلاة.

«قال له لو قعدنا نذكر الله حتى تطلع الشمس»، وهذه من الأمور المستحبة، أن يبقى الإنسان جالسًا في مصلاه إلى طلوع الشمس، يذكر الله تبارك وتعالى بين الطلوعين ويقرأ القرآن.

«فقعد معه»، وهذه المدة تستغرق ساعة ونصف الساعة، وعندما طلعت الشمس نهض الرجل يريد الذهاب لأهله.

«فقال له لو تعلمت القرآن إلى أن تزول الشمس وصمت اليوم كان أفضل»، طلب منه البقاء في المسجد إلى الظهر لكي يعلمه القرآن، وأن ينوي صيام يومه هذا؛ ليحصل على جزيل الثواب، وسيسهل عليهما الصيام وهما جالسان في المسجد إلى الظهر، فنوى الرجل صيام ذلك اليوم، وفعل ما يملي عليه صاحبه ليرى إلى أين ستصل الأمور.

«فقعد معه وصام حتى صلى الظهر والعصر»، وتصور هذا الرجل أن الأمور فرجت وسيرجع إلى أهله، ونهض ليقوم حاله كحال المصلين الذين أنهوا صلاتهم.

«فقال له: لو صبرت حتى تصلي المغرب والعشاء الآخرة كان أفضل»، واستسلم الرجل لما دعاه له صاحبه، فليبق في المسجد إلى حين صلاتي المغرب والعشاء، وإنه ليوم عسير بالنسبة إلى إنسان حديث عهد بالالتزام بالإسلام والتدين، وتحمّل الرجل التعب والجوع والعطش في أول يوم دخل فيه هذا الدين الجديد، إذ لم يعهد من دينه السابق أمرًا كهذا.

«فقعد معه حتى صلى المغرب والعشاء الآخرة ثم نهضا، وقد بلغ مجهوده»، ورجع الرجل إلى بيته بعد تعب كبير.

«وحمل عليه ما لا يطيق»، كيف يمكن أن يتحمل هذا الرجل كل هذا، نحن مسلمون ولا طاقة لنا بمثل هذا، وأين هو المسلم الذي يذهب إلى المسجد فجرًا ويبقى فيه إلى العشاء مع الصوم وما يستتبعه من الجوع والعطش.

«فلما كان من الغد غدا عليه»، طرق صاحبنا الباب على جاره الحديث الإسلام قبيل صلاة الفجر.

«وهو يريد مثلما صنع بالأمس، فدقّ عليه بابه، ثم قال له: اخرج حتى نذهب للمسجد، فأجابه»، هذا الكافر الذي صار مسلمًا بالأمس:

«أن انصرف عني، فإنّ هذا دين شديد لا أطيقه»، أي دين هذا! فأنا لا أقدر عليه، فدعني أرجع إلى الكفر خير لي.

وبعد أن يستشهد الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه القصة، ومن المؤكد أنها قصة واقعية، يقول:

«فلا تخرقوا بهم»، وهنا الشاهد، لا تستخدموا الشدة معهم.

«أما علمت أن إمارة بني أمية كانت بالسيف والعسف والجور»، لقد قام نظام الحكم لبني أمية على أساس التعسف والجور والضغط والشدة والغلظة.

«وأن إمامتنا ـ أهل البيت ـ بالرفق، والتألف، والوقار، والتقية، وحسن الخلطة»، يعني حسن العشرة والتعامل، «والورع، والاجتهاد، فرغّبوا الناس في دينكم، وفي ما أنتم فيه»[٣٦٠]، رغّبوا الناس ولا تنفروهم بهذا النحو.

وورد في شرح غرر الحكم: «رأس السخف العنف»[٣٦١]، قمة السخافة استخدام العنف والغلظة والشدة مع الناس.

ولذلك يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك)، يعني اهتمامك، (بذكر المعاد إلى ربك)، عندما تذكر الله (سبحانه وتعالى)، عندما تذكر الآخرة، سيتغير سلوكك ويكون بوضع مختلف.

أكتفي بهذا المقدار، وللحديث صلة يأتي تباعا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

٣٦٠. وسائل الشيعة ١٦: ١٦٤ ح٩.

٣٦١. شرح غرر الحكم: ٥٠.

المحاضرة الحادية والعشرون بتأريخ ٢٠٢٠/٥/١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين، تقبل الله أعمالكم وصيامكم وقيامكم في آناء الليل وأطراف النهار، وأسال الله(سبحانه وتعالى) أن يجعلنا من المرحومين، وأن لا نكون من المحرومين، أعوذ بجلال وجهك الكريم أن ينقضي عني شهر رمضان، أو يطلع الفجر من ليلتي هذه، ولك قبلي تبعة أو ذنب تعذبني عليه.

كان حديثنا في الأيام الماضية في النظرية الإسلامية في القيادة و الإدارة، وذكرنا أن عهد أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) لمالك الأشتر حين ولاه مصر يمثل اختزالا لهذه النظرية. ووصلنا إلى المقطع الأخير وهو الخاتمة التي بها ينتهي هذا العهد.

المقطع الأخير: الخاتمة

في المقطع الأخير، وهو الخاتمة التي بها ينتهي هذا العهد، يشير أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أمرين:

الأمر الأول: المرجع في سياسات المنظومة القيادية والإدارية

(وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ): أنت أيها المسوؤل، أيها القائد، أيها المتصدي حيثما تصديت، وذكرنا في الحديث عن القيادة والإدارة أنها لا تنحصر بالمواقع العليا في الدولة؛ بل هي من القائد الأعلى للقوات المسلحة إلى رئيس الدولة، نزولًا إلى المستويات الدنيا، وإلى كل حالات التصدي التي تحصل في المجتمع، انتهاء بالعائلة، حيث الرجل الذي يدير عائلة مكونة من بضعة أشخاص، هذه كلها

معايير قيادية تنطبق على كل هذه المستويات القيادية بشكل واضح؛ فهنا يقول لك أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: أيها المسؤول، لا تسر على منهج: كلما جاء مسؤول لعن الذي قبله، وسخّف وسفّه وقلّل من قيمة المسؤولين السابقين، ويعدّ كل شيء خرابا ودمارا، وأنه هو الذي سيصلح البلاد والعباد، ويقيم العدل والإنصاف، وكأن السابقين لا قيمة لعملهم، وهذه الحالة حالة سلبية من النقد الكامل وعدم الاعتراف بأي شيء قام به السابقون، ولهذا نرى المنظومة القيادية تعيش دائمًا حالة بناء وانهيار بشكل متكرر، وليس فيها تراكم، في حين يُفترض في أي مسؤول يأتي، أن يرى ما هي الإيجابيات، ما هي نقاط القوة التي كانت للمسؤولين السابقين، فيأخذ بها ويطورها وينميها، ويبتعد عن السلبيات، والواجب عليك ـ أيها المسؤول الجديد ـ أن تتذكر ما مضى، وتركز على ما حققه من تقدمك من المسؤولين السابقين في هذا الموقع.

(مِنْ حُكُومَة عَادِلَة): فقد يكون السابقون قد أشاعوا العدل والإنصاف في سلوكهم، في خطواتهم، في مواقفهم.

(أَوْ سُنَّة فَاضِلَة): أو أرسوا سنّة صحيحة؛ إجراءات وخطوات وسياسات ومواقف كانت سليمة وإيجابية، فعليك أن تأخذ بها وتراكمها وتطورها.

(أَوْ أَثَر عَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ)، أو لعله كان لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في آثاره، وسلوكه، ومواقفه، حينما حكم، سياقات معينة، وخطوات معينة، يمكن أن تنفعك، أو تنطبق على بعض المواقف التي تواجهك في موقع المسؤولية.

(أَوْ فَرِيضَة فِي كِتَاب اللهِ): أو هناك إشارات في القرآن الكريم لمجموعة من الشؤون ذات الصلة بالإدارة والقيادة؛ في جباية الزكوات، أو في العلاقات الخارجية، أو في التعامل مع الناس، وكل هذه الفرائض التي أشار إليها القرآن الكريم يجب أن تأخذ بها في عملية القيادة والإدارة التي تتصدى لها.

(فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا): ثم تأخذ بما عمل به إمام زمانك، أنا أمير المؤمنين إمامك، فتعمل بمثل ما شاهدته من عمله؛ انظر كيف أدير الأمور، كيف أتعاطى مع المسائل، كيف أعالج الأزمات، كيف أواجه الفتن، كيف أتعامل مع الناس، واقتدِ بمنهجي في القيادة والإدارة وخذ به، وهذه إشارة يشير بها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى وضع المرجع، في رسم السياسات العامة في القيادة والإدارة.

(وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عهْدِي هذَا): عليك أن تبذل كل الجهد لتنفيذ ما جاء بهذا العهد، ومَا كتبته لك، وما وجهتك به.

إنّ أي مسؤول يتصدى لمواقع القيادة والإدارة، مهما كانت بين يديه من أفكار عظيمة، ومنهج واضح، وسياسات ناجحة، وخطوات مدروسة، إذا لم ينفذها، ولم يعمل بها، ولم يستفد منها، فمآله الفشل الذريع. أنا علي بن أبي طالب قدمت لك في هذا العهد رؤية متكاملة للقيادة والإدارة؛ مسارات وخطوط عريضة، لمعالجة كل الأزمات التي تحصل في أدائك القيادي والإداري، ولكن عليك أن تعمل بها، فإنك من دون العمل بها لا يمكن أن تحقق النتائج المرجوة.

(وَاسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ): لقد بذلت جهدًا كبيرًا في صياغة هذا العهد؛ في أن أضع كل ما هو عذر بيني وبين الله (سبحانه وتعالى)، في نصحك وتوجيهك، في ما يحقق مصالح الأمة.

(لِكَيْلاَ تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ): لكي لا يكون لك عذر أو تبرير.

(عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا): إذا لم تأخذ بهذا العهد، وهذه المسارات والقواعد والأطر التي وضعتها لك في القيادة والإدارة، وأخذت بهوى نفسك، وانحرفت عن المسار، فأنا معذور بين يدي الله (سبحانه وتعالى)، وتتحمل أنت كامل المسؤولية، لأني لم أُبقِ لك عذرًا، فلا يحق لك أن تقول لم أكن أعلم كيف أتعامل مع هذه الأزمة، أو كيف أتصرف في هذه القضية؛ فكل الأمور والشؤون والتحديات التي يمكن أن تواجهها في موقع القيادة والإدارة قد وضعتها في هذا العهد، وقدمتها لك على طبق من ذهب، فأعذرت نفسي أمام الله عز وجل، ولم أبقِ لك عذرًا أو حجة في ترك الاعتماد عليها، والاستناد إليها، فلم تعد تجهل الآن شيئًا مِن هذه الأمور.

الإضاءات المستفادة من هذا النص

الإضاءة الأولى: ضرورة الالتفات إلى مرتكز الحق والعدل

يجب الالتفات إلى مرتكز الحق والعدل في المنهج القيادي والإداري في رؤية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا يمكن أن تنجح إلا باعتماد الوسائل الصحيحة المبتنية والمعتمدة على أساس الحق والعدل، وكل ما ذكره أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا العهد، ونحن

نشرحه منذ ثماني سنوات، ينصب جميعه في ترسيخ مفاهيم العدل والحق والإنصاف بين الناس.

ورد في نهج البلاغة حينما دخل عبد الله بن عباس على أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو في ذي قار في طريقه إلى حرب الجمل، وقد وجده جالسًا على الأرض يخصف نعله الممزق، فوجّه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ السؤال التالي لابن عباس: «ما قيمة هذه النعل؟ فقال: لا قيمة لها، فقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: والله لهي أحب إليّ من إمرتكم، إلا أن أقيم حقًا أو أدفع باطلًا»، الحق والعدل هما محور القيادة والإدارة في منظور علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإن كان القائد، المتصدي، المسؤول، قادرا على إحقاق الحق وإقامة العدل، فهو في الموقع اللائق به، والمسألة تستحق أن يتحمل من أجلها أعباء المسؤولية، وإذا كان لا يستطيع، تصبح هذه النعل أحب لأمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من إمارة المسلمين بأجمعهم، إذا لم يكن فيها إحقاق للحق.

وقد ذكرنا في مقطع آخر قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كِظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»[٣٦٢]، لا توجد قيمة للتصدي وتحمّل المسؤولية وممارسة الأدوار القيادية، إلا إذا كان فيها إحقاق للحق وإشاعة للعدل، هذا هو المعيار والهدف الأساسي من التصدي للقيادة والإدارة.

ويلفت أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الانتباه إلى أن تحقيق هذا الهدف ـ إقامة الحق والعدل ـ يكون من خلال خمسة أمور:

الأمر الأول: (الواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك): يجب على الحاكم أن يتذكر ويضع نصب عينيه ما كانت عليه الحكومة العادلة التي سبقته في حكم البلاد، ويلاحظ كل ملامح وسمات العدل في الحكومات السابقة، ويتمسك بكل سلوك عادل، وموقف عادل، وخطوة عادلة، وإجراء عادل، وقانون عادل، وعليه التمسك بالقوانين والإجراءات والسياسات الصحيحة التي سنّها الآخرون السابقون.

الأمر الثاني: (أو سنّة فاضلة): أي خطوات سليمة اُتخذت وساهمت في الدفاع عن الناس، وفي ترسيخ وتعميق حقوقهم، وإشاعة الإنصاف بينهم.

---

٣٦٢. نهج البلاغة ١: ٢٦ الخطبة٣٣.

الأمر الثالث: (أَو أَثَر عن نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ): الإجراءات والسياسات والمواقف والحلول والمعالجات التي اتخذها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في قضايا مشابهة.

الأمر الرابع: (أو فريضة في كتاب الله): الأسس والمناهج التي وضعها القرآن الكريم في مواجهة المشكلات والعقبات التي يتعرض لها الناس.

الأمر الخامس: (فتقتدي بما شاهدتَ ممَّا عملنا به فيها)، المنهج الذي يتّبعه والخطوات التي يسلكها علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في إدارة وقيادة الدولة.

هذه الأمور الخمسة هي منهج ورؤية أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، رؤية الإسلام في القيادة والإدارة، وإذا ما اُعتمدت فسوف يستطيع الحاكم من خلالها أن يحقق الهدف؛ بإشاعة العدل والإنصاف والالتزام بالحق في المنظومة القيادية والإدارية، وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[٣٦٣]، وهو أمر صريح من الله (سبحانه وتعالى) لرسوله الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، بأن يحكم بالعدل، وما أشارت إليه أيضًا الآية الكريمة: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾[٣٦٤]، وهو أمر من الله (سبحانه وتعالى) بأن تدار الأمور وتقاد على أساس القصد والعدل.

وردت في نهج البلاغة خطبة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يصف فيها نهج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في القيادة والإدارة، قال فيها: «سيرته القصد»، كانت سيرته الاعتدال، في سلوكه، في تعاملاته.

«وسنّته الرشد»، سنته أن يعتمد حالة الرشد، النضج، الحكمة، الحصافة بالمواقف.

«وكلامه الفصل»، لا قول فوق قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فهو القرآن الناطق؛ ﴿مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾[٣٦٥]، هو كلام الله (سبحانه وتعالى) يفسر ويترجم على لسان رسوله الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

والشاهد هو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وحكمه العدل»[٣٦٦]، كان يحكم بالحق والعدل، وهو الأساس الذي يُعتمد في القيادة والإدارة، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في توجيهه لولاته الذين كان يوليهم في مناطق مختلفة، في الأمر الديواني أو المرسوم الجمهوري

٣٦٣. سورة الشورى: الآية ١٥.
٣٦٤. سورة الأعراف: الآية ٢٩.
٣٦٥. سورة النجم: الآية ٣ـ٤.
٣٦٦. نهج البلاغة ١: ١٨٥ الخطبة ٩٤.

كما نسميه في هذا الزمان، كان يركز بشكل واضح على هذا الهدف الأساسي من القيادة والإدارة في تلك الوثائق التي وصلت إلينا تأريخيًا.

منها عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لعمرو بن حزم، قال فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا بيان من الله ورسوله، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[٣٦٧] «يستشهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالآية الأولى من سورة المائدة.

«عهد من محمد النبي، لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن»، حين ولاه على اليمن.

«أمره بتقوى الله في أمره كله»، أولًا عليك بتقوى الله، في كل شؤونك، وقد يتصور البعض منا أن التقوى في الصلاة، وفي الشؤون العبادية فقط، والحال أن التقوى لها معنى واسع؛ فالتقوى في السياسة، والتقوى السياسية لها قواعدها؛ أي كيف يكون الإنسان متقيًا حين مزاولته للعمل السياسي، والتقوى في المعاملات، التقوى الاقتصادية؛ أي كيف نحافظ على التقوى ونحن نتعامل في السوق، نبيع ونشتري، بل لعل التقوى في هذه المجالات غير العبادية؛ في المجتمع، في الوضع السياسي، في الوضع الاقتصادي، قد تكون أصعب بكثير من التقوى في الأمور العبادية، وقد ورد في الأثر: «الدين المعاملة»[٣٦٨]، ويتبين هنا مستوى تقوى هذا الإنسان؛ حين تعترضه منزلقات، وتواجهه الفرص غير الشريفة، والمكائد، واللعب، والخداع؛ فكيف سيتعامل معها وهو متربع في موقع القيادة والإدارة.

«(إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨)»، استشهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بهذه الآية.

«وأمره أن يأخذ بالحق»، وهنا الشاهد، أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الوالي بأن يأخذ بالحق.

«كما أمر به الله»[٣٦٩]، هذا أمر الله؛ قيادة بالحق، مسؤولية بالحق، التعاملات على أساس الحق والعدل.

«ويبشر الناس بالخير، ويعلّم الناس القرآن، ويفقههم بالدين، وينهى الناس، ولا يمس أحد القرآن إلا وهو طاهر، ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم»، يجب أن تخبر الناس ما هي حقوقهم، وما هي واجباتهم، لئلا يأتي يوم تغتر فيه، ولا تعطيهم كامل

٣٦٧. سورة المائدة: الآية ١.
٣٦٨. عجائب الآثار للجبرتي ٣: ١٠٣.
٣٦٩. تأريخ الطبري ٢: ٣٨٧.

حقهم، فيجب أن يعرفوا ما هي حقوق المواطنة، وأن تكون واضحة وبيّنة، لكي يأتي المواطن ويطالبك أيها المسؤول، ويضغط عليك ليأخذ حقه، ويجب أن تبيّن للمواطن واجباته، لكي لا يعاقب على شيء وهو لا يدري؛ إذن، فواجبات المواطن ومسؤولياته وحقوقه يجب أن تبيّن للناس، ليعرفوا حقوقهم وواجباتهم؛ هذا التوازن الدقيق بين الحقوق والواجبات في الإسلام، فلا واجبات بلا حقوق، ولا حقوق بلا واجبات، هذه الثنائية يجب أن تُحفظ وتُرعى بشكل واضح.

«ويلين للناس في الحق»، يكون ليّنًا معهم في ما هو حق، متواضعًا، ترابيًا، أخلاقه لطيفة، لا يتصنع في تعامله مع الناس.

«ويشتد عليهم في الظلم»، ولكن حين يخرج الناس عن جادة الصواب، يجب أن يكون حازمًا شديدًا، فالتواضع والترابية واللين حين يخطئ الإنسان، تؤدي إلى انحرافات خطيرة في سلوكه؛ فمن أمن العقوبة أساء الأدب.

«فإن الله عز وجل كره الظلم ونهى عنه، فقال: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾[٣٧٠]»، وهنا يستشهد رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالآية الكريمة، وترون أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا العهد وفي عهوده لولاته، يأمرهم بالحق والعدل والإنصاف، وأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الابن البار لمدرسة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والتجسيد والمصداق الحقيقي لتنفيذ تعاليم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فجسّد العدالة والالتزام الحق بأوضح صورهما في فترة تصديه للمسؤولية.

وفي منطق علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ورؤيته، تلازم العدالة أربعة مفاهيم أساسية لا يمكن أن نفصلها عن العدالة، ولا يمكن أن تحقق عدالة من دون أن تنفذ هذه الرباعية؛ وهي: الحرية، الأخلاق، الحقوق، القانون، هذا الرباعي يمثل الدعامة الأساسية للعدالة، والسلوك العادل من قبل المسؤول، المتصدي، ومن دون هذه الأربعة لا معنى للعدالة في التعامل، في التعاطي، ومن دون هذا الرباعي تكون العدالة مجرد شعار وليست شعورا أو سلوكا، ومن دون هذا الرباعي تكون العدالة أنانية ونرجسية وفرضًا لآرائه الخاصة ـ الحاكم المسؤول ـ على الناس، دون وجه حق، فأي عدالة والمسؤول يستخدم قيم الناس وأخلاقهم، وأي عدالة نتحدث بها والمسؤول يحدد ويضيق حريات الناس، ويتدخل في شؤونهم التفصيلية؟ وأي عدالة تُهتك فيها الحرمات؟ لا يمكن أن يكون هذا الشيء مقبولًا، فأي عدالة لا توفر أمنا واستقرارا، أو تحت يافطة الأمن

٣٧٠. سورة هود: الآية ١٨.

والاستقرار يضيق على الحريات ويقمع الناس، فهذا لا يجوز، فالحكم العادل يجب أن يستند إلى القيم الأخلاقية، ويجب أن يفي بحقوق الناس، وحرياتهم، ويجب أن يتعامل بمساواة؛ بتطبيق القانون على الناس من دون استثناء، فلا يميز بينهم؛ كما قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (فَتقتدي بما شاهدتَ ممَّا عملنا به فيها)، كما عملنا نحن في القيادة والإدارة، هذا ـ يا مالك ـ ما عليك أن تقتدي به؛ وهو اعتماد منهج الحق والعدل.

الإضاءة الثانية: الالتزام بالعهد بكامل تفاصيله

يجب الالتزام بالعهد الذي يقطعه الحاكم والمسؤول بكامل تفاصيله، لا أن يأخذ منه ما يناسبه ويهمل الجوانب الأخرى، فهذه نظرية متكاملة، ولا يمكن أن يكون فيها جور على بعض، فعليك أيها الحاكم المتصدي أن تراعي مصلحة الناس جميعًا، لا أن يكون فيها ضغط على بعض الناس لبعض الأمور، وهذا من أجل تماسك المنظومة القيادية؛ فهي وحدة واحدة غير قابلة للتجزئة، فلا يجوز أن تعمل ببعضها وتترك البعض الآخر، أو تنتقي بعضها وتهمل الأخرى؛ الانتقائية بالاستناد إلى بعض التعليمات الدينية أو بعض هذه الرؤية الإسلامية في القيادة والإدارة وإهمال البعض الآخر، ففي كل جانب هناك طرف يستفيد، وآخر يُضغط عليه، فلا يصح أن تأخذ ما يفيدك فقط.

(وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هذَا)، في عهدي هذا يجب أن تبذل الجهد في اتِّباع واعتماد كل ما ذكرته لك، في كل المجالات والجوانب، فلا تأخذ ببعضه دون بعض، (وَاسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ)، وما بذلته من جهد في تقديم هذه الرؤية الشاملة الكاملة في القيادة والإدارة، (لِكَيْلاَ تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا)، لا يبقى لك عذر وذريعة تستند إليها في عدم الاعتماد على هذه الرؤية الواضحة العادلة، والذهاب مع ما ينسجم مع هواك.

الأمر الثاني: كيفية تحقيق النجاح في المنظومة القيادية

الأمر الثاني الذي يشير إليه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في خاتمة عهده لمالك الأشتر، هو النجاح في القيادة والإدارة؛ كيف نحقق النجاح في المنظومة القيادية؟ عندك مصنع كيف تنجحه، عندك شركة كيف تنجحها، عندك تيار سياسي كيف تنجحه، تقود دولة كيف تنجحها؛ يقول (صلوات الله وسلامه عليه):

(وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِه، وَعَظِيمِ قُدْرَتِه عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَة)، الله تبارك وتعالى قادر على أن يعطي كل ما يسأله الناس، فهو يعطي ما يشاء لمن يشاء كيف يشاء، فالله تبارك وتعالى هو القادر على كل شيء، وقد تعهد بنفسه باستجابة دعوة الداعين: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾[٣٧١]، وهل هناك أوفى بعهده منه (سبحانه وتعالى): ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾[٣٧٢].

(أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ)، كل ما أطلبه من الله (سبحانه وتعالى) هو لي ولك يا مالك، وهنا يضمّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مالكًا لأنهما شريكان في إنجاز المهام الواردة في هذا العهد الشريف؛ أتريد نجاحًا؟ فالنجاح في رضا الله (سبحانه وتعالى)، وأسأل الله لي ولك رضاه (سبحانه وتعالى)، ثم يبيّن عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كيف يُنال رضا الله (سبحانه وتعالى).

(مِنَ الإِقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِه)، «من» هنا بيانية، وليست تبعيضية، أي ليست الإقامة على العذر الواضح لله والناس من الوسائل والطرق للحصول على رضاه (سبحانه وتعالى)، بل رضا الله (سبحانه وتعالى) منحصر في هذا الطريق فقط، ويتحقق رضا الله (سبحانه وتعالى) بالأمور التالية:

أولًا: يجب أن يكون العمل بطريقة تبرئ ذمة الإنسان أمام الله (سبحانه وتعالى)، فيكون بها معذورًا بين يدي الله (سبحانه وتعالى). كما يجب أن يكون العمل بطريقة تجعل الإنسان معذورًا أمام الناس أيضًا، وذلك بأن يتعامل مع منظومته الإدارية والقيادية، والناس الذين هو مسؤول عنهم، بطريقة يعذرونه بها ويتفهمون مواقفه.

العذر لله (سبحانه وتعالى) يجعل رأس الإنسان مرفوعًا ووجهه أبيض بين يديه سبحانه، وإذا فعل الإنسان ما يجب عليه فقد أبرأ ذمته أمام الله عز وجل، وحينما تصدى لمهمة معينة فيجب عليه أن يكون معذورًا أمام الناس الذين هو مسؤول عنهم؛ فالقائد لبلد يجب أن يكون الشعب راضيا عنه، والقائد لتيار سياسي يجب أن يكون التيار راضيا عنه، ورئيس الشركة يجب أن يكون العاملون فيها راضين عنه، وهكذا مهما كان حجم المنظومة القيادية، يجب أن يعذره العاملون فيها ويتفهموا ظروفه وطريقة إدارته وقيادته لهذه المنظومة، فرضا الله (سبحانه وتعالى) يحصل بهذا العذر لله وللناس.

٣٧١. سورة غافر: الآية ٦٠.
٣٧٢. سورة التوبة: الآية ١١١.

ثانيًا: (مع حسن الثناء في العباد)، تمدح الناس هذا المسؤول وتثني عليه وتشكره وتقدره وتفتخر به، فهناك مسؤول عندما يأتي الأمر الديواني بإعفائه من منصبه، تفرح الناس وتهلل وتوزع الحلويات، ويكون ذلك اليوم يوم عيد لها، وهي تشكر الله (سبحانه وتعالى) للخلاص منه، وهناك مسؤول عندما يصل الأمر الديواني بإقالته من منصبه، يحزن العاملون معه ويبكون ويعزي بعضهم بعضًا.

ثالثا: (وجميل الأثر في البلاد)، يجب أن يترك المسؤول الجيد بصماته في إعمار البلد، وفي ترتيب أوضاعه، بنحو يبقي ألسنة الناس تلهج بإنجازاته؛ في فترة مسؤولية فلان بُني كذا مستشفى، وبُنيت كذا مؤسسة تعليمية، وأنشئت كذا محطة كهرباء وماء، وكذا وكذا.

رابعًا: (وتمام النعمة)، إدارة الموارد بشكل صحيح، فالقيادة بشكل صحيح تؤدي إلى وفرة النعمة، بينما القيادة بشكل خاطئ تؤدي إلى شح النعمة، ورضا الله (سبحانه وتعالى) لا يتحقق إلا بتمام النعمة.

خامسًا: (وتضعيف الكرامة)، أي مضاعفة الكرامة، والكرامة هي العزة، والسيادة، والحرمة، فتزيد الحرمات، وترتفع قيمة المواطن، فتحفظ كرامته، ويكون عزيزًا، ويفتخر بأنه عراقي، وهذا من شأنه أن يضمن رضا الله (سبحانه وتعالى) عن الحاكم، المسؤول، حينما يضاعف الكرامة للناس، حينما يكون منهجه بطريقة ترفع درجة الكرامة والعزة والسيادة.

(وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ، إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ)، على الحاكم أن يجعل الآخرة نصب عينيه، وأن يكون هذا الدور القيادي، هذه المهمة القيادية، سبيلا لضمان آخرته.

(وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الطيبين الطاهرين وسلّم تسليمًا كثيرًا، والسلام)، ينبغي مراعاة هذا الأدب الرفيع في كتابة الرسائل؛ فيبدأ بالسلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وعلى أهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثم يختتم الرسالة بالسلام على المرسل إليه. وبهذا المقطع ينتهي العهد الشريف الذي كتبه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشتر حين ولاه مصر.

الإضاءات المستفادة من هذا النص

الإضاءة الأولى: المعيار في قياس حجم النجاح في المنظومة القيادية

ما هو المعيار في قياس حجم النجاح وحجم التوفيق في المنظومة القيادية والادارية؟ ما هو المقياس الذي على ضوئه نحدد نجاح هذه الحكومة في مهامها؟ هل هي حكومة تدير شؤون شعبها بالاستبداد والقتل؟ أو هي حكومة تدير شؤون شعبها بالرحمة والعطف والإنسانية ومراعاة الحقوق والواجبات بشكل دقيق؟ هل الحكومة التي تدير شؤونها بأنانيات ونرجسيات وشخصنة وانحيازات هي حكومة ناجحة؟ هل الحكومة الناجحة هي التي تستخدم القوة المفرطة والعنف والقسوة، فيرهبها الناس ولا يجرؤ أحد على مخالفة القانون، ومن يرفع رأسه ليتنفس يجد الساطور مشهورًا فوق رأسه؟ هل الحكومة الناجحة هي الحكومة التي تعتمد على المكر والخداع والتلاعب بمشاعر الناس وتضحك عليهم؟ هل الحكومة الناجحة هي الحكومة التي تكذب على الناس، وتهوّل أمورًا غير موجودة، وتظهر للناس شيئًا غير واقعي، وتقدم إنجازات وهمية؟ هل الحكومة الناجحة هي الحكومة التي ترتكب الجرائم وتزهق الأرواح للحفاظ على نفسها؟ ولو كانت هذه المعايير هي معايير النجاح لكانت الحكومات المستبدة والدكتاتورية أنجح الحكومات في التأريخ، ولكن بالتأكيد ليست هذه هي معايير النجاح.

بحسب الفطرة الإسلامية السليمة، وبحسب الرؤية الإسلامية الصحيحة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإن الحكومة الناجحة هي الحكومة التي تكرس الحريات، وتعتمد على العدل، وإحقاق الحقوق، في سلوكها، في أدائها، في تشريعاتها، في خطواتها، في إجراءاتها، وتحترم الإنسان، وتصون حقوقه وكرامته، أما الحكومة التي تعتمد على البطش، والإهانة، والإساءة، والضغط على الناس، والاستئثار، والاحتكار، والمكر والخداع، والتلاعب بمشاعر الناس، فلا يمكن أن تكون حكومة ناجحة، حتى لو استمرت مئات السنين، فطول عمر الحكومة لا يعني نجاحها؛ فقد تكون حكومة ناجحة بالرغم من قصر عمرها؛ كحكومة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فبعد كل هذه السنين، نجد الإنسانية جميعًا، وليس المسلمين وحدهم، ترى في علي عَلَيْهِ السَّلَامُ رمزًا للعدالة، عدالة حاكم كل مدة حكمه أربع سنوات، مليئة بالحروب والفتن والاضطرابات السياسية؛ من الجمل إلى صفين إلى النهروان، حروب طاحنة، وقد بلغ عدد القتلى في صفين وحدها سبعين ألف قتيل؛ منهم خمسة وعشرون ألف شهيد من جيش علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، والباقي من جيش الشام، فإذا أردنا تقييمها بمعايير رقمية، فهي سنين عجاف، ولكنها مع ذلك أنجح حكومة؛ لأنها معيارية، قدمت نموذجًا يُحتذى به على طول التأريخ، فهنا النجاح

لا يؤثر في تقييمه طول مدة الحكم أو قصرها، بل المعيار الصحيح هو سلوك الحاكم؛ كيف ينبغي أن يكون، والإدارة كيف يجب أن تكون.

ورد في نهج البلاغة من حكم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما ظفر من ظفر بالإثم»[٣٧٣]، لم ينتصر من انتصر بالمعصية، بسفك الدماء، بالاعتداء على الناس، باستعمال العنف؛ لأن الغاية لا تبرر الوسيلة، والوسائل يجب أن تكون من جنس الغايات؛ فإذا كانت الغاية نبيلة، فالوسيلة يجب أن تكون نبيلة أيضًا، فالوصول إلى الحكم لإقامة الحق والعدل أمر جيد، ولكن الوصول إلى هذا الهدف النبيل بالظلم والذبح واللعب والتزوير والاعتداء، أمر محرم وقبيح، ولا تبيحه أو تجعله حسنًا المزاعم القائلة: عندما نصل إلى الحكم فسوف نستعمل الوسائل النبيلة ونكون من أهل العدل، فلا يجوز ذلك؛ إذ لا يمكن تحقيق العدل من خلال الظلم، وما ظفر من ظفر بالإثم، فهنا انتصرت المعصية عليك، ولم تنتصر أنت، وفزت في الانتخابات، ولكن هل أنت فائز؟ كلا، بل المعصية هي التي فازت عليك، وإذا كنت قد وصلت من خلال التزوير والغش والضغط والتلاعب والالتفاف على الإرادة الشعبية، فأنت مغلوب، كما قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الغالب بالشر مغلوب»[٣٧٤]، الغالب بالشر، الغالب بطرق غير سليمة، بطرق غير صحيحة، بطرق غير منطقية، فهو مغلوب، وإن كان في الظاهر هو الغالب، ففي الحقيقة هو المغلوب، لذلك فالحكومة الناجحة هي الحكومة التي تمنح الحريات، وترفع مستوى الوعي لدى الناس، وتحقق العدالة، والمساواة، والأخوّة، والمحبة، وتؤدي الحقوق، وترسي القيم والمبادئ والمُثل بين الناس، وتفتح الطريق لتحقيق العبودية الخالصة لله تعالى، وتشد الناس إليه (سبحانه وتعالى)، هذه الحكومة الناجحة فيها رضا الله تبارك وتعالى.

ورد في شرح غرر الحكم: «من جاهد على إقامة الحق وُفّق»[٣٧٥]، الذي يبذل جهده من أجل أن يقيم الحق، فإنّ الله (سبحانه وتعالى) يكتب له التوفيق وينصره، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾[٣٧٦]، هكذا كانت حكومة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٣٧٣. نهج البلاغة ٤: ٧٨ الحكمة ٣٢٧.
٣٧٤. عيون الحكم والمواعظ: ٤٤.
٣٧٥. شرح غرر الحكم ٤: ٣٣٩.
٣٧٦. سورة محمد: الآية ٧.

الإضاءة الثانية: مفتاح التوفيق في القيادة والإدارة

يرى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أن مفتاح التوفيق، الذي يتحكم بكل الخطوات والإجراءات والمواقف والسلوكيات والخطط والمنظومة القيمية التي ترسيها المنظومة القيادية، هو تحقيق رضا الله (سبحانه وتعالى)، هذا هو المفتاح؛ فإن حصل رضا الله فأنت ناجح، وموفق في أدائك القيادي، ومهما كانت الظروف والنتائج المادية، إذا لم يكن الله (سبحانه وتعالى) راضيًا عنك فأنت غير ناجح؛ (وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَة، أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ).

الإضاءة الثالثة: مداخل كسب رضا الله (سبحانه وتعالى) لتحقيق التوفيق والنجاح

كيف نكسب رضا الله (سبحانه وتعالى)؟ يستعرض أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ خمسة معايير:

الأول: تحصيل العذر عند الله عز وجل، بأن يكون الله (سبحانه وتعالى) راضيًا عن هذا المسؤول، وعاذرًا له؛ لما قدم، وتحصيل العذر عند الناس أيضًا؛ أي تشعر الناس بأن هذا المسؤول لم يقصّر، وأنجز ما عليه، وهي سعيدة بمسؤوليته؛ (من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه).

الثاني: أن يحظى الحكم بالسمعة الطيبة، إذ يذكرهم الناس بخير ويقولون: كان لدينا حكام أمامهم مائة مشكلة، ولكنهم مع ذلك وزعوا أراضي بين الناس، وما زالوا يذكرونهم حتى اليوم ويترحمون عليهم، أي يُذكر الحاكم بخير بسبب إنجاز؛ (مع حسن الثناء في العباد)، كيف ترى الناس الحاكم، لا كيف ينظر الحاكم إلى نفسه، فالحاكم يرى نفسه أنجح الناس، مع أن الناس غير راضية عنه، فلا يكفي أن تكون جيدًا في أدائك، بل يجب أن تقنع الناس بأنك جيد، وتسوّق للناس حسن أدائك، فيجب أن يقتنع الناس بالمنظومة القيادية، مهما كان حجمها.

الثالث: أن يترك بصمته في الإعمار، والتوسعة، والمشاريع، والخدمات، وتطوير أوضاع البلاد ماديًا وقيميًا؛ التزام الناس، أعرافها، تقاليدها، قيمها، مبادئها، أي سواء في جانب الإعمار، أو في الجانب المعنوي، فيجب أن يترك الحاكم بصماته، أن يترك أثرًا إيجابيًا؛ على مستوى تطور البلاد، وزيادة وعي الناس ومعارفهم؛ (وجميل الأثر في البلاد).

الرابع: إتمام النعمة في المنظومة القيادية، في بُعديها المادي والمعنوي، وفي بُعديها الفردي والاجتماعي، فقلة النعم تكشف عن سوء في الإدارة والتدبير، وعدم وجود الرؤية الصحيحة في قيادة الأمور وتدبيرها.

الخامس: مضاعفة العزة والكرامة وحرمة الناس، وترسيخ وتعزيز السيادة الوطنية، بحسب تعابيرنا هذه الأيام؛ العزة والكرامة للفرد، والسيادة للمجموع؛ (وتضعيف الكرامة).

الإضاءة الرابعة: العواقب والمآلات

كل من يتصدى لموقع قيادي يجب أن ينظر إلى العاقبة، إلى المآلات، إلى هذا الخط؛ الى أيّ المآلات والعواقب يُفضي هذا السلوك القيادي، فلا تكون الناس فرحة بما بنيت لهم، بينما أنت قد ضيّعت آخرتك، فماذا ربحت؟ وما هي الفائدة؟ فيجب أن تعمّر وتبني بطرق صحيحة، وبرضا الناس يرضى عنك الله (سبحانه وتعالى)، فتضمن آخرتك، هذا هو الأساس؛ (وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ، إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ).

نسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يجعلنا ممن ينهل من فكر أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومعارفهم، وأن ينفعنا بهذا العهد، وكل الأبحاث الشيقة والقيمة التي طرحها أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) في هذا العهد، الذي كان لنا الشرف في شرحه وتوضيحه والوقوف عنده خلال الثمان سنوات الماضية، و شاءت الأقدار أن ننهي هذا البحث اليوم.

نسأل الله أن يتقبل منكم صالح الأعمال وأن لا تنسونا في دعواتكم في الأيام القليلة المتبقية من هذا الشهر الكريم، أعوذ بجلال وجهك الكريم أن ينقضي عني شهر رمضان، أو يطلع الفجر من ليلتي هذه ولك قبلي تبعة أو ذنب تعذبني عليه، وأستميحكم العذر إذا ما أطلنا عليكم، وأثقلنا عليكم في هذا الشهر، وعبر هذه المحاضرات، وأسأل الله أن يتقبل منكم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المناسبات العامّة

يوم الشهيد العراقي[٣٧٧]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

يا أبناء شعبنا العراقي الأبي

يا أبناء شهيد المحراب وعزيز العراق

في الأول من رجب «في يوم الشهيد العراقي» أبارك لكم حلول شهر رجب الأصب، أول الأشهر العبادية الثلاثة الذي تُصب فيه الرحمةُ صبًا، وأخاطبكم في ذكرى استشهاد والدنا و قائدنا و ملهم مسيرتنا، الشهيد الحي الساكن في قلوبنا و عقولنا و ضمائرنا، الجبل الشامخ، والوجدان النابض، شهيد المحراب الخالد، صاحب المشروع الإنساني الإسلامي الوطني القائد.

نجدد العهد نصون الأمانة

أُخاطبكم لأقول لكم، يا أصحابَ اليقين و الثبات و الصمود، يا أبناء الاستقامة و التضحية و العطاء و الجهود، يا أصحاب المشروع منذ البدء و الشروع، كنا و كنتم، و ما زلنا وما زلتم، وسنبقى و ستبقون، أنا و أنتم ومن معنا من الشرفاء جميعًا، حملة هذا الفكر و المشروع، وهذه الثوابت و المبادئ ما حيينا و بقي فينا عرق ينبض و دم يسيل ونفس يصعد. هكذا نعاهد شهيد المحراب، و هكذا نجدد معه العهد في كل يوم و

٣٧٧. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة الأول من رجب يوم الشهيد العراقي التي بثت عبر القنوات الفضائية بعد إلغاء التجمعات الجماهيرية بسبب جائحة كورونا بتأريخ ٢٦/ ٢/ ٢٠٢٠

موعد، نقف لنقول: نحن أبناؤك البررة، و أصحاب مشروعك الوطني، و أمانتكَ بيدنا مصانةٌ، و رايةُ فكركَ مشرعةٌ، و مسيرتك قائمةٌ و مستمرة، فنم قرير العين، وكن علينا شاهدًا عند بارئك، ومباركًا لأبنائك، و داعيًا لنا بالتوفيق و السداد و التأييد

سيدي يا شهيد المحراب

في يوم الشهيد العراقي نستذكرك، ونستذكر معك جميعَ الشهداء، فهو يومهم ومناسبتهم، نستذكر المراجع الشهداء، ولا سيّما الشهيد الغروي، والشهيد البروجوردي، والشهيدين الصدرين، كما نستذكر شهداء الدكتاتورية، وشهداء المقابر الجماعية، وشهداء حلبجة، وشهداء الإرهاب، وشهداء الطائفية، وشهداء قواتنا المسلحة، من الجيش، والشرطة، والحشد الشعبي، والعشائري، والبيشمركة، وشهداء التظاهرات السلمية من متظاهرين و رجال أمن، ونستذكر في هذه الأيام قادة الانتصار، الشهيد القائد (أبو مهدي المهندس)، وضيفِ العراق الكبير الشهيد الفريق (قاسم سليماني) وكل شهداء العراق.

إنَّ إحياء ذكرى شهيد المحراب الخالد ليست مجرد إحياءٍ لحادثة عابرة، بل هي مناسبة نحييها لنؤكدمواقفناالوطنية الراسخة تجاه بلدنا وشعبنا،ونقف عبرها عند التحديات والفرص التي تتطلب منا وقفةً مسؤولة وحكيمة،ونراجع من خلالها مساراتنا الجماهيرية والتنظيمية الممتدة،وفي كل عام، وبحمد الله وتوفيقه، يزداد العراقيون ـ وفي مقدمتهم أبناء وبنات شهيد المحراب ـ قوةً وصلابةً أمام التحديات والصعاب التي تواجه مشروعهم وقضيتهم الوطنية الحقة،بل في كل عام يزداد وعي وإيمان رجال ونساء هذا التيار بسلامة المسار الذي اختاروه ضمن المشهد الوطني العام.

أنضج الشعارات

لقد شهد العراق منذ أحداث تشرين الأول من العام الماضي مسيراتٍ إصلاحيةً، وحراكًا جماهيريًا واسعًا في أغلب محافظاتنا العزيزة، وبالأخص في العاصمة الحبيبة بغداد، رافعين أنضج الشعارات ((نريد وطن)) يليق بنا وبجيلنا وحاضرنا وتأريخنا، ليثبتوا أن الحقوق تُؤخذ و لا تُعطى، وما ضاع حق وراءه مطالب. وقد استشهد جراء ذلك العديد من شبابنا، وتعرّض الكثير منهم لإصابات بالغة في مشاهد مؤلمة ومحزنة لا يمكن أن تُنسى،وكنا منذ اللحظة الأولى مساندين وداعمين لهذا الحراك السلمي وللمطالب الحقة والمشروعة التي كفلها الدستور والقانون في المطالبة والإصلاح

والتقويم، وما زلنا على عهدنا في الدعم والإسناد لكل حراك جماهيري سلمي هدفه الإصلاح والتقويم والبناء، وعلى الرغم من المساعي الخبيثة التي أرادت حرف مسار الحراك الجماهيري السلمي عن غايته النبيلة، إلا أن هناكَ جملةً من الأهداف والنتائج قد تحققت، أبرزها:

١-لا صوتَ يعلو فوقَ صوت الشعب ومطالبِه المشروعة.

٢-لدينا جيل لا يساوم على كرامة وطنه وسيادته.

٣-نحن أمام مسار جديد ومختلف عن مسار عام (٢٠٠٣)، وسيعبّر عن نفسه في الانتخابات المبكرة.

٤-زيادة الوعي الجماهيري، فالأوراق أصبحت مكشوفة، والمواقف المترددة باتت واضحة المعالم أمام إرادة شعبنا وصلابته.

جيل يسابق الزمن

وهنا يجب أن نبين أبرز الأمور الهامة والمفصلية:

لقد قلناها منذ وقت مبكر، نحن أمام جيل جديد يقرأ المتغيرات الاجتماعية بعين البصيرة و روح المسؤولية، ولا تناسبه المفاهيم والأساليب التي عشناها بعد إسقاط الدكتاتورية، ولم تعد تلبي واقع العراق وشعبه، نحن أمام جيل يسابق الزمن نحو التقدم والتميز، ويعلو على جميع الصعاب والتحديات بما يملكه من خزين حضاري وعمق معرفي.

الحرب الناعمة

إن شباب العراق كانوا وسيبقون عماد العراق وأمله في بناء دولة قوية مقتدرة ذات سيادة وعزةوكرامة، وهم على قدر المسؤولية وعيًا ونشاطًا وعزيمةً وإصرارًا وشكيمةً، لا يليق بالعراق إلا شبابه، أبناؤه، عشائره، مكوناته، ولن ينال منه أحد، ما دام في شبابه ورجاله عرق ينبض، ولذلك تُحاك الخُطط و المحاولات من وراء الحدود، هدفها تضليل شبابنا وتشويه منظومتهم القيمية والتأريخية، واستهداف ركائز قوتهم وعمقهم الحضاري، من خلال حرب الإشاعات والتُهم الجاهزة، والأقاويل والافتراءات، وإشعال الفتن ونشر الكراهية بين أبناء البيت الواحد، وفي الوقت الذي نحذر من هذه المحاولات والخطط الخبيثة فإننا نُراهن على وعي ويقظة شبابنا وغيرتهم على دينهم

وبلدهم وأعرافهم العشائرية الأصيلة، ولن نسمح في الوقت ذاته أن يُترك شبابنا وحدهم يواجهون هذا البحر المتلاطم من التهم وما يسمى بـ «الحرب الناعمة» على مجتمعنا ومنظومة قيمه ومبادئه.

لم و لن نساوم على أحلامكم

وكلمتي لشباب العراق، أنتم السند، والثروة، والأمل في إعادة هيبة العراق وسيادته، واعلموا جيدًا أن أخاكم عمار الحكيم، وشباب تيار الحكمة لم ولن يساوموا على أحلامكم وطموحاتكم؛ لأن أحلامكم هي أحلامنا، وأهدافكم في الوطنية والإصلاح والكرامة والسيادة وبناء الدولة القوية المقتدرة، هي أهدافنا ذاتها، اسألوا شباب الحكمة عن عدد الساعات التي نقضيها معًا كل يوم، عن الأحلام التي نسعى لتحقيقها في بلدنا الذي يستحق أن يكون الأول بما يملكه من تأريخ ورجال وثروات، ولا تسمحوا للمتزلفين، والمترددين، والانتهازيين أن يستغلوا صوتكم وأحلامكم وطموحكم لتحقيق مآربهم الخاصة، فأنتم الصوت الحقيقي لهذه الأمة، ولهذا البلد العظيم.

مشروع عراقيّ

إننا في العراق على مفرق طريقين لا ثالث لهما: إما العودة إلى الوراء بحروب ونزاعات داخلية واصطفافات مذهبية وقومية تُشتّت شملنا وتوهِن قوتنا وتجعلنا للطامعين فريسة سهلة، أو الاستمرار في التقدم نحو الأمام، والتقدم نحو بناء الدولة وتقوية قرارها، وحفظ سيادتها وهيبتها، وفرض القانون على الجميع بلا تمايز أو استثناء، لذا فإنني من موقع المسؤولية الوطنيةأدعو القوى السياسية، وجميع الناشطين والنخب المجتمعية، وعشائرنا الغيورة، وشبابنا الشجعان، وأبناء الحكمة والحكيم بكافة المستويات إلى العمل على تأسيس المشروع الوطني العراقي.

ففي ظل صراع المشاريع الإقليميّة والدولية على الجغرافية العراقية وفي ظل تشتت الرؤى والمواقف الداخلية كان لا بُدَّ من ولادة مشروع عراقي يتجاوز اللحظة الحالية ويؤسس لعراق سيّدٍ ومستقر ومزدهر.

أهم مرتكزات هذا المشروع من وجهة نظرنا هي:

١-قيام الأُمةالعراقية: نحن شعب أرهقته الحروب والصراعاتِ الداخلية وأنظمة الحكم المتباينة، فكان لكل منا خصوصيته الدينية والمذهبية والقومية والمناطقية والسياسية التي يقدمها ويغلّبها على الجميع، وقد آن الأوان لقيام الأمة العراقية التي تحترم الانتماءات الفرعية، ولكنها لا تقف عند حدودها، فلا بُدَّ من إطارٍ وحدويّ يجمعنا جميعا ويحطم مشاريع الاستتباع والانفصال في أمة تمثل الماضي والحاضر والمستقبل، وتسمو على التمايز والتنوع في واقعنا العراقي، إطار يتحقق فيه وبموجبه التضامن بين الأجيال المتعاقبة ودوام المصالح المشتركة،فأنا عراقي وأنت عراقي ونحنعراقيون.

هذا ما يجب أن يكون، في كُردستان والبصرة والنجف والأنبار، والموصل وكركوك، وكل مكان من بلادنا الكريمة.

٢-نهوض الدولة: فمنذ قرن من الزمن عشنا الانتداب والانقلاب والدكتاتورية والديمقراطية الفوضوية ولم تنهض الدولة، ولكي تنهض الدولة وتنتقل من حالة الضعف الى حالة النجاح فلا بُدَّ لها من:

أ-احتكار القوة: فأيَّة دولة لا تحتكر القوة ستبقى ضعيفة.

وأيَّة دولة لا تستطيع حصر السلاح بيدها ستبقى ضعيفة.

وأيَّة دولة تسمح بنشوء ونمو وجودات عقدية أو قومية مسلحة خارجها وعلى حسابها، ستبقى دولة ضعيفة

السلاح والمسلح يجب أن يكونا ضمن إطار القانون والمؤسسة العسكرية والأمنية فقط.

ب- استعادة السيادة: فمن المؤسف أننا مختلفون في فهم السيادة ومفهومها.

يستشهد قادةعراقيونبصواريخ أجنبية، يبرر البعض ويستنكر البعض الآخر!

تُقصف البعثات الدبلوماسية بصواريخ خارجة عن القانون، فيبرر البعض ويستنكر البعض الآخر!

إنهاء وجود القوات الأجنبية، يدافع البعض ويهاجم البعض الآخر!

بالله عليكمأي سيادة يمكن الحديث عنها إذا كنا بهذا الانقسام والتشتت؟

السيادة تُنتهك من الداخل بفعل الاستتباع، وتُنتهك من الخارج بفعل الصراع.

السيادة وحدة واحدة لا تتجزأ، ولا تقبل القسمة على غيرها.

أرضنا وسماؤها وماؤها خط أحمر، فلنتفق على ذلك ولنضحي من أجل هذا الاتفاق.

ج-استرداد الديمقراطية: أَشَّرَتْ انتخابات (٢٠١٨) تراجعًا حادًا في الديمقراطية، حيث انخفضت نسبة المشاركة إلى حد غير مسبوق منذ (٢٠٠٥)، وكان الأمن الانتخابي ضعيفًا مما فسح المجال أمام قوى اللادولة لتسيطر بالقوة المسلحة على العديد من المراكز الانتخابية في المحافظات، وساهمت المفوضية المسيسة والمال السياسي واستخدام القوة والسلاح خارج إطار الدولة وحرب الملفات في تراجع الديمقراطية تراجعًا حادًا.

آن الأوان لنسترد ديمقراطيتنا من مخالب قوى اللادولة والفساد، ولا بُدَّ من بناء جهاز المفوضية ليكون مستقلًا بالكامل عن الحزبية والانتماءات الضيقة.

د- تطوير النظام: إن السؤال الجوهري المتجدد، أين نقف اليوم كحكومة وبرلمان وقضاء وكيانات سياسية مما يجري في المنطقة والعالم؟!

الدستور يُنتهك في أروقة السلطة أكثر مما يُنتهك في الشارع!

ينتهكه الحكام أكثر مما ينتهكه المحكومون!

البرلمان في موسم السبات

الحكومة بين التصريف والتكليف

القضاء صراع بين المجلس والمحكمة

الأحزاب صراع وتشتت وشيخوخة وفوضى، وتحالفات مصالح لا تحالفات وطن!

قوى التشدد واللادولة متحكمة، بالمال والسلاح، وبالسلطة والنفوذ!

(قوى الاعتدال والدولة) تقاوم وحيدةً بين مطرقة قوى اللادولة وسندان ضعف الوعي الجماهيري المساند

كيف ومتى نبدأ التصحيح والإصلاح؟

معركة الإصلاح الكبرى متى ننتصر فيها ولها؟ ونقف مع أبناء شعبنا الذي نزل إلى الشوارع والساحات ليضحي من أجل الإصلاح والتغيير؟

معركة الإصلاح التي راح ضحيتَها مئات الشهداء وآلاف الجرحى من المتظاهرين والقوات الأمنية

معركة الإصلاح التي تستمد شروعها وشرعيتها ووجودها وبقاءها من الشعب والمرجعية العليا.

يجب أن ينتصر الشعب

ويجب أن ننتصر للشعب

إنَّ شيطنة التظاهرات والقول بأنها مؤامرة وصناعة عقول خارج الحدود وتنفيذ أدوات الداخل هي أمر مرفوض

تأليه التظاهرات والقول بأنها نظيفة من كل شائبة أو اندساس أو ارتزاق وعمالة، أمر مرفوض أيضًا!

الجماهير ليست مجرمة وليست فاضلة بالمطلق

تقسيم أبناء الشعب تبعًا للتظاهرات إلى (جوكريةٍ وذيول) أمر غير مقبول بالمطلق

التظاهر حق، فمن أراد إن يشارك فيها فليشارك

ومن لم يرد فليس عليه ذلك

وأما الدساتير والقوانين فهي ليست خالدةً، ولذلك يجب أن يعدَّل الدستور النافذ وتُعاد صياغةُ وصناعة التشريعات القديمة والجديدة

معادلة التشارك السياسي والمذهبي والقومي يجب أن تطور لِتمثل بحق شرعية الشعب في البرلمان والحكومة:

- برلمان مقيد
- مجلس اتحاد مصغر وفاعل ومتوازن
- ديمقراطية حقيقية وانتخابات فعلية
- أغلبية وطنية تحكم وأقليّة وطنية تعارض
- أحزاب وطنية أقل، بفاعلية أكبر
- أحزاب وطنية لا مذهبية أو قومية أو جهوية
- رئيس دولة منتخب يمارس دور القيادة
- حكومة مختارة من قبل الرئيس مصادق عليها برلمانيًا تمارس دور الإدارة
- محافظون منتخبون من الشعب مباشرة.
- مجالس محافظات رشيقة وفاعلة تشرعوتراقب
- فيدرالية بوجه واحد، وليست بأوجه متعددة

– أما بالنسبة لموقفنا مما يحصل في المشهد السياسي، فإننا ننشد ونحرص على الآتي:

– حكومة انتقالية لمدة عام، ونتمنى أن تحصل على ثقة مجلس النواب في أسرع وقت ممكن.

– التصويت على حل مجلس النواب قبل نهاية المدة بشهرين.

– انتخابات مبكرة في نهاية المدة بقانون انتخابي عادل تحت إشراف المفوضية المستقلة وبالتعاون مع البعثة الأممية وفي ظل أمن انتخابي تام ووعي انتخابي عالٍ وإلا فإن قوى اللادولة ستعود أقوى وأكبر وتتحول إلى غول يبتلع الدولة والأمة ولاتٍ حين مندم.

أيها الأحبة:

– العراق هو الوطن الذي يعبّر عن هوية شعبه بتعدد قومياتهم وأديانهم ومذاهبهم وآيدلوجياتهم، ولا يجوز لجماعة أو حزب أو فرد أن يصنّفَ أبناءَهُ أو يوهّن من انتمائهم وحبهم لوطنهم لمجرد أنهم لا يخضعون لفكره أو رأيه أو حزبه، فللجميع حق الانتماء لهذا الوطن، والتعبير عن انتمائهم له يجب أن لا يتعارض مع حريات وعقائد وأفكار وانتماءات الآخرين.

المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف هي بوصلة العراق وصمام أمانه، ولا حياد عن تلبية ما تقوله وتتبناه وتراه الأصلح والأجدر بالحالة العراقية سواء كان على صعيد السياسة أم الأمن أم الاقتصاد أم المجتمع. ولا سيّما أنها كانت أولَ المبادرين الى تكريس وتثبيت الدولة المدنية العادلة والكريمة التي يجب أن تكون خيمة لعموم أفراد الشعب العراقي دون تمييز بين قومية أو دين أو فئة أو جهة.

حمى الله العراق وشعبه من كيد الأعداء، وحفظَ الله مراجعنا العظام وأبناء شعبنا الأبي وقواتنا المسلحة، ورحم الله شهداءنا الأبرار ولا سيّما الشهيدين الصدرين وشهيد المحراب وعزيز العراق، والله الله بعوائل الشهداء وبالجرحى والمضحين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إعلان تحالف (عراقيون)[٣٧٨]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نجتمع اليوم في ظل تحديات كبيرة وخطيرة تمرُّ بها بلادنا، مع تمدد جائحة كورونا، التي عصفت بالعالم كله، وكان العراق رقعةً لاتساعها وانتشارها وارتفاع عدد وفياتها والمصابين بها، فنسأل الله الصحة والسلامة لأبناء شعبنا وللبشرية جمعاء، والشفاء العاجل للمصابين، والرحمة والغفران للمتوفين، والصبر والسلوان لذويهم.

ونعيش في الوقت نفسه أزمة اقتصادية خانقة، وتراجعا حادا في الموارد المالية، بما يشكّل تحديا كبيرا لمقدرات الدولة، ويؤثر في تقدير أولوياتها، وفي مقدمتها توفير الرواتب والميزانيات التشغيلية الضرورية، فضلاً عن الميزانيات الاستثمارية المطلوبة للنهوض بالبلاد وتنمية مواردها وتعظيمها.

ولا يخفى أن الجميع يقع تحت طائلة ضغط هائل تفرضه مجموعة من الأزمات الأمنية والإدارية والاجتماعية والسياسية.

وفي الجانب الحيوي من المشهد الوطني تقابلنا إرادةٌ شعبية شبابية متوثبة، تسعى بهمّةٍ وعزيمةٍ إلى الإصلاح، عبّر عنها شبابنا الأبطال بصور مشرقة من خلال احتجاجاتٍ سلميةٍ واعيةٍ ومسؤولةٍ، دفعوا من أجلها دماءً طاهرة زكيّة.

إنَّ مواجهة هذه التحديات وتلبيةَ مطالب شعبنا وشبابنا تتطلب خطوات جادة وسريعةً على جميع المستويات سياسيًا واقتصاديا، ونيابيا وحكوميا.

وفي هذا الإطار وانطلاقا مما تقدم، ومن هاجس المسؤولية الوطنية، وفي الذكرى المئوية لثورة العشرين الخالدة نعلنُ اليومَ عن تشكيلِ تحالفٍ سياسي برلماني جماهيري كبير ينطلق من الدولة، ويتحرك في فضاء الدولة، ويعود حاصل جهده إلى الدولة.

٣٧٨. كلمة السيد عمار الحكيم بمناسبة إعلان تحالف (عراقيون) ببغداد بتأريخ ٣٠/ ٦/ ٢٠٢٠

يدعم الدولةَ المقتدرةَ القويّةَ، ذات السيادةِ الوطنيةِ، والإرادة الجماهيريةِ الخالصة، بعيداً عن المحاصصات والأجندات الفئوية الضيقة، وخارجَ الصفقات المشبوهة والتفاهمات المؤقتة غير المجدية.

إن هذا التحالف الكبير، المشكّلَ من عدد من القوى السياسية والشخصيات الوطنية المستقلة قد حمل، كما أراد له الأعضاء، تسمية (تحالف عراقيون)؛ ليُعبّرَ عن مواكبة مخلصة للتحولات المتلاحقة الحاصلة في البلاد، متخذًا من الاعتدال والوَسطية ودعم المشروع الوطني والخطاب الوحدوي، أساسا متينا لتمثيل قوى الدولة بشكل واضح وعادل.

ويهدف تحالف (عراقيون) بالدرجة الأساسية إلى ما يأتي:

١-تقوية مسار الدولة ومؤسساتها، وتطبيق القانون على الجميع، وإعادة الثقة بالنظام السياسي.

٢-دعم قواتنا المسلحة الباسلة، التي تضم الجيش والشرطة والحشد الشعبي وجهاز مكافحة الارهاب، والبيشمركة في إطارها المؤسساتي والتزامها بواجباتها ضمن سياقات القانون وسياسات الدولة.

٣- تعضيد مسار الإصلاحات الجادة والشجاعة والحازمة بوجه الفساد وهدر الأموال.

٤- تلبية مطالب المتظاهرين الحقة ودعمها.

٥- تمكين منهج الاعتدال لدعم الاستقرار السياسي.

٦- إبعاد العراق عن التخندقات الإقليمية والصراعات الدولية؛ وجعله لاعبا أساسيا للتقارب بين الأشقاء والأصدقاء وحل الأزمات والتقاطعات في المنطقة، والتشجيع على مد جسور العلاقة والمصالح المتبادلة مع دول المنطقة والعالم.

٧-تأكيد المطلب الرئيس بإجراء انتخابات مبكرة نزيهة وعادلة، تضمن حقوق الجميع بلا تمايز أو تضليل، وتهيئة متطلباتها.

٨-دعم جهود الإصلاح والتطوير الحقيقي للنظام السياسي برمته، والتخلص من آثار التوافقية غير المجدية والمعطلة لمسار الإصلاح والبناء، وإعادة الإعمار.

٩-تعزيز إجراءات الضمان الصحي، والتطوير الاقتصادي، واستعادة الريادة الوطنية من جديد.

١٠- دعم عملية الإعمار وتوفير الخدمات في المحافظات الجنوبية، وتقوية الحكومات المحلية، ودعم إعادة النازحين وإعمار المناطق المحررة وصولاً إلى خدمات عادلة وحياة حرة كريمة لجميع المواطنين.

إنّ تحالفنا اليوم يتميز بعدد كبير من البرلمانيين، ولكنه لا يتوقف عند لغة الأرقام، بل يعمل على تقديم نموذج جديد في الإدارة السياسية الواعية والمسؤولة.

ولا بد من توحيد جميع الجهود الوطنية الخيّرة والمخلصة من القوى والشخصيات البرلمانية والحكومية والكيانات السياسية والمنظمات والناشطين في المجالات كافة نحو هدف مركزي يؤكد العزيمة على دعم مسار الدولة المقتدرة وتقويتها.

فلا يمكن أن نواجه التحديات والأزمات من دون دولة قوية.

ولا يمكن أن نحفظ الحقوق ونصون الحرمات من دون دولة قوية.

ولا يمكن أن نمنع الفساد ونقطع أيدي السراق والمجرمين من دون دولة قوية.

فلا مناص ولا بديل عن دولة قوية مقتدرة، تحمي الحقوق وتضمن مستقبل أبنائنا وشبابنا.

كفانا مناكفات.

كفانا صراعا وتسقيطا.

كفانا سلبية في التشهير والتأويل وخلط الأوراق.

اليوم يوم عمل..

ويوم إصلاح..

ويوم تنافس نظيف ضمن إطار الدولة لا خارجها.

ونحن في تحالف (عراقيون) نمدُّ يدنا للتحالفات السياسية والاجتماعية والشعبية القائمة للتعاون والتآزر وتكامل الأدوار؛ لخدمة شعبنا ووطننا، وتوحيد الجهود لتفعيل مهام مجلس النواب وتشريع القوانين الضرورية والخدمية ودعم مسارات الإصلاح في البلاد.

ونؤكد أنّ باب الانضمام لهذا التحالف سيبقى مفتوحًا لكل من يرغب، ممن يرى في نفسه القدرة على الإيثار وتقديم المصالح العليا للدولة على أية مصلحة أخرى.

ماضون بإذن الله نحو تصحيح المسار السياسي، وإعادة هيبة الدولة وسيادتها، وترسيخ الاعتدال والاستقرار، ولن تأخذنا في ذلك لومةُ لائم، فالحق بوصلتنا، وتحقيق أحلام شبابنا وتطلعاتهم هو هدفنا الرئيس بإذن الله تعالى.

سلام على مرجعيتنا الرشيدة، وقواتنا المسلحة، وحشدنا الشعبي، وشهدائنا الأبرار، وكل المضحين من أجل هذا الوطن الغالي.

وسلام على أبناء شعبنا العراقي الأبيّ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

برنامج (حوار الوطن)[٣٧٩]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين، وصحبه المنتجبين

السادة الأفاضل، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم هذا الحضور و هذا الطرح العميق الذي فيه تحديات وفيه حلول، أنا أختلف قليلاً مع بعض ما ذكر أن الجلسة كانت حافلة بالتشكي، بالحقيقة شعرت بالمزيد من التفاؤل ولاحظت أنه حتى التحديات ذكرت في إطارها المنطقي المعقول وهذا تطور مهم.

تقييم موضوعيّ

نحن لا شكَّ عندما نريد أن نقيم واقعنا لا نأتي بشيء من ساحة أخرى، بالتالي يجب استحضار التحديات التي نعيشها وتبويبها وثم وضع حلول ومعالجات متطورة ممكنة ضمن إطار التناقضات والتقاطعات الكبيرة الموجودة في بلادنا، أول نقطة مهمة ما هو مقياس التقييم؟ ما هو المعيار؟ وأين خط الشروع الذي نقيس به تقدمنا؟ واحدة من المفارقات التي تحصل أن نقيس أنفسنا بمن حولنا، تركيا، أو إيران، أو الأردن، أو السعودية، والسؤال هل ظروفنا كظروف أولئك لكي نقيس أنفسنا بهم؟ نحن خضنا حروبا متواصلة منذ خمسين سنة، منذ عام (١٩٦٨) إلى اليوم، حتى الحصار الذي مررنا به هو نوع من أنواع الحروب ومن أشدها، وسقط الدكتاتور وكنا نتأمل أن تنتهي الحروب، فابتلينا بالقاعدة والإرهاب وثم داعش، في ظروف لم تمر عشر معشارها في بلد من البلدان، وعلى سبيل المثال أمريكا، هذه القارة والدولة التي تمثل مهد

٣٧٩. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم خلال الجلسة الحوارية مع عدد من أساتذة العلوم السياسية في برنامج حوار وطن الذي عقد في مكتبه الخاص ببغداد بتأريخ ١٢/ ٨/ ٢٠٢٠

الديمقراطية عندما كانت فيها هذه النظرة العنصرية والعرقية وتوفي هذا الأسود على يد الشرطي الأبيض دخلت في موجة من الحرق والتدمير والخراب إلى الآن وغير معروف المدة التي تطول بها هذه القضية.

حجم التقاطعات المذهبية والقومية التي صارت بالعراق والاستنفار الإقليمي الهائل من أجل تجييش هذه الأمور وتكسير الإرادات وتحويل الساحة العراقية لصراع إرادات إقليمية ودولية كبيرة، كلها أشياء خارج إرادتنا.

أنا أعتقد لا توجد دولة بالمنطقة أو حتى بالعالم يمكن أن نقيس أنفسنا بها، حتى لبنان التي مرت ببعض ظروفنا لا تقاس بظروفنا، نحن مقياسنا أنفسنا وواقعنا.

أين كنا؟ وما هي الظروف التي كانت؟ وما هي خارطة الطريق المنطقية والمعقولة ضمن أسقف زمنيه قابلة للتقييم وملاحظة كل هذه الأوضاع التي مررنا بها، فوضعنا غير طبيعي، كالمريض الذي لا يقاس بالإنسان السليم.

ضريبة الانتقال من الدكتاتورية إلى الديمقراطية، فنحن لسنا البلد الوحيد الذي يدخل بمشاكل وفوضى وتقاطعات حادة، ولعلّ آخرين دخلوا في تقاطعات أطول من تقاطعاتنا مع أنه لم كان لديهم التعقيدات التي لدينا، فهذه ليبيا الآن أمامنا وكذلك السودان ودول أخرى كثيرة، ومصر لولا أن تستعيد وضعها من جديد لكانت أوضاعها مختلفة، وهكذا هو الانتقال، شعب مقموع ومفروض عليه أن يسير في اتجاه واحد، وفجأة تنطلق هذه الإرادة والتنوع الهائل والكبير، ما هي إسقاطات هذا في الواقع؟ وكيف تترتب الأمور مع القلق الإقليمي والدولي؟ فحقيقة هذه هي ضريبة الديمقراطية، ومن يقرأ تجارب مشابهة في العالم يرى أن بعض الدول دخلت في فوضى عارمة ثم عادت إلى الدكتاتورية فانتظمت أمورها، ثم انتقلت إلى ديمقراطية تدريجية وبطيئة، ونحن في هكذا ديمقراطية وحريات منفلتة وكل شخص يريد أن يقول ما يشاء، ويكذب بما يريد، ويضخم ما يريد، ولا يوجد هناك ضابط للإيقاع، من الطبيعي أننا سنأخذ وقتا أكثر في إطار تنظيم صفوفنا وأوضاعنا.

التحولات التأسيسية دائمًا تكون كبيرة وسريعة، حجم التحولات التي شاهدناها في (١٧) سنة بقية الدول لا تشهدها في (١٧٠) سنة، هذه التحولات تكون بطيئة جدًا حتى في الشعوب المستقرة، كتكوين الرأي العام وتكوين القناعات وإيجاد ثقافات جديدة، أما بالنسبة لنا فالأمور كانت سريعة جدًا.

واقع جديد

اليوم عندما نتحدث عن واقع العراق في (٢٠٢٠) هو ليس العراق الذي كنا نعيش فيه في (٢٠٠٣) عندما تشكل هذا النظام الديمقراطي وليس فيه أي من تلك المؤشرات بالرغم من أنها فترة قصيرة، عقد ونصف، لكن جميع المتغيرات اختلفت ديموغرافيًا وشعبيًا، وأصبح لدينا وواقع جديد، و اليوم (٧٠٪) من شعبنا دون (٣٥) سنة، (٤٩٪) دون (١٩) سنة، التوازنات الداخلية و القوى الحاملة للمشروع التي كانت في الواجهة جزء مهم منهم الآن يضمر ويتراجع وقوى أخرى تتقدم، فهناك حراك سياسي، و حراك مجتمعي، وحراك جيلي، و توازنات إقليمية مختلفة، وتوازنات دولية مختلفة، قناعة واندفاع الوضع الدولي والمعادلة الدولية التي جاءت بهذا التغيير تكاد تكون مختلفة تمامًا عن الأوضاع التي نعيشها هذه اللحظة، هذه الأمور يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار.

عندما تحدثنا عن عقد اجتماعي جديد بالحقيقة أخذنا بنظر الاعتبار كل هذه الحقائق والوقائع في ساحتنا العراقية. النظام السياسي ليس مجموعة قوى سياسية فقط، النظام السياسي أوسع وأعمق، والعقد الاجتماعي لا ينظر إلى البعد السياسي المتحرك، صحيح أن القوى السياسية هي من كتبت الدستور، لكن لا ننسى أن هذه القوى كانت تتمتع بشعبية واسعة، وتمتع بغطاءات مرجعية، وكانت هناك غطاءات دولية وإقليمية جميعها أعطت زخما هائلا، والناس خرجت تتحدى المفخخات، ومنهم من استشهد في طريقه إلى صندوق الاقتراع ليقول(نعم) الدستور.

كانت معركة وجود، صحيح ليس جميع الناس شاركونا في كتابة الدستور، ولا يوجد هذا الشيء في أي بلد، لكن الغطاءات والتفاعل والتعاطف و الإيمان بهذا المسار شيء كبير جعل منه عقدا اجتماعيا استطاع بالفعل أن يوحد البلد، و أن يعبر بنا تلك الظروف الصعبة.

اليوم كل تلك العناصر التي كانت مصدر قوة لذلك العقد الاجتماعي تغيرت، نحتاج إلى أن نراجع، وهذه ليست الدعوة إلى إلغاء كل شيء، فهناك الكثير من الأشياء الصحيحة المفيدة، ولكن يجب أن نرى أين هي المشكلة؟ وكيف تتم معالجتها؟ وإذا لم نراجع الواقع نحن سوف يفرض نفسه والقدر سيأخذ مداه.

القضية ليست نحن بين خيارين إما أن نستمر على ما نحن فيه أو نحسن من وضعنا، إذا لم نتحرك يمكن أن ينهار النظام السياسي بأكمله، وعندها نحتاج إلى معادلة سياسية، والمعادلة السياسية تحتاج إلى توازنات داخلية وخارجية، فما هي تلك التوازنات؟ وما

هي تلك المعادلات؟ وكيف يمكن أن تبني حالة جديدة؟ إذا لم نقم نحن بهذا الشيء ستُفرض علينا أشياء ليس فيها مصالح للشعب العراقي، ولا سيّما في ظل التحولات الكبيرة الإقليمية والدولية.

الأساس اليوم في تقييم الناس ليس كما كان في (٢٠٠٣)، كان هناك الدكتاتورية والكل يريد الحرية والتعبير عن الرأي، هذا ما كان يريده الناس، وكل المكونات كانت تريد أن تضمن حقوقها، لذلك كُتب الدستور بلغة المخاوف والخوف الناتج من واقع مرير ليس عيبًا، واليوم لو عاد بنا الزمن إلى (٢٠٠٣) لكنا سنرى بأن ما قمنا به في ذلك الوقت هو أفضل ما يمكن القيام به لتطمين جميع المكونات، والآن انتهت هذه المخاوف وأرجعت الأمور إلى نصاب منطقي ومعقول فنحتاج أن يكون هذا العقد الاجتماعي ليس مبتنيًا على المخاوف بقدر ما هو مبتنٍ على مشروع جامع وموحد للأمة العراقية.

نحن لسنا شعبًا واحدا، نحن شعوب، شعب عربي، وشعب كردي، وشعب تركماني، فنحن أمة عراقية، نحتاج إلى مشروع جامع لهذه الأمة يحترم خصوصيات شعوبها المتعددة لكي نتمكن من الحفاظ على وحدة البلد.

أزمة إدارة

الأساس اليوم هو النجاح، مثلما تفضل بعض حضراتكم، فلو كانت المستشفى تقدم الخدمات الجيدة، والمدرسة تقدم الخدمات الجيدة، والكهرباء متوفرة، وفرص العمل السوق متاحة لكانت (٨٠٪) من الاعتراضات الموجودة الآن غير موجودة.

ليس العراق البلد الوحيد الذي فيه فساد، الإخوة في المملكة العربية السعودية قانونيًا ودستوريًا ثلث الموازنة للملك، وثلث الموازنة للأسرة، وثلث الموازنة للشعب، و لكن الشعب يرى خدمات، لذلك هو راضٍ بالثلث، والأمور تسري، وأنا لا أستثني شيئا من التجارب الإقليمية المحيطة بنا، كلّ التجارب مليئة بالمشاكل وظواهر الفساد، ولكن توجد خدمات تشفع لهذه الحكومات.

ونحن المشكلة التي لدينا الناس تسمع بشكل كبير عن الفساد ولا ترى الخدمات، فيصبح هناك انطباع كأن هناك طبقة سياسية تريد أن تسرق الأموال ولا تخدم الشعب، هذا أمر ليس صحيحا، نحن لدينا أزمة إدارة، والأمور لم تُنجز بالشكل الصحيح، وهناك مبالغة في افتراض وجود فساد إلى مستويات أعلى من الآخرين، نحن بلد (٧٠٪) من موازنته رواتب، ندفع (١٧٪) لكردستان، (٥٪) تعويضات للكويت، (٣٪)، لنادي

باريس، وهذه (٨٢٪) من الموازنة، والمتبقي (٨٪)، فأين هذه المليارات والأموال التي يتم التحدث عنها؟ هناك شيء مبالغ فيه، فلا يوجد هكذا أموال بالمقدار التي يقال عنها أنها تسرق وبالشكل الذي يذكر، وعلى كل حال لا أريد أن أغطي على أحد، وحتى الفساد الموجود هو فساد غير منظم وغير مقنن.

الفاسدون الحقيقيون ليس القوى السياسية، الفاسدون الحقيقيون هم موظفون في مفاصل حيوية، أو رجال أعمال يستغلون ويدفعون لمسؤول حكومي قد يكون قريبا من جهة سياسية معينة و يأخذ المشروع، المليارات تذهب إلى رجل الأعمال والشيء القليل يذهب إلى هذا.

الشارع يريد الخدمات، يريد إنعاش الاقتصاد، ويريد فرصا للخدمة، هذا هو الأساس الذي نحتاج إليه.

فرز المناهج

لكن لكي نصل إلى تحقيق كل هذا نحتاج إلى مشروع سياسي قادر على أن يحقق النجاح، وهنا تأتي مسألة فرز المناهج، الكل يتحدث بنفس الحديث، والكل له نفس الشعارات، كل واحد يستنسخ من الآخر البرامج الانتخابية، فالناس لا ترى فارقا، كلهم يتكلمون بنفس الكلام والكثير منهم ينفذ شيئا آخر.

فرز المناهج، ومنطق الدولة واللا الدولة، وقوى الدولة و قوى اللا دولة، قمنا بنشر مقال حاولنا أن نشير فيه إلى هذا الفرز، أثار الكثير من ردود الأفعال العنيفة من بعض الأطراف، لأنهم شعروا أنه إذا كان هناك فرز فهذا مقتلهم.

في الواقع اليوم لدينا قوى تستقوي بالدولة، وأنا لا أتحدث عن مبادئ فقط، لأن الوضع السياسي لا يكتفي بالمبادئ، أتحدث عن مصالح، هناك قوى اليوم ليس لديها فصيل مسلح، إذا كانت الدولة قوية تتمكن من تحقيق النجاح والنمو والتوسع في الانتخابات، وإذا كانت الدولة ضعيفة ليس لديها فرصة أن تحافظ على وجودها وتنمي وجودها في المجتمع، و هناك قوى بالعكس، حينما تقوى الدولة تحد من تأثيرهم.

يجب أن يكون هناك تصنيف بين قوة الدولة واللا دولة على أساس مصالح هذه القوى، فمن الذي مصلحته في دولة قوية؟ ومن الذي مصلحته في دولة ضعيفة؟ وهذا هو الحد الفاصل.

مشروعان وطنيان

وأيضًا لا يمكن أن نبقى في هذا التشظي، وهذا التعدد الكبير تحت ذريعة الديمقراطية، فالصراع والتنافس الكبير هو جزء من المشكلة ما لم يوجد جناحان للديمقراطية، موالاة ومعارضة، و مشروع وطني طولي، وهذا ما أردنا القيام به بـ (الإصلاح) و(البناء)، ثم التفت القوى التي كانت متضررة من هذا المسار وأجهضت المشروع كما تعرفون بتقارب (الفتح) و(سائرون) على حساب المشروعين الوطنيين الطوليين.

لو نجح تحالف يضم قوى وطنية من الشمال إلى الجنوب، ويقابله آخر يضم قوى وطنية من الشمال إلى الجنوب، يتبارون، وكل له برنامج، والناس تختار، ومن يتم اختياره ويأخذ الأغلبية النيابية هو من يشكل الحكومة ويتحمل كامل المسؤولية، والجهة الثانية تذهب إلى المعارضة، تُعرّف الأخطاء، وتضغط، والناس تقيّم وترى من الذي يأتي بالخدمة والنجاح، وقد أشار أحدكم إلى أن القوى الحاضرة بالسلطة هي المعطلة؛ لأن كل حزب يخشى نجاح الحزب المنافس له بالانتخابات، عندما نقوم بعمل هذه الثنائية سيصبح كل حزب مصلحته في نجاحه ونجاح الحزب الآخر لأنه حليف له، وحينما يفشل هذا التحالف ستختار الناس التحالف الآخر في الانتخابات القادمة.

المصلحة السياسية ستصبح في النجاح، الآن المصلحة ليست في النجاح، نحتاج إلى هذه الثنائية الطولية، إلى مشروعين، فلا يوجد قلق اليوم من أن تذهب حقوق الشيعة، أو حقوق الكرد، أو غيرهم.

هذان المشروعان وطنيان، كلٌ منهما ضامن لحقوق جميع العراقيين، و لا يمكن أن يكون مشروعا طوليا بدون أن يحمل هوية وطنية أو رؤية وطنية أو برنامجا وطنيا، الكردي و السني والشيعي والتركماني والمسيحي كلهم يجدون حقوقهم مضمونة ومحفوظة في هذا المشروع.

لذلك تصورنا بهذا الشكل، يجب أن يكون فرز بين قوى دولة و اللا دولة، وتأسيس جناحي الموالاة والمعارضة للديمقراطية، وما يتطلبه وما يترتب عليه من وجود مشروع وطني عابر ضامن لمصالح جميع العراقيين

هذا هو المدخل الصحيح الذي يمكن أن يكون، ونحن اليوم في العراق شئنا أم أبينا هناك واقع مفروض علينا من خارجنا، ويترك أثرا كبيرا في مجمل أوضاعنا خارج حساباتنا الداخلية.

حسابات داخلية وخارجية

يوجد صراع أمريكي إيراني محتدم، عندما أذكر أمريكا فأقصد بها أمريكا وحلفاءها في العالم والمنطقة وصلت إلى الذروة والآن تضغط في كل مكان تتصور أن فيه نفوذا إيرانيا، ما حصل في لبنان أن السيد (حسان ذياب)، و هو رجل من الجامعة الأمريكية لكنه جاء وفق معادلة (حزب الله)، ولذلك تتهم هذه الحكومة بأنها إيرانية، فحصل لها ما حصل، واستمر الضغط إلى أن استقالت. حكومة السيد (عادل عبد المهدي)، الرجل إيران دعمت منافسيه في عدة مراحل سابقة، ومصنف على الوضع المدني عمومًا كشخص، ولكن جاء بمعادلة (الفتح وسائرون) فقيل إنها معادلة إيرانية، و أُخذ عنها هذا الانطباع، وبدأ الضغط عليه، وأدى إلى استقالته.

اليوم نحن أمام انتخابات أمريكية، ولا نعرف ماذا سيكون ناتج هذه الانتخابات، هل سيعود (ترمب)؟ وهو مسيطر على الأمور وماسك الخيوط ويريد أن يحل القضية، وبدل أن يضرب إيران أراد أن يضرب الساحات التي تؤثر فيها، والعراق واحدة من أهم هذه الساحات، وهذا ما نراه اليوم، في سوريا مثلًا لم يسمح لإيران لأن تكون لاعبا جديا، لذا دخلت روسيا على الخط، ودخلت تركيا على الخط، والأمريكان بقوا في (التنف) لكي يمنعوا شريان خط المقاومة، وكذلك إسرائيل يوميًا تضرب أماكن في سوريا.

فسوريا تحت الضغط، ولبنان تحت الضغط، واليمن ـ كما رأينا في البداية ـ كانت حربا بها خسائر للسعوديين والإماراتيين وحلفائهم الذين شاركوهم، وتحولت هذه الحالة إلى حرب استنزاف، الآن السعودية لا تقاتل بجنود سعوديين، إنما جهزت جنودا يمنيين تعطيهم الأموال والسلاح وهم يقاتلون، فأصبح يمني يقاتل يمنيا، فهي حرب استنزاف للحوثيين و حلفائهم من الإيرانيين، وثانيًا أوجدت فجوة بين الجنوب والشمال اليمني، وهذا الخلاف بالتالي سوف يضمن للسعودية نصف اليمن سلفًا كولاء سياسي خوفًا على أنفسهم، اليمن اليوم عبء، سوريا عبء، لبنان عبء، ويراد أن يحول العراق إلى عبء على إيران.

الشيء المؤسف عندما يقرأ أحد عقلية الأمريكان والآخرين يرى أنهم لا ينظرون إلى العراق بما هو العراق، كل نظرياتهم و كل الأبحاث التي تُكتب عن العراق من زاوية إيران، وكأننا ولاية إيرانية يضغطون بنا على إيران، فكانت الفكرة أن ندعم شخصية من خارج هذا الإطار و ليست محسوبة على أي معسكر، فيها نوع من الاستقلالية كالأخ (الكاظمي) لإطلاق رسالة بأن العراق يجب أن يُنظر له كعراق، فنحن لسنا ولاية إيرانية،

و إيران دولة صديقة جارة نحترمها و نبني مصالح معها، كيف نقنع أمريكا وحلفاءها أن يتعاملوا مع العراق كدولة مستقلة؟ وطبعًا ما يجري على الأرض والصواريخ التي تطلق على السفارة لا تساعد على ترسيخ هكذا انطباع نحاول أن نقدمه، وعندما يأتي (بايدن) ونظريته بتقسيم العراق حسب ما ينظره (جون بولتن) بإعطاء الاستقلالية للأكراد، ومن منطق الصراع مع إيران مثلما يوجد أكراد في العراق يوجد أكراد في إيران وفي تركيا، فعندما نعطي استقلالية ودولة إلى أكراد العراق هذا يعني أننا نحرك الباقين، وهذا من المصلحة الأمريكية أن تربك الاستقلال الإيراني والتركي وتضغط عليهم من خلال دولة لأكراد العراق، كما فعلت السعودية مع اليمن.

السعودية والكويت اليوم قادتهم في ظرف صحي صعب، في السعودية ما بعد الملك هل ستبقى الأمور هادئة أم ستحصل هناك مشاكل؟ وكذلك الكويت، وهذه الدول مهمة على حدودنا وكذلك السيد (أردوغان) وصل إلى الذروة في السياسة، وبدأ حزب السيد (أردوغان) يفقد في الانتخابات ولايات مهمة كبيرة، اسطنبول وأنقرة، و لكنه ما زال يشعر بوهج، ولا نعرف ماذا ما بعد (أردوغان)، ومن الذي سوف يحصل؟ و هل سيفوز هو في الانتخابات القادمة و يبقى رئيسا؟ وهذه أسئلة جدية تُطرح في المعادلة الداخلية التركية، واتفاقية (لوزان ٢٣) تشمل الموصل وكركوك وكل كردستان وخانقين و بدرة وجصان، أي ثلث العراق.

وضعنا الداخلي، سماحه السيد الأمام السيستاني (دام الله وجوده الشريف) اليوم يدخل في الـ(٩٤) من عمره، عسى الله أن يطيل في عمره الشريف، لكن أن ننظر في يوم ما سبحانه (عز وجل) يقدر تقديره، وإن شاء الله سوف يكون بعد عمر طويل، فماذا بعد السيد؟ و كيف تترتب الأمور؟ ونعلم تأثير سماحته في ضبط الإيقاع، كذلك في الجمهورية الإسلامية، فسماحه السيد الخامنئي يقترب من الثمانين، الله يطيل في عمره، لكن ما هو وضع إيران ما بعد الخامنئي؟ فهذه كلها أشياء يجب أن تُقرأ، المنطقة بأجمعها إلى أين ذاهبة؟ وما هي انعكاس هذه التحولات على الساحة العراقية؟ هذه مسائل يجب أن تلاحظ.

نحن نحتاج إلى هوية ووطنية، وهذه الهوية يجب أن تترسخ، قبل تشرين لم يكن لدينا هوية بالمقدار الذي أصبحت عليه ما بعد تشرين، وهذا يجب أن نعززه، وأن نؤسسه ونجعله مشروعا وسياقات عمل.

منطق السلطة لا الدولة، فكيف نجعل من يريد أن يصل إلى السلطة من مصلحته أن يقوي الدولة لكي يحكم دولة قوية؟ وأنا أعتقد دائمًا يجب أن نضع تصورا لمصالح الناس، أن نبني مشروع القوى السياسية على ضوء مصالح الناس مع وجود القيم الوطنية.

تقاسم السلطة نقطه قوة عند الآخرين؛ لأنه مقنن كجناحين في أغلب الدول، أو حزبين، إذا رأيتم في إسرائيل مثلًا، حينما أصبحوا ثلاثة أحزاب لم يستطع حزبان أن يأتيا بنصف زائد واحد، في هولندا كذلك، في تركيا اضطروا إلى انتخابات ثانية لأنهم لم يستطيعوا أن يحصلوا على نصف زائد واحد، فنحتاج إلى تيارين كبيرين طوليين، كالتيارين الجمهوري والديمقراطي، ونقوم بهذه الثنائية، فتقاسم السلطة سبب المشاكل الكبيرة التي نعيشها.

عزلة الطبقة السياسية

اليوم لا يشعر الشعب أن الطبقة السياسية تمثله، وهذا ما تتحدث عنه المرجعية، بأن القانون غير عادل وغير منصف، ونتمنى أن الوضع الجديد والقانون الجديد والسياقات الجديدة قادرة على أن تشعر المواطن أن مخرجات العملية الانتخابية معبرة عنه، والمنتخب عندما يشعر بأنه ضمن دائرة انتخابية معينة وقريب من ناسه ويجب أن يكون ملتصقا بهم لعلّ هذا النظام يساعد في ردم الفجوة.

القوى السياسية مستعدة للتفاعل مع التغييرات وبناء عقد جديد وبعضها غير مستعد، وكثير منهم مع الأسف يذعن بمشاكل جدية لكن لا يريد أن يفتح هذا الباب، وهؤلاء بإمكانهم أن يعرقلوا ويعطلوا ولكن لا يوقفوا، والتغيير سيكون جارفا، وسنن الحياة سوف تلعب دورها، وأنا أعتقد أن من لا يعتبر من التأريخ سيكون هو عبرة من عبر التأريخ، في (٢٠١٨) هناك قوى سياسية لم يكن أحد يتصور أنها تخرج من الحلقة السياسية أو التنافس السياسي، وأعتقد أن أي انتخابات قادمة في (٢٠٢١) أو في أي وقت آخر ستخرج قوى أخرى هي تظن نفسها الآن مؤثرة وفاعلة.

في (٢٠٠٣) سقط النظام والدولة معا، في الأنظمة الدكتاتورية يصعب التفكيك بين النظام والدولة؛ لأن الدولة بأجمعها تصبح أسيرة لهذا النظام، لكن في النظام الديمقراطي التفكيك يجب أن يكون واضحا، واليوم إذا كان هذا التفكيك غير موجود فهذا معناه يوجد خلل في سلوكنا ويجب تطويرها وعلاجه.

ثورة إدارية

يجب أن نخرج القيادات الإدارية من التنافس السياسي ، في أغلب الدول الديمقراطية الوزير من ضمن القوى السياسية ، ولكن الوكيل له سياق معين ، وطريق معين ، وبالتالي المؤسسة ستكون مستمرة بعملها بوجود أو عدم وجود الوزير ، كم نحتاج من وقت لكي يتكون مجلس الخدمة الاتحادي و يتحول إلى مؤسسة حقيقية ويضع المعايير الصارمة؟ هذا يحتاج إلى وقت إضافي لنصل إلى هذا الأمر ، إن تجربة المستقلين على مستوى قيادة الدولة وزراء و رؤساء وزراء هي ليست تجربة واضحة النجاح ، و أن بعض الوزراء المستقلين سُجل بحقهم ظواهر فساد وسوء إدارة أكثر من السياسيين ؛ لأن السياسي يوجد حزب وراءه ، وإذا لم يُحسن قربة إلى الله سيحسن قربة إلى الحزب لكي يفوز بالانتخابات ويداري سمعتهم ووضعهم ، وبالتالي سيكون هناك عين عليه ، أما الوزير ـ و كما حصل مع الأخ السيد وزير الكهرباء السابق قام بتعيين (٨٩٠٠٠) و هو في حكومة تصريف أعمال ـ فيوجد لدينا أزمة قيادة و أزمة إدارة ، نحتاج ثورة إدارية ، والمسألة ما باتت إصلاحا إداريا ، نحتاج ثورة ، فإن آلياتنا بعيدة كل البعد عن الآليات الحديثة التي تجري ، وبعد أن جاءت كورونا واحدة من فوائدها الأتمتة و الألكترونيات ، كلما ذهبنا باتجاه الأتمتة تقل فرص الفساد .

تقوية الدولة

إذا كانت الدولة قوية القوى والأطراف الأخرى سوف تضعف ، إذا كانت الدولة ضعيفة الأطراف الأخرى سوف تكون قوية ، أنا أعتقد أن مواجهة هذه الأطراف والدخول في صدام معها يعرّض هيبة الدولة إلى مزيد من الاهتزاز ، ويجب أن نذهب باتجاه بناء الدولة الصحيحة وبناء الدولة القوية والناس تلتف حول الدولة ، في كل الظروف التي مرت بالعراق والتجارب من (٢٠٠٣) إلى اليوم عندما اصطدمت الدولة مع اللا دولة الناس وقفت إلى جانب الدولة حتى وإن كان أداء الدولة ومؤسساتها فيه أخطاء

أهمية الاستشراف

الاستشراف هبة ، هي لا تمنح إلا لقليل من الناس ، ومن لم لا يملك الاستشراف بالمستقبل لا يستطيع أن يتهيأ ، خصوصًا أننا لا نملك مراكز بحثية كما في دول أخرى التي عادة تساعد في استشراف الأمور قبل وقوعها ، فتبقى القراءة الشخصية والقراءة

السياسية لهذا الحزب أو ذاك التيار، لكن الدولة يجب أن تستشرف وتضع خططا طويلة الأمد، فمن حق العراق أن يكون له خطة متفق عليها إلى سنة (٢٠٣٠) ويجند كل الإمكانات، وعندما يأتي الوزير يجد أمامه خطوات عليه أن يتبعها.

التدرّج

إعادة التوازن مهم، لكن إعادة التأسيس أهم، فإعادة التأسيس صعب ولكن تطوير التأسيس ممكن، فإعادة التأسيس يحتاج إلى معادلات جديدة، وهذه معادلات من الصعب أن توجد، ويجب أن نكون واقعيين ونتحدث عن إعادة توازنات وترتيب البيت الداخلي وإيجاد عقد اجتماعي جديد فيه تطوير للواقع، فمثلا عندما نفعّل النظام شبه الرئاسي، وليس الرئاسي فهي خطوه تمنع من الدكتاتورية، و هي مرحلة انتقالية لكن حينما يكون فيها شخص منتخب من الشعب و يمتلك القرار فإن أي إجراءات من هذا النوع تعطي إلى الدولة زخما وتدفعنا خطوة، تقدمنا عشر سنوات، كما قامت بها فرنسا وتحولت من النظام البرلماني إلى النظام شبه الرئاسي، ثم إلى النظام الرئاسي، نحتاج إلى حالة التدرج

سلتنا الغذائية

أنا أخبرت رئيس الوزراء أن الراتب والموظف خط أحمر، ولكن في نفس الوقت المحاصيل الزراعية خط أحمر أيضًا؛ لأن هؤلاء خمسة ملايين إنسان يعملون في توفير المحاصيل الزراعية واستصلاح الأراضي، فهم يوفرون فرص العمل، وعندما لا يأخذون أموالهم لا يزرعون في السنة القادمة، وسيتحولون إلى عبء بحاجة إلى تعيين، والمنطق الذي يقول ندفع الراتب من الاقتراض هو نفس المنطق الذي يقول ندفع مستحقات المحاصيل الزراعية من الاقتراض، وبالتالي سنحافظ على الاكتفاء الذاتي الذي حقق القفزة في السنتين الأخيرتين.

اليوم ستة عشر مليون دونم تزرع في العراق، وهذا شيء غير مسبوق، ويجب الحفاظ عليه، وهذا يمثل نصف الأراضي الصالحة للزراعة، وهي ما جعلتنا نصل إلى الاكتفاء بالحنطة، وفي محاصيل أخرى اقتربنا من الاكتفاء، فإذا قمنا بزراعة كل الأراضي فهذا يعني أن العراق يصبح بلدا يوفر سلة غذائية إلى كثير من دول المنطقة أيضًا، وبالتالي نتحول من بلد يصدر النفط إلى بلد يصدر المواد الغذائية، وكذلك المقاولون الذين

يعملون في مشاريع والحكومة متبنية لهذه المشاريع، إذا لم تقم بإكمال المشاريع الحكومية سيصبح هناك اندثار.

هذان القطاعان يجب اعتبارهما خطا أحمر كالرواتب، إذا تحرك هذان القطاعان ستخفف أزمة الرواتب، وخصوصًا إذا تفعل قانون الضمان الاجتماعي للقطاع الخاص.

شكرًا لكم جميعًا، وأشكر صبركم وسعة صدركم، وأعتذر إذا كانت الصراحة في بعض النقاط مزعجة لبعض حضراتكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المؤتمر السنوي الثاني عشر
لمناهضة العنف ضد المرأة [٣٨٠]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

- فخامة رئيس الجمهورية المحترم..
- دولة رئيس مجلس الوزراء المحترم..
- سيادة رئيس مجلس النواب المحترم..
- أصحاب المعالي والسيادة والسعادة..

السيدات والسادة الكرام.. السلام عليكم ورحمة الله بركاته... أرحب بكم أجمل ترحيب في المؤتمر الثاني عشر لمناهضة العنف ضد المرأة.

إنه الأول من صفر، اليوم الإسلامي لمناهضة العنف ضد المرأة، الذي دعا إليه عزيز العراق (رضوان الله عليه)، وأقره مجلس الوزراء العراقي موافقاً لذكرى دخول ذرية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ سبايا إلى الشام من بعد مسيرة طويلة من العنف والتنكيل بالنساء والأطفال بعد حادثة كربلاء.

في الأول من صفر نستذكر السيدة الحوراء زينب (سلام الله عليها)، تلك المرأة العظيمة التي حوّلت القيود إلى رمز للحرية، وحولت الأسرَ والسبي إلى منبر للدفاع عن

٣٨٠. كلمة السيد عمار الحكيم في المؤتمر السنوي الثاني عشر لمناهضة العنف ضد المرأة، بحضور الرئاسات الثلاث وشخصيات دبلوماسية وحكومية ومنظمات المجتمع المدني ونخب وكفاءات نسوية في مكتبه الخاص ببغداد في الأول من صفر الموافق ١٩/ ٩/ ٢٠٢٠

الحقوق، متجاوزةً المأساةَ والانتهاكاتِ التي تعرضت لها بالرغم من قدسيتها ومكانتها (سلام الله عليها) . . .

في هذا اليوم من العام الحادي والستين للهجرة تجلّى العنف الذي تعرضت له النساء والحرائر من بنات رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بأشد صوره، حيث مشقة الطريق والتعذيب والترويع ومشاهدة رؤوس أهل البيت عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ على الرماح في جريمة أقل ما توصف بأنها بشعةٌ ومنافيةٌ لأي منطق وسلوكٍ إنساني، جريمةٌ يعجز عن إخفاء معالمها أو تبريرها المنحازون مهما تطرفوا.

العنف المركّب

إن الوقوف عند تعنيف حرائر رسول الله يمثل مدخلاً مهماً لتسليط الضوء على واقع المرأة في مجتمعاتنا، فإن كان هذا هو حال بنات رسول الله فما حال باقي النساء؟ وإذا كان هذا هو المعلن من التعنيف فما هو المسكوت عنه؟

تعاني المرأة في مجتمعاتنا عنفاً مركباً، تارةً من بعض العادات والموروث والأعراف الاجتماعية، وتارةً من الرجل حين يسيءُ فهمَ مكانتها وأدوارها، مما أنتجَ تراجعاً في ثقة المرأة بنفسها وثقة نظيراتها بها، وأسهم في تنامي هذه المعاناة اعتبارُ ذلك أمراً طبيعياً، وأورثت كثرةُ الحروب والمآسي التي مرت على المرأة العراقية معاناةً مضاعفةً في سنوات التنشئة الأولى، وهي السنوات الأهم في تشكيل الشخصية الإنسانية.

ومن هذه الحقيقة المؤلمة التي عاشتها المرأةُ العراقيةُ اضطربت أحوالُ المجتمع وتراجعت، فالمرأةُ نصف المجتمع، وفي حضنها يتربى النصف الآخر، فهي الأم والأخت والبنت والزوجة، ولا مناص عن اعتبار إنصافِها وتحريرها من قيود الجهل والتخلف شرطاً لإصلاح أوضاع المجتمع ومأساته.

مراجعة واعتزاز

السادة والسيدات المحترمون . .

في المؤتمر الثاني عشر لمناهضة العنف ضد المرأة لا بد من مراجعة ما تحقق على مدار السنوات الماضية، فالأكيد أنَّ هناك الكثير من الإنجاز لكنه مازالَ بعيداً عن طموحاتنا، ويمكننا اليومَ أن نتحدثَ باعتزاز عن تجاربَ نسائيةٍ واعدةٍ ورائدةٍ في إثبات أهليّة المرأة وقدرتها على إدارة علاقةٍ تكامليةٍ مع الرجل، في إطار التمايز لا التمييز

بينهما، فكل امرأة تتبوأ موقعاً إداريا عليها أولاً أن تدرك أن مسؤوليتها هي مضاعفة النجاح، ثم فتحُ البابِ أمامَ أخواتها في التصدي والتمكين.

إنَّ ثقة المرأة بنفسها وقناعتها بإمكاناتها وقدرتها على التطور والابتكار لا تنحصر فقط بكون المرأة عاملة خارج اطار المنزل، فقدرة المرأة على تربية جيل صالح متعلم وواعٍ ومدرك، من أهم مهام المرأة، ولكن كيف لذلك أن يكون وهي مُعنّفةٌ ومكسورةٌ بعيونِ أبنائها وبناتها؟

إنَّ إنصافَ المرأةِ واحترامها ثابتٌ إنساني وإسلامي، فالمرأةُ في الموروث الإنساني الذي تنشدُ له المجتمعات فاعلةٌ وعاملة، مقتدرةٌ ومؤثرة، وكذلك هي في الثابت الإسلامي، فهي السكينة التي يعبر عنها القرآن بقوله تعالى عندما يتحدث عن مؤسسة الزواج ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾[٣٨١] وجعلها آيةً من آياتهِ (جلَّ وعلا)، وكذلك ما يردُ في أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حينما يقول «رفقاً بالقوارير» وقوله «ما أكرمهُنَّ إلا كريمٌ وما أهانهُنَّ إلا لئيم» ومثلها العشرات من الأحاديث عن أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والسلف الصالح.

انطلاق عجلة التمكين

لقد كنا وسنبقى مدافعين عن تمكين المرأة والتعبير عن مظلوميتها ومتابعة شؤونها بما نمتلك من أدوار ومساحات على المستويات التشريعية والتنفيذية والتأثير في الرأي العام. ويمكننا القولُ بأن عجلةَ تمكين المرأة والثقةَ بها قد انطلقت، وإنما يأتي حديثنا اليوم عن المحطات التي نحتاجها لتكريس دورها، وعن سرعة الوصول إلى الغاية الأسمى المتمثلة بأخذها لمكانتها الاجتماعيةَ والسياسيةَ بعزَّة واحترام، وممارستها أدوارها الكبيرة من دون تعنيف أو امتهان.

إسكات صوت الناشطات

مؤسف جداً ما تعرضت له الناشطات، ومؤسف جداً حين يحتكم البعض إلى السلاح لإسكات صوت مخالف بعد سبعةَ عشر عاماً من الحرية والديمقراطية، فالتعرض للنساء أمر غريب عن ثقافتنا العربية والإسلامية باستثناء مرحلة الدكتاتورية والإرهاب التكفيري بأنواعه، ولا يحقُّ للرجلِ عرفاً ومروءةً أن يتعرضَ للمرأةِ تحتَ أي ظرفٍ كان، فما

٣٨١. سورة الروم: الآية٢١

بالكم مع ناشطة مدنيَّة لا تملكُ إلّا صوتها ومنصاتها الشخصية للتعبير عن رؤيتها وقناعتها بالأمور أيا كانت؟!.

نقاط مهمة

نستثمر هذه الفرصة لطرح النقاط التي نراها مهمة للوصول إلى الغاية التي نتطلعُ إليها بحرص واهتمام، وعلى النحَو الآتي:

أولاً: ندعو إلى تفعيل (المجلس الأعلى للمرأة) الذي تمت الموافقةُ على إنشائه في العام الماضي بعضوية ممثلي الوزارات والهيئات المعنيَّة، كما ندعو إلى تحصينه من الروتين والبيروقراطية والسياقات المعرقِلَة والمعطِّلة، وأن يكون أعضاؤه ممن لهم تجربةٌ في الشؤون ذات الصلة بهموم المرأة وتطلعاتها ومن المختصين وحمَلَةِ مشروع مناهضة الظواهر السلبية ضدها.

ثانياً: نجددُ دعوتنا لإنشاء (بنك النساء)، لتقديم القروض لصاحبات المشاريع القادرات على إثبات قدراتهن وأهليتهن، لتفعيل المساهمات الخلّاقة لا لصرف الإقراض وإيجاد معاملات مالية جديدة ترهق كاهل الدولة والمرأة معا.

ثالثاً: إقامة المهرجانات التي تعُنى بالصناعات اليدوية والفلكلورية وتبني المؤسسات الحكومية لمخرجاتها على أن يعود ريعها للنساء المتعففات من الأرامل والمطلقات وفاقدات المعيل وأمثالهن.

رابعاً: متابعة نشاط النساء المتصديات للمسؤولية في دوائر الدولة عبر دائرة التمكين في الأمانة العامة لمجلس الوزراء وغيرها من الجهات المختصة، ومعرفة المعوقات والصعوبات التي تواجه المرأة والعمل على تذليلها.

خامساً: دراسة التقارير الخاصة بقضايا المرأة من قبل المؤسسات الحكومية ومنظمات المجتمع المدني تمهيدا لإقرارها من الجهات المختصة، وندعو لجنة المرأة النيابية إلى العمل على اتخاذ الإجراءات اللازمة لمعالجة الإشكاليات الواردة فيها، وتحويل المكتمل منها إلى قوانين ناجزة ترفع من مكانة المرأة وتنصفها.

سادساً: نشدد على حماية الناشطات المدنيات والنساء الفاعلات في ساحات التظاهر والتصدي لكل أشكال التعدي عليهن من العنف اللفظي أو اتهامهن باقتحام مساحات خارج اختصاصهن.

سابعاً: تشجيع المرأة على الترشح وانتزاع مقعد مجلس النواب بجدارة واستحقاق، وكلنا أمل بأن نجدهنَّ ممثلات للشعب العراقي في مجلس النواب القادم، وقد حققن تمثيلهن عبر إقناع الشارع ببرامجهن لا بالاعتماد على الكوتا فحسب.

ثامناً: متابعة ملف المخطوفات من الإيزيديات والتركمانيات والشبكيات، فهذه الجريمة الشنيعة لا تسقُطُ بالتقادم، ويجب أن توضعَ في قائمة الأولويات، فالمختطفاتُ من أخواتنا وبناتنا يمثلنَ قضيةَ ضمير، وجرحاً غائراً في الوجدان الوطني، مما يحتِّمُ الشروعَ بإعدادِ برامجِ الاندماج والعودةِ للناجيات منهن، والاستعانة بتجارب الدول التي عاشت واقعاً مماثلاً.

وفي هذه الوقفة ندعو الأُدباءَ والكتابَ والفنانينَ إلى توثيق ما جرى على النساء من جرائم داعش لتكونَ رسالةَ اعتبارٍ للأجيال القادمةِ وشاهداً حياً على مرحلةٍ مظلمةٍ، ومصدَاقاً لانعدام الرجولةِ والمروءةِ لدى الإرهابيين.

تاسعاً: على مؤسساتِ الدولةِ المختصةِ أن تُطلِعَ الجميعَ على نتائج البحث عن المختطفات، وأن تطرُقَ كَل الأبوابَ من أجلِ إطلاقِ سراحهنَ، ويجبُ أن تتحولَ هذه الجرائمُ إلى قضيةِ رأيٍ عام دولية، فهناك قضَايا إنسانية يضج بها العالم وهي لا تُقرَنُ بجريمةِ اختطاف بناتنا وأخواتنا وما لحقهنَّ على أيدي عصابات داعش.

عاشراً: ندعو العناوينَ والفعالياتِ الاجتماعيةِ والعشائريةِ ومنظماتِ المجتمع المدني ووسائلَ الإعلام إلى إدامةِ زَخمِ الحملاتِ والبرامجِ الداعمة للمرأةِ من جهةٍ، والكاشفة عن السلوكياتِ الاجتماعية الخاطئة التي تستهدفهَا، من جهةٍ اخرى.

أحدَ عشر: نعربُ عن دعمنا لأيِ قانونٍ أو خطوةٍ من شأنها أن تحُدَّ من ظاهرة العنف الأُسَري، بشرطِ أن لا يُخاطَرَ بتماسُكِ الأسرة وحفظها، على قاعدة (لا إفراطَ ولا تفريط).

اثنا عشر: ندعو وزارةَ الداخلية إلى تفعيل دور الشرطة المجتمعية وإبعادها عن السياقاتِ التقليدية الجامدة، فقد تم تأسيس هذا التشكيل لغرض التصدي للظواهرِ المجتمعيةِ ومحاولة حلِّها قبل وصولها إلى مراكز الشرطة أو محاكم القضاء.

الربح للجميع والتنازل للعراق

وفي الشأنِ السياسي لن نبتعدَ عن قضايا المرأة، فالعَقدُ الاجتماعي الذي دعونا لهُ يمثلُ معالجةً جديةً لمعاناةِ المرأةِ وقضاياها، كما هو مع الرجل، خروجاً من الأزماتِ

السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تنعكس على المجتمع ونواته الأولى المتمثلة بالأسرة وأركانها الاساسية كالأم أو الأخت أو البنت أو الزوجة، فمنذ أن طرحنا موضوعةَ العقد الاجتماعي وضرورةَ إعادة صياغته، أخَذَ هذا الطرحُ بعداً تنظيرياً وتحليلياً متزايداً، سلباً وإيجاباً. ونحنُ نرى بأن جميع ما كُتب أو قيل عن فكرة مراجعة وتطوير (العقد الاجتماعي) يمثلُ إثراءً له وتعضيداً، فالهامشُ المشتركُ بين كل من تعرَّضَ للعقد الاجتماعي هو أننا أمامَ أزمة تحتاجُ إلى تفكيك ومعالجة حقيقيين، ولم تعُد الإجراءات الترقيعية التي اُعتُمدَت في المرحلة السابقة قادرةً على إدارة الأزمة أو ترحيلها إلى وقت آخر، كما نطالبُ الحكومةَ بتحويل ما جاءَ في بيان المرجعية العليا مؤخراً ورؤيتها في حلول الأزمة العراقية إلى برامجَ عملٍ محكومةٍ بالأولويات والتوقيتات المسؤولة.

السيدات والسادة الكرام..

إن الحاجَةَ تتأكّدُ الى عقدٍ سياسي يعيدُ إنتاجَ النظام السياسي في العراق وينهي حالةَ الجمود والإحباط، عقدٍ يتناسبُ معَ تطلعات الجيل الجديد الواعي والمثقف والخالي من عُقَد الماضي وترسباته، عقدٍ يعيدُ تنظيمَ العلاقة بين الدولة والجمهور بكل مكوناته واتجاهاته، وبين الحكومة الاتحادية والحكومات المحليَّة والإقليم، على قاعدة (الربحُ للجميع والتنازلُ للعراق)، بحاجةٍ إلى عقدٍ ينهلُ من إيجابيات المرحلة السابقة ويكفلُ الحريات وينظِّمُها.

ونقولُ بصراحةٍ كاملة: إن العقدَ الاجتماعيَ الذي دعونا إليه ليسَ مجردَ خيارٍ بين مجموعة خيارات، بل هو ضرورةٌ حتميةٌ لمواكبة ظروف المرحلة، وبهذه المناسبة: أتمنى على المعترضين أو المتخوفين من العقد الاجتماعي، بوصفه حاجةً عراقيةً ملحَّة، أن يميزوا بينَ (ضرورة العقد الاجتماعي) وبين(الموقف من مطلقيه) فالغايةُ هي إخراجُ العراق من أزماته التي تضرَّر ويتضرَّرُ منها الجميع.

من الوصف إلى الفرز

في الدولة واللادولة، يقتربُ الانتقالُ من مرحلة الوصف إلى مرحلة الفرز، فالدولةُ التي نريدها ويريدها معنا شعبُنا هي الدولة القويةُ والعزيزةُ والمقتدرةُ التي يكونُ السلاحُ فيها حكراً على الدولة، وتُدارُ بعقليَّة الانفتاح لا الانفعالات والتأزيم، هي الدولة التي يكون المواطن فيها حراً مصاناً، لا في الشعاراتِ التي تُطلَقُ فحسب وإنما في حساب

المصلحة الوطنية، فكلُ من يقوى بضعف الدولة هو مصداق لقوى اللادولة وكل من يقوى بقوتها هو تعبير حي عن منهجها وهو يندرج ضمن قوى الدولة.

إعادة الثقة بين الجمهور والصندوق

في ملفِّ الانتخاباتِ القادمة نجددُ دعمنا لإجراءِ الانتخابات المبكرةِ وندعو مجلسَ النواب إلى حسم الخطواتِ المتعلقةِ بتنفيذها كحسم الدوائرِ الانتخابية في قانون الانتخابات أو تَعديل الفقرة الثالثة من قانون المحكمةَ الاتحادَية الخاصة بتعويض الأعضاء، أو بالتصويتِ على مشروع القانون الجديد للمحكمة الاتحادية.

نريدُ انتخاباتٍ نزيهةً وعادلةً يُكفَلُ فيها التنافسُ الشريف بعيداً عن سطوةِ السلاح والمالِ السياسيِ وحملات التسقيط والتشهير والتخوين، وبقانونٍ عادلٍ ومنصفٍ ومؤهَلٍ لإنتاج نوابٍ يحظونَ بتمثيلٍ حقيقيٍ وواقعيٍ للشعب، قانونٍ يأخذُ بعينِ الاعتبارِ تحدياتِ المرحلة ومتغيراتها، قانونٍ يقفُ طويلاً عند رؤيةِ المرجعية العليا في أنَّ ما قبل تشرين يختلفُ عمّا بعدَه، في حديثها عن تظاهرات العام الماضي، ويمنح الفرصَ المتكافئةَ للجميع في التنافس الانتخابي.

لذا أدعو القوى السياسيةَ إلى استثمار تشريع القانون لردم الهوّةِ بينها وبينَ الجمهور، ولتشجيع الناس على الانتخاب، فالربحُ والمصلحةُ العَامةُ يكمنان بإعادةِ الثقةِ بينَ الجمهورِ وَصندوق الاقتراع، لا بتقدمِ هذه الكتلةِ أو تراجع تلك على حسابِ ثقة المواطنين بالعَملية الانتخابية.

حكومة مشاركة لا حكومة شركاء

آن الأوانُ لوضع حدٍّ للمحاصصة التوافقية التي يشخصها الجميع من دونِ أن يحركوا ساكنا تجاهها، فالدخولُ في قوائمَ منفصلةٍ وبرامجَ انتخابيةٍ متشابهةٍ سيشتِّت صوتَ الناخب وسيعيدنا مرةً أخرى إلى حكومةِ مشاركةٍ لا حكومةِ شركاء، يتقاسمونَ المغنمَ والمغرمَ، وسيعودُ بنا الى حكومةِ الاتفاقِ على المناصب والشقاق عند وقوع المصائب، فالحلُّ الذي نراهُ لهذه الأزمة يكمنُ بتشكيلِ الثنائيةِ الوطنيةِ القادرةِ على تحقيق معادلةِ الموالاة والمعارضة، عبرَ قائمتينِ وطنيتينِ كبيرتينِ ممثلتينِ من الشمالِ إلى الجنوب، ولذلك انطلقنا من تحالف (عراقيون) كنواةٍ لهذه الثنائية.

هيبة الدولة مسؤولية تضامنية

لقد خطت الحكومة العراقية خطوات جيدة في التصدي إلى الجريمة المنظَّمة والسلاح المنفلت وملاحقة عصابات المخدرات ومستهدفي الناشطين، لكنَّ هذه المهام لا يمكنُ للحكومة أن تنهضَ بها وحدها، فالأمن واستعادة هيبة الدولة وقوة القانون مسؤوليةُ الجميع، وهي واجب الحكومة ومجلس النواب والقوى السياسية والعشائر ومنظمات المجتمع المدني ووسائل الإعلام، كل بحسب مسؤوليته وتكليفِه الوطني، فكلُ جهةٍ من موقعها يمكنُ أن تمثلَ منصةً لاستعادة هيبة الدولة.

وإنَّ أمنَ الناشطين والإعلاميينَ يمثلُ أمنَ المواطنِ، وكلما تزعزعَ أمنُ صنّاع الرأي وكُتّابُهُ ضعُفَ أمنُ المواطن وتهددت مصالحُه.

و نؤكدُ دعمنا للحكومة في فتح ملفات الفساد والضرب بيد من حديدٍ على من تلاعبَ وأثرى على حساب المال العَام، والمضيَ من دون انتقائيةٍ أو تجيير.

أُحيّي المرجعيةَ الدينيةَ الرشيدة، والمرأة العراقية الصابرة، وأُحيّي شهداءَ العراقِ بكل عناوينهم. .

وسلام على الشهيدين الصدرين وشهيد المحراب وعزيز العراق،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لقاء السيد عمار الحكيم مع الناجيات من (داعش)[٣٨٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

أخواتي وبناتي الكريمات، إخوتي الأفاضل، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب، أشكر لكم تجشمكم لعناء السفر والحضور إلى بغداد، وحضوركم في المؤتمر اليوم منذ سنين وكما تعرفون نحاول أن نوظف هذا الحدث وهذا المؤتمر نستضيف به الرؤساء الثلاثة، ومنظمات المجتمع المدني والسلك الدبلوماسي في العراق، كل ذلك من أجل أن نسلط الضوء على مظلوميتكم، على قضيتكم، ونساعد في تحويل هذه المظلومية إلى عنصر رفد، وتقدم، وتطور في أوضاعكم وحل مشاكلكم.

مظلومية كبيرة

مظلوميتكن لا تُقاس بها مظلومية، اليوم في العالم هناك دول ترفع قضايا ومظلوميات، وتكسب فيها رأيا عاما دوليا، وتعاطفا دوليا، وهي لا تُمثل عشر معشار ما مر عليكم، كل واحدة من حضراتكم مرت بظروف يكفي أن يتخيلها الإنسان حتى يقشعر جسمه لبناتنا لأخواتنا، أنتنّ عرضنا، أنتنّ أهلنا، أن يمر بكنّ ما مر هذا شيء يؤلم كل إنسان شريف، كل إنسان وطني، لعل البعض منكن فقد أبًا، فقد أخًا، ولكن نحن كلنا إخوتكن، نحن كلنا حريصون عليكن، ولا زالت قلوبنا مجروحة لبناتنا وأخواتنا اللواتي ما زلن لم يتم إطلاق سراحهن، ولم يُفرج عنهن، وما زلن تحت وطأة هذه

٣٨٢. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم خلال لقائه مع الناجيات من (داعش) بتأريخ ١٩/ ٩/ ٢٠٢٠.

المجموعات الإرهابية، أكثر شيء يؤلم الإنسان أن يرى شخصا من أبناء وطنه، يتم بيعه في سوق النخاسة، أو يُعتدى عليه، أو يُساء له.

تعاطف كبير

ما يُسجل لأخواتنا وبناتنا الإيزديات أنهن تحلين بالشجاعة، وبالجرأة، ظرفهن الاجتماعي بشكل من الأشكال كان يسمح لهن أن يخرجن ويتحدثن ويبين حجم المعاناة، والألم الذي ألمّ بهن، صارت قضيتهن قضية دولية عالمية، أصبحت قضيتهن معروفة في العالم كله، ويوجد تعاطف عراقي، وحتى عالمي معهن، أصبح الكل يعرف هذه المظلومية الكبيرة.

بناتنا وأخواتنا التركمانيات، الشبكيات، ما حصلن على هذه الفرصة، أولًا: لأن عددا كبيرا منهن تم حرقهن، وقتلهن، فعدد الناجيات أقل بكثير، وأيضًا كما ذكرت الآن بناتي في حديثهن: عندما أُطلق سراحهن، أو هربن، أو أفرج عنهن لأي سبب من الأسباب وأصبحن ناجيات، وجئن وهنّ متحملات كل هذه المعاناة، ما لقين الترحاب، والاحتضان من عوائلهن، من عشائرهن، وكانت النظرة نظرة أخرى، فصارت المظلومية مرتين، يعني هذه البنت أُخذت من بيت أهلها، وكانت عزيزة في بيت أهلها، وذهبت إلى السبي، وإلى ما تعرضت له، والآن عندما تعود ترى البيت ما بات يستقبلها، ويتقبلها، ولعل البعض يضغط، ويتابع، ويعرضهن لأخطار من نوع آخر، فحقيقة المصيبة كبيرة، المصيبة عظيمة.

صفحة جديدة

ما المطلوب أن نفعله في هكذا لحظة؟ نبقى نستذكر التاريخ المؤلم؟ ونعيش الألم؟ ونعيش المرارة؟ ونعيش المحنة؟ ونبقى مشدودين لذلك الماضي؟ أو نتحلى بالشجاعة والجرأة ونتوكل على الله (سبحانه وتعالى)، ونفتح صفحة جديدة، ونحتسب ذلك عند الله، حاشى لله أن يضيع لأحد كل هذه المظلومية، وكل هذه المعاناة.

اليوم بالفعل نحن يجب أن نحول هذه القضية إلى رافد للبناء، للتقدم، لمعالجة هذه الأمور، لوضع محددات تمنع من تكرار مثل هذه الجرائم بحق أخواتكن الأخريات الآن أو لاحقًا، ويبقى هذا للتأريخ، التأريخ يستذكر هذه المظلومية ليعتبر، لكن يجب أن تنتشلن أنفسكن من حالة الألم، وحالة الضياع إلى غير ذلك مهما كان الألم عميقا.

ما حصل اليوم وفي سنوات سابقة هو أن الأضواء كلها تسلطت، وسمعتم اليوم السيد رئيس الوزراء هو قال: (أنا شخصيًا أتبنى ومجلس الوزراء يتبنى كل توصيات المؤتمر) ويعتبرها تعليمات للحكومة، وطلب تشكيل لجان لمتابعة هذه الأمور، الكثير من المطالب التي تفضلتن بها هي كانت مدرجة ضمن مطالب وتوصيات المؤتمر، سنتابعها، مؤسسة الحكيم والفريق المختص في المؤسسة يدون هذه المطالب، ونذهب لمتابعة هذه الأمور مع السيد رئيس الوزراء، مع مجلس الوزراء، مع بقية المسؤولين، وما يخص التشريع أيضًا سنتابع هذا الأمر مع مجلس النواب، نحن لدينا كتلة كبيرة، ولدينا علاقات مهمة مع كتل نيابية أخرى، نتعاون على أن نمرر هذا القانون، وبالفعل بالإمكان تطويره من قانون الناجيات الإيزديات، لأنه كتب في يوم لم يكن ناجيات من غير الإيزديات، اليوم يمكن أن نطوره نقول: (الناجيات العراقيات) وندخل كل الناجيات من بناتنا، وحرائرنا، ندخلهن في هذا القانون ليحظين بنفس الامتيازات والدعم المطلوب.

نحن معكن

نعتقد أن هناك أمورًا عاجلة فورية، لا تتحمل التأخير، لا تتحمل إجراءات الحكومة، اليوم بنتي تقول: (عزيزي هذا الولد يحتاج إلى علاج) هذا لا يتحمل أن ينتظر إلى أن يمر القانون، مثل هكذا حالات سريعة تحتاج إلى معالجة فورية، أتمنى أن تُحصى من قبل المؤسسة، ما هي؟ ما هي الإمكانية للمعالجة؟ هل هناك فرصة في داخل البلد؟ يكون هو الأفضل، تعرفون الآن تتحدثون عن صعوبة في توفير الوثائق والمستمسكات الرسمية، وتوفير جواز للسفر، وثم يخرج الإنسان خارجًا من يديره؟ من يرعاه؟ من يهتم به؟ اللغة تختلف، فما يمكن معالجته في داخل العراق في أي مكان في العراق مستشفى حكومي، أهلي، حتى نبدأ بإجراءات من هذا النوع على وجه السرعة، إذا كان بعض بناتي ليس لديهن معيل، فنحتاج أن نرى الحلول العملية والمنطقية التي يُمكن أن نساعد بها بناتنا، وأخواتنا، اعتبرنني أخاكن الذي يدافع عن قضاياكن، ويتبنى همومكن، وسفيرا لكن في بغداد، لنا كلمة مسموعة مع المسؤولين، مع رؤساء الحكومة، مع البرلمان، ونوظف هذه الوجاهة، وهذا التأثير لصالحكن، لكن من المفروض أن تكون هناك لجنة صغيرة تعرف ما هي المطالب، والمشاكل بالتحديد، ما هي القضايا الفورية العاجلة؟ القضايا التي يمكن أن تحل مشكلة كل الناجيات من تشريعات، أو تسهيلات، أو دعم معين، ونمضي بقوة لحل هذه المشاكل بالتدريج، نعم أوضاع العراق صعبة، اليوم جائحة كورونا من ناحية، الوضع الاقتصادي الحرج والصعب من ناحية أخرى،

موازنة العراق فيها عجز كبير، ولكن حقكن على بلدكن بعد التضحية الجسيمة والعظيمة التي قدّمتنها أن تُعطين الأولوية وتُقدّمن على أشياء كثيرة أخرى وهي مهمة، لكن أنتنّ أهم، الإنسان هو أهم شيء، وحجم التضحية التي قدّمتنها كبيرة، فيتطلب إيلاء الأولوية لظروفكن، لحل مشاكلكن، ونحن في خدمتكن.

أهم شيء القوة، والإيجابية، والتفاؤل، والأمل بلطف الله (سبحانه وتعالى)، والسعي لغلق الماضي، الإنسان يبقى يفكر فيما جرى عليه من الماضي لا يغير شيئا من الحقيقة سوى أن يتحول إلى إنسان مشلول، وإنسان منكسر، وإنسان ضعيف، والحياة علمتنا أن الضعيف يُكسر، وهناك في المجتمع من لا يرحم الناس، و لذلك كنّ قوّيات، ونحن معكن إن شاء الله، وحاولن أن تتناسين تلك الحقبة السوداء الماضية، الله ابتلاكن بها، الله يعينكن، نسأل الله أن يدفع عنكن كل بلاء، ومكروه، ونحن معكن إن شاء الله بكل ما في وسعنا، بكل ما في إمكانيتنا، بكل ما في تأثيرنا، نبذل جهدا لحل هذه المشاكل واحدة تلو الأخرى بإذن الله تعالى.

السيّد عمّار الحكيم يستقبل مجموعة من أطباء الحكمة المشاركين في برنامج (طبيب الحكمة)[٣٨٣]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

الإخوة الأكارم، الأخوات الفاضلات بداية أرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم هذه الوقفة والجهد الكبير.

عمل كبير

تفاجأت، عشرة آلاف اتصال بالشهر رقم كبير جدًا، ونحن لا نتحدث عن اتصالات عادية، وإنما اتصالات مع مرضى قد تستغرق وقتا معينا، إضافة إلى التزاماتكم، واهتماماتكم العامة في مجال اختصاصكم وعملكم، هذا شيء كبير، واللسان عاجز عن الشكر، والتقدير، والاعتزاز بهذا الجهد الكبير، وشكر الله أعظم، هنيئًا لنا بجهودكم المخلصة، وبوقفتكم، دائمًا هذه الأزمات، هذه المحن، بحسب ما يعبر القرآن الكريم فيها خير، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٣٨٤] ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾[٣٨٥] الخير الكثير، الخير في الأزمات، في المحن، لأنها تكشف مكامن الأمور، من ناحية تعرّي الأخطاء، إذا كنا في العراق مع الظروف الصعبة التي مر بها بلدنا نتحدث عن منظومة

٣٨٣. كلمة سماحة السيّد عمّار الحكيم خلال استقباله مجموعة من أطباء الحكمة المشاركين في برنامج (طبيب الحكمة) في مكتبه الخاص ببغداد بتأريخ ١٧/ ١٠/ ٢٠٢٠

٣٨٤. سورة البقرة: الآية٢١٦

٣٨٥. سورة النساء: الآية١٩

صحية متهرئة فيها مشاكل كبيرة، نظم بالية، سياقات عمل غير سليمة، العديد من الملاحظات الأساسية التي تفضلتم بها كانت مورد نقاش مع السيد وزير الصحة في زيارته قبل بضعة أيام، وتحدثنا طويلاً في هذا الموضوع.

ولكن لا تنحصر في العراق، عندما رأينا الانهيارات في أمريكا، في إيطاليا، في إسبانيا، في فرنسا، وهكذا في العديد من الدول التي كان يُظن أن تكون دولا متطورة، متقدمة في إمكانياتها، ومشهودا لها في بنائها المؤسسي، ومع ذلك حصل انهيار كبير وأصبحت المنظومة عاجزة عن الإيفاء بمعالجة هذه الأزمة وتحدياتها، نحن في العراق بالفعل أيضًا واجهنا مشاكل لكن قد تكون أقل، لا أعرف اليوم الأرقام التي تُذكر إذا كانت هي معبرة عن الواقع أو لا، طبعًا لا يُقال: (إن مسحاتنا قليلة فإذن توجد إصابات أكثر)، أكيد الإصابات عشرة أضعاف أو يزيد، المشكلة نفسها في كل الدول، في دول مهمة كبريطانيا وغيرها، حتى الشخص عندما تظهر عليه ظواهر الإصابة ويتصل بالجهات المختصة يستمعون له ويعطونه مجموعة تعليمات، ويقولون له: (اجلس في بيتك) والمسحة لا تؤخذ إلا لمن يُصاب بشيء متطور، بإصابة متطورة، أو حرجة، في ذلك الوقت يُنقل إلى المستشفى، فكل الدول لا تُجري مسحات للجميع، يُمكن الولايات المتحدة تميزت عن غيرها في أنها اعتمدت نظرية المسحات الواسعة، ولذلك ارتفع الرقم بشكل كبير. حتى الأخ الوزير كان يقول: (نحن الآن وصلنا إلى خمس عشرة ألف مسحة، وعندنا خطة طموحة وسريعة للوصول إلى خمسين ألفا) قلت له: ما الفائدة في زيادة هذه المسحات؟ فقط تحصل حالة من الرعب ولا يترتب أثر كبير على هذه القضية، لو نركز على الحالات الحرجة ونهتم بمعالجتها أفضل من الذهاب إلى اكتشاف الإصابة لأناس هم لا يعلمون بإصابتهم، ومعنوياتهم قوية ويعبرونها، أو لم يأخذوا القضية على محمل الجد، ونحن مجتمعنا مجتمع شبابي، المجتمعات الهرمة مع ذلك اعتمدت مناعة القطيع وغيرها من النظريات، حتى الحظر الذي فعلناه هو حظر أمني أكثر من كونه اجتماعيا، قطّعنا المناطق لكن داخل المنطقة الواحدة يجلسون عشرون أو أكثر من الشباب يقضون الوقت ويتسامرون، بالتالي الحظر لم يكن قادرا على منع الإصابة وانتشار الإصابة، بل وفر بيئة؛ لأن هؤلاء الناس عاطلون عن العمل، ولفت انتباهي في تقرير رأيته عن إيران يقول: (٢٪) من الإصابات هي إصابات في مساحات العمل في دوائر ومكان العمل، النسبة الأكبر من الإصابات هي في الاختلاط الاجتماعي، المناطقية، أعراس، هذه هي النسبة الأكبر، لا أعرف إذا كان في بلدنا أيضًا توجد دراسات من هذا النوع وتؤكد هذا المعنى، فنحن نمضي في

الاتجاه الخطأ، شللنا البلد، فالشريحة الفقيرة التي تعتاش على أجر يومي وما شابه، أو القطاع الخاص الذي يعتمد على البيع والشراء كله توقف شهرا أو شهرين، إلى متى؟ ولحين اكتشاف العلاج، وبعده اللقاح، المسألة قد تستغرق أشهرا طويلة، ولا يمكن أن تكون الحياة مشلولة، كثير من دول العالم بدأت الآن تعاود نشاطها، رحلات الطيران، حركة الدوائر، ومصالح الناس إلى غير ذلك، نحن بحاجة إلى جعل مثل هذه الثقافة في المجتمع، ونفتح الأبواب والناس تعيش حياتها، وبالتالي الإصابة تحصل، كما تشيرون الخطر ليس في الإصابة بقدر ما هو في البعد النفسي في القضية، إذا كان الإنسان مصابا وعرف كيف يتعامل مع المرض، وكانت معنوياته عالية فالنسبة الأكبر بإمكانه أن يعبر من دون مشكلة.

بالحقيقة نحن حتى في فلسفة التعاطي مع هذه الأزمة لدينا مشكلة.

قلت للأخ (الكاظمي) بعد أن تسلم المسؤولية: غير معقول أن الجائحة بهذا الحجم والخلية أو اجتماعات اللجنة العليا لا يترأسها شخص رئيس الوزراء أو شخص يمثله، فهذه لا تعطي الجدية المطلوبة، وزير الصحة موقعه ليس موقع قيمومية وآمرية على وزير الداخلية، وزير الصناعة، وزير التجارة، وهكذا بقية الوزراء ذات الصلة بهذا الموضوع، يُفترض أن تتصدى جنابك شخصيًا لهذى الدور، والرجل التزم بترؤس اجتماعات اللجنة العليا بشخصه حتى يستنفر كل إمكانات الحكومة لصالح السيطرة على هذه الجائحة.

بلغة الأرقام، نحن إلى الآن (١٥٪) فقط من الأسرّة المخصصة لمعالجة المرضى مشغولة، (٨٥٪) منها شاغرة، ومع ذلك حصلت مثل هكذا انهيارات، وجزء منها هو بالحقيقة هذه المحسوبيات والمنسوبيات والمحاباة، كان يكلمني الوزير، يقول: (في محافظة واحدة عندنا اثنا عشر ألف عنصر يستلم راتبا من الصحة أو يزيد، ولكن عندما نأتي للمستشفيات نجد أن الذين يعملون ويقفون بشكل حقيقي لا يتجاوزون الألف، ومركز طبي في مكان يحتاج إلى عشرة أشخاص يكون على ملاكه مائتين)، فيوجد بطالة مقنعة، وحضور وهمي، ونسب هائلة من المنتسبين لوزارة الصحة، كان من الممكن أن يكونوا في خدمة الناس في هذه الجائحة، عمليا هم خارج إطار العمل، فالأرقام على الورق شيء، وفي ميدان العمل شيء آخر، نعم نرى مثل هذه الحالات السلبية والتنصل عن المسؤولية بأعداد كبيرة، لكن يقابلها أيضًا وقفات أسطورية من حضراتكم وأمثالكم من المخلصين الذي تفانوا، ووقفوا، وضحوا، وقسم منهم أصيبوا

ولم يغادروا المستشفى ويبقون يعالجون، وهذا كله ما نفتخر به حقيقةً ونعتز بجهدكم، بعملكم، بأدائكم، ولكن أيضًا هناك عبرة كبيرة في مثل هذا الأمر.

عِبرة كبيرة

نقل لي أحدهم عن تقرير صحي وطبي يقول: (كل كورونا إذا نجمعها في العالم كله مجموعها لا يصبح حتى ٥ غرام) لا أعرف إذا كانت هذه المعلومة دقيقة، فـ (٥ غرام) شلّت العالم كله، وتريليونات الدولارات خسائر، ودول بأكملها الآن متوقفة، أمم بأكملها انهارت، وحصل ما حصل، الإنسان ضعيف مع كل هذه التكنولوجيا، والتطور، والإمكانيات الهائلة، وصعدنا للقمر، مع ذلك شيء بسيط يأتي من الله (سبحانه وتعالى) يُربك كل حياة الناس، وكل هذه المنظومات المتطورة، فيها عبرة كبيرة، العودة إلى الله (سبحانه وتعالى)، الالتزام بالقيم، والمُثل، والمبادئ، وبناء مجتمعاتنا على أسس صحيحة هي التي تدفع البلاء.

طبعًا المؤشرات العامة للبلاد اليوم هي ليست أكثر من الدول الأخرى، بل أحيانًا أقل من الحد العالمي أو الأرقام والنسب العالمية المألوفة، ولعل جزءًا منها هو بالفعل شبابية مجتمعنا، عندنا نسبة كبيرة من الشباب فقدرتهم على مواجهة هذه الجائحة كبير.

على كل حال شكري وتقديري واعتزازي بجهدكم، ووقفتكم، واهتمامكم، والاقتراح الذي تفضلتم به (أن يكون هناك خلية صحية) تجلسون مع بعض، تتدارسون، تتناقشون، وتخرجون بتوصيات وبملاحظات معينة، ودراسات معينة، وبدل أن يرسلها الشخص الواحد منكم ولا يُسمع له، نستخدم تأثيرنا المتواضع في الدولة، وفي مؤسساتها ونضعها تحت تصرف رئيس الوزراء، وكذلك السيد وزير الصحة الذي أبدى اهتماما في أن يسمع ويستفيد ويتفاعل مع الموضوعات التي تُطرح، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن نخرج من هذه الجائحة والأزمة الصحية، والعراق أقوى، ومنظوماتنا أقوى، وفهمنا للتعاطي مع هذه الأزمات يكون أعمق، وإجراءاتنا أكثر رصانة بإذن الله تعالى.

أنا أكرر شكري وتقديري واعتزازي بحضراتكم جميعًا، وبجهدكم الذي بذلتموه، وسوف تستمرون في بذله إن شاء الله في قادم الأيام لحين ما تُزف بشارة انتهاء هذه الجائحة، ليس من العراق وحده وإنما من البشرية جمعاء، والناس تعود إلى مزاولة حياتها الطبيعية، إن شاء الله بعيدًا عن مثل هذه الهواجس والقلق الذي أصاب الناس والذعر نتيجة الجائحة.

مؤتمر الوحدة الإسلامية في إيران [٣٨٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين.

أصحاب السيادة والسماحة والفضيلة، الإخوة والأخوات المشاركين من مختلف البلدان الإسلامية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بداية أبارك لكم المولد النبوي الشريف وولادة حفيده الإمام جعفر بن محمد الصادق (صلوات الله وسلامه عليه)، كما أتقدم بالشكر الجزيل للجمهورية الإسلامية الإيرانية، قيادة، وحكومة، وشعبا، و لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية والأمين العام سماحة الدكتور الشيخ (شهرياري) على جهوده الكبيرة في توفير هذه الفرصة للقاء علماء المسلمين من مختلف مناطق العالم الإسلامي عبر منصات التواصل الاجتماعي، وهذه فرصة لاستذكار الإمام الخميني الراحل (قدس سره) والذي كان رائدًا للوحدة الإسلامية في عصرنا الحاضر، تبناها قولًا وفعلًا، وحملها هما وقضية في مشروعه الإصلاحي الكبير، وكلمة شكر للإمام الخامنئي (دام ظله)على رعايته لهذا المسار وتعميق مباني الوحدة الإسلامية ومساراتها العامة.

قوتنا وعزتنا في وحدتنا

الوحدة والتماسك وتوحيد الرؤى هي أساس النجاح في أي مشروع ولأي جماعة، ووحدة المسلمين هي المدخل الحقيقي لنجاحهم وتماسكهم وقوتهم وعزتهم، فلا

٣٨٦. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في مؤتمر الوحدة الإسلامية المقام في عاصمة الجمهورية الاسلامية الإيرانية طهران بتأريخ ٢٧/ ١٠/ ٢٠٢٠

قوة بلا وحدة. يقول الله (عز وجل) في كتابه الكريم ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٣٨٧]. تحتوي الآية الكريمة على مضامين عدة تمثل مدخلا مهما لفهم حاجة الأمة للوحدة الإسلامية، فالوحدة الإسلامية قدر الأمة ووقود محركها للعودة إلى سابق عهدها، فنحن أمة تمتلك كل المقومات التي تجعلها من الأمم المنتجة والخلاقة إن لم تكن على رأس الأمم والشعوب في أرضها، ففي أرضها الخيرات، وبين جنباتها العقول والكفاءات، وتمتاز بالشبابية ووفرة الطاقات، وكل هذه الميزات تحتاج إلى رؤى وبرامج وخطط وأولويات، وإلى لجان تتابع المخرجات لتحول المؤتمرات من صورة وحدوية إلى واقع متجسد.

إن الدول الإسلامية مدعوة لجعل الوحدة الإسلامية منهجها في حركتها السياسية، كما أنها مدعوة إلى تغليب المصلحة الإسلامية على المصالح الأخرى دون المساس بالهويات الفرعية، فالأمة عنوان جامع للعناوين الخاصة لا مستهدف لها، كما أن المنظمات والهيئات الإسلامية معنية بالبحث عن المشتركات وتفعيلها، وفي ذات الوقت البحث عن نقاط الخلاف ومعالجتها بالحكمة والموعظة الحسنة. وفي هذه المناسبة أدعو منظمة التعاون الإسلامي والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية وسائر المنظمات المعنية في عالمنا الإسلامي إلى أخذ دورها في إصلاح ذات البين بين الدول الإسلامية، وجمع موقفها على كلمة سواء تمهيدًا للنهوض بالمشاريع الأساسية كالوحدة الإسلامية بين الدول المسلمة والسوق المشتركة، وتبادل الأدوار وتكاملها.

فلسطين على رأس أولوياتنا

تبقى القضية الفلسطينية على رأس الأولويات الإسلامية، فهذه القضية لا تسقط بالتقادم، ولا يمكن القفز على حقوق الشعب الفلسطيني في العيش الكريم ضمن دولة عاصمتها القدس الشريف.

إن استثمار الأحداث لتمرير التطبيع مع الكيان الصهيوني، وخلق واقع جديد في فلسطين على حساب مصلحة الشعب الفلسطيني استثمار في غير محله، والشواهد كثيرة عبر كل المحاولات التي سعت إلى حلول بعيدة عن رغبة الشعب الفلسطيني وحقه في الأرض والعودة إليها.

٣٨٧. سورة الحجرات: الآية١٣

هذا هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

وفي هذه المناسبة وتزامنا مع المؤتمر الدولي للوحدة الإسلامية، نجدد استنكارنا وشجبنا للرسوم المسيئة لشخص النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. إن التجاوز على مقدسات المسلمين لا يمكن أن يكون وجهة نظر وحرية تعبير، فالحرية تنتهي عندما تتقاطع مع مصالح الآخرين، فما بالكم إذا تقاطعت مع مقدسات وكينونات لما يقرب من ملياري مسلم على وجه الأرض.

إن أزمة الرسوم المسيئة بقدر ما هي أزمة تحتاج إلى موقف إسلامي موحد، فهي فرصة للتعريف بالدين الإسلامي الحنيف وإزالة الشوائب التي لحقت به جراء ممارسات التكفير والإرهاب والتطرف من بعض الأدعياء. وإضافة إلى مسيرات الإدانة والاستنكار لنركز أيضا على الدعوة للحوار المباشر مع الأمم والشعوب الأخرى، ولنعضد شعار (إلا رسول الله) بشعار (هذا هو رسول الله)، ولنعرّف الناس بقيم التسامح والاعتدال والوسطية التي يحث عليها الإسلام ويعتبرها المضمون الأهم في رسالته الإنسانية.

كلا لتجويع الشعوب

تعاني عدد من الشعوب المسلمة من الحصار والجوع ونقص الغذاء والدواء، وأيا ما كان الخلاف السياسي فلا يمكن أن يصل إلى تهديد مصير الناس وقوت يومهم، ونجدد إدانتنا للحصار الاقتصادي الجائر المفروض على الشعب الإيراني الذي بات يستهدف الغذاء والدواء لهذا الشعب الصابر، وندعو إلى حل المشاكل عبر الحوار.

الاحتكام إلى قوة المنطق

إن صراعات الدول الإسلامية لن تأتي إلاّ بمزيد من الفشل، وستكون مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[٣٨٨]. فالحوار والحكمة وتغليب مصلحة الشعوب في تقرير واقعها، ومعالجة العديد من الأزمات في العالم الإسلامي كأزمة اليمن وسوريا وليبيا بات ضرورة ملحة لا مناص عنها، وقد جرب الجميع سياسة الاحتكام إلى منطق القوة، وعلى الجميع أن يحتكم إلى قوة المنطق.

٣٨٨. سورة الأنفال: الآية٤٦

مرتكزات مهمة

كما أستثمر المناسبة والأيام المباركة، أسبوع الوحدة الإسلامية، لتجديد الدعوة للداخل العراقي بضرورة الذهاب إلى عقد اجتماعي جديد يحدد نقاط القوة ويضاعف لها ويعمل على تشخيص نقاط الخلل ويعالجها، كما نجدد موقفنا الداعم للانتخابات المبكرة بعيدًا عن كل المؤثرات السلبية، ونشدد على هيبة الدولة وحصر السلاح بيدها ومكافحة الفساد والابتعاد عن لغة التسقيط والاستهداف السياسي، كما نشدد على ضرورة حفظ السيادة الوطنية العراقية والتصدي لكل محاولات النيل منها أو القفز عليها.

كما نود أن نبين للجميع أن العراقيين قادرون على التصدي لكل المحاولات التي تسعى لاستهداف بلدهم، وتجربتهم مع الإرهاب كانت خير دليل على أن وحدة الشعوب قادرة على التصدي لكل أشكال الاستهداف.

معالجات شاملة

إن الإرهاب انهزم في العراق عسكريا، لكنه مازال يمثل تهديدا أمنيا وفكريا، وهذا ما يستوجب من جميع الفعاليات الإسلامية ومنها هذا المؤتمر صياغة خارطة طريق واضحة للقضاء على التطرف عبر فرز مناهجه والتحذير منه، وإعادة تفسير النصوص التي يتخذها الإرهاب في تبرير أفعاله. في حين نجدد رؤيتنا لأهمية المعالجة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وإعادة النازحين واعتبار الاستقرار السياسي منطلقا للإيجابيات الأخرى.

حمى الله الإسلام والمسلمين، ومكّنهم من وحدتهم وتغليب مصالحهم وحمل رسالة نبيهم إلى باقي شعوب الأرض وأممها. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

احتفالية المولد النبوي الشريف[٣٨٩]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

أصحاب الدولة والسيادة والسماحة والفضيلة...

السيدات والسادة الحضور... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[٣٩٠]. سيدي يا رسول الله، أشهد أنك قد بَلغت رسالات ربّك ونصحت لأمتك وجاهدت في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأديتَ الذي عليك من الحق، وأنك قد رأفتَ بالمؤمنين وغلظت على الكافرين وعبدتَ الله مخلصاً حتى أتاك اليقين، فبلَغَ الله بك أشرَف محلّ المكرّمين.

رسالة منصفة

اليوم نحتفل بذكرى ولادة نبي أضاء الله به الظلمات، وأنقذ به الأمة من الجهل والظلم والفقر والاستغلال، والصراع البشري الذي يسيطر فيه القوي على الضعيف، ومن عمق هذه الأزمات والانحدار الجارف كان العالم يترقب ولادة تنهض بالإنسان من كبوته، وتعيد إليه إنسانيته، وتقضي على الظلم والطغيان، وتدعم مشروع السماء على الأرض في خلق أمة إنسانية تعتز بكرامتها وترتفع بأخلاقياتها وتغادر مستنقعات الذل والضياع والجهل والوثنية. استطاع نبينا نبي الرحمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أن ينشئ أمة من العدم، وأن يحول شبه جزيرة العرب القاحلة إلى مصدر إشعاع فكري وحضاري امتد

٣٨٩. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في احتفالية المولد النبوي الشريف التي اقامها ديوان الوقف السني بتأريخ ٢٨/ ١٠/ ٢٠٢٠.

٣٩٠. سورة الأنبياء: الآية١٠٧

إلى أصقاع الأرض، وتفاعل مع كل الأجناس البشرية وعلى مختلف قومياتها وأعراقها وخلفياتها الدينية والثقافية والاجتماعية. تميز نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بمنهجه وأسلوبه عمن سبقوه، بل حتى عن الأساليب المعتمدة في عالمنا اليوم، حيث الوضوح في الرؤية، والصراحة في الطرح، والأمانة في العهد، والعدل في الحكم، والمشاركة في القرار، ومزج بين القيادة والإدارة من ناحية، والأخلاق والقيم الدينية من ناحية أخرى، وتوجهما بالرحمة والسلام والتعايش وتكافؤ الفرص، فتحقق بنهجه ما لم يتحقق على مر العصور. كما تميز نبينا المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالإخلاص والتقوى والتضرع إلى الله والتوفيق والرحمة والاستقامة والاستغفار والإنابة والذكر والتهجد والحكمة ومخافة الله والشجاعة، ومع كل ميزة هناك شاهد قرآني وإشارة من رب العالمين (جلّ وعلا). حقق نبينا العدالة الاجتماعية، فكان الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي وتكافؤ الفرص من مبادئه الرسالية المهمة، حيث يتشارك الأغنياء والفقراء وتتحقق العدالة بعيداً عن التمييز الطبقي، فأنصفت رسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الفقراء والأغنياء على حدّ سواء. . رفع شعار «القوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف عندي قوي حتى آخذ الحق له»، وبهذا المسار انطلق الحبيب المصطفى في مشروع بناء دولة العدل والتسامح، فكانت ولادته ولادة أمة وانبثاق حضارة وميلاداً جديداً للإنسانية، وتحقيق دولة العدل الإلهي.

على قادة هذه الأمة وسياسييها ومثقفيها ومفكريها وباحثيها، عليهم جميعا أن يراجعوا بقوة أنفسهم وخطواتهم وقراراتهم، لتأتي متوافقة مع الإرث الحضاري الذي خلّفه الحبيب المصطفى، هذا الإرث الذي عمل به أسلافنا فنالوا احترام العالم وتفاعلوا معه واستطاعوا أن يكونوا محركاً أساسياً للحضارة الإنسانية.

إنجازات مهمة

في أسبوع المحبة والمودة، أسبوع المولد النبوي الشريف نستثمر أجواء الوحدة والالتقاء عند عنوان يجمع ولا يفرق لنتحدث عن واقعنا العراقي سياسيا واجتماعيا، حيث تمكن مجلس النواب الموقر من حسم الجزء الأكبر من قانون الانتخابات باعتماد الدوائر المتعددة وفوز الأعلى فالأعلى، وندعو في هذه المناسبة مجلس النواب إلى استكمال القانون والتصويت على فقرة الدوائر في محافظة كركوك، فالنجاح في هذه المحافظة يمثل مؤشرا إيجابيا للنجاح في عموم العراق.

توفير الأمن الانتخابي

إن الانتخابات المبكرة ـ كما عبّرت المرجعية العليا ـ وسيلة وليست غاية لتحقيق الإصلاح الذي خرج لأجله حراك تشرين ودعمه غالبية الشعب العراقي وأيدته المرجعية العليا، فالانتخابات التي يطالب بها شعبنا ونطالب بها انتخابات حرة ونزيهة يكفل فيها التنافس الشريف والركون إلى قناعات الناخب، فالعراقي اليوم أكثر وعيا وإدراكا لطبيعة الممارسة الانتخابية وتأثيرها السلبي أو الإيجابي على مصيره ومستقبلهمن هذه الأهمية التي تصاحب العملية الانتخابية.

ندعو الحكومة الموقرة إلى النظر بجدية في موضوعة الأمن الانتخابي وخلق مناخ صحي لممارسة انتخابية يُراد لها أن تحمل راية الإصلاح والتغيير وتحقيق التطلعات، ونقول للمؤسسات الأمنية والحكومية: إن الأمن الانتخابي ملف مختلف تماما عن عناوين الأمن الأخرى، كمواجهة الإرهاب وباقي التحديات. ففي الأمن الانتخابي نحتاج إلى قطع الطريق أمام المال السياسي وحملات التسقيط والتشهير والتخوين، ونحتاج إلى حصر السلاح بيد الدولة وإبعاده عن الممارسة الانتخابية، كما نحتاج من المواطن الوعي الانتخابي في التصويت للأكفأ والأقدر على إدارة البلاد، كما أدعو النخب والكفاءات والفعاليات الاجتماعية إلى حث الناس على المشاركة الواسعة وتبيان طبيعة الفرص التي يوفرها القانون الانتخابي الجديد.

حسم التحديات

ولكي تكسب العملية الانتخابية بعدها القانوني والشرعي، يستلزم ذلك حسم التحدي الثاني المتمثل بقانون المحكمة الاتحادية، وحسم موضوع استبدال الأعضاء وتعديل المادة المتعلقة بذلك في القانون الحالي، ونحث الجهات المعنية إلى الاتفاق على صيغة تمكّن مجلس النواب من تعديل القانون.

كما نجدد دعوتنا للعقد الاجتماعي الجديد، ونعرب عن سعادتنا بالجدل الدائر حول هذا الموضوع وشبه الاتفاق على أننا أمام مرحلة الانسداد السياسي التي تحتاج إلى تقليل الضغط والتفكير خارج الصندوق. إن النجاح في صياغة العقد الاجتماعي يعني نجاحا للمستقبل والأجيال القادمة، فكما أن العقد الحالي أسس للدولة العراقية الحديثة وأزال مخاوف المكونات نعتقد أن العقد الجديد سيمثل ضمانة للدولة العراقية وخلاصها من التدافع السياسي الذي عطّل مسارات التنمية في البلاد.

استعادة شبابنا

في ذكرى حراك تشرين لا يسعنا إلى أن نبدي إعجابنا بالوعي السياسي الذي أوجده الحراك في صفوف الشباب، فبتشرين تمكنا من استعادة شبابنا الذي بات متفاعلا مع نظامه السياسي وإصلاحه وتطويره، كما نكبر في المحتجين قرار إنهاء الاعتصامات والتهيئة إلى المرحلة القادمة، فلا نريد لهذه المجموعة السلمية الواعية إلا مزيدا من التأثير والحضور في المشهد السياسي، فلقد كنا وما زلنا مؤمنين بمنهج الشباب وحضورهم وأدوارهم في المرحلة القادمة.

على التشرينيين أن يعوا أنهم حققوا ما عجزت عنه الأقلام والأصوات الانتخابية، حققوا تغييرا ما كان له أن يكون لولا تضحياتهم ودماء شهدائهم رغم كل محاولات البعض لجر الاحتجاجات إلى الصدامات أو التوظيف السياسي، وندعو الحراك وجمهوره إلى الاستعداد للانتخابات المبكرة والوفاء لدماء الشهداء بالحضور في أروقة قرار النظام السياسي وتطويره من الداخل.

استخفاف بالمشاعر

كما إننا نستثمر هذه المناسبة لندين بأشد العبارات الرسوم المسيئة لنبينا الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فلا يمكن أن يكون التنكيل والاستخفاف بشخص النبي الأكرم وجهة نظر أو حرية تعبير. إنه استخفاف بمشاعر ما يقرب من ملياري مسلم حول العالم، حيث استهداف الشخصية القيمية الأهم في الإسلام. لا يحق لأي جهة تعميم السلبيات من التطرف والإرهاب على أنها منهج إسلامي، ودليل ذلك أن دول الإسلام كانت الأكثر تضررا من الإرهاب، والأكثر والأجدر والأنجع في مواجهته. كما أن مواجهة الإرهاب تبدأ من المعالجة الفكرية، وأحد أهم هذه المعالجات هو الابتعاد عن سياسة التعميم والكيل بمكيالين كي لا يستغلها الإرهاب للتعبير عن نفسه من جديد. إن الفعاليات الدينية والاجتماعية مدعوة لإدامة الحوار مع المختلف ومن التبست عليه الأمور، ولا بد من تنسيق عال وموحد بين المرجعيات الدينية والحوزات العلمية والمجامع الفقهية والأزهر الشريف للخروج برؤية موحدة تعيد بناء المفاهيم، وتحدد مسار العلاقات بما يخدم كل شعوب العالم.

صلى الله عليك يا حبيبي يا رسول الله، وأدام الله أيامنا بك أعيادا ومسرات، وكل عام والأمة الإسلامية والمسلمون جميعاً، والشعب العراقي على وجه الخصوص بألف خير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

عشائر ووجهاء محافظة بابل[٣٩١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، و صلى الله على سيدنا محمد، و آله الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

الشيوخ الأكارم، الإخوة الأعزاء، نرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تجشمكم لعناء السفر والحضور لهذا اللقاء، وكلي سعادة وفخر واعتزاز بهذه الفرصة للقاء حضراتكم.

نعتذر لكم عن الانقطاع عن التواصل ـ الذي كان بشكل دوري ومنتظم ـ بسبب جائحة كورونا، وبعد أن تمت السيطرة النسبية على المسارات العامة للمرض، أصبحت فرصة للتواصل والتلاقي من جديد لكي ندرس المشاكل العامة و التحديات التي تواجهها محافظات العراق و محافظة بابل بشكل خاص، هذه المحافظة الزاخرة بتأريخ حضارتها وبعطاء العشائر الأصيلة، وكلنا فخر واعتزاز بهذه العلاقة المترابطة والتي تمتد بجذور وتأريخ طويل منذ أيام الإمام السيد (محسن الحكيم) و إلى يومنا الحاضر.

لا شكَّ أن محافظة بابل بالرغم من موقعها الإستراتيجي لقربها من العاصمة و بعدها الحضاري، لم يتوفر لها القدر الممكن من التخصيصات المتاحة في ظل الأزمة المالية التي يواجهها البلد، إلا أنها تستطيع أن تعالج جزءًا من مشاكلها إن شاء الله. وبصبركم ومتابعتكم وبهمتكم وبدعمكم لأبنائكم في هذه المحافظة نتمكن أن ننطلق انطلاقة تليق بهذه المحافظة وتراثها وتأريخها.

٣٩١. كلمة السيد عمار الحكيم خلال لقاء سماحته شيوخ ووجهاء محافظة بابل في مكتبه الخاص ببغداد بتأريخ ١٦/ ١١/ ٢٠٢٠.

تحديات كثيرة

بخصوص الوضع العام في بلادنا أقول ليس خفيًا عليكم جميعا أننا نواجه اليوم العديد من التحديات، كجائحة كورونا، و(داعش) يحاول أن يعيد ترتيب أوراقه والعودة بقوة للإساءة إلى الشعب العراقي وإلى أمن العراقيين في أكثر من محافظة بشكل يكاد يكون يوميًا، هناك حراك، وهناك واقع اقتصادي في العالم كله نتيجة جائحة كورونا، فما تأثيرات هذا الأمر على واقعنا العراقي بشكل خاص؟ وهناك أزمة سياسية خارجية وداخلية، كالصراع الإيراني الأمريكي وانعكاسات هذا الصراع على الوضع في العراق، وهل ما حصل لحكومة السيد (عادل عبد المهدي) تعبير عن الموقف الحاد من الصراع القائم بين إيران وأمريكا ونظرتهم على أن العراق بشكل من الأشكال متأثر بالجمهورية الإسلامية و نتيجة لهذا الصراع نتعرض إلى ضغوط؟.

كما أن هناك أموالًا خارجية دخلت، وهناك بعض السياسيين من ركب موجة أولئك الشباب الوطني ليدفع البلد في اتجاهات معينة، كل هذه تحديات متنوعة وعديدة ومعقدة، ولكن ما هو المأمول في هكذا تحديات؟.

جرعة أمـل

نعتقد أن المتصدين مسؤولون عن أن يقدموا حلولًا بدلاً من التشكي من المشاكل والتحديات والأزمات، لأن التشكي لغة العاجزين، ونحن في العراق لسنا عاجزين، والحمد لله، فإن الله حبانا بقوة الشخصية العراقية، والعقول النيرة، وبالإمكانات الكبيرة، كالموقع الإستراتيجي، فنحن أقوياء بفضل الله، ولكن نحتاج إلى توظيف مواردنا و استخدامها بشكل صحيح، وهذا الذي أشار إليه بعض حضراتكم في مداخلاتكم القيمة إلى أن قوتنا في وحدتنا وتماسكنا، وأن ننظر إلى النصف الممتلئ من الكأس، التوازن الدقيق بين السلبيات والإيجابيّات، فالإيجابيّات موجودة وكثيرة، والسلبيات تحتاج إلى معالجة، فهناك من يصوّر الواقع على أنه واقع مثالي بدون مشاكل، وهناك من يريد أن يصورّ الأمور على أنها بائسة و سلبية، فالتركيز على السلبيات فقط وتضخيمها هو جلد للذات، والعبور بسرعة خاطفة على الإيجابيّات ونسيانها هذا أيضا محاولة للنيل من وضعنا العراقي، فالتوازن مهم، وعلى الإنسان أن يقرأ الأمور كما هي بلا زيادة ولا نقصان، بلا إفراط ولا تفريط، ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٣٩٢]، يجب أن نحصي

٣٩٢. سورة البقرة: الآية١٤٣

الإيجابيّات، ونحصي السلبيات أيضا، وهذا يعطينا زخمًا و قوة، ويعطينا الشعور بالثقة بالله تعالى وبالنفس.

الشعوب والدول ـ بما فيها الدول المحيطة بنا ـ مليئة بالإشكاليّات والأخطاء والسرقات، ولكن شعوبهم معتزة بالجانب الطيب من أداء مسؤوليها، ونحن نحتاج إلى هذا الأمر، وأتمنى من حضراتكم ـ وأنتم علية القوم وعقلاء هذا الشعب والمتصدون بحكمة في دواوينكم العامرة ـ أن ترفعوا من مقدار الإيجابيّات حتى نوازن.

(شهيد المحراب) يتحدث عن الديانات السماوية، كان يقول عن اليهودية التي جاء بها موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيها تأكيد كبير على الدنيا وعمارة الأرض، بينما دين المسيحية لنبينا عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيه انكماش عن الدنيا ورهبنة وعزلة، علمًا أن كليهما دينان سماويان، فكان يقول، لأن نبي الله موسى كان في زمان الفراعنة، يحكمون ويبطشون ويفتكون، حيث كانت الأمم مسحوقة، فأراد الله أن ينتشلهم من هذا الانكسار الذاتي الداخلي فأكد على الدنيا وعمارة الأرض، و نبي الله عيسى جاء في ظل الإمبراطورية البيزنطية الرومانية، وكانت هناك الأموال والثروات والإمكانات والشهوات و انغماس في كثير في الدنيا، فكانت الرسالة المسيحية تدعو إلى الرهبنة، و كان الإسلام دين الوسطية، ودين التوازن، ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾[٣٩٣]، فنحن في واقعنا العراقي نحتاج إلى هذا التوازن، مقدار السلبية والانكسار والإحباط أصبح عاليًا جدًا، نحتاج إلى أن نعطي جرعة إضافية من الأمل والتفاؤل والإيجابيّات، نحتاج أن نراكم رسائل الحياة الإيجابيّة

لذلك أدعو حضراتكم إلى نشر الإيجابيّة، فأنا أذكر في ذروة جائحة كورونا تداول الناس مقطع فيديو لشاب ممرض في الديوانية صوته لطيف، وعندما يعالج المرضى يقرأ لهم بصوته اللطيف، فقمت بالتواصل معه، وشكرته، وأثنيت عليه لدوره الكبير في العلاج النفسي ونشر الإيجابيّة، على كل حال هناك الكثير من العناصر الإيجابيّة نحتاج أن نبرزها ونفتخر بشبابنا وإنجازاتهم وعطائهم وبنخوتهم، فنشر هذه الإيجابيّة يغير من هذه الأجواء السلبية وأجواء الانكسار والإحباط، وهذا ما أرجوه من حضراتكم.

أولويّات الحلول

المشاكل عديدة كما ذكرنا، ولكن من أين نبدأ بالحل؟ فنحن نريد حل المشكلة الأمنية والسياسية والصحية والاقتصادية والاجتماعية و المشكلة الداخلية والخارجية،

٣٩٣. سورة القصص: الآية٧٧

ولا يمكن حل كل هذه المشاكل بيد واحدة، ولا يمكن معالجة جميع هذه المشاكل دفعة واحدة، فمن أين نبدأ؟ وما هي الخطوة الأولى التي تأتي بعدها الخطوات الثانية والثالثة والرابعة حتى تترتب الأمور؟ في فهمي القاصر البداية من الاستقرار السياسي، فعند توفر الاستقرار السياسي في البلد يتوفر الاستقرار الأمني، وعند توفر الاستقرار السياسي والأمني يأتي الازدهار وانتعاش الاقتصاد والرخاء، وعند توفر الرخاء يأتي رضا الناس، ووطنيتهم، وانشدادهم إلى بلدهم، وفرحتهم بمنجزاتهم، وتتحسن النفوس، وتطيب الخواطر، وهكذا تُحل باقي المسائل، فالاستقرار السياسي هو المفتاح، نحن ليس لدينا أزمة موارد، ولكن لدينا أزمة إدارة للموارد، مشكلتنا مشكلة إدارة، نحن نمتلك كل شيء، ولكن لا يُستخدم بالشكل الصحيح فتضيع الموارد نتيجة عدم استخدامها الصحيح وسوء الاستخدام وسوء الإدارة.

الاستقرار السياسي يساعد على حسن الإدارة، ويفكك المشاكل واحدة بعد الأخرى. كيف نحصل على الاستقرار السياسي؟ نحن ذاهبون باتجاه انتخابات مبكرة، وكل مرشح نازل بقائمة، وفي (٢٠١٨) كان هناك (١٩٠) حزبا، والآن (٢٧٠) حزبًا، وإلى الانتخابات يمكن أن تصبح (٣٠٠) حزب، وهذا يعني (٣٠٠) لون، و (٣٠٠) طموح، و (٣٠٠) اسم، وكل حزب يريد وزارة، في حين مجموع الوزارات (٢٢) وزارة، وبعد الانتخابات كل حزب حصل على عدد من المقاعد سيتنافس على تشكيل الحكومة وتقديم رئيس وزراء، وعندها يسعى شركاء الحكومة إلى إسقاط الناجح لكي لا يقال إن فلانًا من الحزب الفلاني نجح، فهذه ليست معادلة نجاح، في كرة القدم المهم كيف تصل الكرة إلى المرمى و ليس المهم من الذي أدخل الكرة إلى المرمى، نحن الآن لا نعمل بعقلية الفريق، وكل شخص يعمل لنفسه، فإذا تمكنا من حل هذه المشكلة وأوجدنا معادلة نجاح سيأتي الاستقرار السياسي، وعند توفر الاستقرار السياسي سيتوجه البلد نحو الازدهار.

الحل الذي نقترحه، وأنا أطرحه على حضراتكم لتدرسوه، إذا وجدتموه صحيحًا فادعموه، وإذا كان غير صحيح فاضربُوه عرض الجدار، فالتمترسات المكوناتية، الشيعة مع بعض، والسُنة مع بعض، والكُرد مع بعض، كما كان في (٢٠٠٥) (الائتلاف العراقي الموحد) يجمع كل الشيعة، و(جبهة التوافق) تجمع كل السُنة، و(التحالف الكردستاني) يجمع كل الكُرد، و عندها تولدت مشاكل داخل كل مكون، فأصبحت هناك مشكلة داخل الساحة الشيعية، ومشكلة داخل الساحة السُنية، ومشكلة داخل الساحة الكُردية، وبدأ هذا التشظي يزيد يومًا بعد آخر، فالحل النموذجي أن نذهب

إلى قائمة انتخابية عابرة للمكونات، فيها الشيعي، والسُني، والكُردي، والتركماني، والمسيحي، قائمة كاملة من الشمال إلى الجنوب، وقوى مهمة من مختلف المكونات يضعون اليد باليد ويكونون قائمة قبل الانتخابات وليس بعدها، عند توفر هذه القائمة الآخرون أيضًا سيجتمعون في قائمة من الشمال إلى الجنوب، وبالتالي يصبح لدينا قائمتان، كل واحدة منها تحتوي على قوى شيعية وسُنية وكُردية ومسيحية وتركمانية، أي فيها العراق كله، وعندها لا يمكن الحديث عن المذهبيات، ولا الشعارات الطائفية والقومية، وسيكون التركيز على برنامج لبناء دولة، وكذلك بالنسبة إلى التحالف الثاني، وعندها يكون هناك تنافس برامج، وبعد الانتخابات يكون أحد هذين التحالفين حاصلًا على (نصف +١)، وعليه سيشكل الحكومة ويتحمل كامل المسؤولية، وسيكون منصب رئيس الجمهورية من هذا التحالف، وكذلك رئيس الوزراء، وكذلك رئيس البرلمان، وكذلك الوزارات، في حين القائمة التي حصلت على (نصف -١) ستتوجه إلى المعارضة، و تمارس دورها بالضغط، والناس تراقب و ترى، وعندها سيكون التنافس للحصول على الأقوى، والبحث عن الناجح؛ لأنهم في مركب واحد، التحالف الذي يحكم والذي بيده كامل المسؤولية ويتحمل الأمور هو يمتلك أغلبية نيابية ويمتلك قرارًا حكوميًا، ثمانون بلدًا في العالم نظامهم برلماني مثل نظامنا، وأمورهم مترتبة؛ لأنهم يمتلكون معادلة نجاح، كأمريكا، هناك حزبان جمهوري وديمقراطي، عندها ستنتهي مشكلة ال (٣٠٠) حزب ويكون هناك حزبان فقط، والناس تستطيع أن تختار فيما بينهم، هذا ينظم الحياة السياسية، ويخلق معادلة نجاح، وهذا سيأتي بالاستقرار السياسي، والاستقرار السياسي يأتي بالاستقرار الأمني والاقتصادي.

في (٢٠١٦) طرحنا هذا المشروع، واستهزأ البعض، و قلنا من الممكن أن يشكل هذا المشروع بعد الانتخابات، وشكلنا (تحالف الإصلاح)، فيه قوى شيعية وسُنية، وعندما وصل الأمر إلى الكُرد تدخلت بعض الأطراف ومارست الضغوطات عليهم، ومضى التحالف بعرب العراق، وبدأت القوى الأخرى بإغراء مكونات (تحالف الإصلاح) بالوزارات إلى أن انتهى (تحالف الإصلاح) ومرت علينا السنوات كما رأيتم، فلو كان هناك (تحالف الإصلاح) و(تحالف البناء) بالشكل السليم لكان وضعنا مختلفًا، فأنا (عمار الحكيم) خادمكم وابنكم تعلمت درسًا في السياسة من هذه القصة، أن تحالف بعد الانتخابات لا ينجح، وعادة القوى التي تريد أن تبني دولة لا يمكن لها أن توزع مواقع، والآخر يكون عليه هذا أسهل، نحن نحتاج تحالفا قبل الانتخابات، فلا يضيع حق الشيعة، ولا يضيع حق السُنة، فكلا التحالفين يضمّان الشيعي والسُني، وبهذا

تُحفظ حقوق جميع المكونات، ولكن يُعطى فرصة لتنظيم الحياة السياسية، فما يحصل الآن فوضى، و يجب أن نضع حدا لهذه القضية، هذا ما نعتقده، فأرجو من حضراتكم أن تدعموا فكرة هذين التحالفين الطوليين.

عند الإعلان عنه سيبدأ التسقيط مدعين أن حقوق الشيعة والسُنة ستضيع، ولكن الطائفة ليست حزبًا، فالطائفة الواحدة تحتوي على مشارب، والطوائف كلها محترمة ومقدرة، لكننا نريد مشروعًا سياسيًا وفريقًا سياسيًا يمسك الدولة ولا يتحجج بالضغوط الخارجية والداخلية.

انتخابات مصيرية

هذه الانتخابات التي نحن مقبلون عليها ليست كأي انتخابات مرت بنا منذ (٢٠٠٥)، فهي انتخابات مصيرية ومهمة، وبعد كل هذه المتغيرات، و بعد كل هذا الحراك، والناس أيضًا عرفت المتصدين و السياسيين، فهذه فرصة أن نرجع و نرتب بيتنا الداخلي وننهي هذه الفوضى القائمة اليوم.

بعض القوى التي لديها جمهور معين الآن تعمل بإستراتيجية تسقيط الانتخابات واتهامها بالتزوير وتثبيط الناس، لكي لا تخرج الناس للانتخابات وجمهورهم يخرج وينتخب ويحصلون على المقاعد، كلما شارك الناس أكثر قل حجم هؤلاء، البعض لا يريد الناس لكي يحصل على مقاعد أكثر، أنا أعتقد أن الذي يخدم مصالح الشعب هو مشاركة الناس بقوة رجالًا ونساء وكبارًا وصغارًا، وهذه أيضًا من مسؤولية حضراتكم، فالإحماء الانتخابي لا يأتي بليلة، ويحتاج إلى عمل، وحملات التثبيط مستمرة في الإعلام، وهذا سيولد قناعات لدى الناس، فالمواطن إذا لم يطمئن بوجود شيء جديد سوف يحصل في هذه الانتخابات لا يشارك، وإذا لم يشارك سوف يساعد على رجوع بعض القوى إلى نفس مكانهم، فسعة المشاركة مسألة مهمة جدًا، وهذه لا تكون إلا إذا كان علية القوم لديهم وضوح، ويتكلمون، و يوضحون في دواوينهم ووظائفهم، ويجب أن تكون هبّة كبيرة، ويخرج الناس للمشاركة في صناديق الاقتراع ومشاكلنا الكبيرة في التزوير، البطاقة البايومترية هي التي تمنع التزوير، والعذر في عدم اعتمادها بشكل كامل حتى هذه اللحظة هو أن نسبة كبيرة من الناس لم تستلم البطاقة البايومترية، فإذا قلنا لا يوجد انتخابات إلا بالبطاقة البايومترية هذا يعني أن نسبة كبيرة من الناس لا يمكن لها المشاركة، فالحل أن نشجع الناس على استلام البطاقة البايومترية، فإذا

تسلمها الناس بالإمكان أن نحصر التصويت بها فينخفض التزوير إلى حد كبير، وهذه مسألة أساسية ومهمة.

هذه أول انتخابات ستكون بدوائر متعددة في المحافظة الواحدة، فاليوم الحلة أربع دوائر، وهذه فرصة، بالتالي في كل دائرة يمكن أن يكون مرشح قوي وشخصية محترمة متبناة من أبناء هذه المنطقة في ثقلها ونزاهتها واندفاعها ومقبوليتها لدى الناس، والناس تصوت لها وتعطيها أعلى الأصوات، أما إذا كان الشريف والوطني والكفوء يتجنب المشاركة حفاظًا على نفسه من التسقيط فالمتبقي هو من لم يمتلك هذه الأوصاف، وبعدها سنتساءل لماذا برلماننا بهذا الشكل؟ ولماذا حكومتنا بهذا الشكل؟ ولماذا الوضع بهذا الشكل؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٣٩٤]، فالتغيير يبدأ من عندنا، فإذا غيرنا الأمور وتحمّلنا مسؤولياتنا ودفعنا بمرشحين أقوياء و جيدين و مقبولين سيكون البرلمان فيه الشرفاء والنزيهون والمخلصون، و يمكن أن يقوموا بالخدمة المطلوبة لأبناء شعبهم، فأرجوا أن نهتم بقضية الانتخابات، المدة المتبقية سبعة أشهر قليلة، ولا تتصوروا أنها فترة طويلة، فمن الآن نحتاج أن نشجع الناس على النزول بقوة وأخذ هذه البطاقات البايومترية، ونبحث عن الكفوء وندعمه، أرجو أن يكون هذا الموضوع محط اهتمامكم.

مستحقات مؤجلة

مسألة الفلاحين ومستحقاتهم، عندما زارني رئيس الوزراء الأخ (مصطفى الكاظمي)، قلت له أنت الآن كل اهتمامك بدفع رواتب الموظفين، وأنا معك، يجب أن لا يتأخر راتب الموظف، ولكني أشكل عليك أن اهتمامك بالموظفين فقط، فأرجو أن يكون اهتمامك على ثلاثة أصناف، الموظفين، والفلاحين، والمقاولين، اهتم بالفلاحين، فإذا لم تعطِ لهم أموالهم في وقتها لا يستطيعون أن يزرعوا، وإذا لم يزرعوا سيتخلون عن الأرض، وإذا تخلوا عن الأرض سوف يبحثون عن التعيين في الوزارات، ويتظاهرون، وهؤلاء يوفرون لنا الأمن الغذائي للبلد، الفلاح عندما يتوفر لديه الربح في الأرض سيتمسك بها، ونحن نحتاج هذا الشيء، ويجب أن نوسع من الزراعة ولا نقلل منها، فأرجوك أن تقترض من أجل الفلاحين كما تقترض من أجل الموظفين، وتدفع لهم، والصنف الثالث هم المقاولون العاملون مع الحكومة، فإن البناء يحرك

٣٩٤. سورة الرعد: الآية١١

المهن، كالنجارة، والحدادة، والمواد الإنشائية، وتصبح حركة واسعة للعمل، وبالتالي سيتحرك السوق، وينتعش الاقتصاد ويزدهر، فيجب أن لا تتأخر استحقاقاتهم، هذه الأصناف الثلاثة يجب الاهتمام بهم بشكل خاص، واستمررنا بالمتابعة معه إلى أن جاء قانون الاقتراض، فقال إنه ليس حالة سليمة أن نستمر بالاقتراض، ويجب أن نحل مشاكلنا بطريقة مختلفة، لكن بالتالي هذا ظرف البلد، وأيضًا تحركنا على بعض الكتل النيابية ممن كان لديهم رأي في الاقتراض للموظفين فقط، فأقنعناهم بالموظف والفلاح، وقلنا يجب احتساب استحقاقات الفلاحين في قانون الاقتراض، وكذلك الديون والدواء و البطاقة التموينية والرعاية الاجتماعية، والحمد لله ترتبت، و مضى الأمر، واستحقاقات الفلاحين ستصل لهم بإذن الله.

السنائن العشائرية

بالفعل السنائن العشائرية يجب أن تكون موحدة، ولكن هذا ليس عمل الحكومة، هذا عملكم شيوخنا الأفاضل، عمل شيوخ العموم والإمارات، العشيرة إذا أرادت أن يكون لها دور بالبلد فهذا الدور لا يُمنح ولا يعطى من أحد، وإنما يُنتزع، فنحتاج من الشيوخ الحقيقيين والأساسيين أمثال حضراتكم من كل مناطق العراق أن يجلسوا مع بعض و يتفقوا ويتفاهموا ويوقعوا على وثائق ويشعروا الحكومة بها، وليس العكس، العشيرة أكبر من الحكومة، فالوزير والمسؤول اليوم هو في موقعه وغدًا هو خارج موقعه، وهو ابن عشائركم، وحتى تأخذ العشيرة مكانتها يجب أن تبادر هي، أرجو من حضراتكم الاهتمام بهذا الموضوع.

الخدمات أولويّة

بخصوص الخدمات، يجب أن تكون قضية أساسية، فهناك مرحلة وضعنا فيها رؤى وأفكارًا ودستورًا، وهناك مرحلة كان هناك صراع مع الإرهاب، وتم عبور جميع هذه المراحل، الآن نحتاج التركيز على الخدمات والابتعاد عن الشعارات، يجب أن يتحول البلد بأكمله إلى ورشة عمل، كيف نحقق الخدمة الصحيحة لأبناء شعبنا؟ ويجب أن تكون أولويّة أساسية في المرحلة القادمة بإذن الله.

دعم المنتج الوطني

نحن حدودنا مفتوحة، ومنافذنا مفتوحة، ولا يمكن أن نتنافس مع الصين العظمى، فإذا لم تُنظم الأمور و يُمنع الاستيراد الفوضوي، لا يستطيع المنتج الوطني أن يأخذ مساحته ويتحرك، سواء في الزراعة أم الملبس أم غيرهما، يجب أن يكون الاستيراد خاضعا للضوابط، الآن هناك التفاف على القانون، وهذا يجب أن يعالج، وبالنسبة إلى الاستثمار سواء كان السعودي أم الإيراني أم التركي، فكما ترون نحن نقترض من البنك المركزي الراتب فمتى سوف نبني؟ و العالم بأجمعه يبحث عن المستثمر ويسهّل عليه ويوفر له لكي يستثمر في بلده، فهناك نظريتان لحسم الموضوع، نظرية (لا أهلا ولا سهلا)، ونظرية (أهلا بهم)، نحن اليوم نحتاج نظرية (أهلا بهم)، فهناك أجندة ضد الإيراني لمنعه من الاستثمار، وهناك أجندة ضد السعودي، مع أن جميع البلدان التي بُنيت بُنيت باستثمارات خارجية، أرجو أن لا نبقى يسكننا الخوف والرعب من المستثمر الأجنبي، فيجب أن نضع الشروط الصحيحة التي تحفظ بلدنا، والذي يأتي ليستثمر أهلًا وسهلًا به.

هناك ماكنة إعلامية ضخمة تريد أن تشكك بأي مستثمر أو مال خارجي، وهذا ما أناقشه فأقول بالعكس، أهلًا وسهلًا بكل من يريد أن يستثمر، فحينما تشترك مصالحنا مع مصالح الآخرين فهذا شيء يخدم بلدنا واقتصادنا، وهذا ما نحن بحاجة إليه، ميناء الفاو وحده ـ كما سمعت من خبراء ـ عندما يبدأ العمل به فإنه سيوفر (٥٠٠) ألف فرصة عمل، وعندما يكتمل سيوفر (٣٠٠) ألف فرصة عمل، وهذا يعني أن ثلاث محافظات ستكون بلا عاطلين عن العمل، فإذا توفرت عشرة مشاريع سوف لا يكون هناك بطالة، و ستنتهي مشكلة التعيينات، وهذه هي المداخل الصحيحة.

شكرًا لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المؤتمر السنوي لتجمع همم الطلابي[٣٩٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

السادة رؤساء الجامعات وعمداء الكليات، ضيوفنا الكرام، الملحقيات الثقافية، وأبنائي وبناتي من طلاب الجامعات في تجمعهم الطلابي

أحييكم أجمل تحية، وأشكر لكم هذا الحضور في هذا اليوم البغدادي الممطر والجميل، وأتمنى لمؤتمركم هذا النجاح والتوفيق.

اسمحوا لي أن أركز وألخص حديثي في محاور ثلاثة:

المحور الأول: الشباب وطلاب الجامعة

الشباب هم قوام المجتمع، ليس في بلدنا وحده، وإنما في كل المجتمعات، ولكن العراق يتميز بمجتمع شبابي (٧٠٪) من أبناء شعبنا هم دون الخمسة والثلاثين سنة من العمر، وهذا يعني أن العراق شعب شبابي بامتياز، فتصبح أهمية الشباب ـ وهم يمثلون الأغلبية الكبيرة ثلثي المجتمع أو يزيد ـ ذات قيمة أكبر من المجتمعات الأخرى، وبين الشباب طلاب الجامعة، الشباب الجامعي يمثل الركيزة الأساسية في هذا الواقع؛ وذلك لأن الجامعة تمثل كثافة شبابية نخبوية، وكلهم دارسون ومتعلمون، هذا ما يجعل تأثيرهم أكبر في مسار الشباب وفي مسارات بلادهم بشكل عام، ولذلك نجد الدور الكبير لطلاب الجامعة في كل حراك شعبي يشهده بلد من بلدان العالم، لاحظوا التظاهرات

٣٩٥. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في المؤتمر السنوي لتجمع همم الطلابي الذي عقد في بغدادبتأريخ ٢١/ ١١/ ٢٠٢٠.

والاحتجاجات، دققوا في محور الحضور، تجدوه من طلاب الجامعة، وهكذا هو الحال في بلادنا، شهدنا حراك تشرين مؤخرًا ومسيرات وتظاهرات سابقة، وكان طلبة الجامعة يمثلون الأساس فيها، إذا أردنا أن نتطلع إلى مطلبيات واضحة ومشروعة، إلى إصلاحات جدية، إلى مطالب سياسية تنهض ببلادنا، فلا بُدَّ أن ننظر إلى طلاب الجامعة ودورهم في تحقيق هذه الإنجازات والإصلاحات الكبيرة، فالطالب الجامعي محرك أساسي وفاعل في المشهد الاجتماعي والسياسي في العراق وفي كل دول العالم بشكل عام. على هذه الخلفية كان اهتمامنا بالشباب، رفعنا هذا الشعار وبدأنا بخطط وفعاليات تفصيلية منذ (٢٠١٠) وصولًا إلى (٢٠١٧) حين انبثق تيار الحكمة الوطني، والذي يُعد تيارًا شبابيًا في المشهد السياسي العراقي.

الشباب هم عماد مشروعنا، وهم الثروة الوطنية لبلادنا، وهم مفتاح الحل لمشاكل وطننا، ولا بُدَّ من الاعتماد عليهم والاهتمام ببنائهم وتربيتهم وإعدادهم ليكونوا على قدر المسؤولية في أداء واجباتهم ومسؤولياتهم التأريخية المناطة بهم، تمكين الشباب ليس شعارًا نرفعه، وإنما هو التزام قطعناه على أنفسنا وهو سلوك نمارسه في يوميات حياتنا وأدائنا السياسي.

أقول لكم وبوضوح أولادي وبناتي الشباب، لديكم دور كبير في إصلاح حال بلادكم، في الاهتمام والرعاية ببلدكم ووطنكم، ولا بُدَّ أن تتصدوا وتتحملوا المسؤولية في التعبير عن هذه الإرادة، وأن هذا هو الدور الكبير المرجو والمطلوب، فالأدوار تُنتزع ولا تُمنح، ولا بُدَّ أن تأخذوا هذا الدور بقوة وشجاعة وإقدام، وما أروع ما قاله الشاعر الشهير أحمد شوقي:

وَما نَيلُ المَطـــالِبِ بِالتَمَنّي ... وَلَكِن تُؤخَذُ الدُنيا غِلابا
وَما اِستَعصى عَلى قَومٍ مَنالٌ ... إِذا الإِقدامُ كانَ لَهُم رِكابا

فالأمور تؤخذ غلابًا، تحتاج إلى مبادرة، إلى تصدٍ، إلى تحمل المسؤولية حتى يتحقق هذا الدور المنشود للشباب في مجتمعنا وفي بلادنا، وهذا ما قاله الإمام الشافعي أيضًا في أبياته:

بِقدرِ الكدِّ تُكتسبُ المعالي ... ومَن طَلَبَ العُلا سَهِرَ الليالي
ومن رامَ العُلا من غيرِ كدٍّ ... أضاعَ العمرَ في طلبَ المُحال

لا يمكن الوصول إلى المدارج العالية، ولا يمكن أخذ الأدوار الكبيرة إلا حينما يتصدى الإنسان ويبذل الغالي والنفيس الوقت والجهد، وهذا ما لاحظناه في حراك

تشرين حين قدم أبناؤنا أرواحهم ووقتهم وجهدهم وفكرهم وعطاءهم وتضحياتهم من أجل أن يوصلوا رسالتهم إلى الرأي العام وإلى المتصدين في هذا البلد.

لاءات خمس

ولكن أيها الأحبة ما دامت الأدوار والتصديات تمثل مسؤولية لكم، فلا بُدَّ أن تعرفوا أن التصدي لا يكون بلا ضريبة، التصدي دائمًا محفوف بالمخاطر والتحديات والإشكاليات والمنغصات، وما دمتم تتهيأون لتصد كبير وواسع فعليكم أن تأخذوا باللاءات الخمس التي نتحدث عنها دائمًا.

أولًا/ لا نشتكي، التشكي لغة العاجزين، ونحن لسنا عاجزين والحمد لله، حين تدخل إلى غمار التصدي وتحمّل المسؤولية ستجد الكثير من العقبات، عليك أن تتحمّل وتروّض الواقع لخدمة الهدف الوطني النبيل الذي تحمله.

ثانيًا/ لا ننظر بتشاؤم وسوداوية وسلبية للأمور وللحياة، دائمًا هناك مشاكل، هل نحن نركز عليها وننسى الإيجابيات أو نركز على الإيجابيات وما يبعث على التفاؤل ونشيع الأمل فيما بيننا وفيما بين شبابنا ومجتمعنا وثم ننكب على السلبيات وعلى المنغصات لنحددها؟.

ثالثًا/ لا نسيء الظن بالآخرين، علينا أن نحسن الظن بالجميع، الجميع وطنيون ما لم يثبت خلاف ذلك، الجميع شرفاء ما لم يثبت خلاف ذلك، الأساس والتعاطي الإيجابي مع الجميع إلا ما يثبت السلوك أنه لا يستحق هذه العناوين وهذه الأوصاف.

رابعًا/ لا نعمم الأخطاء والسلبيات، لا نقول كلهم سيئون، كلهم فاشلون، كلهم سراق، أي تعميم من هذا النوع هو منهج غير علمي وغير صحيح، السارق الذي ثبت بالدليل أنه سارق نقول عنه ذلك ونسلمه للقضاء ليأخذ جزاءه، المسيء الذي تثبت إساءته فهو كذلك، أما التعميمات فتمنعنا من أن ننفتح على واقع الحياة، وفي كل مساحة هناك سلبيات وهناك إشكاليات وهناك أناس يسيئون استغلال الموقع أو العنوان الذي يشغلونه، يجب أن نتجاوز هذا التعميم.

خامسًا/ لا نتهم ولا نخوّن ولا نشهر بالآخرين، قد يختلف معك في قراءة، في تقدير موقف. ولكن هذا لا يعني أنه يستحق التخوين والتشهير والإساءة، يجب أن نتعلم كيف نتعامل مع الآخر المختلف معنا، قد يكون مختلفًا مذهبيًا أو دينيًا أو قوميًا، وقد

يكون مختلفًا سياسيًا أيًا كان مكامن الاختلاف، علينا أن نحتضن ونستوعب ونتعامل مع الآخرين.

هذه اللاءات الخمس هي مفاتيح أساسية لتحقيق النجاح في عملية التصدي.

نتمسك بالثوابت ونجدد الوسائل

أيها الأحبة... اقتنعوا بدوركم. تعرّفوا بعمق على مشروعكم، على مساراتكم، على خطواتكم، على ما تقومون به، إذا لم تكونوا مقتنعين لا يمكن أن تكونوا مقنعين، حتى تقنعوا الآخرين بمشروعكم عليكم أن تكونوا مقتنعين به ومؤمنين به، نحن نرفض رفضًا قاطعًا مفاهيم الطاعة العمياء، ونؤكد على ضرورة الالتزام الواعي، الالتزام الناتج من رؤية وبصيرة وفهم عميق لمجريات الأمور.

أيها الأحبة مبادئنا وقيمنا هي الثوابت، نتمسك بها ولا نحيد عنها، ولكن ما سوى المبادئ فهناك الكثير من فرص للتجديد والتغيير والتطوير، ولا بُدَّ أن نعيش حالة المراجعة والتجديد في حياتنا وسلوكياتنا وتصدياتنا في هذا التجمع وفي غيره، لا بُدَّ أن نجدد في الوسائل والآليات بالمناهج والأطروحات، في الخطاب والرسالة التي نحملها لشعبنا لتكون منسجمة ومتسقة مع رغبة شعبنا وتطور الأحداث والتغيرات التي يشهدها بلادنا.

وعي من دون تسييس

شعارنا الواضح (لا تسيس للجامعات)، الجامعة مكان للعلم، وليس مكان الصراعات السياسية والمناكفات فلا نسيس الجامعة، ولكن لا بُدَّ من العمل على تعميق الوعي السياسي، الثقافة السياسية لدى طلاب الجامعة، وفرق كبير بين الصراع السياسي والمناكفات وبين الوعي السياسي، كيف يمكن لطلاب الجامعة أن يكونوا محورًا في حركة الإصلاح في بلدهم وهم لا يمتلكون الوعي والثقافة السياسية؟ فلا بُدَّ أن نعطي هذا الوعي وأن نعطي هذه الثقافة قيمتها ووزنها، ولا يجوز عزل الجامعات وطلاب الجامعة عن الثقافة السياسية، عن الوعي السياسي، عن الفهم لهموم البلد، وما يجري في البلاد، هذا أمر صحيح ومطلوب، وذاك التسييس أمر مرفوض، ولا بُدَّ من التمييز بينهما، ومع الأسف يقع الخلط وأحيانًا تحت يافطة عدم تسييس الجامعات

يحرم طلاب الجامعة من أي ثقافة أو وعي سياسي أو ممارسة، يمكن أن تعزز هذا الوعي بعيدًا عن المناكفات.

المحور الثاني: الحديث عن الجامعات والواقع التعليمي في بلادنا.

لدي عدد من الملاحظات اختزلها بسرعة والتفصيل إلى مواقع أخرى.

أولًا/ رعاية الطلبة، إذا كنا نتوقع من الطالب الكثير علينا أن نرعاه من المنح الطلابية التي أصبحت قانونًا في وقت سابق وتلكأت، إلى الأقسام الداخلية، حين يعود الطلاب بعد الجائحة بإذن الله ويتواجدون في هذه الأقسام يجب أن تكون مناسبة، إلى الكثير من التفاصيل التي يحتاجها الطلاب في ممارسة هذه المهمة الأساسية وهي طلب العلم.

ثانيًا/ توفير المناخ العلمي والدراسي المناسب للطلاب. وهذا المناخ ليس في الجامعة وحدها، في المجتمع، في الإعلام، في البيت، يجب أن نهيئ المناخ العام لدعم الطلاب في العملية الدراسية.

ثالثًا/ تخفيض الأجور الدراسية بالكليات الأهلية، بالدراسة المسائية، في التعليم الموازي، في النفقة الخاصة، إلى غير ذلك من العناوين المطروحة، في كل ذلك يجب إعادة النظر وتحديد أسعار مقبولة وممكنة للطالب حتى يستمر في دراسته.

رابعًا/ ردم الفجوة بين مخرجات المؤسسة التعليمية وسوق العمل، وهذا مع الأسف لم نلتفت إليه كثيرا في السنوات الماضية. لدينا جيوش من الخريجين في اختصاصات لا يحتاجها المجتمع، فيبقون عاطلين عن العمل، فيما أن هناك مهام أخرى واختصاصات أخرى لدينا شح كبيرة فيها ولا يوجد عدد كاف من المتخرجين، نحتاج إلى نوع من التنسيق الوثيق بين وزارة التخطيط التي ترصد تفاصيل إحصائيات سوق العمل وبين وزارة التعليم العالي وتحديد كل فرع من الفروع كم هو عدد ما نحتاجه في المجتمع لكي يحصل المتخرج من الجامعة على فرصة وظيفية مناسبة ويثري الواقع العراقي بخبرته واختصاصه.

مختص في مجال ما الدولة أنفقت عليه وأنفق على نفسه وصل إلى مستوى الاختصاص في جانب ما ثم تخرج ولم يجد هناك حاجة لاختصاصه وذهب وعمل في اختصاص آخر. هذا تبديد للعمر والوقت والجهد وكل تلك الإمكانيات التي صُرفت على هذا الطالب على مدار سنين الدراسة.

خامسًا/ الاهتمام بالبحث العلمي والدراسات الإستراتيجية، مجتمع بلا أبحاث علمية عميقة ودقيقة كمن يسير وهو مغمض العينين، وهذا الشيء لا يمكن تقبله.

نحن لا نصرف الوقت والجهد والإمكانات المادية والبشرية واللوجستية الكافية على البحوث، يجب أن نركز على هذا الجانب، مختبرات البحوث والدراسات ومراكز الدراسات الإستراتيجية وربطها مع مراكز القرار لتكون مخرجاتها في خدمة صاحب القرار، يجب أن تكون هذه البحوث في خدمة تطوير البلد بشكل مباشر.

سادسًا/ الاهتمام ببراءات الاختراع والمبدعين والمخترعين، توفير المحفزات المادية والمعنوية لتشجيعهم على ذلك، وأيضًا ربطهم مع أولويات البلد، عقل متميز يبدع ويبتكر لكن اختراعاته لا تصب في أولويات البلد قيمتها تكون أقل،

نحتاج أن نوجه هذه الاختراعات باتجاه معالجة إشكاليات جدية في واقعنا المعاش.

سابعًا/ تفعيل القطاع الخاص لتشغيل هذه الأعداد الكبيرة من الخريجين، ونحن نفرّق بين سوق العمل وبين التعيين. التعيين الحكومي له محدداته، وشهدنا تضخما كبيرا، واليوم كل موازنة الدولة العراقية لا تكفي لدفع الرواتب، تضطر الحكومة أن تطلب من مجلس النواب تشريع قانون للاقتراض حتى يقترض من الخزينة لدفع الرواتب، وهذه ليست ظاهرة صحية، فلا نستطيع أن نستمر بالتعيينات على نطاق واسع وكبير بمئات الألوف، هذا لا يمكن، الشيء الطبيعي أن سوق العمل يجب أن تنتعش وتتحرك، والقطاع الخاص يأخذ مدياته، وهؤلاء الخريجين يستطيعون أن يحصلوا على فرص مناسبة وملائمة لهم.

ثامنًا/ تطوير المناهج وأساليب التدريب، بما يساهم في جعل الطالب شخصية علمية فكورة قادرة على أن تستوعب، العالم الذي يأخذ المعرفة ويحولها إلى ثقافة وسلوك في حياته اليومية.

نحن لا نستفيد كثيرًا من المنهج الحفظي، يخرج الطالب وهو يحفظ الكثير ويأخذ الدرجات نتيجة حفظ كمية كبيرة من المعلومات، وسرعان ما ينساها وتتبخر وتذهب. نحتاج إلى منهج جديد يستند إلى بناء الشخصية بناءً علميًا رصينًا تكون شخصية الطالب قادرة على أن تستوعب المعرفة التي أخذتها وتحولها إلى سلوك في واقعها اليومي.

تاسعًا/ الاهتمام بالتدريسيين، بالأساتذة، هؤلاء هم من يبنون طلابنا، الاهتمام بهم ماديًا ومعنويًا واعتباريًا وحل مشاكلهم وتوفير الخدمات المناسبة لهم ليكونوا في خدمة أبنائنا وبناتنا وإعدادهم وتنشئتهم بشكل صحيح.

عاشرًا/ الاهتمام بالزمالات الطلابية خارج البلاد من خلال الأمور الآتية:

١- من حيث معايير الاختيار، يجب أن تكون معايير عادلة ودقيقة وتختار خيرة أبنائنا وبناتنا وتوفر لهم فرص الدراسة في الخارج.

٢- من حيث الاختصاصات المطلوبة، وهنا أيضا نحن نرسل طلابا وننفق عليهم إنفاقات كبيرة ولكنهم يتخصصون في فروع ليست هي الأولوية والحاجة الأساسية في بلادنا، يجب أن نشخص ما هي أولوياتنا؟ ما هي مكامن الضعف ونقاط الضعف في واقعنا؟ وماذا نحتاج بالتحديد؟ ونرسل طلابا لاختصاصات نحن نختارها وليس برغبات معينة قد تكون بعيدة عن أولويات البلاد.

٣- من حيث الرعاية أثناء الدراسة، لا نرسل الطالب ونتركه في بلاد الغربة وحيدًا، يجب أن تكون الملحقيات الثقافية العراقية في تلك البلدان فاعلة ونشيطة وتقدم الرعاية والدعم لطلابنا في دول العالم المختلفة.

٤- في استثمارهم بعد التخرج والعودة، فقد يصرف الطالب وقتا وجهدا ومالا لسنين ويتخرج في اختصاص نادر، بعدها يرجع فلا يجد فرصة عمل، ولا يجد الوظيفة المناسبة، ويذهب إلى أعمال خارج اختصاصه، وتتبدد كل هذه الإمكانات، فنحتاج إلى رعاية في هذه الأمور الأربعة.

أحد عشر/ الاهتمام بحملة الشهادات العليا، نحن صرفنا عليهم كثيرًا، وهم بذلوا جهودًا كبيرة لسنين طويلة، أصبحوا ذوي شهادات عليا، وهناك قوانين في الدولة تلزم بتخصيص نسبة معينة من التعيينات لهم، مع الأسف لا تنفذ هذه القوانين، ويبقى هؤلاء بشهادات عالية لسنين طويلة بلا عمل وهذه خسارة كبيرة.

اثنا عشر/ الاهتمام بالاستماع والإصغاء للمعتصمين والمعترضين من ذوي الشهادات والخريجين وطلاب الجامعات، أن يبقى هؤلاء لأسابيع أو أشهر طويلة في الشوارع يعتصمون ويتظاهرون دون أن يصغى إليهم، دون أن تفكك لهم الأمور و يشرح لهم بصدق، ما هو الممكن؟ وما هو غير الممكن في إمكانات الدولة؟. هذا ليس بالأمر الصحيح، ويوجد رد فعل معين ندفع جميعًا ضريبته.

المحور الثالث: في المشهد السياسي العام.

ونحن نتهيأ لانتخابات مبكرة ونستعد لاستحقاقات مهمة في تأريخ العملية السياسية وواقعنا الديموقراطي. السؤال المهم لماذا نذهب إلى الانتخابات؟ ماذا نريد؟ هل نريد أن تتكرر نفس المعادلة القائمة الآن؟ قوى من مذاهب وقوميات مختلفة يفوزون ويتصارعون لأشهر طويلة حتى يشكلوا حكومة، ثم شركاء الحكومة يختلفون مع بعضهم، قدم في الحكومة وأخرى في المعارضة؟ في الصباح في الوزارة وفي المسؤولية وفي المساء على شاشات التلفاز ينتقدون الحكومة؟ هل نذهب بانتخابات حتى نعيد نفس الصورة من جديد؟. ما قيمة الانتخابات المبكرة إذا كانت لا تحدث فارقًا جديدًا في واقعنا العراقي؟. إننا بحاجة إلى أن نعد العدة لمعادلة النجاح في هذه الانتخابات القادمة؟ ما هي معادلة النجاح؟ معادلة النجاح هي تحالف عابر للمكونات، من مكونات مختلفة، شيعية وسنية وكردية ومسيحية وإيزيدية وصابئية وتركمانية ومن كل القوميات وكل المدن، قائمة من الشمال إلى الجنوب من قوى مختلفة تكون مع بعضها. وهذا بشكل طبيعي سيدفع القوى الأخرى إلى أن تشكل قائمة مشابهة لنكون أمام تحالفين طوليين من الشمال إلى الجنوب بقوى رصينة من مختلف الساحات، مثل هكذا قائمة لا يمكن أن يكون لها شعار طائفي أو عنصري، ولا يمكن أن تعتاش على إثارة مكون من مكونات أخرى؛ لأن كل المكونات حاضرة فيها، مثل هذه القائمة تشهد حالة من الخطاب الوطني التوحيدي الذي نحن بأمس الحاجة إليه.

وستضطر هذه القوى أن تقدم برنامجًا لإدارة الدولة، برنامجا وليس شعارات فضفاضة لتهييج الناس عاطفيا. يقابلها تحالف آخر لديه برنامج آخر، هذا الثنائي، تحالفان كل تحالف يتضمن مجموعة من القوى. العراق كله حاضر فيهما ولديهما برنامج سياسي معين يتنافسان. المواطن بإمكانه أن يختار واحدة من القائمتين، ولكنه لا يستطيع أن يختار واحدًا من مائتين وسبعين حزبا، ولو تحالف البعض وصارت عدد التحالفات أقل من عدد الأحزاب، مائتين، مائة وثمانين، مائة وخمسين، أيضًا المواطن لا يستطيع، الناخب لا يستطيع أن يختار واحدا من مائة وخمسين، مائة وخمسين اسما، مائة وخمسين لونان مائة وخمسين لافتة، لا يستطيع المواطن أن يختار، لكنه يستطيع أن يختار واحدا من اثنين. هذا مدخل مهم لخلق معادلة نجاح في معادلتنا اليوم، في المعادلة السابقة حتى القوى الفائزة حينما تشترك كل منها يقلق من الآخر داخل المكون، لا تريد أن يكون الوزير قويا خشية أن يحقق تقدما لحزبه. فشركاء الحكومة يعطل بعضهم بعضا، شركاء الحكومة يضع بعضهم فيتو على الأقوياء من البعض

الآخر. أما في تحالف من هذا النوع، أحد التحالفين الذي يحوز على الأغلبية بإمكانه أن يدير البلاد، إذا تصدى لإدارة البلاد حينذاك أي خلل، أي خطأ، يحصل في أي فرد منهم سيستهدف كل التحالف. سيضطر الجميع إلى أن يتكاتفوا ويشجع بعضهم بعضًا في أن يأتوا بأقوى المرشحين، والكل يدعم كل الوزراء في الحكومة. هنا تُخلق معادلة النجاح، البعض يقول التحالفات العابرة شأنها شأن غيرها أيضًا محاصصة، لكنها محاصصة أضيق، المحاصصة بين الجميع أم محاصصة بين فئة أضيق؟، الواقع نحن نفرق بين المحاصصة وبين توزيع الأدوار، سواء كانت قائمة أم قائمتين، عابرة وغير عابرة، بالتالي العراق فيه مكونات اجتماعية ويجب أن يكون من يمثلها في مواقع المسؤولية. لا يكون هناك مكون رئيسي لا يجد من يمثله بالحكومة، توزيع الأدوار شيء مقبول ومنطقي، المشكلة ليست في توزيع الأدوار، في كل البلدان هناك توزيع للأدوار، المشكلة في تعمد الشركاء الضغط على بعضهم ليأتوا بخيارات ضعيفة وليس خيارات قوية، يوجد قلق من الخيار القوي، من الكفوء، النزيه، الناجح. أما في المعادلة الجديدة فإن المصلحة لكل طرف أن الشريك الآخر يأتي بأقوى ما عنده وأنزه ما عنده وأكبر ما عنده، فهذا في الحقيقة يحول توزيع الأدوار إلى توزيع منتج وإلى شخصيات تتصدى كفوءة ونزيهة وقادرة على الأداء بشكل أفضل.

الأمن الانتخابي مسألة مهمة، من المهم أن نذهب إلى الانتخابات ولكن يجب أن نضمن بأن أي مرشح أو أي كيان يرشح نفسه لا يتعرض إلى التخوين والتشهير والاستهداف، وهذه القائمة للبلد الفلاني، وتلك القائمة مع البلد الآخر، وكل قائمة تتهم بالعمالة لبلد، وكأن العراقي ليس فيه وطني وشريف، هذا ليس أمرا صحيحا، كل شخص أو كيان أو حزب أو تيار من حقه أن يرشح مع من يريد ضمن إطار الدستور العراقي، ويجب أن يحترم وتحترم إرادته دون تخوين أو اتهامات من هذا النوع، يجب أن يسمح لأي مرشح أن يرشح في أي قائمة هو يريدها، يجب أن يكون عنده فرصة وحرية في الاختيار بدون الضغوط والاتهامات والتهديد وما شابه ذلك هذا من الأمن الانتخابي، أن يسمح لكل ناخب أن يصوت لمن يريد دون أن يتعرض إلى تهديد

دون أن يتعرض إلى ضغوط، دون أن تخلق له أجواء خارج الصندوق وداخل المركز الانتخابي تشعره بأنه مضطر أن يصوت لجهة ما، هذا غير صحيح، وهذا أيضا من الأمن الانتخابي.

الناخب حر يختار من يريد، أساسًا الانتخابات للتعبير عن الإرادة الشعبية وليس لفرض إرادات على الناس حتى نطلع بمخرجات ثابتة ومحددة، هذا أمن انتخابي،

ويجب أن يراعى، يجب أن يُمنع استخدام السلاح والمال في فرض مرشحين محددين وفي فوزهم وأن تكون المقبولية الاجتماعية ورغبة الناس به هو السبب في فوزه وليس لأمور أخرى، هذا أمن انتخابي أيضا.

يجب أن تحفظ العملية الانتخابية من التلاعب والتزوير، وأن يقرأ من الصناديق الورقة التي وضعها الناخب وليس شيئًا آخر، ولا أكثر ولا أقل، وأن يعلن، وأن يعتمد دون أي اعتبارات أخرى، هذا أمن انتخابي.

يجب أن يُسمح للمراقبين الدوليين أن يشاركوا ويراقبوا هذه العملية، وهم محايدون ويشهدون لصالح هذه العملية الانتخابية أنها عملية شفافة ونزيهة وبعيدة عن التلاعب، وهذا رصيد للديمقراطية العراقية حينما تأتي لها شهادات دولية رصينة بأن الانتخابات كانت شفافة وبعيدة عن التزوير.

مشروع التحالف العابر مشروع إستراتيجي مهم يخلق متغيرا نوعيا وإستراتيجيا في العملية السياسية العراقية، يخلق معادلة النجاح، ولكنه شيء جديد، والإنسان عدو ما يجهل، فلعل كثيرين ينزعجون، ويترددون، ويشككون، ويقلقون من مثل هذا التحالف، يحتاج إلى تظافر الجهود، من أولى من الجامعات وطلابها واساتذتها ورؤسائها ونخبها أن تدرس هذه الأمور وأن تشجع على معادلة نجاح تنقذ البلاد؟.

هنا لا ندعو دعم جهة سياسية دون أخرى، هذا ليس شأن الجامعة، ندعو لدعم المسار، وهذا المسار مسار وطني عراقي لا يخص طرفًا دون آخر. أدعو الجامعات العراقية، أدعو النخب الأكاديمية أن يدرسوا هذا الخيار، وإن وجدوا فيه ما ينقذ البلاد ويخلق معادلة النجاح يقفوا ويصطفوا معه ويساهموا في إنجاحه وإقناع الناس به لنمضي ونقدم شيئًا جديدًا وننقذ البلد ونخلق معادلة نجاح حقيقية.

الوقت يداهمنا كان هناك محاور أخرى أتركها لوقت آخر. شكرًا لحضوركم وأتمنى النجاح لمؤتمركم هذا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ندوة حوارية في نادي الصيد العراقي [٣٩٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

السادة الأفاضل، السيدات الكريمات. اسمحوا لي في البداية أن أعرب عن سعادتي وسروري بهذه الفرصة للقاء بكم والحديث إليكم في هذا المكان العامر في نادي الصيد. ولي الشرف أن أزور هذا النادي لأول مرة، وأن يكون فرصة للقاء والتواصل وتبادل الآراء في الهم الوطني. بغداد العاصمة الحبيبة تبقى محطة مهمة للفكر والثقافة والعطاء، ومثل هذه النوادي والأندية الثقافية كلها منارات ومحطات للتواصل وتبادل الأفكار والآراء، وبغداد بالرغم من جراحها المتعددة والمتنوعة إلا أنها بقيت شامخة ومهتمة بالشأن الفكري والثقافي والمعرفي على الدوام.

لا أريد أن أكون متحدثا لوحدي، اسمحوا لي أن أتحدث ببعض العناوين العامة على وجه السرعة، وأترك المجال لمداخلات وتعليقات وتعقيبات حضراتكم، لتكن أحاديثكم هي محور هذه الندوة.

الاهتمام بمطالب المتظاهرين

بداية مررنا بحراك تشرين والجهد الشبابي المهم، وعلى مدار سنة عبّر شبابنا عن تطلعاتهم وعن رؤيتهم الإصلاحية، وكما هو في أي حراك واسع تختلف التفسيرات والتأويلات والتكهنات في تحليل هذه الظاهرة، فهناك من لاحظ الجوانب الإيجابية الكبيرة والواسعة في هذا الحراك ونحن منهم، ووجدنا أن هذا الحراك وفر فرصة

٣٩٦. كلمة السيد عمار الحكيم في ندوة حوارية اقامها نادي الصيد العراقي ببغداد بتأريخ ١٢/ ١٢/ ٢٠٢٠.

مهمة لاستعادة شبابنا، سبعون بالمائة من أبناء شعبنا هم من الشباب، كانوا محبطين منكسرين في هذا الحراك، وأصبحت لهم هوية، وأصبحت لهم قضية، رفعوا شعار (نريد وطن)، ونزلوا إلى الساحات، وعبروا عن مواقفهم وتطلعاتهم وآرائهم، وقدموا مطالب فيها إصلاح لأوضاع البلاد. نحن نرى هذا الجانب المشرق والواسع والمهم في هذا الحراك، ولكن كأي حالة واسعة وأي حراك شعبي هناك من يستغل مثل هذا الحراك، دخلت أجندة أجنبية، دخل بعض المتطرفين المتشددين الذين أساؤوا للمال العام والمال الخاص، وقطعوا الطرقات، وأحرقوا المنشآت، ومنعوا الناس من الدواء، إلى غير ذلك من تفاصيل معروفة.

البعض الآخر لم يرد أن ينظر إلى كل هذه الإيجابيات، وتوقف عند تلك السلبيات، وحاول أن يشيطين هذا الحراك ويتهمه بالسلبية؛ لأن فيه مثل هذه الأمور، و نحن نعتقد أن هذه السلبيات هي الأمر الطارئ الذي يجب أن يطوق، ولكننا استعدنا شبابنا في حراك تشرين حين أعطيناهم الفرصة ليعبروا عن آرائهم واحتضناهم، ونعتقد أن الضغط الشعبي هي التي دعت لاستقالة الحكومة السابقة وتشكيل حكومة جديدة من شخصيات مستقلة لتمهد لانتخابات مبكرة إلى جانب مهم من أهداف هذا الحراك قد تحقق بالفعل، ولكن ما لم نقف طويلا عند المداليل والرسائل التي أراد أولئك الشباب إطلاقها، وتجاهلناها، واعتبرنا أن انتهاء الحراك يعني انتهاء المطالب، فقد تعاود هذه التظاهرات وهذا الحراك من جديد وتكون أكثر شدة، علينا ومن خلال حكومة مستقلة أن نمتص زخم الاحتجاجات وأن نشجع المحتجين وندفعهم باتجاه تشكيل أحزاب والتهيؤ للانتخابات القادمة.

لذلك أحذر من أي تسويف أو مماطلة في تلبية مطالب هؤلاء الشباب، وإنما الاهتمام بمطالبهم حتى لو خف ضغط الشارع في هذه المرحلة.

وعموما يجب استثمار هذا الحراك ومخرجاته، أصبح لدينا نخبة شبابية قيادية واعية اكتسبت الكثير من الخبرة في الميدان، نضجت أطروحاتها ورؤيتها السياسية، وأصبحت اليوم مهيأة لأن تشارك في العملية السياسية عبر تشكيل أحزاب وما إلى ذلك. هؤلاء الشباب يمثلون فرصة واعدة للمشهد السياسي العراقي، لعملية بناء الدولة، ويجب أن تستثمر هذه الطاقات بالشكل الصحيح.

المحور العراقي

أيضا في إطار توحيد البلد نحن بحاجة إلى بعض البناءات الأساسية ومنها الاتفاق على تعريف واضح مشخص ومتفق عليه للمصالح الوطنية، ماهي المصالح الوطنية العراقية؟ ماهي المبادئ التي نلتقي عليها كعراقيين مهما اختلفنا في انتماءاتنا المذهبية والقومية والدينية والسياسية والعشائرية والمناطقية؟، نحتاج إلى بلورة رؤية تحدد الإطار الواضح للمصالح الوطنية المتفق عليها بين العراقيين لنتفق عليها ونختلف فيما سواها، أصبحت الضرورة ملحة في هذا الإطار، ونعتقد أنه لا يمكن بلورة مشروع وطني حقيقي عراقي ما لم تكن المصالح الوطنية العراقية واضحة ومتفقا عليها بين الأطراف ليشكلوا مشروعا على أساس تلك المصالح، وأيضا نرى أن من أهم هذه المصالح هو اعتبار العراق أولا، والعراق محورا، والعراق أساسا في مجمل منطلقاتنا، ما يخدم المصلحة الوطنية العراقية ويخدم العراقيين مرحب به، أي شيء آخر غير مرحب به.

أحد الصحفيين سألني في يوم ما، قال: أنت محسوب على المحور الإيراني أو المحور الأميركي؟ أجبته، قلت: أنا محسوب على المحور العراقي، لدينا بلد ووطن وفيه مصالح، ونحن ملتزمون بهذه المصالح، ونقيّم موقفنا من الآخرين بقدر اقترابهم أو ابتعادهم من تلك المصالح، ليس الأساس أن ننظر ما هي اصطفافاتنا الخارجية، الأساس أن ننظر إلى اصطفافاتنا العراقية، ونرى الآخر كم يقترب أو يبتعد من المصلحة الوطنية العراقية لنحدد الموقف على هذا الأساس.

الأزمة الاقتصادية

أمامنا أزمة اقتصادية خانقة لا تخصنا وحدنا، أزمة اقتصادية في المنطقة وفي العالم، جائحة كورونا، الانكماش الاقتصادي وانخفاض أسعار النفط، عناصر عديدة ساهمت في نشوء هذه الأزمة الاقتصادية، كيف نتعاطى معها؟ أعتقد نحن بحاجة إلى حلول مباشرة وقتية سريعة وإلى حلول طويلة الأمد، الحلول الآنية، جزء منها يرتبط بالتعويل على الارتفاع التدريجي لأسعار النفط، كلما انتشر اللقاح، وكلما عادت الحياة الطبيعية إلى وضعها زادت الحاجة إلى النفط، ولا سيما ونحن ندخل في موسم الشتاء، ونلاحظ أن رقم سعر البرميل أصبح يقترب من الخمسين، ونتمنى أن يتصاعد أكثر، كل دولار يضاف هو فرصة إضافية لنا ولكل الدول المنتجة للنفط، ولكن هذا خارج عن إرادتنا.

مزاد العملة

وصل حجم الإشكاليات والملاحظات التي تطرح على هذا المزاد إلى حد كبير، العملة الصعبة التي يتم إنفاقها في هذه السوق وفي ظروف مشبوهة تحوم حولها الكثير من الشبهات والإشكاليات يجب أن يوضع له حد، وأن يتصف بالشفافية الكافية والكاملة التي تطمئن العراقيين بأن هذا المسار مسار صحيح وليس تبديدا للثروة الوطنية.

مشكلة الضرائب

مسألة الضرائب وكيفية التخلص من الإشكاليات والفساد في جبايتها وفي استحصالها و الكمارك، وسمعنا من وزير المالية في مقابلات رسمية قال إن الجمارك يفترض أن تكون بين سبعة إلى عشرة مليارات دولار سنويا. نحن الآن لا نجبي سوى ثلاثمائة مليون؟ كيف نستطيع أن نضمن جباية كاملة لهذه الضرائب والجمارك بالشكل الصحيح؟ قدمنا اقتراحا للبنك المركزي، وللسيد رئيس الوزراء والمسؤولين بالحكومة، قلنا إذا كنا نأخذ الجمارك حين تدخل البضاعة، وجل الاستيراد إنما يتم من خلال أخذ العملة الصعبة من المصارف العراقية، فلماذا حين يأتي رجل الأعمال ويطلب مبلغا معينا حتى يستورد بضاعة معينة والبضاعة معروف كم هي جماركها، لِمَ لا نقطع الجمرك سلفا حين تسليم المال ونعطيه الباقي؟، ويظن أن عددا كبيرا من هؤلاء الذين يأخذون العملة الصعبة بحجة الاستيراد هم لا يريدون الاستيراد، هم يريدون إخراجها من البلاد وتبديلها، ومن خلال تبديل العملة يحصلون على أموال وفوائد كبيرة، ولكن الجمارك أكبر من تلك الفائدة، فإذا وضعنا هذا الإطار سنمنع كل من يريد أن يأخذ العملة بنية الاستيراد و هو غير عازم على الاستيراد، وسنحافظ على العملة الصعبة بشكل كبير، والذي يريد أن يأخذ ويستورد بالفعل، فيدفع الجمرك سلفا ونتخلص من كل المشاكل في المنافذ الحدودية أو أحيانا في الشؤون المرتبطة بالعلاقة بين إقليم كردستان و المناطق الأخرى من العراق، طرحنا هذا الموضوع ووعدوا بدراسته، أعتقد أننا بهذا قد نوفر مبلغا كبيرا، سبعة إلى عشرة مليارات دولار رقم مهم يمكن أن يرفد الموازنة العراقية في هذه الظروف الصعبة.

الأتمتة

نحن عندنا مشكلة، في هذه اللحظة نجهل عدد الموظفين في الدولة العراقية، وهذا شيء مستغرب، نعطي رواتب للموظفين ولا نمتلك رقما دقيقا وواضحا عن عدد

الموظفين، وتختلف الإحصاءات من وزارة إلى أخرى، هذا يعني أن هناك شبهات وفضائيين وعددا كبيرا من الأشخاص يأخذون رواتب ولكنهم غير موطنين وغير معروفين أو ليسوا موظفين بالفعل، هذا مدخل مهم من مداخل الفساد علينا أن نعالجه بشكل واضح، الأتمتة، البيانات الالكترونية، تضع حدا لمثل هذه التلاعبات التي تحصل هنا أو هناك. هذا كله في الحلول السريعة والآنية.

كسر الاقتصاد الريعي

في الحلول الطويلة الأمد، يجب أن نفكر كيف نتخلص من الاقتصاد الريعي، أن نبقى معتمدين على النفط كمصدر أساسي لتمويل الموازنة العراقية، والنفط أمر ليس بأيدينا، والعين على البورصة صعدت أو نزلت الأسعار، لا يدار بلد بإرادة معادلات دولية وإرادات أخرى. ونحن بلد ما بين النهرين، لدينا الزراعة وفرصها الكبيرة، لدينا الصناعة العامرة في الخمسينات والستينات من القرن الماضي، واليوم تعطلت الكثير من هذه المصانع بفعل الموارد النفطية السهلة والاستثمار والاهتمام بالقطاع الخاص، إلى غير ذلك من الأمور. يجب أن نعمل جاهدين لكسر الاقتصاد الأحادي الريعي والذهاب إلى الاقتصاد المتنوع، ويجب استثمار هذا التحدي والأزمة الاقتصادية الفعلية لتحويلها إلى فرصة جدية في معالجة مشاكل البلد.

سيف ذو حدين

الانتخابات المبكرة هي فرصة مهمة لتصحيح أوضاع البلد وإعادة التوازن السياسي له، ولذلك هذه الانتخابات سيف ذو حدين، إذا أعادت إنتاج ذات المعادلة بذات التوازنات فكل أولئك الشباب الذين خرجوا وقالوا وعبروا سيصابون بالإحباط ونعود إلى لحظة الانكسار من جديد، أو الانفعال غير المنضبط الذي قد يتحول إلى تسونامي سياسي. لذلك علينا أن نستثمر هذه الظروف وهذه الانتخابات المبكرة، نحتاج إلى مشاركة واعية، لا أصوت له لأنه ابن عمي، ابن عشيرتي، ابن منطقتي، أعطاني هدية، أصوت له لأنه الأكفأ والأقدر، من يعي أهمية هذه الانتخابات ودورها المحوري في تجديد الدماء في العملية السياسية عليه ألا يكتفي بأن يقرر المشاركة، وإنما يعمل على أن يشجع ويحفز الآخرين للمشاركة الواسعة، كلما زادت نسبة المشاركة زادت شرعية ومشروعية النظام السياسي من ناحية، و استطعنا أن نعيد التوازن وتغيير الواقع الحالي، هناك قوى منظمة لديها جمهورها، كلما قلت المشاركة زادت حظوتها، وكلما زادت

المشاركة عاد التوازن إلى المعادلة السياسية في البلاد، لذلك المشاركة الواعية الفاعلة والواسعة مدخل مهم لإنجاح الانتخابات.

الاستناد إلى الإطار البايومتري، نحن لنا رؤية في هذا الموضوع، نعتقد أن مجلس الوزراء عليه أن يقرر إلزام المواطنين باعتبار البطاقة البايومترية وثيقة رسمية، فلا يعطى راتب لموظف إلا بامتلاك البطاقة، ولا تعالج معاملة إدارية بوزارة إلا بإظهار هذه البطاقة، ولا تسلم الحصص التموينية لمواطن إلا بهذه البطاقة، بهذه الطريقة نستطيع أن نشجع الناس لأخذ البطاقة.

البعض يقول هذا يتنافى مع الحريات التي أقرها الدستور، نحن نقول هذا لا يخل، نحن لا نلزم المواطنين بالمشاركة بالانتخابات، هذا شأنهم، ولكن نلزمهم بأخذ البطاقة البايومترية، يضعونها في جيوبهم ولا يشاركون؛ لأن وجود بطاقة مدنية يمنع من التزوير، مواطن لا يريد أن ينتخب هذا حقه، لكن عدم أخذ البطاقة يساهم في تزوير انتخابي، وهذا فيه إساءة للعملية الانتخابية، نلزم الناس بأخذ البطاقة ولا نلزمهم بالانتخابات.

الشركة الفاحصة النظام الإلكتروني المعتمد في فرز الأصوات شابها الكثير من الاتهامات مع قطع النظر عن صوابية أو عدم صوابية الاتهامات، لكن وجود تهمة وإشكالية يعني إمكانية اختراق هذا النظام والتلاعب بنتائج الانتخابات. نحتاج إلى شركة دولية فاحصة معترف بها تدرس وتراجع كل تفاصيل هذا النظام وتضع حلولا لأي إمكانية لاختراقه.

تشجيع المؤهلين

العملية السياسية وما شابها من إحباطات والنقمة من الممارسة السياسية جعلت الكثير من الأكفاء لا يفكرون بالترشح، يقولون ما لنا وهذه الأمور؟ أمارس عملي أفضل من أن أكون نائبا في البرلمان، فيطالني السب والشتم واتهامات الفساد، وما إلى ذلك، هذا ليس أمرا صحيحا، إخلاء الساحة من الأكفاء والنزيهين سيعني تصدي غيرهم، وهذا ما يجعل المشكلة والأزمة مستمرة، يجب أن نخلق حافزا حقيقيا للمؤهلين لأن يتصدوا و يرشحوا و يأخذوا فرصتهم في عملية الانتخاب.

طبقات السياسيين

لدينا ظواهر في ديموقراطيتنا المبكرة أصبحت مرهقة، منها أن هناك مراهقين في السياسة، يتعلمون السياسة من خلال الممارسة ومن خلال التحكم بمصير الناس،

وهذا أمر غير ممكن، هناك مقاولون بالسياسة، أصبحوا ينظرون للسياسة أنها مدخل جباية أموال والحصول صفقات الفساد، وما إلى ذلك، وهؤلاء مضرون جدا في الواقع السياسي، ويجب معالجة هذه الظاهرة، وهناك مغامرون في السياسة ويستغلون مواقفهم السياسية للمغامرة بالبلد ومصالح البلد ومقدراته ومستقبله، وهذا أمر خطير، وهناك مقامرون في السياسة، والبلد لا يتحمل أن يقامر به، فنحن نحتاج إلى طبقة من المحترفين في السياسة، وهذا ما يتطلب وعيا كاملا في طبيعة الانتخاب.

معادلة النجاح

فيما يخص معادلة النجاح، ماذا نصنع لتكون الانتخابات القادمة مختلفة عن سابقاتها، تصور المشهد اليوم. (الفتح) يدخل الانتخابات ويحصل على ما حصل عليه في الانتخابات السابقة أو أقل قليلا أو أكثر، (سائرون) كذلك، (عراقيون) الذي يملك اليوم ستة وأربعين مقعدا في البرلمان، يدخل الانتخابات ويحصل على ذات المقاعد أو أكثر بقليل أو أقل بقليل، وفي الساحات الأخرى أيضا ذات الموضع وذات النتائج. ما الذي تغير؟ سنكون أمام مشهد بعد الانتخابات تحالفات عديدة على أسس مكوناتية، كل تحالف لديه عدد من المقاعد، تبدأ عملية المفاوضات العسيرة والشاقة لتشكيل حكومة، وتحصل اتفاقات وتسويات وبيع وشراء إلى آخره تتشكل حكومة. وفي اليوم الثاني، بعد تشكيل حكومة شركاء، نجدهم متنافرين مع بعضهم، رجل في الحكومة ورجل أخرى خارجها، وكلٌ يتهم الآخر، وكل يرمي باللائمة على الآخر، ولا أحد يتحمل المسئولية. ما الذي نحصل عليه من انتخابات مبكرة تعيد إنتاج ذات المعادلة؟ هذا لا ينفع، نحن نحتاج إلى معادلة مختلفة، إلى معادلة نجاح تضع حدا لكل هذا الارتباك الذي حصل على مدى سبعة عشر عاما الماضية.

شخصيا لا أخطئ ما جرى فيما مضى، نحن كنا في لحظة خرجنا من ديكتاتورية بغيضة أساءت إلى المواطنين، أساءت إلى المكونات، كان يجب أن نطمئن الجميع، فذهبنا إلى حكومات توافقية، وحكومات وحدة وطنية، وشراكة عامة، إلى غير ذلك من المفاهيم لتطمين الجميع، وقد حصل، أما اليوم وبعد سبع عشرة سنة فلا يوجد قلق على مكون، الشيعة في أمان، والسنة في أمان، والكرد في أمان، والتركمان في أمان، الناس اليوم والمواطنون بمختلف انتماءاتهم غير قلقين على هويتهم، هم قلقون على خدماتهم، قلقون على مستقبلهم، قلقون على طبيعة إدارة البلد، ونحتاج إلى معادلة مختلفة أسميها معادلة النجاح. ونرى أن معادلة النجاح في تشكيل تحالف طولي،

تحالف عابر للمكونات، تحالف فيه قوى من مكونات مختلفة، سيقابله تحالف آخر أيضا من مكونات مختلفة، ويتنافسون بشكل طبيعي للحصول على الأغلبية النيابية، تحالف من هذا النوع لا يمكن أن يكون له شعار مذهبي؛ لأن المذاهب كلها موجودة، ولا يمكن أن يكون له شعار قومي؛ لأن القوميات كلها موجودة، فلا مناص من أن تكون لهذا التحالف شعارات تخص البرنامج الذي سيقدمه ويلتزم به تجاه الشعب وفي بناء الدولة، سترغم القوى على أن تتفق على برنامج ضمن تحالف وطني عابر، لا نحتاج أن نشكل تحالفين، يكفي أن نشكل واحدا فيكون الثاني رد فعل طبيعيا للأول، إذا تشكل تحالف واسع وكبير لا تستطيع القوى الأخرى أن يذهبوا منفردين إلى الانتخابات، سيهرعون ليشكلوا تحالفا آخر، هذا سينهي عملية التوافقية والمحاصصة المقيتة، والتدافع، وينهي قلق القوى من بعضها وخشيتها من أن يتقدم بعضهم على الآخر ويحصل على مقاعد إضافية، هناك خشية بين شركاء الحكومة من النجاح، فكل يضع فيتو على الناجح، على القوي لدى الآخر، أما حين يكون تحالف كامل يأخذ الرئاسات الثلاث، يأخذ الحكومة كلها، كل مجلس الوزراء ويدير البلاد، نصبح أمام فريق مسؤول، ولا يخرج رئيس الوزراء أو الوزير ويقول لم يفسحوا لي المجال لأعمل، وسيصبح هذا الفريق في سفينة واحدة، حينما تغرق يغرق الجميع، ونجاح أي منهم نجاح للمجموع، للفريق المتحالف، فيصبح كل منهم يبحث عن الأقوياء، ويفرح لوجود القوي، ويبحث عن النجاح، ويكون قبالهم معارضة قوية تلاحقهم، تتابع أخطاءهم، مما يجعلهم مندفعين لتحقيق النجاح. إذن معادلة النجاح في التحالف العابر للمكونات، يخلق الفريق المسؤول، ويخلق معادلة النجاح، ويوجد الانسجام بين الأطراف؛ لأن الجهة التي يتحالف معها أي طرف يجب أن تكون مقبولة في شارعها، على الشيعة أن يتحالفوا مع قوى سنية مقبولة في شارعه، وعلى السنة أن يتحالفوا مع قوى شيعية مقبولة في شارعهم، وعلى العرب أن يتحالفوا مع قوى كردية مقبولة في الشارع العربي، والكرد كذلك، هذا يوجد انسجاما بين القوى، فكل من التحالفين تكون قواه منسجمة مع بعضها ويتعاونوا مع بعضهم لتحقيق النتائج، وأيضا اتخاذ بعض القرارات الصعبة، حكوماتنا على مدار سبع عشرة سنة ما استطاعت أن تأخذ قرارا صعبا إلا نادرا، إلا في ظل إجماع وطني، وبدونه كل واحد يقلق من الآخر؛ لأن الآخر يشهر به أمام الناس، أما التحالف الذي يمتلك أغلبية فيستطيع أن يأخذ قرارات صعبة، ونعرف أن بعض خطوات الإصلاح قد تكون صعبة ومزعجة ولكنها ضرورية لإصلاح الأوضاع.

نعالج اللادولة بسلوك الدولة

الدولة واللادولة، نعتقد أن الفرز بين التحالفين العابرين يجب أن يكون على أساس قوى الدولة وقوى اللادولة. قوة الدولة ليست هي القوة التي تدّعي أنها تدعم الدولة، فكل القوى السياسية تدّعي ذلك، قوى الدولة هي القوة التي من مصلحتها أن تكون الدولة قوية، تقوى بقوة الدولة، أما قوى اللادولة، فهي القوى التي تضعف بقوة الدولة، من مصلحتها أن تكون الدولة ضعيفة لتبقى هي قوية. هذا هو الفرز، القوى التي تكون مصلحتها السياسية في دولة قوية تحميها لكي لا يكون ظهرها مكشوفا

هي قوى الدولة، والقوى التي مصلحتها أن تبقى الدولة ضعيفة ليبقى تأثيرها في المشهد أكبر هي قوى اللادولة. هكذا نفسر الأمر.

و في معالجة النتوءات والظواهر السلبية والسلاح المنفلت، وإلى آخره، نحتاج إلى سلوك الدولة، نحن نقول نريد دولة، ومن يحمل السلاح خارج الدولة يجب أن نضربه ونقمعه، هل القمع هي أداة وأسلوب لقوى الدولة، ولبناء الدولة؟ لا، لا تبنى الدول بالقمع، إذن نحن حينما نتعاطى مع قوى اللادولة نقدم اقتراحات اللادولة، وهذا خطأ، يجب أن نعالج مشاكل اللادولة بسلوك الدولة، دولة قوية، دولة مهابة ستعني أن قوة اللادولة تضعف بشكل تلقائي وتدريجي دون كسر، ودون معارك وقتال وإراقة الدماء.

بناء الدولة يحتاج إلى إدراك، إلى وعي لطبيعة المناخ الديمقراطي اجتماعيا وسياسيا، نحتاج إلى وعي سياسي، وإلى وعي مجتمعي، حتى نحصل على اصطفاف كافٍ ودعم مناسب لقوى الدولة.

أيضا نحتاج إلى صيانة التجربة الديموقراطية والتمسك بالثوابت الديموقراطية، يقال: أي حرية؟ أي ديموقراطية؟ وكأن هناك دعوات لنتجاوز الأسلوب الديمقراطي في بناء الدولة، وهذا أمر غير صحيح، لا يُطاع الله من حيث يعصى، يجب أن نعالج تحديات الديمقراطية بوسائل ديمقراطية، ونشجب الشوائب والإشكاليات بنَفَس طويل وليس بنَفَس قمعي، القمع لا ينتج إلا ردود أفعال تصعّب المهمة.

الفرز الواعي، الفرز الواضح للقوى للمناهج، للخطاب، للشخصيات بين قوى الدولة وقوى اللادولة، نحتاج إلى هذا الفرز، بالتدريج يجب أن تكشف الأمور. الآن الكل يتحدث بذات الشعارات، بذات الكلمات، بذات الأهداف، الكل يستنسخ من

الكل والناس لا تعرف، كلما ذهبنا إلى مشاريع جدية تكشفت وترعرت الحقائق وتبينت الاتفاقات بشكل أوضح، وهذا مطلوب.

الالتزام بمعطيات ونتائج الديمقراطية، الانتخابات يجب أن نقبل بنتائجها، يجب أن نلتزم بمعطياتها، حتى لو كانت خلاف قناعاتنا أو رغباتنا أو مصالحنا، تشخيص قوى صناع المستقبل ودعمهم وإسنادهم، حتى نعيد التوازن للساحة السياسية بشكل سليم وصحيح، ونحتاج إلى حماية قوى الدولة، دعم نخبوي وشعبي واجتماعي، ولو بموقف، ولو بتغريدة، ولو بكلام، ولو برؤية، ولو باصطفاف. قوى اللادولة لديها غطاءاتها، ولديها طرقها في حماية نفسها، قوة الدولة هي المكشوفة، ليس لها دعم إلا الدولة، والدولة ضعيفة، فلا يوجد أحد يدعمها، هنا نحتاج إلى النخب وإلى القوة المجتمعية أن تقف وتدعم والدولة وتصطف معها لكي تكون الموازن النوعي الذي يمكنه تحقيق نتائج معقولة ومنطقية في العملية الانتخابية.

الخلاف مع الإقليم

لا نستطيع أن ندس رؤوسنا في التراب ولا نرى ما يحصل ولا نهتم، قضية كردستان لا تخص كردستان وحدها، تخص العراق جميعا، والحراك الشعبي الذي حصل في السنة الماضية في مناطق بغداد وجنوب بغداد لا يخص هذه المناطق وحدها، وإنما يخص العراق، أي شيء يحصل في أي مكان فهو يخص العراق كله، ويجب أن نقف جميعا ونعالج.

أعتقد أن الحلول الترقيعية ما باتت مقنعة، وما باتت كافية، في يوم ما هذه المشاكل والأزمات كانت خلف الأبواب المغلقة، اليوم نزلت إلى الشارع، مواطن بسيط في قرية نائية في كردستان أو في الأنبار أو في البصرة يعرف ويعي هذه المشاكل، فلا نستطيع أن نعالج هذه الأمور باتفاقات سياسية، يجب أن نضع الأمور في نصابها الصحيح، ويجب أن نؤمن بالدستور، الدستور كل الدستور، مشكلة الدستور مثل مشكلة القرآن الكريم مع الفارق، هناك من يؤمن ببعض ويكفر ببعض، يأخذ بعض الآيات التي يعتقد أنها لصالحه، ويهمل آيات أخرى تضغط عليه، في الدستور كذلك كل منا يبحث عن المواد الدستورية التي تفيده وتنفعه ويتناسى المواد الأخرى، هذا لا ينفع، الدستور ليس قائمة من الأطعمة، الإنسان يختار هذا النوع من الطعام أو ذاك، الدستور عقد اجتماعي تبانينا عليه بكله، فيجب أن نقبله بما لنا وما علينا. بهذا المنطق نستطيع أن نعالج موارد العراق، اليوم ثلاثة وتسعون بالمائة من مواردنا هي من النفط، ، فالنفط يجب أن يكون بيد بغداد،

بيد الحكومة الاتحادية، وثم يوزع على الجميع بشكل عادل، أي حل غير هذا الحل لا يستطيع أن يعالج المشكلة. ،هناك منطق يقول (نفطنا عندنا وأعطونا الباقي)، طيب إذا كل محافظة تضع يدها على الموارد الموجودة تحت تصرفها ثم تطالب بالباقي لم يبق لدينا عراق موحد. يجب ألا نخجل، أن نصارح أنفسنا، نصارح قياداتنا، نصارح قوانا بهذا المنطق. لتكن الموارد كلها بيد الحكومة الاتحادية ويكون هناك إشراف، أنا قلت للإخوة في قيادة كردستان، لماذا لا تكون إدارة هذا النفط بيد بغداد ويكون ممثلا من الإقليم في شركة (سومو) يضع سياسات بيع النفط العراقي لكل العراق وليس لكردستان وحده؟، وهكذا كل المناطق الأخرى التي تنتج النفط، هذه الشراكة الحقيقية، التخلي عن منطق حصر الموارد بيد الحكومة الاتحادية، الموارد الحصرية بحسب الدستور، التخلي عن هذا المبدأ يعني المخاطرة بوحدة العراق.

هذا يحتاج إلى حل السلة الكاملة، وأعتقد أن القوى السياسية وصلت إلى مستوى من النضج لأن تقول لكردستان نحن نتقبل أن يسلم ملف النفط بما له وما عليه بديونه و كل تبعاته إلى بغداد، وبغداد هي التي تتعامل مع هذا الملف. أعتقد أن هذه فرصة مهمة علينا أن نحتفظ بها بشكل صحيح، نظرية إضعاف بغداد لتكون الأطراف قوية أثبتت فشلها، فحين ضعفت بغداد وانكسرت انكسر العراق كله، اليوم ليس لنا مصلحة في إضعاف أي مكان، بغداد قوية، مركز قوي، يعني أن الأطراف قوية أيضا.

حراك كردستان

فيما يخص الحراك في كردستان، موقفنا هو الموقف الذي كان لنا على مدار سنة كاملة في الحراك في مناطقنا العربية، ولا فرق، هنا عراق وهناك عراق، وأعتقد أن الحراك الذي يحصل في كردستان أيضا فيه مساحة كبيرة من الإيجابية، الشباب يستعيد حيويته ونشاطه ودوره، وفيه أبعاد سلبية قد يستغل من أطراف، وفيه انفعالات، يجب علينا تطويق تلك الانفعالات وليس شيطنة الحراك الشبابي.

الإدارة الأمريكية الجديدة

الملاحظة الأخيرة في مسألة الإدارة الأمريكية الجديدة وتأثيرها على المنطقة وعلى العراق على وجه الخصوص. لا شك أن هذه الإدارة جاءت بشعارات مختلفة، بأولويات مختلفة، لديها تصور معين، ما يخصنا في العراق أن الرئيس المنتخب وفريقه ووزير خارجيته ووزير دفاع وعددا من مستشاريه، كلهم عملوا في العراق، أو كانوا

مسؤولين عن الملف العراقي لسنين طوال، ويعرفون القادة العراقيين، ويعرفون ظروف العراق، يوما ما السيد (بايدن) حين كان نائبا للرئيس ومسؤولا عن الملف العراقي، قال كلمة في أحد المؤتمرات، قال أنا أكلم الدكتور العبادي أكثر مما أكلم زوجتي، بحكم المهمة التي كانت وحجم المشاكل الموجودة في البلد، فبالتالي هذه إدارة تعرف العراق وتفاصيله وتعقيداتها والإشكاليات بشكل كبير، ونعتقد أنها ستكون أكثر دقة في التعاطي مع الشأن العراقي بحكم هذه المعرفة، أيضا هي إدارة تعلن أنها تريد حلولا، وتريد التهدئة وليس التصعيد، وهذا بحد ذاته يخلق مناخا إيجابيا، نعرف أن كثيرا من المعاناة التي تحملناها في العراق هي وليدة الصراع الأمريكي الإيراني في الملف النووي وغيره، وانعكاسات ذلك على الواقع العراقي. نتمنى أن نكون قادرين و بارعين في أن نطرح مشروعنا العراقي المستقل الذي يجعل لهذا البلد هوية مستقلة، والقوات الدولية تتعامل معنا كعراق وليس كل فصل من فصول التعامل مع أي دولة أخرى، هذا شيء مهم، العراق يستطيع إقناع الآخرين أنه بلد مستقل، وقراره مستقل، ويتعاطى على أساس المصالحة الوطنية. أنا أكتفي بهذا المقدار وأكرر اعتذاري، لإطالتي عليكم في الحديث، ولكن هي إشارات في الملفات الأساسية والساخنة المطروحة.

شكرا لكم. والسلام عليكم.

زيارة قبيلة الطفيل في بابل [٣٩٧]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين

السادة الأفاضل، الشيوخ الأكارم، الإخوة الأعزاء، السلام عليكم جميعًا ورحمة الله وبركاته.

في هذا المضيف العامر بقبيلة الطفيل، وبهذا الحضور الكريم من الأمراء والشيوخ والوجهاء وأبناء العشائر الكريمة، أتشرف أن أقف لأتحدث إليكم وأستذكر ذلك التأريخ الطويل الذي طالما جمعنا ويجمعنا بكم، علاقة تمتد إلى مرجعية الإمام الحكيم (قدس سره)، أكثر من خمسين عامًا، نصف قرن من العطاء والتضحية والعمل من أجل هذا الوطن، قدمنا معًا الدماء والدموع والآلام وبذلنا ونبذل الجهد لبناء ذلك العراق الذي نحلم به.

وبالرغم من السراء والضراء والظروف الصعبة التي ألمت بنا جميعًا إلا أن هذه اللحمة وهذا التعاون والتعاضد وهذا التكامل بين هذه العشائر والقبائل بقيت صمام أمان لوحدة هذا البلد وللخروج من الأزمات التي تمر به، التحديات ضخمة وكبيرة، الأزمات متتالية، ولكننا لسنا ممن يشتكي، فالتشكي لغة العاجزين، ونحن لسنا عاجزين والحمد لله.

استهداف الأوتاد

إن كنا نستحضر التحديات والأزمات فلكي نتعرف عليها ونواجهها وليس لنضعف أمامها، نحن لسنا ممن يضعف أمام التحديات والأزمات، نحن لسنا ممن ينكسر

٣٩٧. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم خلال زيارته الى مضيف قبيلة الطفيل في محافظة بابل بتأريخ ٣/ ١٢/ ٢٠٢٠.

أمام هذه التحديات مهما كانت ضخمة؛ لأن العراق بثقله، بحضارته، بتأريخه، برجاله وشيوخه، بعشائره، قادر على المواجهة وخوض هذه المنازلة، هناك من أراد أن يستهدف المجتمع، وحاول أن يستهدف بالمفخخات، حاول أن يستهدف بكل الوسائل المتاحة، ما استطاع، فجاء ليستهدف المجتمع من خلال أوتاده، فالبناء يتوقف على أوتاده، فجاء ليضرب الوتد، يضرب المرتكزات والأعمدة، ليسقط البناء، هناك من أراد أن يستهدف المجتمع العراقي باستهداف رموزه، الرموز الدينية، الرموز الاجتماعية، الرموز السياسية، لكي لا يبقى شخص محترمًا ومقدرًا بين الناس فيفقد المجتمع بوصلته، المجتمع لا يكون مجتمعًا إلا برموز، ضرب هذه الرموز والتشكيك بها والاستهانة بها هو ضرب للمجتمع.

التماسك المجتمعيّ

مررنا بعصف كبير، ولكن لا يصح إلا الصحيح، أحيانًا تأتي عواصف من الغبار، فجأة الإنسان يفقد الرؤية، لا يرى مترًا أمامه، لكنها لا تزول، مدينة قد تختفي والرؤية تشوش، حينما تهدأ العاصفة ترجع المدينة شامخة كما كانت، هل المشكلة في المدينة؟ المشكلة في الرؤية التي تشوشت نتيجة العواصف، الكبير كبير، الذي عنده جذور من أمثال حضراتكم أمراء وشيوخ وعشائر وقبائل لا يزول ولا يضيع ولا تزحزحه العواصف، قد ترتبك الرؤية، قد تشوش الرؤية، لكن الحقيقة تبقى حقيقة، ما أن تذهب هذه الأسباب الطارئة حتى تعود الأمور إلى نصابها ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾[٣٩٨]. لذلك أطمئنكم أنَّ الكبير يبقى كبيرًا مهما كانت المؤامرات ومهما كان التشويش، ورموزنا الدينية، ورموزنا الاجتماعية، ورموزنا السياسية، ستبقى حقائق على الأرض مهما حاول البعض أن يزلزل ويشكك ويثير الشبهات تجاهها، عشيرة قوية تعني مجتمعًا قويًا، والمجتمع هو العلاقات البينية بين أفراده، يقال هذه عشيرة قوية متماسكة، متماسكة يعني أنها تلتزم بقواعدها، بأعرافها، بتقاليدها، الصغير يحترم الكبير، الشيخ يرعى أبناء عشيرته، هذه العشيرة القوية، يوجد أعراف وقيم، أي مجتمع بهذه القيم والأعراف سيكون مجتمعا قويا، إذا غابت هذه الأعراف وهذه القيم وهذه الثوابت المجتمع يتفكك ويضيق، لذلك هناك من يريد تصوير أن العشيرة والنسيج المجتمعي العشائري في بلادنا في العراق عنصر ضعف، وأنا أقول إن هذا النسيج المجتمعي عنصر قوة وليس عنصر ضعف، هناك من لا يرى

٣٩٨. سورة الرعد: الآية١٧

كل هذه الإيجابيّات، هذا الصمود والثبات لشعبنا أمام عواصف لو مر عشر معشار منها على بلد من البلدان لانهار، ونحن صامدون بإذن الله وبلطف الله تعالى، والذي يجعل هذا الشعب صامدًا أمام كل هذه التحديات هو هذا التماسك والترابط العشائري، هذا النسيج العشائري، المجتمع ممسوك.

هناك مجتمع لا أحد يعرف أصوله عندما تسأله عن اسمه ينسب نفسه للمدينة، ولكننا في العراق شعب عنده أصول وجذور، ليس لدينا واحد تائه، إذا لم ينتسب لعشيرة من الصعب أن يقول أنا عراقي، هذه قوة في العراق في هذا الشعب، وهناك من لا ينظر إلى كل هذه الإيجابيّات ويتمسك ببعض السلبيات، وسبحان من لا يكون فيه سلبية معينة، الواقع العشائري في بعض أعرافه يحتاج إلى مراجعة، في تقاليده، في سياقات في فصوله، هناك بعض الملاحظات، لكن لا ننسى كل الإيجابيّات ونقول العشيرة عنصر ضعف وسبب في ضعف المجتمع، هذا لا يصح، عشيرة قوية تعني مجتمعًا قويًا، وكل المجتمعات تعاني من بعض الإفرازات السلبية، العشيرة ليست بمنأى عن هذه الكلية، نحدد نقاط الضعف أو الخلل ونعالجه، ولا يستطيع أن يقوم بذلك إلا الشيوخ والأمراء أنفسهم، يجلسون ويضعون حدًا لبعض الانزلاقات أو الاندفاعات غير المحسوبة التي صارت بشكل من الأشكال في الأداء وفي السياق العشائري، لذلك النسيج العشائري، القبائل والعشائر في بلادنا هم مصدر وحدة الأمة، أنا أسميها الأمة العراقية، نحن أمة مذاهب وقوميات وديانات وقبائل وعشائر، هذه أوصاف الشعب العراقي، الأمة ليس بالعدد، بل بالأوصاف، نحن أوصافنا أوصاف أمة، الذي يبني الدولة ويقوي الدولة هي العشائر العراقية.

وحدة الأمة بالعشائر، قوة الدولة بالعشائر، هذان ركنان أساسيان متلازمان مع بعض، أمة قوية مع دولة قوية صار العراق على السكة، ومشى، وكلاهما مرتبطان بالعشيرة ودور العشيرة، إذا ما قامت العشيرة بدورها بشكل صحيح.

الدولة أو اللادولة

نحن اليوم أيها الأحبة أمام مفترق طرق، كشخص في الشارع يصل إلى مفترق طرق، عليه أن يختار إما الطريق الأيمن أو الطريق الأيسر، كذلك نحن أمام مفترق طرق علينا أن نختار أحدهما، طريق يمثل تحديًا وطريق يمثل فرصة، نختار ونذهب باتجاه التحدي أو نذهب باتجاه الفرصة، وسيترتب على اختيارنا الكثير من التبعات، وعلينا أن نتحمل التبعات، الالتزام بالشيء، التزام بلوازمه، اخترت طريق التحدي لا تتشكى وتحمّل

التبعات، اخترت طريق الفرص راكم الإيجابيّات وتقدم، نحن اليوم أمام خيارين، إما أن نذهب لبناء الدولة أو نختار الفوضى واللادولة، وكل واحدة فيها إيجابيّات، حتى للعشائر، وفيها سلبيات على العشائر وعلى البلد، اللادولة، الفوضى، كانتونات، جماعات، كل واحد واضع يده على شيء، وهذه لي وتلك لك، وهنا تلعب القوة ألاعيبها، نبقى نحن مجموعات متناحرة، فوضى، لا استقرار، لا دولة، وكل واحد شيخ على أرضه ومكانه، ولا يوجد عراق، ولا توجد يد واحدة، ولا إطار يجمعنا كلنا، هذا طريق أنا أسميه طريق التحدي، الطريق الآخر طريق الفرصة لبناء الدولة، بناء الدولة وتحمّل تبعاتها، الدولة تعني قانونا، يمكن أن يكون القانون في مكان لا ينفعني لكنه ينفع الوضع العام، ربما أخسر في مكان، لكنني أربح في مكان آخر، البلد يربح، البلد تنتظم أموره، خيار الدولة فيه تعب، يجب أن نميل على أنفسنا، لكن في المحصلة كلنا يستفيد، والبلد يستفيد، والعراق يستفيد إذا اختار خيار الدولة، حضراتكم هذا سياق عملكم في العشائر، ابن العشيرة إذا كان مستقيمًا ملتزمًا بأعرافها وأخلاقها وآدابها يُغطى من العشيرة ويُحمى، وإذا شذّ لا سمح الله، وانحرف، ولا يسمع نصيحة العشيرة، هذا يخل بسمعة العشيرة، فتتبرأ منه، يقولون هذا لا يمثلنا، وتعرفون في حالات العشائر تصدر بيانات رسمية تتبرأ من فلان أو فلان من أبنائها بعد أن يشذ عن الطريق، ولا توجد فرصة لإرجاعه إلى جادة الصواب، نفس الكلام في سلوكنا الاجتماعي العام، العشيرة إذا اختارت طريق بناء الدولة، فأي سلوك يتنافى مع الدولة وبناءاتها، أي سلوك يتطاول على القانون العشيرة يجب أن تقف ولا تغطي ولا تقبل، أي سلوك صحيح حتى ولو كان مزعجا تقول هذا لبناء الدولة، ونريده حتى لو كان مزعجًا، مثلما تعمل مع أبنائها، تحمي هذا وترفع الغطاء عن ذاك، العشائر إذا اختارت طريق بناء الدولة، عليها أن تغطي أي سلوك فيه قانون، والالتزام ببناء الدولة، وترفع الغطاء عن أي سلوك فيه فوضى ولا دولة، هذا هو المنهج، وهذا هو الطريق بالنسبة لنا، كنا ولا زلنا وسنبقى دعاة طريق الدولة ونتحمل تبعاتها، يعيب علينا البعض، عدم تصفية من يعارضنا ويرجع سالمًا غانمًا إلى البيت وليس لديه قلق، يقولون لنا الصغير والكبير ينهش فيكم في كل مكان، ونقول لهم هذه ضريبة الدولة، وبناء الدولة، وسلوك بناء الدولة، هذه الضريبة يجب أن نتحملها، لا يمكن لمن يريد بناء دولة أن يخرق السياقات، يجب أن نحترم سياقات الدولة، ونبدأ بأنفسنا، الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ عنده كلمة مهمة يقول (لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة)[٣٩٩]، سلامة الناس، وأن تكون القاعدة الصحيحة

٣٩٩. نهج البلاغة ج١ ص١٢٤

التي تضمن سلامة المجتمع، مساراته الصحيحة، والالتزام بالقانون، دولة تبني وترعى ناسها، هذا فيه ضريبة، نحن ندفع الضريبة، الذي يريد أن يبني دولة عليه أن يحسم هذا الموضوع، العراق أولًا، الشعب العراقي أولًا، مصالح العراق العليا أولًا، همه يكون العراق، وكل دول العالم القريبة منا ثم البعيدة محط احترام وتقدير، لكن العراق أولًا، مصالح العراق أولًا، شعب العراق أولًا، لماذا نخجل نقولها؟ كل الدول الأخرى الوطنيون فيهم يجاهرون بها، يجاهر بها قادتهم وزعماؤهم ورؤساؤهم، يقولون تركيا أولًا، إيران أولًا، السعودية أولًا، ونحن لماذا لا نقول العراق أولًا؟! ونبحث عمّا يخدم مصالح شعبنا، ويقوي العراق، وحتى في ثقافتنا الإسلامية لا يجوز أن تعطي لجارك وابنك في بيتك جائع، لا تتصدق على الجار وابنك جائع، فلا يجوز أن لا يخضع العراق للأولوية الأولى في مسارنا وسلوكنا وخطابنا وأولويّاتنا ومصالحنا.

كيف للعشائر أن تبني الدولة؟ هناك عدة نقاط تبين دور العشائر في بناء الدولة

أولًا/ فرز المساحات

فرز السلوك، هذا سلوك دولة، ومن يلتزم بالقانون نحميه ونغطي له، والآخر سلوك لا دولة، غير خاضع لقانون وغير خاضع لنظام نرفع الغطاء عنه، ولا نجامل، يجب أن نكون صارمين، سلوك اللادولة، نرفع الغطاء عنه، هل يوجد أحد في هذا البلد ليس ابنا لهذه العشائر؟ من رؤساء ووزراء وقيادات سياسية، كلهم يد واحدة، من يسلك سلوكًا خارج إطار الدولة عشيرته تقف ضده، وتقول هذا غير مقبول، ذهاب الجميع باتجاه بناء الدولة، هذا شيء مهم جدًا، وهذا الدور العشائري الحقيقي في هذه العملية.

ثانيًا/ الانتخابات

في أي بلد ديمقراطي المفتاح والتغيير يبدأ بالصندوق، بالمشاركة الواسعة الفاعلة

الواعية، التغيير يكون بالصوت، وكل واحد منا يمثل صوتًا للتغيير، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٤٠٠]، ماسك الأمور لا يريد الخروج، فيثبط، ويحبط، ويكسر المعنويات كي يخرج جمهوره للانتخابات، وحين تظهر نتائج الانتخابات يبدأ الندم والعض على الأصابع حيث لا ينفع الندم، المشاركة الواسعة قادرة على أن تغير،

٤٠٠. سورة الرعد: الآية١١

قلنا انتخابات مبكرة، المجتمع، المرجعية دعمت، القوى الوطنية ساندت، ذهبنا في اتجاه انتخابات مبكرة وتحدد موعدها.

الآن لحظة الحقيقة، إذا لم تشاركوا والآخر يخرج بقوة ويشارك، عندها لا أحد يلوم ويقول لماذا لم يتغير شيء؟ المشاركة الواسعة الفاعلة، كل واحد منا يجب أن يتحرك، أصدقاء وأقرباء وجيران و يشرح، (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[٤٠١] واجبنا جميعًا أن نتحرك، أين نتحرك؟ بأي اتجاه؟ من يقدر أن يغير في الواقع؟ من يقدر أن يقدم شيئًا جديدًا و ينقذ وضعنا؟ من يبقى وفيا لشعاراته بعد أن يفوز؟ هذه أسئلة مهمة تحتاج تدقيقا، في يوم ما لم يكن عندنا خبرة، لا ندري)١٥) سنة، من (٢٠٠٥) أول انتخابات إلى (٢٠٢٠) جربنا، ما بات هناك سر، ولا هناك شيء مجهول، نحتاج المشاركة الواعية، ندقق ونتأكد، في إحدى المرات كنت ذاهبا بزيارة إلى إيران، وكانت هناك انتخابات قريبة عندهم، كنت أنظر إلى نشرة الأخبار المراسل يسأل امرأة عجوزًا، حاجّة لمن تصوتين؟ أجابته كيف تسألني الآن؟ لا بُدَّ أن نعرف المرشحين وبرامجهم، نقرأها حتى نختار لمن نصوت. هذه السيدة العجوز فاجأتني، صدمتني، ما مقدار وعي هذا الشعب الذي العجوز فيه لا تقبل أن تُسأل لمن تصوت قبل أن تطّلع على الأسماء والبرامج وترى من يقدم خدمة؟، هذه هي المشاركة الواعية.

ثالثًا/ التصدي وتحميل المسؤولية للكفوء النزيه.

هناك الكثير من الناس المحترمين الأكفاء النزيهين، عندهم القدرة على العمل والخدمة، لكنهم لم يرشحوا، يقولون نحافظ على اسمنا وسمعتنا، أنا سمعتي جيدة ومحترم بالمجتمع، والسؤال هنا كيف يستفيد العراق إذا ابتعد الأكفاء والنزهاء؟ الكفوء النزيه يجب أن يتصدى، إذا هو لم يتصد، عشيرته وجماعته يشجعونه، يجب تحفيز الأكفاء، النزيهين المخلصين الوطنيين للتصدي وتحمل المسؤولية، هذه مهمة العشائر، وهي خطوة أساسية في بناء الدولة.

رابعًا/ نحتاج إلى التجديد

خمس عشرة سنة جربنا المعادلات السابقة، هل نرجع ونعيد الشيء نفسه؟، نريد نتائج مختلفة، عندما تزرع حنطة تحصد حنطة وليس شعيرًا، هل تريد شيئًا مختلفًا؟

٤٠١. بحار الأنوار ج٧٢ ص٣٨

يجب أن يكون الزرع مختلفًا، المعادلة تختلف، نحتاج إلى معادلة جديدة، الشيعة يتجمعون مع بعض، السُنة يتجمعون مع بعض، الكُرد يتجمعون مع بعض، وبعدها الشيعة اختلفوا مع بعض الشيعة، والسُنة كذلك، والكُرد كذلك، أبشركم الآن عندنا (٢٨٠) حزبًا و (٢٠) حزبًا في الطريق إلى الانتخابات (٣٠٠) حزب تعني (٣٠٠) راية، (٣٠٠) عنوان، (٣٠٠) شعار، (٣٠٠) طموح، ومجلس الوزراء (٢٢) وزارة، لو لكل واحد وزارة الحصيلة أننا نحتاج إلى (٣٠٠) وزارة، هذا ليس حلًا للمشكلة، يبقون يتحاصصون فيما بينهم والناس من لها؟.

نحتاج معادلة مختلفة، هذا الذي ندعو له هذه الأيام، (تحالف عابر للمكونات) من قوى وطنية شيعية سُنية وكُردية، ويقابلها أيضا فريق هم شيعة وسُنة وكُرد إلى آخره، ونتخلص من هذه القصص، هذا فريق كامل، وذاك فريق، هم بكل الألوان والمشارب ويتنافسون. قصة التوافقية السياسية وحكومة الوحدة الوطنية، الكل يشارك والكل يعارض يجب أن نتخلص منها.

قصة أن يقف رئيس وزراء أو رئيس الجمهورية أو رئيس البرلمان أو وزير يقول ما شأني؟ وليست بيدي، يجب أن نتخلص منها، وكل واحد يتحمل المسؤولية، هذا فريق به كل المشارب، به كل المكونات هو يدير البلد، هو مسؤول أمام الناس، أي قائمة تفوز بنصف زائد واحد من أعضاء مجلس النواب هي تشكل الرئاسات الثلاث، الكردي الذي فيها يكون رئيس الجمهورية، والسُني رئيس البرلمان، والشيعي رئيس الوزراء، والوزراء منها، يكونون مسؤولين أمام الناس، قائمة من هذا النوع فيها كل العراق هل يمكن أن تأتي بأشياء مذهبية؟ إذا تكلم السُني يغضب الشيعي، وإذا تكلم الشيعي يغضب السُني، لا يمكن أن يكون هناك كلام مذهبي أو قومي، وهكذا نتخلص من هذا الصراع المكوناتي، هذا فريق بكل المكونات يبني الدولة ولديهم برنامج لبناء الدولة، العشيرة تقرأ من عنده مشروع دولة ومن عنده مشروع لا دولة، من يريد أن يبني عراقًا قويًا ومن يريد أن يبني وضعًا قويًا لنفسه وليس للعراق، على الأقل يكون هناك أحد مسؤول أمام الناس، وتتحمله أربع سنين، بعدها إذا عرفت الناس أنه لا يستطيع، فلا تختاره مجددًا ولا تبقى الأمور كما هي (١٧) سنة أخرى، نحن نحتاج إلى تحالف عابر للمكونات يقابله تحالف عابر، كما في أمريكا ثلاثمائة مليون نسمة، فيها حزبان، جمهوري وديمقراطي، إما هذا أو ذاك، ، فريقان كل فريق قادر أن يمسك البلد ويديره ويتحمل المسؤولية أمام الناس وأمام الشعب، أرجو أن تدققوا في هذا المشروع إذا كان

مناسبًا ساندوا وادعموا وادعوا له أنتم كعشائر، من واجبي أمام الله تعالى أن أقول لا أرى حلًا لوضع العراق إلا أن نذهب بهذا الاتجاه، إذا بقينا في هذا الشكل لا تحل المشكلة.

خامسًا /دعم أبنائكم الشباب

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في أخطر معركة، في أهم معركة، حين أراد أن يرسل جيش المسلمين لقتال الإمبراطورية الرومانية البيزنطية، أكبر قوة عسكرية في العالم آنذاك، في آخر عمره جهّز الجيش، جاء بأسامة بن زيد ووضعه عليهم، الروايات مختلفة عن بيان عمر أسامة بن زيد رواية تقول (١٨) عامًا، رواية (٢٠) عامًا، أعلى رواية (٢٤) عامًا، يعني بين (١٨ إلى ٢٤) سنة، أسامة بن زيد جُعل آمرًا لجيش المسلمين في أخطر معركة، اختار الشاب أسامة، ليس كل شاب مثل أسامة، ليس كل شاب يستطيع، الشباب القادرون الذين عندهم طاقة اعتمدوا عليهم، المتعلم المخلص الوطني الكفوء النزيه، برّزوه ومكّنوه، (٧٠٪) من شعبنا دون الـ (٣٥) سنة (٩٠٪) من الشعب العراقي دون الـ (٥٠) سنة، البعض يقول كبار السن أو الشيوخ لم تأخذهم بالبال، لا هو هذا الشاب ابن الشيخ، أعتقد أن الشيخ مشكلته الحصول على فرصة لابنه، حينما نهتم بالشباب، فنحن مهتمون بأهم مطلب للشيوخ أيضًا، شبابهم وأبنائهم وعوائلهم، فأرجو أن يكون هذا الموضوع محط اهتمامكم.

سادسًا: الأمن الانتخابي

الانتخابات ليست صناديق فقط، إذا أراد أحدنا أن يرشح يخاف أن يقتلوه أو يخونوه، أو يكتبوا هذا (الجوكر) أو (الذيل) أو غيرها من الانقسامات المجتمعية، أو أنه يريد أن يرشح بقائمة فتبدأ التهديدات، رسالة على التليفون من جهة مجهولة، أو أنه لا يستطيع أن يرشح مع هذه القائمة أو الحزب، لكي لا يسقط ويقال عنه بعت المذهب، المذهب ليس حزبًا، المذهب مجتمع ليخدم هؤلاء الناس ومصالحهم ويبني بلدهم ويرفع الضيم عنهم، هذا هو المشروع الذي يخدم المذاهب كلها والقوميات، الأمن الانتخابي يعني أن من يرشح يحق له أن يختار القائمة، ويتكلم ببرنامجه بدون تخوين وتشهير والناس تختار. لا يجوز تكميم الأفواه ومنع قوائم معينة ومرشحين معينين أن يعرّفوا بأنفسهم، من يحمي الانتخابات؟ قوات الأمن لا تقدر على ذلك بمفردها، القوات الأمنية تحمي الصندوق، لكن الانتخابات تحتاج أمنًا اجتماعيًا، من لا تريده لا تصوت له لكن لا تمنعه من الترشيح، لا تمنعه من بيان برنامجه، لا تمنعه من تجمع انتخابي.

شيوخنا الأكارم، نحن نقول العشائر هي التي توحد الأمة العراقية، اليوم نعيش حالة انقسام، اتهامات متبادلة، هذا إسلامي وهذا مدني، وهكذا، دعونا نعيش أمة موحدة تتحمل اختلاف الآراء.

اليوم أنا بينت وجهة نظري بأن الحل في تحالف عابر للمكونات، الذي يريد أن يطرح وجهة نظر أخرى من حقه، يخرج ويبين رأيه و الناس تسمعه، تسمع من هذا وتسمع من ذاك وهي تختار، لا ترغم الناس، لا تهدد الناس، لا تتهم الناس، لا تخوّن الناس، لا تشهر بالناس؛ لأنهم عندهم وجهة نظر معينة أو رأي معين، الناس تختار الكلام والبرنامج والخطة هي بضاعة.

هذا البرنامج لبناء الدولة، هذه الدولة من هذا الشعب، هو يختار، وهذه هي الديمقراطية، قبل بالكلام الصحيح هو يستفيد، لم يقبل هو يتضرر، الناس هي تختار وتقرر.

أعزائي دور العشيرة كبير في بناء الدولة، في تصحيح المسار، كل واحد منكم بحجمه، في يوم من الأيام كنا في المهجر، في المنفى، شهيد المحراب (قدس سره) كان يخطب بالناس، أثناء الخطاب قال أيها العراقيون كلكم مسؤولون عن إسقاط نظام (صدام) حتى العجوز المقعدة الأمية التي لا تقرأ ولا تكتب في قرية نائية مسؤولة عن إسقاط (صدام حسين)، أنهى السيد خطابه ركب السيارة أنا كنت معه وسألته، قلت له ما مسؤولية مثل هذه المرأة العجوز؟ فقال (عمّي، بالدعاء، تقول اللهم فرّج عنا، أسقط هذا الطاغية، خلّصنا من هذا الطاغية، هذه مسؤوليتها). واليوم أقول لكم مقولة شهيد المحراب، التكليف لا يسقط عن أحد منا في إصلاح أمور بلادنا وشؤون بلادنا.

هذا الواقع غير مرضي لا الناس راضية، لا القوى السياسية راضية، لا الوزير راض، لا المسؤول راض، يعني هناك مشكلة وخطأ في شيء، فيجب أن نفكر بحل، يجب أن نفكر بطريقة مختلفة حتى ننقذ أمور بلادنا وننطلق ونضع بلدنا على السكة، أعتذر للإطالة في الحديث، وأشكر لكم هذه المشاعر وهذا الحضور الكريم.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لخدمتكم وأن نكون معكم كما كان الآباء والأجداد ونمضي لبناء هذا الوطن على أسس صحيحة.

أكتفي بهذا المقدار وأستغفر الله لي ولكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقاء عشائر المشخاب في النجف الأشرف[٤٠٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين،

حبيب إله العالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

في هذا اليوم الكريم، وفي رحاب هذه الوجوه الكريمة والطيبة من السادة والشيوخ والوجهاء في المشخاب، وفي محافظة النجف الأشرف، وفي المضيف العامر للسادة العذاريين، لا بُدّ لي أن أعبر عن سعادتي وسروري للقاء بكم أيها الشيوخ والسادة الأجلاء الأجاويد.

في هذا اليوم، ذكرى إعلان الانتصار على الإرهاب (الداعشي) يعقد هذا اللقاء، ونتشرف بزيارتكم ولقائكم لنستذكر مثل هذه المناسبة الكبيرة. ولعلّ لجائحة كورونا من التأثير ما أبعدنا عنكم في الأشهر الماضية، وأبعدنا عن بعض بحكم طبيعة الاحترازات الصحية والطبية، نسأل الله أن يقيكم ويقي أبناء شعبنا تبعات هذه الجائحة.

وحش مخيف

أيها الأحبة، في (٢٠١٤) حين فتحنا عيوننا على وحش كاسر، وحوش بشرية تتقدم وتكتسح، وتنهار أمامها المنظومة العسكرية والأمنية في بلادنا، فرق عسكرية، جيوش، انهارت أمام أولئك البشر المتوحشين، ولم نجد أنفسنا إلا و(الدواعش) على

٤٠٢. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم خلال لقائه عشائر المشخاب في النجف الأشرف بتأريخ ١٠/ ١٢/ ٢٠٢٠.

أسوار بغداد و(٤٠٪) من أرض العراق تحت سطوتهم وظلمهم وجورهم واحتلالهم، فكانت الفتوى التي أطلقها الإمام السيد السيستاني (دام ظله)، وكانت الهبّة لعشائرنا الكريمة بأبنائها ورجالها وشيوخها حينما تصدوا على نطاق واسع، وتلك البيادق والرايات التي خرجت من قبائل وعشائر العراق لتدافع عن الأرض والعرض، ولاحظنا كيف تحول هذا التحدي إلى فرصة كبيرة، والله (سبحانه وتعالى) يقول في كتابه الكريم ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥﴾[٤٠٣]، (مع العسر) وليس (بعد العسر)، العسر واليسر بينهما معية، وجهان لعملة واحدة، وفي ذلك درس عظيم شهدناه في هذه الملحمة لأبناء شعبنا، كيف تحول التحدي إلى فرصة؟، وكيف تحولت لحظة الانكسار إلى منطلق للعزيمة والشموخ والانتصار؟، وكيف تحولنا من حالة رد الفعل والتصدي للهجمات المتواصلة للإرهابيين إلى حالة الفعل والهجوم والمبادرة؟، وكيف استطعنا في غضون أربع سنوات أن نهزم هذا الوحش البشري الكاسر بما يحمل من عقيدة منحرفة ومن سلوك مشين وننقذ شعبنا وأرضنا من دنس الإرهاب (الداعشي)، وفي مثل هذا اليوم قبل ثلاث سنوات أعلن الانتصار على (داعش)، وأصبحت من الماضي، لديها خلايا تتحرك هنا أو هناك تحاول أن تعبّر عن نفسها بشكل من الأشكال ولكنها ما باتت ذلك الوحش المخيف.

وسائل ثلاث

نتذكر جميعًا وسائل (داعش) الثلاث في البداية، (العبوات)، كانوا بارعين في زراعة آلاف العبوات، حيث يضع الإنسان رجلًا تنفجر عبوة، و(الهاونات)، كانوا دقيقين في الإصابة بهذه الهاونات، و(القناصات)، كانوا بارعين أيضًا في تسلق النخيل والأشجار والاختباء والقنص.

والوسائل الثلاث لم تكن معهودة ومعروفة للعراقيين، لا لجيشنا، ولا لشرطتنا، ولا لعشائرنا، فحينما يدخل المقاتل إلى ساحة المعركة تنفجر الألغام الأرضية عليه، وحينما ينسحب في مكان، يتعرض إلى قصف بالهاونات، وحينما يتقدم يقنصه القناصون المختبئون، وهكذا كان يتساقط الشهداء، ونتعاطى مع أشباح لا نرى أحدًا، هكذا بدأت المعركة ثم تطورت الأساليب والتكتيكات وتحولت إلى سيارات مدرعة مفخخة وغيرها من الأساليب، قبل أن تنكشف وتتضح وسائل وأساليب العدو وأصبحنا

٤٠٣. سورة الشرح: الآية ٥

قادرين على مواجهته والتقدم، وصولًا إلى لحظة انهياره الكامل وانتصارنا العظيم في الموصل الحدباء في مثل هذا اليوم.

في ذلك درس كبير، التحدي مهما بدا كبيرًا، الخطر مهما بدا عظيمًا، الإشكاليّة التي تقف أمامنا مهما بدت متعملقة، فإننا نتوحد ونتكاتف ونستجمع قوانا ونوحد صفوفنا ونجمد خلافاتنا ونوحد هدفنا تنهار هذه المشاكل وتتفكك أمام إرادة الشعب العراقي.

كان للعشائر والقبائل وقفات كبيرة على مر التأريخ، أبرزها وقفتهم في ثورة العشرين، وفي انتفاضة شعبان سنة (١٩٩١)، و في مواجهة (داعش) وتلبية نداء الفتوى المقدسة بالدفاع عن الأرض والعرض.

فهنيئًا لكم أيها الأحبة هذا التأريخ الناصع، هذا الصمود، وهذه التضحيات، وهذا العطاء، في الدفاع عن أرضكم وعرضكم وبلادكم.

النظرة الموضوعية

أيها الأحبة لاحظنا خلال السنة الماضية تطورات في واقعنا الاجتماعي، أبناؤنا وشبابنا خرج البعض منهم ليعبر عن غضب تجاه الأوضاع السائدة في البلاد، كانت منطلقاتهم شريفة ونبيلة ووطنية، كانت اندفاعاتهم تحت شعار (نريد وطن)، أرادوا أن يستعيدوا الوطن، أرادوا أن يغيروا ويطوروا في هذا الوطن، وكما هو في أي حراك نبيل وشريف تدخل الأجندة تحاول أن تحرف المسار، وتحاول أن تستغل الظروف، وتحاول أن تركب الموجات. فجاء أولئك الممولون بأموال السفارات، وجاء ذوو الأجندات الخاصة، وجاء بعض ممن له انحرافات أخلاقية، وما إلى ذلك. وحاولوا أن يأخذوا هذا الحراك الشعبي إلى الأطر والأهداف التي يحملونها هم، وليس الشباب من أبنائنا الوطنيين، ووقفت المرجعيّة العليا لتميز بين حراك شعبي وفرت له الغطاء ودعمته وساندته وطالبت الجميع بحمايته، وبين تلك المجموعات ذات الأجندة الخاصة، وحاولت أن تعزلهم عن أبناء شعبنا، ثم بدأ تفسير هذه الظاهرة من شخص لآخر، البعض يرى أن هذا الحراك إيجابيّ، هؤلاء الشباب كانوا في مساحة كبيرة منهم مهتمين بشؤون بلادهم، مهتمين بأوضاع بلدهم، منكسرين محبطين، حتى في انتخابات (٢٠١٨) الكثير منهم لم يشارك، هؤلاء الشباب تحولوا إلى شباب مندفعين راغبين بأن يصنعوا لأنفسهم وطنًا ومجدًا، وهذا شيء يستحق الكثير من الإشادة والإعجاب، وتعرفون أنا شخصيًا من أولئك الذين ينظر إلى هذا الجانب الإيجابيّ والوضّاء وهو واسع ومهم في

هذا الحراك، وفي قبال ذلك هناك من لاحظ ذوي الأجندة والانحرافات والشعارات الخاطئة والانفعالات غير المنضبطة وقطع الطرق والشوارع و غيرها من الممارسات، وحاول أن يشيطن كل هذا الحراك وينظر له بسلبية.

والحقيقة هو أن نصف الحراك كما هو، فيه مساحة مهمة من الشباب الوطني الذي يحمل الكلمة حقا ويجب أن يُسمع، ويجب أن يأخذ دوره، وبين تلك المساحات التي وقعت في أخطاء، ويجب أن تُفرز وتُعزل عن مسار الحراك وأن لا نسمح بأن يُفسَّر كل هذا العمل الشعبي والشبابي بأولئك، وأن يؤخذ بجريرتهم.

اليوم أهلنا في كُردستان أيضًا لهم حراك مشابه، وهناك مسيرات واحتجاجات تحصل كما تعرفون، ونرى أن نفس ما حصل في الحراك في مناطقنا الجنوبية بأخطائه أيضًا يكاد يكون حاصلًا في تلك المناطق، ولذلك نعبر عن تضامننا مع أبناء شعبنا في كل مكان، وعن شبابنا الذين يخرجون ويطالبون بتصحيح الأوضاع، هذا حقهم، الدستور كفله لهم، ويجب أن يصان هذا الحق، وأن يُسمح لكل شخص له رأي أن يخرج أو يعبر عن رأيه بطريقة سلمية، ولكن أجندة استخدام العنف واستهداف الممتلكات العامة والخاصة، هذه الأمور يجب أن تُبعد عن مسيرة الاحتجاجات والتظاهرات، سواء من الأجهزة الأمنية أم ممن ينسب نفسه إلى التظاهر، وهكذا يجب أن نكون موضوعيين في التعاطي مع أي حراك شعبي يحصل في بلادنا.

العشائر تضبط الإيقاع

أيها الأحبة.

ونحن هنا حيث التأريخ والأصالة، وهذه القبائل التي تركت بصمة واضحة في تأريخ العراق في أمد طويل علينا أن نستذكر دورها التأريخي، تماسك مجتمعنا، وحدة مجتمعنا إنما هي بهذه العشائر.

العشائر بما تمتلك من أعراف وقيم نبيلة سليمة، بما تمتلك من ثقافة توجدها بين أبنائها، تجعل المجتمع ممسوكا لا يُخشى منه؛ لأنه قائم على العادات والأعراف والقيم النبيلة، حتى لو تحصل اندفاعات معينة انفعالات في لحظة ما سرعان ما تستوعب العشيرة أبناءها وتحتضنهم، وتذوب وتفكك هذه الإشكاليّات في سلوك هذا الشاب أو ذاك. وإذا ما وصلت العشيرة إلى طريق مسدود مع أحد أبنائها، فلا يصلح أمره ولا يرعوي تتبرأ منه، وبالتالي السياق العشائري، الأعراف العشائرية، التقاليد العشائرية،

العلاقات العشائرية، تضبط إيقاع المجتمع، وتجعل منه مجتمعًا قويًا وفاعلًا، وهذا مكسب كبير للعراق، البعض يزهد به، البعض يعتقد أن الحالة العشائرية تتقاطع مع الحالة المدنية وبناء الدولة، وما شابه، وهذا كلام غير صحيح، وهو كلام نابع من أناس لا يعرفون تأريخ هذا البلد، هكذا كان العراق شامخًا وقويًا بهذه العشائر. وكلما استطاعت هذه العشائر أن تعبر عن رأيها وتتفاعل بشكل أوضح في مسار الأحداث العامة في البلاد كانت رائدة ومؤثرة في مسار الأحداث واستطاعت أن تضبط الإيقاع، وكلما ضعفت العشيرة وتم الضغط عليها زادت المشاكل عندنا في البلد.

نحن اليوم ومن أجل أن تأخذ العشائر والقبائل مكانتها الطبيعية ودورها الطبيعي أعتقد بأننا أمام العديد من الأولويّات:

الأولويّة الأولى/ قراءة الواقع

نحن معنيون بقراءة الواقع، شيوخ وأمراء وسادة ووجهاء العشائر عليهم أن يقرأوا الواقع الذي نعيشه اليوم بما فيه من تحديات وفرص يمكن أن تستثمر بشكل صحيح، يجب أن نقيّم الإمكانيات المتاحة وكيفية استثمارها وتوظيفها بالشكل الصحيح، عندنا الكثير من الإمكانيات، أمامنا الكثير من الفرص تمكّننا من مواجهة التحديات بشكل واضح، لكن نحتاج أن نعرفهن ونحصيهن ونستثمرهن ونوظفهن ونفعلهن حتى يتحقق ذلك.

نحن اليوم أمام مفترق، كالشخص الذي يسلك طريقا و يصل إلى مكان بمفترق طرق عليه أن يأخذ المسار الأيمن أو الأيسر، نحن واقعنا السياسي الاجتماعي اليوم أمام مفترق طرق، علينا أن نختار أحدهما، إما أن نذهب إلى الفوضى واللا استقرار واللادولة، وكل يستقوي بما لديه من مال وسلاح وتأثير وعلاقات، وكل واحد يضع يده على شبر من أرض ويدّعي أنها له، ولا يسمح لأحد بالاقتراب منه، عند ذلك سنصبح أمام كانتونات، ومجموعات، وأطراف سياسية أو عشائرية، هذه ليست دولة، هذه مجموعات تريد أن تمسك الأمور ومصالح الناس، هذا منهج، وهناك منهج آخر وطريق آخر هو طريق الدولة، بناء الدولة، تحقيق الاستقرار، احترام القانون، احترام هيبة الدولة، الالتزام بالقوانين التي تجعلنا كلنا نعيش بأمان وسلام، هذا الطريق الآخر، طريق اللادولة طريق يعتمد على تفقيس الأزمات، يخرجك من أزمة ويدخلك بثانية وثالثة ورابعة وخامسة، يمين ويسار أزمات، ومشاكل، والمواطن حائر بنفسه، من أزمة إلى أخرى، هذا منهج اللا استقرار، ومنهج الدولة وبناء الدولة هو منهج تصفير

الأزمات، كيف نحل للأزمات ونوجد استقرارا مجتمعيا؟ وكيف نجعل الحياة تستعيد رونقها؟، منهج تفقيس الأزمات ومنهج تصفير الأزمات، منهج اللادولة ومنهج الدولة، منهج اللا استقرار ومنهج الاستقرار، طريقان، ولكل من هذين الطريقين قوى لها سلوكها ومواقفها وخطابها وبرامجها وخططها، فهناك قوى اختارت المسار الأول وقوى اختارت الثاني.

أين العشيرة من هذين المنهجين؟، أين قبائلنا لتحدد موقفها هل هي مع الدولة أو مع اللادولة؟ هل هي مع الاستقرار أو مع اللا استقرار؟ نحتاج أن نشخص ونحسم، الأدوار تُنتزع ولا تُمنح، والعشيرة إذا أرادت أن تكون فاعلة ومؤثرة في المجتمع فعليها أن تختار وتقف وتتحمل المسؤولية، وتدفع البلد بهذا الاتجاه،

إما نذهب ونتسابق على السلاح وفرض إرادتنا، أو نتسابق على تقوية الدولة، هل نضعف الدولة لنقوى أو نقوّي الدولة ونستقوي بها وبسياقاتها؟ هناك من يقوى على الدولة، وهناك من يقوى بالدولة، وفرق كبير بين من يقوى على الدولة ومن يقوى بالدولة، منهجان، طريقان، علينا أن نختار أحدهما.

وأعتقد ألا خيار إلا بناء الدولة، ولا خيار إلا بتماسك البلد، ولا خيار إلا بوحدة العراقيين، ولا خيار إلا بإنهاء الأزمات، ولا خيار إلا بإيجاد الاستقرار ليعيش الناس كما يعيش الآخرون في أوطانهم، وهذا الخيار متاح وممكن، ولكن فيه صعوبات، ويجب أن نتحملها ونبني الدولة.

هذا الأمر الأول، قراءة الواقع، وتشخيص الموقف المطلوب، ونحن على مفترق طرق في هذه اللحظة التأريخية الحاسمة من واقع العراق.

الأولويّة الثانية/ تطوير الواقع وإصلاحه

البعض يقول لك ليس بالإمكان أفضل مما كان، لا نستطيع أن نفعل شيئًا، وهذه لغة العاجزين، لغة المنكسرين، نحن بإمكاننا أن نكون أفضل مما نحن عليه، لكن ذلك يتطلب عملًا، يتطلب وقفة وتحملًا للمسؤولية، نحن بإمكاننا أن نطور الواقع ونصلحه، الله (سبحانه وتعالى) يقول في قرآنه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٤٠٤]، التغيير يبدأ من عندنا، نتيجة الحراك الشعبي، واعتراضات الناس، المرجعية العليا دعت إلى انتخابات مبكرة، والناس تبنت موضوع الانتخابات المبكرة،

٤٠٤. سورة الرعد: الآية١١

وعدد من القوى السياسية دعموا الانتخابات المبكرة، والحكومة ذهبت باتجاه تحديد موعد الانتخابات، وتعرفون أن الحكومة انتقالية مهمتها الأساسية الانتخابات المبكرة.

هذه الانتخابات فرصة، فلا يجوز أن نقول ما الفائدة من المشاركة؟ وما التغيير الذي سيحصل؟ ثم ترجع إلينا نفس الوجوه، الله تعالى يقول ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ فإذا لم نخرج للانتخابات فعلينا ألا نندب حظنا، ولا نشتكي لاحقا، هذه فرصة، يجب أن نذهب ونغير ونطور ونختار من هو أهل ومن هو جدير بأن يخدمنا ويغير أوضاعنا.

وهنا أيضًا يوجد منهجان، هناك منهج يثبط الناس عن المشاركة لكي يخرج جمهوره فقط فيحصل على مواقع أكبر ودور أكبر، لأن الناس حينما تصوت بشكل واسع سيقل دور القوى المنظمة، وحينما لا تشارك بنسبة عالية سيزداد دور القوى المنظمة و تقل فرص التغيير، لذلك نحن نحتاج إلى مشاركة واسعة وفاعلة، نخرج للانتخابات ونشجع الآخرين على المشاركة، ونؤثر عليهم ونقنعهم، هذه المشاركة تسمى(مشاركة فاعلة)

ويجب أن تكون المشاركة (مشاركة واعية)، فلا نخرج بكثافة فقط، بل نعطي الصوت لمن يستطيع أن يصلح أوضاعنا، يجب أن ندقق ونختار المؤهلين لبناء الدولة.

في كل انتخابات هناك (الخيار الأسهل) وهو إعطاء الصوت، للقريب أو الصديق أو ابن المنطقة، وهناك (الخيار الأصوب)، وهو إعطاء الصوت للأصلح الذي يستطيع أن يخدم أكثر، علينا أن نختار الخيار الأصوب، وليس الأسهل، وندقق في هذا الاختيار، ونتحمل مسؤوليته، علينا أن نصنع المستقبل بأيدينا، مستقبلنا نصنعه بأيدينا، بمقاساتنا، إن لم نصنع مستقبلنا بأيدينا علينا أن نتقبل أن الآخر يأتي ويصنع لنا مستقبلًا، والآخر يصنع مستقبلنا بمقاسات مصالحه، برؤيته، وليس على وفق رؤيتنا ومصالحنا، فنحن ليس لدينا خيارات، إما أن نصنع مستقبلنا بيدنا، أو نسمح للآخر أن يتدخل في شؤوننا ويصنع مستقبلنا بيده وبمصالحه، نحن أمام مسؤولية تأريخية شيوخنا الأعزاء.

الأولويّة الثالثة/ حماية التجربة

هذه تجربتنا العراقية، هذا بلدنا، هذا نظامنا، يحتاج أن نحميه، جلد الذات، تعميم السلبيات (كلهم سراق)، من كلهم؟ أليسوا أبناءنا؟، منطق التعميم السلبي ليس منطقًا علميًا، نحن في المشخاب هل الجميع ملائكة؟ هل الجميع شياطين؟ لا هذا صحيح ولا ذاك، أي تعميم ليس علميًا وليس صحيحًا، نحن وقعنا في هذا التعميم السلبي،

أغرقونا في إبراز السلبيات وتصغير وتحجيم الإيجابيّات، حرموا هذا الشعب حتى أن يفرح بمنجز من منجزاته، حرموا هذا الشعب حتى فرحة الانتصار على (داعش). العالم كله مندهش ونحن نسخف ونهون ونقلل من قيمة الإنجاز، يستكثرون على العراقيين أن يفرحوا بإنجازاتهم، أخطر شيء علينا هذا التعميم، لا نرى إلا السلبيات و الأخطاء. وهناك سلبيات وهناك أخطاء يجب أن نؤشر عليها، ونصححها، لكننا يجب أن نحمي التجربة، ونفرح بإنجازاتنا ونعتز بها، صيانة الديموقراطية وحماية الحريات، والمحافظة عليها، وحماية المشروع من الدخلاء أمور أساسية.

يا شيوخ ووجهاء، يا سادة، احذروا من سرقة الوطن، هناك من يريد أن يسرق البلد بقوة السلاح، وهناك من يريد أن يسرق بالمال الفاسد، وهناك من يريد أن يسرق بالعنف المسيس المصطنع. وهناك من يسرق الوطن بالخطاب المتشدد، يضرب الناس بعضهم ببعض، يخلق العداوات بين الناس، داخل القبيلة، بين قبيلة وقبيلة، بين منطقة ومنطقة، بين مكون ومكون. يجب أن نكون حذرين جدًا. الوطن يسرق منا بهذه الوسائل.

الأولويّة الرابعة / الأمن الانتخابي

يجب أن تكون هناك فرص عادلة للجميع للترشيح بلا تهديد، بلا تخوين، وثم الناس تختار، تسمع من المرشحين وتخترامن تراه مناسبًا، وهي تتحمل مسؤولية خيارها، هذا الأمن الانتخابي، أنا لا أتحدث عن حالة أمنية، وسلاح، وشرطي يقف في المركز الانتخابي، الأمن الانتخابي الأهم هو أن يكون فضاء البلد، مناخ البلد، مساعدا للجميع ليعبر عن آرائه بشكل حر، والناس هي التي تختار.

الأولويّة الخامسة/ النجاح

شيوخنا الأكارم، سادتنا الأفاضل، كانت الأحزاب في الانتخابات السابقة قرابة المائتين، واليوم وصلت إلى (٣٠٠)، (٣٠٠) علم، (٣٠٠) طموح، وكل حزب يريد وزارة، ومجلس الوزراء (٢٢) وزارة، حكومة بهذه الطريقة الفضفاضة ماذا تقدم من خدمة؟

كان مبرر جمع الشيعة في قائمة واحدة أنهم خائفون، وكذلك السنة والأكراد، الحمد لله عبرنا هذه المرحلة، الآن هل نبقى بنفس الاتجاه والناس لا تحصل على الخدمة التي تحتاجها؟ هل هذه معادلة نجاح؟ هذا صراع يمنع الحكومة من خدمة الناس

كيف نبني معادلة النجاح ونخلص من هذا الواقع؟ هل نحل هذه الأحزاب؟ أمريكا عدد نفوسها ثلاثمائة مليون، قارة كاملة، فيها حزب جمهوري وحزب ديمقراطي، ونحن لدينا ثلاثمئة حزب، هذه فوضى. كيف نضع معادلة النجاح ونجعل القوى السياسية تركض حتى تخدم الناس؟

تقديرنا ورؤيتنا (التحالف العابر للمكونات)، مجموعة من قوى شيعية وسُنية وكُردية وتركمانية ومسيحية يشكلون قائمة يقابلها تحالف ثان من نفس المكونات.

نصبح أمام تحالفين كبيرين في كل منهما كل العراق، شيعة، وسُنة، وعرب، وكرد، و تركمان، ومسلمون، ومسيحيون، وصابئة، وإيزيديون، وبالتالي لا يمكن لأي منهما أن يطرح شعارًا مذهبيًا أو طائفيًا أو قوميًا، فيتحدثون بما يخدم الناس، برنامج لخدمة الناس.

بعد الانتخابات التحالف الذي يحصل على الأغلبية يشكّل الحكومة، وتوزع الرئاسات الثلاث على الشيعة والسنة والكرد الذين هم داخل التحالف الفائز، والتحالف الآخر يكون معارضًا، وفيه أيضا الشيعي والسُني والكُردي.

المعارضة يجعلون فريق الحكم تحت الرصد، الفريق الحاكم يركض ليل نهار حتى يخدم، حتى ينفذ ما قاله، حتى يرضي الناس، حتى يرجع الناس ويصوتون له من جديد، وفريق المعارضة عيون على الأخطاء، وبذلك نخلق حالة التنافس الإيجابي، التنافس على تقديم ما يخدم الناس.

التحالف العابر للمكونات هو المدخل لخلق معادلة النجاح، وفرز المناهج، وتقسيم القوى السياسية، موالاة ومعارضة، اللهم اشهد أني قد بلغت.

شكرًا لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المؤتمر العام لنقابات العمال في العراق[٤٠٥]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أحييكم أجمل تحية، وأشكر لكم دعوتكم للمشاركة في المؤتمر العام لنقابات العمال في العراق، وأتمنى لمؤتمركم النجاح والوقوف على احتياجات شريحة العمال المهمة..

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز..

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١﴾[٤٠٦].

صدق الله العلي العظيم

كان نبي الله داود النبي الملك يخرج إلى الناس متخفيًا يسأل الناس حالهم، إلى أن صادف أحدهم فسأله قال: ما تقول بداوود قال: كل شيء فيه حسن إلا أنه يأكل من بيت المال.

فدعا داوود ربّه فألان له (جلّ وعلا) الحديد ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ أي دروعًا مقدرات بالمسامير.

---

٤٠٥. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في المؤتمر العام لنقابات العمال في العراق في فندق عشتار ببغداد بتأريخ ٢٠/ ١٢/ ٢٠٢٠.

٤٠٦. سورة سبأ: الآية ١٠-١١

كما أن نبينا محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال «ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده»[٤٠٧].

إنصاف العامل إنصاف للمجتمع

إخوتي وأخواتي الكرام..

أن مفردة (العمل) وردت في القرآن الكريم في أكثر من ثلاثمائة وستين موضعًا، وفي أغلب الموارد القرآنية وُصف العمل بـ (الصالح)، وفي موارد أخرى اقترن بالإيمان ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[٤٠٨]، وهذا التوكيد اللفظي يدلل بما لا لبس فيه على قيمة العمل، وقيمة العامل في الإسلام، وفي جميع الديانات السماوية.

إن شريحة العمال تمثل الشريحة الأهم في المجتمعات الحديثة، وإنصاف العامل إنصاف المجتمع، فلطالما لعبت هذه الشريحة دورًا في صناعة الأنظمة السياسية، وتشكلت على أثرها الأحزاب والنقابات، وخصص للعمال يوم عالمي تحتفل به البشرية على اختلاف مشاربها وثقافاتها.

إن العمل في العراق مرَّ بمراحل عدة، كان الأغلب منها مأساويًا على شريحة العمال، حينما جُيّر عرق الجبين لخدمة الآلة العسكرية والحروب العبثية فخسر العراق جراء ذلك الكثير من طاقاته العمالية التي مثلت ميزة من ميزات المجتمع العراقي حينما كانت الصناعة العراقية رائدة بين صناعات المنطقة ومؤهلة لأن تكون من بين الصناعات المتقدمة في العالم.

إخوتي وأخواتي الأعزاء..

لم تقف معاناة شريحة العمّال عند عبثية الدكتاتورية، فمرحلة ما بعد (٢٠٠٣) لم تكن مثالية على هذه الشريحة، وساهم في ذلك غياب الفلسفة الاقتصادية الواضحة واستفحال الدولة الريعية بالاعتماد على النفط كمصدر دخل أوحد، وحاولت الحكومات السابقة إيجاد المعالجات اللازمة وتحقق ما تحقق إلا أنه يبقى دون مستوى الطموح ولا يلبي الرغبات أو يشبع الطاقات المعطلة.

إصلاح بيئة العمل

إن العراق مجتمع شبابي، وإن عمر الشباب هو العمر المثالي للعامل دون بخسٍ لطبقة المخضرمين من العمال أصحاب الخبرة والدراية.

---

٤٠٧. كنز العمال: ٩٢٢٣

٤٠٨. سورة البقرة: الآية ٦٢

إن استقطاب الشباب في مجال العمل لا بُـدَّ أن يكون على رأس الأوليات، وكما أن المجتمع الشبابي يمثل فرصة فهو يمثل تحديًا من زاوية أخرى.

علينا أن نشجع على العمل، وأن نذّكر بقيمة العمل، فكلنا نحفظ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قبّل يدًا قد تشققت من قسوة العمل، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ (هذه يد يحبها الله ورسوله).

علينا أن لا نخجل من العمل، وأن لا نخجل من عنوان العامل، وأن نجعل بدلة العمل مساوية من حيث الاحترام والتقدير للبدلات الأخرى؛ لأن الأزياء لا تعني شيئًا، وإنها مهما تقدمت وتأنقت وتعطرت فهي نتاج جهد وتعب العامل، فهو صانعها وحائكها، كما يتطلب ذلك الوقوف عند حق العمل الذي كفله الدستور العراقي، فالحكومات والأنظمة تضمن حق العمل، وعلى الشباب أن يطالبوا بحقهم الدستوري والقانوني.

إن الحكومات ملزمة بإصلاح بيئة العمل، كما نعتقد أن إصلاح بيئة العمل يمثل مدخلًا مهمًا لاستيعاب الشباب وتحريك المصانع المعطلة الحكومية ومصانع القطاع الخاص، ونعتقد أن بيئة العمل المثالية تتطلب ما يأتي..

أولًا: إعادة النظر بساعات العمل وبالحد الأدنى من الأجور كي يكون الحد الأدنى كفيلًا بتحقيق العيش الكريم للعامل ومن يعيله.

ثانيًا: النظر للعمال باحترام وتقدير وتحويل ذلك إلى ثقافة مجتمعية من خلال المناهج الدراسية والحملات الإعلامية التي تنصف العمل والعامل على حد سواء.

ثالثًا: إعادة النظر بمخرجات المعاهد المختصة كمعهد إعداد المدربين ومعهد التكنلوجيا والمعاهد الفنية وإعداديات الصناعة وتثقيف الشباب العراقي على أن هذه المعاهد تمثل رافدًا أساسيًا لسوق العمل، وأن دراسة العلوم الصناعية لا يعني أنها أقل شأنًا مقارنة مع العلوم الأخرى.

رابعًا: إعادة النظر بقانون الضمان الاجتماعي وإلزام أصحاب المصانع والمعامل بدفع مستحقات الضمان الاجتماعي مع تعريف العمال بحقهم في ذلك؛ لأن كثيرًا من العمال يجهلون استحقاقاتهم المالية.

خامسًا: حصر العمالة الأجنبية بما يحتاجه العراق خاصة في المهن التي لا يقدم عليها العراقي لاعتبارات نفسية واجتماعية.

سادسًا: دعم النقابات وحثها على ضرورة أن يكون لها ممثل في مجلس النواب من خلال دعم من يرونه مناسبا لذلك.

سابعًا: حث العاملين على إنشاء المشاريع الصغيرة ومنح القروض والمنح واعتماد آلية سداد جديدة باعتماد المنتج سبيلًا لذلك، فالقرض هدفه صناعة بيئة عمل وليس عملية تجارية ربحية بحتة.

أما ما يتعلق بالحكومة ومؤسسات الدولة لإصلاح بيئة العمل إصلاح وضع العاملين. فذلك يتطلب..

أولًا: إعداد الخطط الناجعة للتخلص تدريجيًا من ظاهرة الدولة الريعية أحادية الدخل من خلال دعم الاقتصاد وتحريك الصناعة والزراعة والاستثمار وباقي القطاعات.

ثانيًا: إعادة النظر بالمصانع المتوقفة عن العمل وإيجاد المعالجات اللازمة لتحريكها بالتعاون مع القطاع الخاص، كذلك دعم معامل القطاع الخاص المتوقفة عن العمل.

ثالثًا: توفير الكهرباء عبر استحداث محطات توليد خاصة بالمناطق الصناعية.

رابعًا: دعم المنتج المحلي وإلزام الدولة لمؤسساتها بشراء المنتج المحلي ومنع استيراد أي مادة أجنبية إن توفر ما يضاهيها محليًا.

خامسًا: دعم المصانع بالقروض الميسرة لإحيائها وإنشاء الجديد منها ومراقبة هذا الدعم كي يذهب إلى مستحقيه ويحقق المرجو منه.

سادسًا: العمل على احتراف الطبقة العمالية والكادر الصناعي من خلال التدريب والتطوير عبر برامج واضحة المعالم تتناسب مع معادلة العرض والطلب.

سابعًا: إلزام الشركات العاملة في العراق بنسب كبيرة من العمالة العراقية ومراقبة تشغيل النسب المنصوص عليها تعاقديًا ومنحها مزيدًا من الفرص كلما أسهمت الشركات باستيعاب المزيد من العمالة العراقية.

ثامنًا: التواصل المستمر مع النقابات والجمعيات والمنظمات المعنية بشريحة العمال واستضافة ممثليهم في جلسات لجان مجلس الوزراء أو لجان مجلس النواب للوقوف عند رؤاهم في المواضيع ذات الصلة.

إصلاح الواقع السياسيّ

إن إصلاح بيئة العمل وواقع العمال يتطلب إصلاح الواقع السياسي، فأغلب المعالجات التي طُرحت وسيطرحها مؤتمركم هذا تحتاج إلى إرادة سياسية قادرة على

تحمل المسؤولية، إذ إن بعض المعالجات تشبه التداخل الجراحي الذي يسبب الآلام في الطريق نحو الشفاء التام.

إن العراق مقبل على استحقاق انتخابي نعتقد بمصيريته وأهميته، ولا بُـدَّ أن تحظى الممارسة الانتخابية بمخرجات تتناسب مع الحاجة للذهاب نحو الانتخابات المبكرة، فالانتخابات وسيلة لتحقيق الإصلاح وليست غاية بحد ذاتها.

تحديات كبيرة

الأخوة والأخوات الأفاضل..

تصاحب الانتخابات المبكرة تحديات كبيرة، أهمها الأمن الانتخابي، وحرية الاختيار للمرشح والناخب في آن واحد، وإبعاد المال السياسي الفاسد والسلاح خارج إطار الدولة، مع ضرورة وضع حد لحملات التخوين والتسقيط.

إن الأمن الانتخابي ليس مسؤولية الحكومة وحدها، وإنما هو مسؤولية الدولة والمجتمع بكل فاعلياته وشرائحه.

إخوتي وأخواتي المؤتمرون أتساءل معكم كيف للعامل ورب العمل أن يحقق بيئة مثالية للعمل إن كان العراق أمام مفترق الدولة واللا دولة؟

كيف للمصانع أن تعمل في ظل وجود قوى تقوى بضعف الدولة؟

إن العمل والعمال معنيون بدعم مسار الدولة، المسار الكفيل باستعادة مكانة العراق إقليميا ودوليًا وبإعادة القطاعات الإنتاجية في البلد إلى وضعها الطبيعي، فهناك من يأنس بضعف الدولة كي يسيطر على مقدراتها ويسرقها من أيدي عمالها ونخبها وكفاءاتها. كما أن الفرز بين المنهجين يتطلب النظر إلى الأفعال لا الأقوال، فأي سلوك يضعف الدولة ويقوّي صاحبه هو سلوك اللا دولة، وأي سلوك يقوى بقوة الدولة هو سلوك الدولة، والأمر متروك لأصحاب الألباب ممن يرغبون بدولة كريمة.

المشاركة المطلوبة

إخوتي وخواتي..

اسمحوا لي في هذه المناسبة أن أصف شكل المشاركة الانتخابية التي من شأنها أن تخرج العراق من أزماته السياسية.

نريد مشاركة متصفة بالوعي والسعة والفاعلية، نريد مشاركة واعية باختيار الأكفأ والأصلح لإدارة المرحلة القادمة وواسعة بخروج الجميع وتحديث البطاقات البايومترية، وفاعلة بحث الناس على المشاركة لإحداث التغيير.

إن عدم خروج الناس إلى صناديق الاقتراع لن يلحق ضررًا بالقوى السياسية بقدر إلحاقه ضررًا مضاعفًا بمصير الناس والنظام السياسي، فهناك قوى تتمنى أن لا يخرج الناس إلى الانتخاب، وتعمل على تثبيطهم وبث الإحباط واليأس بين صفوفهم، فيما تهيئ جمهورها المنظم للمشاركة وحصد الأصوات.

أحبتي المؤتمرين، علينا أن نسأل أنفسنا ما الجديد في الانتخابات القادمة إذا ما خرجت ذات الكتل بأرقامها الحالية أو بتقدم طفيف لإحداها وتراجع لأخرى؟ وهل يمكن لمعادلة الأرقام فقط أن تحدث المتغير السياسي الذي ذهبنا من أجله للانتخابات المبكرة؟

نعتقد أن التحالف العابر للمكونات كفيل بتحقيق معادلة النجاح القائمة على تمثيل جميع المكونات وتقديم الأكفأ والأنزه والفريق المسؤول عن النجاح والفشل، كما أن تشكيل التحالف العابر سيعني تشكيل تحالف مناظر له من كافة المكونات وبالإطار ذاته، وعندها نكون قد وصلنا إلى ثنائية الموالاة والمعارضة، ومكّنا الحكومة من التحرك، وأوجدنا جوًا رقابيًا معارضًا داخل مجلس النواب.

أشكر لكم حسن الاستماع، وأتمنى لشريحة العمال المزيد من التألق والازدهار

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

التنوع الديني والعرقي[٤٠٩]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين الميامين

التنوع مصدر قوة وثراء

الحضور الكرام المحترمون. .

في البداية نشكر القائمين على هذه الندوة لحسن الاختيار لموضوعة (التنوع الديني والعرقي) لأهميته الفائقة في هذا الظرف الاستثنائي الذي يمر به العراق.

وحيث يصنف العراق تأريخياً كأحد أبرز البلدان ذات التنوع الكبير عرقياً ودينياً ومذهبياً، فإنَّ هذا التنوع يعدُّ من موارد قوة البلاد، و ليس من مكامن ضعفها كما يروج البعض مخطئين.

وحين ينظر البعض لهذا التنوع و التعدد من منظار ضيق، فإنما يُمنّي النفس بأن يكون جميع العراقيين من عرق أو دين أو مذهب واحد وقد يَرَوْن في ذلك نقطة قوةٍ للبلاد، من حيث الانسجام الاجتماعي و التماسك السياسي وسهولة الحكم وسرعة اتخاذ القرار وغير ذلك، وفضلاً عما يتصف به هذا التفكير من العنصرية والتعصب وضيق الأفق فإنه يحمل إشكاليّاتٍ عديدةً، أهمها ما يأتي:

١-إنه لا يتلاءم مع عصرنا الراهن، حيث تتقلص المسافات ويتضاعف التواصل الاجتماعي العالمي ويتفاعل حوار الحضارات و تتقارب الثقافات.

٤٠٩. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ندوة اقامها مركز النهرين للدراسات في بغداد بتأريخ ٣١/ ١٢/ ٢٠٢٠.

فلم يعد الإنسانُ كما كان قديماً أو قبل قرونٍ من الآن، محكوماً بمساحات جغرافية محددة تنغلق على الذات أو على الجماعة الواحدة و الفكرة الواحدة والثقافة الواحدة. إنَّ عصرنا هو عصر التواصل و التداخل والتقارب والانفتاح، فلا يمكن في ظل هذا الكم الكبير من وسائل التواصل العالمي أن نستكثر ذلك في مساحة محددة كبلادنا، مقارنةً بالعالم.

إنها سباحة غير مجدية أمام السيل الجارف من العلاقات والثقافات المتشابكة في هذا العالم.

٢-إدارة التنوع: فقد كان العالم في السابق يتحدث عن قيمة المساواة بين الناس وطنياً أو عالميا، بمعنى التساوي في الواجبات وفي الحقوق أمام القانون، الصبر والاعتياد على قبول الآخر، والتسامح الدائم والتأكيد على المشتركات، وكان النظر إلى ذلك كله من نوافذ الحقوق و القانون والتعاقد والأبعاد الأخلاقية، لإنجاح العيش المشترك وتخفيف الاحتقانات والانسدادات الاجتماعية.

ولكن عالمنا اليوم ينظر لما بعد مفهوم المساواة والتسامح والآخر، بخطوات، فالحديث اليوم يجري عن إدارة التنوع و استثماره كمفهوم متطور بات يتقدم على مفهوم المساواة.

إنَّ إدارة التنوع تعني أن لا يجب أن نكتفي باحترام الآخر والتسامح معه فيما يختلف فيه معنا، و لا تعني مجرد الصبر على تلك الاختلافات، بل العمل على تحويل ذلك التنوع إلى فرص حقيقية و استثمارها عملياً في تنمية المجتمع.

وإدارة التنوع تعني أيضا استثماره في تقوية المجتمع و الدولة عبر استثمار نقاط القوة في كل مفصل من مفاصلها.

وهنا نتحدث عن العراق بوصفه جسراً للتواصل الحضاري، لكونه محطةً لأقدم حضارة في المنطقة والعالم، فقد كانت بلادنا منذ الأزل ملتقى الأديان والمذاهب منذ الإبراهيمية والحنفية حتى يومنا هذا.

وعبر هذا التصور يتضح بأنَّ وجود الكورد في العراق هو نقطة ارتباطنا مع الكورد في المنطقة، و وجود السنة العرب هو نقطة تواصلنا مع الدول العربية و الإسلامية المجاورة لنا، و وجود الشيعة العرب هو نقطة تواصلنا مع الشيعة والعرب وإيران، مثلما التركمان مع تركيا، ومثلما مسيحيي العراق مع مسيحي العالم و هكذا. .

ومن هنا فإننا لا ننظر للسنة و الشيعة من منظار المساواة و التسامح والتعايش فحسب، بل من منظار الأهمية و استثمار نقاط القوة والمشتركات، وتعزيز التواصل و التحاور مع جيراننا و العالم.

وعندما يكون موئل التشيع في العراق فإن هذا التواصل يتضاعفُ أهميةً ودوراً، وعندما يضم العراقمراقدأرباب المذاهب الإسلامية الكبرى كالإمام أبي حنيفة النعمان وأقطاب الطرق الصوفية كالشيخ الكيلاني، وغيرهما، فذلك يعني أننا نتواصل مع مئات الملايين من الشيعة و السنة و الصوفية روحياً وعقيدياً ومعرفياً قبل أية خطوة أخرى.

وعندما نتحدث عن موطن النبي إبراهيم في العراق فنحن نحاور اليهود و المسيحيين و المسلمين في العالم من هذه النقطة بيسر وسلاسة أكبر.

وانطلاقاً من هذا الفهم فإن هذا التنوع يجب أن لا يبقى في حدود الدعوة إلى المساواة، بل يجب أن يتعدى ذلك إلى التعاون الشامل والتحاور الثقافي والتعاضد الاجتماعي.

٣-إنَّ التنوع والتعدد السياسيين إذا ما تمت إدارته داخليا بشكل صحيح، فإنه سينعكس مباشرةً على متانة القراراتَ وثراء الأفكار وعدم التسرع في اتخاذ القرار.

وتبقى هذه الإدارة بحاجة الى عملٍ دؤوب و تنضيج اجتماعي و سياسي حثيث و تثقيف وتدريب وتنشئة مستمرة.

إنَّ ادارة التنوع تعني كيف علينا أن نسمع لبعضنا؟ وكيف نحول هذا الحوار المعمق إلى قرارات موحدة؟، وكيف ننفذ هذه القرارات معاً عن قناعة و إرادة حرة؟.

وبذلك يصبح التنوع نعمةً لا نقمةً، وفرصةً لا تهديداً، ومغنماً لا مغرماً، و متانةً لا هشاشةً، و قوةً لا ضعفاً.

• إن تحقيق ما تقدم كله ممكن في العراق و في وقت قصير جدا.

ولعل كثيرين يعتقدون بأن المكونات الاجتماعية في العراق ستنهار أمام التعصبات الفئوية، وإنَّ الاحتكاكات ستستمر في بلادنا لعقود، ولكننا نشاهد بجلاء كيف يرمم المجتمع نفسه في غضون سنين قليلة وكيف بات التقارب اليوم أساس المشهد و كل من يريد خرق هذا التقارب يُتهم بالطائفية و العنصرية.

وتبقى هذه الخطوة بحاجة إلى تنضيج أكبر للانتقال إلى مرحلة (إدارة التنوع).

لقد طرحنا في تحالف (عراقيون) مشروع (التحالف العابر للمكونات) ونراه مدخلاً أساسياً لإدارة التنوع السياسي والاجتماعي.

فبهذه التحالفات الوطنية، سننتقل من مرحلة التقوقع و التفاهم السطحي إلى مرحلة التعاون و التعاضد الجمعي المشترك العميق.

وبهذا المنهج نتمكن من إدارة تنوعاتنا الاجتماعية سياسياً و حكومياً ومجتمعياً .

والنافذة الأخرى التي طرحناها هي (العقد الاجتماعي و السياسي الجديد) وكلنا نعلم أن العقد الحالي قد تمت بلورته في ظل لحظة تأريخية مربكة ومرتبكةٍ اجتماعياً و سياسياً مع تراكمات وحساسيات معروفة .

وبعد مرور هذه السنوات وبعد هذا النضوج الجمعي المكتسب ، نعتقد أنه حان الوقت لعقد اجتماعي وسياسي جديد ، ننتقل به من مرحلة المطالبة بالمساواة كمعادلة لصيانة الحقوق إلى المطالبة بإدارة التنوع كمعادلة استقرارٍ و ازدهارٍ وبناء لدولة عصرية عادلة ، قوية ومتنوعة .

ولا بد أن نتفاهم من جديد برؤيةٍ جديدة وفهم جديد ووعي جديد ، كل ذلك من أجل صناعة مستقبل آمن ومتين .

الحضور الكريم . . .

لا يمكن الحديث عن العراق ومكوناته والدولة مهددة في كيانها ومشروعها وصورتها ورمزيتها . وأتساءل معكم ، كيف يمكن حفظ المكونات في ظل تهديد الدولة والرغبة في إضعافها؟ كيف للمكونات أن تعبر عن نفسها وعن ثقافتها ومشروعها وهي ترى منهج اللادولة يهدد الجميع بما فيها المكونات الكبيرة؟ .

من المؤكد أن المنهجين (الدولة واللادولة) غادرا مرحلة الوصف و اقتربا من محطة الفرز بينهما ، وصار جليا من الأفعال لا الأقوال ما الذي يعنيه منهج الدولة والمنهج المعاكس له ، وعلينا أن نختار أي نموذج نريد؟ وأي نموذج قادر على حفظ العراق وتنوعه ومكوناته؟ .

إن وصول التدافع حد السب والشتم والتنابز بالألقاب باستهداف رجالات الدولة مؤشر خطير ، فالمسؤول لا يعمل بصفته الشخصية ، بل بصفته الاعتبارية ، فأي استهداف يرمي إلى كسر المسؤول وإضعافه وتقليل قيمته أمام الجمهور العراقي هو استهداف للدولة العراقية وعمقها الحضاري ومكانتها الإقليمية والدولية .

أيّ انتخابات نريد؟

أيها الأحبة :

الانتخابات على الأبواب ، لكن أي انتخابات نريد؟ هل نريد إضافة عددية للممارسات الانتخابية السابقة كي يقال خاض العراق انتخابات جديدة أخرى؟ أو أن الانتخابات بحد ذاتها ليست غاية إنما وسيلة لتحقيق التغيير والإصلاح؟ .

إن الانتخابات المبكرة مصيرية ومفصلية، وعلينا استثمارها للمضي نحو الاستقرار السياسي الذي يحقق الاستقرار الأمني ويبعث الروح في الواقع الاقتصادي ويحقق الرفاه ويشد الناس لوطنهم وأرضهم. إن تحقيق هذه الغاية يتطلب مشاركة واسعة، فلا يسقط التكليف الوطني عن أحد، والقانون يسمح بهامش كبير من التغيير وإحداث اختراق نوعي في الواقع النمطي الذي نعيشه..

كما أوجه ندائي إلى كل الكفاءات والنخب النزيهة إلى التعريف عن نفسها والتصدي وتحمل المسؤولية، وأدعو فعاليات المجتمع من كل المكونات إلى دعم هذاالمسار وفسح الطريق أمام الأكفأ للوصول إلى مراكز صنع القرار التشريعي والتنفيذي.

إن الأمن الانتخابي الذي نريده ليس مفردة أمنية بحتة، فنحن لا نتحدث عن حماية مراكز الاقتراع والأطواق الأمنية، فهو أمر مفروغ منه، وإنما عن الإطار الحافظ لرغبات الناس واختياراتهم، سواء كانوا مرشحين أو ناخبين، إطار يحفظ خيارات الناس من التزوير والمال السياسي والتسقيط السياسي، وبدون الأمن الانتخابي لا يمكن الحديث عن انتخابات معبرة عن إرادة الناخب العراقي.

أجدد شكري وتقديري لإدارة هذه الندوة والمحاضرين فيها والحضور المتفاعل والمقتنع بأهمية المكونات وأثرها وأهمية العراق كدولة حامية وراعية لمصالح الجميع..

شكرا لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لقاء السيد عمار الحكيم مع عشيرة الظوالم / السماوة[٤١٠]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله لعالمين، أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

السيد المحافظ، السادة الأفاضل، الشيوخ الأكارم، الوجهاء، الإخوة الأعزاء بكل عناوينكم الكريمة وقبائلكم التي نعتز بها ولها مكانة كبيرة في قلوبنا، اسمحوا لي أن أعرب عن سعادتي وسروري للقائكم بهذا المضيف العامر مضيف عشائر (الظوالم) ومن كل القبائل والعشائر الكريمة الحاضرة، واسمحوا لي أن لا أعدد كي لا أقع في فخ نسيان أحد العناوين، وأقع في الإحراج، فكلكم عزيز على القلب، ولكم مكانة كبيرة في قلوبنا، نحن هنا في ديوان ومضيف عامر لأحفاد الشيخ (شعلان أبو الجون)، تلك القامة العشائرية الكبيرة التي عُرفت بنضالها وعطائها الكبير.

مئة سنة من العطاء

أنتم أيها الأحبة أحفاد أولئك الأبطال، يجمعنا معكم تأريخ ودماء ودموع وعطاء وتضحيات من أجل هذا الوطن، لم نصل إلى ما وصلنا إليه إلاّ بعد أن دفعنا فاتورة ضخمة، واليوم لسنا على الحال الذي نتمنى أن نكون عليه وأمامنا مشوار طويل، ولكن كما أننا تخطينا كل تلك التحديات والآلام والمحن بوحدتنا ووقفتنا وتكاملنا وتعاوننا فنحن قادرون بإذن الله تعالى أن نتخطى ما بقي، وأن نواصل المشوار حتى النهاية.

٤١٠. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم خلال لقائه عشيرة الظوالم / السماوة بتأريخ ٢٣/ ١٢/ ٢٠٢٠

من ثورة العشرين، إلى مواجهة الديكتاتورية، إلى مواجهة الإرهاب (الداعشي)، مئة سنة من العطاء والتضحيات والتأريخ، وهنيئًا لكم وهنيئًا لنا بكم.

كنتم في الصدارة، حملتم الراية، وتصدرتم المشهد، ومعكم قبائل وعشائر العراق، جزاكم الله عن العراق وأهله خير الجزاء.

لاحظنا في المرحلة الأخيرة، في السنوات الماضية، حين أطلقت الفتوى بالجهاد المقدس كيف هبت عشائر المثنى مع عشائر العراق وقدمتم قوافل الشهداء، وحقيقة في إحدى المرات حينما كنا نقارن بين عدد الشهداء، شهداء مواجهة الإرهاب مع النسب السكانية لاحظنا أن المثنى تحتل الصدارة، هنيئًا لكم بهذه الروحية، بهذا العطاء، بهذا النَفَس في الدفاع عن أرضكم ووطنكم وعرضكم ومقدساتكم والاستجابة إلى مرجعيتكم.

مبادرة جديدة

أيها الأحبة، كما ذكرتم، المثنى ليست على الحال الذي نتمنى، لا زالت هي من المحافظات الأشد حرمانًا بين المحافظات العراقية، في (٢٠١٣) أطلقنا مبادرة (رحاب المثنى) ووضعنا لها إطارًا علميًا بعشر نقاط، وبدأنا نعمل مع كل الخيرين من أجل تنفيذها، اليوم قد نُفذ جزء من تلك المبادرة وليس كلها، وكنا نتمنى أن نقف لننتهي من تلك المبادرة ونطلق مبادرة جديدة وخطوة جديدة، نقدر وتقدرون حجم الظروف والتحديات التي مرت بالعراق في السنوات الماضية، (داعش) الذي كنا نتحدث عنه للتو، ظروف مجتمعية، ظروف سياسية، تحديات أمنية، تحديات اقتصادية، انخفاض حاد لأسعار النفط استمر لسنين، وما إن تحسنت الأسعار لفترة قصيرة حتى عادت لتنهار من جديد، وحصلت الأزمة الاقتصادية، وجاءت جائحة كورونا لتضيف عبئًا إضافيًا للعراق وللمنطقة والعالم.

خطوات خمس

واليوم نشهد مشكلة كبيرة للاقتصاد العالمي والاقتصاد في المنطقة، ونجد أن العملة في دول كبيرة ومهمة في منطقتنا قد تراجعت وانهارت، وبقيت العملة العراقية قوية إلى حد كبير، نقدر الخطوة الأخيرة التي تمت في تعديل سعر الصرف للدينار وانعكاس هذا الأمر على الواقع الاقتصادي، ونعتقد إذا كان البنك المركزي مضطرًا للقيام بهذه الخطوة فلا بُدَّ للحكومة أن تقلل من أضرار هذه الخطوة بخمس خطوات أساسية على الأقل،

يجب على الحكومة أن تعمل عليها لتكون عملية تغيير سعر الصرف بأقل الخسائر وبأقل الضغوط على المواطنين.

الخطوة الأولى والأساسية: دعم الشرائح المعدمة الفقيرة ذوي الدخل المحدود ممن ليس له دخل، من ليس لديه عمل، العاطلين، يجب أن يخصص نسبة مهمة من فارق سعر الصرف لصالح هؤلاء الفقراء، وتقدم الرعاية الاجتماعية لهم والدعم لهم لتساعدهم على تحمل هذه الأعباء، فلا يجوز أن يتحمل العبء هذه الشريحة التي طالما ضحت وقدمت وكانت ولا زالت تعاني من جراء الواقع الاقتصادي الصعب الذي يمر بها.

الخطوة الثاني: ضرورة ضبط الأسعار، الفرق في سعر الصرف تغير بنسبة (٢٢٪) ولكن الأسعار ارتفعت، والبضائع أصبحت أغلى بنسبة أكبر من (٢٢٪) قد يصل إلى (٥٠٪)، وكل من يمتلك بضاعة وضع تسعيرة لها بعيدًا عن النسبة الواقعية التي تأثرت بتغيير سعر الصرف، وهذا غير مقبول، وعلى الحكومة أن تتخذ قرارًا مناسبًا وتلاحق أولئك الذين يحاولون أن يعتاشوا على ظروف الناس الصعبة.

اسمحوا لي من خلالكم أن أشكر مجلس القضاء الأعلى الذي أصدر إعمامًا اليوم وطلب من جميع القضاة والمحاكم أن تراقب وتساعد الأجهزة التنفيذية والأمنية في ضبط الأسعار من أجل أن لا ترتفع بطريقة يصعب السيطرة عليها فترهق كاهل المواطنين.

الخطوة الثالثة: ضرورة قيام الحكومة بسياسة تقشفية إلى أبعد الحدود في سلوكها وفي مصاريفها الخاصة.

يؤسفني القول إن الموازنة التي قُدمت لمجلس النواب لا يسجل لها هذا المستوى من التقشف المطلوب، فيها سعة، ونحن مع السعة في المشاريع الاستثمارية؛ لأنها تشغّل العاطلين وتنعش الاقتصاد وتحرك السوق وتوفر فرصا للمواطنين، وهذا جيد، لكن الميزانيات التشغيلية ما سوى الرواتب والضروريات الأمور غير الضرورية، الإنفاقات غير الضرورية، عناوين سائبة، وفيها مليارات، هذا لا يجوز، إذا كان المواطن يتحمل أعباء يجب أن يرى قبله الحكومة والمسؤولين الحكوميين يتحملون الأعباء أيضًا، وحسنًا فعل مجلس الوزراء في الموازنة حينما اقتطع نسبة كبيرة من مخصصات كبار المسؤولين والرئاسات الثلاث، حين يبدؤون من أنفسهم يصبح تحمّل الأعباء على الناس أسهل، فنحن بحاجة إلى سياسة تقشفية في سلوك الحكومة وفي إنفاقاتها بالشكل الذي يقنع الناس أن الضغط ليس عليهم وحدهم وإنما على الجميع.

الخطوة الرابعة: تفعيل القطاع الخاص، عندما ينزل الدينار يصبح المنتج الوطني قادرًا على أن ينافس المنتج المستورد، المنتج العراقي الزراعي، الصناعي، في أي شيء يكون سعره أعلى من سعر البضاعة المستوردة فلا يستطيع المنافسة، عمليًا تتوقف الكثير من المصانع كما هو حاصل الآن، الحكومة يجب أن تساعد وترعى وتدعم الزراعة والصناعة والاستثمارات المحلية والمشاريع الصغيرة وتساعد الناس على استثمار هذه الظروف لتحسين المعيشة ولتطوير الواقع الاقتصادي.

الخطوة الخامسة: مكافحة الفساد، الناس تتحمل الضغوط والفاسدون يأخذون من المال العام ويصرفونه كيفما يشاؤون؟ هذا لا يحق، ولا يجوز، ونحن نشد على يد السيد رئيس الوزراء أن يستمر بملاحقة الفاسدين ضمن سياقات القانون ودعم المؤسسات المعنية بهذا الشأن وضمن الإطار الصحيح، من سرق من المال العام عليه أن يعيده، إعادة هذه الأموال سيعطي دفعًا للاقتصاد العراقي، والحقوق لا تسقط بالتقادم، يجب أن تعاد هذه الأموال إلى خزينة الدولة وتصرف على الناس وعلى الفقراء.

هذه الخطوات الخمس إذا التزمت بها الحكومة ستوجد حالة من التوازن ونستطيع أن نعبر هذه الأزمة الاقتصادية، والمواطن سيعيش حياة أفضل، والطبقة الفقيرة والمسحوقة تتحسن أوضاعها بشكل أفضل، الذي عنده قدرة على الزراعة أو الصناعة أو إقامة مشروع صغير أو كبير أو أي مجال من مجالات الاقتصاد يستطيع أن يستثمر هذه الفرصة وينمّي إمكانياته.

توصيات خمس

أيها الأعزاء جئتكم من بغداد أحمل لكم خمس توصيات وملاحظات بتواضع أقدمها لكم وأرجو أن تحظى باهتمامكم حتى نستطيع أن نعبر هذه المرحلة بكل ما فيها من أزمات

الله (سبحانه وتعالى) في قرآنه يقول ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾[٤١١]، لا يقول (بعد العسر يسرًا) (مع العسر يسرًا)، هناك يسر مع العسر، والعسر واليسر وجهان لعملة واحدة، بعضنا بارع في وصف المشاكل، يعرف أن يصف المشكلة، وكلنا بارعون في وصف المشاكل التي نعيشها، لكن القليل منا بارع في وصف الفرص، هذا التحدي، هذه المشكلة، هذه الأزمة، كيف نحولها لصالح بلدنا؟ كيف نحولها إلى فرصة؟ هذا

٤١١. سورة الشرح: الآية ٥

هو الأمر المطلوب، كيف نستثمر التحديات ونحولها إلى فرص؟ كيف نحول المحن إلى منح إلهية لصالح شعبنا وبلدنا؟

أولًا : الحفاظ على الأعراف والتقاليد الأصيلة لهذه العشائر الكريمة

منذ آلاف السنين، إنها أعراف وتقاليد وموروث، هذه الأعراف ـ والتي هي في الأعم الأغلب متسقة مع الموازين الشرعية ـ تعطي للمجتمع حصانة، العالم اليوم كله ينتظر لقاح كورونا، لماذا اللقاح؟ يقال هذا اللقاح يعطي مناعة، الجسم بعدها يكون في مأمن من المرض، الله يقيكم جميعًا هذه الأمراض، المجتمع يريد مناعة، و لقاحه هو هذه التقاليد، لأنها تنظم المجتمع وتجعله متماسكًا قويًا قادرًا على العطاء، تجعل الكبير فيه كبيرًا ومحترمًا، هذا الشيخ، هذا السيد، هذا الوجيه، هذا الكبير، هذا الأب، في كل المستويات نحتاج إلى التشدد في هذه الأعراف وأن نبني أجيالنا على هذه الأعراف، هذا شيء أساسي ومهم جدًا.

من الطبيعي أن تذهب أجيال وتأتي أخرى، الشباب اليوم أمامهم تحديات لم تكن موجودة، السوشيال ميديا، وكل واحد هاتف بيده ويتعرف على ثقافات، ويتعرف على أمور، ويبدأ تدريجيًا يسرح وينحرف يبتعد عن سياق العشيرة والأسرة.

نحن أيضًا منشغلون عن أولادنا، فجأة نراهم لا يعترفون بالكبار، ولا يعرفون المقامات، ويتعاملون بطريقة تسيء لأنفسهم وتسيء للمجتمع.

أنتم أيها الشيوخ الأفاضل، كبار السن، الآباء، مررتم بكثير من هذه الموجات، المد الأحمر، موجة المد البعثي، وغيرها، شاهدتم كل موجة عاصفة ترابية ينتشر الغبار وتضيع بعض الأشياء وتشوش ثم تذهب الموجة و يخمد هذا الغبار، وترجع الأمور إلى نصابها، كلما كنا بارعين في السيطرة على هذا الغبار، على هذه الموجات، استطاع مجتمعنا أن يسير في الاتجاه الصحيح، اليوم نعيش موجة من هذه الموجات، موجة السوشيال ميديا، وعدم احترام الآباء والشيوخ والرموز والمقامات، موجة تريد أن تسوق شعار (لا خصوصية لأحد)، وهذا شيء غير واقع، لا العقل ولا المنطق يقول هذا، يجب أن نقف ونتحمل مسؤولياتنا ونذكّر أجيالنا ونربيهم على هذا الموروث وهذه العادات والأعراف الصحيحة، دواوينكم دومًا كانت مدارس ومعاهد لتربية الشجعان من ذوي الكرم والأصول والنخوة والشيمة، يجب أن تستمر هذه المضائف بلعب هذا الدور، وأن تبني أجيالًا، ولا نترك أبناءنا.

ثانيا: مجتمعنا مجتمع شبابي بامتياز، أنا لا أعرف مجتمعًا (٩٠٪) من مواطنيه دون الخمسين سنة، (٧٠٪) دون الخمس والثلاثين سنة، (٤٠٪) دون التسع عشرة سنة، نحن شعب شبابي بامتياز، كيف نتعامل مع هؤلاء الشباب؟ يجب احتضانهم واحتواؤهم و إشراكهم، الظروف تغيرت، إذا لم نحتوِ شبابنا يضيعون ويضيّعون المجتمع، الله الله بأبنائكم، الله الله بهؤلاء الشباب، احتضنوهم وعلموهم وأشركوهم وشاوروهم، فليجدوا مكانتهم عندكم وليس عند غيركم، مكانتهم في قلوبكم وفي مضايفكم وفي عشائركم، احتضنوا الشباب، فالخطر داهم، وعليَّ أن أقول هذا الأمر لكم ولكل أبناء شعبنا.

مر علينا حراك تشرين، خرج هؤلاء الشباب في أماكن الساحات، المثنى كانت حصتها أقل لهذه الطبيعة المتماسكة والعشائرية الواضحة فيها، لكن في كثير من المحافظات خرجوا، وتعرفون اختلفت التفاسير والتحاليل والتقييم الذي حصل هناك من فسره بطريقة سلبية، شاهد هذا الذي قطع الشوارع، وهذا الذي حرق منشآت، وهذا الذي منع الناس أن تذهب للدوام، شاهد هذه الأشياء، وهذه كلها لا نقبلها، الصنف الثاني يرى أن هؤلاء الشباب وطنيون مخلصون طيبون غير راضين عن أوضاع بلدهم و يصيحون بالناس غيّروا أوضاعنا، فاستغلهم من استغل، وعلى الهامش هناك من قام بأشياء باسمهم. هذا تفسيرنا لما جرى في تشرين، ونعتقد أن هؤلاء الشباب يجب أن نحتضنهم، وشاهدتم المرجعيّة العليا احتضنتهم، المرجعيّة العليا في خطبها كانت توجههم وتحتضنهم وتهتم بأمرهم، وأوعزت للمواكب والهيئات الحسينية التي تطبخ لسيد الشهداء أن تذهب وتطبخ لهم في ساحات الاحتجاج. وكم كانت عميقة المرجعيّة العليا بهذه النظرة الثاقبة واحتضنت هؤلاء الشباب، نحن معنيون بأن نستفيد من هذه الطاقات الكبيرة ونحولها في الاتجاه الصحيح. استشعار الانفعال بالاتجاه الخطأ نوجهه بالاتجاه الصحيح، وهذه الانفعالات طاقة كبيرة يجب الاستفادة منها.

ثالثا: الدولة وبناؤها وتقويتها

الدولة أكبر من الحكومة، الدولة مؤسساتنا، ومجتمعنا، ومصالحنا، وهويتنا، وتأريخنا، وحاضرنا، ومستقبلنا. لا تسمحوا أن يضيع العراق من يدنا، نبني العراق، نقوي العراق، نحافظ على هويته المستقلة، نتعامل مع الآخرين، نحن من دعاة الانفتاح والحوار مع العالم كله، ننفتح و نتبادل المصالح لكن ضمن مصالحنا، نريد مصالح بمقاسات عراقية ليست مستوردة، نبني دولة عراقية سياساتها ومواقفها وخصوماتها

وصداقاتها على مقاس المصلحة الوطنية العراقية. هذا إذا لم يتحقق لا يكون العراق قويا.

اليوم أريد أن أركز على جدلية، هناك من يقول إذا كنتم تريدون دولة قوية، دولة مدنية، ضعّفوا العشائر، دولة بها عشائر لا تكون قوية، وأنا أختلف مع هؤلاء، أقول عشائر قوية ومجتمع قوي متماسك مقتدر فاعل ينتج دولة قوية متماسكة فاعلة، الدولة تكون قوية عندما تكون العشائر قوية، العشيرة تعطي الغطاء للدولة، العشيرة تربي أبناءها على التزام القانون، العشيرة تحمي القرار المستقل، الدولة أيضًا لديها مسؤولية تحمي المواطن وتصون الحريات، وتصون الإنسان، الإنسان يشعر بالعزة والكرامة في بلده، وصاحب الحق غير خائف على حقه، الدولة عليها مسؤوليات تجاه شعبها، والشعب عليه مسؤوليات تجاه الدولة. قوة الدولة بقوة العشائر، ولكن العشيرة المتماسكة والمنسجمة، الذي يقوم بسلوك يضعف الدولة عشيرته تعاقبه، السياسيون كلهم من عشائر وقبائل، إذا أخذت العشيرة دورها سيتحسن السلوك وتقوى الدولة.

رابعًا: إعادة التوازن للبلد.

الظروف التي مرت بالعراق، التحديات الداخلية والخارجية خلقت توازنات في البلد أضعفته وسلبت جزءًا من قوته، سببت مشاكل له، يجب أن نعيد التوازن، ونعيد الأمور إلى نصابها، نحتاج إلى معادلة جديدة، وتوازن جديد، نعيد البلد إلى نصابه بالطرق السلمية والديمقراطية، نعيد التوازن بالوسائل السلمية المتاحة.

الانتخابات المبكرة على الأبواب، هنا نعيد التوازن في صندوق الاقتراع لا بالسلاح، ولا بالقوة، ولا باستخدام أي وسيلة غير سلمية، نعيدها بالوسائل الصحيحة. (لا يطاع الله من حيث يعصى) لا يمكن إعادة التوازن والقيام بخطوات صحيحة بطرق غير صحيحة.

البعض يقول لك الغاية تبرر الوسيلة، الوسائل يجب أن تكون من جنس الغايات، إذا كانت الغاية نبيلة، الوسيلة يجب أن تكون نبيلة وشريفة، فنقوم بعملية إعادة التوازن بطريقة سلمية وصحيحة عبر الانتخابات، من خلال خمس نقاط:

الأولى: الترشيحات الواعية، الشريف، النزيه، النبيل، المخلص، الوطني، الذي لا يؤثر الكرسي الدوار عليه. وما يؤسف له أن هذا الشريف النزيه النبيل غالبًا ما يرفض الترشيح، إذا انسحب هؤلاء من الساحة فلمن تبقى؟.

دققوا في المرشحين، اختاروا من يجعل الله (سبحانه وتعالى) وهذا الشعب أمام عينيه.

الثانية: المشاريع الواقعية، نحن بحاجة إلى مشاريع واقعية تبين للناس، وعلى هذا الأساس يتم الانتخاب.

الثالثة: الفرز الواعي.

خلال السبع عشرة سنة الماضية، كل القوى السياسية تشارك في الحكومة وكلها تعارضها، نحتاج إلى فرز.

الرابعة: المشاركة الفاعلة

أكبر خدمة تقدم لبعض الفاسدين أو لبعض من لا يستطيع أن يقدم شيئًا هو أننا لا نخرج للانتخابات، هم يثبطون الناس لكي يخرج جمهورهم فيحصلوا على المقاعد، الحل الصحيح هو المشاركة الواسعة و عدم السماح بموجات الإحباط

الخامسة: الأمن الانتخابي

كيف تخلق توازنًا جديدًا إذا لم يستطع أحدنا أن يرشح؟ أو لم يستطع أن يرشح في القائمة التي يريدها.

الأمن الانتخابي يعني أن المواطن من حقه أن يرشح ويوضح، و الناخب من حقه أن يسمع من الجميع، فلا أحد يلاحقه ويتابعه ويضغط عليه، والناس تختار ما تريد، تغيير التوازن يتم بهذه الأمور الخمسة.

معادلة فشل

الملاحظة الأخيرة (معادلة النجاح)، ما الجديد الذي سيغير الأمور حتى نحول الانتخابات القادمة إلى نافذة جديدة لحل مشاكل البلد؟.

تذكرون في بداية التجربة كان الشيعة كلهم قائمة واحدة، وكذلك السنة والأكراد، (الائتلاف العراقي الموحد)، و (جبهة التوافق) و(التحالف الكردستاني) هم كلهم شركاء في الحكومة ومختلفون بينهم، هذه أسميها (معادلة فشل)، كيف نحولها إلى معادلة نجاح؟.

اليوم نحتاج خلطة سياسية جديدة تحول معادلة الفشل إلى معادلة نجاح. نقول قوى مهمة كبيرة شيعية، سُنية، كُردية، تركمانية، مسيحية، من كل العراق، تكون مع بعض في تحالف واحد، فمن الطبيعي أن يحصل تحالف آخر يضم قوى أخرى من نفس هذه المكونات.

شيوخنا الأكارم، سادتنا الأجلاء، في(٢٠١٨)، قبل سنتين كان عندنا مئة وثمانية وتسعون حزبًا، قبل أربعة أيام المفوضية أعلنت أن الأحزاب أصبحت أربعمائة وسبعين حزبًا، كل حزب يريد وزارة لخدمة الشعب و مجلس الوزراء عنده (٢٢) وزارة، فإذا شكلنا تحالفين كبيرين فهذه القوى الصغيرة ليس لديها فرصة، إما تذهب إلى هذا التحالف أو إلى ذاك، تختار واحدًا منهما بما تراه، وستنتظم الحياة السياسية، وتنتهي، والذي يأتي بـ (نصف زائد واحد) يشكل الرئاسات الثلاث، و الفريق الثاني، الأقليّة، يعارض، ويفتح عيونه على الدولة والحكومة، فيكون الفريق الأول مسؤولًا أمام الشعب، ويحرص على أن ينجح، ويعمل بجد؛ لأن المعارضة بالمرصاد، هذه معادلة النجاح، فيها فرز، فيها برامج، فيها فريق وطني كامل.

الناس تسمع البرنامجين ثم تختار وتتحمل مسؤولية الاختيار.

واليوم الفرز واضح بين قوى الدولة وقوى اللادولة، من يريد أن يبني دولة ومن يريد أن يبقى العراق ضعيفًا حتى يكون هو قويًا خارج إطار الدولة؟ أنا لا أجد حلًا لهذه المشكلة والمعضلة العراقية غير هذا الطريق، نتخلص من هذا الانقسام الداخلي، نوحد البلد، ونسير أمام فريقين، كل فريق يتحمل المسؤولية ويكون مسؤولًا أمام الشعب.

أرجو من حضراتكم أنتم علية القوم، سادة وشيوخ ووجهاء كرام، ادرسوا هذا الخيار، إذا رأيتموه صحيحًا ادعموه وساندوه حتى نركب هذا التحالف العابر للمكونات والشعب لا يرى هذه الفوضى الكبيرة، وإذا لم تقتنعوا به فأنا قلت (اللهم اشهد أني قد بلغت)، نحن نقول العراق له الله، لكن نحن واجبنا أن نبحث عن حلول نقدمها ليقتنع بها شعبنا ونمضي، فإن لم يقتنع يتحمل هو المسؤولية، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٤١٢].

شكرًا لحضوركم ومشاعركم، وأسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يجمعنا وإياكم على البر والتقوى.

شكرًا لكم جميعًا.

٤١٢. سورة الرعد: الآية ١١

الملتقى الدوري للقيادات الجامعية[٤١٣]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين الميامين.

السادة الأفاضل، السيدات الكريمات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم هذا الحضور، وهذه الملاحظات العميقة والأنيقة والرشيقة التي تفضلتم بطرحها فيما يخص قطاع التعليم العالي أو الهموم العامة في بلادنا، ويسعدني أن يكون هذا اللقاء في اليوم الأخير من هذا العام، ونحن نستقبل عاما جديدا، نسأل الله أن يجعله عاما مباركا على العراقيين، وعلى البشرية جمعاء.

سأتحدث في محورين، بعض الإثارات المتواضعة، ثم التعقيب على بعض ما تفضلتم به.

الفرص في قلب التحديات

أشرتم إلى أن التعليم أساس التحولات الكبيرة، أي إصلاح جذري، أو تغيير نوعي في أي بلد من البلدان، في أي شعب من الشعوب، يبدأ من التعليم،

ولذلك مهمتكم كبيرة، المشاكل والتحديات والمنغصات ليست بالقليلة، كما تفضلتم، لكن السؤال الكبير، كيف نحول التحدي إلى فرصة والمحنة إلى منحة؟ الله (سبحانه وتعالى) في كتابه الكريم يقول (فإن مع العسر يسرا) (مع) وليس بعده، العسر واليسر وجهان لعملة واحدة، كيف نحول التحدي إلى فرصة؟ وليس كيف ننتقل من

٤١٣. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم خلال لقاء سماحته عدد من رؤساء الجامعات وعمداء الكليات والأساتذة في الملتقي الدوري للقيادات الجامعة بمكتبه الخاص ببغداد بتأريخ ٣١/ ١٢/ ٢٠٢٠.

مرحلة التحديات لنصل إلى الفرص، الفرص العظيمة في التحديات الكبيرة، وكلما كان التحدي أعظم كانت الفرص المودعة فيه أكبر.

هنا ـ كما ذُكر ـ القائد الناجح المتميز هو من يقتنص الفرص في قلب التحديات، ويستطيع أن يحقق الإنجاز بل الإعجاز في الظروف الصعبة، أملنا كبير في حضراتكم وبقية الإخوة المسؤولين في قيادة المؤسسة التعليمية في بلادنا بأن يكونوا على قدر المسؤولية، وأن يبحثوا عن مداخل لمعالجة المشاكل دون أن تتحول المؤسسة التعليمية إلى عبء إضافي، كيف نحولها إلى أن تكون رافدا من روافد الإصلاح والبناء والإعمار ومساعدة المؤسسات الأخرى؟ وأن لا نقع في قصة البيضة والدجاجة، الدولة تقول لم نحصل على شيء من الجامعات، تنظير وكلام فقط، وهذه الجيوش الكبيرة من العلماء والمفكرين والمثقفين والباحثين لا تنتج بحوثا نافعة في أي وزارة، والجامعة تقول نحن نمتلك الإمكانيات الهائلة ولا أحد يسأل عنا.

ورد في وصف رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ (طبيب دوار بطبه)، أعظم نبي وأعظم إنسان على وجه المعمورة هو يصف مهمته أنه (طبيب دوار بطبه)، كان يذهب ويطرق الأبواب وينشر الهدى إلى الناس، فما الضير أن الجامعة في البيئة التي هي بها تفكر كيف تستطيع أن تمد الجسور مع المؤسسات، مع المشاريع الحكومية والأهلية؟ تصوروا مصنعا مثلا في بيئة قريبة من إحدى جامعاتكم ولديكم رؤية أو اقتراح يمكن أن يزيد هذا المصنع في إنتاجيته وفي أرباحه ضعفا أو ضعفين، وتأتي الجامعة وتتعاقد مع هذا المصنع، صاحب المصنع يستفيد والجامعة تستفيد، ونعطي البعد التطبيقي لأبحاثنا، وتندمج الجامعة بالتدريج مع المجتمع، مع الوزارات، مع الدوائر والمؤسسات، اليوم كل المسؤولين في دوائر الدولة والوزارات لديهم نفس المشاكل والمعضلات، يبحثون عمن يجد لهم حلولا، الخطوة الأولى كيف نشعرهم أن الجامعة تمتلك من الحلول ما يفتقدونه؟ هذه هي الخطوة الأولى، أعتقد حضراتكم والمؤسسة التعليمية معنية بأن تأخذ جانب المبادرة، لدينا معضلات كبيرة في بلادنا في كل القطاعات، خادمكم يجتمع مع كثيرين من قادة البلد في كل مكان، هناك أزمات ومعضلات، والمسؤول أو المنظومة القيادية حائرة كيف تعالج؟ وكيف تواجه؟ وأمامنا هذا الزخم الكبير والجيوش من العلماء كيف نستثمرهم في البحث عن معالجة؟

في يوما ما كانت المشكلة سياسية، صراع سياسي، وما شابه ذلك وقد يقال ماذا يمكن أن تقدم الجامعة؟ أما في هذه المرحلة فالأزمة الأساسية هي في الاقتصاد والخدمات، وهذا هو المجال الأساسي لعمل حضراتكم ودوركم الكبير، كيف تستطيع الجامعات

أن تقدم حلولا جدية في النهوض بالاقتصاد، المعادلة التي ذُكرت أن الدولة مسؤولة عن توفير فرص العمل، لكن هل من المعقول أن يتوقع عشرات الملايين من الشباب العراقيين بأن يكون تعيينهم في الدولة؟ وحتى لو كانت الدولة العراقية قادرة على أن تعيّن كل هؤلاء فهل من المصلحة أن يكون شعب كامل تحت إمرة المسؤول الحكومي؟ وهل هذا يُوجِد القفزة الاقتصادية والتنموية التي نتبناها؟ فلا الإمكانات تساعد، ولا المصلحة الوطنية، ولا مصلحة الناس، ونحن اليوم يمكن أن ندير كل وزاراتنا ودوائر الدولة بربع هؤلاء الموظفين بكفاءة أكثر وبجودة أفضل وبوقت أسرع، هذا العدد الكبير تحول إلى عبء. إيران عددهم ثمانون مليونا ولديهم مليون ونصف المليون موظف ومتقاعد، ونحن أربعون مليونا لدينا سبعة ملايين موظف ومتقاعد، هذه مفارقة

ملفتة وغريبة جدا، ونجد نفس النسب في تركيا وفي أي بلد آخر متطور، كيف نحول هذه الثقافة؟ نبدأ من الجامعة؛ لأن جل هؤلاء يدرسون في الجامعة ويتخرجون فيها، وأنا لاحظت كثيرا من الإخوة المعنيين في الجامعات من رؤساء، وعمداء حينما نجلس معهم نسألهم كيف توفرون تعيينا لهؤلاء؟ فهم لا يجدون طريقا غير التعيين، فإذا كان رئيس جامعة لا يرى فرصة لهم إلا أن يتعينوا في الدولة فهل تتوقع من الطالب الجامعي أن يتعامل بطريقة مختلفة؟ هذه مسألة حساسة جدا وتحتاج إلى معالجة.

موارد الجامعات

يجب البحث عن حلول لتطوير موارد الجامعات خارج إطار التطوير الحكومي، كما أسمع من السيد رئيس الوزراء، ووزير المالية، ووزير التخطيط، ووزير النفط، و كل الوزراء المختصين، لا يبدو في الأفق المنظور أن أوضاعنا المالية ستتحسن، ما دامت الدولة إيراداتها نفطية فقط، وأسعار النفط تكاد تكون هذا سقفها، والنفط الصخري بدأت كلف استخراجه تنخفض بعد أن طورت الصناعة النفطية، وهذا يوفر كميات هائلة من النفط، و الدول كلها باتجاه الطاقة البديلة، الطاقة النظيفة، ويُظن في (٢٠٣٠) لن تكون هناك حاجة كبيرة لهذا النفط الخام، كما هو عليه الحال اليوم، فنحن أمام كارثة كبيرة، ما هي البدائل؟ وكيف يجب أن نعمل حتى نحقق موارد حقيقية البلد خارج هذا الإطار؟ الجامعات يجب أن تبدأ من نفسها و تقدم الحلول للدولة، كيف تخرج من الاقتصاد الريعي؟ كيف تعتمد على تنويع الموارد؟ هذا الجيش من الخبراء والعلماء والباحثين وعشرات الألوف من الطلبة والمساحات التي تتواجد بها الجامعة للمشاريع الواعدة والفرص الموجودة، والكثير من نقاط القوة عندكم، اليوم العتبات مثلا تأخذ

قطع أراض بآلاف الدوانم تبني مشاريع، تبني مستشفيات، تبني مصانع، لا أحد يعتب؛ لأنها مؤسسة، تصوروا لو أن حزبا عمل جزءًا من هذه الأشياء لقامت الدنيا، أما العتبة فهي منشأة عامة ومشروع عام، لا أحد يتحسس كثيرا، أنتم كذلك في الجامعة، حينما تبني الجامعة مصنعا، أو تستثمر أراضي زراعية كبيرة، تأتي بالخبراء والتقنيات الحديثة، وتحصل على قروض ميسرة من المصرف، ستوجد تحولا في الواقع الزراعي وتحقق إنجازا مميزا من دون أن يعتب أحد، كل إمكانات الدولة لخدمة الجامعات، يجب أن نفكر بطرق غير تقليدية، وأن نذهب باتجاه توفير موارد كافية، إذا أردنا استقلال الجامعة يجب أن نبدأ من استقلالية الموارد، من بيده المال بيده القرار، أنتم حضراتكم رؤساء الجامعات، من بيده التوقيع هو صاحب القرار، فما دامت ميزانياتكم عند غيركم فلن تكونوا أصحاب القرار، حينما تكون عندكم الموارد الكافية لإدارة الجامعة وآفاقها وأبحاثها وتطويرها وبنائها وترتيبها تكونون أنتم أصحاب القرار، ولا تكون هناك إمكانية للحكومة للضغط على الجامعة والتدخل في تفاصيل الأمور، وهنا تأتي الاستقلالية الحقيقية.

كيف نوجد فرص عمل؟ هذا السؤال الكبير، بلد واعد، تطمع فيه الدول الصغيرة والكبيرة في العالم، كلها تفكر كيف تستثمر وتستفيد من السوق العراقية في زراعته، في صناعته، إلى غير ذلك، نحن داخل العراق ما هي الفرص التي يمكن أن نوفرها في تحريك الاقتصاد؟ في توفير فرص عمل لشبابنا؟ الجامعات يجب أن تجلس وتفكر وتقدم حلولا عملية وليست نظرية، تبدأ هي بتجارب صغيرة، يجب ألا تبقى الدولة ماسكة بالمشاريع، الدولة عاجزة، مشلولة، المصالح تُضرب في داخل أروقتها، التجاذبات كبيرة، تفتقد إلى التراكمية، كل أربع سنين فيها توازن جديد، فتكون الوزارة لجهة معينة، لا يوجد تراكمية، لا يوجد إنجاز، فما دمنا نعتمد على المؤسسة الحكومية في التحول والإصلاح فهذا سيعني أننا نراوح في مكاننا إلى أمد ليس بالقليل، لذلك يجب أن ندفع لأن تكون المصالح خارج إطار الدولة، تسع وزارات تتحول من دور تنفيذي إلى دور رقابي، وأن تعطى المحافظات صلاحيات واسعة في هذه الوزارات، صحيح أنه سيحصل شيء من الارتباك على الأمد القصير ولكن سرعان ما يعالج.

كما أن الجامعات تتحمل مسؤولية في الجانب العلمي، فإن مهمتها أساسية في جانب التنشئة والتربية لإعداد ثقافي معرفي، سلوكي، أخلاقي، حياة الطالب في الجامعة تقع ضمن السنوات العشر الذهبية في حياة الإنسان، فيها تتركب وتترسخ ملامح شخصيته، ما هو دور الجامعة في إسقاط الثقافة الصحيحة على هؤلاء؟ ولا سيما أن الطلاب

مرتبطون بجامعاتهم بحكم الالتزام العلمي ساعات طويلة من الوقت، الجامعة تستطيع أن تؤثر فيه، المؤشرات وبعض الاستبيانات غير المعلنة من قبل المؤسسات في الدولة تبين أن حجم الانحراف الأخلاقي والاجتماعي كبير، ونحن مجتمع عشائر وقبائل، تربينا وتربى أبناؤنا على الأعراف والتقاليد، نحن أمام جيل مختلف في طريقة التفكير، في سماته وسلوكه، في أولوياته، في نظرته للأمور، والجامعة، والآباء، والأهل، ليس لديهم قدرة على التأثير كثيرا خصوصا إذا كانت العوائل أساسا هي من تنشئة متواضعة أو ما شابه، الجامعة يجب أن يكون لها دور في بناء الجانب السلوكي والأخلاقي والثقافي والمعرفي كما هو الجانب العلمي، أعتقد أن هذا الجانب نحن غير مركزين عليه قدر اهتمامنا بالجانب العلمي، وهي مسألة حساسة ومهمة جدا.

الاستقرار السياسيّ

مفتاح الكثير من الإصلاحات والتحولات هو الاستقرار السياسي، الاستقرار السياسي يأتي بالاستقرار الأمني، و الاستقرار الأمني يأتي بالازدهار و الانتعاش الاقتصادي، الجامعات معنية بالشأن السياسي العام بهذا المعنى، تسييس الجامعة، ودخول الصراعات السياسية للجامعة، هذا خطأ فادح، بل خطيئة، يجب أن يبقى المناخ العلمي الهادئ المستقر هو الذي يسود في الجامعة بعيدا عن الصراعات والشد والجذب والكلام، لكن الثقافة السياسية والوعي السياسي والقدرة على تحليل الأمور والقدرة على التعاطي مع الواقع والمساهمة في صناعة الواقع الصحيح في المسارات العامة والخطوط العريضة هذه مهمة الجامعة، أي مسيرة تخرج في أي بلد تجد نسبة عالية منها هم طلاب الجامعات.

اليوم وبالأمس وأول القرن الماضي، كل الحركات الكبيرة والواسعة بدأت من الجامعة، كل المشاريع السياسية الإصلاحية بدأت من الجامعة، وحتى حراك تشرين، أنا شخصيا خلال سنة التقيت بكثير من الناشطين، كثير منهم تدريسيون وأساتذة وطلاب ومن بيئة الجامعة، ثمانون بالمائة من فواعل تشرين هي من داخل الجامعات، هناك خلط بين تسييس الجامعة، والكل يرفضه، والكل يمقته، وبين الوعي السياسي، فالأول ضرر والثاني ضرورة، ما هو الحد الفاصل بين الضرر والضرورة؟ هذا الدوران بين محظورين كما نسميه، إهمال كل شيء يخص السياسة وقولنا للطلاب ليس لكم حق أن تتكلموا بأشياء سياسية، والسياسة وراء الجامعة، هذا ضرر، و إقحام الجامعة بالصراعات، هذا أيضا ضرر، كيف يمكن أن نعطي الثقافة والوعي؟ كيف نجعل الجامعة قادرة على أن

تفكر بشكل صحيح وتساهم في الاستقرار السياسي؟ هذا أمر مهم، وأدعو حضراتكم للاهتمام به.

الحل في التحالفين العابرين

بالنسبة للتحالف العابر للمكونات، نتحدث عنه كثيرا هذه الأيام، وفي الحقيقة إذا استطاعت الدولة أن تنظم أمورها في ظل نظام برلماني وأحزاب وقوى، وإذا استطعنا أن نوجد معادلة نجاح في داخل الحكومة فهذا ينعكس على كل مرافق الحياة، وأولها المساحة الجامعية، في (٢٠١٨) كان لدينا (٢٠٥) أحزاب، قبل أيام أعلنت المفوضية وجود (٤٧٠) حزبا، إذا استمرت الزيادة بهذا الشكل فمن الممكن أن يكون لدينا في (٢٠٢٤) (١٠٠٠) حزب، (٤٧٠) حزبا يعني (٤٧٠) شعارا، (٤٧٠) علمًا، (٤٧٠) طموحا، وكل حزب لديه رغبة بوزارة، ومجلس الوزراء اثنتان وعشرون وزارة، وبعض هذه الأحزاب لا تريد أن تقبل بوزارة واحدة ووزارتين، هل هذه حرية؟ هل هذه ديمقراطية؟ هل هذه ظاهرة صحية؟ هل هذه التنمية السياسية؟ هناك مشكلة.

إذا ذهبنا إلى انتخابات مبكرة واستمر الصراع، وكلٌ يبحث عن دور في الوضع السياسي القادم، فما هي المعادلة التي تجمعهم ليشكلوا الكتلة الأكبر؟ يبدأ البيع والشراء والأموال، وبعد أن تتشكل الحكومة بخمسة أو ستة أشهر، ومليارات من الأموال والتدخلات الخارجية، يبدأ التنافس بين الشركاء، وكل منهم لا يرغب في نجاح الآخر، وكل منهم يرمي بمسؤولية الإخفاق على الآخر، فما فرق هذه الحكومة عن الحكومات السابقة؟.

كيف يتحقق نجاح في البلد وقادة البلد والقوى السياسية التي تدير البلد لا تريد النجاح لبعضها؟ كل واحد يريد أن ينجح هو فقط، والآخرون لا يسمحون له بالنجاح ونقول لماذا البلد يراوح مكانه؟ وحتى حينما يحصل نجاح معين فكل الماكينة الإعلامية للشركاء تنطلق لتسخيف هذا النجاح وتهوينه والتقليل من قيمته، هذه أسميها معادلة فشل يمكن أن تتكرر لاحقا.

لا يوجد سوى حلين، الحل الأول إذا كان الوعي الشعبي قادرا على إيجاد معادلة جديدة ويدعم دماء جديدة، وهذه القوى غير متبلورة وغير واضحة وغير معروفة، وقد تكون أسوأ من الموجودين، فالناس ستترحم على الموجودين، فما الضامن أن هؤلاء الجدد أحسن من الموجودين؟ هذا لو كان هناك إرادة شعبية ووعي شعبي لدعم

هذا البديل، وهذا غير متاح وغير متوافر في ساحتنا، (الفتح) وقواه الكريمة، و التيار الصدري و(عراقيون) و (ائتلاف دولة القانون) وآخرون، كل واحد لديه مساحات، هذا الخيار لا يبدو خيارا عمليا.

الحل الآخر هو أن نغير الخلطة، نغير المعادلة، إذا كنا لا نغير الأحجام، العطار يأخذ من هذا العطر، من ذاك العطر، ويكون بارعا في مزج هذه العطور لإنتاج عطر جديد، فهذا خبير بالخلطة، في الوضع السياسي إذا كانت الأحجام هي هي فكيف نغير الخلطة حتى ننتج شيئا جديدا بنفس الأحجام؟. التحالف العابر، نتكلم عن القوى الشيعية، السنية، الكردية، التركمانية، القوى النافذة القوية الممثلة لعمق كل المكونات تكون مع بعض بشكل طبيعي، كرد فعل يتشكل التحالف الثاني؛ لأن القوة الوزينة في كل المكونات الأخرى التي لم تدخل ضمن هذا التحالف سوف تشعر باختلال التوازن، نحن في هذه القاعة في يوم ما الساعة الثامنة مساء أعلنا عن (تحالف الإصلاح) بشكل مفاجئ من دون إعلان مسبق، في نفس الليلة عقد مؤتمر صحفي أُعلن فيه عن (تحالف البناء)، فإذا تشكل تحالف وأعلن عن نفسه في اليوم الثاني أو في نفس اليوم سيتشكل التحالف الأخر، تحالفان فيهما كل العراق، كل المكونات العراقية حاضرة بين أحزاب وقوى، والقوى الصغيرة ليس لديها فرصة إلا أن تندمج مع هذا أو ذاك، فنصبح أمام تحالفين وطنيين، لا يمكن أن يكون لهما شعار مذهبي أو قومي، ويصبح التنافس على البرامج، والفرز العملي بدأ يتضح يوما بعد آخر، الآن أصبح أمرا واضحا، قوى الدولة وقوى اللادولة، القوى التي تقوى بقوة الدولة و القوى التي لها مصلحة خاصة، أتكلم بقيم ومبادئ، هناك قوى ليس لديها أجنحة عسكرية، ولا غطاءات خارج الدولة، قوى الدولة مصلحتها في قوة الدولة، وقوى اللادولة مصلحتها أن تكون الدولة ضعيفة، لأن لديها مكامن قوة خارج الدولة، تتمدد وتتحرك وتأخذ مساحات تستفيد منها، فهنا نحن في التصنيف لا نتحدث عن ادعاءات وشعارات، لا نتحدث عن أقوال، نتحدث عن أفعال، نتحدث عن مصالح، أي كيان سياسي مصلحته أن تكون الدولة قوية هذا من قوى الدولة، وأي كيان سياسي مصلحته أن تكون الدولة ضعيفة هذا من قوى اللادولة. على كل حال هذا هو الفصل سيكون بين هذه القوى، وبالتالي نتخلص من كل الشعارات، وسيكون الناس أمام خيارين، وليس أمام خيارات متشعبة، وجود تحالفين ينظم الحياة السياسية، أحدهما سيحصل على الأغلبية، فتكون الرئاسات الثلاث منه، الكردي رئيس جمهورية، السني رئيس برلمان، الشيعي رئيس وزراء، الوزارة، مجلس الوزراء، كلها لهم، وهنا سوف لا يدّعي أحد أن الآخرين عرقلوا عمله، ويصبح

الجميع في مركب واحد فتتحول المعادلة من قلق من الشريك إلى حرص على نجاح الشريك. وتصبح من مصلحة طيف واسع من القوى السياسية أن تدافع وتوضح وتسوق الإنجازات، والتحالف الآخر سيكون معارضا للحكومة يراقب أداءها، وبذلك

نخلق الحافز الداخلي للإنجاز، فريق قوي يحكم و معارضة قوية تضغط عليه لتحقيق الإنجاز، هذه الثنائية تخلق الحافز للعمل والإنجاز واتخاذ القرار وتحمّل الأعباء، كما هو الحال في كل الدول الديموقراطية، أميركا ثلاثمائة مليون نسمة، قارة، فيها حزبان، جمهوري، وديموقراطي.

تقديرنا مع وضع البلاد، مع مستوى الوعي والثقافة السياسية لشعبنا، مع إمكانات تلك الأحزاب والقوى النافذة، اليوم في كل الساحات لا يوجد مخرج بتغيير الأحجام، فأفضل شيء أن نوجد خلطة جديدة ونحقق منها معادلة نجاح، نتمنى أن يحظى هذا التحالف الذي نتحدث عنه بالدراسة، ادرسوه، وأثروه، وانقدوه، وطوره، وضيفوا عليه، هذا يدخل ضمن الوعي السياسي وليس ضمن الصراع السياسي، نحن لا ندعوكم للوقوف مع جهة معينة، فكرتنا أن يكون هناك تحالف عابر ينظم المشهد السياسي، هل هذه الفكرة صحيحة؟ هل هي المخرج؟ عندكم حلول أخرى غيره؟ الجامعات تتفاعل مع الشأن العام، مع المصلحة العامة، مع الأمن العام، وتنتج أفكارا وتنقد مثل هذه الأطروحات أو تطورها أو تتبناها، وهذا شيء مهم.

عقد جديد

قضية العقد الاجتماعي والسياسي أيضا يندرج ضمن نفس الإطار، مرت على العقد الاجتماعي سبع عشرة سنة، الآن (٤٩٪) من شعبنا دون التسع عشرة سنة، نصف الشعب العراقي ولد في ظل الديموقراطية، وذاك النصف الآخر نصفه لم يكن بوعي وتأثير كبيرين، شباب وأطفال وكبروا، ثلاثة أرباع الشعب العراقي ما كان طرفا في ذلك العقد الاجتماعي في ألفين وثلاثة. وذاك العقد كان مشوبا بكثير من المخاوف للجميع، ناس خائفة من الماضي، خائفة من المستقبل، سمته الخوف، والإنسان ما يفكر فيه في لحظة الخوف غير ما يفكر فيه في لحظات التأني. الآن الأمور استقرت وهدأت. لا الشيعي خائف على نفسه ولا السني خائف على وجوده ولا الكردي خائف، لا يوجد خوف على الوجود، وعلى الحضور وعلى التفاصيل ومسائل أخرى.

فهذه لحظة تأريخية لمراجعة ما صغناه، وأيضا نؤكد أن الثوابت والخطوط العريضة لا تتغير، هي لم تتغير بآلاف السنين، فكيف تتغير بخمس عشرة سنة؟.

حينما يقال عقد جديد فهذا لا يعني نفي وإلغاء لكل القيم والثوابت والأطر التي وضعت في ألفين وثلاثة، بل يعني المراجعة والتجديد والتطوير، فيها الثابت، وفيها المتغير الذي يمكن أن يطور بشكل ينسجم مع واقعنا جديد، إذا لم ننظر إلى هذه الحقائق ونقدم الحلول سيحصل انسداد سياسي يؤدي إلى نتائج كارثية، تشرين وما جرى فيها مع قطع النظر عن بعض الأشياء في الهامش من تآمر أو من كان بتمويل خارجي أو مدفوع بأجندة معينة لكن كمسار عام نحن لسنا من يخطئ هؤلاء الشباب، ولسنا من يشكك بوطنية هذا الحراك الكبير، فيه انفعالات لكنه بمساره العام عبر عن وجود خلل بنيوي في واقعنا، فتنة تمكنا من استيعابها واحتضانها، لكن قد تأتي عاصفة أخرى أشد منها، تسونامي كبير،

فلذلك نحن لسنا أمام خيارات، قد يقول قائل هل هذا وقت الحديث عن عقد اجتماعي جديد؟ ونحن منشغلون بصعود الدولار والصواريخ التي تطلق على السفارات، وغيرها من الهموم، نقول هذا ليس ترفا فكريا، ولسنا جالسين في لحظة استجمام نناقش قضية ترفية، هي قضية أساسية ضرورية، إن لم نفتح هذا الملف و نعالجه قد نكون أمام تطورات خطيرة جدا.

الأمة العراقية

ترسيخ المشروع الوطني، الهويات الفرعية كلها محترمة ومصانه ومقدرة، مذهبية، قومية، دينية، لكن يجب أن تكون لنا هوية جامعة، وأنا أعبر عنها بالأمة العراقية، نحن في الوصف العلمي لسنا شعبا واحدا، شعوب، ولكننا أمة واحدة، وعندنا ملامح الأمة، ترسيخ هذا الحس الوطني لا يأتي فقط بالتمنيات والأحلام يحتاج إلى خطط، يحتاج إلى ثقافة، يحتاج إلى سلوك، يحتاج إلى ممارسات إلى غير ذلك. أين الجامعة ودورها في ترسيخ الهوية الوطنية لشعبنا وشبابنا؟ أنا سعدت كثيرا حينما سمعت عن فتح المجال في تكريت للتنقلات، أبناء المحافظات الأخرى حتى المختلفون مذهبيا معتزون أن يكونوا في هذه الجامعة، فالجامعة قادرة على أن تجمع الناس على أسس علمية وأسس رصينة، لا يشعر بها أحد بضيق حتى لو كان هو من لون مذهبي آخر، هكذا تجارب ليست قليلة، لكن كيف نخرجها من الابتكار الفردي إلى سياق حقيقي عام؟ حينما تستطيع الجامعات أن تتعاطى بهوية وطنية حقيقية.

مراجعة المعايير

ثنائية الشهادة والمهارة، تنويع المعايير في تقييم الأشخاص هذه مسألة مهمة جدا، فليس من المعقول أن يكون عشرات الألوف من الناس كلهم درجاتهم (١٠٠٪)، مع الأسف هذا يسيء للسمعة العلمية لجامعاتنا، ويخلق سقف توقعات غير واقعي، نحتاج إلى مراجعة المعايير بشكل صحيح في الجامعات وفي كل أوضاعنا، الانطباع اليوم أن الوزير يصعد بكلمة وينزل بكلمة، الوزير هو موقع سياسي ربما تدخل في اختياره بعض الاعتبارات، لكن الوكيل والمدير العام يجب أن يكون اختيارهم وفق معايير علمية صحيحة، ولكن للأسف لا تزال الحالة المزاجية والمعايير الضيقة هي التي تتحكم بهذا المسار.

معالجة العجز

العجز كيف نعالجه، الحقيقة عقدت اجتماعات عديدة بحضور رئيس الوزراء ووزير التخطيط ووزير المالية ووزراء آخرين، وقادة البلد الأساسيين، قلت لهم نحن لا يمكن أن نذهب مباشرة إلى الطرق السهلة، وأول شيء نفكر به رواتب الموظفين، وطرحت مثالا للسيد وزير المالية حول جباية الضرائب، إذ قال في مقابلة رسمية إننا يُفترض أن نجبي من الضرائب من سبعة إلى عشر مليارات دولار، فيما أننا نجبي ثلاثمائة مليون دولار فقط، فقلت له إن المستوردين يأخذون العملة الصعبة من البنك المركزي لغرض استيراد البضاعة، فلماذا لا يتم اقتطاع مبالغ الكمارك منه قبل الاستيراد؟

وبذلك نضمن المبالغ ونتخلص من الفساد، هكذا أمور سهلة يمكن أن توفر أموالا أنا أسميها سائبة. الإجراءات الإصلاحية يجب أن تقابلها سياسات لكبح الأسعار والسيطرة على السوق ودعم القطاع الخاص وإنعاش الاقتصاد والزراعة والصناعة ومكافحة الفساد.

ويجب أن يرى الناس تقشفا حكوميا لكي يتقبلوا ما يحصل عليهم من ضغط، فليس من المعقول أن نكون في حالة تقشف وتقدم الحكومة ثاني أكبر موازنة في تأريخ العراق، مائة وخمسين تريليون، هذا لا يصح، فنضغط على الناس ولا نجد تقشفا حكوميا في الإنفاق، هذا لا يصح.

وزارة التعليم يجب أن تضع خططها واستحداثاتها على ضوء حاجة السوق، نحن نشهد جيوشا من الخريجين في اختصاصات تمثل أضعافا مضاعفة عن حاجة البلاد،

ونجد شحة كبيرة في جوانب أخرى، فهذه مشكلة كبيرة، وتحدثت بهذا الأمر مع وزراء التعليم العالي المتعاقبين، أقول لهم البلد لا يتحمل هذا العدد من أصحاب الشهادات.

قضايا جامعية

المركزية المفرطة في القبول، كل مركزية مفرطة هي في الحقيقة خطأ، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٤١٤] أي شيء يتجاوز هذه الوسطية ويتعسف في وضع اليد على الشيء تكون له نتائج غير إيجابية على الأمد المتوسط والبعيد، ربما على المدى القصير رئيس جامعة أو عميد كلية يرى خللا معينا فيسحب الصلاحيات من الآخرين ويمسك الأمور بيده ويعدل الأشياء ويدخل في التفاصيل للإصلاح، ولكنه في الوقت نفسه سيخلق مشاكل من نوع مختلف ويقتل روح الإبداع والقيادة لدى الفريق، فتوزيع الصلاحيات، وإعطاء الفرص، وبناء الطواقم القيادية شيء مهم جدا وإن كان خلاف مزاج الإنسان وطبعه.

الانتخاب في اختيار رؤساء الجامعات، أقول الناس لا تبحث دائما عن الخيار الأفضل، أحيانا تبحث عن الخيار الأسهل، ، فليس من المعلوم أن الانتخابات توصل إلى الخيار الأفضل، هذه مواقع نخبوية يجب أن تبقى بعيدة عن الانتخاب والرأي العام، ستون آية في القرآن الكريم تنفي أن تكون الأكثرية على صواب.

هذه ملفتة، طبعا الديموقراطية هي أفضل الخيارات السيئة، هي أفضل من الديكتاتورية بكثير لكنها ليست خيارا مثاليا، لا نبالغ ونتعسف ونجعل مواقع نخبوية مهمة في قيادة مؤسسات تعليمية بالانتخاب.

التكاملية بين التربية والتعليم أساس مهم، بالتالي يجب أن يكون عندنا خطة كاملة، من رياض الأطفال إلى أن يتخرج من الجامعة، تراكمية ضمن منهج واحد ورؤية، هذه الآن مع الأسف مفقودة.

مجلس تنسيقي بين الجامعات والحكومة المحلية، هذه فكرة صائبة، ونحن نتابع هذا الموضوع.

التعليم الإلكتروني، رب ضارة نافعة، التعليم إلكتروني يمكن الاستفادة منه مع تطوير إمكانياته وإضفاء كل معايير الجودة عليه.

٤١٤. سورة البقرة: الآية١٤٣

صلاحيات التعليم الأهلي، التعليم الأهلي كالتعليم الحكومي، البعض يرى إيجابياته فيمتدحه والبعض يرى بعض الثغرات فيه فيذمه، التعليم الأهلي كذلك، يكفي أن نرى في العالم كله كبريات الجامعات العالمية هي جامعات أهلية، إذا كانت كلياتنا الأهلية لا تشرف عليها الوزارة فهي معرضة إلى أن تنزلق وتتماهى مع رغبات الطلبة بحثا عن المال، ولكن التشكيك بأصل التعليم الأهلي وجدواه وأهميته غير صحيح.

رعاية الطواقم التدريسية والإدارية في التعليم الأهلي وشمولهم بالتقاعد وغيرها أمر صحيح، بالفعل يجب أن يكون هناك قانون يضمن لهؤلاء حقوقهم.

أن يكون التعليم العالي خارج المحاصصة طموح بعيد المنال؛ لأنه مرتبط بالجامعات والجيوش من الشريحة المؤثرة في المجتمع، فهو مورد تنافس كبير بين الأحزاب والقوى، هناك قاعدة فلسفية تقول (الالتزام بالشيء التزام بلوازمه)، القبول بنظام برلماني يستوجب تحمل كل تبعاته.

يجب أن نهتم بالمعاهد و اعتماديات الجامعات وأن تكون جامعاتنا رصينة ومعترفا بها من قبل الجامعات الكبيرة في العالم.

أخذت من وقتكم، سعيد بكل الملاحظات القيمة التي سمعتها من حضراتكم.

وأسأل الله لكم التوفيق والتسديد

شكرا لكم.

والسلام عليكم. .

دواوين بغداد

لقاءات السيد عمار الحكيم مع النخب السياسية
والعشائرية والمهنية والاعلامية والشبابية

ديوان بغداد للمهنيين[٤١٥]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

السادة الأفاضل، السيدات الكريمات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم هذا الحضور، وهذا الإثراء، والمداخلات العميقة والقيمة، والمحاور المتنوعة التي تفضلتم بالإشارة إليها.

وبالحقيقة إلى أولئك الذين ينظرون إلى الواقع العراقي بسلبية كبيرة ويشعرون بإحباط، اليوم هذا الجمع الذي يمثل العراق بأطيافه، ومشاربه المختلفة، لاحظنا على مدار أكثر من ساعة وربع مداخلات كلها مؤطرة ضمن إطار واحد ويكمل بعضها بعضًا، وهذا يكشف أننا قادرون على أن نصل إلى رؤية مشتركة، المسألة ليست بهذه السلبية والظلامية التي قد ينظر إليها البعض.

كلنا أبناء هذا الوطن ويمكن أن نساهم فيه، قد ننظر إلى زوايا متعددة لكن يكمل بعضها بعضًا ويمكن أن نتكامل مع بعض.

إذا تسمحون لي أبين وجهة نظري في بعض العناوين العامة التي طُرحت باختصار ثم أعقب على بعض ما أشرتم.

الهوية الوطنية

الهوية الوطنية التي نتحدث عنها اليوم، هي ليست موضوعًا علميًا أكاديميًا نناقشه في جامعة، ونستحضر آراء الفلاسفة فيه، الهوية الوطنية نعني بها هذا الانطباع، والشعور

٤١٥. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد للنخب المهنية الذي عقد بحضور عدد من النخب والقيادات المهنية والنقابية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ١٢/ ٩/ ٢٠٢٠

بالانتماء إلى الوطن، هذه الحالة الوجدانية، العراق عزيز علينا، هذا الشعور بالانتماء، الشعور بالعزة لهذا الانتماء، بالفخر بالعراق، أنا فخور أني عراقي، لست خجلًا، هذه الهوية الوطنية بمعناها البسيط، فكلما كان الشعور بالفخر أعظم كانت الهوية الوطنية أوضح، ما قلناه في تغريدة كانت مثارا لحديث وجدل كبير، قلنا إن الهوية الوطنية بعد تشرين ترسخت بشكل أوضح، وأكبر، وأعمق، نحن في مجتمع (٧٠٪) شباب، هؤلاء الشباب كانوا محبطين، منكسرين، مشغولين بعالمهم الخاص السوشيال ميديا، البوبجي، المقاهي، لا يسمعون أخبارًا، غير مهتمين بشؤون بلدهم، جاء تشرين ونزل هؤلاء الشباب إلى الشارع قالوا: (نريد وطن)، كيف قالوها؟ هل سلوكهم بكل تفاصيل ما جرى كان صحيحا؟ هم لعلهم يسجلون بعض الملاحظات على أوضاعهم، ولكن كحالة عامة عندما ننظر إلى الظاهرة، الذي نزل، والذي تعاطف ولم ينزل، يمثلون شريحة كبيرة جدًا في المجتمع، العلم العراقي التحفوه على أنفسهم، النشيد الوطني حينما كان يُعزف تنزل دموعهم، هذا التعاطف الوجداني الذي حصل، هذه الحملات التي قادوها في دعم المنتج الوطني.

كيف نشكّل الهوية؟ عندما نقول: (هذه عمّقت) لا يعني أننا نتناسى كل التأريخ، يخرج شخص ويقول: (ذلك الجهاد، والدماء، الأهوار، وقتال الدكتاتور، كلها غير مهمة؟) من قال: غير مهمة؟ في كل مرحلة كان عندنا دوافع، ومحفزات لترسيخ الهوية الوطنية، في هذه المرحلة جاءت هذه الموجة الشبابية أحدثت تعميقًا وترسيخًا لهذه الهوية والشعور بالانتماء للوطن، هذا ليس كثيرًا أن نسجله لتشرين حتى لو كان للبعض منا ملاحظات على بعض تفاصيله، ولكن كحالة عامة أدّت إلى ترسيخ أكثر للهوية الوطنية، الاعتزاز بالوطن، (أريد وطنْ)، لا أعرف الوطن الذي أريده، أو لا أتخذ الخطوات الصحيحة لاستعادة الوطن، هذه مشكلتي، لكن الفكرة صحيحة، الشعار صحيح، التفاصيل يُمكن أن تطور بالتدريج، بعض الانفعالات يمكن أن تُشذب، واليوم فينا من قادة تشرين جالسون بيننا، ونحن فخورون بحضورهم.

هؤلاء الجالسون اليوم من إخواننا وأعزائنا، وأخواتنا، قبل ثمانية أشهر لو كانوا يُدعون إلى ديوان بغداد لما أتوا، هذه أماكن لا تُدخل، لا نتواصل، فراق بيننا وبينهم، ووضعوا كل الطبقة السياسية في خانة واحدة، لماذا اليوم حاضرون؟ لأنهم طوروا من أفكارهم، رأوا هذا الوطن، بالتالي نحن أبناؤه جميعًا، نتفق أو نختلف ليس لنا إلا بعضنا، والقدر يجمعنا هكذا مع بعض، هم طوروا أنفسهم، أسعدني كثيرًا يوم ما تحركت آليات ساحات التظاهر والاحتجاج لتهدم مقرات لقوى سياسية في ذي قار وغيرها، أو حين

حصلت دعوات من بعض الأشخاص بحمل السلاح وما شابه، خرج قادة من حراك تشرين، ومن المتظاهرين وتبرؤوا من هذه الأمور وطالبوا الحكومة أن تتخذ مواقف من هؤلاء، وفي هذه الأيام التي خلت حين تحركت الحكومة، واعتقلت بعض المسيئين الذين يحرقون، ويضربون، ويهدمون باسم الحراك ما وجدنا استنكارات وتعاطفًا بغير وجه حق مع المسيئين، هذا تبييض لوجه تشرين، وحراك تشرين أخذ يتبرأ عن النتوءات وعن السلوكيات الخاطئة، وينشدّ إلى الموقف السليم والصحيح والوطن.

هذه هي الهوية الوطنية التي نعنيها، نشعر أنها تتعمق، وأن هؤلاء الـ (٧٠٪) الذين كانوا غير مبالين، وغير مكترثين، وغير مهتمين، أصبحوا اليوم منشدّين لوطنهم، ومهتمين بهذا الأمر، ويريدون وطنًا، ويريدون مشاركة سياسية.

أنا أفرح كثيرًا حين أسمع إلى الآن ستة عشر كيانًا من حراك تشرين سُجّل في المفوضية، ومن سجل معناه أنه جمع على الأقل (٢٠٠٠) توقيع، وقدم برنامجا لإدارة الدولة، أن يصبح شبابنا هذه فكرتهم، وهذه رؤيتهم هذا الشيء مفرح جدًا، وهذه لعبة الديمقراطية ويدخل كل من يرى في نفسه الأهليّة والقدرة على الإثراء، على العطاء، وعلى المساهمة في إصلاح الأمور، يدخل، ويشارك، ويعرض برامجه، ويقنع الناس، ولا يوجد أحد منا يدّعي أنه يمثل الشعب، الشعب هو يمثل نفسه، وصندوق الاقتراع هو المعيار الوحيد الذي سيبين كم استطاع كلٌ منا أن يُقنع الشارع ببرنامجه أو بسلوكه، وهكذا تمضي الأمور.

العقد الاجتماعيّ

لماذا عقد اجتماعي جديد في هذه المرحلة؟ لأن العقد الاجتماعي هو أيضًا شيء مبتنٍ على التوافق، وقبول أصحاب الشأن والتأثير، أولهم الشعب، وممثلوهم، والطبقة السيّاسية، والنخب، هؤلاء يجتمعون مع بعض، ويتفقون على رؤية في تنظيم أمورهم وشؤونهم في إدارة بلدهم، كل تلك العوامل التي ساهمت في بناء العقد الاجتماعي في (٢٠٠٥)، حراك كان لسنين قبل (٢٠٠٣)، وثم طور بعد (٢٠٠٣ – ٢٠٠٥)، (٢٠٠٥) باعتبار الاستفتاء، كل تلك العوامل الآن أصبحت متغيرة، الشعب العراقي في (٢٠٠٣) ليس هو الشعب العراقي في (٢٠٢٠)، (٤٩٪) دون التسع عشرة سنة، هؤلاء ولدوا بعد (٢٠٠٣)، وذاك النصف الآخر نصفه أيضًا لم يكن في مرحلة تؤهله أن يساهم في العقد الاجتماعي، ثلث الشعب العراقي هو غير شريك في ذلك العقد الذي وضع في (٢٠٠٥)، هؤلاء اليوم عندهم متطلبات، عندهم رؤية، عندهم فهم معين،

ثانيًا: حتى ذلك الرُبُع الذي ساهم وصاغ العقد الاجتماعي في (٢٠٠٥) أيضًا جربه خمس عشرة سنة، أصبح عنده ملاحظات، عنده وجهة نظر، يريد أن يطوّر رؤيته، وعقد اجتماعي جديد لا يعني إلغاء كل ما مضى وبناء شيء جديد مختلف، لا، عندما نقول: جديد، يعني نفتح نقاشا، فسيتبين أن هناك ما هو مفيد وإيجابيّ، فنحافظ عليه، و هناك أشياء لم تُنتج أو ما كانت إيجابيّة فنغيرها أو نطورها، هو مراجعة، الشعب ليس هو الشعب، القوى السياسية التي ساهمت في صياغة ذلك الدستور، بعضها اليوم خرج عن حلبة التنافس الانتخابي أو الحضور السياسي الفاعل، البعض الآخر يُظن أنه يحتضر وقد يخرج في أول انتخابات، البعض الثالث حافظ على نفسه بأوزان مختلفة، البعض الرابع يريد أن يدخل الآن، ويكون جزءًا من القرار وصياغة مثل هذا الأمر، فالقوى السياسية تختلف عن تلك القوى، الشعب يختلف عن ذلك الشعب، الغطاءات الإقليميّة التي توفرت لذاك العقد الاجتماعي في (٢٠٠٣) هي ليس ذات الغطاءات المتوفرة اليوم، أين بوش بقراءته العقدية الإنجيلية ويرى نفسه من جند الله وجاء يسقط (صدام حسين) لاعتبارات تخص فهمه عن الإنجيل؟ الوضع الأوربي، الوضع الدولي، الوضع الإقليميّ، متغيرات هائلة حصلت في منطقتنا خلال هذه السبع عشرة سنة، وفي توازنات الأمور، وفي موقع العراق في المنظومة الإقليميّة والدولية، فالرافعة الدولية مختلفة، الواقع الاجتماعي مختلف، القوى السياسية مختلفة، النخب والتطور الذي حصل في فهمها للواقع الديمقراطي وتقييمها لهذه التجربة بما فيها من إيجابيّات وسلبيات أيضًا مختلف، إذن نحن أمام واقع مختلف في كل التفاصيل، فكيف يمكن لعقد اجتماعي عُقد في ظروف أن يبقى ساري المفعول في ظرف آخر اختلفت فيه كل العوامل التي ساهمت في تحقيقه؟ إذن الدعوة إلى عقد جديد، إلى مراجعة لذلك العقد، هذا شيء معمول به، دول تتعاقد مع بعضها، اتفاقيات محددة بوقت معين، ثم تُراجع الاتفاقية، فتُجدد، أو تطور، أو تلغى، نحن نستشرف أننا ما لم نقم بمراجعة حقيقية ونبقى مصرّين على تفاهمات واتفاقات تمت في ظروف مختلفة تمامًا، وأصبح بعضها غير منتج الآن، إذا نحن لم نغير، واقع الحياة يفرض نفسه علينا، وبالتالي يأتي التغيير بشكل غير ممنهج، وغير مبرمج، وبشكل فوضوي وقد يكون تغييرًا سلبيًا، فالإنسان يبادر هو ويقيّم الأمور، ويضع الأمور في نصابها الصحيح أفضل من أن تُفرض عليه الأشياء بطريقة مختلفة، من بنى في أماكن حركة السيل إذا لم يخرج ويحترم نفسه يأتي السيل يأخذه هو وأشياءه، فتصبح ضحايا بشرية، وإتلاف لممتلكات، نحن اليوم أمام واقع فيه اختناقات حقيقية، فكيف لمجتمع به كل هذه التفاعلات لا نضع له متنفسا

ولا نجد له مراجعة؟ هذا يخلق مشكلة كبيرة، ومن يريد أن يدس رأسه بالتراب ولا يرى هذا الواقع سيُفرض عليه، الأفضل أن نرى، ونصلح، ونراجع أوضاعنا، ونضع الأسس الصحيحة.

قوى الدولة وقوى اللادولة

من وجهة نظري القاصرة، التمييز، والمعيار بين قوى الدولة وقوى اللادولة ليس هو الشعارات التي يطلقها هؤلاء، لا يوجد أحد اليوم يقول: (أنا لست من قوى الدولة)، وكلٌ يدعي وصلًا بليلى، وكلٌ يدعي أنه يريد بناء دولة قوية وعراق قوي، ما هو المعيار الذي يفرّق بين قوى الدولة وقوى اللادولة؟ هو المصلحة السياسية، أنا شخصيًا أنظر لهذه القضية ليس من زاوية قيم ومبادئ، لأنه ليس كل السياسيين مبدئيين، لننظر من زاوية المصلحة السياسية، الجهة السياسية، التي عندها مجموعات مسلحة، عندها مكامن قوى خارج الدولة، كلما تقوى الدولة هي تضعف، هذه لا أستطيع أن أدرجها ضمن قوى الدولة، حتى وإن كانت مبدئية، و القوى التي ليس لها مكامن قوى خارج الدولة، كلما تقوى الدولة هي تقوى، تصبح لها فرص لتتسع، وتتحرك، يصبح عندها غطاء تُحمى، تستطيع أن تقول كلمتها، وتتواصل مع الناس دون قلق، دون ضغوط، هذه القوى أدرجها ضمن قوى الدولة، لماذا؟ ليس لمبدئيتها، فالصنف الأول فيهم ميدئيون أيضًا، لكن مصلحتها السياسية أن تكون دولة قوية حتى تعمل، وتتسع، وتنمو، لذلك حين نريد أن نصنف أي جهة سياسية هل هي من قوى الدولة؟ أو اللادولة؟ ضعوها في هذا المعيار في حسب وجهة نظري القاصرة، مصلحتها ـ وليس مبادئها ـ، مصلحتها هل هي مع وجود دولة قوية؟ هل تقوى مع وجود دولة قوية؟ أو تضعف حين تقوى الدولة؟ إذا كانت تضعف إذن هذه ليست من قوى الدولة، إذا كانت تقوى بقوة الدولة فهذه من قوى الدولة، ويمكن لكم أن تجدوا اليوم وتفرزوا الخارطة السياسية حسب هذا المعيار ليتبين من هي قوى الدولة ومن هي قوى اللادولة.

المعادلة المنتجة

نحن نظام برلماني، النظم الرئاسية قضيتها سهلة، اثنان، ثلاثة، أربعة، يتنافسون، من يجلب (نصف زائد واحد) يصبح رئيسًا للجمهورية، إما تحصل على الرئاسة أو لا تحصل على شيء، والرئيس يأتي ويشكّل فريقا ويمضي، أما في النظم البرلمانية فالكل يشارك، بحسب نسبة مقاعده، الذي يحصل الآن هذا التشظي الكبير، بعضكم

أشار إلى هذا الكلام، في (٢٠١٨)، (١٢٧) قائمة، تنظر للبرامج تجد واحدًا مستنسخًا من الثاني، الحمد الله برامج القوى السياسية تُكتب في ليلة، وكلها استنساخ، المواطن البسيط خرج للشارع وجد (١٢٧) قائمة، ونفس الكلام، كل واحد عنده لون، والشارع يمتلئ بهذه الفلكسات، والصور، أحمر، أخضر، أصفر، لمن يصوت؟ من يستطيع أن ينقذ البلد؟ من يقول الحقيقة؟ يضيع الحابل بالنابل، عمليًا تدخل معايير ليس لها علاقة بالوطنية، ابن عمي، وابن خالتي، وفلان، وهذا ساعدني، لماذا؟ لأنه لا توجد بوصلة أو صورة واضحة تنتج نتائج بهذا الشكل، تشظٍ كبير، قوائم كثيرة، كل واحد يحمل مصالحه بعد الانتخابات، عنده خمسة مقاعد يريد وزارة، وكلها تريد وزراء، وكلها تريد مسؤولين، وكلها تريد هيئات، ونقول: لماذا لا تحصل محاصصة في هكذا نظام؟ هذا النظام يُنتج محاصصة، قبلنا بالمحاصصة، قالوا لا، نريد مستقلين، ثم تفاهموا مع مستقلين في الليل وأتوا بهم صباحًا، لم نفعل شيئا، ثلث المستقلين اليوم اسمه مستقل وواقعه لفلان ولفلان، أيضًا قبلنا، وتشكلت حكومة، في اليوم الثاني بعد تشكيل الحكومة كل واحد يخاف من الثاني، (أخاف أن ينجح هذا، وهذا قريب من الحزب الفلاني، فالحزب الفلاني يتقدم ويأخذ مقعدين إضافيين) وتنافس، وقلق، وخوف من النجاح بين شركاء الحكومة، لا أتكلم عن المعارضة، أتكلم عن داخل الحكومة، كل طرف يخاف من الثاني، وهنا الحقيقة المرة، اسمحوا لي أن أتكلم بهذه العناوين: الشيعي يخاف من الشيعي لأنه هو ينافسه بساحته، والسني يخاف من السُني، والكُردي يخاف من الكُردي، لأن ذاك الذي ينافسه في جمهوره وفي الانتخابات القادمة، فتتشكل حكومات من شركاء كلُ منهم يضع فيتو على القوي من الشريك الآخر، وثم كلٌ منهم يضع العصا في دواليب الآخر، ولو تحقق النجاح تعمل الماكنة الإعلامية للمنافس لتسخيف وتهوين هذا الإنجاز، على نحو المثال الأخ (الكاظمي) أي إنجاز يقوم به توجد ماكنة تسخف وتسفه هذا الإنجاز، لماذا؟ حتى لا يشكل حزبًا، حتى لا يشارك في الانتخابات، هذه المعادلة غير منتجة، هذه لا تجلب لنا النجاح، هذه لا تؤدي إلى استثمار إمكانات الدولة لصالح المواطن وتوفير الخدمات للمواطن، قبل يومين أو ثلاثة شرفت وزيرة الإسكان والإعمار، سيدة كُردية محترمة، كلمتني عن تجربتها لسنين طويلة من بداية التسعينيات وزيرة إعمار بإقليم كُردستان، (٣٠) سنة، تقول: (أنا عندما بدأت في كُردستان وزيرة إعمار أسكّن الناس النازحين في الخيم، أربعة آلاف وخمسمائة قرية دمرها نظام (صدام)، عملنا على إسكانهم في الخيم، بدأت من هناك، خلال عشر سنوات وصلنا إلى أن نبني مطار أربيل، وكان حلما بعيد المنال،

الآن صارت هذه أربيل، وهذه كُردستان بالشكل التي ترونها) ثم قالت: (عندما جئت إلى بغداد وجدت موارد بغداد أكثر بكثير من موارد كُردستان، العقول والخبراء بوزارة الإسكان أكثر بكثير من عقولنا في كُردستان، كل عناصر النجاح موجودة ومجتمعة، ولكن التقاطعات لا تجعلهم يعملون، وإلا الإمكانات لعمل كبير موجودة).

وأعتقد أن أي وزير منصف في أي وزارة سيقول ذات الكلام، أعطوا الوزارة لخبير وسيوجد الكثير من الإنجازات، ناشطون، ومسؤولو منظمات، بأبخس الأثمان قمتم بفعاليات كبيرة وعظيمة، وأنجزتم إنجازات كبيرة، فكيف بوجود مليارات الدولة العراقية؟ لكن المشكلة في المعادلة السياسية، أحدكم قال: (الاستقرار الأمني والسياسي هو الذي يوجد استقرارًا اقتصاديًا) أنا أطور فكرته أقول: (الاستقرار السياسي هو الذي يجلب الاستقرار الأمني) ثلث المشاكل الأمنية نتيجة الصراع السياسي، الاستقرار السياسي هو المفتاح الأول، يجلب الأمن، استقرار سياسي وأمني يجلبان الاقتصاد، الاقتصاد يجلب الازدهار، والازدهار يجلب الرفاه، تمامًا هذه هي المعادلة، المفتاح الاستقرار السياسي، كيف يأتي الاستقرار السياسي؟ بالمعادلة الناجحة، ما هي المعادلة الناجحة؟ المعادلة الناجحة أن يكون شركاء الحكومة قلبا على قلب، كل واحد منهم يريد أن ينجح الثاني، ولا يفشله، كيف يكونون هكذا؟ بالمصلحة، لا نتحدث بالقيم، أخلق تيارين، تيارًا وطنيًا عريضًا من قوى سُنية، شيعية، كُردية، كلها في قائمة، قائمة قبل الانتخابات وليس بعدها، قوى شيعية، سُنية، كُردية، مسيحية، إيزيدية، تركمانية، كلها قوى من الشمال إلى الجنوب، إذا تشكلت هي ستدفع القوى الأخرى في الجانب الآخر، إلى أن تكون في قائمة أخرى، نحن رأينا بعد الانتخابات حينما شكلنا (الإصلاح) تشكل (البناء)، أعلنا (الإصلاح) في الثامنة ليلًا، (البناء) أعلن نفسه في الواحدة ليلًا، لا أقول: نشكل قائمتين، نشكل قائمة واحدة والثانية تتشكل وحدها، لا يوجد خيار آخر، من يجلب (نصف زائد واحد) يشكّل حكومة، إذا شكل الحكومة الفريق المعارض لن يستهدف واحدا منهم، سيستهدفهم كلهم، إذا الكُردي أخطأ، إذا السُني أخطأ، إذا الشيعي أخطأ، الكل بمركب واحد، يصبح كل واحد من أجل مصلحته يريد أن يُنجح الآخر، كلهم في مرمى السهام، كلهم تحت تحد واحد، فريق واحد، هذه ليست عبقرية، النظام الديمقراطي في العالم كله قائم على هذه الثنائية، موالاة ومعارضة، نختلف عن كل مقاسات العالم ونخرج بشيء خاص بنا تظهر هذه الطريقة المشوشة والعرجاء، لا حل لتشكيل معادلة ناجحة ومنتجة إلا بفريق وطني من الشمال إلى الجنوب يُقابله فريق وطني من الشمال إلى الجنوب، فكرة سفينة نوح الكل تشارك

والكل تعارض لم تنتج، ولها ما يبررها في مراحل سابقة، قلق مكونات، الآن انتهت تلك الأسباب، علينا أن نفكر بمشروع وطني عابر للمكوناتية قبل الانتخابات، قوى شيعية، سُنية، كُردية، بقية المكونات كلها تكون حاضرة يُقابلها حالة أخرى مشابهة، من يجلب (نصف زائد واحد) عنده الشرعية الكاملة لتمثيل كل العراق، هذه أمريكا ثلاثمائة مليون ونظامها رئاسي، غيرها بريطانيا مثلنا نظام برلماني، فيها حزبان إلى ثلاثة لا يجوز أكثر، لذلك معادلتها منتجة، تحقق النجاح.

أرجو أن تنظروا أنتم النخب، أصحاب التفكير، أصحاب التأثير على الرأي العام، إذا وجدتم هذا الكلام مقنعًا تبنوه، كلنا ننتقد، من يحل المشكلة؟ (ما حك جلدك مثل ظفرك) أنتم أهل العراق (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[٤١٦] هذه ليست مسؤولية طرف واحد، هذه مسؤوليتنا جميعًا، السياسي لا يستطيع وحده، هذه تحتاج تضامنا، ولا أحد يقول لي: (أين حقوق المكونات؟) هذه القائمة بها سُني، شيعي، كُردي حقوق المكونات كلها محفوظة، تلك القائمة بها سُني، شيعي، كُردي، حقوق المكونات محفوظة أيضًا، المكونات محفوظة اليوم، مساحتها معروفة، حكوماتها المحلية تدير أمورها مناطقيًا، اليوم نحتاج إلى مشروع وطني جامع، يُقابله مشروع وطني جامع، هذا هو بداية الحل الحقيقي للمشكلة العراقية، وهي في متناول اليد ونحن ذاهبون إلى انتخابات.

الانقسام الشعبيّ

مهما اختلفنا في الدولة أو اللادولة، كيف كان سلوكنا ومشاريعنا، نبقى نحن عراقيين والآخر عراقيًا، كلنا عراقيون، وأنا أرفع القبعة لأولئك الذين قالوا: (نحتاج إلى حوار وطني وإلى تفاهم)، هل نبقى كل فريق يتهم الآخر؟ هذا يصيح: (جوكرية) وذاك يصيح: (ذيول) وهذا يتهم ذاك في الوطنية، وذاك يتهم هذا في الوطنية، هذه لا تنتهي، قدرنا هذا، شعبنا منقسم، تأتي الانتخابات هذه القوائم الكبيرة، هل أي واحدة منها ستخرج من السباق تمامًا؟ لا، طرف عنده خمسون سيصبح أربعين، الطرف الآخر عنده أربعون سيصبح ثلاثين، الطرف الثالث عنده ثلاثون سيصبح أربعين، لكن كلهم موجودون، ومن صوّت لي ومن صوّت للآخر، كلهم عراقيون، وكلهم يحظون بتأييد عراقيين، ويجب أن يكون رأي العراقي محترمًا إنْ صوّت لي أو صوّت لغيري، القاعدة

٤١٦. بحار الأنوار ج٧٢ ص٣٨

الفلسفية تقول: (حكم الأمثال في أن يجوز وما لا يجوز واحد) العراقي عراقي ورأيه محترم إنْ صوت لي أو صوّت للآخر، كل من يؤمن بالعملية السياسية فهو شريك، وكل عراقي يصوت له فهو عراقي وطني وله إرادة ويجب أن تُحترم إرادته.

نحتاج أن ننهي هذا الانقسام الذي يذهب بنا إلى حرب أهلية، أو حرب شوارع، الذي يجعلنا نوجه فوهات سلاحنا بوجه بعضنا، هذا أخطر شيء على العراق، وعلى مستقبل البلد، وأحذّر منه كثيرًا.

الانتخابات المبكرة سيف ذو حدين

إذا جرت الانتخابات بشكل سليم، وصحيح، وشفاف، وعادل، وتعبّر عن إرادة الشعب العراقي بلا أي مدخلات غير اعتيادية، ستكون سببا في لحمة حقيقية وانطلاقة للعراق، إذا صارت مورد خلاف جديد يُضاف إلى قائمة الاختلافات والتقاطعات بين العراقيين ستكون سبب انقسام وتشظٍ إضافي، وليس لنا إلا أن نحتكم لإرادة الشعب ونذهب إلى الانتخابات، المخاوف لا يجوز أن تؤجل الانتخابات، المخاوف يجب أن تجعلنا نركز على ترويض الواقع وحل الإشكاليّات للوصول إلى المناخات الآمنة، أحاديثنا مع السيد رئيس الوزراء، مع السيد وزير الداخلية، مع القيادات الأمنية كلها بهذا الاتجاه، يجب أن تكون هيبة للدولة، ويجب أن تسيروا في اتجاهين، في حديثنا مع الأخ السيد رئيس الوزراء قلت: (سيادة رئيس الوزراء نحن نطلب منك أمرين: الأمر الأول: كل من تورط باغتيال ناشط من الناشطين يجب اعتقاله وتسليمه للعدالة، ونحن نساندك، ولا تأخذك في الله لومة لائم، يُقابله كل من يحرق ويهدم، ويسيء، ويمنع المرشحين أن ينزلوا في هذه القائمة أو تلك، أو مع هذه الجهة أو تلك، ويفرض أجندة خاصة، هذا أيضًا يجب أن تلاحقه) وهنا لا نتكلم عن مئات وآلاف، تبحث في كل هذا العراق في كل محافظة تجد اثنين إلى ثلاثة، معروفين، وقلت له: (لا تحتاج أن تتعب نفسك وتضع الأجهزة الاستخبارية وتجمع وثائق، كل واحد من هؤلاء على صفحته في الفيس بوك هو يصور الجريمة وفرح)، كلها أفلام مصورة، بشهادات شخصية من عندهم، أدلة الإدانة كاملة، ثلثهم موظفون في الدولة، معروفون، بيوتهم، أماكنهم، لا تحتاج جيوشًا، تذهب إلى بابه تأخذه تسلمه للقضاء، والقضاء يحكم في أمره وتنتهي القصة، اثنان إلى ثلاثة يُعتقلون المحافظات تهدأ، الأمران يجب أن يحصلا حتى تخلق توازنًا صحيحًا ودقيقًا، ولاحظتم القادة السياسيين أغلبهم حين أطلق رئيس الوزراء في بيانه في يوم عاشوراء، شعار (إعادة هيبة الدولة وإنه سيلاحق المسيئين) أنزلوا مواقف

رسمية وتغريدات دعموا الحكومة في هذا الأمر، هذا غير مسبوق، أن تكون الحكومة مدعومة من كل القوى السياسية في تحقيق هيبة الدولة واستتباب الأمن، وترون الآن الحملات الموجودة في عدد من المحافظات لا أحد يعترض، الكل يطالب أن تقوم الحكومة بواجباتها ومسؤولياتها في هذا الشأن.

سلطة شعبية

الاتحادات و النقابات سلطة شعبية كبيرة ويُمكن أن تفي بمسؤولية ودور وطني كبير ومهم، ولكن الحقوق والأدوار تُنتزع ولا تُمنح، الواقع النقابي في العراق يجب أن يكون مبادرًا في أن يخلق واقعًا ويفرض نفسه وتأثيره في الساحة بمبادراته.

المدارس الأهليّة

بالفعل في كل مكان في العالم من يبني مدرسة أهليّة حينما تبدأ بالعمل نصف التكاليف تدفعها الدولة، والنصف الآخر يأخذها من الناس، السيد وزير التربية كان عندي قبل أيام قليلة، تحدثت معه في هذا الموضوع الذي تحدث به أخونا، قلت له: (أنتم ليس لديكم مدارس كاملة وتخشون أن ينافسوكم، هؤلاء يزيلون الهم عنكم، المواطن غير مستعد لدفع الأموال للحكومة لكنه مستعد للدفع للمدارس الأهلية، فلماذا هذه القيود؟) تفاجأت، السيد الوزير انبرى بالدفاع عن هذه الرؤية، واستعرض لي التسهيلات التي تقدمها الحكومة في الأردن وغيرها من دول المنطقة، للمدارس الأهلية، وقال (نحن متراجعون ومتخلفون، وأن من أولوياتي أن أغيّر في هذا الوضع) قلت له: (جزاك الله خيرًا إذا كان هذا سلوكك) هذا ما قاله، فاستبشرت خيرًا عندما رأيته ملتفتًا لهذه القضية.

لغة التعميم

هذا التعميم لا يخدمنا، كيف نضع كل السياسيين في خانة واحدة؟، فيهم الشريف، فيهم المخلص، فيهم الوطني، فيهم الذي تحمّل الكثير من الأعباء ولم يتراجع عن مبادئه، فيهم الذي فقد الكثير من الفرص وعُزل ولم يقبل لنفسه أن يخالف مبانيه وقيمه، وفيهم الذي تشيرون له، من ينظر إلى واقع الحراك الشعبي بلغة التعميم، (كلهم جوكرية) (كلهم أجندة سياسية) (كلهم عملاء) وهم الناشطون يعرفون أن فيهم بعض الأشخاص يتصفون بهذه الأوصاف، فيهم من يأخذ مالًا من السفارات، فيهم من يتأثر

من الخارج، ولكن يتضايقون من هذا التعميم بحقهم، وحسابهم كلهم على حالة واحدة وعلى أخطاء بعضهم، ما لا ترتضيه لنفسك لا ترتضيه للآخر، وهذه مفارقة، السياسي يتهم كل الحراك، ولا يرضى إذا اُتهم هو، والحراك الشعبي يتهم كل السياسيين ولا يرضى إذا اتهموه وعمموا، التعميم في كلا الطرفين خطأ، في الحراك شرفاء ونبلاء ووطنيون، ونحن من وجهة نظرنا نعتقد أن المساحة الأكبر هم شرفاء، وهم عراقيون، وطنيون، وحققوا إنجازًا عظيمًا، ونعتقد أن النتوءات هي على الهامش، تلك التي يجب أن تُبعد ويبقى حراك تشرين نقيًا، والمرجعيّة أعطتهم حقهم حين قالت: (ما بعد تشرين ليس كما قبله) ولكن على هذا الحراك أن يعرف بأن هذه القوى السياسية حقيقة، وانتم يا حراك شكلتم أحزابًا وجئتم فهل ستكتسحون وتأخذون البرلمان كله؟ لا أتصور فيكم من يقرأ الأمور بشكل صحيح ويقول: (نحن سنكتسح كل شيء) لا، ستأتون وتجلسون مع هؤلاء السياسيين في مجلس نواب واحد، ماذا ستفعلون؟ جمهوركم ماذا سيفعل؟ لأنكم أوضحتم له أن كل السياسيين فاسدون، وأنتم ضدهم، وفي اليوم الثاني تجلسون معهم بعد أن تفوزوا، وتضعون أيديكم بأيديهم وتشكلون الحكومة معهم، ما الحل؟ جمهوركم سينقلب عليكم، أساسًا لا يتركب البلد بلا تفاهم، فحذار من هذه التعميمات، ونضع يدنا بيد بعض، ونتعاون، و المخطئون، المسيئون، الفاسدون، هؤلاء نستهدفهم ونبعدهم ولا نتهم المجموع.

صناديق الاقتراع هي الفيصل

إذا كان في حراك تشرين من يريد إزاحة النظام السياسي بالكامل فهو مغال شيئًا ما، هذا لا يتحقق، ولا النظام السياسي كله سيئ حتى يحتاج إلى تبديل، هو يحتاج إلى تعديل، وتطوير، ومراجعة، وتصحيح، أما إزاحة، فلا أحد يستطيع أن يزيح الآخر إلا بصناديق الاقتراع، لا يوجد لدينا واحد وطنيته مضاعفة، هي جنسية واحدة، بطاقة وطنية واحدة في جيوبنا، لا فضل لبعض على الآخر في هذا الأمر، والشعب منقسم في ولاءاته، فالكل سيكون حاضرا، من يزيح من؟ الشعب من حقه أن يزيح، والشعب لا يرى حتى الآن أن هناك إزاحة كاملة لنظام سياسي أو لقوى سياسية، فلنكن واقعيين ونتعامل مع هذا الطريق.

أول من مكّن الشباب

نعم الحكمة لا تتنصل عن أنها جهة سياسية حاضرة، نعم يُحسب للحكمة ـ ومن المعيب أن أتحدث عن حُسن من محاسن الحكمة ـ، لكن يُحسب لها أنها كانت ضمن كيان سياسي معين، انتفضت، شكّلت كيانًا جديدًا، تحمّلت أعباء عظيمة في هذا الإطار، مكّنت الشباب، أعطت فرصة قبل أن ينبثق تشرين، تيار الحكمة من (٢٠١٠) تيار الشباب، وتمكين الشباب وتربية وإعداد الشباب كان سلوكًا ومسارًا عامًا في الحكمة.

كلا للتطبيع

لسنا متوافقين، ولا نقبل التطبيع، أنا شخصيًا الوحيد في العراق الذي أصدر التغريدة وأدنت حتى السفارة الافتراضية لإسرائيل، لا نقبل، منذ خمسين سنة، ستين سنة، كل رئيس جمهورية في أمريكا يأتي قبل الانتخابات يطرح القصة ويقول لك: (انتهت)، القضية أعمق من أن تنتهي، لا تنتهي الأمور بهذه السهولة، (كن فيكون) عمل الله فقط، دون الله لا يكون (كن فيكون)، (ترمب) الآن إذا أعاد الشعب الأمريكي منحه الثقة يذهب باتجاهه، يأتي (بايدن) كل الأشياء تذهب باتجاه آخر، فلا يوجد شيء مؤكد، وهذه الاتفاقية النووية الإيرانية التي أمام حضراتكم بعد (١٧) سنة من المفاوضات وأنتجت، جاء رئيس غيّر المسار، واليوم واحدة من محاور التنافس الأمريكي الأمريكي بين الرئيسين هذا يقول: (إذا عدت أتفاوض معهم وأعمل اتفاقية جديدة) وذاك يقول: (أعود للاتفاقية السابقة)، القضية الفلسطينية، فيها من التعقيد أكبر من أن تنتهي هكذا، وستجدون كيف أن مائة مشكلة تحصل في هذه العملية، تطبيع لا يبتني على أسس حقيقية، وعلى حماية مصالح الشعب الفلسطيني بشكل منطقي وعادل لا يمضي مهما كان، حتى لو يحصل جو معين في لحظة معينة، وبعض الدول تهرول، لكن الأمور لا تمشي، هذه وجهة نظري والأيام بيننا.

زيارة مختلفة

زيارة الأخ (الكاظمي) إلى كُردستان، للإنصاف اختلفت في شكلها ومفرداتها عن زيارات الرؤساء السابقين، فيها زيارة مخيمات، فيها جلوس مع الناس، فيها النزول إلى المتظاهرين والاستماع لهم، فيها تواصل مع مكونات مختلفة، وفيها جلوس مع

القادة والسياسيين، وترحيب غير مسبوق حسب رصدنا الإعلامي، ترحيب من الشعب الكُردستاني غير مسبوق بالسيد (الكاظمي) وإعطاؤه أهمية كبيرة لهذه الزيارة، لعلّ شعب كُردستان بدأ يشعر كلما كان على علاقة ودية مع بغداد تأتي رواتبهم و يستقر وضعهم، كلما توجد مشكلة تنعكس على الشعب، فأصبح الشعب يريد علاقة مع بغداد أعمق ويضغط على الحكومة في الإقليم في هذا الاتجاه.

علاقات وديـــة

منكم من قال إن رئيس الوزراء يتلقى التعليمات من رئيس الجمهورية، أنا لا أعتقد ذلك، الدكتور (برهم) صديق شخصي لي، ولا أعتقد أن منهجه منهج فرض قناعات، رئيس الوزراء (الكاظمي) صديق شخصي لي، وليست شخصيته شخصية تتلقى تعليمات من أحد، فلا هذا يريد أن يفرض، ولا ذاك يقبل أن يُفرض عليه، لكن أنا أعتقد أن علينا أن ننظر إلى القضية من زاوية أخرى، إذا رأيناهما واقفين في حديقة القصر على سفاح الجبال ويتكلمان ويضحكان، فعلينا أن نأخذ البُعد الإيجابيّ فيها، في يوم ما كان الرؤساء كل واحد يضع رأسه برأس الثاني، والصراعات والبيانات والشجار، وكنا محرجين أمام العالم، أن يكون رؤساء البلد متفقين مع بعضهم، يعالجون الأمور بمحبة، هذه نقطة قوة وليست نقطة ضعف، وأعتقد أن لكل واحد منهم مساحته.

الخريجون

أنا أقدر تمامًا الظرف الذي يعيشه الطالب الذي يتخرج، ويريد أن يتزوج ويكوّن حياته، ويحتاج أن يعمل، ولا يستطيع أن يحصل على وظيفة حكومية، لكن المشكلة في كل العالم لا تُحل بالوظائف الحكومية فقط، يجب أن نتحرك لدعم القطاع الخاص، وفتح مجال لكي يوفر المجتمع فرصًا هائلة لكل أولئك الشباب الأعزاء.

أزمة تطبيق

قيادة حوار وطني يجتمع فيه الجميع، هذا يحتاج إلى مقدمات، يجب أن يشعر الجميع أنه بحاجة إلى هذا الحوار، حوار لا يشعر البعض بالحاجة له يتحول إلى حالة شكلية، ما زال البعض مع الأسف لم يصل لهذه القناعة الكاملة، واليوم أزمة تطبيق أكثر من أزمة تنظير، فنحتاج أن نذهب إلى الحلول العملية الواقعية، التحالف العابر

للمكونات هو المدخل المهم لتنظيم الأمور، يخرج من الانتخابات تحالفان كبيران يتفاهمان مع بعض، تحصل في ذلك الوقت ضرورة يستشعرها الجميع.

تماسكنا الداخليّ

الحوار مع دول المنطقة مطلوب، لكن الدول ليست منظمات خيرية، حينما تراك ضعيفًا تدخل ليكون لها دور أكبر في وضعك، وحينما تراك قويًا ومتماسكًا تحسب حسابات أخرى، فالحوار يجب أن يكون، ولكن الحل أن نقوّي بنيتنا الداخلية ونتماسك، الآخر يبدأ يحسب مائة حساب في هذا الأمر، رأيتم حينما كان العراق منقسمًا مذهبيًا، دينيًا، كل الدول المحيطة بنا كانت تعطينا نصائح، من الدولة الصغيرة إلى الأكبر، أينما نذهب نجلس نحن ويبدؤون بنصيحتنا، وكل بيانات الجامعة العربية فيها فقرة (والعراقيون عليهم أن يتوحدوا) نصائح، قوينا قليلًا وخفّت هذه الأمور، ولم يعد أحد يتكلم بهذه الأشياء، فالحل أن نكون نحن أقوياء، والآخرون يُرغمون على احترام سيادتنا، كل دولة عندها مصالحها، وعندها وضعها، وتأتي وتريد أن يكون لها دور أكبر.

شكل النظام

سألتم كيف للدستور أن يعالج الهيكليات؟، هذه واحدة من فقرات العقد الاجتماعي الجديد، في لحظة نحن احتجنا نظامًا برلمانيًا، حتى يجمع الكل، ويهدئ الكل، ويطمئن الكل، الآن الأمور صارت على السكة، والكل هدأوا، هل نبقى بهذا النظام البرلماني وهذا التشظي الكبير؟ أو ننتقل إلى نظام شبه رئاسي وليس رئاسيًا؟ رئيس يُنتخب و هو يختار رئيس حكومة، ورئيس الحكومة يشكل الحكومة، فعندنا رئيس بصلاحيات، وعندنا رئيس حكومة، وعندنا رئيس برلمان، هذه تحتاج إلى حوار وطني في هذا الشأن.

النظام الانتخابي

منكم من قال إن تصويت الأكثرية لا يعبّر عن إرادة الشعب، أقول

في كل نظم العالم لا يوجد نظام انتخابي عادل بالمعنى الذي نتكلم عنه، كل نظام ينظر إلى زاوية ويحل مشكلة، هذه أمريكا بحجمها هل يوجد أحد غير الجمهوريين والديمقراطيين يستطيع أن يشارك في الانتخابات؟ هل يستطيع أن يفوز؟ لا يستطيع،

أحيانًا يأتي ملياردير مستقل قبل شهرين أو ثلاثة يشارك حتى يستفيد من الغطاء الانتخابي للتعريف بشركاته وبشخصه وينسحب، (هيلاري كلينتون) جلبت ثلاثة ملايين صوت أكثر من (ترمب)، و(ترمب) أصبح الرئيس، لماذا؟ لأن النظام الانتخابي فيه حسابات معينة، وهكذا، لا يوجد نظام عادل بالمعنى الكامل، وإنما كل نظام ينظر إلى جانب من الجوانب.

التصويت البايومتري

سألتم هل توجد إرادة سياسية للتصويت البايومتري؟، أنا أقول: الشيء الصحيح أن نسأل: (هل توجد إرادة شعبية بحيث تذهب الناس وتحدّث؟) السياسي الذي يريد أن يفكر بالتزوير من مصلحته أن لا تذهب الناس، حتى تبقى فسحة للانتخاب اليدوي، وهناك يحصل اللعب، أي مواطن الآن يريد أن يحدث بايومتريًا من يمنعه؟ ثقافتنا الشعبية إلى الآن لم تصل إلى المستوى المطلوب، أنا كلمت رئيس الوزراء قلت: (أقترح عليك إصدار قرار من مجلس الوزراء بدفع البطاقة التموينية لأربعة أشهر لمن عنده بطاقة بايومترية)، أخذ البطاقة ضرورة يمنع من التزوير، أما المشاركة أو عدمها فهي خيار الناخب.

الانتخابات طريق الإصلاح الوحيد

يقال هل تستطيع القوى السياسية أن تساهم في الإصلاح وتفقد بذلك جزءًا من تأثيرها؟، أقول: ليس لدينا حل في النظام الديمقراطي سوى مخرجات الانتخابات وإرادة الشعب، فهي طريق الإصلاح والتغيير، الآن قوى جديدة تدخل وستضغط، الشارع يضغط، الإعلام يضغط، الاتحادات والنقابات تضغط، المؤسسة الدينية تضغط، توجد ضغوط من الخارج وعمل من الداخل، وبعض القوى السياسية متحمسة في هذا الشأن، فتتضافر الجهود لتحقيق هذا الإصلاح، توجد فجوة بين الشعب والطبقة السياسية ويجب أن تُردم، القوى السياسية دعموا الأخ (مصطفى الكاظمي) من خارجهم حتى يطلقوا رسالة للشارع: (نحن مستعدون أن نتخلى عن جزء مهم من دورنا السياسي لصالحكم، جلبنا واحدًا من خارجنا حتى يكون هو حلقة الوصل في المرحلة الانتقالية، ولو كان واحد من القوى السياسية رئيس وزراء ويعمل بالانتخابات أيًا كانت النتيجة يقولون: «هم زوّروها» هذا رئيس وزراء من خارج القوى السياسية حتى لا تتهم النتائج بالتزوير، وتأتي النتائج بالشكل الذي يوجِد هذا التلاحم.

الهويات الفرعية

الهويات الفرعية يجب أن تبتني على احترام الخصوصيات، الطائفية هو أن اتهم الطائفة الأخرى، وأسيء لها، أما أن أعتز بطائفتي، والآخر يعتز بطائفته، وأعتز بقوميتي، والآخر يعتز بقوميته، والعربي محترم، والكُردي محترم، والتركماني محترم، والمسلم محترم، والمسيحي محترم، والشيعي محترم، والسُني محترم، فأين المشكلة؟ يجب أن تكون الهويات الفرعية كلها محترمة، يجب أن تُحترم الطوائف، والقوميات، والخصوصيات، ولكن الهوية الوطنية الجامعة تكون هي الأساس.

أحلامنا وفوضى التقاطعات

سألتم أين أحلامنا وأمنياتنا في ظل هذا التقاطع؟، أحلامنا قريبة المنال، وهذه التقاطعات قابلة لأن تُفكك إذا ما مضينا بالطريق الصحيح، ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾[٤١٧] نحن إلى الآن لم ندخل من الباب، المشروع الوطني العابر للمكونات في قائمة انتخابية، في تحالف انتخابي، هذا هو الحل كما أراه.

قانون العنف الأسري

هو كغيره من الأمور، كل واحد ينظر إليه من زاوية، واحد يأتي يرى المرأة، والطفل، والأسرة العراقية في ظل أعراف وتقاليد غير سليمة بعضها تُنتهك، فيقول: (نريد حلاً) ومستعد أن يذهب ويغالي بكل الحلول لحل هذه المشكلة، ولتخفيف الضغط، الآخر ينظر إلى تماسك الأسرة، ويرى أن بعض الحلول قد تؤدي إلى تفكك أسري، فيلغي كل الحلول ويقول: (نبقى بهذا الحال ولا نذهب لتفكك الأسرة) وأنا أعتقد أن كلاً من الرؤيتين فيها نوع من المغالاة، يجب أن تُحمى الأسرة، يجب أن تُحمى المرأة والطفل، يجب أن لا يُسمح للأب أن يفتك بهم ويأخذهم أسارى بيده بهذه الطريقة التي تحصل في بعض العوائل والثقافات، وفي نفس الوقت هناك ناس تستغل هذه الأمور بطرق غير سليمة وغير صحيحة، لذلك نعتقد أن أصل القانون سليم، وصحيح، ويجب أن يُمرر، ولكن نحتاج إلى بعض المحددات، وبعض الخطوات التي تمنع من استغلال هذه القضية بشكل خاطئ، أو تعريض الاستقرار الأسري والتماسك الأسري إلى الخطر.

---

٤١٧. سورة البقرة: الآية١٨٩

تمكين المرأة

المرأة تتحمل جزءًا من المسؤولية، عليها أن تتقدم بخطى واثقة، وتقوم بأدوارها، وتأخذ، وتنتزع مساحاتها، وهناك الكثير من الرجال أيضًا كقوى، ومنظمات، يدعمون هذا الدور، ولكن حتى نغير هذه الثقافة الذكورية في مجتمعنا، نحتاج إلى مزيد من الوقت والجهد، بعض تجارب السيدات اللاتي تصدين لمواقع مسؤولية لم تكن بمستوى يكرس هذا الانطباع في النجاح، أنا أي وزيرة تزورني عادة أقول لها: (أنتِ مسؤوليتكِ مضاعفة، أنتِ كوزيرة عندكِ طموح شخصي أن تنجحي هذا جيد، لكن نجاحكِ سيعني نجاح المرأة في القيادة، فنجاحكِ ستساعدين على تمكين الأخريات، أرجوكِ اهتمي في أن تكوني ناجحة) هذا واقع، يجب أن نتعاون جميعًا عليه.

انتخابات الخارج

صحيح عندما ننظر إلى أربعة ملايين عراقي عندنا في الخارج نراهم عددًا كبيرًا، لكنهم مبعثرون في أماكن كثيرة، نسب الناس التي تشارك بالانتخابات منهم نسب محدودة جدًا، عدد قليل، وكلف عالية جدًا، والكلف تهون أمام عراقي يشارك ويشعر أنه جزء من العملية، نحن عندنا مشكلة في السياقات تجعل العملية معقدة جدًا، بالإضافة إلى أن انتخابات الخارج تكون أبعد عن العين، فأغلب المشاكل التي تحصل في شبهات التزوير هي في الخارج، لكل هذه الاعتبارات ومع اعتزازنا الكبير للخارج، لكن أعتقد سلامة الانتخابات في ظل الانقسام الموجود اليوم أهم من أي اعتبار آخر، وقد يتطلب أن نتماشى، وهذه المرة لا يشاركون إخواننا في الخارج في قبال أن الانتخابات لا يكون فيها سبب للطعن.

لماذا ولد تحالف (عراقيون) الآن تحديدًا؟

ولد تحالف (عراقيون) الآن تحديدًا لوجود أزمة مشارب سياسية وبوصلة، اليوم إخواننا في (الفتح) ومن معهم بوصلتهم واضحة، الإخوة شركاؤنا وأعزاؤنا في (سائرون)، بوصلتهم واضحة، لكن يوجد تبعثر وتشتت في الساحة في مساحات أخرى، (عراقيون) أراد أن يكون ثيمة معينة يجمع هؤلاء ويرفع شعار دعم الدولة، وبالمعيار الذي بيناه، القوى المشاركة في (عراقيون) هي ليس لديها أي ذراع خارج الدولة، فهي قوتها بقوة الدولة، لنقدم نموذجًا ولا ندّعي أننا نحن بمفردنا قوة دولة في

هذه الساحة، لكن نحن من قوى الدولة (عراقيون) ومن معهم، وبالفعل هو مشروع سياسي الآن ويوفر غطاء لدعم الدولة، وكل خطوة حكومية ضمن سياق بناء الدولة، وهيبة الدولة، تحالف (عراقيون) يكون غطاء لها.

نتائج حراك تشرين

أهم نتيجة هي أن الـ (٧٠٪) من شعبنا الشبابي، الحيوي، المحبط أصبح فاعلًا ومتحركًا في الساحة، هذه اللقطة هي الإنجاز العظيم، توجد أمور أخرى إيجابيّة، وأيضًا إنجازات أخرى، أو بعض الأشياء السلبية لكن هذه إيجابيّةٌ تتضاءل أمامها أي سلبية، أننا جلبنا شبابنا وأدخلناهم وجعلناهم معنيين بالشأن العام.

مبادرات مهمة ولكن..

(أنبارنا الصامدة) لم تفشل، وإنما لم تنفذ في لحظتها، فحصلت نتائج كارثية، لكنها فتحت نافذة وأوجدت وعيًا كبيرًا عن أن هذا البلد لا يعالج بالكسر، وإنما نحتاج إلى احتضان بعضنا، وتحمل، واستيعاب، والانفتاح على كل المساحات، (التسوية التأريخية) لم تفشل، وتقدمت كثيرًا، نعم لم تتحقق بما كان مخططا لها، دفعنا ضرائب أكبر، الآن نرجع نعرف قيمتها أكثر، العقد الاجتماعي، الحكمة طرحته، لكنها لم تطرحه حتى تأخذ بصمته، أنا رأيت كتابًا مكتوبًا عليه (حقوق الطبع غير محفوظة للناشر)، سألت المؤلف: (لماذا كتبت هكذا؟) قال: (أتوسل ليطبعوه ويستفيدوا من علمه، أنا لا أريد ربحه) فنحن أيضًا لا نريد أن يقال: (الحكمة قالت) هذه ليست مشكلتنا، مشكلتنا العراق، بلا عقد جديد سنصل إلى لحظة انفجار فيحصل التغيير بطرق غير ممنهجة وخطيرة، أما إذا ذهبنا نحن ووضعنا الأمور الصحيحة ونفّسنا الاحتقان فهذا هو الحل الصحيح، نقولها ونعمل من أجلها، وأعتقد بوجود تعاطف لا بأس به رغم الفترة الوجيزة التي طرح فيها هذا الموضوع.

ديوان بغداد السياسي[٤١٨]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه المنتجبين

السادة الأفاضل، السيدات الكريمات، بدايةً أرحب بكم أجمل ترحيب، و أشكر سعة صدركم وصبركم و تحمّلكم هذا الوقت الطويل للمناقشة والتداول في همومنا جميعًا.

بالفعل الأدوار تُنتزع ولا تُمنح، وإذا أرادت النخب أن يكون لها دور في تصحيح المسارات، و أن يؤخذ برأيها عليها أن تبادر وتقدم وتشخّص الإشكاليّات والتحديات بشكل دقيق وتقدم حلولًا ومعالجات واقعية وممكنة حتى يؤخذ بها، لذلك جميعنا معنيون في مثل هذه الحوارات والنقاشات، وأتمنى أن يتم تشكيل ورش عمل يتم التداول فيها بعمق أكبر وبتفصيل أوسع حتى تستطيع هذه النخب أن تقدم حلولًا واقعية وعملية.

اللقاء في المنتصف

حديثكم عن الشعب كان يدور في إطار واحد، وهو رسالة من الرسائل الإيجابيّة في بلادنا، العراق حاضر بجميع تلاوينه ويتحدث ضمن مسارات واحدة وبحرص واحد. إذن هناك إمكانية أن نلتقي في المنتصف عند رؤى وأفكار ومواقف وتصورات نجتمع عليها جميعًا مهما اختلفنا في مشاربنا.

٤١٨. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد السياسي الذي عقد بحضور النخب والقيادات السياسية والإجتماعية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠٢٠

العراق بوصلتنا

الظرف حساس جدًا، من اليوم إلى الانتخابات الأمريكية الباقي أربعون يومًا محفوفة بكثير من المخاطر، الرئيس الأمريكي في وضع انتخابي صعب، يواجه داخليًا تحديات كبيرة، واستطلاعات الرأي لا تشير إلى تقدم واضح له، هذا ما يجعله قلقًا على مستقبله في الولاية الثانية، ومن الطبيعي أن يبحث عن أي ثغرة حتى يخلق أزمة معينة يستطيع من خلالها أن يصنع لنفسه ولاية ثانية، ولذات الأسباب خصومه وأعداؤه، وفي مقدمتهم الجمهورية الإسلامية أيضًا تجد في ذلك فرصة لإزاحته بعد كل الضغوط والعقوبات التي لم يشهدها التأريخ والتي توجهت إلى الجمهورية الإسلامية على عهد هذا الرئيس، كل هذه الأسباب تجعل الرئيس قلقًا على مستقبله، و خصومه، كالجمهورية الإسلامية، وروسيا، والصين، وغيرهم، لهم فرصة لا تعوض في الضغط عليه بطريقة ما وحرمانه من الفوز بولاية ثانية.

أين العراق في خضم هذا الصراع وهذه التجاذبات الكبيرة؟ هل نريد للعراق أن يكون ساحة لتصفية الحسابات؟ وبالتأكيد مثل هذه الأمور لا تصبّ بشكل مباشر في مصلحة العراقيين، ظروفنا صعبة، و يكفي ما فينا، لا يمكن أن نضيف لها أمورًا أخرى، أن ندخل في صراعات أكبر منا هذا ليس فيه مصلحة للعراقيين، وهذا الحديث مزعج للبعض، ولكن إذا أردنا أن ننطلق من مصالحنا الوطنية ومن ظروفنا الداخلية علينا أن نقول هذا الكلام ونتحمل تبعاته ونتحمل الضريبة ونُخَوَّن، لكن يجب أن يكون العراق حاضرًا أمامنا كبوصلة، و ثم يترتب عليها كل التحالفات والصداقات والعلاقات.

كلا، للاجتهادات الفردية

ما يجري اليوم هو محاولة الاستفزاز وإظهار صورة ضعف للولايات المتحدة ولقوى التحالف الدولي للمجتمع الدولي الحاضر في العراق، كاستهداف السفارات و استهداف البعثات الدبلوماسية كله من أجل الضغط، وهناك من يعتقد أن هناك تحضيرات لأعمال أكثر نوعية لإيقاع ضرر بهذه الأطراف على الأرض العراقية وتسجيل نقطة معينة في الانتخابات الأمريكية القادمة، ولكن بالحقيقة نظامنا نظام برلماني، وظروف الحرب والسلم، وتشخيص مواقف الحرب والسلم، لم تُعطَ إلى الحكومة ولا إلى مجلس الوزراء، وإنما أعطيت إلى مجلس النواب حصرًا الذي يمثل إرادة الشعب، و لاحظتم في اليومين الماضيين الكثير من بيانات الاستنكار من مختلف القوى السياسية، أكاد لا

أستثني أحدًا، الكل يدين، والكل يستنكر، والكل يعترض، وفي الاجتماعات الخاصة التي حصلت في الأيام الماضية مع القادة السياسيين بحضور الرئاسات الثلاث، الكل بلا استثناء دعوا إلى اتخاذ موقف صارم تجاه هذه الظواهر وملاحقة من يريد أن يربك الأمن الوطني العراقي ويوصل رسالة خاطئة تؤدي إلى إغراق العراق في ظروف معينة يكون فيها العراق غير قادر على مواجهتها، ودعوا إلى اعتقال أولئك المتورطين، الكل قالها و تحدث بها خلف الأبواب المغلقة، ولا زالوا يخونون كل من يعترض على هذه السياسات ويعتقدون أن الوطنية في أن يمضوا في مسارهم في الضغط على هذه القوات، نحن لا نشكك بوطنية أحد، ولا بدوافع أحد، وإنما نقول علينا أن نتوافق على القضايا الإستراتيجية التي فيها تبعات تشمل كل العراقيين وكل الأوساط ولا تنحصر في البعض دون الآخر، فلا يمكن الاعتماد فيها على اجتهاد واحد، و على رأي واحد، مهما كان عزيزًا ومحترمًا ومقدرًا في دوافعه.

إذا أردنا أن نبني دولة وأن نتماسك فيها لا يمكن أن يغلّب أي منا رأيه وقناعاته على قناعات الآخرين وآرائهم، بل يجب أن نصل إلى رؤية مشتركة، وهذا موضوع حساس، وفيه تبعات خطيرة، ما بات سرًا أن هناك قرارًا أمريكيًا بغلق السفارة وسحب الدبلوماسيين و ليحصل ما يحصل وليغرق العراق، ثم جُمد القرار و أعطي فرصة أخيرة لتقييم المشهد داخليًا في العراق، فإن استجاب العراقيون و عرفوا خطورة الموضوع و تداركوا الأمر و تمكنا أن نعبر هذه الأربعين يومًا إلى أن يغير الرئيس ويأتي رئيس جديد بسياسة جديدة وحينذاك يجب أن نكيف أنفسنا ونتفاهم على ضوء السياسة الجديدة، و أما أن يجدد للرئيس فسنكون أمام أربع سنوات وعلينا أيضًا أن نحدد السياسة التي تناسب المصالح الوطنية العراقية في ظل استمرار سياسات الرئيس إن كانت هي ذاتها أو كانت جديدة في دورة قادمة، لكن التعجل الآن والضغط في الأربعين يومًا المتبقية وإغراق العراق أمر غير صحيح، وكما تعرفون في السياقات الدولية القرار حينما يُتخذ لا يمكن مراجعته وإلغاؤه بسهولة.

عندما أُغلقت القنصلية الأمريكية في البصرة قبل سنتين لأسباب قاهرة في ذلك الوقت انتهت الأسباب وبقيت القنصلية مغلقة، والله أعلم متى ستفتح من جديد، في لحظة ما اُعتبر عدد من القادة العراقيين متورطين بالإرهاب، وسُجلوا في لوائح الإرهاب، و منهم القيادات الكُردية وغيرهم، ثم جاء الأمريكان وأسقطوا نظام (صدام) وأصبح هؤلاء القادة حلفاء للمجتمع الدولي وبقيت تلك العقوبات و لوائح الإرهاب وما إلى ذلك لسنين طوال، وأنا أتخطر أن الرئيس (مسعود البارزاني) كان عنده اجتماع مع الرئيس

الأمريكي وهو في ولاية أخرى أراد أن يلتحق ويحضر الاجتماع فكاد يعتقل ضمن هذا القانون، واعترض الرئيس (البارزاني) و قال لا أدخل الولايات المتحدة حتى يعالج الأمر، واستمرت القضية سنين والرئيس يريد ولا يستطيع أن يعالج قضية من هذا النوع حتى تمت معالجتها في وقت لاحق.

القرارات التي تُتخذ لا يمكن مراجعتها بسهولة، فوضعنا حساس وخطير، وأنا أدعو النخب العراقية أن تمارس دورها الإيجابيّ لإقناع كل الأصوات الوطنية في أن يكونوا على حذر وحيطة، و هذا ليس جبنًا، و ليس قلة شجاعة، هذا ليس انبطاحًا أمام الأجندة الدولية، هذه ذروة الشجاعة حين يكون الإنسان منشدًا للمصالح الوطنية ويتعامل بالحكمة ويحفظ بلده في ظروف صعبة و استثنائية.

خطوات أربع

كما تعرفون جاءت الانتخابات الأخيرة (٢٠١٨) بمشاركة متواضعة بعض الشيء، في الحديث الرسمي نسبة المشاركة (٤٠٪)، والكلام في الأروقة الخاصة أنها لم تتجاوز (٢٠٪)، وفي كلتا الحالتين هي نسبة متواضعة، بمعنى أن هناك أغلبية لم تحضر ولم تشارك، ولعلّ سبب عدم المشاركة هو شعورها بالإحباط.

ثم بعد ذلك تلك الأغلبية الصامتة تحولت إلى أغلبية معترضة، فخرجت في تشرين، وعبّرت عن رأيها، واعترضت على سياسات ومسارات.

المرجعيّة العليا أرادت أن تساعد في إعادة لملمة البيت العراقي من جديد، ودعت إلى خطوات أربع حتى تعيد التماسك، حيث قالت إن كنتم قلقين من قانون الانتخابات وإنه قانون مفصّل على القوى السياسية فليُغير هذا القانون، وإن كان ذلك القانون هو إقصاء للنظام البرلماني، والنظام البرلماني نظام كتل وليس نظام شخوص، و الكتلة الأكبر هي التي تشكل الحكومة، القوائم وليس الشخوص، مع ذلك تم الأخذ بأعلى الأصوات وإعطاء فرصة للترشيح الفردي لمن يريد، يجب العمل بخطوات تطمئن الناس وتوفر لهم فرصًا متكافئة حتى يطمئنوا وأن لا يكون هذا القانون مفصّلًا على قوى محددة، كل إنسان بإمكانه أن يشارك وأن يفوز إذا ما حظي بثقة الشارع.

إذن قانون الانتخابات تم تغييره بعد تجاذب قرابة ستة أشهر، ما هو حجم الدائرة؟ وكيف هي الدوائر؟ دائرة واحدة أو دوائر متعددة؟ وكيف تكون؟ وبعد اجتماعات وحوارات ماراثونية وصلت المساحة الأوسع من القوى النيابية من مختلف المكونات

إلى أن الدوائر الوسطى بين ثلاثة إلى خمسة مقاعد للدائرة الواحدة هي الأنسب والأسلم والأقرب لتعبير الناس عن إرادتهم الحرة في الانتخابات، أتمنى أن تفضي جلسة اليوم إلى التصويت على هذه الدوائر، لعلّ زيارة الأربعين وغياب عدد كبير من النواب في هذا الشأن وإصابات الكورونا التي طالت أيضًا عددًا مهمًا من النواب حال دون توفير الأغلبية النيابية، لكن القوى المؤمنة بهذا الخيار تمتلك ثلثي عدد المقاعد، فبالإمكان تمرير هذا الخيار قريبًا.

موضوعة القانون، هذه أول مشكلة أرادت المرجعية أن تحلها وتعطي ثقة في العملية السياسية وفي صندوق الاقتراع من خلال الدعوة إلى تغيير القانون.

لاحظنا الحديث عن مفوضية جديدة، إذا كانت المفوضية السابقة يقال عنها إنها سياسية وتمثل القوى السياسية وزورت الانتخابات لصالح هذه القوى فلنأتِ بمفوضية جديدة من القضاة، ليس لهم علاقة بالقوى السياسية حتى نطمئن أن مسار الانتخابات لا يزور، و يعبّر عن إرادة الناخب بشكل واضح.

بخصوص الحكومة، قيل إن هذه الحكومة هي وليدة الأحزاب والقوى السياسية و تنحاز، فليأتوا بحكومة جديدة لا تكون من رحمِ الأحزاب وتعطى فرصة للتحضير للانتخابات، وهذا ما لاحظتموه في هذه الحكومة طُلب منها أمران، الحفاظ على هيبة الدولة من ناحية والتحضير للانتخابات المبكرة من الناحية الأخرى، هاتان المهمتان ذُكرتا لهذه الحكومة الجديدة.

والأمر الرابع الانتخابات المبكرة، إذا كانت الانتخابات الماضية قد أنتجت نتائج غير مرضية للشارع على نطاق واسع فلنجرِ انتخابات مبكرة والناس يذهبون ويعبرون عن آرائهم.

هذه الخطوات الأربع كلها كانت من أجل إعادة الثقة بالعملية السياسية وشد الشارع وإيجاد نوع من التماسك والتلاحم الداخلي وترميم البيت الداخلي العراقي.

نتمنى أن تجري الانتخابات المبكرة في السنة القادمة، ونحن داعمون بقوة لهذا الأمر، وأساسها أن ننتهي من قانون الانتخابات حتى يبدأ العد التنازلي الأخير للعملية الانتخابية.

الجديد لا يلغي ما مضى

قلنا العقد الاجتماعي الجديد، حين يقال شيء جديد هذا لا يعني أنه ينكر ويتنكر لكل ما مضى، عام جديد يعني أنك إذا كان عمرك خمسين سنة فسيكون واحدًا وخمسين، يُبنى على الخمسين و يضاف عليه، وأي شيء جديد هو بهذا الشكل، عادة الجديد لا يعني إلغاء ما مضى، ما جرى خلال (١٧) سنة كان عقدًا اجتماعيًا هو الأول من نوعه في ظل نظام ديمقراطي، و كما شرحنا في أكثر من مناسبة، عناصر القوة التي أفضت إلى صياغة هذا العقد الاجتماعي كلها تعرضت إلى اهتزاز، القوى السياسية التي كانت قوية وهي التي رفعت وتبنت هذا العقد بعض هذه القوى ضعفت، و بعضها خرجت عن حلبة الصراع والتنافس السياسي، بعضها يُظن أنه سيخرج في الانتخابات القادمة، وهناك قوى جديدة تأتي، والرافعة لهذا العقد الاجتماعي هي الشعب، (٤٩٪) من شعبنا دون الـ (١٩) سنة، نصف الشعب العراقي وُلد بعد الديمقراطية، وذلك النصف الأول نصفه لم يع، ولم يُدرك، ولم يكن مؤثرًا في صياغة العقد الاجتماعي الذي نحن عليه الآن، فثلاثةَ أرباع الشعب العراقي إذن ليسوا شركاء في هذا الأمر، و الربع الأول الذي كان شريكًا أصبح الكثير منهم ينادي بتعديل الدستور وبمراجعات وما إلى ذلك، وهذا شيء طبيعي، نحن لسنا أول بلد يراجع نفسه، وإنما دساتير الدول كلها تتعرض إلى مراجعة وتدقيق وتطوير وتعديل، فالحديث عن عقد اجتماعي جديد لا يعني إلغاء كل شيء، هناك حقوق لمكونات الشعب، وهناك توازنات، وهناك مبانٍ صحيحة يجب الحفاظ عليها، ولكن هناك تطورات مهمة حصلت وطرأت، وعلينا أنْ نأخذها بنظر الاعتبار في هذه العملية.

انسداد سياسيّ

وهذا ليس أمرًا تفرضه جهة سياسية أو حتى كل القوى السياسية، هذه المسألة تخص العراقيين جميعًا، ولذلك يناط الأمر باستفتاء الشعب العراقي، وبحسب بعض مواد الدستور إذا اعترض ثُلُثا أي ثلاث محافظات تستطيع أن توقف التعديل، وما إلى ذلك من تفصيل في الشرح القانوني، فيراد لهذه التعديلات أن تكون تعديلات متفقًا عليها، وهذا لا يكون إلا عبر حوارات نخبوية و توافق سياسي واسع ودعم شعبي وغطاءات كاملة حتى يمكن أن ننجز تطوير عملية العقد الاجتماعي، وهذا لا يخص نخبا بعينها أو مناطق عراقية بعينها، العرب والكُرد والتركُمان و الشيعة والسُنة والمسلمون والمسيحيون والإيزيديون والصابئة، كلهم يجب أن يشاركوا في صياغة هذا التطوير

المطلوب و المرجو للعقد الجديد، ولكن إذا لم نقم بذلك فلا بُـدَّ أن نقدّر أننا وصلنا إلى حالة أشبه ما تكون بالانسداد السياسي، إذا لم نفكر بفك الاختناقات الحاصلة في نظامنا سياسي فقد تأتي حالة معينة وتثور على كل هذا الوضع وتسقط كل هذا النظام.

وقد يكون التطوير أو الإصلاح، أو التجديد بطريقة عبثية أو غير منظمة وغير منهجية، يضيع علينا كل شيء، وهذه مسألة خطيرة، فنحن لسنا أمام خيارات مفتوحة، وهذا مثل سد بدأت التشققات تظهر فيه والماء متجمع خلفه، فإذا لم تفتح المجال وتقلل الضغط عليه قد ينهار، وحينذاك ستغرق مدن بأكملها.

النظام السياسي وصل إلى طريق مسدود في مساحات مهمة منه، يجب أن نعي ونقرأ، تجاهلنا هذه الحقيقة لا يغير منها ولكن يدفع الأمور إلى مسارات خطيرة وحساسة، فكلنا معنيون بأن نقرأ الأمور قراءة صحيحة، وأن نقوم بعملية التنفيس الصحيح، ونأخذ بنظر الاعتبار التطورات والتحولات الاجتماعية والسياسية والنفسية والتوازنات الداخلية والخارجية العراقية ونطور العقد الاجتماعي بما يتلاءم مع كل هذه المستجدات.

الهوية الوطنية لا تلغي الهويات الفرعية

الهوية الوطنية لا تدعونا إلى أن نغادر الهويات الفرعية، نحن لسنا مع إلغاء أو مع مغادرة الهويات الفرعية، الحديث عن مغادرة وعن إلغاء حديث غير واقعي، العربي عربي سيبقى معتزًا بعروبته، الكُردي سيبقى معتزًا بكُرديته، وكذلك الشيعي والسُني والمسيحي والإيزيدي، وكل واحد معتز بهوية الفرعية، كانت هكذا، وستبقى هكذا، ولا أحد يستطيع أن يغيرها، لكننا يجب أن نحتوى و نحتضن و نغلّب الهوية الوطنية على الهويات الفرعية، وستبقى كل تلك الهويات مورد احترام، و يجب أن يشعر العراقي إذا كان عربيًا أن عروبته ليست شيئًا سيئًا، وليست عبئًا عليه، و إذا كان كُرديًا فكُرديته ليست عبئًا عليه، وكذلك إذا كان شيعيًا أو سُنيًا، أيًا يكن انتماؤه فهو محترم ومقدر، وهو جزء من هذا الفسيفساء العراقي، ويجب أن يكون محط احترام، لا نتحدث عن إلغاء الهويات الفرعية، نتحدث عن احترام، عن احتضان، عن تغليب الهوية الوطنية على هذه الهويات، هذا هو المدخل والمخرج الواقعي العملي الذي يحفظ الخصوصيات للناس ويجمعهم على كلمة سواء في إطار الوطن الواحد فنتكامل مع هذا الأمر.

ثنائية مهمة

قلتها في أكثر من مناسبة سابقة وأعيدها الآن، هذه الطريقة المعتمدة، وهي اجتماع القوى الشيعية فيما بينهم، وكذلك القوى السُنية والكُردية، وخروجنا من الانتخابات وكل منا يبحث عن من يعطيه وزارات أكثر، ومن يعطيه فرصًا أكثر، هذه المعادلة غير منتجة، وهذه محاصصة لم تخدم لا القوى السياسية، ولا الوضع العام بما يكفي، نحن نحتاج إلى مشاريع وطنية عابرة، قائمة طولية من الشمال إلى الجنوب فيها قوى شيعية، سُنية، كُردية، تُركُمانية، مسيحية، يقابلها قائمة من الشمال إلى الجنوب قبل الانتخابات، قبل أن يعرف أي من الأطراف حجمه.

قائمة من هذا النوع لا تستطيع أن تطرح شعارًا مذهبيًا؛ لأن المذاهب جميعها في القائمة، ولا تستطيع أن تطرح شعارات قومية؛ لأن القوميات كلها موجودة، ليس لها إلا أن تطرح برنامجًا لبناء الدولة، وحينما تقابلها قائمة وطنية فلا بُدَّ أن تطرح تلك القائمة برنامجًا مختلفًا، لا يمكن أن يكون للقائمتين نفس البرنامج، وبهذا نصل إلى تحالفين وطنيين كبيرين في برنامجين برؤيتين وبمشربين، المواطن قادر أن يفرز ويميز بين قائمتين، لكنه لا يستطيع أن يميز بين (١٢٧) قائمة كلها تحمل نفس الشعارات ونفس البرنامج، يجب أن ننهي هذه الحقبة.

لنؤسس لشيء جديد، ثنائية الموالاة والمعارضة هي التي يمكن أن تبني دولة، تصوروا اليوم في هذا الوضع الذي نحن فيه أي وزير يريد أن ينجح و كان محسوبًا على جهة سياسية فشركاؤه في الحكومة من الجهات الأخرى سيقولون هذا سينجح ويسجل له النجاح، وحزبه سيحصل على مقاعد أكثر بالانتخابات، وسيعملون على إفشاله، أو على الأقل يقللون من قيمة إنجازه، ويهوّنون ويسخفون الإنجاز، و القوى السياسية بماكنتهم الإعلامية كل منهم يسخّف إنجاز الآخر أمام الناس، أما إذا كانت قائمة طولية من الشمال إلى الجنوب تدير البلاد، تقابلها معارضة طولية بكل المكونات فأي وزير يفشل، أي مسؤول يفشل، سيحمّل المسؤولية للجميع، ويصبح النجاح مطلوبًا، ونجاح أي أحد منهم هو نجاح للمجموع، يخلق معادلة نجاح، إذا أردنا أن نخلق معادلة النجاح الحقيقية فلا مناص إلا أن نذهب إلى هذه التحالفات الوطنية العابرة وهذه الثنائية، وهذه هي اللحظة التأريخية التي علينا أن نأخذ فيها هذا القرار، أنا أعرف أن هناك قوى سياسية في الداخل وفي الخارج ودولًا لا يناسبها هذا الأمر، أن تكون الطوائف والقوميات في بوتقة واحدة هذا يضر بمصالح كثيرين في الداخل والخارج،

ولكنهم سيعرفون لاحقًا أن مصلحتهم ومصلحة العراقيين جميعًا في هذه الخطوة، وأتمنى على حضراتكم كنخب أن تدرسوا هذا الأمر، إذا وجدتموه مناسبًا ملائمًا تبنوه، هذا ليس مشروع (عمار الحكيم)، هذا مشروع وطني يجب أن نتبانى عليه جميعًا.

نتحدث اليوم عن تحالفين عابرين طويلين من الشمال إلى الجنوب، في كل منهما ثقل شيعي، وثقل سُني، وثقل كُردي، وثقل تُركُماني، قوى حقيقية قادرة على أن تمثل المكونات جميعًا حتى ننتهي من هذا الأمر، أرجو أن يكون هذا موضع دراستكم.

الوعي النخبويّ

النخب الوطنية ودورها في ترسيخ المشروع الوطني، هنا يوجد نقطة فراغ ومساحة فراغ، والنخب تشخص هذه المساحة وتقف وتقول كلمتها وتدافع عن المشروع وتحفز وتخلق جوًا لصالحه.

أخطر ما يخشاه الإنسان على النخب هذه التعميمات التي قد تصدر أحيانًا من البعض، يقال كل ما حصل من (٢٠٠٣) إلى اليوم خراب في خراب، صحيح، لكن هناك الكثير من الإنجازات العالم يفخر بها، كثير من السفراء والدبلوماسيين الذين يعملون في العراق يقولون لي ولغيري من القادة السياسيين في البلد، يقولون نحن نتدافع لنكون في العراق، وكنت أستغرب من بعضهم، فالحياة أسهل في دول كثيرة أخرى فما الذي يجعلكم تريدون العمل في العراق مع المشاكل الكثيرة الموجودة فيه؟ يقولون في الدول الأخرى نحن نجلس في السفارات، وهذا كل شيء، أما هنا فالعراق كله حراك وتنوع كبير، مشاريع، مبادرات، خطابات، وأزمات، في كل أزمة نقول ضاع العراق، وكم أنتم بارعون في احتواء كل أزمة وتحويلها إلى فرصة، وبعضهم قال لي بعد تشكيل حكومة السيد (الكاظمي)، كانت المرجعيّة تدعو إلى تغيير الحكومة والبلد يغلي والقوى السياسية متشظية، وجوه ورؤوس كثيرة، فكيف ستتركب الحكومة؟ وإذا بكم تخرجون لنا بحل وتأتون بالأخ (الكاظمي)، وقبله الشارع، واحتويتم الأمور.

الآخر هكذا يرانا كعراقيين مبدعين في ابتكار الحلول لأشد وأسوأ الأزمات، نحن لا نرى أنفسنا كما يراها الآخرون، وهذه مسألة حساسة جدًا، فأرجو أن لا نعمم، حصلت إنجازات لكنها دون مستوى الطموح، حصل تطور في أشياء كثيرة لكن دون مستوى الطموح، لكن لا نقول لم يحصل أي شيء، حصلت أشياء كثيرة، لا تسجل لأحد بعينه

وإنما تسجل للجميع، فأنتم يا نخب العراق جديرون بأن تفخروا وتعتزوا بإنجازاتكم مع كل الملاحظات التي نسجلها على أوضاعنا.

تحدثتم عن الأموال، ليس هناك أحد فيكم يجهل أن (٧٠٪) من موازنة الدولة تذهب إلى الرواتب، هذه في الظروف الاعتيادية، وبعض السنوات الموازنة كلها لا تكفي الرواتب، فنقترض من الآخرين حتى نصرف الرواتب، وهذه سنوات طويلة هكذا مضت وليس سنة أو سنتين أو ثلاث، و الأرقام معروفة، إضافة إلى (٥٪) للكويت، و (٢٪) لنادي باريس، وفي فترة (١٧٪) للإقليم، وفي فتره صارت (٠٨، ١٢) عندما نجمعها نرى أن هناك مبالغ كبيرة تذهب إلى الناس رواتب، أي أن نسبة مهمة من هذه المبالغ تصل إلى الناس بشكل مباشر، من الصعب القول إنه لم يحصل أي إنجاز في هذا الاتجاه.

ليست العِبرة في صِرْفِ التجديد

قلتم نريد وجوها جديدة، هل كل المشكلة في الوجوه؟ هذا برلماننا الذي نراه اليوم (٧٠٪) منه وجوه جديدة، هل هو أقوى من البرلمان السابق الذي قبله؟ أنتم ماذا تقيّمون أيها النخب؟ أنتم قيموه، والذي قبله كان (٦٠٪) وجوه جديدة، هل هو أقوى من الذي قبله؟ هذه الحكومة أغلب وزرائها كانوا وزراء سابقين والبقية كلهم وجوه جديدة، و الحكومة التي قبلها حكومة السيد (عادل عبد المهدي) أيضًا كان فيها الكثير من الوجوه الجديدة، ولكن لم يشاهد الناس فارقًا كبير في الأداء، مما يعني أن المشكلة ليست في الوجوه فقط، المشكلة في المعادلة، في التوازنات، في النظام الإداري، في البلاد، في مسائل كثيرة وعديدة، نحتاج أن نعالجها، فلا نحمّل أنفسنا أكثر من ما نتحمل، وهذه الدول الديمقراطية، أغلب الدول التي يزورنا نوابهم قلما تجد شابًا فيهم، فالشاب فيهم عمره خمسون أو ستون سنة، وكلهم ما شاء الله كبار في السن، يبقون خمس دورات أو ست دورات والناس تصوت لهم، فقد أصبحوا أهل خبرة وتراكم، أنا لا أدعو لعدم التجديد، تعرفون نحن في الحكمة كنا مبادرين في بناء تيار شبابي جديد، وكنا في (٢٠١٧) نقدم وجوها جديدة ونربي، ولكن ليست هذه كل المشكلة، فأرجو أن لا نقع في خلط في هذا الجانب.

الفرصة الذهبية

حكومة السيد (الكاظمي) البعض يسميها الفرصة الأخيرة، أنا أسميها الفرصة الذهبية، وليست الأخيرة، العراق أكبر من أن تضيق فيه الفرص مهما تكن ظروفه ينهض، هذا تأريخ العراق مليء بمشاكل كثيرة وتحديات في مختلف العصور والدهور ورجع أقوى مما كان، فلا توجد فرصة أخيرة، لكن هناك فرصة ذهبية، الشارع إلى حدٍ ما متقبل، استطلاعات الرأي تشير إلى مستوى من الرضا من هذه الحكومة، و انتخابات مبكرة على الأبواب، فلا معنى الآن أن نضغط ولا نسمح لهذه الحكومة أن تمارس دورها في إجراء الانتخابات وفي توفير الأمن المطلوب، وأمن الانتخابات هو ليس أمن إرهاب، أمن الانتخابات له معنى آخر مختلف، هو أن يكون الناخب قادرًا على أن يختار بحرية، المرشح حر في الترشيح في أي قائمة أو بمفرده. القوى السياسية قادرة على أن تقدم برامجها بدون ضغوط، لا آليات تتحرك على بيوتهم ومقراتهم، ولا اعتداء على الناشطين ومنعهم من أن يقولوا كلمتهم، يجب أن تكون حرية للجميع في أن يعبّروا عن آرائهم والناس هي تسمع وتختار وتقرر، هذا بالحقيقة هو الشيء المهم الذي نحتاجه في هذه المرحلة.

خطاب الكراهية

تطويق خطاب الكراهية، لا أقول (إنهاء)، أقول (تطويق)، نطوقه، نقلل ونخفف منه، لا نسمح به، وهكذا مشاريع وطنية هي بحد ذاتها سيكون لها أثر كبير في هذا المجال، إن هذا النصف الشبابي الفاعل في المجتمع اليوم ليس عنده الكثير من هذه الحساسيات، ولا ترسبات الماضي، وهو قادر على أن يعزز ويرسخ الهوية الوطنية.

تداول سلميّ

التداول السلمي، للإنصاف إلى الآن العراق مارس دورًا جيدًا في التداول السلمي للسلطة، إلى الآن ليس عندنا من الرؤساء من تمسك بالسلطة، لاحظنا أنهم من الدكتور (إياد علاوي) إلى السيد (الجعفري) إلى السيد (المالكي) في دورتين للدكتور (العبادي) وصولًا إلى السيد (عادل) وثم الآن الأخ (الكاظمي) توجد انسيابية في التداول السلمي.

انتكاسات لا تُنسي الإنجازات

حرية التعبير، نعم تعرضت إلى بعض الانتكاسات وبعض الضغوط، ونحن من القوى التي تدين وتلاحق و تتابع بشكل دائم أي تقييد لهذه الحريات بأي شكل من الأشكال، و لكن في المحصلة الجو العام، الحرية المتاحة في العراق لا تقاس بأي بلد عربي آخر مع احترامنا لكل التجارب العربية.

نظام أحزاب

النظام البرلماني هو نظام أحزاب، حتى الفرد إذا أراد أن يكون مؤثرًا عليه أن يذهب ويشكل حزبًا، الناشطون اليوم في الساحات حتى هذه اللحظة شكلوا ستة عشر حزبًا، وهناك فرق بين عدم الموافقة على سلوك هذا الحزب أو ذاك وبين التحسس من العمل الحزبي عمومًا في بلد نظامه برلماني قائم على أساس الأحزاب، وهذه مفارقة كبيرة، يجب أن نضع حدا لها، وهناك من يشكل مجموعة معينة من (٢٠٠) شخص أو أكثر أو أقل ويقول نحن مستقلون، وهم يعملون بطريقة الحزب، ما دام نظامنا برلمانيًا فالعمل حزبي، بل في أي نظام ديمقراطي حتى في النظم الرئاسية العمل الحزبي علامة صحية، ليست شيئًا سلبيًا، ينظم الأمور وينظم الأداء، وهذا شيء صحيح ومطلوب.

دعم أصحاب المواقف

شيوخ العشائر، الناس التي وقفت في وجه الإرهاب، بعد ذلك جعلناهم وراء ظهرنا وانشغلنا بآخرين، هذا كلام حق، من وقف وقفات وطنية في ظروف الشدة يجب أن يُنتصر له، وأن نحفظ هذه الشخصيات، وهذه القوى، وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر، هذا الذي وقف في الشدة، هذا الوطني الحقيقي الذي يجب أن يحظى بالدعم.

معاناة النازحين

النازحون، من يشاهدهم يرى شيئًا عجيبًا غريبًا، كل ما يطلبه النازح اليوم مليون ونصف المليون دينار، حتى يرجع إلى داره وإلى مكانه، ولا يوفر لهم هذا المبلغ، نحن نصرف على النازح الواحد مأكلًا ومشربًا وخدمات صحية وأمنًا في المخيمات أضعاف هذا المبلغ، لا أعرف هذا اللغز، وتحدثت بهذا الموضوع مع أكثر من وزير للهجرة.

بيئة المخيم دائمًا فيها نوع من أنواع الشعور بالمظلومية، بالألم، اليوم المناطق أصبحت محصنة بعد الأذى الذي لحقها من الإرهاب والتطرف، أرجعوا الناس إلى بيوتهم.

معاناة السجناء

السجناء غير المدانين، هذه الظاهرة لعلها كانت متفاقمة في فترات وحصلت ضغوط كثيرة وكلام كثير، وأنا أعرف أن القضاء قام بخطوات جريئة وكبيرة في حل كثير من المشاكل، العفو العام، العفو الخاص، خفف هذه الظاهرة كثيرًا، ولا ندّعي أنها تم احتواؤها بالكامل، ويجب متابعة كل قضية تخص سجينًا يُظن أنه مظلوم وسُجن بغير وجه حق.

شكرًا لكم جميعًا وأتمنى لكم التوفيق

ديوان بغداد للعشائر[٤١٩]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد و آله الطاهرين وصحبه المنتجبين

السادة الأفاضل، الشيوخ الأكارم، الإخوة الأعزاء، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب وأشكر لكم تجشمكم لعناء السفر والحضور إلى هذا اللقاء، وكلي أسف وعذر أولًا إلى بعض الأعزاء والشيوخ الذين لم يجدوا الموقع المناسب والملائم لمكانتهم، ومكانتهم في القلب، وفي حدقات العيون، وكلي أسف وأعتذر لذلك، كما أعتذر عن الانقطاع لبضعة أشهر مراعاة للظرف الصحي العام ولجائحه كورونا.

حضراتكم مدرسة لما تمثلون من تأثير، نتعلم منكم الكثير ونستفيد من ملاحظاتكم القيمة وإشاراتكم الأساسية والمهمة، فالبلد يمر بظروف استثنائية وصعبة كما هو واضح للجميع، وفي هكذا لحظات النخوة والشيمة وأصحاب الحل والعقد يتحملون مسؤولية مضاعفة، كيف نقف ونتحمل مسؤولياتنا الكبيرة في ظل جائحة صحية ألمت بالعالم وليس بالعراق وحده؟ و في ظروف اقتصادية صعبة وانهيارات تحتاج إلى وقفة وإلى شد الأزر لعبور هذه الأزمة، وأيضًا أوضاع سياسية مرتبكة وانقسام مجتمعي بحكم الظروف الصعبة التي مرت بالعراق، علية القوم من الشيوخ والوجهاء وأصحاب التأثير المرجو منهم في هكذا ظروف أن تكون لهم كلمة، وأن يكون لهم رأي، وأن تكون لهم مساهمة في معالجة الأوضاع، وهذا هو المرجو من حضراتكم جميعًا أن نقف وقفة واحدة وأن ننتصر للعراق ولبلادنا وشعبنا.

٤١٩. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد لزعماء العشائر والقبائل العراقية في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ١٧/ ١٠/ ٢٠٢٠.

الحقيقة هناك عده محاور أردت أن أشارككم بها وأعقّب على بعض ما تفضلتم به من الملاحظات القيمة والمهمة.

قراءتان ومبالغتان

نحن اليوم في شهر تشرين، تمر علينا الذكرى السنوية للاحتجاجات والتظاهرات التي حصلت في السنة الماضية في تشرين وما بعدها، وهذه الظاهرة وهذا الحدث الكبير يُقرأ بأكثر من قراءة، تعرفون هناك من يشكك بكل العملية الاحتجاجية، ويشكك بكل أولئك الشباب ويعتبرهم (جوكرية)، ويعتبرهم مشاريع دخيلة، ويفترض أن كل ما حصل أجندات أجنبية ومشروع دخيل و مؤامرة على العراق، هذه قراءة تُكتب و تُقال بشكل واضح، يقابل ذلك قراءة أيضًا فيها تعميم تفترض أن كل الذي حصل هو قمة الوطنية والوفاء للوطن، وتشرين وما خلّفته من حراك واسع يجب أن تحظى بالاحترام والتقدير بشكل كبير، ولا يُسمح في هذه القراءة لأي نقد أو ملاحظة على سلوك حصل من قبل من انتمى هو أو ادّعى الانتماء لهذا الحراك.

ما نعتقده أن كلتا القراءتين فيهما مبالغة، هذا الحراك الواسع هو حراك شعبي، فهناك شباب مخلصون وطنيون خرجوا دفاعًا عن وطنهم وعن بلدهم وعن مشروعهم غير راضين عن الأداء العام، اعترضوا واحتجوا وعبّروا عن آرائهم، وهذا حق كفله الدستور، وتعاطف معهم كثيرون ممن لم يحضر المظاهرات من شيوخ عشائر وقوى شعبية وقوة مجتمعية ومرجعيّات دينية وقوى السياسية، ولكن أيضًا على هامش هذا الحراك كانت هناك مجموعات تلقّت أموالًا من أطراف أجنبية، واندفعت اندفاعات لا تخدم مصالح البلد، فعطّلت المدارس، وأحرقت، وأساءت، وتحدثت بأحاديث لم تكن لائقة ومناسبة، وهتكت حرمات إلى غير ذلك.

وأعتقد أن هذا هو التقييم الموضوعي، نحن مع كل شيء إيجابيّ ضمن سياق القانون و ضمن حق التعبير عن الرأي و عن التظاهر السلمي والمطالب الحقة والمشروعة التي نادى بها أولئك الشباب على مدار السنة الماضية، نحن معها بشكل كامل، ونحن لسنا مع الخروقات والإشكاليّات والأجندات الأجنبية والمال السياسي الذي أنفق والأجندة التي تحاول أن تستغل براءة أولئك الشباب، وتستغل المطالب المشروعة لأولئك الشباب في حرق الجنوب وإدخال مناطقنا في ظروف أمنية صعبة وكسر كل الحواجز المعنوية تجاه أي حرمة من الحرمات، علماء وشيوخ عشائر وشخصيات وقادة، كل شيء يراد سحقه حتى لا يبقى قدوة لأحد في هذه المناطق، وهذا أمر غير مقبول وغير

صحيح، فنحن مع الحراك بأبعاده الإيجابيّة الكبيرة، ونعتقد أننا استعدنا طيفًا واسعًا من شبابنا الذين كانوا غير مهتمين وغير مكترثين بالسياسة وبالهم العام، ويجب أن نستثمر هذا الحراك الشبابي، وأن ندعمهم، ونشعر بسعادة حين يشكلون أحزابًا وكيانات ويشاركون بالانتخابات ويعبرون عن خطط وبرامج ورؤية معينة لإصلاح الأوضاع، هذا كله مرحب به، ولكننا لسنا مع أولئك الدخلاء والأجندة التي حاولت أن تحرف مسار هذا الحراك وتسرق هذا الحراك لصالح أجندة أجنبية، لذلك التعميم في كلا الاتجاهين خاطئ.

الاستقرار السياسي هو المفتاح

الاستقرار السياسي هو مفتاح لكل المشاكل، فإذا كان لدينا استقرار سياسي يأتي الاستقرار الأمني، إذا تواجد الاستقرار السياسي والأمني يأتي الانتعاش الاقتصادي، وإذا توفر الانتعاش الاقتصادي يكون هناك ازدهار ورخاء وارتياح شعبي، و إذا توفر الارتياح انشدّت الناس أكثر إلى النظام السياسي وتمسكت بأرضها وموطنها، وهذه حلقات ترتبط الواحدة بالأخرى. المفتاح يبدأ من الوضع السياسي، إذا استطعنا أن نعالج الواقع السياسي ونبني معادلة ناجحة سيترتب عليها كل المعالجات الأخرى. وإذا بقي الوضع السياسي مرتبكًا سينعكس هذا الارتباك على كل المساحات الأخرى، سبع عشرة سنة جربنا الكثير، وقمنا بخطوات مختلفة، بدأنا باصطفافات مكوناتية، و ثم ظهر الاختلاف داخل كل مكون، وصار تنافسًا وصراعًا أحيانًا شيعيًا شيعيًا، أو سُنيًا سُنيًا، أو كُرديًا كُرديًا، وهكذا بدأت هذه الانقسامات تزيد يومًا بعد آخر، اليوم ونحن نستعد لانتخابات مبكرة بعد سنة أو أقل، ما هو المطلوب؟ هل نسير بنفس الطريق؟. التحالفات والقوى السياسية في سنة (٢٠١٨) كونت (١٢٧) قائمة، والآن النظام الانتخابي ترشيح فردي وأعلى الأصوات، ستكون ما يقارب من (٥٠٠) قائمة، وبعد الانتخابات سيتشتت عدد المقاعد البرلمانية على القوائم، وكل قائمة لديها عدد من المقاعد تريد أن تشارك بوزارة، فهل هذا هو الحل؟ هل بهذه الطريقة نستطيع أن نعالج مشاكل بلادنا؟ هل بهذه الطريقة وهذا التشظي الواسع يمكن أن نأخذ قرارًا؟ إذا لم نستطع أن ننظم هذه الحالة لإنتاج قرار والمضي فيه، ولا يوجد قرار في إدارة الدولة الجميع يتفقون عليه، فمن الطبيعي أن أي قرار سيتعارض مع مصالح البعض وسيكون هناك من يعترض، هكذا هو الحال في كل بلدان العالم، ولكن هناك آلية اتخاذ القرار والمضي قدمًا، أن لا تمضي هو أخطر شيء، هذا معناه أننا سنبقى نراوح في

مكاننا ونشبع الناس شعارات وكلمات، واليوم الناس بحاجة إلى عمل، وإلى فعل، وهذا الفعل قد يرتضيه البعض، و لا يرتضيه البعض الآخر، ولكن علينا أن ننتج فريقًا قادرًا على أن يأخذ قرارًا ويمضي، الآن هناك قوى كثيرة تشارك في الانتخابات، وكل جهة تأخذ عددًا محدودًا من المقاعد، وبعد الانتخابات كل جهة لديها عدد من المقاعد تبحث عن من يعطيها عددا أكبر من الوزارات بدون مشروع أو خطط لبناء دولة، وهذا لا ينتج، الحل أن القوى السياسية من مختلف المكونات من الشمال إلى الجنوب التي هي على رأي واحد و على برنامج واحد متفقة في قضايا أساسية تتشارك مع بعض في قائمة واحدة لتكوين تحالف انتخابي وطني واسع وشامل، فمن الطبيعي أن القوى الأخرى سوف تجتمع بقائمة أخرى وبالتالي سيتكون لدينا تياران كبيران، كل تحالف يوجد فيه الشيعي والسُني والكُردي والتُركماني والمسيحي والإيزيدي والصابئي، والذي يحصل على (نصف زائد واحد) يشكّل حكومة، فريق يتحمل المسؤولية و يدير البلاد ويختار الرئاسات الثلاث لمدة أربع سنوات والفريق الآخر يكون معارضًا سياسيًا بنّاءً يتابع ويرصد ويعترض في البرلمان بدون حرق أو تعطيل للمدارس، يكون مراقبًا ومتابعًا، أي شخص من ضمن الفريق يفشل أو يتلكأ سوف يشعر الفريق بأجمعه بالخسارة؛ لأن المعارضة تراقب وتشخّص، وبالتالي خلقنا معادلة نجاح، وخلقنا رغبة لدى الجميع بأن ينجحوا، فالمعارضة تضغط من جهة وهم يشتغلون ليلًا ونهارًا لإرضاء الناس حتى يحصلوا على ثقه الناس في الدورة التي بعدها، هذه الأيام نقترب من الانتخابات الأمريكية، وأمريكا قارة تعدادها (٣٠٠) مليون نسمة، أديان وقبائل مختلفة، ومع ذلك لديهم حزبان فقط، جمهوري وديمقراطي، القصة بأكملها مختزله في (بايدن) و (ترمب)، والسؤال هنا لماذا دولة مثل أمريكا بهذا العدد الهائل من السكان يمثلها حزبان فقط ودولة مثل العراق عدد سكانها أربعون مليون نسمة لديها هذا العدد الكبير من الأحزاب؟ هذه ليست حرية وإنما تشويه يجهض أي معادلة نجاح.

الحل يكون من خلال تحالفين طوليين ببرنامجين مختلفين والتجربة لمدة أربع سنوات فقط، إذا نجح هذا التحالف يتم تجديد الثقة له، وإذا فشل تُعطى الثقة للجانب الآخر، هذا هو الحل الذي يمكن أن يوجد استقرارًا سياسيًا وأن يوجد نجاحًا ويحقق انتعاشًا اقتصاديًا ويحقق أمنًا وينهي الفوضى السياسية، فالذي موجود الآن هو فوضى وليس ديمقراطية، نحن لا نستطيع أن نقول إن الحساسيات المذهبية والقومية انتهت، ولكن لا يوجد حل، ولا يوجد طريق إلا أن نخلق معادلة ناجحة لكي نعبر، وإلا سبع عشرة سنة من الديمقراطية تكفي لإنضاج مشروع.

أنا أرجو من حضراتكم أنتم عِلية القوم وأصحاب الفكر ورجاحة العقل أن تفكروا في هذا الكلام، فإذا وجدتموه مناسبًا ادعموه وأسندوه وتبنوه، فاليد الواحدة لا تصفق، أي مشروع إصلاحي جديد يريد أن يغير أوضاع البلد يحتاج إلى من يقف معه، ويحتاج إلى همّة، ويحتاج إلى ناس تتكلم به وتقنع به؛ لأن الإنسان عدو ما يجهل، فإذا كان كلٌ منا لا يريد أن يضحي، و لا يريد أن يقدم أي تنازلات، و يريد أن يحافظ على وضعه، فكيف تتغير أحوال العراق؟، اسمحوا لي أن أقول إن هنالك قوى أصبحت مصالحها في هذه الاصطفافات المكوناتية والمذهبية والقومية، و قوى خارجية أيضًا تستثمر في هذا أو في ذاك. اليوم عندما نتكلم بمشروع وطني ومشروع عابر للمكونات هذا يعني أنت تقف بالضد وتتقاطع مع مصالح داخلية وخارجية، فتبدأ الاتهامات والتخوين والكلمات، ولكن العراق يستحق أن نضحي من أجله، أنا أوجه هذا السؤال وهذا الطلب إلى حضراتكم، أنتم ادرسوا هذا الموضوع، وإذا وجدتموه هو الحل للعراق تبنوا هذا المشروع و ساعدونا به.

عقد لا بُدَّ منه

العقد الاجتماعي الذي تبانينا عليه في (٢٠٠٥)، والدستور الذي صوتنا عليه كان يمثل المتبنيات التي تمكنا من أن نجتمع عليها في تلك اللحظة، لحظة الخوف ولحظة التقاطعات، والناس كانت خائفة من الماضي والمستقبل ومن قوى الاحتلال الموجودة في البلاد، ولكن هذا الدستور ليس قرآنًا منزلًا. ما كان حلًا في ذلك الوقت هل هو حل إلى الأبد أم يحتاج إلى تطوير ويحتاج أن نراجع بعض متبنياته ونحتاج أن نقيم موقفنا الآن؟ نحن كنا في حالة مَرَضيّة تحتاج إلى علاجات استثنائية، ما حققناه في تلك المرحلة كان على وفق تلك الظروف، كل مرحلة لها ظروفها، اليوم في (٢٠٢٠) هل العراق هو ذاته في (٢٠٠٥) أو (٢٠٠٣)؟ اختلفنا كثيرًا، والناس اختلفت، والظروف اختلفت، والمصالح اختلفت، والرؤية اختلفت، والخوف جزء كبير منه زال، يمكن أن نراجع الثوابت التي تبانينا عليها، فبعضها التي كانت حلًا في يوم ما أصبحت اليوم مشكلة، تغيير بسيط في الدستور ينظم حياتنا السياسية في البلد، يجب أن نراجع ما يخدم بلادنا وشعبنا وأوضاعنا، اليوم في (٢٠٢٠)، الدستور الأمريكي لعله عُدِّل (٢٣) أو (٢٥) مرة خلال تأريخه الطويل، فلا توجد مشكلة أننا بعد سبع عشرة سنة نعدل دستورنا بأشياء أصبحت عبئًا على العملية السياسية أو على المواطنين ونصلح أوضاعنا، فعقد

اجتماعي جديد لا يعني إلغاء ما مضى، بل يعني مراجعة ما مضى وإصلاح الأمور بشكل ينسجم مع ظروف بلادنا.

للناس كلمتها

الانتخابات القادمة انتخابات مهمة جدًا، بعد هذا الحراك وبعد المشاكل الكثيرة التي حصلت في هذا البلد، الآن العودة إلى الشعب، والناس يجب أن تقول كلمتها، والناس تختار، وتم تغيير المفوضية، وتم اختيار القضاة بالقرعة و تحت إشراف الأمم المتحدة، وسن قانون الترشيح الفردي بأعلى الأصوات، وأصبحت كل أربعة مقاعد دائرة واحدة، وهذا يعني أن ابن المنطقة الواحدة يستطيع أن يشارك في الانتخابات سواء كانت مشاركة بصفة فردية أو تحت غطاء سياسي معين، وهذا أيضًا قلل عليه مبالغ الصرف على الدعايات الانتخابية، و إقناع الناس في هذا النظام أسهل، فكلما كانت الدائرة الانتخابية أصغر كانت فرص النجاح أكبر وبتكلفة أقل، ولا يمكن تفصيل القانون على الشخوص ولكن يفصل على الناس والمناطق، الآن المدن لم تحز على فرص كافية للتمثيل، ودائمًا الأرياف لديهم حماس للمشاركة في الانتخابات، وتبقى المدينة لا تحظى بعدد كاف من التمثيل، فكل قانون فيه بعض العوارض ولكن فيه فوائد معينة، وهذا ما نمضي في إقراره لكي نحل المسألة، المطلوب المشاركة الواسعة وإشعار الناس بضرورة للمشاركة بالانتخابات ويختارون من يجدونه مناسبًا، أما عدم مشاركة الناس في الانتخابات وكذلك ابتعاد الكفوئين عن التصدي ثم بعد الانتخابات تبدأ لغة التشكي فأمر غير صحيح، يجب أن تكون لدينا ثقافة المطالبة بالحق، والانتخاب حق يحتاج أن نتحرك إذا ما وجدناه مناسبًا ونقنع الناس ونشجع الناس ما دامت المفوضية تغيرت والقانون تغير والظرف تغير.

نبدأ من أنفسنا

كثير من الدول تقنن العودة إلى العشيرة والاستماع إلى العشيرة، في المضايف تحل أمور بساعة أو ساعتين لا تحل في المحاكم الحكومية بعشر سنوات، ولكن تعرفون ليس جميع شيوخ العشائر يقومون بما هو مناسب، فهناك ابتزاز بدأ يدخل في العملية، وهناك فصول لقضايا ما أنزل الله بها من سلطان، وهناك انحراف حصل في بعض الحالات، فيجب أن نبدأ بأنفسنا، والشيوخ يبدؤون بوضع قوانين وآلية صارمة ولا يسمحون باستخدام الغطاء العشائري للابتزاز بغير وجه حق.

وعود كاذبة

أعتقد أن شعبنا بعد كل ما مر عليه أصبح أكثر وعيًا، ففي حكومة تصريف الأعمال السابقة تم إطلاق تعيينات كبيرة جدًا، على سبيل المثال وزارة الكهرباء عينت في حكومة تصريف الأعمال موظفين جددًا بقدر موظفيها السابقين، ونفسهم الذين تعينوا تجدهم يتظاهرون في الشوارع لعدم استلامهم مخصصاتهم ورواتبهم، فهذا التعيين هو وعد غير واقعي، وغير قابل للتنفيذ، هذه الوعود وهذه الكلمات يجب أن لا تنطلي هذه المرة وأدعو حضراتكم للتثقيف الذي تقومون به في مضايفكم الابتعاد عن المال السياسي و عن الوعود الكاذبة في الانتخابات لكي لا نرجع إلى الأشخاص الذين نشتكي منهم، فأنا لا أشكك بالمتصدين، الكثير منهم شرفاء، ولكن ليس جميعهم، فيجب أن نختار الناس الذين يستحقون أن يكونوا ممثلين للشعب، والذي يقدم الوعود الكاذبة يجب أن يُشكك فيه لكي لا نقع في المطبات التي وقعنا فيها سابقًا.

استثمار السياحة

نحن بلد يمكن أن يوفر إيرادًا كافيًا من السياحة وحدها، السياحة الأثرية و السياحة الدينية، فنحن لدينا المذاهب على اختلافها، الديانات المختلفة، لدينا أماكن تأريخية أيضًا.

نبقى مع فلسطين

الموقف من التطبيع تجاه الكيان الصهيوني، لا يصح إلا الصحيح عندما يأتون اليوم يغتصبون حق الشعب الفلسطيني بالقهر والقوة فهذا الحق لا يسقط بالتعاقب، و سيعود لأهله، وكل هذا الكلام هو نتيجة الدعايات في الانتخابات الأمريكية، العراق لا يكون طرفًا في مثل هذه الخطوات، نحن مع الشعب الفلسطيني في حقوقه وقضاياه.

تنسيق في سنجار

حول قضية سنجار، من يقرأ الاتفاق لا يجد أي فقره تشير إلى إعادة سنجار إلى البيشمركة، وأنا شخصيًا تكلمت مع رئيس الوزراء وتكلمت مع مستشار الأمن الوطني، أستعلم إذا كان هناك شيء ما بين السطور أو ما وراء الاتفاق المكتوب، لا يوجد أي اتفاق بدخول عنصر واحد من البيشمركة إلى سنجار، كل ما في الأمر تنسيق معهم

وتشاور معهم، و في داخل سنجار ستكون هناك شرطة محلية من أبناء سنجار حصرًا، و في جبل سنجار أيضًا الجيش فقط.

لغز محيّر

ميناء الفاو فيه لغز لا أعرفه، فمنذ (٢٠٠٤) طُرح هذا الموضوع بشكل فكرة، ثم بعد ذلك تطور إلى مشروع، وجاء ناس مستثمرون أرادوا الاستثمار، وتم تسهيل الأمور لهم، وحتى كان يعاب علينا تسهيل الأمور لهم، ولكننا انتصرنا لمشروع للعراقيين، ونلاحظ في لحظة ما تضعف الإرادة، وهنا نتساءل هل هناك إرادة خفية في بناء الميناء؟، يجب أن نحرص في أن نمضي قدمًا في بناء هذا المشروع، فقد سمعت أنه أثناء البناء يوفر خمسمئة ألف فرصة عمل، و بعد استكمال التشغيل يتطلب ثلاثمئة ألف شخص للعمل وهذا مكسب كبير.

تكاملية مطلوبة

مجالس المحافظات بالطريقة السابقة قد تكون عطلت، ولكن اللا مركزية ضرورية في هذا البلد، فالعودة إلى المركزية الشديدة والكل ينتظر قرار وزير في بغداد، ومقدرات البلد جميعها بيد هذا الوزير، وهذا الوزير لا يعرف أوضاع المحافظات الأخرى، هذا يؤدي إلى استمرار المعاناة، فاللا مركزية التي وضعناها في الدستور تعني أن أهل مكة أدرى بشعابها، و القانون الجديد لمجالس المحافظات قلل العدد، وبالتالي عضو مجلس المحافظة سيكون ابن المنطقة ومعروفًا عندما يخطئ ويصيب، لكن لا نقبل للمحافظات أن تتخلى عن صلاحياتها ودورها لصالح المركز، نريد عراقًا قويًا، وقوة العراق بحكومة اتحادية قوية، وحكومات محلية قوية، فهذه تكاملية مهمة، الناس من الصعب عليها أن تصل إلى الوزير، ولكن من السهل عليها أن تصل إلى عضو مجلس المحافظة، تستطيع أن تؤثر عليه وتضغط عليه، وإن كان الجو العام باتجاه إلغاء مجالس المحافظات لأنه يؤثر على عمل المحافظين.

كلا لتسييس العشيرة

العشائر يجب أن تُدعم من قبل الحكومة، والدولة مع الأسف أنفقت أموالًا كبيرة على العشائر لكن ليس بمنطق الدعم، بل بمنطق من يدفع لي أكثر، دُفعت الأموال إلى شخوص ولم تُدفع إلى المؤسسة العشائرية، فكنت دومًا أقول يجب أن ندعم العشائر

وأن لا نحوّل العشائر إلى حزبٍ، ويجب أن نقوي المؤسسة العشائرية، إن كانت مع الحاكم أو ضده، ولا نعطي مالًا سياسيًا لكسب الموقف السياسي، لأن المال يُعطى إلى شخص وعندما يذهب الشخص تذهب الأموال، والمؤسسة العشائرية يجب أن يُسمح لها بأن تتحرك ضمن المجتمع، والتعامل السياسي مع العشائر خطأ فادح.

شكرًا لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ديوان بغداد السياسي والاجتماعي[٤٢٠]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين

السادة الأفاضل، الشيوخ الأكارم، الإخوة والأخوات بداية أرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم هذا الحضور، وهذه المداخلات المهمة والثرية التي تفضلتم ببيانها.

النقد ليس هدفًا بذاته

لا شكَّ أن العملية السياسية في مخاضاتها الفعلية لا تمثل الطموح الذي يتمناه كل العراقيين بما فيهم القوى السياسية أنفسهم، فهم يسجلون على أنفسهم الكثير من الملاحظات، و الانتخابات المبكرة محطة مهمة وفرصة للإصلاح ولتطوير الأداء والسلوك وتقديم مرشحين يمكن أن يحظوا بثقة الشارع العراقي بشكل من الأشكال، ما أسعدني كثيرًا هو النظرة المتفائلة لدى نسبة مهمة من النخب في حديثهم، فقد تعودنا من النخب أنهم يركزون على النقاط السلبية أحيانًا، طبعًا بنية المعالجة، وبنية إضفاء الاهتمام على هذه النقاط وإنارتها، لكن حديث النخب عن الإيجابيّات، عن النصف الممتلئ من الكأس، عن ما أنجز، بالرغم من كل الملاحظات، اعتقد هذا شيء مهم، حتى في دراسة الأديان يقال إن ديانة سيدنا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ركزت على إعمار البلاد وعلى الحياة وعلى تفاصيل كثيرة تخص الدنيا والاهتمام بالظواهر الدنيوية، بينما ديانة سيدنا عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ركزت بشكل كبير على الرهبنة أو العزلة عن الدنيا، يقال السبب

٤٢٠. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد للنخب السياسية والاجتماعية بتأريخ ١٤/ ١١/ ٢٠٢٠

أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان ضمن الحالة الفرعونية التي تفتك وتبطش وتسيء إلى الناس وإلى الحياة، فالناس كانوا منكسرين، وجاءت هذه الرسالة لتضفي مزيدا من الاهتمام والحرص على هؤلاء الناس ليهتموا بحياتهم وإعادة بنائها، نبي الله عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جاء ضمن الإمبراطورية البيزنطينية، حيث الأموال والترف والاهتمام بالدنيا، فكان اختلال التوازن من الطرف الآخر، فجاءت لتركز بشكل أكبر على الرهبنة والعزلة عن الدنيا والانكفاء عنها، إلى غير ذلك، رسالة نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ جاءت في ظروف سوية، فكانت التعليمات القرآنية والرسالة الإسلامية متوازنة ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾[٤٢١]، هذا التوازن بين الدنيا والآخرة.

الشاهد كلما كان المناخ العام منغمسًا في جانب فلا بُدَّ للنخب أن تأخذ الجانب الآخر حتى تحقق التوازن، في بلد أموره كلها مستقرة يجب التركيز على السلبيات حتى يتطور المجتمع أكثر، لكن في ظروف الانكسار والإحباط واليأس والشعور بالفشل العام وتحميل الواقع العراقي أكثر من ما يتحمل، في هكذا حال النخب معنية أن تظهر للرأي العام النصف الممتلئ من الكأس حتى تعيد الناس إلى التوازن، وحتى نستطيع أن نمضي معًا في إعادة بناء وترميم البيت الداخلي العراقي، هذه المسألة أساسية ومهمة، فاليد الواحدة لا تصفق كما يقال، النقد بمفرده لا يعالج إشكاليّات، التشكي لغة العاجزين، نعم نُشخص الأخطاء لمعالجتها لكن أن يصبح هدفنا هو النقد دائمًا وجلد الذات دون أن نقدم الحلول المطلوبة هذا يؤدي إلى انكسار مجتمعي، نحن نعيش بعض ظواهره وملامحه.

بعض الأحيان تبرز السوداوية، الإنسان عندما يصل إلى حالة لا يجد فيها أُفقا تُشل حركته و حركة الجماعة، وتشل حركه الشعوب والأمم، فنحن بحاجة إلى جرعة من التفاؤل والإيجابيّة وإشاعة الأمل وإطلاق رسائل الحياة، وهي حقيقة موجودة، حتى نوازن مع الواقع السلبي أو الإشكاليّات القائمة في مشروعنا وفي وبلدنا.

مسؤولية النخب

النخبة لها دور أساسي حينما ترتبك الأمور و تختلط، عليها أن تساهم في تحديد المطالب وتشخيص ما هو المطلوب الحق؟ ما هو المطلوب والسقف غير المنطقي، غير المعقول؟ قد يكون الموضوع غير حق، وقد يكون حقًا ولكن ظرفه غير مناسب

٤٢١. سورة القصص: الآية ٧٧

الآن، لا يمكن تحقيقه في هذا الظرف، تحديد المطالب هذه مهمة النخب، وكذلك ترتيب الأولويّات، عندنا عشر قضايا تحتاج معالجة فمن أين نبدأ؟ لا يستطيع الإنسان أن يعالج كل المشاكل دفعة، واحدة تحديد الأولويات مهمة النخب.

أيضًا تقديم الحلول، كقانون الاقتراض، بالفعل دولة بحجم العراق لماذا تقترض؟ ولماذا تعتمد فقط على النفط؟ ما هو الحل؟ كيف نعظّم الموارد غير النفطية بشكل سريع؟ كيف نوفر سيولة لدفع الرواتب دون الحاجة إلى الاقتراض؟ في هذه الظروف على النخب أن تقدم حلولًا وتصورات واضحة حتى يمكن الاستناد إليها.

وأيضًا مسؤولية النخب هو العمل على تنفيذ هذه الرؤية والحلول التي تقدمها، تضغط وتتابع، ليس بلغة النقد فقط، وإنما بلغة تقديم الحلول.

إذا لم تحصل هذه النقاط الأربع سنبقى نعيش حالة من الفوضى والإرباك في وضعنا الداخلي.

النخب عليها مسؤولية ولها دور، وهذا الدور لا يُمنح، فالأدوار لا تُمنح، الأدوار تُنتزع، وعلى النخبة أن تنتزع دورها، و تسير في هذا الاتجاه وتقوم بهذه المهام الواضحة ولا سيّما أن النخب في الأعم الأغلب هي ليست من اللاعبين في الميدان، اللاعب هو السياسي أو المسؤول التنفيذي الذي أحيانًا ينشغل بالتفاصيل فيغفل عن هذه النظرة الشمولية الجامعة، النخب تراقب فتستطيع أن تشخص نقاط الضعف وتقدم الحلول للمعالجة، ونقاط القوة يجب أن نركز عليها ليتم تعظيمها وتوسيعها، نحتاج أن ننتهي من لغة التسقيط والتهوين والتعميم بالفشل، ونذهب إلى التعاون مع بعضنا، وأن نحقق استمرارية لمشروعنا وفاعلية نظامنا بالشكل الذي يلبي طموحات أبناء شعبنا.

الهدف الذي نتحدث عنه جميعًا هو هدف بناء الدولة، هذه الدولة التي يُظن أنها مريضة، عليلة، كيف نقويها؟ وكيف تنطلق و تقوم بواجباتها ومهامها؟ ويجب أن نسير في ذات الخطى التي يسير فيها.

الطبيب عندما يعالج مريضا معينا، فالتشخيص مسألة أساسية، ما هي المشاكل بالتحديد؟ و ماهي الحلول والمعالجات المطلوبة لهذه الإشكاليّات؟ وكيف نقوي المناعة في الدولة لتكون دولة مهابة و قادرة على أداء واجباتها ومسؤولياتها؟ و كيف نوجد الاستقرار السياسي والأمني والاقتصادي والاجتماعي؟ فهذا الاستقرار شرط أساسي في بناء الدولة، ثم كيف نعطيها الفاعلية حتى تنطلق و تحقق طموحات شعبها؟.

أي دولة من الدول إذا أرادت أن تكون قوية وفاعلة عليها أن تسلك هذه المراحل الخمس ونحن في العراق معنون بذلك.

الانتخابات وسيلة لا غاية

فيما يخص الشأن الانتخابي، أنا دونت مجموعة من النقاط، الانتخابات هي وسيلة وليست غاية، وهذا كلام صحيح، لا نذهب إلى الانتخابات لذاتها، وإنما ليكون لها مخرجات تبني معادلة قادرة على أن تخرج العراق من الظروف الاستثنائية التي يعيشها الآن، فيجب أن نكيف الواقع الاجتماعي، الإداري، السياسي، الأمني، لتكون الانتخابات قادرة على أن تحقق هذه المخرجات، وإلاّ انتخابات بلا مخرجات مطمئنة قد ترتد علينا، نحن نجعل الانتخابات أمامنا و نحضر مقدماتها، فرص نجاحها، وعندما تتوفر هذه الفرصة نذهب لها، ولكن قد لا تتحقق كل فرص النجاح التي نطمح لها في ظل الأوضاع التي نواجهها، كالسلاح المنفلت، و اندفاعات بعض القوى السياسية للتأثير على الناخب بطرق غير مشروعة، والمال السياسي وتأثيره وكيف يمكن أن نضبط إيقاعه؟ ومئة قصة أخرى، فربط الانتخابات بتوفير المناخات الكاملة هذا يعني أننا لا نستطيع أن ننجز الانتخابات حتى في موعدها المحدد وليس في الموعد المبكر، والمسار الثاني أن نقول نحن نضع الموعد و نبذل كل ما في وسعنا لتكييف الأوضاع والظروف بما ينسجم مع المخرجات، إن حصل (١٠٠٪) هذا نور على نور، إن لم يحصل إلا (٨٠٪) أو (٧٠٪) فهذا أفضل من تأجيل الانتخابات، وهناك مساحة كبيرة من أبناء شعبنا لا تشعر أنها ممثلة في القرار السياسي عبر الكتل المتصدية، أو على الأقل هناك الكثير من التكهنات والقيل والقال، إن الذهاب إلى الانتخابات هو إعادة تحديث النظام السياسي، كما يحدث للإنسان عندما يحدّث جهاز الحاسوب.

التسجيل البايومتري

هذه مسألة مهمة، فيجب أن يكون لكل الناخبين بطاقة بايومترية حتى لا يكون هناك فرصة للتلاعب، ونعالج مشكلة عدم تسجيل الناس بمسارين، الأول: أن المفوضية تذهب إلى الناس كما ورد في رسولنا الكريم (طبيب دوار بطبه)[٤٢٢]، والثاني: إلزام الناس واعتبار البطاقة البايومترية وثيقة يطالب بها، أما القوى التي لا تريد البطاقة البايومترية فتعتبر هذا المسار هو ضد الدستور والحريات، وفيه إرغام للناس على

٤٢٢. نهج البلاغة ج١ ص٢٠٧ خ١٠٨

الانتخابات، وهذه مغالطة، نحن لا نجبرهم على الانتخاب، وإنما الإجبار في أخذ البطاقة الانتخابية.

ترشيح الأكفاء

فرصة جديدة وقانون جديد ودوائر، فكل هذه المحاولات هي لإعطاء فرص متكافئة إلى حد ما بين القوى السياسية وغيرهم.

المشاركة الواسعة

فالقوى السياسية لها جمهورها المعروف، فعندما تكون المشاركة ضعيفة جمهور القوى السياسية يأخذ الأصوات، فكلما تقل المشاركة تزيد حظوظ القوى السياسية.

الأمن الانتخابي

أعتقد أن الأمن الانتخابي يختلف عن الأمن العام، فالأمن الانتخابي ليس اغتيالًا أو اختطافًا فقط، يجب أن يشعر المرشح أنه بإمكانه أن يرشح بمفرده أو يدخل في أي تحالف هو يرغب فيه من دون أن يعرّض حياته أو سمعته للخطر، ومن دون أن يُخوَّن أو يُستهدَف، وأن الصوت الذي يوضع في الصندوق هو ذاته الصوت الذي يُحتسب ويعلن في نتائج الانتخابات، كل هذه الأمور تدخل في الأمن الانتخابي، السلاح المنفلت والمال السياسي و الجيوش الإلكترونية المجهولة وحملات التسقيط والتخوين، كلها تدخل في الأمن الانتخابي، ويجب أن يوضع لها خطط للمعالجة.

الشفافية

ضمان عدم التزوير، والرقابة الدولية على العملية لتكون انتخابات شفافة وسليمة وغير خاضعة للتزوير، ستبقى ادعاءات التزوير موجودة حقًا كانت أم باطلًا، كما رأيتم في أمريكا، الذي يخسر سيقول هناك تزوير، وقد يكون جزء من كلامهم صحيحا ولكن أفضل حل لمواجهة التزوير هو المشاركة الواسعة، كلما تقل المشاركة يكون تأثر التزوير كبيرًا.

الشركة الفاحصة لنظام الفرز الإلكتروني شركه دولية رصينة لا يظن أنها يمكن أن يتلاعب بها، وأنا أضغط في هذا الاتجاه، كما أن سرعة إعلان النتائج تخفف احتمالات التزوير.

الفرص المتكافئة

يجب أن تكون الانتخابات قادرة على أن تعطي فرصًا متكافئة بين القوى السياسية و بين مرشحين من خارجها.

القبول بنتائج الانتخابات

نضع كل الاحتياطات، ونضع كل التفاصيل، لكن حينما تظهر النتائج يجب أن نقبل بها وإلا نحن متجهون لحرب أهليّة، فيجب أن نقبل بالنتائج بعد أن نبذل كل جهودنا في تكييف الواقع ومنع أي محاولات تلاعب بالنتائج.

معادلة النجاح

انتخابات يشارك فيها الناس زرافات، زرافات، بعدها كيف يتم تشكيل حكومة؟ وإن تشكلت الحكومة ستكون حكومة محاصصة من الطراز الأول، فأين معادلة النجاح التي يمكن أن تبني حكومة حقيقية تلبي طموحات الشعب؟ سترجع نفس المشاكل، ولذلك طرحنا في أكثر من مناسبة تشكيل تحالف عابر للمكونات فيه قوى كبيرة من مختلف المكونات العراقية، شيعية، سُنية، كُردية، مسيحية، تُركمانية، إيزيدية، تحالف انتخابي وليس بعد الانتخابات، تحالف انتخابي فيه هذا التنوع الكبير، يقابله تحالف مماثل أيضًا فيه هذا التنوع، الناس تكون أمام خيارين واضحين أو ثلاثة خيارات مثلًا كما هي في أغلب البلدان الديمقراطية، كما في أمريكا، جمهوري و ديمقراطي، وهذه ليست دكتاتورية، هذا تنظيم للحياة السياسية، و الحياة السياسية لا تستقيم بـ (٢٧٠) حزبا، فيجب أن ننظم العملية السياسية حتى نحقق معادلة النجاح، وبدونها نحن ذاهبون باتجاه استنساخ ذات المعادلة التي نعيشها الآن.

إذا سرنا بنفس الطريقة فلا نتوقع نتائج مختلفة، هذا شيء غير منطقي، هذه أسميها (معادلة النجاح) التحالف العابر للمكونات يقابله تحالف مشابه، والذي يحصل على الأغلبية فأهلًا وسهلًا به، وتبدأ ثنائية الموالاة والمعارضة تتركب وتتشكل وتمضي، وهي مدخل أساسي لتحقيق النجاح.

الوطنية ليست شعارًا

الوطنية شعور وسلوك يقدم خدمة للناس، اليوم هذا النظام لم يتمكن من توفير الخدمات بالمستوى المقبول، فخدمات معقولة كان يمكن أن تشفع للقوى السياسية

أمام تخبط وإشكاليّات أخرى، أو حتى شبهات فساد، ونحن نعرف أن هذه الشبهات موجودة.

المكون الإيزيدي يتحدث عن مظلومية، المكون التركماني يتحدث عن مظلومية، المكون المسيحي يتحدث عن مظلومية، بغض النظر عن كل التفاصيل عندما تكون المكونات المتنوعة في البلاد تشعر بالغضب أو بالمظلومية فهناك مشكلة، يجب أن نفكر في معالجتها، والمشكلة لا تعالج بالشعارات، تحتاج إلى سلوك، وإلى مواقف، وإلى خطوات حقيقية، يجب أن نفكر أو نخطط بطريقة مختلفة لكي نضمن حق المكونات الأخرى في المشهد الإداري والسياسي للبلد.

إفلاس الدولة

أنا أشبه العراق بالملياردير، ولكن أمواله بشكل عقارات أو ناطحات سحاب، العراق بلد الثروات، ليس لدينا في هذه اللحظة سيولة لكن عندنا مليارات من النفط تحت الأرض، و هذا ليس تفسيره إفلاسًا، بل هو أزمة سيولة، كيف نعالجه؟ وكيف ننظم إيرادات الدولة ومداخيلها بالشكل الصحيح؟.

ثقافة قبول الآخر

نحتاج لترسيخ ثقافة القبول بالآخر حتى ننجح، ولكن الإنسان بطبعه أناني، ولذلك حتى يقبل كل منا بالآخر يجب أن ننظم المشهد بحيث يكون متوازنًا بالطريقة التي لا تتجاوز الآخر، هذا الذي يحفظ الحقوق.

ثنائية الواجبات والحقوق

بخصوص انسحاب الكتل الكُردستانية في مجلس النواب، أعتقد أن ثنائية الواجبات والحقوق يجب أن تراعى من قبل الجميع، أحدنا يتمسك بالحقوق والآخر يتمسك بمراقبة واجباته، علينا أن نقلب المعادلة، كل منا يفكر بواجباته والآخر يفكر له بحقوقه، عرب العراق لهم حقوق وعليهم واجبات، كُرد العراق، تُركمان العراق، آخرون لهم حقوق وعليهم واجبات.

الدولة العراقية حتى تكون موحدة يجب أن تكون مواردها مركزية، فعندما نوزع الراتب لكل المواطنين في المقابل على المواطن أن يعترف بهيبة الدولة و بوحدة الدولة،

الدولة ليست مصرفًا، فالدولة عندما تعطي يجب أن يكون لها هيبة وسطوة وحضور في كل مكان، وهذه تسمى في الدستور (صلاحية حصرية)، وسميت حصرية؛ لأنها الوحيدة التي تحفظ وحدة وهيبة الدولة.

الأخوة الكُرد يقولون إن العقود النفطية هي عقود شراكة وليست عقود خدمة، وبالتالي لديهم شركاء و التزامات مالية اتجاه الشركاء، فعند سحب النفط من يدفع أموال الشركاء؟ وجميع العقود من هذا النوع، وصلنا معهم في هذا المخاض أن تسلم العقود النفطية مع التزاماتها المالية إلى الحكومة الاتحادية، وكما تعرفون الإقليم غير مخول بتصدير النفط، فالعملية غير قانونية، حتى الشركة التي تعمل تأخذ أموالًا أكثر، أما إذا أصبحت الحكومة الاتحادية هي مسؤولة عن العقود فمن الممكن أن تنزل الكلف إلى حد كبير، وكذلك بالنسبة إلى تصدير النفط، فعندما يصدر بشكل غير رسمي يكون سعره أقل من السعر الرسمي.

أنا أعتقد أن الحفاظ على اللحمة وعلى التواصل مهم، وأن تعطي وقتًا لا يعني أن تتنازل عن شيء صحيح، فيمكن أن ننتظر ولا نكسر، وأنا شخصيًا غير راض على الكسر الذي حصل، فالكسر خطأ لكن التوافق له مفهوم، وهو توافق وطني، ودكتاتورية الأغلبية خطأ، التوافق يعني أن نتحاور على منطق، يجب على الإخوة في الإقليم أن يجدوا حلًا ضمن الدستور.

النظام الانتخابي

لا يوجد نظام انتخابي يمتلك عدالة مطلقة، ففي النظام السابق، وهو نظام القوائم، وهو الأقرب إلى فلسفة النظام البرلماني، مرشح في قائمة معينة يصعد بـ (٢٠٠٠) صوت، وفي قائمة أخرى في نفس المحافظة يحصل على (١٥٠٠٠) ولا يصعد، فالنظام البرلماني قائم على أساس الكتل.

شكرًا لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ديوان بغداد للشباب[٤٢٣]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين.

السادة الأفاضل، السيدات الكريمات، بداية أرحب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم هذا الحضور، وهذا الإثراء، والمداخلات العميقة والقيمة، والمحاور المتنوعة التي تفضلتم بالإشارة إليها.

الهدف من هذا الديوان هو أن نجتمع ونستمع لبعضنا، ثم كل منا بحسب إمكانياته وقدرته وتأثيره نعمل معًا للأفكار التي نقتنع بها، ومن لا يقتنع بالفكرة هو غير ملزم بتبنيها، هكذا نطور الأفكار، وبهذا السقف المحدود استطاع هذا الديوان بفضل الله أن يعالج الكثير من المشاكل دون ادّعاء، ودون إعلام، ودون سقف توقعات عال، واجبنا أن نخدمكم، ونخدم كل أبناء شعبنا، إن حصل فهذا واجب لا يحتاج إلى شكر، وإن لم يحصل فهو عن عجز وعدم إمكانية لاعتبارات تخص القوانين أو شخوص المسؤولين أو غير ذلك من التفاصيل.

بالحقيقة استفدت كثيرًا من الملاحظات التي تفضلت بها حضراتكم وأثريتم بها هذا الديوان.

اسمحوا لي أن أتحدث في محورين، المحور الأول: بعض الملاحظات التي تخص الواقع الشبابي، والمحور الثاني تعقيب على ما تفضلت به حضراتكم.

٤٢٣. كلمة سماحة السيد عمار الحكيم في ديوان بغداد للنخب والقيادات الشبابية الذي عقد في مكتب سماحته الخاص ببغداد بتأريخ ١٩/ ١٢/ ٢٠٢٠

شباب كبير مساحةً وموهبةً

لا شكَّ أن ما يتميز به العراق في المنطقة وفي العالم هو نسبة الشباب، (٧٠٪) من شعبنا دون الخمس والثلاثين سنة، (٩٠٪) دون خمسين سنة، وهذه نسب كبيرة جدًا تجعل العراق في صدارة الشعوب الشبابية.

وهؤلاء الشباب يتميزون بمواهب كبيرة إلى جانب الشبابية، دائمًا في كل الاستطلاعات والدراسات يُعطى العراق في نسبة الذكاء مستوى متقدمًا ودرجة متقدمة، فعندنا مساحة شبابية كبيرة بعقلية مميزة، وشخصية عراقية ذات مواهب وإمكانيات كبيرة، أنا أتحدث عن شعب، عن الحالة العامة، ودائمًا يحصد العراق مواقع متميزة في المسابقات والجوائز العالمية التي تخص أمورًا ذات صلة بالفكر والعلم، هذا يحتاج إلى استثمار، وجود شعب شبابي ذكي لديه مواهب، لديه إمكانيات كبيرة يحتاج استثمارًا، يحتاج تخطيطًا، يحتاج لإطار جامع لنوجه هذه العقول في الاتجاه الذي يخدم بلدنا وشعبنا ومشروعنا الوطني العراقي.

أعتقد حتى الآن نحن لم نستثمر بما ينبغي وما يكفي في هذه العقول وفي هذه الطاقات الشبابية، خسارة العقول هي أشد وأسوأ بكثير من خسارة الأموال، من الفساد أن يتساهل الإنسان أو المسؤول أو المتصدي بالمال العام، ولكن أن يتساهل في العقول فهذه خسارة أعظم، والفساد فيها أشد، ولا بُدَّ من أن تتضافر جهودنا في كيفية استثمار هذه الطاقات الهائلة والكبيرة.

البلدان تبنى بعقولها أولا، ثم بمالها، لا أقلل من قيمة المال في الإعمار والتنمية، ولكن هناك دول أصبحت عامرة بعقولها دون أن يكون لها موارد كبيرة. العقل قادر أن يأتي بالمال، لكن المال ليس بالضرورة أن يأتي بالعقول، شعبنا يمتلك العقول، ويمتلك الثروات التي تحتاج إلى حسن إدارة لاستثمارها بشكل صحيح، كان لنا شرف تمكين الشباب، من (٢٠١٠) رفعنا هذا الشعار، ولم يكن شعارًا انفعاليًا أو انتخابيًا أو عاطفيًا أو مرحليًا، موضوعة الشباب كانت تمثل رؤية إستراتيجية مستندة إلى هذه المعطيات.

واليوم حين تجدون عشرات الألوف من الشباب في الحكمة، آلاف منهم في مواقع تصدر مسؤولية اجتماعية أو سياسية أو حكومية أو مناطقية بحسب نوع المهام التي يكلفون بها ويحققون هذه الإنجازات الكبيرة ويعتمدون على أنفسهم، فهذه لم تأتِ بشكل عفوي وإنما بخطط ورؤى وعمل دؤوب ودورات كثيرة وجهود كبيرة حتى وصلنا إلى هذا المستوى بفضل الله تعالى ولا زلنا نعتقد أننا لم نعطِ للشباب حقهم.

قد يكون تيار الحكمة هو التيار الوحيد الذي أُسس ليكون تيار الشباب، وله هذه السعة، ولكننا غير راضين عن مستوى أدائنا في تمكين الشباب بالرغم من كل ما قدمناه، وقد يكون الحكمة اليوم أيقونة ومثار إعجاب الكثيرين، أنا أقول لشبابنا في داخل الحكمة معيارنا ليس رضا الآخرين، طموحاتنا أعلى بكثير مما يتصوره الآخرون فينا أو في الساحة السياسية.

حتى نستطيع أن نمكّن الشباب نحتاج إلى مجموعة خطوات، أدعوكم جميعًا للنظر في هذه الأمور، وإذا وجدتموها صحيحة اعملوا كلٌ من موقعه في تحقيقها لنستطيع أن نمكّن الشباب على نطاق أوسع.

الأمر الأول: الثقة بالله والثقة بالنفس

يبدأ مشوار التمكين من الثقة بالله وبالنفس، الشاب المنكسر المحبط عينه على الآخرين كيف يساعدونه، هذا الإنسان لا يستطيع أن يكون مبدعًا ومتألقًا وقادرًا على الإنجاز، يجب أن يستوعب الإنسان إمكانياته وطاقاته قدراته ومواهبه، و يثق بنفسه بشكل واضح، ويثق بربه وبما حباه من نعم، ويدرك أهميته ودوره في المشهد.

الآن كنا نتحدث عن حراك تشرين، ونحن على مدار أكثر من سنة تحدثنا كثيرًا في هذا الموضوع، شباب كانوا قليلي الخبرة في العمل السياسي والاجتماعي، حرصهم ووطنيتهم وغضبهم و انزعاجهم من الوضع العام هو الذي دفعهم إلى الحضور في الاحتجاجات والتظاهرات، وأنا أختلف قليلًا مع من ذكر أن الاحتجاجات لم تحقق أهدافها.

أنا أعتقد أن الاحتجاجات خلقت مناخا جديدا مثّل عصفا حقيقيا هز الكثير من القوى السياسية والقادة ولفت الأنظار والاهتمام، لكن كما قال أحد الإخوان هذه المتغيرات الاجتماعية لا تحسب بالساعات أو بالأيام، الإنسان يحتاج إلى فترة طويلة لمعالجة مشكلة معينة اجتماعية أو نفسية في الأسرة، فما بالك في معالجة مجتمع من أربعين مليونا، عانى من الحروب، والأنظمة الشمولية السابقة، ثم الإرهاب، ثم الصراعات السياسية، ثم الانتقال من ديكتاتورية إلى ديمقراطية، والعوارض الكبيرة، فضلًا عن أنه مطمع لدول إقليمية ودولية وصراعات خارج إرادتنا، قدر الله أن يكون العراق في قلب الشرق الأوسط، والشرق الأوسط هو قلب العالم، فنحن في القلب، واللاعبون الكبار محيطون بنا، إيران على شرقنا، وتركيا شمالنا، والسعودية جنوبنا، هذا قدرنا، نحن في

وسط الكبار، والتأريخ والحضارة والثروات والإمكانيات والثقل السكاني، بلد مطمع لكثيرين، وهذا ما يزيد من تعقيدات أوضاعنا بشكل كبير، لكن هذا قدرنا، و التنوع الكبير في أوضاعنا العراقية، وهذه الحالة، القوة في الشخصية العراقية والذكاء الذي يعبر عن نفسه بأشكال مختلفة يجعل الواقع فيه الكثير من التعقيد.

شخصيًا لم ألتقِ على مدار كل هذه السنين بمبعوث دبلوماسي أو سفير أو شخص من أي بلد من بلدان العالم إلا ويقول نحن استفدنا الكثير من العراق، العراق ساحة مهمة، العراق بلد يهواه الدبلوماسيون، الذي يخرج من العراق يكون أما وزيرًا أو مسؤولًا أو مديرًا عامًا على الأقل بالخارجية، الرئيس (بايدن) يقول عندما كان نائبًا للرئيس، أتكلم مع الدكتور (العبادي) أكثر من زوجتي، و زار العراق ستًا وعشرين مرة، يعرف القادة، ويعرف المسؤولين، وزير خارجيته كان مختصًا بالشأن العراقي، ووزير دفاعه كان ضابطا في الجيش الأميركي في العراق، مستشار الأمن القومي كان معنيا بالعراق، بلد مميز بالكثير من الخصائص، هذا يجعل الأمور معقدة، عملية التغيير عملية صعبة في ظل هذه التجاذبات والتقاطعات داخل البلد، هذا يجب أن نعيه، ليس للاسترخاء، الضغط على المتصديين المسؤولين مهم، سقفنا يجب أن يبقى عاليا، في نفس الوقت لكي لا نحبط وننكسر، يجب أن ننظر إلى هذه الحقائق ونعرف أننا نسير في الاتجاه الصحيح.

شخصيًا أعتقد أن أهم إنجاز حققه حراك تشرين هو أننا استعدنا شبابنا المحبطين المنكسرين، هذا الشاب الذي يقول لا علاقة لي، لا يتغير شيء، ما الفائدة؟

نزل، وبصوته وحضوره استطاع أن يغير الحكومة. الحكومة تستقيل وتنسحب وتأتي حكومة أخرى ومعادلة جديدة ووضع جديد، والجو الذي صار اليوم في حراك تشرين هو التوجه نحو تشكيل الأحزاب، بقطع النظر هل ستنجح هذه الأحزاب في الانتخابات القادمة أو لا، فالأحزاب الأخرى لم تنجح بأول شوط.

الإنسان قد يخسر جولة، جولتين، أو ثلاثًا، لكنه يكسب المعركة، لا توجد في الحياة معارك كلها ربح، رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عند بدر خط صاعد، وعند أحد خط نازل، حروبه وغزواته لم تكن كلها انتصارات، فهذا شأن الدنيا، صعود، نزول، تقدم، تأخر، حراك تشرين خلال سنة أعاد إلينا شبابنا، أصبحت عندهم قضية، أصبح عندهم هدف، أصبحت عندهم رؤية، أصبحوا ينضجون أكثر وأكثر، أصبحوا ينفسون عن انفعالاتهم واحتقاناتهم ويعبرون عن مطالبهم بشكل صحيح، أصبحوا ينظمون

صفوفهم في أحزاب وكيانات ويكونون أكثر موضوعية في تقييم أوضاع بلدهم، هذا مكسب ليس فوقه مكسب لما قلناه، اكسب العقول تأتِ الأموال، المال بلا أن تكسب العقول لا يستطيع أن ينجز الكثير، نحن نستعيد عقولنا شبابنا في حراك تشرين.

يلومني الكثير من القوى السياسية ويقولون هذا الحديث يغطي أخطاءهم، نقول أنا لا أغطي الأخطاء، ولعلّ الكثير ممن هم في الحراك أيضًا لا يغطون هذه الأخطاء، الخطأ يحصل في القوى السياسية، هناك من يخطئ، وهناك من يفسد، ونعاتب على عملية التعميم ونقول لا تعميم، لماذا(كلهم سراق)؟، لا يصح، هذا نفس الكلام ينطبق على هؤلاء الشباب، فيهم من يخطئ بعمد أو بغير عمد، فيهم من يكون أداة لتدخلات خارجية أو ما شابه ذلك، لكن هؤلاء عددهم قليل، الأساس الشباب الوطني الذي حقق إنجازا، ويجب أن نحميه، ويجب أن ندعمه، ويجب أن نشكره، ومن يعتقد أن القضية انتهت لأن الساحة الآن هدأت والخيم رُفعت فهو مخطئ. ما أوجده حراك تشرين يجب أن يؤخذ على محمل الجد، وأي تسويف أو مماطلة في استمرار منهج تلبية مطالب هؤلاء الشباب في الحقيقة فيه ردود أفعال خطيرة، وقد تنعكس بشكل خطير على النظام السياسي في البلد ويعود هؤلاء الشباب باندفاعات أكبر.

يجب أن نحترم إرادة شعبنا وإرادة شبابنا، ونقف ونلبي هذه المطالب دون أن يكونوا هم في حالة غليان، فلا نستجيب لبعض الأشياء حينما يكون الناس في حالة غليان فقط، يجب أن نستمر في تلبية مطالب هؤلاء الشباب، هذا شيء مهم، لذلك نحن نحتاج إلى استعادة وتمكين واستيعاب شبابنا، الثقة بالنفس المدخل الأول للتمكين، وهو شيء أساسي.

الأمر الثاني: أخذ المبادرة

يا شباب تحركوا وخذوا المبادرة، حراك تشرين أحد مظاهر أخذ المبادرة. كونوا فاعلين لا منفعلين، كونوا مؤثرين قبل أن تكونوا متأثرين، وليس عيبًا أن يتأثر الإنسان بما هو إيجابيّ، اكتشفوا إمكانياتكم واكشفوها لذويكم، لأهلكم، ومن يحيط بكم، أحيانًا ترى أقرب الناس إلى الإنسان لا يعرفون إمكانياتهم، كل شاب واعد يجب أن يكون نموذجًا راقيًا وواعيًا ويقدم قدوة لبقية الشباب ويحركهم، وفي هذا الحراك شباب تحولوا إلى أيقونات، لا بمالهم، لا بوجاهتهم، ولا بأسرهم، بل بفعلهم، بسلوكهم، بخطابهم، بثباتهم، بإصرارهم، بمثابرتهم، بتضحياتهم، تحولوا إلى أيقونات، وأصبحوا معروفين وموضع إشادة القاصي والداني.

هكذا يجب أن يكون كل شاب واعد، أن يكون أيقونة وقدوة في مساحته، يجب أن نرغم الآخرين على أن يحترموا عقول شبابنا، وأن يصغوا لهم، وأن يأخذوا بمطالبهم، وأن يستمعوا لهم، الحقوق تُنتزع ولا تُمنح، تُنتزع بالعقل والفكر والرؤية والطرح والمبادرة والفعل والسلوك الصحيح، تُنتزع المبادرات فيتحول الإنسان إلى أن يكون قدوة للآخرين، هذا الشيء مهم جدًا.

الشباب عراقي كتلة من الوعي والحماس والاندفاع والمثابرة والإبداع والنشاط، وهذا ما نفخر به كثيرًا، حينما ألتقي بقادة دول أخرى أراهم ينظرون بإعجاب كبير لما حصل في العراق، الكثير استرعت اهتمامهم هذه الحالة الشبابية والإمكانيات الشبابية، نحن بارعون في جلد الذات، لا نعرف قيمة أنفسنا وقيمة شعبنا، عندنا شباب درر العالم، حقيقة أنا مذهول من إمكانياتكم، اعتزوا بأنفسكم، اعتزوا بإمكانياتكم، واستعدوا لتكون قادة لمجتمعكم.

الأمر الثالث: تمكين العمل الجماعي

اليد الواحدة لا تصفق، حتى لو كنت عبقريًا وحدك لا تقدر، يجب أن نألف العمل الجماعي، فريق، مؤسسة، نعمل مع بعض، والعمل الجماعي صعب دائمًا، العمل الفردي يحقق إنجازًا سريعًا، والعمل الجماعي نتائجه أبطأ، ولكنه أدوم، وفيه حالة تراكمية، العمل مع الآخر يحتاج إلى سعة الصدر، إلى استيعاب، إلى تحمل الآخر، إلى القبول بالرأي الآخر، أنا أتنازل في هذه القضية، هو يتنازل في تلك القضية، حتى نلتقي في المنتصف، ونريد أن نبقى مع بعض ضمن إطار واحد وفريق واحد، حتى الأنبياء وهم أعظم البشر ومسدّدون من السماء، عندهم أصحاب، وعندهم حواريون، والنبي الله لا يرسله بمفرده، بل يرسل معه فريقا، بمعنى يقيّض له فريقًا يكونون محيطين به حتى يستطيع أن ينجز المهمة.

لذلك نحتاج منظمات، مجموعات، فرق عمل، ننظم صفوفنا، أي شاب واعد يرى في نفسه سمات قيادية عليه أن يجد شبابًا آخرين منسجمين في المشروع يضع يده بيدهم ويعملون بشكل جماعي، هذه مسألة مهمة جدًا، الفردية، المزاجية، الاندفاعات الخاصة، لا يمكن أن تبني مشاريع مهمة وطويلة الأمد.

الأمر الرابع: الوعي السياسي

نحتاج إلى وعي، الواقع السياسي معقد، مركب، أسهل شيء أن تأخذ لقطة وتبني عليها، لكن في واقع الأمر المسألة لا تؤخذ بلقطة، الواقع السياسي فيه من التعقيد والتشابك ما لا يسمح بأن تأخذ لقطة أو (مانشيتا) أو تصريحًا أو كلمة من هذا أو ذاك

وتقيّم المشهد، فلان قال كلمة واحدة لا تصلح أن يقيّم فيها المشهد، يحتاج إلى الكثير من المتابعة الدقيقة للمواقف والأحداث والرصد الدقيق والمراقبة العميقة والتحليل والتفكيك المنطقي للأمور حتى نصل إلى حقيقة وجوهر الأوضاع في السياسة، الناس تقول شيئًا وتعمل شيئًا آخر، تقول شيئًا وتقصد شيئًا آخر، حتى نكون بارعين في فهم الموقف علينا أن لا نأخذ بانفعالات أو بكلمات أو مانشيتات أو شعارات تطلق هنا أو هناك، نحتاج أن يكون عندنا قدرة لتفكيك الموقف ولتحليله بشكل واضح، الوعي السياسي الناضج والعميق لشبابنا هو مدخل لبناء مشروع وطني حقيقي في البلد، ما دام هناك من تسول له نفسه أن يستغل هؤلاء الشباب، أن يعبر على هؤلاء الشباب، اعتذر من هذا التعبير، يستخدمهم سُلّمًا لمآرب ولأهداف خاصة به، يستغل انفعالاتهم النبيلة والصحيحة لأغراضه الخاصة ويدفعهم هنا أو هناك، فلن تقوم للمشروع الوطني قائمة، تبقى الشعارات والكلمات والحجب والقيل والقال هو الذي يحرك، وما يسمى في تعابيرنا الدارجة (الطشة) هي التي تأخذ الشباب وليست القراءة الواعية المتفحصة العميقة التي تحفظ بها البلد وتدفع الأمور إلى الجهات الصحيحة، نحتاج أن نسمع من مختلف الأطراف، في قضية ما لا تُفرز المشاريع والاصطفافات بموقف وكلمة، وإنما بخط بياني، لأن هناك قوى مواقفها غير ثابتة، فحتى نعرف جوهر المواقف نحتاج إلى شيء من هذا النوع، تفكيك خطاب للآخرين، شيء مهم.

عدم التعجل في إصدار الأحكام، لا يصدر الإنسان حكمًا سريعًا على كلمة تقال، لأنه قد يظلم أناسًا هم لا يستحقون، وبعيدًا عن العاطفة تقدير الموقف الصحيح هذا يمثل أساسًا في هذه القضية، حتى يكون عندنا وعي حقيقي ولا نتعامل بسطحية، كونوا محصنين وكونوا عميقين في وعيكم السياسي، حتى تعرفوا من أين تؤكل الكتف، حتى تعرفوا حقيقة المشاريع التي تجري في البلد.

الأمر الخامس/ تحديد البوصلة

التمكين يحتاج إلى تحديد بوصلته، الإنسان حينما يخرج من بيته قاصدًا مكانًا معينًا يجب أن يكون عارفًا عنوانه، ويبحث عن أقرب الطرق التي توصله إليه، يجب أن يكون له هدف يريد أن يصل إليه.

البوصلة في كل شيء أمر مهم، مشروع وطني بحجم المشروع العراقي يحتاج إلى بوصلة واضحة، وأن لا نكون وقودًا في معارك نحن لسنا طرفًا فيها، و أن لا نُستخدم سلاحًا في تصفية حسابات نحن لسنا طرفًا فيها وغير مستفيدين منها، هذه مسألة خطيرة

جدًا، يجب أن نفكر بأنفسنا، بوطننا، بمشروعنا الوطني، بشعبنا، بمستقبلنا، ونحدد البوصلة على أساس هذه المعايير الحقيقية والصحيحة، نحن اليوم أمام خيارين لا ثالث لهما، إما خيار الدولة، أو خيار اللادولة، يجب أن نختار ونتحمل تبعات الاختيار، وكل منهما طريق فيه إيجابيّات لمن يسير فيه وغطاءات ودعم، وفيه تبعات وآثار له وللبلد، كيف نميز بين قوى الدولة وقوى اللادولة؟ اسمحوا لي أن أطرح خمسة معايير للتمييز بينهما:

الأول: قوى الدولة تتحدث بالمشاريع، وقوى اللادولة تتحدث بالأشخاص.

الثاني: قوى الدولة تتكلم عن كامل الجغرافيا العراقية، عندها مشروع لكل العراق، قوى اللادولة تتكلم عن بعض الأجزاء والمناطق، ولا تتحدث عن العراق كبلد.

الثالث: قوى الدولة تستظل بالقانون، تريد إجراءات قانونية، وقوى اللادولة تستقوي بالسلاح وبالدعم الخارجي، وما إلى ذلك.

الرابع: قوى الدولة تبحث عن توحيد الصف وجمع الكلمة، عن لملمة البيت العراقي، قوى اللادولة تحاول أن تصنف الناس بأصناف مختلفة، وأن تجزئ الناس وتفتتهم ولا تتعامل معهم كمجموع.

الخامس: قوى الدولة خطابها الاعتدال، العقل، قوى اللادولة خطابها الانفعال، التشدد، الحدية، استفزاز الآخرين، الكسر.

أيها الشباب.

حددوا بوصلتكم، اعرفوا ماذا تريدون، وأين تكونون، هل مع مشروع الدولة أو مع مشروع اللادولة؟ اذهبوا في الطريق الذي تجدونه يخدم مصالح بلدكم ويخدمكم عن وعي وتحمل تبعات.

يجب أن نحرص على أن لا نكون بنادق بيد الآخرين، وبيد مشاريع لا تخدم مصالح العراق، ولا تُستغل مشاعرنا في اتجاهات تسيء إلى بلدنا ومصالح بلدنا من حيث لا نشعر ولا نقصد.

التحالف العابر للمكونات هو في الحقيقة يأتي في هذا السياق، جربنا سبعِ عشرة سنة. في البداية اصطفاف مذهبي، يضع الشيعة مع بعض، السُنة مع بعض، الكُرد مع بعض، الشيعة اختلفوا بينهم صاروا قسمين أو ثلاثة أو أربعة، وكذلك السُنة والأكراد، بدأنا نفقس أحزابًا، وصلنا إلى مائة وسبع وعشرين قائمة في (٢٠١٨)، أمس صُدمت

صدمة كبيرة حينما سمعت أن الأحزاب المسجلة في مفوضية الانتخابات إلى الآن أربعمائة وسبعون حزبًا، دولة قارة بحجم أمريكا فيها حزبان، جمهوري ديمقراطي، ونحن لدينا أربعمائة وسبعون حزبًا، أربعمائة وسبعون اسمًا ولافتة وعلمًا و لونًا وشعارًا وطموحًا. وبعد الانتخابات نتسابق على الوزارات، أين المواطن؟ أين مطالب تشرين وغيرها من مطالب شعبنا؟ ما الذي سوف يتغير؟ وما الشيء الجديد الذي سيحصل؟ هذه ليست معادلة نجاح، هذه معادلة فشل.

ونحن باتجاه انتخابات مبكرة. كيف نحول معادلة الفشل إلى معادلة نجاح؟ نحن لا نعرف طريقًا غير هذا التحالف العابر، قوى وزينة من مختلف المكونات، شيعية، سُنية، كُردية، مسيحية، صابئية، إيزيدية، تركمانية، من كل المكونات، فإذا تشكل هذا التحالف ستشكل قوى أخرى تحالفًا ثانيًا كرّد فعل على الأول، إذا شكلنا تحالفًا طوليًا عابرًا للمكونات سوف يتشكل بشكل طبيعي التحالف الثاني فنصبح أمام تحالفين كبيرين، والمواطن سيختار واحدًا من اثنين، وليس من ثلاثمائة، والذي يفوز هو يأخذ المبادرة ويشكل الحكومة، الرئاسات الثلاث منه، مجلس الوزراء منه، الحكومة كلها له، والتحالف الثاني يشكل المعارضة، وتحالف الموالاة به كل العراقيين فهو يمثل كل العراق، وتحالف المعارضة به كل العراقيين أيضًا، صارت معارضة وطنية وموالاة وطنية. فريق الموالاة يتحمل كامل المسؤولية؛ ويبذل كل جهوده لينجح في خدمة الناس وتجدد له الثقة، وفريق المعارض يراقب الأداء، وهكذا تنتظم الحياة السياسية، ربما تقولون كان هناك تحالفان (تحالف الإصلاح) و(تحالف البناء) وانهارا في أول تحد، نعم هذا صحيح؛ لأنهما تشكلا بعد الانتخابات، على أن القانون الجديد يمنع من أي تنقل بين القوى لحين تشكيل الحكومة، حتى ننتهي من عملية البيع والشراء في النواب. ويجب أن نضع حدا للتعامل بالمال وشراء الذمم وما شابه ذلك، هل هذه ستنجح قطعا؟ لا نعلم، أنا أخوكم الصغير، وخادمكم، لا أعرف طريقًا آخر لتنظيم الحياة السياسية و تحويل الحكومة إلى حكومة فاعلة ومنتجة وخدومة وتحل مشاكلنا إلا بهذا المنطق. إذا كانت عندكم حلول أخرى أخبرونا جزاكم الله خيرًا.

البعض يقول نفس القوى السياسية سترجع، فهي قوى لديها حضور وتأثير ومال وخبرة و رجال، نفسها سترجع، وأنا أقول حتى لو رجعت نفسها، الخلطة الجديدة تجعل الجميع مسؤولين وحريصين على تحقيق النجاح.

هذه معادلة النجاح، ابحثوا إذا وجدتموها صحيحة ومقنعة تبنوها، لا أقول هذا التحالف أو ذاك، أقول الأصل مبدأ التحالف العابر للمكونات، ادعموه حتى ننتهي.

ونعتقد أن قوى الدولة يجب أن تكون في تحالف واحد في كل المكونات، وقوى اللادولة الكريمة أيضًا تكون في تحالف واحد، والناس هي التي تختار من تراه مناسبًا في هذا الأمر. الانتخابات السابقة لم توفر فرصًا عادلة.

هل الانتخابات ستصبح الأفضل؟ اتخذت أربع خطوات الآن، مجلس المفوضين كان أعضاؤه من الأحزاب بشكل رسمي، وكل واحد عينه على الثاني، الناس اعترضوا، فتم اختيار قضاة بالقرعة، هذه الخطوة الأولى، الخطوة الثانية أصبح القانون دوائر متعددة وترشيحا فرديا، فأعطى هذا القانون فرصًا جديدة، هل هي فرص عادلة تمامًا؟ أقول لك لا يوجد عدل في هذه الدنيا بالمعنى المطلق، أي قانون انتخابي فيه عدالة في ناحية وفيه عدم العدالة في نواح أخرى.

الخطوة الثالثة تم تشكيل الحكومة من خارج القوى السياسية في الأعم الأغلب، والخطوة الرابعة الانتخابات المبكرة، إذا تمت في موعدها إن شاء الله ستكون فرصة لسرعة العودة إلى الشعب ليقول كلمته في الانتخابات.

نافذة القطاع الخاص

بالنسبة للإخوة الخريجين من عدة قطاعات، التربية الرياضية، النفط، الهندسة الكيميائية، الهندسة النفطية، المعاهد التقنية، وزارة العدل، المجموعة الطبية، وغيرها من العناوين التي طُرحت، أنا بنفسي متابع للموضوع مع السيد رئيس الوزراء والوزراء المختصين، ولكن هذا لا يحل مشكلة العراق، اليوم لدينا سبعة ملايين موظف، بالإضافة إلى المتقاعدين والرعاية الاجتماعية، و كل إيرادات النفط لا تكفي حتى رواتب، نضطر للاقتراض من احتياطي المركزي حتى ندفع الرواتب، فكيف نضيف أكثر؟. وهل يا ترى وزارات الدولة تحتاج إلى هذه الأعداد الكبيرة؟. نحن عدد موظفينا يفوق دولا عدد سكانها أربعة أضعاف العراق، هذه إيران نفوسها ثمانية وتسعون مليون نسمة لديها ثلاثة ملايين موظف ومتقاعد.

يجب على الحكومة والبرلمان والدولة بمؤسساتها أن تفتح نافذة حقيقية في سوق العمل في القطاع الخاص، لتصبح الجاذبية للقطاع الخاص أكبر من القطاع العام.

نحن عندنا ثقافة بأن البلد فيه فرص عمل واستثمار كثيرة، ويمكن أن يربح الفرد من القطاع الخاص أكثر من قيمة الراتب، غير أن هاجس التقاعد هو المسيطر على التفكير، ولذلك كلمت رؤساء الوزراء السابقين لإصدار تشريعات وقوانين بهذا الشأن،

فلو شمل قانون التقاعد مثلًا القطاع الخاص لتخلصنا من هذا الهاجس، ففي القطاع الخاص فرص عمل كثيرة توفر إيرادات كبيرة لمن يمتلك القدرة على التحرك والتفكير وتساهم في بناء البلد، لا يوجد بلد يعمر بأجهزة حكومية ووزارات، الذي يبني البلدان استثمارات الشركات في القطاع الخاص في كل مكان بالعالم.

المشكلة أن قطاعنا الخاص ضعيف، فالمواطن ليس محميًا قانونيًا، يجب أن نفعّل القوانين الخاصة بحماية القطاع الخاص ونوفر لهم الغطاء ونوفر لهم الدعم المطلوب، الآن في كثير من بلدان العالم الحكومات تريد موظفين، لا أحد يذهب، لأن الربح في القطاع الخاص أكثر، والفرص أكثر، يستقيل الموظف ويدخل القطاع الخاص فيستفيد أكثر ويقلل الأعباء على الدولة وينتعش الاقتصاد، هذا هو الحل، فليس من المعقول أن يتحول الشعب العراقي كله إلى موظفين، يجب أن نفكر بحلول حقيقية، ونحن نتابع هذه الأمور قدر الإمكان بإذن الله تعالى.

وهناك مسألة أخرى هي إلزام الشركات المستثمرة بأن يكون(٨٠٪) من عمالها من العراقيين، و(٢٠٪) عمالة محترفة أو عمالة خاصة تثق بها، وأنا شخصيًا أكلم السادة الوزراء بشكل مستمر بهذا الموضوع، هذه القضية يجب أن تعمم لكل القطاعات، الآن ميناء الفاو يراد إعطاؤه لشركة معينة، كورية أو صينية، أو أي بلد، يمكن أن نلزمها بهذا الشرط.

قلوبنا مع الموصل

المرأة الموصلية تحملت الكثير كالرجل، نينوى أصيبت بكثير من الهزات والمشاكل، الخلافة الإسلامية المزعومة اتخذت منها عاصمة، وعبثوا فيها وتعرض أهلها إلى الكثير من الأذى، ونحن قلوبنا معكم إن شاء الله، يجب أن نقف وقفة واحدة لنعمر كل العراق ونعيد الأمور إلى نصابها الصحيح.

دعم حراك تشرين

لفت انتباهي أحدكم حين قال الاستجابة الدينية والسياسية لحراك تشرين كانت قليلة، أقول لا أعتقد أن أحدًا وقف بقدر وقفة الإمام السيستاني في غطاء ودعم هذا الحراك، هو من أطلق على الضحايا (الشهداء)، في كل خطبة كان سماحته يدافع عن هذا الحراك وعن مساراته الإيجابيّة، ووجه العتبات بأن يندفعوا بمواكبهم وهيئاتهم في

تقديم الطعام والشراب والدعم اللوجستي دون أن يكون له حزب حتى يتهم أنه يريد أن يستفيد انتخابيًا، هو المرجع الشيعي ماذا يستفيد سوى أنه أراد أن يخدم الشباب و يساعدهم ويدعمهم، لا أعتقد أن هناك أي قصور في دعم المؤسسة الدينية لهذا الحراك، إذا كان فينا السياسيين من قصر تكلموا علينا، لا يوجد مانع، لكن أعتقد أن الاستجابة الدينية كانت جيدة.

الزرادشتية

الإخوة الزرادشتية، نحن لا نعرف الكثير عنكم، بالتالي اسمحوا لنا أن أعتب عليكم، أنتم مواطنون عراقيون أبناء بلدنا، من حقنا أن نعرف عنكم، فأنا لا أعرف في هذه اللحظة ما هو عدد الأعزاء من هذا المكون الكريم؟ وأين يسكنون؟ وما هي متطلباتهم؟ أرجو أن يزودونا بهذه المعلومات حتى نستطيع أن نساعدكم بإذن الله تعالى.

شكرًا لكم جميعًا إخوتي الكرام.

أعتذر من الإطالة عليكم في الحديث، وأتمنى أن يكون الحديث مفيدًا، أنا استفدت كثيرًا من ملاحظاتكم القيمة شكرًا لكم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللقاءات الإعلامية والمقالات

لقاء التلفزيون الإيراني مع السيد عمار الحكيم

بتأريخ ٢٠٢٠/٧/٩

التلفزيون الإيراني: السلام عليكم سماحة السيد، متى سمعت أول مرة عن الشهيد قاسم سليماني؟

السيّد عمّار الحكيم: بسم الله الرحمن الرحيم، بالحقيقة الشهيد سليماني لم يكن شخصًا مجهولًا، كان شخصًا متصديًا لمهام كبيرة وجسيمة، وبعضها تخص الجانب العراقي، ولذلك عمي الشهيد آية الله السيّد (محمد باقر الحكيم)، ووالدي المرحوم السيّد عبد العزيز الحكيم كانا على تواصل معه قبل سقوط النظام بحكم طبيعة المهمة وطبيعة اختصاص الحاج (سليماني)، أنا كنت أسمع عنه، ولكن لم يحصل أن ألتقيه أو أحدثه في مجال ما، وحتى في لقاء عابر في مجلس أو غيره، لانشغالاتي العلمية في قم آنذاك، حتى اقترب إسقاط النظام وبدأت الولايات المتحدة تتحرك باتجاه العراق، وكان من الطبيعي أن يتم التفكير بكيفية ملء الفراغ بعد إسقاط النظام، وواحدة من المجالات المهمة هو إرسال وإيفاد العلماء، والمبلغين، والخطباء، والساحة العراقية كانت بأمس الحاجة لملء الفراغ الديني والثقافي، إضافة إلى الجوانب الأخرى، طبعًا هذه كانت مهمتي واختصاصي. فاتصل والدي في يوم ما وقال: (الأجواء تتهيأ لسقوط النظام، ولا بُدَّ من أن نعبئ الخطباء والمبلغين ورجال الدين من محافظات مختلفة)، وأنا كنت مختصا في هذا الجانب، وعلى صلة بعدد كبير من المبلغين، وثم ذكر لي أن الأخ الحاج سليماني كان في اجتماع اليوم، وجرى حديث من هذا النوع، وبما أن انتقال هؤلاء إلى العراق يحتاج إلى تفاصيل فنية، لوجستية، وحدود، فالموضوع ذات صلة بالجهة الرسمية في الجمهورية الإسلامية، وكانت جهة القدس هي المعنية بهذا

الأمر، فقال: طلب الحاج سليماني رقم هاتفك وسيتصل بك لينسق فيما يخص هذا الموضوع، وبالفعل في نفس اليوم جرى اتصال، وهذه كانت أول مكالمة مباشرة لي مع الحاج سليماني (رحمة الله عليه)، تحدثنا قليلًا هاتفيًا، ثم كان اللقاء الأول بحضور شهيد المحراب الشهيد الحكيم، وموضوعه كيفية إيفاد هؤلاء المبلغين، كان هذا قبل السقوط بشهرين أو ثلاثة، ولكن بعد السقوط ـ بحكم طبيعة المهمة الجديدة وحضورنا في العراق، واختصاص الحاج الشهيد سليماني بمتابعة هذا الملف ـ كان هناك الكثير من اللقاءات والاجتماعات والاتصالات والمناقشات والمداولات منذ (٢٠٠٣ إلى ٢٠٠٩)، كانت تتناول الجانب الثقافي والتبليغي التي كانت مهمتي آنذاك، بعد رحيل الوالد وانتقالي إلى بغداد والتصدي للعمل السياسي كانت المشاورات تجري في الجوانب السياسية أيضًا، طبعًا حتى في تلك السنين الست أحيانًا كنت أحمل رسائل من المرحوم الوالد، وحتى في حياة السيّد العم حملت بعض رسائل الشهيد الحكيم، وحصلت مداولات ومناقشات سياسية حتى في السنوات الست الأولى، لذلك علاقتي منذ (٢٠٠٣) استمرت إلى آخر سفرة جاء بها الشهيد قبل الاستشهاد، والتقينا فيها عدة مرات، كانت سفرة مكث فيها عدة أيام هنا، وكانت عدة لقاءات، فلذلك هي سنين طويلة مليئة بالمشاعر، والمحبة، والتفهم، وأيضًا كانت هناك علاقة مشاعرية وقلبية خاصة إضافة إلى شؤون العمل، هو كان له محبة لأسرة الإمام الحكيم، وعلاقة بشهيد المحراب، بالسيّد الوالد المرحوم السيّد (عبد العزيز الحكيم)، بنا، ونحن أيضًا كنا نبادله المشاعر والمحبة، فهناك جانب مشاعري، وهناك جانب يخص العمل وهموم العمل.

التلفزيون الإيراني: سماحة السيّد، هل تدخّل الشهيد قاسم سليماني في تحديد ودفع سياسات العراق أو كان مستشارًا فقط؟ اُتهم الشهيد سليماني دائمًا بأنه كان يفرض على السياسيين الشيعة، فهل هذا الكلام صحيح أو لا؟

السيّد عمّار الحكيم: الشهيد سليماني كان يتمتع بسعة الصدر، والصبر الكبير، والقدرة العالية على الإقناع، والفهم العميق للأمور، والعلاقات الواسعة، طبعًا الجمهورية الإسلامية ليست منظمة خيرية، الجمهورية الإسلامية دولة لها سياسات، لها أولويات، لها رؤية، وتقدير للمصالح العامة، لها وللمنطقة، وللدول الأخرى، كما هي كل الدول الأساسية والمهمة هكذا، لها خطة، لها مشروع، لها برنامج، وهذا الشيء مفهوم جدًا، وبالتأكيد الشهيد سليماني حين كان يأتي للعراق يأتي محملًا برؤية، بوجهة نظر، بفهم معين للأوضاع، لكن لم تكن طريقته من النوع التي يفرض فيها الأمور

على القادة العراقيين، وإنما يسمع منهم، ويتحدث بمنطقه ورؤيته في الأمور المختلفة، قد يحصل اختلاف في الرؤى، فكان يصرف وقتا وجهدا طويلا من أجل أن تحصل قناعة جهد الإمكان، طبعًا الأمور السياسية بشكل عام هي أمور معقدة، يُختلف عليها، ليست بوضوح كما هي في بعض المجالات الأخرى، والساحة السياسية العراقية فيها مشارب سياسية مختلفة، فيها قادة كلٌ منهم له وجه نظر، فمن الصعب القول: العراقيون كانوا موحدين على الشيء والشهيد سليماني كان يأتي ليغير قناعات، ليس الأمر كذلك، لعلّ المهمة الأولى للشهيد سليماني كانت كيف يستطيع أن يقرّب بين وجهات النظر، ولعلي سمعت منه في مرات عديدة كان يقول: (ما تتفقون عليه أنتم العراقيين حتى لو كان خلاف قناعتنا نحن ندعم) لكن حين يحصل الاختلاف بين العراقيين في الرؤية وهذا يريد شيئا، وذاك له رؤية أخرى، وهو معنيّ أن يساعد في لملمة الأوضاع فمن الطبيعي أن يمارس مثل هذا الدور، وله صلات عميقة مع جميع الأطراف، فيذهب ويجتمع بهذا وبذاك، ويتحدث، ويقرّب وجهات النظر، أحيانًا يكون بعض القادة العراقيين متخاصمين، هو يحاول أن يسهّل الأمور ويخفّف القضايا، ويجمع بين القادة ليوحد موقفهم، بالحقيقة دوره كان في المسار العام دورا إيجابيا، دور بناء، دور تقريب وجهات النظر، دور الاستماع إلى العراقيين، الاستفادة من وجهات نظرهم، وإقناعهم، ولكن الأساس هو الإقناع وليس الفرض.

التلفزيون الإيراني: هل كان الشهيد سليماني يعامل القادة الشيعة كلٌ على حدة، الأكراد بطريقة، السنة بطريقة، أو كان محتويًا للجميع كما تفضلت بتقريب السياسة؟

السيّد عمّار الحكيم: يتميز الشهيد سليماني بحبه الكبير لبلده الجمهورية الإسلامية إيران، ولكن قلبه كان إسلاميًا، منفتحًا، وإنسانيًا، عنده مشاعر إنسانية، ودائمًا المصلحة العامة الإسلامية كانت ماثلة وحاضرة، فحتى في تعامله مع الشيعة وهم عرب في العراق، ولعلي سمعت من أفغان، أو باكستانيين، أو آخرين تعاملوا معه، لا يُشعرهم ولا هم يتحسسون من خلال العلاقة، عندما تتعامل مع شخص لفترة طويلة إذا كان عنده نزعة قومية معينة خاصة يُمكن أن تبرز في سلوكه، في أدائه، في مواقفه، في حالة من الحالات، لكن الرجل للإنصاف كان ذا قلب منفتح، وواسع، وكل من يجلس معه لا يشعر بالغربة، لا يشعر هو من قوم آخر، أو من بلد آخر، الجوانب المشاعرية والعاطفية كانت قوية، لعله في بداية المسار في (٢٠٠٣) طبعًا كان هناك نوع من أنواع الالتباس من المكون السُني اتجاه التحولات السياسية، دور الجمهورية الإسلامية، إلى غير ذلك من تفاصيل، لكن العلاقة مع المكوّن الشيعي والكردي علاقة عميقة وممتدة، منذ زمن

المعارضة كانت الجمهورية الإسلامية لها اتصالات واضحة وساعدت المعارضة العراقية بشكل واضح، لذلك الانطلاقة كانت بشكل أوسع في الساحة الشيعية والساحة الكردية في البداية، وكلما تطورت الأوضاع مدّ الجسور، نحن كنا نشجع دائمًا الجمهورية الإسلامية أن تكون منفتحة على جميع العراقيين، وهذا شأنها، ودورها، والرجل هو كان متحمسا، كانت العلاقات في السنين الأولى مع المكون السني ضعيفة، ليس لعدم رغبته هو بإيجاد تلك العلاقات، وإنما لسوء فهم لدى هذه الأوساط السياسة آنذاك، ولكن بعد ذلك تطورت، في السنين الأخيرة كان كلما يأتي إلى العراق يزور الجميع، ويجلس مع الجميع، وأيضًا وفود العراقيين من مختلف المكونات والمشارب السياسية كانت تزور الجمهورية الإسلامية وهو يضيفها ويستقبلها ويهتم بها، هكذا كان شأنه.

التلفزيون الإيراني: سماحة السيّد كيف استجاب الشهيد سليماني لمرحلة ما بعد دخول داعش؟ نعرف جيدًا كيف حصلت الفوضى والمشاكل الكبيرة في الدولة العراقية آنذاك، وكيف صدرت الفتوى، كيف تعامل الشهيد سليماني واستجاب؟

السيّد عمّار الحكيم: بالحقيقة الشهيد سليماني في الجهد والمثابرة والإقدام كان له بعد أسطوري، يشهد له القريب والبعيد، الصديق وغير الصديق، لا أحد يشك في هذه الشخصية القيادية، الجريئة، المقدامة، المثابرة، وتبلورت هذه الشخصية في هذه الأبعاد بعد سقوط الموصل مباشرة، وحتى قبل فتوى الجهاد الدفاعي التي أطلقها الإمام السيستاني (دام ظله الوارف)، فجاء إلى العراق، وطبعًا كان هناك حالة من الهلع، والقلق، وداعش يتقدم، وكانت الأساليب الوحشية لداعش مرعبة جدًا، وحوش بشرية تذبح وتقتل وتقطع الرؤوس مما هو معروف من السلوك البربري الوحشي، فوحوش بشرية تتقدم باتجاه بغداد، المعنويات هابطة، القوات العسكرية منهارة، وهذا ما جعل البلد غير محصن أمام هذا التحدي، وكان يُمكن أن تسقط حتى بغداد، فجاء الشهيد سليماني بعزيمته، بإصراره، بخبرته بتكتيكات هذه المجموعات الإرهابية، وله تجارب سابقة في دول أخرى لعله في التعاطي مع هؤلاء، ولا سيّما الأزمة السورية، وداعش بدأت من سوريا ثم زحفت باتجاه العراق في وقت لاحق، والشهيد سليماني كان لديه خبرة هو وفريقه جيدة في التعاطي مع هؤلاء الإرهابيين وأساليبهم، لذلك وجوده كان يثير الاطمئنان ويبعث على الاستقرار النفسي للقادة، وللقوى، وكان يبذل جهدا كبيرا في لملمة الإمكانات المبعثرة وهي كثيرة، لكنها مبعثرة، وشحذ الهمم في ظل الانكسار المعنوي الذي حصل لدى الأوساط المختلفة، وكنا نواكبه لحظة بلحظة بالساعات، هناك مناطق بين بغداد وسامراء سقطت، في بلد، في الدجيل، في أماكن أخرى، وكادت

سامراء تخرج عن السيطرة كليًا، وهذا يعرّض حرم الإمامين العسكريين إلى الخطر، لم ينتظر أحدًا، هو بنفسه كان يركب السيارة ويذهب، وبالفعل واجه صدا شديدا من الإرهابيين في منتصف الطريق ولم يستطع أن يعبر باتجاه سامراء، وعاد ليهيئ الأمور ويرجع من جديد، على كل حال، حقيقةً كان للشهيد سليماني الدور الأبرز والأوضح في لملمة الإمكانيات، في شحذ الهمم، وطبعًا جاءت فتوى المرجعية العليا لتعطي الزخم الشعبي الهائل، زخم شعبي بلا قدرة تنظيمية وإدارية في لملمة هؤلاء، وبلا تكتيكات عسكرية في كيفية المواجهة، وبلا توفير السلاح والعتاد المطلوب للمعركة، مع الكميات الهائلة من السلاح والعتاد الذي وقع بيد الدواعش، وتوقف الأمريكان عن تسليم السلاح الذي كنا قد دفعنا أمواله كعراقيين، الحكومة العراقية دفعت أموالا ولكن نتيجة الالتباس الذي كان في تصدي السيّد المالكي، وما بعد الانتخابات، ورغبته في ولاية ثالثة وكانت هناك تحفظات دولية على هذا التصدي، فلم يكن هناك أحد يُمكن أن يساعد العراقيين، العراق قدم طلبا بالدعم من دول المنطقة، من دول العالم، لكن لم يقف إلى جانب العراقيين غير الجمهورية الإسلامية، وكان رجل الجمهورية الإسلامية في هذا المجال الشهيد سليماني بشخصيته المميزة ذات الأبعاد المتعددة، تتحدث عن العسكر، عن القتال، هو رجل الميدان، تتحدث عن التكتيكات الغريبة المجهولة التي كان الدواعش يستخدمونها، الشهيد سليماني وفريقه هو كان يعرف هذه التكتيكات وكيفية معالجتها، نتحدث عن تعبئة وتنظيم لهذه الأعداد الهائلة من الناس التي خرجت بفتوى المرجعية، ولا الجيش، ولا الشرطة، ولا المؤسسة العسكرية العراقية كانت قادرة آنذاك أن تستوعب هذه الأعداد وتنظمها، هي كانت تعيش انهيارات في تلك اللحظات، الشهيد سليماني كان هو رجل التنظيم، نتحدث عن إحباطات وانكسار معنوي، وجود الشهيد السليماني كان يبعث الاطمئنان ويشيع الثقة بالنفس بعد الثقة بالله، لذلك دوره لا يعوض في تلك المرحلة، وكان له دور أساسي ومحوري، ومن ورائه الجمهورية الإسلامية بكل إمكاناتها وقفت، ودعمت، وساندت، وحفظت العراق من منزلق خطير كاد يودي بالعملية السياسية وبالبلد بشكل عام، ويؤدي إلى مجازر كبيرة.

التلفزيون الإيراني: سماحة السيّد كيف تلقيت نبأ استشهاد قاسم سليماني؟ خصوصًا أن الاستشهاد تم في أرض عراقية، وقدومه كان بطلب من الحكومة العراقية، وكذلك معه قائد كبير، القائد أبو المهدي المهندس يمثل قوة كبيرة عراقية، والاثنان ساهما بالنصر، وكما قالت عنهما المرجعية في خطبتها: (إنهما أبطال النصر والتحرير).

السيّد عمّار الحكيم: أنا طبعًا كنت نائما حين تمت العملية، قبل الفجر استيقظت ليلة الجمعة، فتحت الهاتف وإذا أجد الأخبار من الوكالات، فكانت صعقة، الخبر ما فوق التصور، شخصيتان بحجم الشهيد سليماني والشهيد المهندس، وتأثيرهما الكبير، يستشهدان على أرض عراقية، وانتهاك واضح وصارخ للسيادة العراقية، وإقحام العراق في صراع، وجر العراق لأن يكون طرفًا في صراع من هذا النوع، وثالثًا: العلاقة المعنوية والعاطفية التي تربطنا بالشهيدين بشكل كبير، لأول وهلة ماذا سيكون؟ وكيف ستُدار الأمور؟ الجوانب الأساسية والملفات الخطيرة التي كان يتصدى لها الشهيدان، وأيضًا الاعتداء الآثم الذي فيه مخالفة لكل القيم، نتكلم عن قانون دولي، فالشهيد سليماني يمثل موقعا رسميا في القوات المسلحة في الجمهورية الإسلامية، والشهيد المهندس يمثل قائدًا عسكريًا عراقيًا، له موقع رسمي في هذه المؤسسة، دولة تستهدف قادة عسكريين ينتمون إلى دول أخرى وتعترف، وتتبجح أنها تقتل هؤلاء، هؤلاء لا ينطبق عليهم كل العناوين حتى التي يدّعونها زورًا أحيانًا بحق هذا وذاك، لا تنطبق على هؤلاء، هؤلاء مسؤولون حكوميون دخلوا بصورة شرعية، وكان الشهيد سليماني ضيف العراق، هو قادم بدعوة من رئيس وزراء العراق، وجاء بمهمة تخدم العراق وتساعد، وتعطي دورا للعراق في التقارب بين الجمهورية الإسلامية والمملكة العربية السعودية، وكانت هناك رسائل مهمة فيما يخص العلاقة بين البلدين، والعراق كان يلعب دورا إيجابيا في تقريب وجهات النظر بين البلدين، فالرجل جاء ليعمق ويعزز هذا المسار، ففي حضوره، وفي زيارته كل السياقات القانونية الصحيحة، لذلك الحدث كان أكبر من أن يُستوعب في لحظة، طبعًا في نفس الوقت أنا اتصلت برئيس الوزراء قبل الفجر، وبدأنا بالمشاورات آنذاك كيف يمكن أن نلملم الأوضاع؟ وكيف نتعاطى مع هذا الحدث؟ وثم في اليوم الثاني في يوم الجمعة عصرًا كان هنا اجتماع للقادة في مكتبنا، وبدأنا بوضع تصور في التعاطي مع هذا الموضوع وفي تداعياته وما إلى ذلك.

التلفزيون الإيراني: سماحة السيّد هل أغلقت أمريكا طريق الصلح بين السعودية وإيران بهذا الاستهداف؟

السيّد عمّار الحكيم: طبعًا الجمهورية الإسلامية الإيرانية، والمملكة العربية السعودية بلدان كبيران مهمان، قدرهما أن يكونا متفاهمين مع بعضهما، ولا يمكن لأحد أن يوقف هذا القدر، كما يُقال: (الصديق أنت تختاره، لكن الأخ يُفرض عليك) فالجوار حقيقة مفروضة علينا، نحن نعيش في منطقة واحدة، لنا مصالح معينة، الإسلام، الجوار الإقليمي، الإسلام هو رابط مهم، ولكن الجوار، المصالح الكبيرة

المتبادلة، الاستقرار في المنطقة، كل ذلك يحتم، ولذلك هذا التوتر الحاصل هو يبقى حالة طارئة يجب أن تُعالج وأن تسوى في يوم من الأيام، وكان العراق جادًا وسيبقى جادًا في هذا الأمر، ولا أعتقد أنّ أي طرف دولي بإمكانه أن يربك مثل هذه الإرادات الخيرة في عودة الاستقرار إلى المنطقة.

التلفزيون الإيراني: هل سيقوم السيّد عمّار الحكيم بتقريب وجهات النظر؟ هل سيلعب السيّد عمّار الحكيم دور تقريب وجهات النظر السعودية إيرانية؟

السيّد عمّار الحكيم: العراق بلد كبير، بجذور حضارية مهمة كبيرة، بموقع استراتيجي، بإمكانات بشرية ومادية هائلة، وتأريخيًا لعب مثل هذه الأدوار الحقيقية والكبيرة، وشأنه أن يلعب هذه الأدوار، أن يعالج المشاكل العربية العربية، الخليجية الخليجية، الإسلامية الإسلامية، فحيثما تحل مشكلة يُمكن للعراق أن يكون لاعبًا أساسيًا، نحن نعرف أن بعض الدول الصغيرة في حجمها الجغرافي أو السكاني استطاعت أن تلعب أدوارا في ظروف متعددة، فيكف بالعراق بهذا الوزن وبهذا الحجم الكبير، كلما استطاع العراق أن يبني جسور العلاقة والثقة مع دول المنطقة، يستطيع أن يستعيد هذا الدور الرائد والتأريخي له، وأعتقد أن هناك إرادة عراقية واضحة في مواصلة الجهد للتقارب بين الجمهورية الإسلامية والمملكة العربية السعودية وتذليل العقبات، وحتى الإشكاليات بين الجمهورية الإسلامية والولايات المتحدة، العراق بالتالي يمكن أن يلعب دورا إيجابيا وأساسيا في هذا الإطار.

التلفزيون الإيراني: سماحة السيّد كيف تصف علاقة امتدت لمدة قرابة الأربعين عامًا بين شخصين، سليماني و المهندس عاشا سويةً، جُرحا سويةً، استشهدا سوية، ويقال: (أعضاؤهما اختلطت ودُفنت في جسد واحد)؟

السيّد عمّار الحكيم: بالفعل هي علاقة الأخوين، وأحيانًا الإخوّة الإيمانية تكون أعمق من الإخوّة النسبية التوالدية، الله (سبحانه وتعالى) في قرآنه يقول: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾[٤٢٤] يعني ليس ابنه النسبي، ابنه الرسالي هو الأقرب لإبراهيم، فالإخوّة الإيمانية لها مثل هذه الأبعاد، بالنسبة لعلاقة الأخوين الشهيد سليماني والشهيد المهندس بالفعل هي علاقة تأريخ، علاقة ثقة، علاقة جهاد، علاقة انسجام، الشهيد المهندس ـ وأنا رأيته في مرات عديدة ـ حين يكون هو والشهيد سليماني لم يكن يراعي أي بروتوكول، ويتعامل تعامل الأخ الكبير معه، أحيانًا هو يقود السيارة للشهيد، وكان

٤٢٤. سورة آل عمران: الآية٦٨

هناك سواق لكن العلاقة من نوع خاص فيها أبعاد روحية، معنوية، عاطفية، وفيها هذا التأريخ، وفيها الرؤية المشتركة، والتباني على إنجاح المشروع والهدف الرسالي الذي ضحيا من أجله، والحقيقة بعد استشهاد شهيد المحراب (رحمة الله عليه) في أول زيارة إلى إيران بعد هذا الحدث بأيام تشرفت بلقاء السيد الخامنئي (دام ظله)، أول كلمة قالها سماحته: (كان شأن الشهيد الحكيم، بتأريخه، وتضحياته، وجهاده، أن يُتوج بشهادة من هذا النوع، في حرم أمير المؤمنين في الأول من رجب بهذا العدد من المؤمنين الذين استشهدوا معه، أن تتقطع أوصاله في سبيل الله، هذا حقه، شأنه، الله (سبحانه وتعالى) أكرمه بشهادة نوعية)، وأنا أعتقد أن هذا الكلام ينطبق على الشهيدين أيضًا، ظروف الشهادة، توقيتها، أوضاعها، الأشلاء المقطعة في سبيل الله، طبيعة الاستهداف، المظلومية التي حصلت، كان شأن الشهيدين أن يتوجا حياتهما الجهادية بشهادة وليس أي شهادة، شهادة من نوع خاص وبمميزات خاصة تبقى عالقة في الأذهان، عقودا وأجيالا جيلا بعد جيل.

التلفزيون الإيراني: سماحة السيّد بعد استشهاد القادة الشهداء، وبخطبة السيد الخامنئي بعدها بيوم، قال وأكد على ضرورة استمرار مكتب الشهيد قاسم سليماني، فهل تظنون أن هذا المكتب سيستمر إلى تحرير فلسطين كما هو مرسوم في الذاكرة وفي العقيدة الإسلامية؟

السيّد عمّار الحكيم: كما ذكر الإمام الخامنئي وهو كلام حق جدًا أن الثأر لمثل هؤلاء الشهداء العظام لا يكون قتلة بقتلة، أو رجل برجل، أو حالة بحالة، وإنما هو الاستمرار في تلك الأهداف الكبيرة، المهمة، التي عاشا من أجلها، وضحيا من أجلها، واستشهدا من أجلها، في إحدى المرات كنا جالسين نتسامر أنا والشهيد سليماني، فسألته، قلت له: (حاج إذا تقاعدت في يوم من الأيام ماذا ستفعل؟ سليماني يجلس في البيت؟ ما الحل؟) فقال: (لا، أنا أتمنى أن يأتي اليوم الذي تنتهي هذه المهمة الرسمية لأتفرغ في خدمة إخواني من المقاومين في العالم أينما كانوا، وأنا حياتي حياة مقاومة، لا أستطيع أن أعيش بدون ذلك، أو أمارس دورا غير هذا الدور، هذه الخبرة المتراكمة يجب أن تكون دائمًا في خدمة الخط المقاوم ومساعدة الناس في تحقق الأهداف المشروعة والنبيلة)، هكذا كان الشهيد سليماني، ولذلك الانتصار له، الثأر له، يجب أن يكون هو مواصلة أهدافه النبيلة.

التلفزيون الإيراني: إذن ما قاله الشهيد سليماني لك في هذه الجلسة الخاصة يشبه كثيرًا ما فعله المقاوم الشهير (جيفارا)، بعد أن وصل إلى مراحل كبيرة في قيادة الدولة،

وكان يُلقب بالقائد، ترك كل هذا وذهب إلى المقاومين الآخرين، فهل هناك ربط بين هذين الشخصين؟

السيّد عمّار الحكيم: على كل حال الأمثال تُقرّب من جهة وتُبعد من ألف جهة كما يُقال، جيفارا شخصية إنسانية، ثائر، له ما له، وعليه ما عليه في تأريخه، بالتالي نحترمه في بعده النضالي، ونقدره، نعتقد أن الشهيد سليماني له العديد من المميزات لم تكن متوفرة في ذلك الثائر، لكن إذا أردنا أن نشبه كحالة أسطورية، و(جيفارا) أخذ مثل هذه الأبعاد، يعني لا شكَّ أن ذلك التشييع المليوني، ذلك الحضور غير المسبوق، التفاعل الكبير الذي حصل ليس في العراق أو إيران أو في العالم الإسلامي، بل حتى في دول أخرى غير إسلامية، هذا يكشف أن الرجل كان يمثل حالة أسطورية وأصبح رمزًا للتعبير عن نضال، عن مقاومة، عن أدوار كبيرة، عن تضحيات عظيمة، لذلك الله (سبحانه وتعالى) حباه بالشهادة، مثل الشهيد سليماني ما كان بالإمكان أن تنتهي حياته بنوبة قلبية على الفراش، الله أكرمه بالشهادة، (القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة) هذه المقولة الشهيرة للإمام زين العابدين (صلوات الله وسلامه عليه).

التلفزيون الإيراني: كلمة أخيرة تحب أن توجهها

السيّد عمّار الحكيم: بالحقيقة واحدة من أهم مميزات الشهيد سليماني هو تعامله عند الاختلاف، وهذا شيء مهم، الناس تظهر على حقيقتها حين تختلف في الرأي، أنت إذا اتفقت مع جماعة في رأي، تشترك معهم في رؤية معينة، من الطبيعي أن يكون هناك تواصل، لكن عند الاختلاف في الرأي، عند تقاطع الرؤية هنا يتبين مكامن الإنسان، الشهيد سليماني كان يختلف بشرف، كما يتفق بشرف، وكان له أخلاق فروسية حتى عند الاختلاف في حفظ الآخرين، في حفظ الناس، يختلف، لكن هناك إطار، وهناك قيم، وهناك مُثل، كانت تحكم إيقاع سلوكه حتى في تلك الحالات، وحقيقةً أنا التقيت بكثيرين، لكن يمكن القول: إن الطعم الخاص، الميزة الخاصة لشخصية الشهيد سليماني متنوعة الأطوار، لا تُصدق، المرحوم الوالد طبعًا ابتلي بمرض السرطان كما تعرفون، وبقى يُعالج لثلاثين شهرًا في طهران، والمدة طويلة، والإنسان إذا أقرب الناس له يكون مريضا لمدة طويلة يزوره في بداية المرض كل يوم أو يومين، وبعدها تصبح كل أسبوع، وبعدها تصبح كل أسبوعين، ولكن يُمكن القول أنه من يوم مرض المرحوم السيّد عبد العزيز الحكيم إلى يوم وفاته في كل يوم كان الشهيد سليماني موجودا في طهران كان يزوره، يوميًا، وأحيانًا في اليوم الواحد أكثر من مرة، وزيارة ليس لإسقاط واجب، الوالد كان يرجوه أن لا يأتي، يقول: (أنا أعرف حجم مشاغلك فما الداعي

أن تأتي؟) وتعرفون طهران المدينة الكبيرة المزدحمة، التنقل من مكان إلى آخر يحتاج وقتا، حين كان الوالد في المستشفى يأتي يصرف ساعة من الوقت، يجلس مع الطبيب، يجلس مع الكادر الطبي، يسأل، يدخل في التفاصيل، لا يأتي للسلام ويذهب فقط، هذه الحالة قد لا تكون مختصة بالمرحوم الوالد، ولا أعتقد أنها ترتبط بمهمته بشكل من الأشكال، ولا يوجد توقع من شخص بحجم الشهيد سليماني ومشاغله أن يقوم بهذه المهمة، لكن هي تعطي صورة عن البعد الإنساني في هذا الرجل الذي يشعر الإنسان حقيقةً بالعجز أمام وصف هكذا شخصية بهذه الأوصاف والسمات.

مقال السيد عمار الحكيم:
(الدولة القوية.. الإمكانيات والمعوقات[٤٢٥])

إنّ صراع الدولة واللادولة بدأ منذ أن شهد العراق تغييرات جوهرية في نظام الحكم، وقد شهدنا أشكالًا مختلفة من الحكومات تمظهرت بمظاهر عديدة، منها دولة المكونات ودولة الأحزاب، وفي الغالب كانت ترتكز على تقسيمات فئوية أدت إلى ضعف في منظومة الدولة المنشودة بعد التغيير، وصولًا إلى هذا المقطع الزمني الذي سيكون نقطة التحول القادم في حسم هذا الصراع؛ فإما الدولة أو اللادولة، ومن هذه النقطة ستبدأ ملامح الدولة بالتشكّل والنضوج.

إنَّ دولة المؤسسات، هي القاعدة التي انطلق منها المشروع السياسي لشهيد المحراب، وقد لخّص هذه الرؤية بمقولات عديدةٍ أبرزها؛ رفض الحاكم العسكري والوصاية الدولية، ورفض استبدال دكتاتور بآخر، والمضي في دولة المؤسسات المبنية على رأي الشعب. وأن هذه الدولة هي التي يمكن أن تحقق شرط العدالة الاجتماعية وتُنهي ظاهرةَ التقسيمات بكل أشكالها وتبريراتها. بيد أنّ ذلك الهدف، لم يكن مفهوما من قبل بعض الشركاء، أو ربما كان مصنّفًا ضمن خانة الشعارات، ولم يؤخذ به، فكان المنهج، عبارةً عن تأسيس سلطات بعيدة عن مفهوم الدولة.

لقد استثمرت بعض الحكومات المواقعَ لأغراضٍ ضيقة، ولا سيّما أنّ بعض الممارسات التي اتبعتها تلك الحكومات والوزارات كانتً ظاهريًا تسعى لخدمة الشعب، غير أنها على المدى البعيد لم تكن تفعل سوى مزيد من الانهيار للدولة، وقد تكلمنا عن هذه الحقيقة مرارًا وبوضوح كامل، ولا سيّما بعد الاستقرار النسبي الذي شهدته الساحة العراقية في العام (٢٠١٠) والذي مثّل فرصةً حقيقيةً لفرض دولة المواطنة، لكنّ

٤٢٥. مقال كتبه السيد عمار الحكيم نشر في عدد من الصحف المحلية والدولية بتأريخ ٢٠/ ٧/ ٢٠٢٠.

الضجيج المعروف كان يغطي على المشاريع الكبرى، وبالتالي وقع ما كنّا نحذِّرُ منه بعد أقل من دورة انتخابية.

وفي هذا المقام لا بُدَّ من التفريق بين مصطلحين يترددان بشكل دائم في مشهد اليوم: (الصالح العام والرأي العام)، فطيلة التجارب السابقة التي أشرنا إليها كان الأول ينسجم مع ما ذهبنا إليه، وكان الثاني يتماشى مع توجهاتٍ تعاكس أطروحاتنا لسبب أو لآخر، وهو موقف سرعان ما انقلب على نفسه وبات يتبنّى مواقفنا تلك، ولكن بعد فوات الأوان. إنَّ مصالح البلدان بحاجة إلى استقراءٍ موضوعي وجرأةٍ ملموسةٍ في ابتكار الحلول. ونتيجةً لإدراك هذه الحقيقة، فقد طرحنا مبكرًا مفهوم (الدولة العصرية العادلة) في الوقت الذي كانت الأزمات تشتد، والخطابات التقسيمية هي التي تتسيّد المشهد.

ويقوم هذا المفهوم (الدولة العصرية العادلة) في فكرته الأساسية على تحقيق مشروع دولة المؤسسات، مع الأخذ بالاعتبار المستجدات التي طرأت وتطرأ على المشهد العراقي برمته، بما يضمن تحقيق المساواةِ بين الجميع.

إنَّ مبدأَ المساواة الذي يشكّل نواة مفهوم «الدولة العصرية العادلة»، سيحقق بالضرورة سيادة الدولة، ومن ثم فإنه سيؤدي قطعًا إلى تراجع «اللادولة» وانحسارها عمليًا ونظريًا، وهنا ستغادر البلاد مرحلة «الوعي المشوّه» الذي ترتكز عليه بعض المشاريع الانتخابية التي تجد في الانقسامات الطائفية والقومية مادّتها الرئيسة كما كان ذلك ينعكسُ بشكل واضحٍ في الحملاتِ الدعائية.

وعلى الرغم من ذهاب بعض الآراء إلى غياب إمكانية قيام الدولة في ظل التخندقات الطائفية والقومية، وحيث تتأكد هذه الحقيقة مع ارتفاع مناسيب الخطاب التقسيمي ووسائل تكريسه في الشارع، إلّا أنَّ إمكانية قيام الدولة تشهد فرصة كبيرة ومهمة مع تراجع أسهم الخطاب الطائفي الضيق ورفضه من قبل الجماهير، وخصوصًا عند الأخذ بنظر الاعتبار المقومات الهائلة والاستثنائية التي يمتلكها العراق سواءٌ على المستوى الاقتصادي أم السكاني أم الجغرافي والبعد الجيوسياسي بشكل عام.

إنّ استثمار تلك المقومات بما يخدم مصلحة الدولة، سيفضي بالضرورة إلى صعود سياسي إقليمي يشهده البلد، فالعراق هو الدولة الوحيدة التي يمكن أن تنتهي فيها خلافات دول المنطقة وصراعاتها، وهذه الميزة الفريدة لن تتحقق إلّا حين يقرر العراقيون أنفسهم أن يتحولوا ببلدهم إلى دولة.

ولعلّ أبرز تحديات قيام الدولة تكمن في التشبث بالنتائج السريعة التي تلامس العواطف، ولكنها سرعان ما تقوّض قيام دولة قوية ومقتدرة، إذ تبقيها أسيرة المصالح الحزبية والفئوية التي تؤدي إلى نشوء دويلات متعددة الولاءات والأهداف، وهو ما نصطلح عليه بـ (اللادولة). ونعودُ لنؤكد هنا بأنَّ علينا أولًا ضمان احتكار الدولة للسلاح، وتحوّلها إلى سقف يضمّ جميع القوى والفعاليات السياسية والمجتمعية ليبقى أيّ اختلاف ضمن هذا السقف مشروعًا ومتاحًا، وما عداه يدخل ضمنَ توصيف الخروج عن القانون، وبالتالي فإنه يسير في طريق تقويض الدولة والتقهقر مجددًا إلى اللادولة.

إنّ التحديات التي نعيشها اليوم تشكّل منعطفًا تأريخيًا وفرصة كبيرة، وما علينا سوى أن نختار اتجاه (الدولة) ونصرَّ عليه، وبالمقابل نرفضُ فوضى (اللادولة) وننأى عنها.

مقال السيد عمار الحكيم:
(التحالف العابر للمكونات.. آفاق الحل للأزمة العراقية[٤٢٦])

اقترب العراق من استحقاق انتخابي جديد مشابه لما سبقه من حيث الممارسة والأداء ومختلف من حيث التوقيت والتسمية. إذ تتميز الانتخابات القادمة بأبعادها المصيرية وقدرتها على حسم المرحلة القائمة والانتقال بالعراق إلى مرحلة أكثر هدوءًا، إذا ما أُحسِنَت إدارة الأزمة، وقد تكون أكثر توترًا وتصعيدًا إذا كان العكس من ذلك. فلهذه الانتخابات مجموعة من الاستشرافات التي نعتقد بصحتها، ففيها أفول لقوىً سياسية، وصعود لأُخرى، وتكريس لمكانة قوى سياسية فاعلة في المشهد، ولكن أيًّا كان شكل هذه الانتخابات ومخرجاتها، فإنَّ عليها أن تجد إجابة وافية للاستفهام الذي مفاده: «ماذا لو ذهبنا إلى الانتخابات المبكرة وانتهت الممارسة الانتخابية من دون أن تتمكن من إزالة الاحتقان واستعادة ثقة المواطن بنظامه السياسي الديمقراطي؟.

إنَّ الحلّ الذي نراه للأزمة العراقية هو ذاته الحل الذي طرحناه في فترات سابقة وواجه اعتراضًا من الكتل السياسية بسبب المزاج السياسي الذي كان يسود في وقتها، فقد كانت الكتل السياسية تخشى المجازفة، وتحدوها رغبة دائمة بالتفكير داخل الصندوق لا خارجه. وتأسيسًا على تلك التعثرات فإننا نرى الحلَّ يكمن بتشكيل تحالف انتخابي عابر للمكونات، ممثل للجميع، وطني التوجه والإرادة، قادر على ردم الهوة بين الجمهور العام والمنتظم السياسي، وبوسعه تشكيل نواة العمل المتوازن بالنظام السياسي على أساس فكرة (الموالاة والمعارضة)، عبرَ قوىً تتفق قبل الانتخابات على وجهتها في إدارة الدولة، وهو سياق مختلف تمامًا عن التحالفات التي تتشكل بعد الانتخابات، والتي يكون فيها العامل المشترك بين الجميع هو كيفية تقاسم السلطة وفق لغة الاستحقاق الانتخابي. وأما التحالف العابر للمكونات فإنه نسيج يشارك فيه ممثلون عن قوى سياسية من جميع الساحات، قوىً تمتلك ثقلًا سياسيًا واجتماعيًا، وتأريخًا

٤٢٦. مقال السيد عمار الحكيم نشر في عدد من الصحف المحلية والدولية بتأريخ ٢٣/ ١١/ ٢٠٢٠.

نضاليًا واضحًا إلى جانبِ القوى المنبثقة من حراكِ تشرين الذي نترقبُ قدرتَه على إثبات تمثيله السياسي في المرحلة القادمة.

إنَّ تشكيلَ التحالف العابر سيفرض بالتراتب تشكيل التحالف المماثل له، وبالتالي سيعزز الوصول إلى الهدف المنشود بإمكانية أن يحظى أحد التحالفين بأغلبية البرلمان ويشكل الحكومة ويختار الرئاسات الثلاث، كما يمكنه أن يوفر أرضية مناسبة للإصلاحات المنشودة، وفي مقدمتها تعديل الدستور وتحديث النظام السياسي وفق متطلبات المرحلة الجديدة.

التحالف العابر للمكونات سيمكّن الناخب العراقي من حُسنِ الاختيار، ويشجعه على المشاركة، وينهي حالة البرامج الانتخابية المستنسخة والشعارات المكرورة التي تشتته وتزيد من إحباطه، مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّ تشكيل تحالف وطني جامع سيحدد بشكل واضح من هو المسؤول الفعلي عن النجاح أو الفشل. ولا شكَّ في أنَّ التحالف الانتخابي العابرَ سيمثل مشروعًا سياسيًا وطنيًا كبيرًا يعبِّر عن المبادئ العامة التي يتفق عليها العراقيون، وعلى رأسها (المواطَنة وتكافؤ الفرص وتحقيق الخدمات العامة) وسيعمل هذا التحالف المنشود على تقديم الحكومة الخادمة لشعبها، فهو حلٌّ ينبع من عمق المرحلة الحالية وأزماتها، وهو في ذات الوقت نواة لحلٍّ أكبر في المرحلة القادمة.

وقد لا يستسيغ البعض هذا الطرح من الناحية السياسية، ولا سيّما القوى التي تعودت منذ (٢٠٠٣) على الغوص في الأماكن المفروزة سياسيًا، وقد لا ينسجم أيضًا مع رغبات دولية وإقليميّة تؤثر في الوضع العراقي وتتأثر به ممن اعتادت التعامل مع العراق وفق معادلة تمثيل الساحات العراقية.

سيؤسس التحالف العابر للمكونات إلى شراكة الأقوياء، وسينهي معادلة بقاء الجميع محتفظًا بمكانته السياسية من دون السماح للآخرين بالتقدم أو تبادل الأدوار، فثمةَ شخصيات رشحت لمواقع المسؤولية ورفضتها، لا لعلَّة في سيرتها أو أدائها، وإنما لأهليتها وكفاءتها وقدرتها والخشية من تقدمها انتخابيًا.

إنَّ الحلول المرجوّة للأزمة العراقية لا بُدَّ أن تكون بمستوى التحديات، إذ لم يعد ممكنًا مواجهة التحديات الكبيرة بحلول ترقيعية يتم تدويرها وترحيلها من دورة لأخرى.

إنَّ ما شهده حراك تشرين من جمهور معترض على طبيعة النظام والأداء السياسيين إلى جانب أغلبية متعاطفة مع الحراك، ومرجعية عليا مساندة ومؤيدة لمطالبه بالإصلاح ومكافحة الفساد، كان مؤشرًا صارخًا على ضرورة أن يكون الحل شبيهًا بالتداخل

الجراحي، مع التأكيد بأن الكتلة العابرة لا يمكن أن تخرج بعيدًا عن معادلة (الدولة واللادولة)؛ لأنها تسعى أولًا إلى الوصول الناجز إلى أداء نيابي سليم، بلحاظ قراءة الساحة السياسية العراقية التي تقرُّ بعدم إمكانية ذهاب أيٍّ من الكتل لحسم الانتخابات (بالنصفِ زائدًا واحد)، وهذا ما يثبت حاجة الجميع للجميع، فلماذا لا نستثمر الوقت ونُحسنَ قراءة المرحلة وضروراتها، ونهيّئ إلى حلّ نهائي يكون التنافس فيه لخدمة العراق وشعبه على أساس المواطنة والمشروع الوطني؟

ملحق البيانات والتغريدات والبرقيات

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة حلول رأس السنة الميلادية

وإذ نطوي عام (٢٠١٩) بكل أحداثه التي مرت على أبناء شعبنا بحلوها ومرها، يطيب لنا أن نتقدم بخالص التهنئة لشعبنا العراقي، لا سيّما أهلنا أبناء الديانة المسيحية ونحن نستقبل عامًا جديدًا (٢٠٢٠) سائلين العلي القدير أن يكون عام خير وبركة ملؤه البهجة والانتصار لإرادة العراق وشعبه الأبي وتحقيق أمانيه وتطلعاته في العيش الكريم، وأن يعم أرجاء المعمورة الأمن والاستقرار والسلام.

كل عام وأبناء شعبنا بألف خير

بيان سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة استشهاد الحاج المهندس والحاج سليماني

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

صدق الله العلي العظيم

ببالغ الحزن والأسى نتقدم للشعبين العراقي والإيراني بأحر التعازي باستشهاد القائدين الكبيرين الحاج (أبو مهدي المهندس) نائب رئيس هيأة الحشد الشعبي وقائد فيلق القدس الفريق (قاسم سليماني)، فقد أفنى الشهيدان جلّ حياتهما بالجهاد والتضحية وكان لهما دور رائد في مقارعة الإرهاب والانتصار على الإرهاب (الداعشي).

إننا إذ نستنكر وندين بشدة هذا الاستهداف والانتهاك الصارخ لسيادة العراق فإننا نحذر من تداعيات و تأثيرات وخطورة هذا الاستهداف كونه يضع المنطقة على صفيح ساخن، كما ندعو الحكومة العراقية في هذا الظرف الحساس لاتخاذ الإجراءات اللازمة لردع مثل هذه الاعتداءات، كما ندعو شعبنا العراقي إلى الوحدة و التماسك و رص الصفوف لمواجهة التحديات.

عمار الحكيم

٣-١-٢٠٢٠

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
حول تصويت مجلس النواب على إنهاء التواجد العسكري

٢٠٢٠/١/٥

تصويت مجلس النواب العراقي على إلزام الحكومة بإنهاء التواجد العسكري الأجنبي في البلاد خطوة نحو حفظ السيادة الوطنية وتعزيز هيبة العراق في المنطقة، وندعو الحكومة إلى تطوير قدرات القوات العراقية وتسليحها وحماية الأجواء والأراضي والحدود العراقية، كما ندعو الجميع إلى التكاتف والعمل للعراق كل العراق وخدمة أبناء شعبه، ونطالب بالإسراع في اختيار رئيس الحكومة الانتقالية بالمواصفات المطلوبة والتحضير للانتخابات المبكرة بعيدًا عن التدخلات الخارجية.

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة ذكرى تأسيس الجيش العراقي

٢٠٢٠/١/٦

جيشنا العراقي الباسل، تأريخ البطولة المفعم بوسام التضحيات الكبيرة والملاحم المشرفة والمآثر الخالدة ضباطًا وجنودًا، في ذكرى تأسيسه الخالدة نقف وقفة الإجلال لمؤسستنا العسكرية التي تمثل كل العراقيين بكل انتماءاتهم ومكوناتهم.

تحية حب وتقدير لبواسلنا في الجيش العراقي وبقية الشجعان في منظومتنا الأمنية التي استبسلت في معارك الشرف وذادت عن حمى الوطن وأبعدت العصابات الإرهابية عن ربوع العراق، وبهذه المناسبة العزيزة ندعو إلى تطوير قدرات جيشنا المقدام مهنيًا وتسليحيًا ولوجستيًا والارتقاء به أسوة بجيوش الدول المتقدمة ونعتبر المساس بهذا الجيش المغوار أو التطاول عليه أو الانتقاص من تضحياته الجسام تطاولًا على العراق.

#عيد__الجيش__العراقي

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة ذكرى تأسيس الشرطة العراقية

٢٠٢٠/١/٩

في ذكرى تأسيسها الـ (٩٨) يطيب لنا أن نتقدم بأزكى التبريكات والتهاني إلى حراس أمن الوطن « #الشرطة__العراقية « معبرين عن وافر فخرنا بسجل هذا السلك الأمني الزاهر بالمواقف المشرفة والمحطات الخالدة والزاخر بطوابير من الشهداء والمضحين في سبيل حماية البلد لا سيّما تلك الملاحم البطولية إبّان معارك تحرير الأرض من الإرهاب(الداعشي)، وفيما نكبر روح التفاني والإيثار لدى المخلصين في هذه المؤسسة الوطنية نحث السلطتين التشريعية والتنفيذية والجهات ذات العلاقة على بذل قصارى الجهود للارتقاء بواقعها لتأمين عراق مستقر زاهر.

كل عام وشرطتنا الوطنية بألف خير.

بيان سماحة السيد عمار الحكيم
لتأييد ما جاء بخطبة الجمعة في الصحن الحسيني الشريف

٢٠٢٠/١/١٠

هل هناك أوضح من التحذير الذي أطلقته المرجعية الدينيّة العليا اليوم من مغبة تمسك بعض الأطراف السياسية بالتعامل بأسلوب المغالبة لا سيّما تلك التي يملك كل منها جانبًا من القوة والنفوذ والإمكانات ومحاولة كل منهم فرض رؤيته على الباقين؟ وهل هناك خطاب تحذيري أوضح من أن هذا النمط سيؤدي إلى استحكام الأزمة واستعصائها على الحل وربما يخرج الجميع منها خاسرين وتكون الخسارة الأكبر من نصيب العراق وشعبه؟ نحث جميع الأطراف المعنية على التحلي بالمسؤولية الوطنية ووضع حل للأزمة الحالية بالعودة إلى خارطة الطريق التي رسمتها المرجعيّة الدينيّة العليا في بيانها خلال خطبة الجمعة في العشرين من شهر كانون الأول (٢٠١٩)، ليرتقي الجميع ويلتقوا عند #العراق، #العراق__فقط.

حمى الله مرجعيّتنا وشعبنا ووطننا من كل سوء.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
لإدانة عمليات الاغتيال والتهديد التي يتعرض لها الصحفيون

٢٠٢٠/١/١٠

إن عمليات الاغتيال والتضييق والتهديد التي يتعرض لها الصحفيون وآخرها ما حصل للمراسل (أحمد عبد الصمد) والمصور (صفاء غالي) من عملية اغتيال وسط البصرة بحاجة إلى وقفة جادة من صانع القرار الأمني، ونحن إذ ندين ونستنكر هذه الممارسات الإجرامية التي تعرّض الكلمة الحرة في العراق للخطر نطالب الجهات الأمنية بالإسراع في كشف تفاصيل الحادث الإجرامي وتقديم الجناة إلى العدالة.

تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
إلى سلطنة عمان برحيل السلطان قابوس

٢٠٢٠/١/١١

إنا لله وإنا إليه راجعون

نتقدم لسلطنة عمان الشقيقة حكومةً وشعبًا بأسمى آيات العزاء والمواساة لرحيل سلطانها المغفور له (قابوس بن سعيد)، وإذ نسأل العلي القدير أن يتغمده بواسع رحمته نستذكر دوره الوسطي المعتدل في التعامل مع أغلب الملفات والقضايا الساخنة في المنطقة والعالم لا سيّما العربية والإسلامية منها من منطلق سمح ونظرة مسؤولة وموقف بعيد عن الانفعال والتشنج.

حفظ الله الشقيقة عمان وجميع بلداننا العربية والإسلامية من كل شر ووحّد كلمتها على الخير والمحبة.

بيان سماحة السيد عمار الحكيم
لإدانة التعديات على الممتلكات العامة التي رافقت التظاهرات

٢٠٢٠/١/١٢

إنه لمن المؤسف أن ترافق التظاهرات المطلبية تصرفات غير مسؤولة من بينها التعدي على الممتلكات العامة والخاصة وإغلاق الدوائر والمؤسسات الرسمية والمدارس والمعاهد التي يمثل تعطيلها تعطيلًا لمصالح البلد، من هنا ندين ما حصل من تعد على جامعة واسط ما أدى إلى إحراق بوابتها ووقوع أحداث دامية أدت إلى إصابة العشرات من المحتجين وقوات الأمن، إن ارتكاب مثل هذه الأعمال غير المقبولة شرعًا وقانونًا كما ذكرت المرجعيّة الدينيّة العليا مرارًا تؤثر سلبًا على التظاهرات المطالبة بالإصلاح وتحرف مسارها السلمي، لذا نهيب بالعقلاء والوجهاء وأعزائنا المتظاهرين الانتباه إلى هكذا أجندات تعرّض أهدافهم النبيلة والسلم المجتمعي لانتكاسة كبرى. .

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
للمطالبة بتوفير الحرية والمناخ المناسب للمطالبة بالحقوق

٢٠٢٠/١/١٦

إيمانًا منا بضرورة أن تبقى الكلمة الحرة محلقة في فضاء الحرية منادية بالحقوق المشروعة، نجدد دعمنا للإعلاميين والناشطين الذين يعانون الملاحقة والاضطهاد والاغتيال، ونؤكد أننا سنكون لهم السند المعاضد والمطالب بتوفير الحرية لهم وتأمين مناخات مناسبة لإسهامهم في ترصين أسس العراق الديمقراطي الجديد.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بعد تعرض المرجع الأعلى السيد السيستاني إلى وعكة صحية

٢٠٢٠/١/١٦

نبتهل إلى العلي القدير أن يلبس سماحة المرجع الديني الأعلى الإمام السيّد السيستاني (مد ظله الوارف) رداء الشفاء والعافية ويمد في عمره المبارك ذخرًا وسورًا حصينًا وصوتًا مدافعًا وعالمًا مطالبًا بحقوق ونصرة المظلومين، إنه سميع مجيب الدعاء.

تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة الذكرى السنوية لاستشهاد السيد محمد مهدي الحكيم

٢٠٢٠/١/١٧

في الذكرى الثانية والثلاثين لاستشهاد (سفير المرجعية) السيّد (محمد مهدي الحكيم) (قدس سره الشريف)، نستذكر دوره الفاعل ومنهجه في الحركة الإسلامية، إذ أسس فهمًا جديدًا في أدبيات التحرك السياسي الإسلامي المعاصر، ليجمع بين الإسلام كعقيدة والوطنية كانتماء وارتباط، وبين الانفتاح كمنهج والأصالة والمبدئية كأساس، كما ساهم الفقيد في تأسيس العديد من المؤسسات والمراكز الدينية والاجتماعية في عدد من العواصم العالمية، وكان (رضوان الله عليه) شخصية دينية حركية فكرية سياسية تميزت بسعة الأفق وقوة المنطق والبيان والانفتاح على كافة الشرائح، حتى أوقعت أعداءها في التناقض ومنافسيها في التشكيك والمتربصين بها في الوهم مما شكل خطرًا كبيرًا على النظام الديكتاتوري فاستُهدفت المرجعيّة الدينيّة من خلاله حتى طالته يد الغدر الأثيمة وهو يحضر محفلًا لإحدى قضايا الأمة الإسلامية في السودان عام (١٩٨٨) ليلتحق بركب أجداده وآبائه وإخوته الصالحين.

فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيًّا.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
لتأييد فخامة رئيس الجمهورية في إقامة حوار دولي لتحقيق
المطالب المشروعة في سيادة البلد

٢٠٢٠/١/٢٢

في الوقت الذي نشدد فيه على ضرورة احترام السيادة العراقية وإنهاء كافة أشكال التواجد العسكري الأجنبي، فإننا نرى أن الحوار والوسائل السلمية والسبل الدبلوماسية كفيلة بفرض كلمة العراق، و من هنا نرى أن جهود فخامة رئيس الجمهورية في إقامة حوار دولي بنّاء، يمكن أن تفضي إلى تحقيق المطالب المشروعة لأبناء شعبنا في سيادة البلد و استقلاله السياسي و ازدهاره، وهي محط احترام و دعم الجميع.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة يوم القضاء العراقي

٢٠٢٠/١/٢٣

في يوم القضاء العراقي نشدد على أن السلطة القضائية العراقية هي عماد السلطات الثلاث، وندعو إلى الحفاظ على استقلاليتها والنأي بها عن التأثيرات السياسية أو المجتمعية، ونؤكد أن طريق الوصول لأحكام قضائية عادلة مرهون بنزاهة القضاء، وإننا نعقد الثقة والآمال بقضائنا العراقي لترسيخ دولة العدالة والإنسان.

نبارك لمؤسستنا القضائية يومها الأغر

بيان سماحة السيد عمار الحكيم
بالدعوة إلى الجلوس على طاولة العراق

٢٠٢٠/١/٢٤

لا شكَّ أن العراق فوق أحزابه ومكوناته، ومصلحة شعبه غاية الجميع، والحفاظ على سيادته واستقلالية قراره السياسي ووحدة أراضيه ثوابت وطنية يتفق عليها الجميع، أفلا يستحق هذا الوطن الجريح أن نغلّب مصلحته على المصالح الحزبية والشخصية؟

إخوتي أدعوكم مخلصًا أن تجنبوا العراقيين مزيدًا من الألم والمعاناة والتضحيات ولتجلسوا بقلوب عراقية خالصة على طاولة العراق تظلكم راية « الله أكبر « ولا ينفض اجتماعكم إلا على نصر لجميع العراقيين لا سيّما الذين صدحت حناجرهم اليوم لعراق كامل السيادة، ولشبابه الذين زادت مدة وقوفهم في ساحات التظاهر على مئة يوم يبحثون عن وطنهم بين دخان القنابل، وكفى مماطلة وتسويفًا فإنها ستزيد من محنة أبناء شعبنا كما أشارت المرجعيّة الدينيّة العليا في بيانها اليوم، وقد رسمت لكم طريق النجاة، أفلا تسلكوه؟

#طاولة__العراق

بيان سماحة السيد عمار الحكيم
حول تكرار استهداف البعثات الدبلوماسية في العراق

٢٠٢٠/١/٢٧

إذ نجدد دعوتنا إلى احترام قرار مجلس النواب العراقي بإنهاء التواجد العسكري الأجنبي على الأراضي العراقية، على وفق رؤية تراعي سيادة العراق ومصالحه وأمنه، فإننا نعيد تأكيد أهميّة مراعاة التزامات العراق الدولية، وفي مقدمتها ضمان سلامة البعثات الدبلوماسية العاملة فيه.

إن تكرار استهداف البعثات الدبلوماسية يهدد جهود خفض التصعيد ويرفع احتمالات تحول العراق إلى ساحة للصراع ويقوّض مسارات الإصلاح التي ينادي بها أبناء شعبنا.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة الذكرى السنوية لاستشهاد المجاهد (أبو ذر الحسن)

٢٠٢٠/١/٢٧

حيٌّ وإن ضمّت البيداءُ هيكلَه قل لي بأي ترابٍ يُدفن الجبلُ

في مثل هذه الأيام من سنة (١٩٨٨) رحل إلى جوار ربه الشهيد السعيد المجاهد (أبو ذر الحسن)، إنه المجاهد والمفكر (كنعان علوان التميمي)، وكما نطقت الدماء، فإن كنى الرجال لم تحجب مواقعهم، ولم تصادر حقيقتهم. . نعم كثير من الشخصيات الكبيرة، لا نعرف حقيقتها، إلا بعد أن تغادرنا، فتترك ذلك الفراغ الكبير، الذي لا يملأه إلا استذكار تأريخهم، واستدرار غيث مواقفهم.

تحية إجلال وإكبار لك أيها الشامخ في ذكرى رحيلك الكريم، وليس لنا عزاء إلا أن نقول: مبارك عليكم سبيل الشهادة، ورزقنا الله تعالى شفاعة الشهداء.

بيان سماحة السيد عمار الحكيم
حول استهداف المتظاهرين في ساحة الحبوبي

٢٠٢٠/١/٢٧

ما حصل في ساحة الحبوبي وسط مدينة الناصرية في ذي قار من اعتداء على المتظاهرين وتعريضهم للرصاص الحي وإحراق خيم اعتصامهم يمثل انتكاسة جديدة في التعامل العملي المطلوب مع ملف التظاهرات، نستنكر وبشدة هذه الجريمة ونطالب الحكومة والبرلمان بالإسراع في تشكيل لجنة تحقيقية والكشف عن الجهات التي تقف وراء الحادث وتقديمها للعدالة، وإذ نجدد التأكيد على أن حماية المتظاهرين من واجب الحكومة نهيب بالمتظاهرين الحفاظ على سلمية احتجاجاتهم والابتعاد عن التعرض للممتلكات العامة والخاصة والتعاون مع الأجهزة الأمنية بغية فرز المندسين الساعين لحرف المسار السلمي للتظاهرات المطلبية.

بيان سماحة السيد عمار الحكيم
المندد بصفقة القرن المشؤومة ومطالبة مجلس الأمن والأمم المتحدة وجامعة الدول العربية بموقف تأريخيّ

٢٠٢٠/١/٢٨

القدس كانت وما زالت وستبقى قضيتنا الإنسانية والإسلامية والعربية، ولا يمكن مصادرتها أو احتكارها أو بيعها في أسواق المساومات والصفقات و المزايدات الانتخابية تحت أية ذريعة، فعلى من توهم وتآمر على تصفية القضية الفلسطينية أن يعي أن المرء كما لا يمكن أن يتنازل عن كرامته فإنه لا يمكن أن يتنازل عن هويته، وأن القدس تعني لنا الهوية والجوهر والوجود، إن هذه الصفقة المشؤومة بضاعة كاسدة لا يمكن أن يرتضيها الشعب الفلسطيني وأحرار العالم مهما بلغ الثمن.

إزاء هذا الانتهاك الصارخ ندعو مجلس الأمن ومنظمات الأمم المتحدة والتعاون الإسلامي و جامعة الدول العربية إلى أن يكون لها موقف تأريخي، كما نطالب الفعاليات الدينية والأحزاب السياسية والأنشطة الأكاديمية والإعلامية في عموم العالم بالتنديد بهذه المؤامرة الخطيرة على أمن واستقرار العالم.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم حول حماية المتظاهرين ودعوتهم للحفاظ على السلمية

٢٠٢٠/٢/٤

إن النتائج التي أفرزتها التظاهرات الشعبية السلمية، جديرة بالتقدير والإشادة والاهتمام، وهي تؤكد أن لا صوت يعلو فوق صوت الشعب وإرادته، من هنا نرى من الواجب مساندة التظاهرات السلمية وحماية المتظاهرين والحفاظ على عامل الضغط الشعبي حتى تحقيق كامل الإصلاحات المنشودة، وإننا في الوقت الذي ندين فيه الاعتداء على المتظاهرين السلميين فإننا نحثهم على المزيد من التعاون مع القوات الأمنية والحفاظ على سلمية حركتهم الاحتجاجية وصولاً لتحقيق مطالبهم المشروعة.

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
إلى الجمهورية الإسلامية في إيران بمناسبة الذكرى السنوية للثورة الإسلامية

٢٠٢٠/٢/١٠

في ذكرى انتصارها الحادية والأربعين نؤكد أن الثورة الإسلامية في إيران مثلت انعطافة كبرى في مسار التأريخ المعاصر، ومن أبرز ما يميزها أنها اتخذت من الإسلام محورًا ومنهجًا لها، وكانت وما زالت بقيادة المرجعيّة الدينيّة، حيث كان الإمام الخميني (قدس) مفجرها وقائدها، كما اتسمت بشعبيتها الواسعة وسلميتها ووطنيتها، إذ إنها استندت في كل تفاصيلها إلى الشعب الإيراني من دون الاستعانة بالقوى الأجنبية، محققة الوحدة والانسجام الداخلي بين مكونات الشعب الإيراني، كما أنها حملت مشروعًا متكاملًا لإدارة الدولة وقيادة الأمة وتبنت الدفاع عن القضايا الإسلامية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية.

نبارك للشعب الإيراني المسلم وقيادته الحكيمة المتمثلة بالإمام الخامنئي (دام ظله) ذكرى انتصار الثورة الإسلامية في إيران، متمنين للجمهورية الإسلامية وشعبها المسلم مزيدًا من التطور والاستقرار والازدهار.

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
إلى التركمان والإيزيديين بمناسبة عيد خدر الياس

٢٠٢٠/٢/٢٠

فيما نبارك لأعزتنا أبناء الديانة الإيزيدية في العراق والعالم وأيضًا أحبتنا التركمان في نينوى حلول عيد #خدر__الياس المبارك، نجدد دعوتنا للسلطتين التشريعية والتنفيذية إلى العمل الدؤوب لإحقاق حقوق أبناء هذه الديانة وأبناء المكون التركماني بعد تعرضهم للقهر والتعسف والإبادة على يد الإرهاب الظلامي وتعويضهم بما يحقق لهم مناخ العيش الكريم في عراق مزدهر وآمن.

بيان سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة ذكرى بمناسبة يوم الشهيد العراقي

٢٠٢٠/٢/٢٥

أيها المخلصون الأوفياء من أبناء وبنات شهيد المحراب الخالد، كما تعلمون ويعلم العراقيون جميعًا أن الأول من رجب من كل عام موعدنا للاحتفاء بشهدائنا الأبرار في يوم الشهيد العراقي ذكرى رحيل شهيد المحراب آية الله العظمى السيّد (مُحمّد باقر الحكيم) (قدس سره الشريف)، ومنذ أيام ونحن نعد العدة لهذا الحدث الكبير بإقامة كرنفال البيعة للعراق وتجديد العهد مع شهيد العراق الخالد للثبات على نهجه الوطني ومبادئه السامية وخطاه الثابتة نحو مصلحة العراق والعراقيين، وكان من المقرر إقامة هذا الكرنفال في ساحة ثورة العشرين عند مرقد شهيد المحراب في النجف الأشرف بحضور حشد جماهيري غير مسبوق، ولكن بعد تسجيل حالة الإصابة بفايروس كورونا في النجف الأشرف، وحرصًا منا على سلامة وصحة أبناء شعبنا والتزامًا بتوصيات وزارة الصحة، تقرر تأجيل الاحتفالين الجماهيري والرسمي إلى إشعار آخر، ولا يسعنا إلا أن نتقدم بوافر الشكر والامتنان لتنظيماتنا في تيار الحكمة الوطني على الجهود الكبيرة التي بُذلت والتحضيرات والاستعدادات لإقامة البرنامجين الرسمي والجماهيري، أشكركم من صميم قلبي داعيًا العلي القدير أن يحفظ أبناء شعبنا ويجنبهم كل مكروه ويبعد عنهم كل بلاء.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
لإدانة الاعتداء على المتظاهرين

٢٠٢٠/٢/٢٨

واهم من يظن أن العنف والقمع قادران على إسكات الصوت الحر، فالتجارب التي يزخر بها التأريخ الغابر والحاضر تؤكد أن الاستماع لصوت الجمهور وليس تحييده هو الطريق الأنجع والأسلوب الأجدى لتجاوز أي أزمة بينه وبين السلطة، من هنا ندين استخدام القوة المفرطة ضد المتظاهرين، وفي الوقت الذي نجدد فيه مطالبتنا الحكومة والجهات الأمنية بتوفير الحماية اللازمة للمتظاهرين فإني أهيب بأبنائي وإخوتي في ساحات الاحتجاج إلى الثبات على السلمية فإنها سلاحكم لتحقيق مطالبكم وعدم التعرض للقوات الأمنية المتواجدة لحمايتكم، وإدانة الإساءات التي تصدر من البعض بغطائكم واستغلال عنوان التظاهر.

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
إلى المعلمين بمناسبة عيد المعلم

٢٠٢٠/٣/١

كاد المعلم أن يكون رسولًا

المعلم هو ذلك القبس الوضاء الذي كان ولا يزال وسيبقى ينير مسارات الأمم، وفي (الأول من آذار) وبحلول مناسبة عيده الأغر نحيي الأسرة التعليمية والتربوية بلسان العرفان ومنطق الإجلال والإكرام ونثّمن تفانيها في أداء الواجب رغم الأوضاع العصيبة التي يمر بها بلدنا الحبيب العراق، ونطالب السلطتين التشريعية والتنفيذية بإيلاء هذه الشريحة الاهتمام المطلوب وسن القوانين التي تنصفها وتدعم المسار التعليمي بكافة الإمكانيات بغية مواكبة التطور العالمي المتنامي في هذا المجال والارتقاء به إلى مصاف متقدم.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة يوم المرأة العالمي

٢٠٢٠/٣/٨

تمثل المرأة نصف المجتمع، وتسهم في وجود النصف الآخر، وبدونها لا تتحقق الاستمرارية والتوازن والثنائية الرائعة التي وضعها الخالق جل في علاه أمام مخلوقاته، وعلى الرغم من كل الخطوات الإيجابية وفسحة الحرية التي وفرتها العملية الديمقراطية الجارية في العراق بعد عقد ونيف من عمرها الفتي إلا أننا نجد أن المرأة العراقية لا تزال بعيدة عن نيل كامل حقوقها المشروعة في مختلف مجالات الحياة مقارنة بزوجها وأخيها وزميلها وقرينها الرجل، وفي #اليوم__العالمي__للمرأة وفيما نبارك لنساء العالم أجمع لا سيّما المرأة العراقية عيدها السنوي نحث المنظمات العالمية والحقوقية والإنسانية على حماية المرأة من كافة أصناف التعنيف والاضطهاد الأسري والمجتمعي وتأمين كامل حقوقها وتمكينها من أخذ دورها في الحياة واعتبار تعريضها للتعسف جريمة كبرى ضد الإنسانية.

#اليوم__العالمي__للمرأة

بيان سماحة السيد عمار الحكيم
بعد الحادث المؤسف لمواطنين عراقيين في سوريا

٢٠٢٠/٣/٨

خبر مفجع تلقيناه بوفاة وإصابة العشرات من المواطنين العراقيين من أحبتنا في كربلاء المقدسة أثناء توجههم لزيارة المراقد المقدسة في العاصمة السورية دمشق جراء حادث مروري مؤسف، وإذ نتقدم لذوي ومتعلقي الضحايا بأحر التعازي ونبتهل إلى الباري (عزّ وجل) أن يتغمدهم بواسع رحمته ويسكنهم فسيح جناته وأن يلبس الجرحى رداء الشفاء والعافية إنه سميع مجيب الدعاء، نطالب وزارة الخارجية العراقية بمتابعة الحادث المؤسف والتعرف على ملابساته وكشف تفاصيله أمام الرأي العام.

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة ولادة الإمام علي (عليه السلام)

٢٠٢٠/٣/٩

كانت ولادة الإمام علي «عليه السلام « في بيت الله وشهادته في بيت الله حياة بين مسجدين والخط الفاصل بين البداية والنهاية كرسه لله ولعباده حتى أصبح منهاجه الذي اختطه وسار عليه إطارًا إسلاميًا إنسانيًا جامعًا وشاملًا يتمحور حول بناء الإنسان والانطلاق منه لبناء الدولة. . . .

كان « عليه السلام « نموذجًا للحاكم العادل الذي طبق العدالة على نفسه قبل أن يطالب بها المجتمع، عمل على تهذيب الحاكم قبل المحكوم وألزم نفسه بتطبيق نظم الحياة قبل أن يُلزم الآخرين بها.

ذكرى ولادته الميمونة مدعاة للأخذ بسيرته في مراجعة المنهج وتصحيح المسار، ومدعاة أيضًا للأخذ بعدالته في ترسيخ الإنصاف، وبصدقه في تحقيق تطلعات الشعوب، وبشجاعته في قول الحق والذود عن حمى الأمة ومصالحها.

#علي__أمة__ومنهج

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
إلى أبناء الديانة الصابئية بمناسبة عيد الخليقة

٢٠٢٠/٣/١٤

بمناسبة حلول عيد الخليقة (البروناية) نتقدم إلى أحبتنا أبناء الديانة الصابئية المندائية بالتهنئة والتبريك، وفيما نجدد ونعبّر عن اعتزازنا الكبير بهذا المكون العزيز من مكونات شعبنا العراقي فإننا نثمن إلغاءهم مراسيم الاحتفال بهذا العيد السنوي مساهمة منهم في الحد من انتشار فايروس كورونا، ونشدد على ضرورة أن يستحصل أبناء هذا المكون حقوقهم الكاملة وأن تضطلع السلطتان التنفيذية والتشريعية بمهمة إنصافهم وتعويضهم ماديًا ومعنويًا.

كل عام وأحبتنا المندائيون بألف خير

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة ذكرى مجزرة حلبجة

٢٠٢٠/٣/١٦

حلبجة الشهيدة جرح العراق النازف ورمز مظلومية مكون من مكونات شعبنا الأبي، ففي مثل هذه الأيام وبينما كان شعبنا الكردي العزيز يستعد لإحياء أعياد النوروز، كان هدفًا للاعتداء عليه بالأسلحة الكيماوية المحرمة خلّف آلاف الشهداء والمعاقين والمغيبين فضلًا عن دمار هائل ما زال يحز الضمير الإنساني، في ذكراها الثانية والثلاثين نؤكد أن جريمة (حلبجة) وسائر جرائم النظام الديكتاتوري ستبقى شاهدًا حيًا على عمق معاناة العراقيين بجميع مكوناتهم من تلك الحقبة السوداء، إن تخليد هذه الذكرى يحتّم علينا العمل على بناء ثقافة سياسية قائمة على العدل والديمقراطية وحقوق الإنسان والمواطنة والمساواة.

إن شهداء (حلبجة) من أحبائنا الكرد وسائر شهداء العراق منارات عالية في طريق الحرية وبناء عراق ديمقراطي مزدهر يضمن الحياة الحرة الكريمة لأبنائه.

تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
بذكرى استشهاد الإمام الكاظم (عليه السلام)

٢٠٢٠/٣/٢٠

ذكرى استشهاد راهب آل محمد الإمام الهمام موسى الكاظم (عليه السلام) مدعاة للتمعن بسيرته العطرة والعمل بوصاياه الكريمة، ومناسبة لاتخاذ صبره الجميل على البلاء عنوانًا لبناء الروح والانطلاق صوب بناء المجتمع، وبهذه المناسبة الأليمة، وفيما نتقدم للأمة الإسلامية ومراجعنا العظام بأحر التعازي فإننا نعبر عن عميق ألمنا ووافر حزننا على عدم تمكن الحشود المليونية من الذهاب إلى حضرته المباركة كعادتها كل عام لتجديد عهد الولاء وبيعة الثبات على نهجه النيّر الشريف، كما نثمن التزامها بالضوابط الصحية الصادرة من قبل خلية الأزمة، ونهيب بمواطنينا الأحبة اتباع تلك التعليمات لحين انجلاء غمة الوباء عن ربوع وطننا وباقي الشعوب المتضررة.

حمى الله عراقنا وشعبنا بعينه التي لا تنام.

رسالة سماحة السيد عمار الحكيم
إلى وزير الصحة (رئيس الأزمة المركزية)

٢٠٢٠/٣/٢٤

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

معالي وزير الصحة الدكتور (جعفر علاوي) المحترم

رئيس خلية الأزمة المركزية

في الوقت الذي نثمن فيه جهودكم الإنسانية والوطنية الكبيرة والمخلصة، ومن أجل المساهمة الحقيقية في دعم جهود المخلصين المتفانين من ملاكات وزارتكم والوزارات والمؤسسات الساندة لدرء خطر هذا الوباء الداهم عن ربوع وطننا وأبناء شعبنا، نود أن نضع كل إمكانات وقاعات تيار الحكمة تحت تصرفكم في كل محافظات العراق حسب الحاجة، كما نعلن استعداد شباب تيار الحكمة الوطني الكامل للتطوع مع الملاكات الصحية الفاعلة والقيام بأي جهد صحي أو توعوي على وفق ما ترونه مناسبًا من أجل إنجاح هذا المجهود التضامني الوطني الكبير.

حمى الله شعبنا وأبعد عنه خطر الوباء

أخوكم

عمار الحكيم

رسالة شكر من سماحة السيد عمار الحكيم
إلى أبطال الكوادر الصحية في مواجهة وباء كورونا

٢٠٢٠/٣/٢٩

«من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق»

كل الشكر والتقدير لحماة الوطن وجدار الصد الأول في مواجهة الوباء المستجد « كورونا « أبطال الكوادر الصحية الذين يواصلون الليل بالنهار لدرء الخطر عن الوطن ويعرّضون انفسهم للمخاطر، كما نقف وقفة إجلال وتحية إكرام لوقفتهم المشرفة، وانحناءة عرفان لما يبذلون، وبموازاة تثمين هذه الخدمات الجليلة ينبغي على الجميع الالتزام بالتعليمات الصادرة عن خلية الأزمة ووزارة الصحة والإجراءات المطلوبة لمساندة المؤسسات الصحية والمعنية حتى تجاوز هذه المحنة.

#العرفان__لكوادرنا__الصحية

#بوعينا__نهزم__كورونا

بيان سماحة السيد عمار الحكيم
المؤيد لجميع توصيات لجنة الأزمة المركزية لمواجهة وباء كورونا

٢٠٢٠/٤/٧

نؤيد ما ورد من القرارات والتعليمات التي صدرت من قبل اللجنة العليا للصحة والسلامة الوطنية في اجتماعها الأخير التي تضمنت فعاليات لتثمين الدور المميز للملاكات الصحية والتمريضية والقوات المسلحة والأجهزة الأمنية وجهود الإغاثة الحكومية والمنظماتية والشعبية في مواجهة جائحة كورونا التي أبرزت الدور الإنساني الكبير لشعب العراق أمام الرأي العام العالمي.

كما نحث وسائل الإعلام والفعاليات السياسية والأكاديمية والمواطنين كافة على دعم إجراءات تطويق الوباء وندعو الحكومة وأجهزتها الرقابية إلى إيلاء الاهتمام الخاص بالشرائح المتضررة جراء الحظر لا سيّما المتعففين والمعدمين وذوي الدخل المحدود والأُجَرَاء اليوميين والكسبة فضلًا عن المضي بإجراءات توفير المواد الغذائية واستقرار الأسعار.

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة ذكرى ولادة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)

٢٠٢٠/٤/٨

«وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»

إن إيمان المجتمع الإنساني على اختلاف مشاربه وألوانه وأعراقه بضرورة وجود منقذ يملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعدما مُلئت ظلمًا وجورًا كواحدة من المسلّمات التي تجعل الإنسان متشبثًا ببارقة أمل تمسح عن جبينه غمامة اليأس وتعوضه الحرمان وتنتصف له من الحيف والجور وتحقق له ما يصبو إليه من العدالة والعيش الكريم، إنما يعضد ذلك إيمان المسلمين لا سيّما أتباع أهل البيت «عليهم السلام « بحتمية ظهور قائم آل محمد المهدي المنتظر « عجل الله فرجه الشريف « الذي سيملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعدما أنهكتها الحروب وحطمها التشرذم وعصفت بها هواجس الخلاف والاختلاف، ومن أهم واجباتنا خلال انتظار ظهوره الشريف العمل الحثيث على تهيئة النفوس والظروف والأرضية المناسبة من خلال نشر العدل ومحاربة الظلم والفساد والوحدة والتكاتف والتراحم.

كل التهاني والتبريكات بولادة الإمام المهدي المنتظر « عجل الله فرجه الشريف» ونسألك اللهم أن ترفع هذه الغمة عن هذه الأمة بحقه وبحق آبائه وأجداده (عليهم السلام).

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة ذكرى الأنفال

٢٠٢٠/٤/١٤

ثلاثة عقود وسنتان مرت على ذكرى مجزرة مؤلمة ما زالت عذاباتها توخز ضمير الإنسانية وتستدعي الوقفة الجادة على حيثياتها وأسبابها وتداعياتها، فذكرى مجزرة الأنفال التي نفذها النظام المُباد ضد شعبنا الكُردي ما زالت مآسيها شاخصة إلى اليوم حيث القتل والمقابر الجماعية وتجريف البيوت والمزارع وتشريد الآلاف، ولضمان أن لا تعود تلك المشاهد المؤلمة والصفحة الديكتاتورية ينبغي التشبث بالمسار الديمقراطي الذي اختاره العراقيون وقدموا من أجله تضحيات كبيرة، والعمل على تعزيزه وترسيخه.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة اليوم العالمي للكتاب والمؤلف

٢٠٢٠/٤/٢٣

وَخَيرُ جَليسٍ في الزّمانِ كِتابُ

في اليوم العالمي للكتاب والمؤلف ينبغي التفكير مليًا باستعادة مكانة هذا الصديق الحميم والجليس الصامت الناطق الذي يمثل منهلًا للمعرفة وعصارة للفكر ووسيلة للتواصل بين الأمم والحضارات، من خلال دعم المعارض والمحافل الثقافية ودور النشر والتوزيع وتكريم الكتّاب والمؤلفين.

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك

٢٠٢٠/٤/٢٤

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللَّهِ بِالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ»

شهر رمضان شهر الخير والعطاء، شهر البركة والمغفرة، الذي يمثل فرصة ومدرسة لتهذيب الروح من الشوائب والنفس من عوالق الأيام والقلب من أدران الدنيا، وهو نافذة العودة إلى الذات والوقوف في محراب الخالق طلبًا للعافية والرحمة والغفران، كما أنه فرصة طيبة لاستشعار هموم الآخرين وحسرة المحرومين وأوجاع المعدمين والتوجه لإسعاف المتعففين والتفاني من أجل مد يد العون للمحتاجين.

الشهر الفضيل يحل هذا العام ونحن نعيش أزمة صحية ومعيشية واقتصادية خانقة تتطلب بذل هذه الجهود لتأصيل التوادد والتراحم والتكاتف المجتمعي، فلنجعل من هذه الواحة الإلهية المباركة منطلقًا لتعميد أسس فرد صالح وأسرة صالحة وصولًا إلى جماعة صالحة ومجتمع صالح محصن بالهدى والتقوى والبذل في سبيل الحق.

كل عام وأمتنا الإسلامية وشعبنا الحبيب بألف خير سائلين العلي القدير أن يتقبل الصيام والقيام وأن يبعد عنكم كل سوء ببركات شهر رمضان، متمنين الإسراع بتشكيل الحكومة بعيدًا عن المحاصصة وتماشيًا مع الإرادة الشعبية.

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة عيد العمال العالمي

٢٠٢٠/٥/١

تمر مناسبة عيد العمال العالمي هذا العام والطبقة الكادحة في العراق والعالم ترزح تحت وطأة ظروف أقل ما توصف بالعصيبة، فمن أزمة انهيار أسعار النفط وتأثيرها على الوضع الاقتصادي إلى الضوابط التي فرضتها جائحة كورونا بات عمال العراق والعالم يتقلبون في خضم أزمات متتالية جعلت حصولهم على القوت اليسير الكريم مهمة شاقة، يدفعنا هذا الواقع للمطالبة بتحسين الواقع المعيشي لهذه الشريحة وتعويضها الحرمان وتأمين متطلبات الحياة الكريمة لها.

تحية حب وتقدير لكل العمال في العراق والعالم

تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
بذكر استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام)

٢٠٢٠/٥/١٤

في ليلة نادى في فجرها سيد الأوصياء (فزت ورب الكعبة) رحل فيها علي مضرجًا بدماء الشهادة في بيت من بيوت الله، معلنًا فوزه بعد تأريخ طويل من التضحية والجهاد والعناء، فطوبى لمن اتخذ عليًا في حياته نبراسًا وقائدًا وملهمًا ومشعلًا هاديًا ينير دروب الوالهين.

وسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيًا

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بالذكرى السنوية لفتوى الجهاد الكفائي

٢٠٢٠/٦/١٤

ست سنوات وما زال عبق #فتوى__الجهاد__الكفائي التي أصدرتها المرجعيّة الدينيّة العليا من رحاب الطهر الحسيني يفوح في أرجاء وربوع الوطن، تلك الفتوى التي حمت الدولة من الانهيار وأنقذت الوطن من الافتراس على يد أسوأ وأقبح فكر دموي منحرف عرفه التأريخ، بالإضافة إلى بعدها الإنساني الكبير في إيواء النازحين وتقديم الخدمات.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
لإدانة استهداف السيادة العراقية

٢٠٢٠/٦/١٧

لقد قدَّم العراقيون طوال عقود من الزمن طوابير من المضحين، وناضلوا وتكبدوا العناء لحفظ السيادة العراقية وكرامة العراقيين، من هنا ندين بشدة كل محاولات انتهاكها أو النيل منها أو تعريضها للخرق من أي طرف كان، وعلى الحكومة اتخاذ ما يلزم من إجراءات لحمل الجميع على احترام سيادتنا الوطنية.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة الذكرى السنوية لثورة العشرين

٢٠٢٠/٦/٣٠

قبل مئة عام ضحى قادة ثورة العشرين بأنفسهم ليكون العراق عزيزًا شامخًا مستقلًا، واليوم علينا أن نحفظ هذه الأمانة الوطنية ونسلمها للأجيال القادمة برؤوس مرفوعة ونفوس أبية، ونحن نعيش مرور قرن على ذكرى ثورة العشرين الخالدة فإننا نستذكر ونحيي ملحمة كبيرة قادتها المرجعيّة الدينيّة وساندتها العشائر والجماهير العراقية لوضع أساس دولة حديثة تمثل انطلاقة الحصول على السيادة والاستقلال، هذه الصفحة المشرقة من تأريخنا مدعاة لجميع مكونات العراق لاتخاذها نبراسًا للذود عن التجربة الديمقراطية وصون منجزات تحققت بتضحيات الأجداد الذين أورثوها لنا لنضعها بيد الأحفاد.

تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
برحيل رئيس الطريقة القادرية الكسنزانية

٢٠٢٠/٧/٤

إنا لله وإنا إليه راجعون

بأسف كبير تلقينا نبأ رحيل الشيخ (محمد عبد الكريم الكسنزاني الحسيني) رئيس الطريقة القادرية الكسنزانية في العراق والعالم، وإذ نتقدم لأسرة وذوي ومريدي الفقيد بأحر آيات العزاء والمواساة نبتهل إلى العلي القدير أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته.

تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
برحيل سماحة الحجة الشيخ (محمد جعفر شمس الدين العاملي)

٢٠٢٠/٧/٥

إنا لله وإنا إليه راجعون

آلمنا نبأ رحيل علم من أعلام حوزة العلم والجهاد وجهابذة ميدان المعرفة سماحة الحجة الشيخ (محمد جعفر شمس الدين العاملي) (قدس) سليل أسرة عرفت بعلمها ونضالها وجهادها لنصرة الحق، وللفقيد مواقف تأريخية جمة منذ تلقيه الدروس الحوزوية على يد كبار مراجع النجف الأشرف مرورًا باعتقاله على يد النظام المباد، وصولًا إلى تصديه لموجات الانحراف العقائدي، والعمل الجهادي حتى اجتباه الرحمن بعد عمر قضاه في ميدان الشرف.

نتقدم إلى أسرة آل شمس الدين الكريمة بأحر التعازي وخالص المواساة سائلين العلي القدير أن يتقبله مع الصديقين وأن يحشره مع محمد وآله الطاهرين.

بيان سماحة السيد عمار الحكيم
حول اغتيال الخبير الأمني (هشام الهاشمي)

٢٠٢٠/٧/٦

إن عملية اغتيال الخبير بالشأن الأمني (هشام الهاشمي) عمل مدان يستهدف عودة صفحة غياب الاستقرار وموجات الاغتيال وإرباك المشهد الأمني تحقيقًا لمصالح ضيقة، خالص العزاء والمواساة لذوي الفقيد تغمده الله بواسع رحمته، كما نطالب الأجهزة الأمنية بالإسراع في فتح تحقيق عاجل بالحادث وتقديم الجناة إلى العدالة.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة الذكرى السنوية لمجزرة سبايكر

٢٠٢٠/٧/١٧

العهد المنسجم مع الشرع يحقق الأمن ويستنزل الرحمة الإلهية

في ذكراها الأليمة السادسة تبقى مجزرة #سبايكر المروعة جرحًا نازفًا يوخز الضمائر الحية نظرًا لبشاعتها وفداحة خطبها، ولعلّ إنصاف ذوي الضحايا وتخليد ذكراهم في المناهج التربوية واستعادة كثير من جثامين الشهداء التي لم يتم الكشف عنها لغاية اليوم يسهم في تخفيف آثارها المعنوية والمادية.

تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام محمد الجواد (عليه السلام)

٢٠٢٠/٧/٢١

امتازت شخصية إمامنا أبي جعفر محمد بن علي الجواد (عليه السلام) بالمثابرة والهدوء والصبر على نوائب الدهور، شخصيته الشابة الفتية برهنت لمن عايشه وأحاط به على عصمته من ناحية، ومن ناحية أخرى أثبتت قدرة الشباب على مسك زمام الريادة والقيادة والتصدي بروح مندفعة وبإيمان راسخ إلى حيث المسؤولية الشرعية والأخلاقية، وما حواره مع كبار علماء عصره إلا خير دليل على أن المحاججة ولغة الحوار والتفاهم هي الطريق الأقصر والأنجع والأسلم لإحقاق الحق وتجاوز الخلافات.

فسلام عليه ما بقي على الأرض باق

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
حول أحداث ذي قار

٢٠٢٠/٧/٢٨

#ذي__قار__تستغيث

#ذي__قار__لا__تتنفس

تفاقم الوضع الصحي في ذي قار ووصوله إلى حالة حرجة بحاجة ماسة إلى عملية إنقاذ سريعة وعاجلة، ندعو السيد رئيس مجلس الوزراء إلى تشكيل لجنة طارئة من الوزارات المعنية والساندة لإنقاذ الوضع الصحي المتدهور فيها، وتوفير احتياجاتها من الأوكسجين وباقي مواد الإسعافات الأولية بشكل عاجل.

تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة استشهاد الإمام محمد الباقر (عليه السلام)

٢٠٢٠/٧/٢٨

في ذكرى شهادته الأليمة نقف إجلالًا عند شخصية الإمام الهمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) باقر علوم الأولين والآخرين. تلك الشخصية الفذة التي ميزتها الإرادة الإلهية إضافة إلى سجايا العترة المحمدية المباركة بالحلم والعلم حيث كان يقابل من يسيء إليه بالصفح والإحسان وشهد له جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأنه يبقر العلم بقرًا.

فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيًا.

تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
برحيل العالم الشيخ محمد باقر الناصري (قدس سره)

٢٠٢٠/٧/٢٩

إنا لله وإنا إليه راجعون

«إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة»

تلقينا بأسف بالغ نبأ ارتحال علم من أعلام ميادين العلم والجهاد سماحة الحجة الشيخ (محمد باقر الناصري) (قدس)، الفقيد ربيب الحوزة العلمية وجهابذتها من المراجع والمجتهدين، أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من الآثار الفكرية، وله دور في مواكبة الحركة الإسلامية ونضالها الطويل ضد الأفكار الهدامة والدكتاتورية المبادة وتعرض على أثرها إلى مضايقات شتى اضطرته إلى الهجرة عن أرض الوطن.

تغمد الله الشيخ الناصري بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته، وألهم ذويه ومتعلقيه الصبر والسلوان.

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة عيد الأضحى المبارك

٢٠٢٠/٧/٣٠

عيد الأضحى المبارك مناسبة في معناها الديني شكر لله على تمام العبادة، وفي معناها الإنساني يوم تلتقي فيه قوة الغني وضعف الفقير بالمودة والإحسان والتراحم، في العيد تزدان النفوس بروح التسامح والصفح وطي صفحة الماضي وتعميد وشائج الأخوة وعرى المحبة لترسيخ التعايش السلمي، ورغم أن ظروف الجائحة هذا العام حالت دون أن نعيشه كما هو في كل عام، إلا أن ذلك لا يمنع أن نستوحي بعض معالمه ونبتهل للعلي القدير أن يزيل هذه الغمة عن هذه الأمة وجميع الأمم والشعوب، ويوحد كلمتنا على الخير والمحبة والوئام، ويحقق لشعبنا العراقي النبيل تطلعاته المشروعة بغدٍ خال من المنغصات.

وكل عام وعراقنا وعالمنا الإسلامي بألف خير

العيد # عبادة__وسعادة

بيان سماحة السيد عمار الحكيم
في الذكرى السنوية للإبادة الإيزيدية

٢٠٢٠/٨/٣

في الذكرى السنوية السادسة والأليمة للإبادة الإيزيدية نستذكر الظلامة الكبرى التي تعرض لها هذا المكون الحبيب والعزيز على قلوبنا، وأيضًا لا يفوتنا أن نستذكر ما تعرضت له أخواتنا وبناتنا التركمانيات من تلعفر، اللاتي شاركن الإيزديات هذه المحنة، هذه الفاجعة التي أوقفت العالم أجمع على حقيقة بشاعة الإرهاب (الداعشي)، إذ ما زالت توخز الضمير الحي وتستدعي قراءة موضوعية ومسؤولة لأسبابها وحيثياتها، من هنا نؤكد أن استهداف الإيزيديين يمثل استهدافًا للتعددية المجتمعية في العراق، ونجدد دعوتنا للمنظمات الإنسانية العالمية لتوثيق هذه المجازر، وللسلطتين التشريعية والتنفيذية للعمل على تذليل العقبات أمام عودة الإيزيديين وجميع المهجرين إلى مناطقهم وتعويضهم ماديًا ومعنويًا.

ولأحبتنا الإيزيديين نقول: إن أفضل رد على الإرهاب (الداعشي) هو تمسككم بوطنكم وأرضكم، وأن تنشدوا إلى ترابكم، وتدافعوا عن تأريخكم وحضارتكم.

بيان سماحة السيد عمار الحكيم
حول انفجار بيروت

٢٠٢٠/٨/٤

نتابع بقلق بالغ تداعيات الانفجارات التي هزت العاصمة اللبنانية بيروت والتي خلفت العديد من الضحايا فضلًا عن دمار هائل في موقع الانفجارات المتتالية، وإذ نتقدم للحكومة اللبنانية وشعبها الشقيق لا سيّما ذوي الضحايا بأحر التعازي والمواساة، فإننا نطالب المجتمع الدولي بالوقوف إلى جانب لبنان ومساندته في محنته.

#بردًا__وسلامًا__بيروت

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة عيد الغدير الأغر

٢٠٢٠/٨/٧

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسلام دِينًا»

سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ورؤيته الشاملة في الحكم والتي امتازت بالعدالة والعمل على ترصين علاقة الحاكم بالمحكوم بحسب الرؤية الإسلامية والإنسانية، كانت مصداقًا حقيقيًا وعمليًا لإتمام النعمة الإلهية على بني البشر في يوم الغدير، من هنا فقد مثل هذا اليوم رسالة للتواصل والانفتاح والتعايش وانتظامًا للأمور، وتماسكًا للمجتمعات.

نبارك لكم حلول عيد الغدير الأغر

#الغدير__عيد__الإنسانية

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة اليوم العالمي للشباب

٢٠٢٠/٨/١٢

في اليوم العالمي للشباب نجدد إيماننا العميق وتأكيدنا على أن هذه الفئة هي الأكثر طموحًا في المجتمع، وأنها أساس التغيير والقوة القادرة على إنجازه، كنا ولا زلنا وسنبقى نعتقد بضرورة استقطاب طاقات شباب الوطن وتوظيفها كأولوية في جميع المؤسسات والمجموعات الاجتماعية الساعية للتغيير والنهوض والإفادة من طاقاتها لمعالجة سلبيات وتراكمات الماضي والحاضر، فهم الانطلاقة صوب الهدف والوثبة باتجاه بناء الوطن والجدار الصلب المستعد لتقبل الجديد والتعامل معه والإبداع فيه، لا معنى لوجود شباب عاطل في بلد يطفو على بحر من الخيرات، ولا يمكن القبول بواقع مرير يرزح تحت وطأته بناة الوطن وعماده، وهم القادرون على حمايته بعد أن أثبتوا جدارتهم وعنفوانهم وقدموا التضحيات في ميادين الشرف وتحرير الأرض من الإرهاب، وهم اليوم الصوت المدوي المطالب بوطن يستوعبهم ويشعرون فيه بالعزة والكرامة ويوفر لهم الفرصة ليساهموا في بنائه، نطالب الجهات المعنية بسن قوانين وتشريعات تنصف هذه الشريحة الواعدة وتعوضها سنوات الحرمان وتضعها في مسير الإبداع والتألق، فضلًا عن اعتماد إجراءات حكومية ومجتمعية لتحقق تطلعاتهم وتجعل من أهداف الحراك الشبابي الشعبي مصداقًا على أرض الواقع.

#اليوم__العالمي__للشباب

٢٠٢٠/٨/١٢

كنا وما زلنا وسنبقى نؤمن أنكم أمل المستقبل، بكم تعلو راية الوطن وترتفع هامته، ولقد عملنا ونعمل وسنعمل على تمكينكم سياسيًا واجتماعيًا وحكوميًا.

#اليوم__العالمي__للشباب

تعزية سماحة السيد عمار الحكيم برحيل رئيس المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب

٢٠٢٠/٨/١٨

إنا لله وإنا إليه راجعون

بمزيد من الحزن والأسى ننعى علمًا من أعلام الحوزة العلمية المباركة سماحة آية الله المرحوم الشيخ (محمد علي التسخيري) «قدس سره الشريف» رئيس المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، والفقيد من الشخصيات الإسلامية الراعية للتقريب بين المذاهب الإسلامية ومناهضة التكفير داخل إطار العالم الإسلامي بمذاهبه المتعددة، وبهذا المصاب الجلل نتقدم إلى الجمهورية الإسلامية قيادةً وحكومةً وشعبًا لا سيّما أسرة ومتعلقي الفقيد بالعزاء والمواساة سائلين العلي القدير أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة اليوم العالمي للعمل الإنساني

٢٠٢٠/٨/١٩

نثمن عاليًا دور الفرق التطوعية في العراق والعالم لمواجهة جائحة كورونا، وندعو وزارة الشباب والرياضة وباقي المؤسسات الحكومية والمجتمعية للتثقيف والحث على العمل الإنساني، وجعله معيارًا للتفاضل بين الناس وتكريم رواده.

#اليوم_العالمي_للعمل_الإنساني

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
الرافضة افتتاح سفارة للكيان الصهيوني في العراق

٢٠٢٠/٨/٢٦

نستنكر المحاولات الإعلامية الاستفزازية للكيان الصهيوني في إعلانه افتتاح سفارة افتراضية في العراق، مؤكدين موقفنا الثابت والمبدئي كما هو موقف العراق شعبًا وحكومةً من قضية القدس العادلة والشعب الفلسطيني الشقيق في استعادة كامل حقوقه.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
يثمن بها الحملة الشعبية لزراعة ألف شجرة

٢٠٢٠/٨/٢٦

نثمن الحملة الشعبية الكبيرة التي نظمها الشباب في عدد من المحافظات وبجهود ذاتية لزراعة آلاف الأشجار بغية زيادة الرقعة الخضراء، ومكافحة التصحر، ونشر ثقافة الزراعة والتشجير، ونحث على تطوير هذه التجربة الرائدة وتعميمها ودعمها حكوميًا وشعبيًا، وإيلاء هذه التجارب الاهتمام المطلوب.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
الداعمة للفلاحين للوصول إلى الاكتفاء الذاتي من المحاصيل الزراعية

٢٠٢٠/٨/٢٩

بعد أن حقق فلاحونا الاكتفاء الذاتي في محاصيل زراعية إستراتيجية تحفظ الأمن الغذائي العراقي، ووفروا الآلاف من فرص العمل، نحث الحكومة على إكمال دفع مستحقات المزارعين لتحفيزهم على التمسك بالأرض، وتوفير حاجة البلد من المحاصيل وترسيخ الاكتفاء الذاتي، والاستعداد للموسم الزراعي القادم.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
حول فرض هيبة الدولة وحصر السلاح بيدها

٢٠٢٠/٨/٣٠

هيبة الدولة ثابت وطني لا يمكن المجازفة به أو تعريضه للاهتزاز والمغامرة، ندعم وبقوة مسار الحكومة العراقية في فرض هيبة الدولة وحصر السلاح بيدها واستكمال إجراءاتها في تقصي الحقائق حول أحداث تشرين وتقديم الجناة إلى العدالة، كما نطالب الحكومة بحماية المؤسسات العامة والخاصة ومصالح المواطنين ممن يستخدم العنف، ولا يمثل في سلوكه التظاهر السلمي، نجدد دعمنا لكل إجراءات مكافحة الفساد ومقاضاة المفسدين.

شكر سماحة السيد عمار الحكيم
الجهود المبذولة في إقامة الشعائر الحسينية

٢٠٢٠/٨/٣٠

« إِنَّ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) حَرَارَةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَبْرُدُ أَبَدا»

إن إقامة الشعائر الحسينية لم ولن تتوقف يومًا مهما كانت الظروف والتحديات، من هنا فإننا نثمن عاليًا ونشكر كل الجهود التي ساهمت في إقامة مراسيم العزاء الحسيني مع مراعاة الضوابط الصحية وتوجيهات المرجعيّة الدينيّة العليا وتوصيات لجنة الصحة والسلامة الوطنية، كما نحيي جيشنا الأبيض وقواتنا الأمنية ووسائل الإعلام التي ساهمت بتغطية مجالس العزاء ولكل صوت حسيني أحيا أمر أهل البيت «عليهم السلام».

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
حول تعرض دولة السودان لموجة من السيول

٢٠٢٠/٩/٧

نتابع بقلق بالغ تداعيات السيول التي تجتاح دولة السودان الشقيقة والتي تسببت بخسائر بشرية ومادية كبيرة، وتلف المزروعات، وتهجير السكان في الكثير من المناطق، وإذ نعلن تضامننا ووقوفنا إلى جانب المنكوبين، فإننا نحث المجتمع الدولي ومنظمات الإغاثة الإنسانية على تكثيف ومضاعفة الجهود اللوجستية لاحتواء الأزمة وإسعاف القرى والمناطق المحاصرة.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
حول استهداف البعثات الدبلوماسية

٢٠٢٠/٩/١٦

لا شكَّ أن استهداف البعثات الدبلوماسية في العراق، وآخرها ما حصل لموكب السفارة البريطانية، ينطوي على مخاطر كثيرة وقد يدفع دول العالم إلى تقليص حضورها وتمثيلها الدبلوماسي في العراق، وإذ ندين مثل هذا الاستهداف، فإننا نطالب الحكومة بأخذ دورها الفاعل في حماية البعثات الدبلوماسية وعدم السماح

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
حول أحداث الرضوانية

٢٠٢٠/٩/٢٨

إن تكرار استهداف المنشآت العامة والخاصة لا سيّما في العاصمة بغداد، وآخرها تعرض منازل في منطقة الرضوانية للقصف، ما أدى إلى سقوط شهداء بينهم نساء وأطفال، ينم عن وجود مخطط لتدمير البلاد وجرها لأتون الفتنة وصراع الإرادات، ونحن إذ نستنكر وبشدة هذه الأعمال الإجرامية، فإننا نحث الجهات المعنية على الإسراع بمعالجتها، ومعرفة مسبّبيها، وتقديمهم إلى العدالة وعدم التهاون مع تعريض هيبة الدولة إلى الخطر.

بيان سماحة السيد عمار الحكيم
برحيل أمير دولة الكويت سمو الشيخ (صباح الأحمد الجابر الصباح)

٢٠٢٠/٩/٢٩

ببالغ الحزن والأسف تلقينا نبأ رحيل أمير دولة الكويت سمو الشيخ (صباح الأحمد الجابر الصباح)، وإذ نتقدم بأسمى آيات العزاء والمواساة للكويت الشقيقة قيادة وشعبا، نستذكر علاقتنا التأريخية بالفقيد ودوره الوسطي المعتدل في التعامل مع أغلب الملفات والقضايا الساخنة في المنطقة والعالم، لا سيّما العربية والإسلامية منها من منطلق سمح ونظرة مسؤولة وموقف بعيد عن الانفعال والتشنج.

كما مثل الفقيد نموذجًا لتقريب وجهات النظر بين الفرقاء وأطلق المبادرات والمشاريع في فترة إمارته لدولة الكويت، ومن قبلها فترة إدارته لملف الخارجية الكويتية، فضلًا عن نظرته الأبوية تجاه عامة الشعب الكويتي الشقيق.

رحم الله سمو الشيخ (صباح الأحمد) ونسأله جلّ في علاه أن يتغمده بواسع رحمته ويحفظ الكويت وجميع بلداننا العربية والإسلامية ويوحد كلمتها على الخير والمحبة.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
حول أحداث دولتي أذربيجان وأرمينيا

٢٠٢٠/٩/٣٠

نتابع بقلق بالغ التطورات الأمنية الخطيرة بين دولتي أذربيجان وأرمينيا، وفيما نحث الجانبين على اتخاذ أقصى درجات ضبط النفس ندعوهما إلى الركون للحوار وحل الخلافات عبر الطرق السلمية من منطلق الحرص على أمن الشعوب وتجنيبها مخاطر الحروب و تداعياتها على البلدين و المنطقة.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة اليوم العالمي للمسنين

٢٠٢٠/١٠/١

في اليوم العالمي للمسنين ندعو إلى حفظ كرامة الإنسان والوفاء لمن أفنوا أعمارهم في تربية الأجيال، كما نطالب الجهات المعنية بتوفير الرعاية اللازمة للمسنين، فضلًا عن اعتماد برنامج تربوي لبث الوعي الديني والاجتماعي لتوقير كبار السن وتقديم المعونة لهم.

#وقل__لهما__قولًا__كريمًا

رسالة شكر سماحة السيد عمار الحكيم
للجهود التي بذلت في إنجاح الزيارة الأربعينية

٢٠٢٠/١٠/٨

عند مهوى القلوب، وفي مشهد إيماني مهيب، يعكس عشق الجموع المؤمنة التي قطعت الفيافي والمسافات الشاسعة مواسية أهل بيت النبوة في أربعينية سيد الشهداء الحسين (عليه السلام)، فبوركت خطوات من زاروا، وجهود من بذلوا وقدموا وتسابقوا لأداء واجب الخدمة والكرم والضيافة من مواكب الخدمة الحسينية، وبوركت جهود من أمّنوا المناخات الملائمة لها من قوى أمنية، وعسكرية، وطوعية ساندة، وكذلك وسائل الإعلام التي نقلت عبر شاشاتها هذه المسيرة الإيمانية الكبرى، سائلين العلي القدير أن يحفظ العراق والعراقيين وجميع بلدان العالم وشعوبها من شر البلاء والوباء.

تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
برحيل خادم المنبر الحسيني السيد (جاسم الطويرجاوي)

٢٠٢٠/١٠/١١

إنا لله وإنا إليه راجعون

فجعنا بنبأ رحيل علم من أعلام المنبر الحسيني الخالد الفقيد سماحة السيد (جاسم الطويرجاوي)، الذي وافاه الأجل بعد عمر طويل قضاه في خدمة القضية الحسينية وملحمة عاشوراء الخالدة، وبذلك تكون الأعواد القدسية للمنبر الحسيني الذي كان ولا يزال وسيبقى ركيزة أساسية، وعاملًا في ديمومة المشروع المحمدي الأصيل قد خسرت شخصية لطالما ألهبت مشاعر الأجيال عبر عقود طويلة، رحم الله الفقيد (الطويرجاوي) وأسكنه فسيح جناته وحشره مع الصالحين من أوليائه وألهم ذويه ومحبيه الصبر والسلوان.

تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة ذكرى رحيل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)

٢٠٢٠/١٠/١٥

«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ»

في ذكرى وفاة الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ما أحوجنا للتمعن في سيرته العطرة لنستلهم منها الثبات على الحق مهما عظمت الخطوب، والعطاء وتحمل الأذى لإنجاح وترسيخ المشروع حتى قال (صلوات الله وسلامه عليه) « ما أوذي نبيٌّ مثلَما أوذيتُ » ولنتعلم منه أسس العدالة والمساواة، ومحاورة الخصوم بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى بسط جناح الرحمة على الجميع من دون تمييز ديني أو عرقي.

فسلامٌ عليه يوم ولد، ويوم التحق بالرفيق الأعلى راضيًا مرضيًا، ويوم يبعث حيًا

سماحة السيد عمار الحكيم
يشكر الجهود التي بذلت لإنجاح زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام)
بذكرى رحيل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)

٢٠٢٠/١٠/١٦

نثمن عاليًا الجهود الاستثنائية التي تظافرت وتعاضدت لإنجاح زيارة ذكرى وفاة رسول الإنسانية محمد (صلى الله عليه وآله)، صحيًا وخدميًا وأمنيًا بهذه الانسيابية والتنظيم عالي المستوى، كل الشكر والثناء لقواتنا الأمنية بمختلف صنوفها التي واصلت الليل بالنهار لتوفير مناخات آمنة لمدينة النجف الأشرف، والشكر والتقدير موصول لجيشنا الأبيض والجهات الساندة، وللجموع التي زحفت من مختلف المحافظات لأداء مراسيم الزيارة وتقديم التعازي لأمير المؤمنين (عليه السلام) بهذه المناسبة الأليمة، وللمواكب الحسينية وأبناء النجف الأشرف الذين تسابقوا لأداء واجب الضيافة، كما نثمن جهود وسائل الإعلام التي واكبت الحدث ونقلته أولًا بأول.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة الذكرى السنوية لحراك تشرين

٢٠٢٠/١٠/٢٤

في ذكرى حراك تشرين نستذكر تلك اللحظة التأريخية التي استعدنا فيها شبابنا فكان لهم صوت وموقف ورأي، خرجوا مطالبين بحقوقهم المعطلة ومتسائلين عن آمالهم المؤجلة.

#تشرين__السلمية صرخة وطن وضمير شعب وما على الطبقة السياسية إلا الإصغاء لها، وتحقيق ما يصبو إليه العراقي الطامح لحياة حرة كريمة.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
حول الزلزال الذي ضرب تركيا

٢٠٢٠/١٠/٣٠

نعلن عن عميق ألمنا وعظيم مواساتنا لما حل بالجارة تركيا من زلزال ضرب مدينة (أزمير) هذا اليوم تسبب بوقوع خسائر بشرية ومادية كبيرة، ونحن إذ نؤكد تضامننا مع تركيا حكومةً وشعبًا ومواساتنا لذوي الضحايا نحث المجتمع الدولي على إغاثة المنطقة المنكوبة.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
حول استهداف الحرم الجامعي في العاصمة الأفغانية (كابل)

٢٠٢٠/١١/٢

بأشد عبارات الشجب والاستنكار ندين استهداف الحرم الجامعي في العاصمة الأفغانية (كابول) عبر اعتداء انتحاري خلف عشرات الضحايا، المجزرة الإرهابية ما هي إلا مخطط ظلامي مدان بكل الأعراف والقيم ما يتطلب موقفًا دوليًا جادًا لتجفيف منابع الإرهاب ووأد مخططاته التي تستهدف أمن واستقرار الشعوب.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
حول استهداف معهد الكوثر في العاصمة الأفغانية (كابل)

٢٠٢٠/١١/١١

آلمنا نبأ المجزرة الدموية التي ارتكبتها عصابة (داعش) الإرهابية ضد أتباع أهل البيت (ع) في العاصمة الأفغانية (كابول)، وفجعنا باستهداف معهد الكوثر واستشهاد نحو أربعين مدنيًا، وهنا ندعو المجتمع الدولي للعمل على تجفيف منابع الإرهاب والحفاظ على أمن واستقرار الدول المتضررة من ممارساته الحاقدة.

بيان سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة الذكرى السنوية لرحيل الإمام السيد محسن الحكيم (قدس سره)

٢٠٢٠/١١/١٣

نعيش هذه الأيام ذكرى أفول نجم من سماء الهداية والتقى والعلم والمعرفة، ذكرى رحيل زعيم الأمة جدنا الإمام السيد (مُحسن الحكيم) «قدس سره الشريف» هذه الشخصية التي تركت أثرًا كبيرًا في مختلف ميادين العلم والمعرفة، حيث تميزت مرجعيّته بأنها افتتحت المكتبات العامة وأسست منظومة وكلاء المرجعية الدينية في عموم المحافظات وإيفاد المبلغين الرساليين إلى أقصى قرى ونواحي البلاد، وفي ميادين الجهاد حيث امتاز سجله بالمواقف البطولية كمجابهة المستعمر والنضال من أجل استقلال البلاد و نصرة الشعب الفلسطيني، والمواقف الوطنية حيث تحريم قتال شعبنا الكردي الحبيب، وغيرها من الشواهد المشرفة قبل أن يلبي نداء ربه بروح راضية مرضية تاركًا إرثًا فكريًا شاخصًا حتى اللحظة.

فسلام عليه يوم ولد ويوم غاب جسده عن هذه الدنيا ويوم يبعث حيًا.

تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
برحيل شيخ عموم قبيلة الثراون

٢٠٢٠/١١/١٦

تلقينا بحزن بالغ وفاة الشيخ (نجم العگيلي الحسناوي) شيخ عموم قبيلة (الثراون).
كان الفقيد من الشخصيات الوطنية والزعامات العشائرية التي يشار لها بالبنان.
للفقيد الرحمة والرضوان ولعائلته وأبناء عمومته الصبر والسلوان
إنا لله وإنا إليه راجعون

بيان سماحة السيد عمار الحكيم
حول أحداث قضاء بيجي

٢٠٢٠/١١/٢٢

نتابع بقلق بالغ تطورات الملف الأمني والتعرضات التي تقوم بها عصابات (داعش) الإرهابية، وآخرها الاعتداء الإرهابي في قضاء (بيجي) والذي أدى إلى استشهاد عشرة أشخاص وجرح ثلاثة عشر آخرين.

إننا إذ ندين هذه الاعتداءات الإجرامية لـ(داعش) الإرهابي الذي لن ينفك في استغلال أي ثغرة أمنية لإثبات وجوده وعودته للواجهة، نطالب الأجهزة الأمنية بتكثيف العمليات الاستباقية في المناطق غير المنظورة أمنيا، كما ندعو لإدامة التنسيق بين القطعات وتبادل المعلومات بما يمكّن الجميع من وأد العمليات الإرهابية في مهدها.

إنا لله وإنا إليه راجعون، ورحم الله الشهداء وأسكنهم فسيح جناته.

تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
برحيل شيخ عام عشائر آل فتلة

٢٠٢٠/١١/٢٤

إنا لله وإنا إليه راجعون

فقدت عشائر العراق والفرات الأوسط اليوم شخصية بارزة من شخصياتها المبجلة، وهو الشيخ (عبد الله غانم الشمران) شيخ عام عشائر (آل فتلة) الكريمة في كربلاء المقدسة الذي آلمنا نبأ رحيله.

سائلين العلي القدير أن يتغمده بواسع رحمته وأن يلهم أهله وعشيرته ومحبيه الصبر والسلوان.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة اليوم العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة

٢٠٢٠/١١/٢٥

في اليوم العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة نقف أمام مسؤولية إنسانية كبرى تقضي بإنهاء تجاهل معاناة المرأة واضطهادها أسريا ومجتمعيا والوقوف بوجه أي سلوك يحط من قدرها أو يتسلط عليها أو يستضعفها، كما نؤكد أن المجتمع الدولي بمنظماته الإنسانية والحقوقية مطالب بحماية هذا الموجود المقدس من الصراعات والتسليع والعمل على ترسيخ وتصويب ثقافة الشعوب صوب منحها حقوقها السماوية المشروعة التي أقرت بها كل الديانات حفاظا على علو شأنها والإفادة من طاقاتها الخلاقة والمساهمة إلى جانب الرجل بإدارة الدول العصرية ومؤسسات المجتمع المدني وصولاً إلى باقي متطلبات النهضة الحياتية.

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة بدء العام الدراسي الجديد

٢٠٢٠/١١/٢٩

إنه لمن دواعي السرور والبهجة حينما نرى فلذات أكبادنا وهم يتوجهون إلى مقاعد الدراسة إيذانًا ببدء العام الدراسي الجديد على الرغم من الظرف الصحي الذي نمر به ويمر به العالم معنا.

ندعو لاتخاذ أقصى تدابير الوقاية، ونحث الأسرة التعليمية وأسر الطلبة إلى التعاون من أجل تكامل الأدوار فيما يتعلق بالدراسة وإكمال المناهج المحددة، كما ندعو الجهات المختصة إلى إطلاق حملة بناء المدارس وتهيئة البيئة التربوية اللازمة كي ينعم أبناؤنا بتعليم كريم، ولكي يتمكنوا من بناء مستقبلهم الذي هو مستقبل العراق بأسره.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
في اليوم العالمي للتطوع

٢٠٢٠/١٢/٦

اليوم العالمي للتطوع فرصة سانحة لتثمين دور المتطوعين على مجهوداتهم، إضافة إلى زيادة وعي الجمهور حول العمل التطوعي، كما نحث الجهات المعنية التشريعية والتنفيذية والمؤسسات الإعلامية ومنظمات المجتمع المدني في العراق على إظهار جهود المتطوعين وتشجيعهم على الانخراط في المهام والمواقف المصيرية التي ينتخيهم إليها وطنهم، ولا يفوتنا أن نذكر بأن شبابنا الواعي قد رسموا أمام أنظار العالم أجمل صور العمل الطوعي في مختلف الميادين.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
المطالبة بمكافحة الفساد

٢٠٢٠/١٢/٩

الفساد آفة تهدد حاضر ومستقبل الشعوب وأجيالها وتعرقل مسار رقيها ونموها وازدهارها، في اليوم العالمي لمكافحته نُحمّل الجميع مسؤولية #مكافحة__الفساد المتغلغل في مفاصل الدولة بكافة مؤسساتها عبر تطبيق التشريعات والقوانين والضرب بيد من حديد على رؤوس الفساد، كما تقع المسؤولية على جميع أفراد المجتمع مع الدور الكبير لوسائل الإعلام ومنظمات المجتمع المدني في نشر التوعية المجتمعية وترسيخ الالتزام الديني والأخلاقي والوطني والإنساني والتحذير من هذا الخطر الداهم.

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة العيد الوطني العراقي

٢٠٢٠/١٢/١٠

في العاشر من كانون الأول من كل عام يتجدد الاحتفال بالعيد الوطني العراقي الكبير المتمثل بدحر الإرهاب وكسر شوكته بسواعد فتية استجابوا لنداء الوطن ملبين فتوى المرجعية الدينية العليا فهبوا يصنعون الملاحم ويسطرون المواقف الشجاعة غير آبهين بهول الحتوف وصعوبة الظروف حتى حققت الإرادة الإلهية وعدها على أيديهم، وبهذه المناسبة نحمّل الجميع مسؤولية الحفاظ على النصر من خلال تجنب أسباب ومبررات عودة الإرهاب وإحكام الخطط الأمنية وتجفيف منابعه الفكرية والمالية، كما لا يفوتنا المطالبة بإعمار المدن المحررة ومدن المحررين وإعادة جميع المهجرين إلى ديارهم.

طوبى لشهداء قواتنا الأمنية من جيش، وشرطة، وحشد شعبي، وبيشمركة، وأبناء العشائر وباقي صنوف أبطال هذه الملحمة الخالدة.

#يوم__النصر__العراقي

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
إلى الإيزيديين بمناسبة عيد الصوم

٢٠٢٠/١٢/١٨

نبارك لأحبتنا أبناء الديانة الإيزيدية في العراق والعالم احتفالاتهم بعيدهم المسمى عيد الصوم «رۆژیێت ئیزي»، وإذ نعبر عن اعتزازنا بهذا المكون العزيز، فإننا نغتنم هذه المناسبة لحث السلطتين التشريعية والتنفيذية والمجتمع الدولي ومنظماته الإنسانية والحقوقية على إنصاف هذا المكون العراقي الأصيل وباقي المكونات التي تضررت من الإرهاب (الداعشي)، ودعم وتسريع عجلة إعمار مدنهم ومناطقهم.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية

٢٠٢٠/١٢/١٨

لغة القرآن يا شمسَ الهدى

صانكِ الرحمنُ من كيدِ العِدى

في يومها العالمي المجيد، نقف في محراب لغة الضاد، لغة الكتاب المبين، لغة الأدب والعلم والسياسة، لنستحضر سفرها التليد، وبيانها الحكيم، ونعبر عن اعتزازنا الكبير بها، فهي حلقة الوصل بين مختلف الشعوب والحضارات، وندعو جميع المعنيين إلى إيلاء اللغة العربية اهتمامًا خاصًا نابعًا من ضرورة الحفاظ عليها واعتمادها في مجالات البحث العلمي والأكاديمي بشكل واسع.

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
حول تكرار استهداف البعثات الدبلوماسية

٢٠٢٠/١٢/٢٠

لقد أكدنا مرارًا أن استهداف البعثات الدبلوماسية سيعرّض سمعة العراق وهيبة الدولة للتساؤل والتشكيك أمام الرأي العام العالمي، كما أنه يعرّض أرواح ساكني ومواطني المناطق المحيطة بها للخطر، إن هكذا تصرفات فردية مستنكرة لا يمكن السماح لها بأن تعصف بخطوات البلاد نحو تحقيق الأمان والاستقرار.

الفهرست

المقدمة ٥

المحاضرات الرمضانية

المحاضرة الأولى بتأريخ ٢٥/ ٤/ ٢٠٢٠ ..... ٩
المحاضرة الثانية بتأريخ ٢٦/ ٤/ ٢٠٢٠ ..... ٢١
المحاضرة الثالثة بتأريخ ٢٧/ ٤/ ٢٠٢٠ ..... ٣٦
المحاضرة الرابعة بتأريخ ٢٨/ ٤/ ٢٠٢٠ ..... ٥٠
المحاضرة الخامسة بتأريخ ٣٠/ ٤/ ٢٠٢٠ ..... ٦٦
المحاضرة السادسة بتأريخ ٢/ ٥/ ٢٠٢٠ ..... ٨٠
المحاضرة السابعة بتأريخ ٣/ ٥/ ٢٠٢٠ ..... ٩١
المحاضرة الثامنة بتأريخ ٤/ ٥/ ٢٠٢٠ ..... ١٠٤
المحاضرة التاسعة بتأريخ ٥/ ٥/ ٢٠٢٠ ..... ١١٨
المحاضرة العاشرة بتأريخ ٦/ ٥/ ٢٠٢٠ ..... ١٣٦
المحاضرة الحادية عشرة بتأريخ ٧/ ٥/ ٢٠٢٠ ..... ١٥٧
المحاضرة الثانية عشرة بتأريخ ٩/ ٥/ ٢٠٢٠ ..... ١٦٦
المحاضرة الثالثة عشرة بتأريخ ١٠/ ٥/ ٢٠٢٠ ..... ١٨٦
المحاضرة الرابعة عشرة بتأريخ ١١/ ٥/ ٢٠٢٠ ..... ٢٠٠
المحاضرة الخامسة عشرة بتأريخ ١٢/ ٥/ ٢٠٢٠ ..... ٢١٥

المحاضرة السادسة عشرة بتأريخ ١٣/ ٥/ ٢٠٢٠ ..... ٢٣٢
المحاضرة السابعة عشرة بتأريخ ١٤/ ٥/ ٢٠٢٠ ..... ٢٥٢
المحاضرة الثامنة عشرة بتأريخ ١٦/ ٥/ ٢٠٢٠ ..... ٢٦٩
المحاضرة التاسعة عشرة بتأريخ ١٧/ ٥/ ٢٠٢٠ ..... ٢٨٣
المحاضرة العشرون بتأريخ ١٨/ ٥/ ٢٠٢٠ ..... ٣٠٩
المحاضرة الحادية والعشرون بتأريخ ١٩/ ٥/ ٢٠٢٠ ..... ٣٢٩

المناسبات العامّة

يوم الشهيد العراقي ٣٤٥
إعلان تحالف (عراقيون) ٣٥٣
برنامج (حوار الوطن) ٣٥٧
المؤتمر السنوي الثاني عشر
لمناهضة العنف ضد المرأة ٣٦٩
لقاء السيد عمار الحكيم مع الناجيات من (داعش) ٣٧٧
السيّد عمّار الحكيم يستقبل مجموعة من أطباء الحكمة
المشاركين في برنامج (طبيب الحكمة) ٣٨١
مؤتمر الوحدة الإسلامية في إيران ٣٨٥
احتفالية المولد النبوي الشريف ٣٨٩
عشائر ووجهاء محافظة بابل ٣٩٤
المؤتمر السنوي لتجمع همم الطلابي ٤٠٣
ندوة حوارية في نادي الصيد العراقي ٤١٣
زيارة قبيلة الطفيل في بابل ٤٢٥
لقاء عشائر المشخاب في النجف الأشرف ٤٣٤
المؤتمر العام لنقابات العمال في العراق ٤٤٣

التنوع الديني والعرقي ٤٤٩
لقاء السيد عمار الحكيم مع عشيرة الظوالم / السماوة ٤٥٤
الملتقى الدوري للقيادات الجامعية ٤٦٣

دواوين بغداد

ديوان بغداد للمهنيين ٤٧٧
ديوان بغداد السياسي ٤٩٥
ديوان بغداد للعشائر ٥٠٨
ديوان بغداد السياسي والاجتماعي ٥١٧
ديوان بغداد للشباب ٥٢٥

اللقاءات الإعلامية والمقالات

لقاء التلفزيون الإيراني مع السيد عمار الحكيم ٥٣٩
مقال السيد عمار الحكيم :
(الدولة القوية . . الإمكانيات والمعوقات) ٥٤٩
مقال السيد عمار الحكيم :
(التحالف العابر للمكونات . . آفاق الحل للأزمة العراقية) ٢٥٥

ملحق البيانات والتغريدات والبرقيات

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة حلول رأس السنة الميلادية ٥٥٧
بيان سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة استشهاد الحاج المهندس والحاج سليماني ٥٥٨
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
حول تصويت مجلس النواب على إنهاء التواجد العسكري ٥٥٩

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة ذكرى تأسيس الجيش العراقي . . . ٥٦٠
تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة ذكرى تأسيس الشرطة العراقية . . ٥٦١
بيان سماحة السيد عمار الحكيم
لتأييد ما جاء بخطبة الجمعة في الصحن الحسيني الشريف ٥٦٢
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
لإدانة عمليات الاغتيال والتهديد التي يتعرض لها الصحفيون ٥٦٣
تعزية سماحة السيد عمار الحكيم إلى سلطنة عمان برحيل السلطان قابوس . ٥٦٣
بيان سماحة السيد عمار الحكيم
لإدانة التعديات على الممتلكات العامة التي رافقت التظاهرات ٥٦٤
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
للمطالبة بتوفير الحرية والمناخ المناسب للمطالبة بالحقوق ٥٦٥
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بعد تعرض المرجع الأعلى السيد السيستاني إلى وعكة صحية ٥٦٥
تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة الذكرى السنوية لاستشهاد السيد محمد مهدي الحكيم ٥٦٦
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم لتأييد فخامة رئيس الجمهورية في إقامة حوار دولي
لتحقيق المطالب المشروعة في سيادة البلد ٥٦٧
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة يوم القضاء العراقي ٥٦٧
بيان سماحة السيد عمار الحكيم
بالدعوة إلى الجلوس على طاولة العراق ٥٦٨
بيان سماحة السيد عمار الحكيم
حول تكرار استهداف البعثات الدبلوماسية في العراق ٥٦٩
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة الذكرى السنوية لاستشهاد المجاهد (أبو ذر الحسن) ٥٦٩

بيان سماحة السيد عمار الحكيم
حول استهداف المتظاهرين في ساحة الحبوبي ٥٧٠

بيان سماحة السيد عمار الحكيم المندد بصفقة القرن المشؤومة ومطالبة مجلس الأمن والأمم المتحدة وجامعة الدول العربية بموقف تأريخيّ ٥٧١

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم حول حماية
المتظاهرين ودعوتهم للحفاظ على السلمية ٥٧٢

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم إلى الجمهورية الإسلامية في إيران بمناسبة الذكرى السنوية للثورة الإسلامية ٥٧٣

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
إلى التركمان والإيزيديين بمناسبة عيد خدر الياس ٥٧٤

بيان سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة ذكرى بمناسبة يوم الشهيد العراقي ٥٧٥

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم لإدانة الاعتداء على المتظاهرين ٥٧٦

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم إلى المعلمين بمناسبة عيد المعلم ٥٧٦

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة يوم المرأة العالمي ٥٧٧

بيان سماحة السيد عمار الحكيم
بعد الحادث المؤسف لمواطنين عراقيين في سوريا ٥٧٨

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة ولادة الإمام علي (عليه السلام) ٥٧٩

تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
إلى أبناء الديانة الصابئية بمناسبة عيد الخليقة ٥٨٠

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة ذكرى مجزرة حلبجة ٥٨١

تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
بذكرى استشهاد الإمام الكاظم (عليه السلام) ٥٨٢

رسالة سماحة السيد عمار الحكيم
إلى وزير الصحة (رئيس الأزمة المركزية) ٥٨٣
رسالة شكر من سماحة السيد عمار الحكيم
إلى أبطال الكوادر الصحية في مواجهة وباء كورونا ٥٨٤
بيان سماحة السيد عمار الحكيم
المؤيد لجميع توصيات لجنة الأزمة المركزية لمواجهة وباء كورونا ٥٨٥
تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة ذكرى ولادة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) ٥٨٦
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة ذكرى الأنفال ٥٨٧
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة اليوم العالمي للكتاب والمؤلف . ٥٨٧
تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك ٥٨٨
تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة عيد العمال العالمي ٥٨٩
تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
بذكر استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) ٥٩٠
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم بالذكرى السنوية لفتوى الجهاد الكفائي . ٥٩٠
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم لإدانة استهداف السيادة العراقية ٥٩١
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة الذكرى السنوية لثورة العشرين . ٥٩١
تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
برحيل رئيس الطريقة القادرية الكسنزانية ٥٩٢
تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
برحيل سماحة الحجة الشيخ (محمد جعفر شمس الدين العاملي) ٥٩٢
بيان سماحة السيد عمار الحكيم
حول اغتيال الخبير الأمني (هشام الهاشمي) ٥٩٣
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة الذكرى السنوية لمجزرة سبايكر ٥٩٣

تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام محمد الجواد (عليه السلام) ٥٩٤
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم حول أحداث ذي قار ٥٩٥
تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة استشهاد الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ٥٩٥
تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
برحيل العالم الشيخ محمد باقر الناصري (قدس سره) ٥٩٦
تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة عيد الأضحى المبارك ٥٩٧
بيان سماحة السيد عمار الحكيم في الذكرى السنوية للإبادة الإيزيدية ٥٩٨
بيان سماحة السيد عمار الحكيم حول انفجار بيروت ٥٩٩
تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة عيد الغدير الأغر ٦٠٠
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة اليوم العالمي للشباب ٦٠١
تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
برحيل رئيس المجلس الأعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب ... ٦٠٢
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة اليوم العالمي للعمل الإنساني .. ٦٠٢
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
الرافضة افتتاح سفارة للكيان الصهيوني في العراق ٦٠٣
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
يثمن بها الحملة الشعبية لزراعة ألف شجرة ٦٠٣
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
الداعمة للفلاحين للوصول إلى الاكتفاء الذاتي من المحاصيل الزراعية ... ٦٠٤
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
حول فرض هيبة الدولة وحصر السلاح بيدها ٦٠٤
شكر سماحة السيد عمار الحكيم
الجهود المبذولة في إقامة الشعائر الحسينية..... ٦٠٥

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
حول تعرض دولة السودان لموجة من السيول ٦٠٦

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
حول استهداف البعثات الدبلوماسية ٦٠٦

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم حول أحداث الرضوانية ٦٠٧

بيان سماحة السيد عمار الحكيم
برحيل أمير دولة الكويت سمو الشيخ (صباح الأحمد الجابر الصباح) ٦٠٨

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم حول أحداث دولتي أذربيجان وأرمينيا . . ٦٠٩

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة اليوم العالمي للمسنين ٦٠٩

رسالة شكر سماحة السيد عمار الحكيم
للجهود التي بذلت في إنجاح الزيارة الأربعينية ٦١٠

تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
برحيل خادم المنبر الحسيني السيد (جاسم الطويرجاوي) ٦١١

تعزية سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة ذكرى رحيل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ٦١٢

سماحة السيد عمار الحكيم
يشكر الجهود التي بذلت لإنجاح زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) بذكرى رحيل
الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ٦١٣

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة الذكرى السنوية لحراك تشرين ٦١٤

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم حول الزلزال الذي ضرب تركيا ٦١٤

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
حول استهداف الحرم الجامعي في العاصمة الأفغانية (كابل) ٦١٥

تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
حول استهداف معهد الكوثر في العاصمة الأفغانية (كابل) ٦١٥

بيان سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة الذكرى السنوية لرحيل الإمام السيد محسن الحكيم (قدس سره) ٦١٦
تعزية سماحة السيد عمار الحكيم برحيل شيخ عموم قبيلة الثراون ٦١٧
بيان سماحة السيد عمار الحكيم حول أحداث قضاء بيجي ٦١٧
تعزية سماحة السيد عمار الحكيم برحيل شيخ عام عشائر آل فتلة ٦١٨
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة اليوم العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة ٦١٨
تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم
بمناسبة بدء العام الدراسي الجديد ٦١٩
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم في اليوم العالمي للتطوع ٦١٩
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم المطالبة بمكافحة الفساد ٦٢٠
تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة العيد الوطني العراقي ٦٢١
تهنئة سماحة السيد عمار الحكيم إلى الإيزيديين بمناسبة عيد الصوم ٦٢٢
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية ٦٢٢
تغريدة سماحة السيد عمار الحكيم
حول تكرار استهداف البعثات الدبلوماسية ٦٢٣